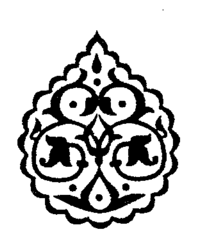

دفع شبه من شبه وتمرد
ونسب ذلك إلى السيد الجليل الإمام أحمد
تصنيف: الإمام الحجة الفقيه الزاهد
تقي الدين أبي بكر الحصني الشافعي الدمشقي
المتوفى سنة ٨٢٩ هجرية
ويليه
الفتاوى السهمية
في ابن تيمية
أجاب عنها جماعة من العلماء
تحقيق وتعليق
عبد الواحد مصطفى
دار الرازي
عمان - الأردن




دفع شبه من شبه وتمرد
ونسب ذلك إلى السيد الجليل الإمام أحمد


ويليه


الفتاوى السهمية
في ابن تيمية




بسم الله الرحمن الرحيم



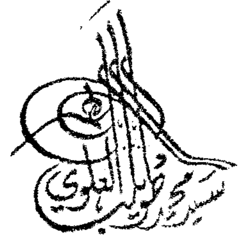
دفع شبه من شبه وتمرد

ونسب ذلك إلى السيد الجليل الإمام أحمد

تصنيف: الإمام الحجة الفقيه الزاهد

تقي الدين أبي بكر الحصني الشافعي الدمشقي

المتوفى سنة ٨٢٩ هجرية



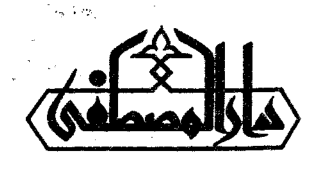
ويليه

الفتاوى السهمية في ابن تيمية

اعتنى به

عبد الواحد مصطفى





للطبع والنشر والتوزيع

P.O.Box 2232
C E, Liden 2301
The Nether Lands

الطبعة الأولى

1424 هـ - 2003 م

رقم الايداع: 2000/19076

الترقيم الدولي:

I.S.B.N. 977-17-0174-6

الكتاب: دفع شبه من شبه وتمرد ونسب ذلك إلى السيد الجليل الإمام أحمد

ومعه: الفتاوى السهمية في ابن تيمية

المؤلف ومن في حكمه: تقي الدين أبوبكر الحصني الشافعي الأشعري الدمشقي

قاضي القضاة نجم الدين بن حجي

قاضي القضاة برهان الدين بن خطيب عذراء

عبدالواحد مصطفى

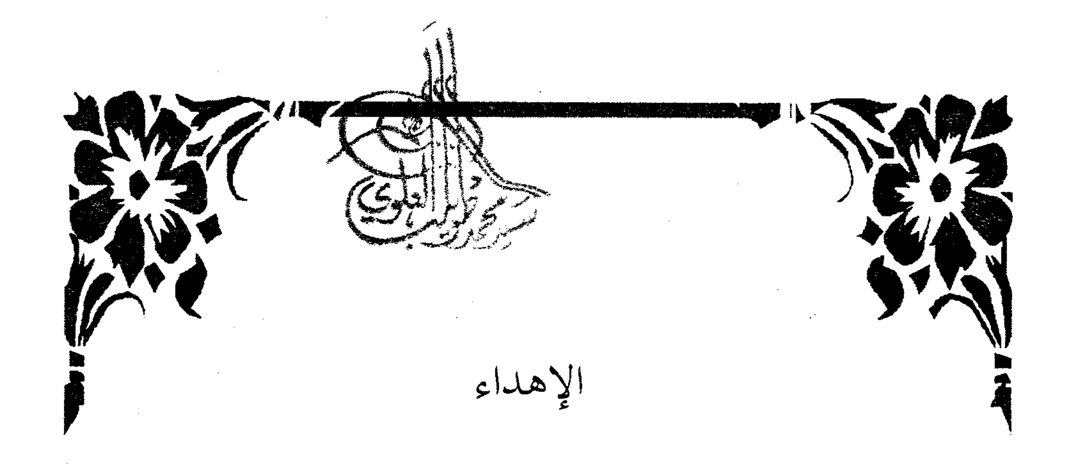
تم التنفيذ والاخراج والمراجعة بدار المصطفى

تطلب جميع منشوراتنا على العنوان التالي:

دار المصطفى
للنشر والتوزيع

هاتف: 7869295

e-mail: daralmostafa@maktoob.com



الإهداء

إلى: شيخنا الحبيب الدكتور ضياء الدين الكردي قدس الله روحه ووالده العارف بالله سيدي نجم الدين الكردي

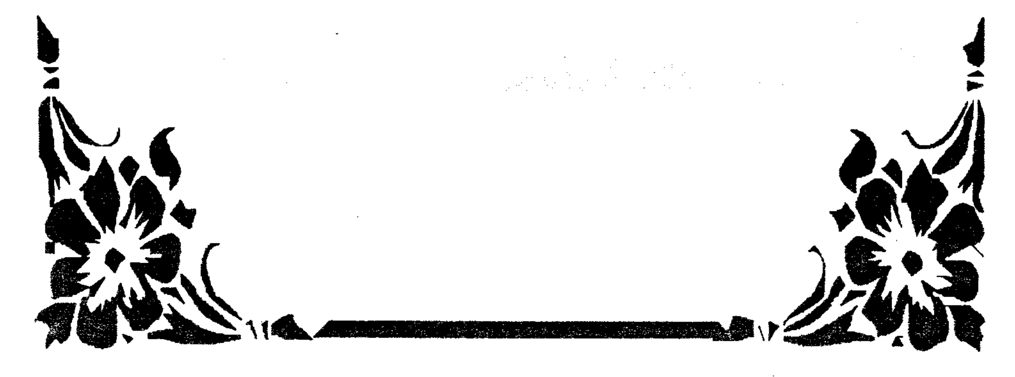
وإلى الإمامين الجليلين:

سيدي سلامة العزامي

والعلامة محمد زاهد الكوثري

وإلى: من لا أكافئه على فضله شيخي العلامة المحقق الدكتور إبراهيم عبدالرحمن خليفة

وإلى كل من تصدوا لفتنة خوارج العصر



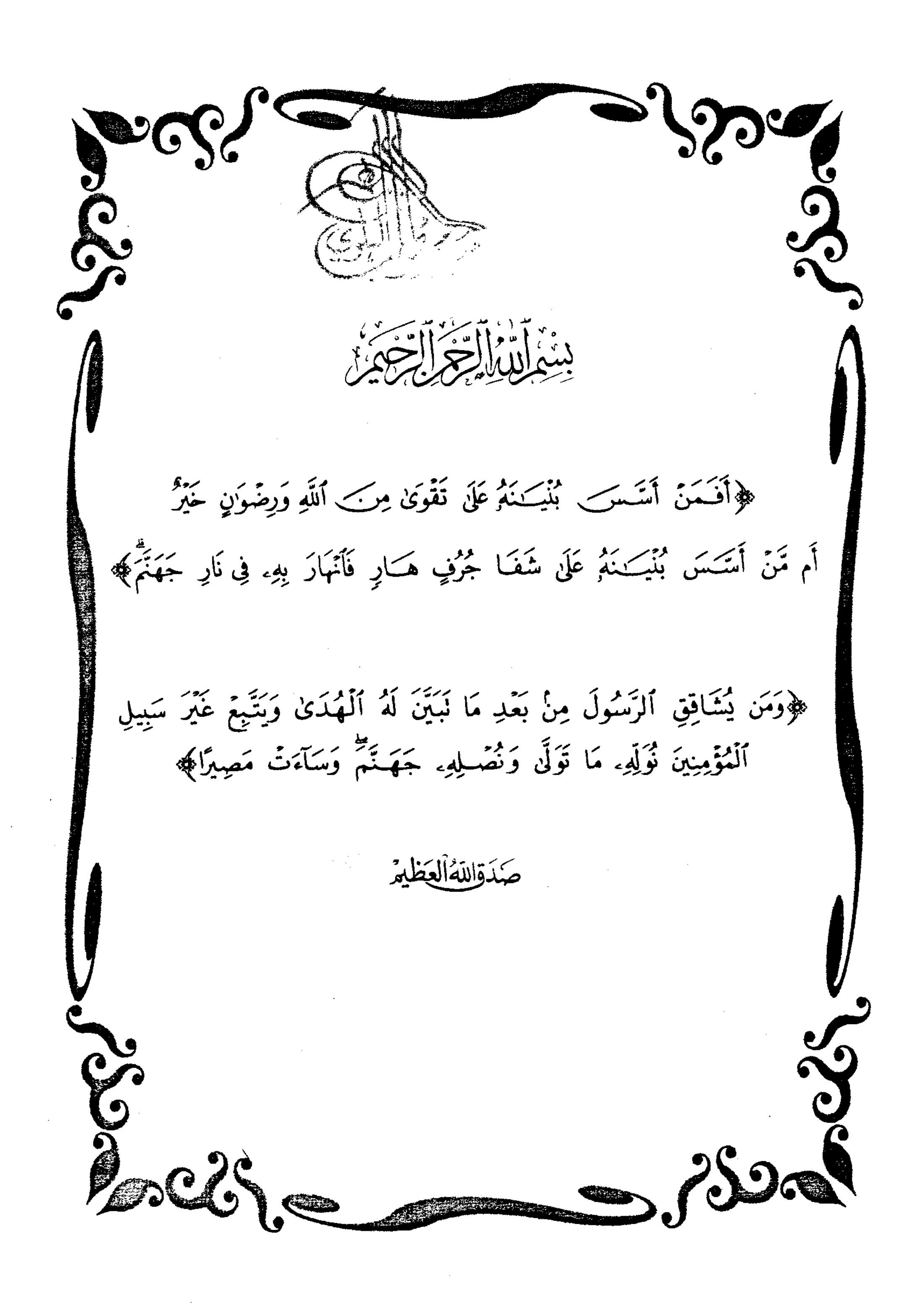
قيل لي وكُرِّر عليّ أن أهل التشبيه والتجسيم والمزدرين بسيد الأولين والآخرين تبعاً لسلالة القردة والخنازير لهم وجود، وفيهم كثرة، وقد أخذوا بعقول كثير من الناس لما يزينوا لهم من الإطناب على قدوتهم ويزخرفون لهم بالأقوال والأفعال ويموّهون لهم بإظهار التنسك والإقبال على كثرة الصلاة والصوم والحج والتلاوة وغير ذلك مما يحسن في قلوب كثير من الرجال لا سيما العوام المائلين مع كل ريح، تباع الدجال، فانقادوا لهم بسبب ذلك، أوقعوهم في أسر المهالك.

فرأيت بسبب هذه المكائد والخزعبلات أن أتعرض لسوء عقيدتهم تبعاً لهذا الزائغ عن طريق أهل الحق، وهم الأئمة الأربعة المقتدى بهم والمعول عليهم في جميع الأعصار والأقطار لأنهم النجوم الذي بهم يقتدى والسّرج الذي بنورهم في ظلمات الضلالات والجهالات يُهْتَدى.

وقد بالغ جمع من الأخيار من المتعبدين وغيرهم من العلماء كأهل مكة وغيرها أن أذكر ما وقع لهذا الرجل من الحيدة عن طريق هذه الأئمة، ولو كان أحرفاً يسيرة إما بالصريح أو بالتلويح مشيره.

فاستخرت الله عز وجل في ذلك مدة مديدة، ثم قلت: لا أبالك. وتأملت ما حصل وحدث بسببه من الإغواء والمهالك، فلم يسعني عند ذلك أن أكتم ما علمت وإلاّ لجمت بلجام من نار ومُقّت.

(الحصني- دفع شبه من شبه وتمرد)



بسم الله الرحمن الرحيم

﴿أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَـٰنَهُۥ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَـٰنَهُۥ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَٱنْهَارَ بِهِۦ فِى نَارِ جَهَنَّمَ﴾

﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ وَسَآءَتْ مَصِيرًا﴾

صدق الله العظيم

وها أنا أذكر الرجل وأشير باسمه الذي شاع وذاع واتسع به الباع وسار بل طار في أهل القرى والأمصار.

وأذكر بعض ما انطوى باطنه الخبيث عليه وما عول في الإفساد بالصريح أو الإشارة إليه.

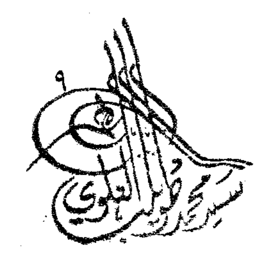
ولو ذكرت كثيراً مما ذكره ودوّنه في كتبه المختصرات لطال جداً فضلاً عن المبسوطات

وله مصنفات أخر لا يمكن أن يطلع عليها إلاّ من تحقق أنه على عقيدته الخبيثة، ولو عصر هو وأتباعه بالمعصرات لما فيها من الزيغ والقبائح النحسات.

قال بعض العلماء من الحنابلة في الجامع الأموي في ملأ من الناس: لو اطلع الحصني على ما اطلعنا عليه من كلامه لأخرجه من قبره وأحرقه.

وأكد مقالة هؤلاء أن أتعرض لبعض ما وقفت عليه وما أفتى به من جميع المذاهب وما خطيء فيه وما انتقد عليه، وأذكر بعض ما اتفق له من المجالس والمناظرات، وما جاءت به المراسيم العاليات، أتعرض لبعض ما سلكه من المكايد التي ظن بسببها أنه يخلص من ضرب الأسياط والحبوس وغير ذلك من الإهانات، وهيهات.

(الحصني-دفع شبه من شبه وتمرد)



بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا من يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد له وليّا مرشدا.

ونصلي ونسلم على سيدنا ومولانا وحبيبنا سيد الخلق ورحمة الله الكبرى للعالمين سيدنا محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم تسليما كثيراً إلى يوم الدين.

وبعد:

فإن المتأمل لأحوال المسلمين في العصور الأخيرة ليعجب أشد العجب من غرابتها وشذوذها فقد أصبحوا رغم كثرتهم وإمكاناتهم غثاء كغثاء السيل حسبما وصفهم سيد الخلق ﷺ بأسهم بينهم شديد يقتل بعضهم بعضاً ويكفرّ بعضهم بعضا بل قد يضع بعضهم يده في يد الكافر الأصلي الذي لا شبهة في كفره للفتك بإخوانه وإمداد أعدائه بما يلزمهم ويزيدهم قوة!!

فوضى شاملة وجهل عميق تقوم على نشرها جماعات قليلة العدد -بحمد الله- عالية الصوت تجد من يثابر على دعمها لنشر مفاهيم مغلوطة ما أنزل الله بها من سلطان وأولويات مبعثرة فما هو من توافه الأمور ومظاهر الطاعة الشكلية تصبح أول الواجبات وأعظمها وصغائر الذنوب التي يكفرها الوضوء أو المختلف فيها أصلا هل هي ذنب أم لا، تصبح أكبر الكبائر والواقع في هذه أو المقصر في تلك يصير زنديقا عدوا للإسلام.

أما واجبات المسلمين الكبرى في نشر الإسلام والدفاع عنه فحدث عن التقصير فيه ولا حرج، والمصائب والموبقات العظمى من تكفير المسلمين وقتلهم والخروج على جمهور المسلمين والسواد الأعظم فيهم واتهامهم بالشرك فما دونه

فتقع فيها هذه الجماعات فبعضهم يرتكبها وبعضهم يقف مسانداً يلتمس لهم الأعذار ويخترع لهم الحجج والذرائع !

وهذه الجماعات كما سيتضح من الكتاب إن شاء الله هي الجيل الأخير من الخوارج الذين وصفهم وحددهم لنا رسول الله ﷺ والذين يقومون الآن بمحاولات خلخلة مجتمعات المسلمين وإضعافها وشغلها عن رسالتها في خدمة الإسلام وفهمه تمهيداً لخروج المسيح الدجال - لعنه الله - في عراضهم.

وهذه الجماعات لا يصعب على من يراقبها أن يكتشف أنها مدعومة دعما معنويا بتخطيط وتوجيه من خارج بلاد المسلمين، وإن كان أعداء الإسلام يظهرون استنكارهم لأفكار هذه الجماعات وسلوكها حتى يدفعوا المجتمعات الإسلامية - تأثرا بمبدأ المخالفة - إلى التمسك بهم والانضواء تحت لوائهم تحقيقاً لأمرين:

الأول: تدمير البنيان الفكري الإسلامي في أنفس المسلمين على مدى القرون السابقة كلها فلا يجد المسلمون القدرة على إيجاد بديل ينظمون به حياتهم المعاصرة أو يواجهون به حضارة الغرب الزائفة.

الثاني: أن ينجح أفراد هذه الجماعات في فرض تصوراتهم الشاذة على مختلف جوانب الحياة الإسلامية وبالتالي يقدمون أقبح صورة للإسلام فينفض المسلمون - فضلا عن غيرهم- عن الإسلام بدون أن يتكلف الأعداء عناء محاربته!!

تكلم المستشرق اليهودي (جولد تسيهر) عن بداية الجماعات المعاصرة في ثوب الحركة الوهابية يقول إن المصادر المختلفة أجمعت عليها ألا وهي **روح النفاق والتقوى الكاذبة التي تتطلب تطهرا ظاهريا شديدا.**

وقبل أن تظن أنه يهاجمهم ننقل لك ما قاله بعد سطور قليلة: « يجب على من ينصب نفسه للحكم على الحوادث الإسلامية أن يعتبر الوهابيين أنصاراً للديانة الإسلامية على الصورة التي وضعها لها النبي والصحابة فمراد الوهابين وغايتهم إنما هي إعادة الإسلام الأول كما كان ... » .

ثم أردف بعد قليل: « ولذا فالوهابيون قوم قد خرجوا عن نطاق الإسلام السني وصنعوا ما صنعه الخوارج في العصور الإسلامية الأولى » اهـ[1].

ومعنى كلامه عن هؤلاء الخوارج أنه لا ذنب لهم فيما ينسب إليهم من مثالب، إذا كان الإسلام نفسه كذلك ؟! وقد نجحت هذه الجماعات حتى الآن للأسف في أن تدخل آراء وأفكار أئمتهم ضمن آراء جمهور المسلمين ليأخذ بها من شاء أو بمعنى آخر يأخذ بها من ادعى التمسك بالسنة واتباع السلف ونجحوا كذلك في فرض شخصيات أئمتهم بوصفها نماذج صالحة للاقتداء بهم واقتفاء أثرهم ضمن الأئمة المعتبرين عند جمهور المسلمين.

وكل من شاهد هذه الجماعات أو سمع منهم أو قرأ لهم يكتشف أنهم لا يخرجون عن آراء ابن تيمية واصفين إياه بأنه شيخ الإسلام وجاعلين منه المرجع الأول والأخير عوضا عن جمهور المسلمين وجماعتهم الذين شق عليهم ابن تيمية عصا الطاعة- كما سيتضح من الكتاب- مع أن رسول الله ﷺ شهد لجماعة المسلمين وجمهورهم بأنهم لن يجتمعوا على ضلالة وأن من شذ عنهم شذ في النار ولم يشهد رسول الله ﷺ - الذي هو مصدر التشريع بل ولا غيره - لابن تيمية بالعصمة !

لذا كان من الضروري جداً تسليط الضوء في صورة عامة وقراءة سريعة لشخصية هذا الرجل- ابن تيمية- وأرائه باعتباره محور الفتنة القائمة وعمودها.

ولا يعنينا في هذا الصدد إثبات كفره أو براءته من هذه التهمة بل يكفي أن يكون متهما بذلك من فريق معتبر من أئمة المسلمين وعلمائهم أو أن يكون مخطئا أخطاء شنيعة تدمر المجتمع والفكر الإسلامي في نظر جمهور الأئمة في عصره والعصور التالية - حتى وإن لم يكفر- لإثبات خطورة فكره وآرائه الشاذة وسلوكه المنحرف على جمهور الأمة من بعده، كما يكفي ذلك جداً كي نطالب

---

(١) انظر: العقيدة والشريعة في الإسلام للمستشرق **جولد تسهير** ط٢ دار الكتب الحديثة ص٢٦٨-٢٦٩).

علماء المسلمين بتنقية التراث الإسلامي والعلوم الإسلامية من كل ما أدخله ابن تيمية وتلاميذه من آراء ومعتقدات باطلة، وذلك خطوة أساسية ومقدمة لابد منها لإيقاف الفوضى التي أشرنا إليها ولإتاحة الفرصة للجيل الحالي ومن بعده لدراسة وتعلم الإسلام الحقيقي من نبعه الصافي كما أتى به رسول الله ﷺ وحمله ورعاه جمهور المسلمين وجماعتهم.

وقد وجدنا من خير هذه الكتب المختصرة التي تفي بالغرض لمن أراد الاقتصار عليها كتاب (دفع شبه من شبه وتمرد ونسب ذلك إلى السيد الجليل الإمام أحمد) تأليف الإمام العالم العامل المجاهد والولي الكامل تقي الدين أبي بكر بن محمد الحصني الشافعي .

وهذا الكتاب يعطي صورة مجسمة للشيخ ابن تيمية ويسلط عليه الضوء من زوايا مختلفة مع محاولة لتفسير دوافعه وأسبابه التي كانت وراء إظهاره هذه العقائد والآراء والدعوة إليها.

كل هذا رفع وإعلاء لشعيرة من أهم شعائر الدين هي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

قال تعالى: ﴿ كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ﴾ الآية ١١٠ من سورة آل عمران .

وقال ﷺ : « من رأى منكم منكراً فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان» يقول الأستاذ حسن خزبك «لهذا كان الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من أهم الفروض المقدسة على كل مسلم، لا يختص بذلك مسلم دون آخر فالكل مطالب بأن يقوم بقسطه من هذا الأمر الجليل الشأن والتعاون على نشر الخير وإزالة المنكر ما استطاع إلى ذلك سبيلا وأعظم المؤمنين عند الله أجراً أكثرهم تضحية بنفسه وماله في سبيل الله، وما خلق

الإنسان إلا ليعلم ويعمل ويفيد ويستفيد وينفع وينتفع، ومن الجهل الشنيع والعار القبيح والموت الأبدي ألاّ يعبأ المرء بدينه ولا يهتم بأمر أمته، ففي الحديث (من لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم).

وما للمــرء خير في حــياة إذا ما عد من سقط المتاع

انتهى المقصود منه بتصرف من ختام المقالات الوقية.

كما أنه تطهير لصفوف المسلمين في هذه الشدائد المعاصرة الـتي تجمـع فيـها أعداؤهم يحاولون اجتثاث شأفة الإسلام ولا يمكن للمسلمين اليـوم مواجهـة هـذا التحدي مع وجود الخوارج مندسين بين صفوفهم. كيف وقد حذرنـا رب العـزة من ذلك فقال عن ســلف الخـوارج ﴿ لـو خرجـوا فيكـم مـا زادوكـم إلا خبـالا ولأوضعوا خلالكم يبغونكم الفتنة وفيكم سماعون لهم ﴾ الآية ٤٧ ســورة التوبـة وفي قصة طالوت التي حكاها القرآن في سورة البقرة وخروجه بـالمؤمنين ليقـاتلوا عدوهم أبلغ عبرة في أن أمر الله سـبحانه بتطـهير صفـوف المؤمنـين أولا هـو أول خطوات النصر على أعداء الله.

ترجمة المؤلف (*)

هو أبو بكر بن محمد بن عبد المؤمن بن حريز[١] ابن معلّى[٢] بن موسى ابن حريز بن سعيد بن داود بن قاسم بن علي بن علوي[٣] بن ناشب[٤] بن جوهر بن علي بن أبي القاسم بن سالم بن عبد الله بن عمر بن موسى بن يحيى بن علي الأصغر بن محمد التقي بن حسن العسكري بن علي العسكري بن محمد الجواد بن علي الرضي بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن زين العابدين علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب التقي الحسيني الحصني ثم الدمشقي موطناً ووفاة الشافعي مذهباً، الأشعري عقيدة[٥] ويعرف بالتقي الحصني.

حياته:

ولد سنة اثنتين وخمسين وسبعمائة ببلدة الحصن ببلاد الشام ثم قدم دمشق

(*) توجد ترجمته في الكتب التالية:

الدر المنتخب في تكملة تاريخ حلب لابن خطيب الناصرية «مخطوط» الجزء الأول: ورقة (١٩٦/أ)، وطبقات الشافعية لابن قاضي شهبة (٤/٩٧-٩٩)، وإنْبَاء الغَمْر لابن حجر (٨/١١٠، ١١١)، وبهجة الناظرين للغزي، «مخطوط» : ورقة (٩٧/ب-٩٩/أ)، والضوء اللامع (١١/٨١ -٨٤)، والزيارات لمحمود العدوي (٧٢،٧٣)، وشذرات الذهب (٧/١٨٨، ١٨٩)، والبدر الطالع (١/١٦٦)، وهدية العارفين (١/٢٣٦)، ومنادمة الأطلاع لابن بدران (٣٠١،٣٠٢)، ومنتخبات التواريخ لدمشق (٢/٥٥٣-٥٥٥)، وتاريخ الأدب العربي لبروكلمان «الطبعة الألمانية» (٢/١١٧)، والأعلام (٢/٦٩)، ومعجم المؤلفين (٣/٧٤). كما توجد له ترجمة في الورقة بعد الأخيرة من إحدى نسخ كتابه (كفاية الأخيار)، وهي نسخة مصورة على فيلم في جامعة الإمام تحت رقم [٥٢٩٢] وقد كُتبت هذه الترجمة عام (٩٤١)، وكاتبها هو عبد الرحمن بن الحاج أحمد بن محمد بن الحداد التَّزمَنْتِي بلداً، الشافعي مذهباً. كما توجد له ترجمة في بداية كتابه المطبوع: دفع شُبَه من شبَّه وتمرد.

(١) بمهملتين وآخره زاي ككبير.

(٢) بضم أوله وتشديد اللام المفتوحة.

(٣) بفتح المهملة واللام: اسم بلفظ النسب.

(٤) بنون ثم معجمة.

(٥) والأشاعرة والماتريدية هم أهل السنة والجماعة.

ودرس علي أيدي شيوخها وتخرج بهم وسكن المدرسة البادرائية واشتغل بالتدريس وكان خفيف الروح منبسطا له نوادر ويخرج للتنزه ويحض تلاميذه على شيء من الانبساط واللعب.

كل ذلك مع الدين المتين والتحري الشديد في أقواله وأفعاله.

وتزوج عدة نساء ثم انقطع وتقشف وانجمع، وكل ذلك قبيل القرن، وسكن الشيخ بحيّ الشاغور بدمشق عند مسجد (المزاز) عدة سنين بعد الفتنة- فتنة تيمور لنك- حتى وفاته، وكان قد ازداد بعد الفتنة تقشفه وانجماعه وكثرت مع ذلك أتباعه حتى امتنع من مكالمة كثير من الناس وصار يطلق لسانه في القضاة وأصحاب الولايات. قال الغزي: « وعمل في آخر عمره مواعيد بالجامع الأموي وهرع إليه الناس وكنت من جملة من سمعه، ويتكلم بكلام حسن مقبول منقول عن السلف الصالح» أهـ. من (بهجة الناظرين) له، ويقول عنه في موضع آخر: «وكان – رحمه الله – عليه من المهابة والأنس الكثير » ويقول ابن قاضي شهبة في (طبقات الشافعية) له ٤/٩٨: « وله في الزهد والتقلل من الدنيا حكايات لعل أنه لا يوجد في تراجم كبار الأولياء أكثر منها، ولم يتقدموه إلا بالسبق في الزمان»أهـ.

ويصف الإمام السخاوي حياته في (الضوء اللامع) فيقول:

« وتزوج عدة ثم انحرف قبل الفتنة عن طريقته وأقبل على ما خلق له وتخلى عن النساء وانجمع عن الناس مع المواظبة على الاشتغال بالعلم والتصنيف، ثم بعد الفتنة زاد تقشفه وزهده وإقباله على الله تعالى وانجماعه وصار له أتباع واشتهر اسمه وامتنع من مكالمة كثيرين لا سيما من يتخيل فيه شيئاً وصار قدوة العصر في ذلك وتزايد اعتقاد الناس فيه وألقيت محبته في القلوب وأطلق لسانه في القضاة، وحط على التقي بن تيمية فبالغ وتلقى ذلك عنه طلبة دمشق وثارت بسببه فتن كثيرة، وتصدى للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مع مزيد احتقاره لبني الدنيا وكثرة سبهم حتى

هابه الأكابر، وانقطع في آخر وقته في زاوية بالشاغور وكتب بخطه الكثير قبل الفتنة، وجمع التصانيف المفيدة في الفقه والتصوف والزهد وغيرها » أهـ.

وقال في موضع آخر: « وكان يتعصب للأشاعرة وأصيب سمعه وبصره فضعف وشرع في عمارة رباط داخل (باب الصغير) فساعده الناس بأموالهم وأنفسهم ثم شرع في عمارة خان السبيل ففرغ في مدة قريبة، زاد غيره أنه لما بناه باشر العمل فيه الفقهاء فمن سواهم حتى كان الحافظ ابن ناصر الدين كثير العمل فيه مع أنه ممن كان يضع من مقداره لرميه إياه باعتقاد مسائل ابن تيمية، وكراماته كثيرة وأحواله شهيرة، ترجمه بعضهم بالإمام العلامة الصوفي العارف بالله تعالى المنقطع إليه زاهد دمشق في زمانه الأمّار بالمعروف النهّاء عن المنكر الشديد الغيرة لله والقيام فيه الذي لا تأخذه في الحق لومة لائم وأنه المشار إليه هناك بالولاية والمعرفة بالله » أهـ (الضوء اللامع) ٨١/١١ فما بعدها.

وذكر ابن خطيب الناصرية في (الدر المنتخب) عنه أنه كان آمراً بالمعروف، ناهياً عن المنكر، شديد الغيرة لله، لا تأخذه في الحق لومة لائم؛ حتى كانت المراسيم الشريفة ترد عليه من السلطان: بأن لا يعترض عليه، ولا يخالفه في أمر بمعروف، ولا نهي عن منكر.

وهاك طرفا من النماذج الناطقة بإنكاره على المنكر وأصحابه:

أ- يقول في كتابه (قمع النفوس): «وقد آن لنا أن نذكر صفات أمرائنا وما هم عليه من الأمور المظلمة والأفعال الخبيثة ... » مخطوط ص ١٠٦.

ب- ويقول في كتابه (كفاية الأخيار) في باب الصوم:

« ... ومن المصائب العظيمة ما يصنعه الظلمة من تقليد الظالم وأخذ الأموال بالباطل ثم يصنعون بذلك شيئاً من الأطعمة يتصدقون به فيتعدى شؤمهم إلى الفقراء. وأعظم من ذلك مصيبة تردد فقهاء السوء وصوفية الرجس إلى أسمطة هؤلاء الظلمة ثم يقولون هو يشتري في الذمة؟ وأيضاً تكره معاملة من أكثر ماله حرام، والذي في شرح مسلم أنه حرام. وفرض المسألة في جائزة الأمراء ولا فرق

في المعنى فأعرفه، ولا يعلم هؤلاء الحمقى أن في ذلك إغراء على تعاطي المحرمات، ويتضمن مجالسة الفسقة: وهي حرام على وجه المؤانسة بلا خلاف، وقد عدّها جمع من العلماء من الكبائر، ونسبه القاضي عياض إلى المحققين وهم على ارتكاب ذلك لا ينهونهم عن منكر وذلك سبب إرسال المصائب على الأمم بل سبب هلاكهم ولعنهم على لسان الأنبياء وقد نص على ذلك القرآن العظيم ولهذا تتمة مهمة في كتابنا (قمع النفوس) والله أعلم» .

وقد حكى معاصروه له كرامات كثيرة وليس ذلك بغريب على من كان هذا دأبه وسلوكه فمن ذلك ما نقله صاحب كتاب منتخبات التواريخ لدمشق: قال: « ومن كراماته: أنه لما خرج المسلمون إلى غزاة جزيرة قبرص والتحم القتال، رأي جماعة من العسكر الشيخ تقي الدين الحصني يقاتل أمام المسلمين، حتى نصرهم الله تعالى.

فلما رجعوا حكوا ذلك وأخبر جماعة من الحجاج أنهم رأوا الشيخ بعرفات والمدينة المنورة وهم يعرفونه حق المعرفة، فلما رجعوا أخبروا بذلك؛ والحال أنه ما غاب عن أصحابه يوماً واحداً.

ويحكي من كراماته أن شخصاً معه علبة لبن، فباعها الشخص لآخر، وحملها الحمال إلى منزل المشتري، ففي أثناء الطريق مر على الشيخ فأخذها وكبها ورماها، وإذا في وسطها حية كانت قد سقطت في الحليب وماتت وراب الحليب عليها، فأطلع الله الشيخ على ذلك وألهمه، فكبّها في الطريق.

ومنها أنه كان يطعم الرطبَ الجَنِيَّ للصغار والكبار في غير أوانه، ولم يكن بدمشق واحدة من ذلك. انتهى من تاريخ البصروي وتراجم الرجال من تاريخ العدوي » منتخبات التواريخ لدمشق (٢/٥٥٤، ٥٥٥).

وفاته:

توفى ﷺ سنة ٨٢٩هـ يقول الإمام السخاوي: مات بعد أن ثقل سمعه وضعف بصره في ليلة الأربعاء منتصف جمادى الثانية سنة تسع وعشرين بدمشق وحملت جنازته

على أعناق الأكابر وكان يوما عظيما ما تخلف عنه أحد من أهل دمشق حتى الحنابلة مع شدة قيامه عليهم والتشنيع على من يعتقد ما خالف فيه ابن تيمية الجمهور، هذا مع فوات الصلاة عليه لكثيرين لكونه أوصى أن يخرج به بغلس ولكنهم ذهبوا إلى قبره وصلى عليه غير مرة وأول من صلى عليه بالمصلى ابن أخيه شمس الدين ثم ثانياً عند جامع كريم الدين ودفن هناك وختم على قبره ختمات كثيرة.

ورؤيت له منامات صالحة منها أن النجم بن حجي رآه وهو جالس على مكان مرتفع يشبه الإيوان العالي وكان بمسجد قبر عاتكة وابن أخيه قريب منه وقائل يقول له هذا القطب قال ولكن رأيته مقعداً قال وخطر لي أن ذلك بسبب إطلاق لسانه في الناس، وقال غيره إنه رآه وقائل يقول له عنه ما يموت حتى يبلغ درجة وكيع.

ذريته[1]:

لم يُخلف الشيخ تقي الدين الحصني إلا بنات، وقد تزوج إحداهن ابن أخيه، واسمه: محمد بن حسن بن محمد الحصني، أبو عبد الله، المعروف بشمس الدين، ومنه تفرعت الأسرة المعروفة ببني تقي الدين الحصني، وقد اشتهر أفراد تلك الأسرة بالنسبة إلى عمهم لجلالة قدره؛ وهذه الأسرة معروفة بدمشق إلى وقتنا الحاضر، وقد خرج منها علماء وفضلاء منهم:

١ - محمد بن حسن بن محمد الحصني أبو عبد الله شمس الدين وستأتي ترجمته مع تلاميذ المؤلف.

٢ - محمد بن محمد، شمس الدين بن محب الدين الحسيني الحصني. ذكره الغزي في الكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة (١/ ٢٠).

٣ - ومنهم: محمد محب الدين بن أحمد بن محمد.

---

(١) استفدنا الكثير من المعلومات حول المؤلف وتلاميذه وكتبه من المقدمة التي كتبها د. عبد الرحمن الشعلان في تحقيقه لكتاب القواعد الفقهية للمؤلف.

ترجمة المحبي فقال: « (السيد محمد) بن أحمد بن محمد، المنعوت محب الدين الحصني الدمشقي الشافعي، السيد العالم الجواد المربي، كان غاية في الورع والتقشف والتصلب في أمر الدين، ديناً خيراً ناجحاً ملازماً للاعتكاف ....، وكان محافظاً على عمارة مطبخ آبائه بخان الكشك المقابل لخان ذي النون خارج دمشق، بإصلاح الحلوى والطعام والتفرقة على الحجاج ذهاباً وإياباً. وكان سخياً لا يمسك شيئاً، وله حفدة ومريدون كلهم عائلة عليه.

وكانت وفاته نهار السبت حادي عشر شهر رمضان سنه إحدى عشرة بعد الألف » . خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر (٣/٣٥٢،٣٥٣). وانظر ترجمته- أيضاً- في : منتخبات التواريخ لدمشق (٢/٥٩٩).

٤ – تقي الدين بن محمد شمس الدين بن محمد محب الدين بن أحمد ابن محمد.

ولد تقي الدين بدمشق في ثالث صفر سنة ثلاث وخمسين وألْفِ، ونشأ بها، وأخذ العلم عن جماعة؛ فقد أخذ الحديث والأصول والفقه عن الشيخ عبد القادر الصفوري، وأخذ عن الشيخ محمد بن داود العناني المصري، وأجازه جماعة من علماء الشام والمدينة المنورة.

وقد قام بالتدريس وقرأ عليه خلق كثيرون، وكان يكرم قاصديه، قال المرادي: « ورأيت له مجاميع بخطه تدل على فضله وإتقانه ومعرفته بالأنساب والتاريخ، وكان حريصاً على النوادر، يحرر الواقعات والمسائل، حتى إني وجدت في كتبه التي كان مالكها وفيات ومسائل مفيدة، ولم ألق كتاباً منها خالياً عن حواش بخطه وتحريرات ... ...، وكانت وفاته في ليلة الأحد سابع عشر ذي الحجة سنة تسع وعشرين ومائة وألف » سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر (٢/٥).

وانظر ترجمته- أيضاً- في: منتخبات التواريخ لدمشق (٢/٦٢١).

حياة المؤلف العلمية

طلبه العلم:

تفقه على عدد من المشايخ الموجودين بدمشق، وتشارك هو والعز عبد السلام القدسي في الطلب وقتاً، وكان مواظباً على الاشتغال بالعلم حتى مع خلوته، وكان قد كتب بخطه كثيراً قبل الفتنة وبعدها.

في الفقه، وفي التصوف والزهد والرقائق وفي الحديث، وفي العقيدة، وفي التفسير. وكان بروزه في المجالين الأولين، ويليهما الحديث، وبعده العقيدة، ثم التفسير.

شيوخه:

تفقه الشيخ تقي الدين الحصني على:

(١) الشيخ نجم الدين ابن الجابي[1]:

(٢) الشيخ شمس الدين الصرخدي[2]:

(٣) والشيخ شرف الدين بن الشريشي[3]:

---

(١) هو أحمد بن عثمان بن عيسى، أبو العباس، ولد سنة ٧٣٦هـ. سمع الحديث، وأخذ الأصول عن الشيخ بهاء الدين الإخميمي، وأخذ الفقه عن الشيوخ الثلاثة الغزي والحسباني وحجي، وغيرهم، وقد درس وأفتى، واشتغل حتى اشتهر اسمه وشاع ذكره، وقد برع في الفقه والأصول، وكان يتوقد ذكاء، سريع الإدراك، حسن المناظرة. توفي -رحمه الله- بدمشق سنة ٧٨٧هـ.

انظر: طبقات الشافعية لابن قاضي شهبه (١٩٩/٣)، والدرر الكامنة (٢١٣/١)، وإنباء الغمر (١٩٤/٢)، وشذرات الذهب (٢٩٦/٦).

(٢) هو محمد بن سليمان الصرخدي، أبو عبد الله. أخذ العلوم عن المشايخ الموجودين في ذلك العصر، ومنهم الشيخ شمس الدين ابن قاضي شهبة. وكان أجمع أهل البلد لفنون العلم، وقد أفتى ودرس، واشتغل وصنف، وكان ينصر مذهب الشيخ أبي الحسن الأشعري كثيراً. من مصنفاته: شرح المختصر، ومختصر قواعد العلائي، ومختصر التمهيد للأسنوي، ومختصر المهمات. توفى - رحمه الله- ٧٩٢هـ.

انظر: طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة (٢٢٤/٣)، والدرر الكامنة (٦٩/٤)، وإنباء الغمر (٤٨/٣)، وشذرات الذهب (٣٢٥/٦).

(٣) هو محمود بن محمد بن أحمد البكري الوائلي، ولد بحمص سنة ٧٢٩هـ.

أخذ العلم عن والده، والشيخ شمس الدين ابن قاضي شهبة، والقاضي تاج الدين السبكي، ومن تلاميذه: تقي الدين ابن قاضي شهبة، وهو شيخ الشافعية في وقته، وقد قرأ في الأصول والنحو والمعاني والبيان، وشارك في ذلك كله مشاركة قوية، ولازم الاشتغال والإفتاء واشتهر بذلك، ودرس حتى تخرج به خلق كثير من فقهاء البادرائية وغيرهم. توفي- رحمه الله- سنة ٧٩٥هـ.

انظر: طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة (٢٤٨/٣)، والدرر الكامنة (١٠٢/٥)، وإنباء الغمر (١٨٦/٣)، وشذرات الذهب (٣٤٢/٦).

(٤) والشيخ شهاب الدين الزهري[١]:
(٥) الشيخ بدر الدين بن مكتوم[٢].
(٦) الشيخ شرف الدين الغزي[٣] .
(٧) والصدر الياسوفي[٤]. وغير هؤلاء.

---

(١) هو أحمد بن صالح بن أحمد بن خطاب، أبو العباس، ولد سنة ٧٢٢هـ. وقيل: سنة ٧٢٣هـ، وقيل غير ذلك. أخذ العلم عن جماعة، منهم: الحافظ المزي، والشيخ نور الدين الأردبيلي. وقد مهر في الفقه وغيره، ودرس كثيراً وأفتى، وانتهت إليه رئاسة الشافعية بدمشق. من مصنفاته: حل المختصر في الأصول، والمنهاج في الأصول- أيضاً- والتمييز في الفقه، والعمدة. توفي -رحمه الله- سنة ٧٩٥هـ.

انظر: طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة (١٩٤/٣)، والدرر الكامنة (١٥١/١)، وإنباء الغمر (١٦٨/٣)، وشذرات الذهب (٣٣٨/٦).

(٢) هو محمد بن أحمد بن عيسى بن عبد الكريم، أبو عبد الله، ولد بعد الأربعين وسبعمائة. سمع من جماعة، وأخذ الفقه عن جماعة منهم: الحسباني وحجي. وقد عنى بالفقه والعربية، وبرع في النحو، وتصدى للتدريس بالجامع خمس عشرة سنة، وكان يفتي بآخره، وولي مشيخة النحو بالناصرية. توفي -رحمه الله- سنة ٧٩٧هـ.

انظر: طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة (٢٢٢/٣)، والدرر الكامنة (٤٣٧/٣)، وإنباء الغمر (٢٧٠/٣)، وشذرات الذهب (٣٥٠/٦).

(٣) هو عيسى بن عثمان بن عيسى، أبو الروح، ولد سنة ٧٣٩هـ. أخذ الفقه عن جماعة منهم القاضي تاج الدين السبكي، والشيخ جمال الدين الأسنوي. كان مواظباً على الاشتغال والمطالعة، واشتهر بمعرفة الفقه، وحفظ الغرائب، وقد درّس ، وولي القضاء، وأفتى. من مصنفاته: شرح المنهاج الكبير، ومختصر الروضة، والقواعد الفقهية (أدخل فيه ألغاز الأسنوي وزاد عليه)، والجواهر والدرر، والرد على المهمات،وأدب القضاء. توفي -رحمه الله- سنة ٧٩٧هـ.

انظر: طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة (٢١٦/٣)، والدرر الكامنة (٤٣)، وغنباء الغمر (٣/ ٣٥٥)، وشذرات الذهب (٣٦٠/٦).

(٤) هو سليمان بن يوسف بن مفلح بن أبي الوفاء، الشيخ صدر الدين الياسوفي. كان مولده قريباً من سنة ٧٣٩هـ. سمع بدمشق من محمد بن أبي بكر بن السيوفي وابن اميله، كما سمع بحلب والقاهرة، ولازم العماد الحسباني، وقرأ في الأصول على الأخميمي. وقد حفظ الياسوفي محفوظات كثيرة، وكان مشهوراً بالذكاء سريع الحفظ، حتى حفظ مختصر ابن الحاجب في مدة يسيرة، وذكروا أنه كان يحفظ في كل يوم مائتي سطر. قال ابن حجي: « وفي آخر أمره صار يسلك مسلك الاجتهاد ويصرح بتخطئة الكبار، واتفق وصول أحمد الظاهري من بلاد الشام فلازمه ومال إليه» وقد سجن بالقلعة بسبب علاقته بالظاهري أحد عشر شهراً إلى أن مات في الثالث والعشرين من شعبان سنة ٧٨٩هـ.

انظر: الدرر الكامنة (٢٦١/٢)، وإنباء الغمر (٢٦٥/٢)، ولحظ الألحاظ بذيل كبقات الحفاظ (١٧٣)، وشذرات الذهب (٣٠٧/٦).

تلاميذه:

يقول الشعلان ما حاصله :

ذكر الذين ترجموا للشيخ تقي الدين الحصني: أنه كان له تلاميذه، إلا أنهم لم يذكروا اسم أحد منهم.

وقد تمكنت خلال البحث في كتب التراجم، وبعض كتب المؤلف المخطوطة من الوصول إلى أسماء بعضهم، وهم:

١- ابن أخيه[١].

هو محمد بن حسن بن محمد الحسيني الحصني أبو عبد الله، المعروف بشمس الدين.

اشتغل على عمه الشيخ تقي الدين الحصني، وانتفع به، وفضل في النحو، وكان صالحاً خيراً، ودرَّس بالشامية والبادرائية، ولم يقبض مقابل تدريسه بها شيئاً، وقام بعمارتها، وقد ذكر النعيمي: أنه آخر من علمه ولي تدريس البادرائية. وكان يذهب إلى اللاذقية لرفق الحال بها فيقيم هناك مدة، ثم يرجع إلى دمشق، وبها توفى يوم الاثنين ثالث شهر ربيع الأول سنة ٨٣٤هـ حسبما ذكره ابن حجر وابن العماد.

٢- عمر بن محمد، المعروف بالعلم.

يقول د. عبد الرحمن بن عبد الله الشعلان في مقدمة تحقيقه لكتاب (القواعد): لم أجد ترجمة هذا الشخص، وقد وجدت نصين لهما علاقة به:

أولهما: قوله- أعني عمر بن محمد-: «وافق الفراغ من تعليقه يوم الأربعاء بين الظهر والعصر في أواخر شهر صفر سنة خمس وأربعين وثمانمائة، على يد عمر

(١) انظر: إنباء الغمر (٢٤٣/٨)، والدارس في تاريخ المدارس (٢١٣/١، ٢١٤)، وشذرات الذهب (٢٠٩/٧)، ومنتخبات التواريخ لدمشق (٥٥٦/٢).

بن محمد المعروف بالعلم تلميذ المصنف الشيخ تقي الدين الحصني» وقد ورد الكلام المتقدم في: كفاية المحتاج للحصني «مخطوط»، جـ٥: ورقة (١٦٥/ب).

ثانيهما: رأيت في بعض المجاميع ما ملخصه: أن الشيخ عمر بن محمد العلم كاتب هذا الجزء- رحمه الله تعالى- أنه كان يسمى أولا بالقلم فبدله الحصني بالعلم؛ هكذا رأيته، والله أعلم بحقيقة الحال، فليعلم.

كتبه الفقير تقي الدين ابن الحصني لطف الله تعالى به . وقد ورد الكلام المتقدم في الورقة بعد الأخيرة من الكتاب المتقدم.

٣- محمد بن أحمد الغزي[1].

هو محمد بن أحمد بن عبد الله بن بدر العامري القرشي، رضي الدين الغزي، ولد بدمشق سنة ٨١١هـ.

تعلم في دمشق والقاهرة، وناب في القضاء بدمشق، وأفتى ودرس، وهو عالم شافعي، واشتهر بالتاريخ.

من مصنفاته، مناسك الحج، وبهجة الناظرين (في طبقات الشافعية «مخطوط»)، وسيرة الظاهر جقمق. توفى بدمشق سنة ٨٦٤هـ.

هذا: ولم تذكر كتبُ التراجم أخذَه أو سماعَه من الشيخ تقي الدين الحصني، إلا أنه – أعني الغزي- نص على سماعه من الشيخ تقي الدين ولقائه به عدة مرات.

---

(١) انظر: بهجة الناظرين: ورقة (٩٨/ب)، والضوء اللامع (٣٢٤/٦)، والأعلام (٣٣٣/٥)، ومعجم المؤلفين (٢٧٩/٨).

آثاره:

ذُكِرَ للشيخ تقي الدين الحصني عدةُ مؤلفات في عدة فنون، ذكرت مؤلفات الإمام الحصني في كتب التراجم المشار إليها بعد، وقد وجدنا أن فضيلةِ الدكتور عبد الرحمن الشعلان قد أحسن ترتيبها وعرضها بما لا مزيد عليه فنقلنا نص كلامه مع تصرف قليل، منها:

أ- مؤلفاته في العقيدة:

١- شرح أسماء الله الحسنى[١]. وقد ذكر بعضهم: أنه مجلد، ويظهر من اسمه أنه شرح لأسماء الله تعالى، وقد ألف في هذا الموضوع جماعة من العلماء[٢].

٢- دفع شبه من شبّه وتمرد، ونسب ذلك إلى السيد الجليل الإمام أحمد[٣]. كتابنا هذا وسيأتي الكلام عنه .

ب- مؤلفاته في التفسير:

٣- التفسير[٤]. ويقع في مجلد، وهو تفسير آيات متفرقة، وقد ذكر بعضهم أنها إلى الأنعام.

ج- مؤلفاته في الحديث :

٤- شرح صحيح مسلم[٥]. ويقع في ثلاثة مجلدات.

٥- شرح الأربعين النووية[٦]. ويقع في مجلد.

---

(١) ذكره جماعة، انظر: طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة (٤/٩٩)، وبهجة الناظرين: ورقة (٩٨/ب)، والضوء اللامع (١١/٨٢)، وكشف الظنون (٢/١٠٣٢)، والبدر الطالع (١/١٦٦)، وهدية العارفين (١/٢٣٦).

(٢) انظر مؤلفاتهم في : كشف الظنون (٢/١٠٣١- ١٠٣٥).

(٣) ذكره جماعة ، انظر: طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة (٤/٩٩)، وبهجة الناظرين: ورقة (٩٨/ب)، والضوء اللامع (١١/٨٢)، وهدية العارفين (١/٢٣٦).

(٤) ذُكِرَ في الكتب التالية: طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة (٤/٩٩)، وبهجة الناظرين: ورقة (٩٨/ب)، والضوء اللامع (١١/٨٢)، وشذرات الذهب (٧/١٨٩).

(٥) مذكور في الكتب التالية: الدر المنتخب، جـ١: ورقة (١٩٦/أ)، وطبقات الشافعية لابن قاضي شهبة (٤/٩٩)، وبهجة الناظرين: ورقة (٩٨/ب)، والضوء اللامع (١١/٨٢).

(٦) ذكره جماعة، انظر: طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة (٤/٩٩)، وبهجة الناظرين: ورقة (٩٨/ب)، والضوء اللامع (١١/٨٢)، والبدر الطالع (١/١٦٦).

٦- تأليف يتعلق بأحاديث الإحياء. وقد اختلف المترجمون في ذكره؛ فقال ابن العماد[١] نقلاً عن السخاوي: وخرّج أحاديث الإحياء في مجلد» . وقال الغزي[٢]:لخص أحاديث الإحياء ». وقال ابن قاضي شهبة[٣]: « ولخص تخريج أحاديث الإحياء في مجلد.

د- مؤلفاته في الفقه وقواعده:

٧- شرح التنبيه[٤]. يقع في خمسة مجلدات، وقد شرح به كتاب التنبيه للشيخ أبي إسحاق الشيرازي.

وطريقته في الكتاب: أن يذكر عبارة التنبيه، ثم يعقب عليها بالشرح. أو يقول: وقول الشيخ: كذا؛ ثم يعقّب عليه بما يريد.

والكتاب: شرح متوسط، وفيه عناية بالأحاديث من ناحية تصحيحها أو تضعيفها، ويكثر صاحبه من النقل عن العلماء المتقدمين، وخصوصاً الرافعي والنووي.

ويوجد للأجزاء الأول والثاني والرابع والخامس منه نسخ مخطوطة في مكتبة آيا صوفيا التابعة للمكتبة السليمانية، وأرقامها هي: (١٢١٠، ١٢١١، ١٢١٢، ١٢١٣).

ويوجد للجزء الرابع منه نسخة في مكتبة طلعت، التابعة لدار الكتب المصرية رقمها (٢٢٥/فقه شافعي). وتقع هذه النسخة في (٢٥٥) ورقة، ويبدأ هذا الجزء بأول كتاب النكاح، وينتهي بآخر الحضانة.

٨- كفاية المحتاج في حل المنهاج[٥]. ويقع في خمسة مجلدات، وهو شرح لمنهاج الطالبين للنووي.

ويوجد للجزء الخامس منه نسخة في مكتبة تشستربتي بإيرلندا، ويوجد لهذه

(١) في: شذرات الذهب (١٨٩/٧).

(٢) في: بهجة الناظرين: ورقة (٩٨/ب).

(٣) في: طبقات الشافعية (٩٩/٤).

(٤) ذكره جماعة، انظر: الدر المنتخب، جـ١: ورقة (١٩٦/أ)، وطبقات الشافعية لابن قاضي شهبة (٩٩/٤)، وبهجة الناظرين: ورقة (٩٨/ب)، والضوء اللامع (٨٢/١١)، وكشف الظنون (٤٩١/١).

(٥) هذا هو الاسم الموجود على النسخة المخطوطة، أما أهل التراجم فلم يذكروا هذا الاسم، بل ذكروا أن له شرحاً على المنهاج؛ انظر: بهجة الناظرين: ورقة (٩٨/ب)، والضوء اللامع (١١/ ٨٢)، وكشف الظنون (١٨٧٥/٢)، والبدر الطالع (١٦٦/١).

النسخة صورة على فيلم في قسم المخطوطات بجامعة الإمام، ورقمها (٥٣٦٦).

٩- كفاية الأخيار في حل غاية الاختصار[1]. وقد طبع هذا الكتاب أكثر من مرة.

وقد أثنى عليه السخاوي، فقال[2]: « حسن إلى الغاية » . وقد اختصر هذا الكتاب أبو زرعة، في كتاب سماه: اقتباس الأنوار، وفرغ من تأليفه سنة ٩٠٢هـ، ويوجد لذلك المختصر نسخة في المكتبة الأزهرية رقمها (٢٥٧١) جوهري ٤١٨٨١، وتقع تلك النسخة في (٤١) ورقة.

١٠- شرح النهاية[3]. وهو شرح لكتاب اسمه النهاية، ينسب للإمام النووي[4]، وقد اختصره النووي من غاية الاختصار لأبي شجاع.

وطريقة المؤلف فيه: أن يورد جزءاً من النهاية، ثم يتبعه بالشرح، وهو شرح مختصر، وفيه عناية بالأدلة من الحديث، من ناحية النظر في صحتها أو ضعفها.

ويوجد لهذا الكتاب نسخة في المكتبة السليمانية، التابعة للمكتبة السليمانية الكبرى، رقمها (٥١٩). وتقع النسخة في (٢٥٠) ورقة في مجلد واحد، وخطها نسخ قديم واضح، وهي مقابلة ومصححة مرتين كما هو مكتوب بآخرها، وكان الفراغ من نسخها سنة (٨٢٠) هـ.

١١- تلخيص المهمات[5]: يقع في مجلدين، وهو تلخيص لكتاب (المهمات)

---

(١) هذا هو الاسم الذي سمّاه به مؤلفه، وقد شرح فيه كتاب غاية الاختصار. أما: غاية الاختصار: فهو مختصر في الفقه الشافعي، ألفه عالم اسمه: أحمد بن الحسين بن أحمد الأصفهاني المتوفى سنة ٥٩٣هـ ويعرف بأبي شجاع؛ ولما تقدم فإنه كفاية الأخيار، وشرح الغاية ، وشرح مختصر أبي شجاع، أسماء لمسمى واحد.

هذا: وقد ذكر هذا الكتاب معظم الذين ترجموا للمؤلف.

(٢) في الضوء اللامع (٨٢/١١).

(٣) مذكور في الكتب التالية: بهجة الناظرين: ورقة (٩٨/ب)، وشذرات الذهب (١٨٩/٧)، ومنادمة الأطلال (٣٠٢)، ومنتخبات التواريخ لدمشق (٥٥٤/٢). وقد صرّح أصحاب الكتب الثلاثة الأخيرة بالنقل عن السخاوي، إلا أنني لم أجد ذكر ذلك الكتاب في الضوء اللامع للسخاوي.

(٤) ينسب للشك في نسبة هذا الكتاب للنووي، وقد جزم الأسنوي بأنه ليس للنووي، وذلك في : المهمات ، الجزء الأول: ورقة (٣/ب). كما أفاده الدكتور الشعلان.

(٥) ذكره معظم الذين ترجموا للمؤلف، انظر - مثلاً- الدر المنتخب، جـ١: ورقة (١٩٦/أ)، وطبقات الشافعية لابن قاضي شهبة (٩٩/٤)، وإنباء الغمر (١١٠/٨)، وبهجة الناظرين: ورقة (٩٨/ب)، والضوء اللامع (٨٢/١١)، والبدر الطالع (١٦٦/١).

لجمال الدين الأسنوي المتوفى سنة ٧٧٢هـ، وهو – أعني المهمات- كتاب عظيم ألفه الأسنوي للتنبيه على أنواع متعددة ومواضع كثيرة من شرح الرافعي لوجيز الغزالي، ومن روضة الطالبين للنووي.

١٢- شرح الهداية[١]: ويقع في مجلد، وهو شرح لكتاب اسمه: (الهداية إلى أوهام الكفاية)[٢] للأسنوي[٣] المتوفى سنة ٧٧٢هـ، قصد فيه الأسنوي بيان بعض الأوهام الواقعة في كتاب كفاية التنبيه في شرح التنبيه لابن الرفعة المتوفى سنة ٧١٠هـ. وليس شرحاً لهداية الميرغيناني كما توهمه صاحب كشف الظنون وصاحب هداية العارفين.

١٣- آداب الأكل والشرب[٤]: وقد ذكر بروكلمان: أن له نسخة في مكتبة برلين رقمها (٥٤٦٨)، وقد رجعت إلى ذلك الرقم في فهرس المكتبة المذكورة، فوجدت فيه بعض الكتابات العربية، ومنها: « هذه مسودة لشيخ الإسلام.. تقي الدين أبي بكر بن محمد الحصني الحسيني الشافعي (المشهور بأبي السباع) في آداب الأكل والشرب» . والنص المتقدم مكتوب على أول الكتاب.

١٤- جواب في الرد على ابن تيمية في مسألة شد الرحال للزيارة[٥]. ويقع هذا الجواب ضمن مجموع، ويشغل من ورقة (١١) إلى ورقة (١٧)، وهذا المجموع موجود في مكتبة حاجي بشير آغا، التابعة للمكتبة السليمانية، ورقمه (١٤٢).

١٥- كتاب القواعد: وهو في قواعد الفقه. وحققه د. عبد الرحمن الشعلان ...

---

(١) مذكور في الكتب التالية: طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة: (٤/٩٩)، والضوء اللامع: (١١/٨٢)، وكشف الظنون: (٢/٢٠٣٩)، وهدية العارفين (١/٢٣٦).

(٢) ورد التصريح بذلك في ترجمة المؤلف الموجودة في بداية كتابه: دفع شبه من شبه وتمرد.

(٣) ذكر الأسنوي كتابه هذا في : طبقات الشافعية (١/٦٠٢).

(٤) ذكره البغدادي وبروكلمان فقط. انظر: هدية العارفين (١/٢٣٦)، وتاريخ الأدب العربي (٢/١١٧).

(٥) ذكر هذا الجواب ابن خطيب الناصرية في: الدر المنتخب، جـ١: ورقة (١٩٦/أ)، كما ذكره بروكلمان في: تاريخ الأدب العربي (٢/١١٧)، وذكر: أن له نسخة في مكتبة برلين، رقمها (٢٠١٤).

هـ- مؤلفاته في التصوف والزهد والوعظ:

١٦- تنبيه السالك على مظان المهالك[١]. يقع في ستة مجلدات، وقد ذكر بروكلمان[٢]: أنه له نسخة في رامبور، أقول: وهي مكتبة في الهند. والظاهر أنه قد ألف هذا الكتاب قبل دفع الشبه؛ لأنه أحال في دفع الشبه على تنبيه السالك.

١٧- تأديب القوم[٣]. يقع في مجلد.

١٨- قمع النفوس ورقية المأيوس[٤]. يقع في مجلد، وقد اطّلع د. عبد الرحمن الشعلان على نسخة منه موجودة في الخزانة العامة بالرباط رقمها (١٨٩٤/د)، وتقع في ١٣٢ صفحة.

وقد تحدث مؤلفه في أوله عن معجزات النبي ﷺ ، ثم تحدث عن طائفة من صفاته، ثم تحدث عن الحوض والدجال ونزول عيسى عليه السلام وفتنة القبر والبعث، ثم تحدث عن خلافة أبي بكر وذكر طائفة من مناقبة، ثم فعل مثل ذلك مع بقية الخلفاء الأربعة، ثم تحدث عمن بعدهم، وعقب على ذلك بالنصيحة لولاة الأمور[٥].

وقد ذكر مؤلفه في آخره: أنه جمعه بالقدس، وأنه فرغ من تأليفه في يوم الخميس العشر الأخير من شوال سنة سبع وثمانمائة.

---

(١) مذكور في المصادر والمراجع التالية: طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة (٩٩/٤)، وبهجة الناظرين: ورقة (٩٨/ب)، وكشف الظنون (٤٨٧/١)، وشذرات الذهب (١٨٩/٧).

(٢) في: ذيل تاريخ الأدب العربي (١١٢/٢).

(٣) مذكور فيما يلي: طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة (٩٩/٤)، والضوء اللامع (٨٢/١١).

(٤) ذُكِرَ في الكتب التالية: طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة (٩٩/٤)، وبهجة الناظرين: ورقة (٩٨/ب)، والضوء اللامع (٨٢/١١)، وكشف الظنون (١٣٥٦/٢).

(٥) يوجد لكتاب: قمع النفوس، نسخ كثيرة، ذكر منها بروكلمان ثمان عشرة نسخة، وذلك في : تاريخ الأدب العربي (١١٧/٢)، وذيله (١١٢/٢).

وهناك نسخ أخرى لم يذكرها بروكلمان، منها نسخة في مكتبة تشستربتي بأيرلندا، وأخرى مذكورة في: الكشاف عن مخطوطات خزائن كتب الأوقاف (١٤٥)، وثالثة في مكتبة باغدادلي وهي التابعة للسليمانية رقمها (٦٤٩)، ورابعة موجودة في الخزانة العامة بالرباط، وهي المذكورة آنفاً.

١٩- سير السالك في أسنى المسالك[١]. يقول الشعلان: وقد اطلعت على نسخة منه موجودة في مكتبة قَرَاجَلَبِي زاده، التابعة للمكتبة السليمانية، ورقمها (٢٦٩)، وتقع في (٢٠٦) ورقات.

ومما قاله مؤلفه في أوله:« واعلم: وفقك الله أني لما رأيت لفظ السبيل موضوعاً بالاشتراك، ولم يتمسك بالسَّوِيِّ منه إلا ذاك وذاك، أجمعت أمري على الفرقان بين الحق والباطل، وتمييز الوافي من المماطل »[٢]. ورقة (٣/أ).

وقد ظهر لي من قراءة أول الكتاب أنه في التحذير من المعاصي التي انتشرت في زمان المؤلف، وفي التقليل من الدنيا، والإقبال على الله، وذلك بذكر الآيات والأحاديث الواردة في ذلك، وبذكر أحوال الصحابة والتابعين وما هم عليه من صلاح وبعد عن المعاصي؛ ثم عقب ذلك بالكلام عن قصص العبّاد والصالحين مبتدئاً بالخلفاء الأربعة، ثم ذكر طائفة من فضلاء التابعين من أهل المدينة، ثم ذكر طوائف من العباد من أهل مكة واليمن وبغداد وخراسان وغيرها، وذكر في هذا القسم عدداً كبيراً من الناس، وختم الكتاب بمسألة السماع، وهو يرى تحريمه[٣].

والظاهر: أنه قد ألف قمع النفوس قبل هذا الكتاب؛ لأنه أحال في هذا الكتاب على قمع النفوس.

٢٠- النساء العابدات والأمور المفسدات[٤]: أو يسمى: سير الصالحات المؤمنات الخيرات، وهو في ذكر أحوال عدد من نساء السلف العابدات، وقد اطلع على هذا الكتاب محمود العدوي واستفاد منه في كتابه: (الزيارات).

---

(١) هذا الكتاب مذكور في عدة مصادر منها: طبقات الشافعية لابن قاضي شبهة (٤/٩٩)، وبهجة الناظرين: ورقة (٩٨/ب)، والضوء اللامع (١١/٨٢)، وكشف الظنون (٢/١٠١٣).

(٢) ذُكِرَ للحصني كتاب في جامعة الملك سعود بالرياض ، عنوانه: كتاب في تفريق وتمييز السبيل، ورقمه (٥٦٨/م خ)، وعدد أوراقه (٨) ورقات.

وقد رجعت إليه، فوجدته جزءاً من أول كتاب سير السالك، ويبدأ بالنص المذكور آنفاً.

(٣) يوجد لكتاب سير السالك، عدة نسخ؛ منها: النسخة المذكورة آنفاً، ومنها: نسخة في مكتبة ليبزج بألمانيا الغربية رقمها (٦٩٣)، ومنها: نسخة ضمن مجموع في المكتبة الوطنية بباريس، ورقم هذا المجموع (٢٠٤٢)، ورقم النسخة في المجموع (٢).

(٤) مذكور فيما يلي: طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة (٤/٩٩)، وبهجة الناظرين: ورقة (٩٨/ب)، والضوء اللامع (١١/٨٢)، وتاريخ الأدب العربي (٢/١١٧).

٢١- الأسباب المهلكات والإشارات الواضحات في مناقب المؤمنين والمؤمنات وما لهم من الكرامات.

٢٢- أهوال القبور[1]. يقع في مجلد.

٢٤- المولد[2].

وهو في قصة المولد النبوي، ويوجد له نسخة مخطوطة في قسم المخطوطات بجامعة الإمام رقمها (٢٥٢٤)، وتقع في ثلاث ورقات من القطع الصغير.

(١) ذُكِرَ في الكتب التالية: طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة (٤/٩٩)، وبهجة الناظرين: ورقة (٩٨/ب)، والضوء اللامع (١١/٨٢)، وكشف الظنون (١/٢٠٣)، وهدية العارفين (١/٢٣٦).

(٢) مذكور فيما يلي: شذرات الذهب (٧/١٨٩)، ومنادمة الأطلال (٣٠٢). ومنتخبات التواريخ لدمشق (٢/٥٥٤). وأصحاب هذه الكتب ناقلون عن السخاوي.

هذا الكتاب

أ) سبب تأليف الكتاب:

قال الإمام سلامة العزامي قدَّس الله روحه عند تقييم الطبعة الأولى:

سبب تأليف هذا الكتاب

قال العلامة التقي محب السنة والذاب عنها بكل ما استطاع في هذا العصر الشيخ محمد زاهد الكوثري: في ظهر الأصل المقابل به بخط الحافظ محمد بن طولون (فائدة) سبب تكلم المؤلف رحمه الله تعالى في ابن تيمية وأتباعه ما نقل له عن الشيخ العلامة ناصر الدين التنكزي أنه اجتمع ببعض من ينتسب للحنابلة قال فرأيته يقول بمسألة التناسخ ولا يقطع لأطفال المسلمين بالجنة وسمع منه هذا القول شخص آخر ونقل للشيخ المؤلف أيضاً أن شخصاً قال عند هذا المبتدع المشار إليه يا جاه محمد فقال لا تقل يا جاه محمد وكذا نقل له عن شخص آخر قال ذلك عنده فقال لا تقل يا جاه محمد فإنه قد بقى قفة عظام نعوذ بالله العظيم من هذه الزلة الجسيمة وسمع هذا الكلام أيضاً ابن أخي الشيخ المؤلف فاجتمع مع عمه فتذاكرا ما وقع فيه الجاهل المشار إليه ثم قال يا عم لو تكلمت في ذلك فقال أنا مشغول بنفسي فقال ما يخلصك هذا عند الله عز وجل كيف يتعرض هذا الجاهل للرسول ﷺ وحط مرتبته ومراتب النبيين ويتكلم في الله بما لا يليق بجلاله وغير ذلك مما هو زندقة لا يخلصك هذا عند الله مع تمكنك من ردع هذا الزائغ عن تنزيه الله، الرجل انظر فيه فإذا تكلمت تكلمت على بصيرة فأتى بأشياء من كلامه فلما رأى كلامه تكلم بما تكلم رحمه الله: قال شيخنا النعيمي ومن خطه نقلت: نقلتها من خط شيخنا شهاب الدين بن قرأ تلميذ المؤلف ملخصا[1] لها: انتهى ما وجدته بخط ابن طولون في ظهرَ الأصل المذكور:

---

(١) فابن طولون هذا حافظ جليل له من المؤلفات ما يقرب من ستمائة مؤلف وتوفى سنة ٩٥٣ سنة تسعمائة وثلاث وخمسين وشيخه عبد القادر النعيمي له مؤلفات جليلة وقد ترجم في الكواكب السائرة في أعيان المائة العاشرة: وابن قرا هو الشهاب الخوارزمي المحدث مترجم في الضوء اللامع قاله صاحب الأصل [الشيخ زاهد الكوثري].

ب) عرض الكتاب:

أولاً:

بدأ إمامنا الحصني بتعظيم الله سبحانه وذم بدعة التشبيه ونفي نسبة ابن تيمية وشيوخه وأتباعه إلى مذهب الإمام أحمد وأشار إلى قول ابن تيمية وأتباعه بفناء النار وبالتجسيم والتشبيه مع مخالفة الإمام أحمد لذلك.

ثم نقل جزءاً كبيراً من رد ابن الجوزي على مخالفي مذهب الإمام أحمد يتناول الاستواء وآيات وأحاديث الصفات.

ثم نقل رأي جمهور الأمة ممثلا في أئمتها: الشافعي – إمام المؤلف ، وأبي حنيفة ومالك وأحمد بن حنبل وبين اتفاقهم في العقيدة ثم ساق من الأحاديث ما يحذر من مخالفة الجماعة والخروج عليها وساق من كلام السلف ما يؤكد التنزيه ويمنع التخيل والتمثيل للذات الإلهية المقدسة.

ثم شرح كيفية نشأة الفتن وظهور البدع وأئمة المبتدعة وخصالهم في الخداع والتمويه وكيفية مواجهتهم.

وكل ذلك ولم يذكر أحداً من معاصرية- ابن تيمية واتباعه- باسمه.

ثانياً:

ثم ذكر أنه بعد أن اكتفى بهذا القدر التمس منه تلاميذه وإخوانه من العلماء وكرروا طلبهم أن يزيد في الإيضاح والبيان نظرا لسلوك المبتدعة سبيل الخداع والتلوين مع كثرة من انخدع بهم فذكر اسم ابن تيمية وبعض أتباعه تصريحا وبسط الكلام قليلا في مخالفة ابن تيمية لجمهور الأمة في مختلف الموضوعات من عقيدة وفقه، إضافة إلى تعريضه بأئمة الإسلام بدعًا من رسول الله ﷺ وأصحابه وانتهاء بأئمة الفقه والحديث الذين نقلوا لنا الدين كل ذلك بأسلوب خبيث ملتوي لا تفطن له العامة ومثل لذلك بفتواه في مسألة الطلاق فبدأ بذكر خداعه وكذبه لنشر أفكاره، ثم ذكر محاكماته ونماذج منها ومن موضوعاتها.

وبدء بالرد على بدعه في التشبيه والتجسيم وذكر علاج من ابتلى بهذه

البدعة ثم أردفها ببدعته الأخرى في زعمه فناء النار ثم زعمه قدم العالم وإنكاره المجاز ثم زعمه أن تفضيل مكة على المدينة هو بالإجماع ثم تفرقته بين حياة النبي ﷺ ووفاته ومنعه التوسل أو الاستغاثة به وذكر الإمام الحصني إطباق الأمة في عصورها المختلفة على التوسل به ﷺ ثم ذكر بدعته في تحريم زيارة قبر النبي ﷺ ورد عليها.

منهج الحصني في رد بدع ابن تيمية.

وسع الإمام الحصني من كلامه في التنزيه وعلاج مرض التشبيه والتحذير منه.

وكذا في فتاواه بخصوص التوسل وشد الرحال إلى زيارة سيد الخلق ﷺ وذلك لمسيس حاجة العوام إلى هذه النقاط واستعرض الباقي استعراضا سريعا في إشارة إلى أنها من جملة بدعه.

والغرض في كل ذلك هو إسقاط إمامة ابن تيميه ومرجعيته عند عوام المسلمين وإيضاح أن متبعه من العوام لن يغنيه عند الله أنه قد أخذ بقول أحد العلماء – ابن تيميه– وهو يتقلد في عنقه مسئولية فتواه، إذ أن ذلك يكون مع علماء الآخرة فقط الذين هم على الصراط المستقيم.

أما علماء السوء وأهل البدعة فبعد أن يتبين لكل أحد بهذا الكتاب أو غيره– أنهم تركوا الصراط المستقيم واتبعوا السبل الأخرى عن يمينه ويساره فلا يغني اتباعهم عند الله شيئاً حتى لو نطقوا بما ظاهره الصواب فإن كان حقا فقد قاله الله ورسوله ونقلته لنا جمهور الأمة المعصومة فنحن متبعون لقول الله وقول رسوله وليس لهم وإن نطقوا بالباطل – وما أكثره – فنحن أول من ينكره وما أشبه ذلك بقول الحق سبحانه:

﴿ إذا جاءك المنافقون قالوا نشهد إنك لرسول الله والله يعلم إنك لرسوله والله يشهد إن المنافقين لكاذبون ﴾ الآية رقم ١ من سورة (المنافقون) أي أنهم كاذبون حتى وإن قالوا: (نشهد إنك لرسول الله) !!

فعدالة هؤلاء المبتدعة ساقطة ولا يحل تقليدهم ولا النقل عنهم.

والله يقول الحق وهو يهدي السبيل .

طبعات الكتاب

الطبعة الأولى:

وكانت عام (١٣٥٠هـ) في دار إحياء الكتب العربية (عيسى البابي الحلبي وشركاه) بالقاهرة.

واعتمدت هذه الطبعة على نسخة خطية نقلها الإمام المجاهد ناصر السنة محمد زاهد الكوثري رحمه الله ورضي عنه، وهذه الطبعة هي التي رمزنا لها بحرف (ط) في تحقيقنا للكتاب.

وها هي كلمة إدارة المطبعة ومقدمة الطبعة الأولى التي هي ترجمة للمؤلف ﷺ نعيدها تبركاً بهذه الطبعة واعترافا بفضلها في التعريف بالكتاب.

كلمة لإدارة المطبعة

من عجائب الصدف أننا ما كدنا ننتهي من طبع آخر ملزمة من الكتاب البديع (غوث العباد ببيان الرشاد) لحضرة صاحب الفضيلة ملك البيان وحامل لواء البرهان الأستاذ الشيخ مصطفى أبو سيف الحمامي أحد العلماء وخطيب المسجد الزينبي- حتى ساق الله تعالى إلينا نسخة خطية جليلة من كتاب « دفع شبه من شبه وتمرد ونسب ذلك إلى السيد الجليل الإمام أحمد » للإمام الهمام أبي بكر تقي الدين الحصني - ﷺ - عني حضرة صاحب الفضيلة المرشد الجليل والعلامة النبيل الشيخ سلامة العزامي النقشبندي باستنساخها ونقلها من نسخة أخرى خطية ليس في القطر المصري سواها- على ما نعلم- هي لحضرة صاحب الفضيلة البحاثة المعروف والجهبذ الشهير الشيخ محمد زاهد الكوثري- ومن فضل الله علينا أن هيأ لنا من الظروف ما مكننا بعد قليل من النسخة الأصلية التي بيد الشيخ الكوثري- فرأينا أن يكون الجمع من النسخة الأصلية ليخرج الكتاب كما نحب له من الصحة والإتقان- وأنا نقدمه بيد الفرح والسرور إلى إخواننا في جميع أنحاء العالم الإسلامي راجين أن يكون ذلك خدمة لهم ولديننا الحنيف الذي يعنينا ويهمنا كثيراً أن نعيش ونموت في خدمته- وربنا المسئول – وهو أكرم الأكرمين- أن يحقق لنا هذه الأمنية الغالية.

طبعة جدية للكتاب ... ولكن

طبعة جديدة للكتاب غير معلوم مكان نشرها !! تحت عنوان (دفع الشبه عن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم والرسالة) ومؤرخة في ١٤١٨هـ والكتاب من القطع المتوسط في ٢٥٦ صفحة.

وقد اعتمدت هذه الطبعة (الثانية) على النسخة المطبوعة في دار إحياء الكتب العربية بالقاهرة- الطبعة الأولى- بعد تصحيحها وعرضها على المصادر التي اعتمدها المؤلف ككتاب (دفع شبه التشبيه) لابن الجوزي ط. دار الإمام النووي مع تخريج الأحاديث والأقوال حسب المصادر المتوفرة، وتصحيح المطبوع طبقا لذلك، وكذا وضع عناوين لما جاء بالكتاب مستخدمين المعقوفات لتمييزها عن عناوين الطبعة الأولى.

وقد فرحنا أيما فرح بهذه الطبعة للوهلة الأولى حيث كانت حسنة الإخراج جيدة الطبع، ولكن كانت صدمتنا كبيرة حين وجدنا يد التحريف قد امتدت للكتاب وتم حذف حوالي ثلاث صفحات من صفحات الطبعة الأولى وأرقامها ٨٦،٨٧،٨٨ وبضعة سطور من بداية ص ٨٩ أما الخبر الخاص بابن تيمية وهو في ص ٨٨ فتم إثباته بدون حذف!

عند ذلك فهمنا السبب في تغيير اسم الكتاب الذي وضعه مؤلفه وهو للدلالة على ما تم من حذف وقد نص محقق الكتاب على ذلك في ص ١٥٩ من طبعته الثانية وما كان أغناه عن ذلك ! والواضح أن ناشر هذه الطبعة من الشيعة الإمامية فإن القدر المحذوف يتحدث عمن استغاثوا برسول الله ﷺ ممن يسبُّون أبا بكر وعمر رضي الله عنهما وكيف أن الله انتقم منهم بسبب هذا الفعل وببركة الاستغاثة برسول الله ﷺ وكان بوسعه لو أراد أن يثبت نص كلام المؤلف ويردّ عليه بما يراه وعموما فهو جهد مشكور لمن قاموا به.

فإذا نظرنا إلى الطبعة الأولى (طبعة الحلبي) وجدنا بها بعض العيوب مثل:

١- عدم مراجعتها على أي مخطوط أصلي للكتاب مما أدى إلى وجود بعض السقط في نصوص الكتاب.

٢- عدم مراجعة الآيات وكذا الأحاديث من مصادرها مما أدى إلى تسرب أخطاء النساخ إلى الكتاب.

٣- عدم تخريج الآيات القرآنية وكذا الأحاديث النبوية الشريفة.

٤- عدم تحقيق أحاديث الكتاب أو بيان درجة أسانيدها.

٥- قلة العناوين التي تفصل بين موضوعات الكتاب .

٦- عدم تحقيق الموضوعات التي اختصرها المؤلف وتحتاج إلى مزيد عرض لأدلة أهل الحق نظراً لحاجة أهل عصرنا لذلك.

أما بالنسبة للطبعة الثانية فعلى الرغم من جودة طباعتها وتقسيمها لفقرات الكتاب وكذا لتخريجها للآيات القرآنية وعزوها لبعض الأحاديث إلى مصادرها فتبقى باقي العيوب كما هي خاصة عدم مقابلة الكتاب على مخطوطاته بالإضافة إلى التحريف الذي أشرنا إليه.

ومنا هنا كانت حاجتنا إلى طبعة جديدة للكتاب نحاول فيها قدر المستطاع تلافي عيوب الطبعات السابقة.

الطبعة الثالثة:

هذه الطبعة ٢٣ رمضان المعظم ١٤٢٠هـ الموافق ٣١ ديسمبر ١٩٩٩ ، وتمت آخر مراجعة لها في شهر محرم ١٤٢٤ الموافق مارس ٢٠٠٣

نحمد الله سبحانه وتعالى أن منّ علينا بثلاث مخطوطات لكتاب (دفع شبه من شبه وتمرد)، وكذا مخطوطتان لفتوى الإمام الحصني في ابن تيميه وعليها تعليقان لقاضي القضاة نجم الدين بن حجي وقاضي القضاة برهان الدين بن خطيب عذراء فرأينا أن نلحقها بالكتاب تتميما للفائدة.

وصف مخطوطات دفع (شبه من شبه وتمرد)

المخطوط الأول وسنرمز له بالرمز (أ):

محفوظ في مكتبة شستربيتي بمدينة دبلن الإيرلندية برقم ٤ في المجموعة (٣٤٠٦) كتبت عام (٨٣٠هـ) أي بعد وفاة المؤلف ﷺ بسنة واحدة.

وقد اعتبرناها أصلا للكتاب ورمزنا إليها برمز (أ) أثناء التحقيق والمجموع المتضمن لهذا المخطوط فيه:

١- شرح الأنواع لابن عبد السلام والشارح جمال الدين الإمام نزيل صفد رحمه الله تعالى.

٢- متن الأنواع المذكور.

٣- منهج الأصلين للبلقيني.

٤- دفع الشبه للشيخ العلامة الزاهد الورع تقي الدين الحصني الشافعي الصوفي نور الله مضجعه.

٥- المقالة المرضية في الرد على من ينكر الزيارة المحمدية لقاضي القضاة تقي الدين السعدي الإخنائي المالكي رحمه الله تعالى.

٦- الاعتبار في بقاء الجنة والنار للعلامة تقي الدين السبكي الشافعي رحمه الله تعالى.

٧- ثم الكلام على قول ابن أبي زيد في الرسالة (وأنه فوق عرشه المجيد بذاته) لابن الفاكهاني.

والمجموع وعليه تملك:

« يثق بلطف ربه الوفي حمزة بن علي الحنفي عامله الله بلطفه الخفي » .

« ثم ملك محمد بن طولون الحنفي عفا الله عنه... وهو الشيخ شمس الدين بن طولون » .

والصفحة الأولى التي بها عنوان الكتاب بها: كتاب دفع شبه من شبه وتمرد ونسب ذلك إلى السيد الجليل الإمام أحمد قدّس الله روحه ونور ضريحه وعليه تذييل يتعلق بابن تيمية تصنيف الشيخ [ ].

وقد طالت يد أحدهم- كما هي عادتهم- فمسح اسم المؤلف ولكن يظهر

من الاسم بعض الكلمات مثل (الزاهد) (أبي بكر تقي) ثم كتب مرة أخرى ما يلي:

« كتاب دفع شبهة من مرد وتمرّد ونسب ذلك إلى السيد الجليل الإمام أحمد قدس الله روحه ونور ضريحه وعليه تذييل يتعلق بابن تيمية تصنيف الشيخ العالم العلامة الزاهد الورع أبي بكر تقي الدين الحصني الشافعي نور الله مضجعه » .

ثم كتب بعد ذلك:

فائدة: سبب تكلم المؤلف رحمه الله تعالى في ابن تيمية وأتباعه وهي مثبتة في الطبعة الأولى للكتاب (التي نقلها الإمام الكوثري) وقد سبق ذكرها في هذه المقدمة.

وبدأ في صلب الكتاب من الصفحة الثانية مباشرة (لوحة ٥٦من المجموع) حتى (لوحة ١٧٤ من نفس المجموع) كل لوحة من صفحتين أ، ب مقاس الصفحة حوالي ١٨,٥× ١٤سم ومسطرتها ١٧ سطرا في الصفحة متوسط ١٠ كلمات في السطر وخطها مقروء بوضوح.

المخطوط الثاني وسنرمز له بالرمز (ب)

مصور من تركيا

واسم الكتاب: كتاب دفع شبه من شبه وتمرد ونسب ذلك للسيد الجليل الإمام أحمد قدّس الله روحه ونور ضريحه وعليه تذييل يتعلق بابن تيمية الحراني.

تصنيف الإمام العالم العلامة المحقق المدقق الشيخ تقي الدين الحصني الحسيني قدّس الله سره وعامله بلطفه ومنّه آمين وعليه تملكات ومطالعات:

يمين أعلى الصفحة: من ألطف نعم الله عليّ أبي عبد الله وليّ الدين جار الله سنة ١١٣٣ وتحتها ختم صغير.

وفي يسار أعلى الصفحة: من كتب أفقر الورى محمد بن القاسم بن المنقاد الحنفي عفا الله عنه.

إلى يسار اسم الكتاب: وللمصنف رحمه الله تعالى كتاب قمع النفوس .

وإلى يمين أسفل اسم المصنف: توفى إلى رحمة الله تعالى الشيخ تقي الدين الحسيني الحصني مؤلف هذا الكتاب الجليل بدمشق سنة ٨٢٩ وله كرامات مشهورة محفوظة وله عدة مؤلفات ذكرها ابن شهبة في طبقاته عند ترجمته له رحمهما الله تعالى والمسلمين آمين. وتحت هذا ثلاثة أسطر غير مقروءة .

وفي وسط الصفحة أسفل اسم المؤلف: الحمد لله تم تدارسه كله.

وإلى يسار الصفحة تحت اسم المؤلف: الحمد لله وحده طالع فيه أحد أولاد مؤلفه القيم تقي الدين الحسيني الحصني الشافعي عفا الله عنهم آمين.

وإلى جواره: الحمد لله ثم قدر الله فملكه الفقير تقي الدين الحسيني الحصني عفا الله عنه وفعل بإخوانه من المسلمين مثل ذلك آمين آمين آمين.

ثم: الحمد لله استوعب مطالعته العبد المذنب الحقير رجب بن أبي بكر سريّ الدين عفا الله عنهما آمين وفي أسفل الصفحة: كتاب يذكر فهي بعض اعتقادات الحنابلة ويصححه ويدقق ويجيب عنه ونعم ما فعل رحم الله مؤلفه ومصنفه وصلى الله على خير خلقه محمد وآله وصحبه أجمعين آمين.

ثم ختم دائري فيه: وقف هذا الكتاب لله أبو عبد الله ولي الدين جار الله بشرط ألاّ يخرج من بناها بجنب جامع سلطان محمد بقسطنطينية سنة ١١٤٧.

وصف المخطوط: يتكون من ٤١ لوحة بكل لوحة صفحتان ما عدا الأولى والأخيرة فيها صفحة واحدة مسطرتها ٢٧ سطر ×١٧ كلمة متوسط كل سطر وخطها صغير مقروء وبها استدراكات كثيرة بالهامش.

وقد رمزنا لهذا المخطوط بالرمز (ب)

وفي آخر المخطوطة: طالع فيه الفقير إلى سبحانه تقي الدين الحسيني الحصني الشافعي سنة ١٠٧٣ وفي الصفحة التي تليها:

بسم الله الرحمن الرحيم وهي حسبي الحمد لله

عليك بخمس — من التعذيب عنك وتدفع

رباط ليلة — وموت شهيد شاهد السيف يلمع

ومن روحه يوم ١١ بشرع

يا رب أعضاء السجود عتقتها — من عبدك الجاني وأنت الواقي

والعتق يسري بالغنا يا ذا العتا — فامنن على الفاني بعتق الباقي

وإلى جواره كتب: لشهاب الدين ابن حجر رحمه الله وغفر له.

لعله ابن حجر العسقلاني وهو كذلك لأني رأيت ذلك معزوا له والله أعلم.

بسم الله الرحمن الرحيم وهي حسبي

إذ أنت لم تغفل عن الدرس والنظر — تسود به حتماً وتعلو على البشر

وإن كنت يا هذا بليداً............ — فموتك خير من حياتك للسهر

بسم الله الرحمن الرحيم وهي حسبي

رسم بالأمر الكريم الغالي المولوي الأمير الكبير.

إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما.

الحمد لله الجواد نعمه والإرشاد والهادي إلى سبيل الرشاد الموقف للفقير في الدين من لطف بن واختاره من العباد حمده أبلغ حمد وأكمله وأن كان ثم الختم المذكور سابقاً على الصفحة الأولى .

وأعلى يسار هذه الكلمات بخط مختلف: الحمد لله طالع فيه الفقير تقي الدين الحسيني الحصني الشافعي عفى عنه خمامس عز دين العقد سنة أربعة وسبعين وألف ١٠٧٤.

وإلى اليمين: نظر فيه مراراً الفقير إليه سبحانه الشافعي عفى عنه .

المخطوط الثالث (ج) وسنرمز له بالرمز (ج)

مصور من تركيا

وقد بدأت أول صفحة من المخطوط بكلام الإمام الحصني في صلب الكتاب مباشرة وبآخر صفحة:

هذا آخر كتاب دفع الشبه غفر الله لمصنفه سيدنا الشيخ العلامة تقي الدين الحصني وعاد علينا من بركاته وغفر لنا ولوالدنيا ولسائر المسلمين والحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم وحسبنا الله ونعم الوكيل.

وإلى يمين الصفحة أسفل ذلك: الحمد لله انتهاء مطالعة الفقير جمال الدين بن عمر غفر الله له ولوالديه وللمسلمين أواخر جمادى الآخرة ٩٩٨هـ.

وعليه ثلاث قراءات أخرى.

والمخطوط يتكون من ١١٣ لوحة كل منها صفحتان ما عدا الأولى والأخيرة فالأولى غير موجودة معنا والأخيرة تتكون من صفحة واحدة وعليها تذييلات وخطها ردئ ومسطرتها ١٧ سطرا متوسط السطر ١٠ كلمات أما المخطوطان الخاصان بالفتوى فأولهما:

عملنا في هذا الكتاب

أولا: نسخ الكتاب من المخطوط الأول (أ) والذي اتخذناه أصلا للكتاب.

ثانياً: قمنا بمقابلته، بالمخطوطتين ب ،ج وبالمطبوعة ط وأثبتنا الفروق بينها.

ثالثاً: قمنا بنسخ الفتوى الملحقة بالكتاب من المخطوط (م) والذي اتخذناه أصلا للفتوى وقابلناه بالمخطوط (ن) وأثبتنا الفروق بينهما.

رابعاً: قمنا بعزو الآيات القرآنية إلى مواضعها بالكتاب العزيز.

خامساً: قمنا بتخريج الأحاديث وعزوها وبيان درجتها قدر المستطاع .

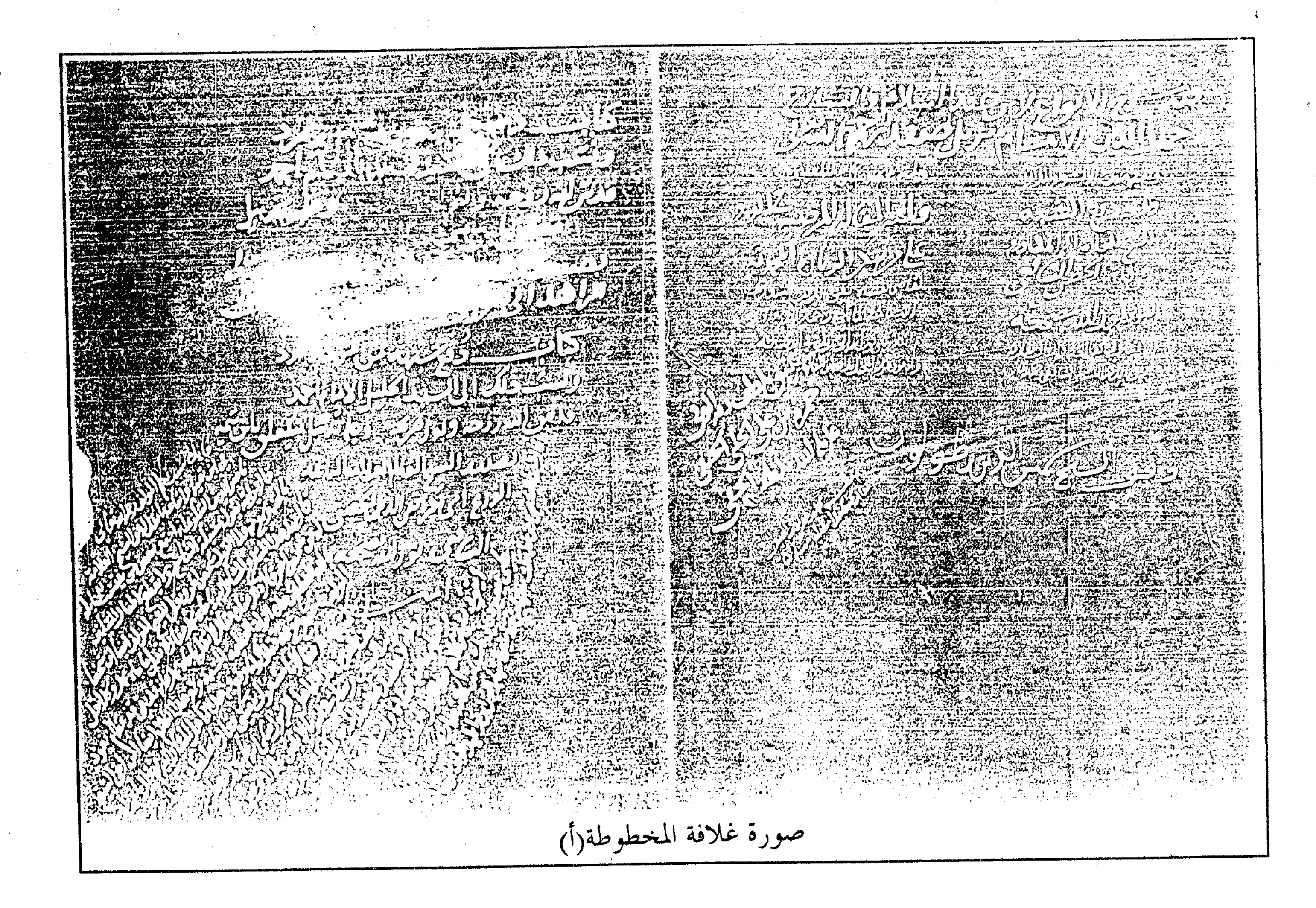
سادساً: قمنا بترجمة كثير من الأعلام الوارد ذكرهم في الكتاب والفتوى.

سابعاً: قمنا بوضع عناوين لمباحث الكتاب وجعلناها بين معقوفتين لمزيد الإيضاح وللتسهيل على القارئ في فهم الكتاب.

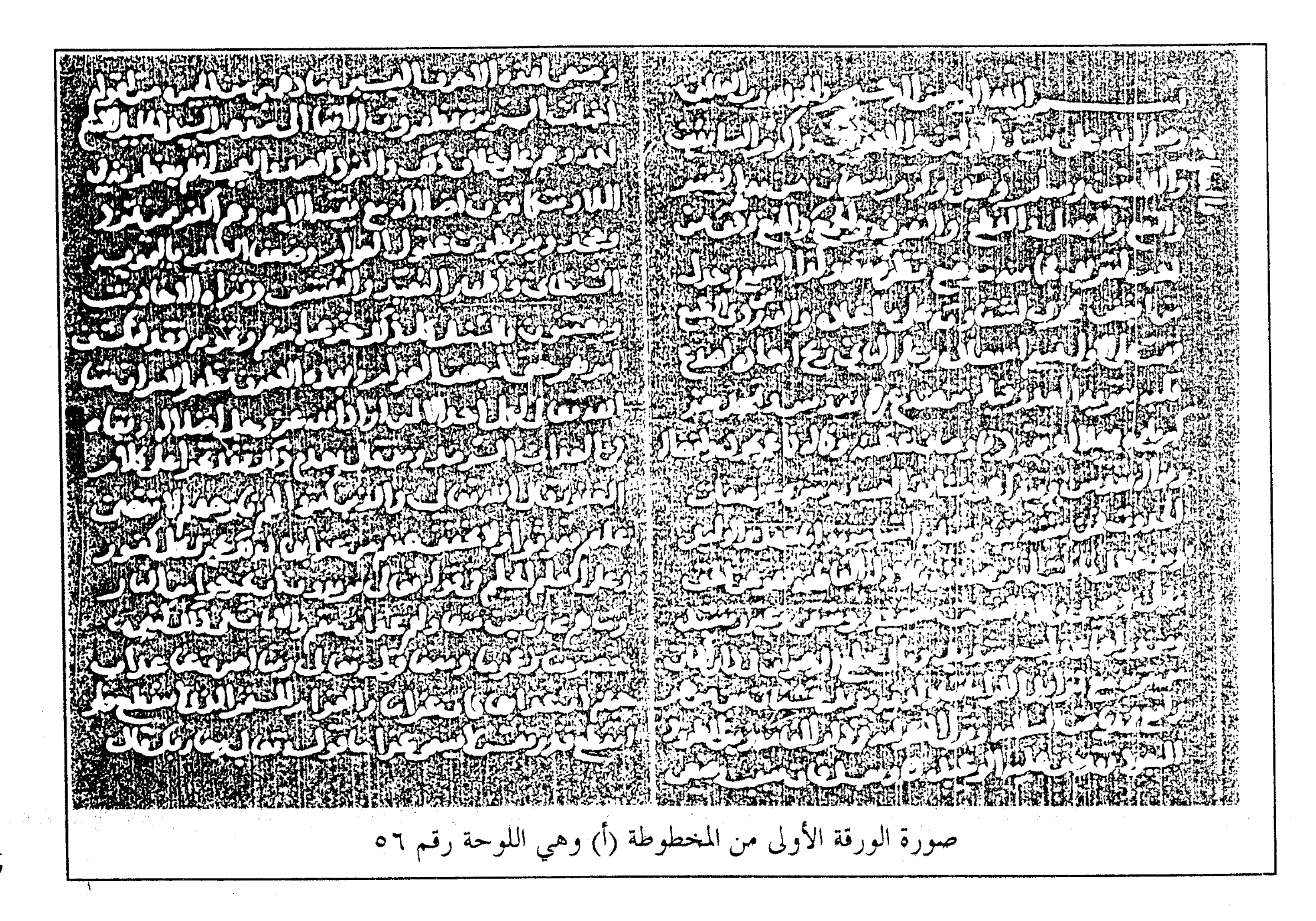
ثامناً: قمنا بالتعليق على موضوعات الكتاب قدر الإمكان مع التوسع في موضوعات أساسية لتغطية ما أجمله المصنف منها نظراً لاحتياج جيلنا الحالي لمزيد الإيضاح والبيان خاصة بعد أن قويت شوكة المبتدعة الخوارج في هذا العصر والذين كتب المؤلف كتابه رداً عليهم في عصره.

فما كان في هذا العمل من صواب فهو من الله سبحانه وحده وما كان فيه من خطأ أو قصور فمني ومن الشيطان .

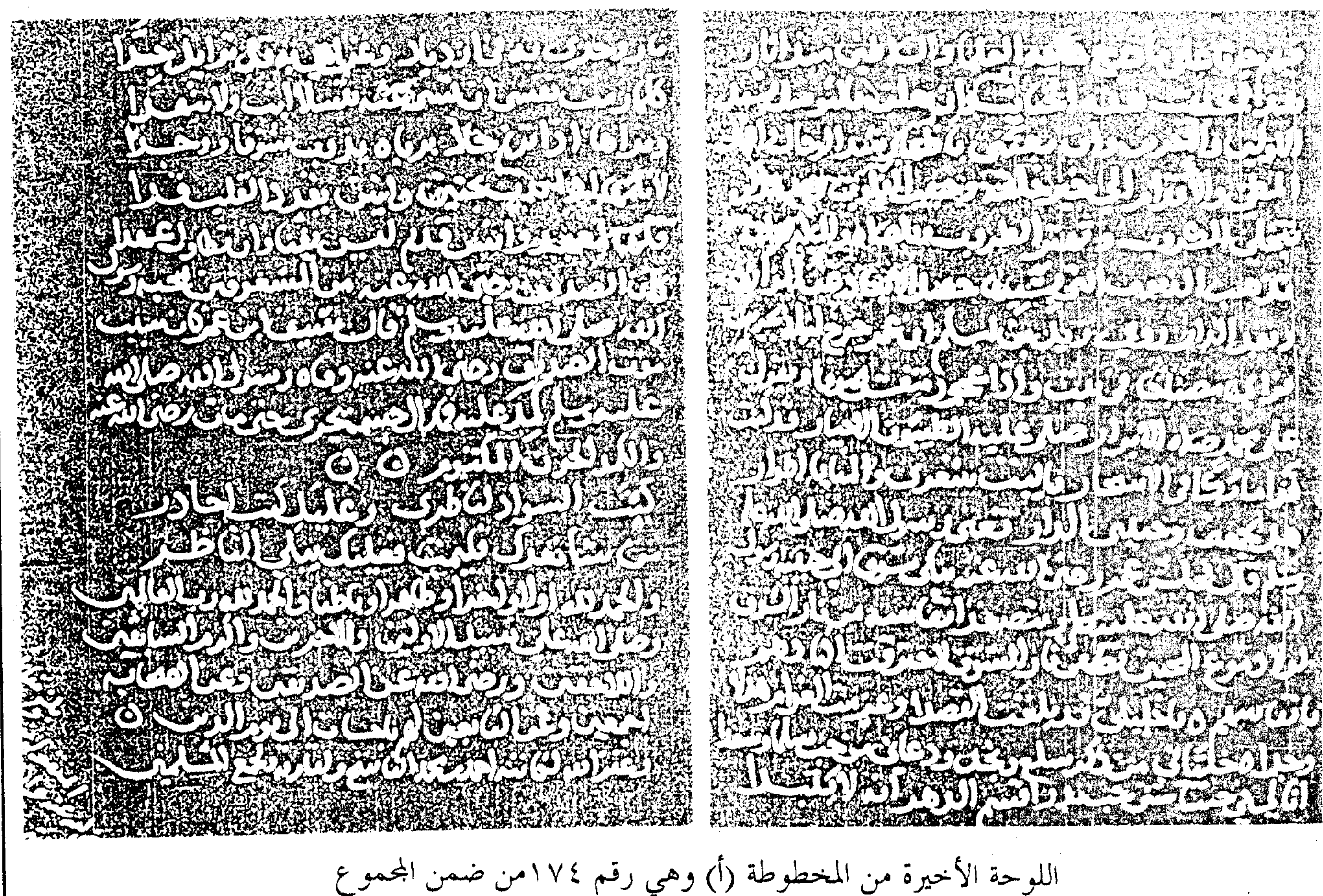
وختاما نسأله سبحانه وتعالى التوفيق والإخلاص وحسن الخاتمة.



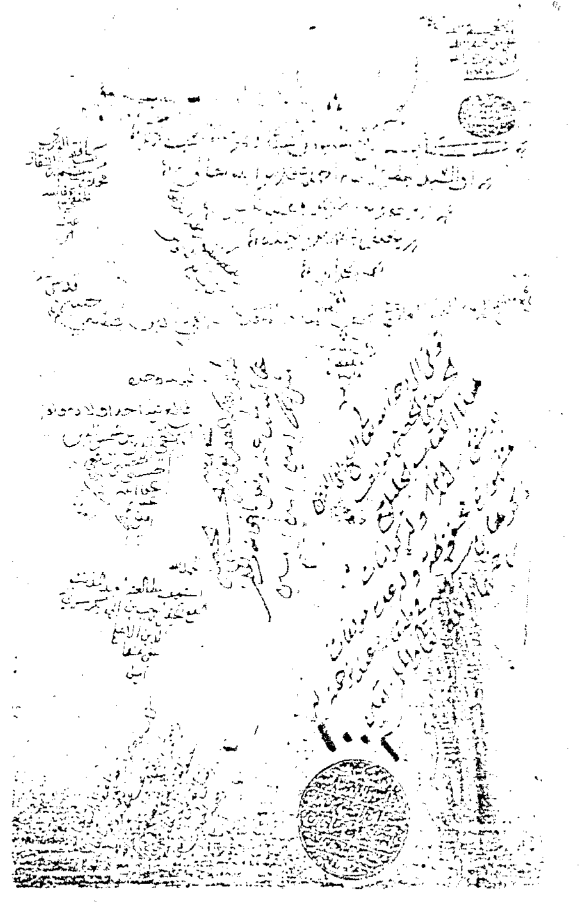
صورة غلافة المخطوطة (أ)



صورة الورقة الأولى من المخطوطة (أ) وهي اللوحة رقم ٥٦

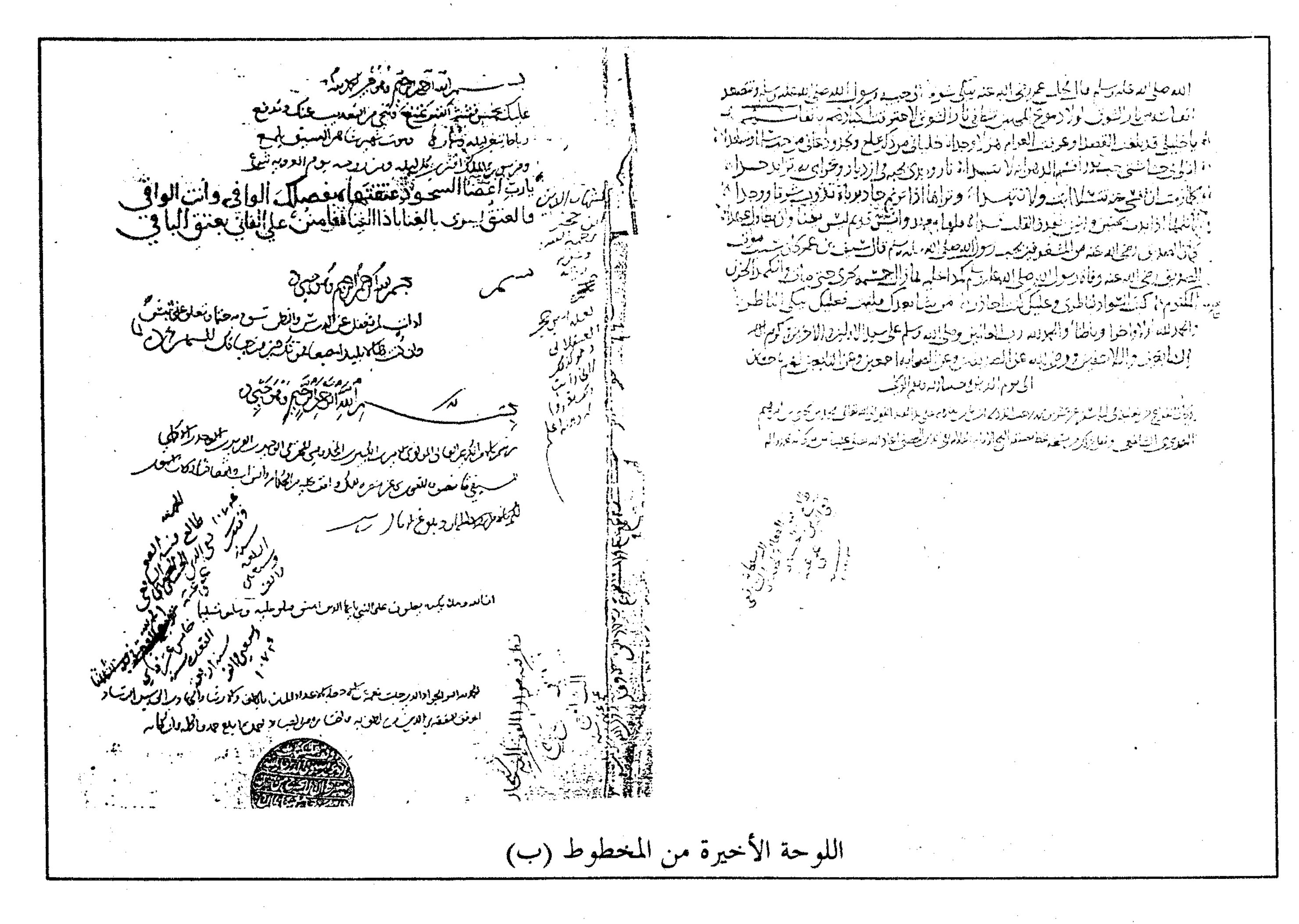


اللوحة الأخيرة من المخطوطة (أ) وهي رقم ١٧٤ من ضمن المجموع



غلاف وأول المخطوطة (ب)

المخطوطة (ب) ثاني صفحة و ما قبل الأخيرة



يا رب أعضا السجود عتقتها من فضلك الوافي وأنت الواقي
والعتق يسري بالغنى يا ذا الغنى فامنن على الباقي بعتق الباقي

اللوحة الأخيرة من المخطوط (ب)

اللوحة الأولى من المخطوطة (ج)

اللوحة الأخيرة من المخطوطة (ج)

كلمة لادارة المطبعة

من عجائب الصدف اننا ما كدنا ننتهي من طبع آخر ملزمة من الكتاب البديع (غوث العباد ببيان الرشاد) لحضرة صاحب الفضيلة ملك البيان وحامل لواء البرهان الاستاذ الشيخ مصطفى أبوسيف الحمامي أحد العلماء وخطيب المسجد الزينبي - حتى ساق الله تعالى الينا نسخة خطية جليلة من كتاب « دفع شبه من شبه وتمرد ونسب ذلك الى السيد الجليل الامام أحمد » للامام الهمام أبي بكر تقي الدين الحصني رضى الله عنه - عنى حضرة صاحب الفضيلة المرشد الجليل والعلامة النبيل الشيخ سلامه العزامى النقشبندي باستنساخها ونقلها من نسخة أخرى خطية ليس في القطر المصري سواها - على ما نعلم - هى لحضرة صاحب الفضيلة البحاثة المعروف والجهبذ الشهير الشيخ محمد زاهد الكوثري - ومن فضل الله علينا ان هيأ لنا من الظروف ما مكننا بعد قليل من النسخة الأصلية التى بيد الشيخ الكوثرى - فرأينا أن يكون الجمع من النسخة الفرعية والمقابلة فى التصحيح على النسخة الأصلية ليخرج الكتاب كما يحب له من الصحة والاتقان - وانا نقدمه بيد الفرح والسرور الى اخواننا في جميع انحاء العالم الاسلامى راجين أن يكون ذلك خدمة لهم ولديننا الحنيف الذي يعنينا و يهمنا كثيرا أن نعيش ونموت فى خدمته - وربنا المسئول - وهو أكرم الأكرمين - أن يحقق لنا هذه الأمنية الغالية

صور من (ط) طبعة الحلبي

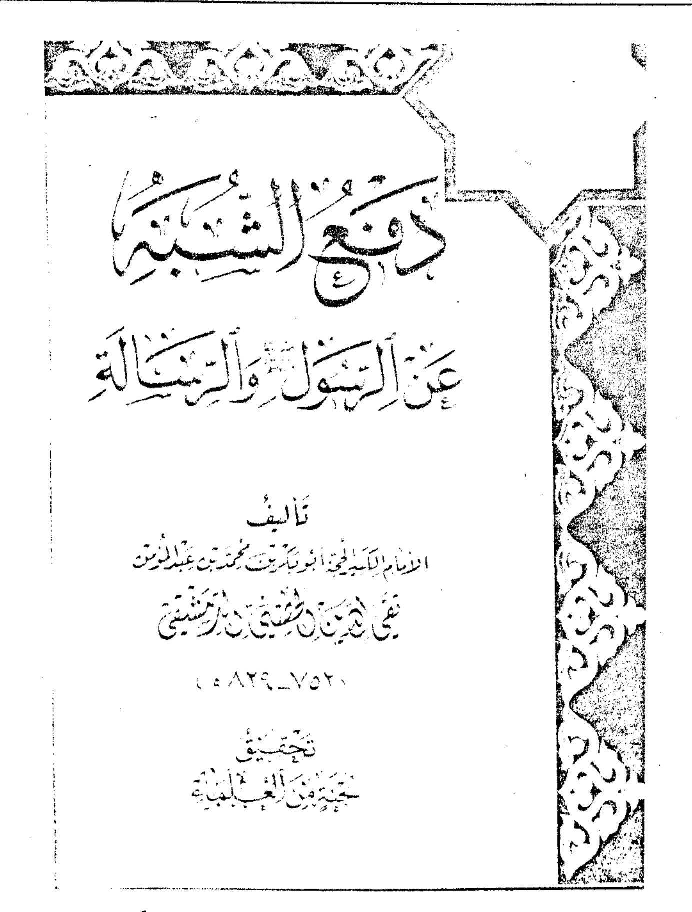
بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين : وصلى الله على سيد الأولين والآخرين : وأكرم السابقين واللاحقين : وسلم ومجد وكرم : سبحان من بيده الضر والنفع : والوصل والقطع : والتفرقة والجمع : والعطاء والمنع : وفق من أحب لتنزيه فحمى موضع نظره منه وكذا السمع : وخذل من أبغض فجرى اشقاوته على ما اعتاده وألفه من ردىء الطبع : فهب على الأول نسيم إسعاده وعلى الثاني ريح إبعاده : أصدع قلبه بتمويه العدو فياله من صدع : تقدس وتمجد بعز كبريائه وجلاله : وتفرد بأوصاف عظمته وكماله : كاعم بجوده وإفضاله ونواله : تقدس وتبارك عن مشابهة العبيد : وتنزه عن صفات الحدوث * فمن شبه فقد شابه السامرة وأبا جهل والوليد : ومن عطل ما ثبت له من صفاته بالأدلة القاطعة فهو عن الحق مائل ومحيد [1] : وكلا القسمين سفيه وشقي وغير رشيد : ومن ورائهما عذاب شديد * ونال خلع الرضوان في دار الأمان من نزه مع تزايد الكرامات ولديه مزيد * فشتان بين من هو راتع في رياض السلامة ونزل الكرامة : في دار المقامة : وبين المطرود المبعود [2] : وقد حق عليه الوعيد * (وبعد) فان سبب وضعي لهذه الأحرف اليسيره ما دهمني من الحيرة من أقوام أخباث السريرة : يظهرون الانتماء الى مذهب السيد الجليل الامام أحمد : وهم على خلاف ذلك والفرد الصمد. والعجب أنهم يعظمونه في الملأ ويتكاتمون إضلاله مع بقية الأئمة وهم أكفر ممن تمرد وجحد : ويضلون عقول العوام وضعفاء الطلبة بالتمويه الشيطاني واظهار التعبد والتقشف وقراءة الأحاديث ويعتنون بالمسند كل ذلك خزعبلات منهم وتمويه وقد انكشف

(١) كان ينبغي أن يقول حائد : ولعله اختار ذلك مراعاة للسجع اه مصححه

(٢) اسم المفعول مبعد فيقال فيه كما قيل فيما قبله اه مصححه

أول الكتاب في المطبوعة (ط) الحلبي



غلاف الكتاب في الطبعة الجديدة ؟

اسم الكتاب في الطبعات السابقة:

دفع شُبَه مَن شبَّه وتمرَّد
ونسب ذلك الى الإمام أحمد

اسم الكتاب
دفع الشُبَه عن الرسول ﷺ والرسالة

لأبي بكر الحصني الدمشقي (ت ٨٢٩هـ)

الطبعة الأولى عام ١٣٥٠هـ
دار إحياء الكتاب العربي ـ القاهرة
بتعليق الإمام الكوثري

الطبعة الثانية ـ ١٤١٨هـ
بتحقيق جماعة من العلماء

﴿والحمد لله أولاً وآخراً﴾

هذه النسخة:

اعتمدنا في تحقيق الكتاب على النسخة المطبوعة في دار إحياء الكتاب العربي، لأصحابها عيسى البابي الحلبي وشركاؤه، في القاهرة عام (١٣٥٠هـ) عن نسخة الإمام المحقق العلامة الكوثري، مع تعليقاته الثمينة.

وقد اطلعنا على وجود نسخة للكتاب مخطوطة في مكتبة جستربتي بمدينة دبلن الايرلندية برقم (٤) في المجموعة (٣٤٠٦) كتبت عام (٨٣٠) أي بعام واحد بعد وفاة المؤلّف جاء ذكرها في مقال (ذخائر التراث العربي) المنشور في مجلة (المورد) البغدادية، العدد الأول السنة الأولى.

وقد قمنا بتصحيح المطبوعة، وعرضها على المصادر التي اعتمدها المؤلّف، مثل كتاب (دفع شُبَه التشبيه) لابن الجوزيّ الحنبلي.

الذي نقل عنه المؤلّف قسماً كبيراً من عباراته واعتمدنا النسخة المطبوعة حديثاً في دار الإمام النووي ـ في الأردن ـ عمّان، بضبط فضيلة الشيخ حازم نايف أبو عزان، وتحقيق وتقديم العلامة المحدّث السيد حسن السقاف.

وقد حاولنا تخريج ما أثبته المؤلف من الأحاديث الشريفة، حسب المتوفّر من المصادر، وتصحيح المطبوعة حسب الوارد فيها.

وكذلك تصويب العبارات التي وقع الخطأ في طباعتها، ومنها عبارة الصلاة البتراء التي وقعت في الكتاب، بعد ذكر الرسول، حيث أثبتناها مع ذكر (آله) حذراً من ذلك البتر. واتّباعاً للسنّة المطهّرة التي علّمتنا الصلاة والسلام على نبيّنا الأكرم، بذكر آله معه في ذلك التكريم.

ثم وضعنا عناوين لما جاء في الكتاب مستخدمين المعقوفات لتمييزها عما جاء من العناوين في الأصل المطبوع.

وقدّمنا الكتاب بتقديم احتوى على التعريف بالمؤلّف، حسب المصادر التي ترجمت لحياته.

والتعريف بالكتاب وذكر سبب تأليفه وبيان موضوعه، وعن نسخته هذه.

ونسأل الله أن يوفق المسلمين لقراءته والتزوّد مما أثبته المؤلّف فيه من حقائق، وأن يجزيه وإيانا على العمل الصالح، ويغفر لنا سيّئات أعمالنا آمين.

ونحمد الله على إحسانه وإفضاله، ونسأله الرضا عنا بجلاله وإكرامه، إنّه ذو الجلال والإكرام.

وآخر دعوانا أنْ الحمد لله ربّ العالمين.

الطبعة الجديدة؟

رسول الله ﷺ، فقلتُ: وأين بقيّتكم؟ فقالوا: فارقناهم من وراء تلك الأكمة. قال: فأخذت ما أحملهم عليه وماءً وشيئاً من الأكل، ومضيت، فوجدتُ الأربعة قد قضوا فجهّزتهم.

ثمّ رجعتُ إلى الأربعة، فأخذتُهم وأكرمتُهم وسألتُهم: من أين ورودهم؟ فقالوا: من بلاد شاسعة تعاقدنا وتعاهدنا على زيارة سيّدنا رسول الله ﷺ، وأن لا نرجع عن ذلك ولو ذهبت أنفسنا، فأمّا نحن فقد أعطانا الله ـ عزّوجلّ ـ مرادنا، وأمّا إخواننا الذين ماتوا عند الأكمة، فنرجو أنّ الله ـ عزّوجلّ ـ لا يخيّب مسعاهم.

ووقع مثل ذلك كثيراً جداً وقد دوّنه الأئمّة، كابن أبي الدنيا وغيره، وعقدوا له باب الاستغاثة بالنبيّ ﷺ، وخرّجوه بأسانيدهم على اختلاف الوقائع، وفيها ما يتعلّق بالصدّيق والفاروق رضي الله عنهما[1].

[ابن تيمية في قبره]

قلت: ويبلغني أنّه لما دُفن ابن تيميّة، قال شخص بعد ثلاثة أيام: قد اضطرب القول في هذا الرجل، والله لأنظرنّ ما صنع الله به، قال: فحفر قبره، فوجد على صدره ثُعباناً عظيماً هاله منظره.

فكان الرجل يحذّر الناس من اعتقاده، ويُعلمهم بما رأىٰ، والله أعلم.

(١) لا ريب في أنّ رسول الله ﷺ أكرم الناس على الله تعالى، ولأجل عينه تكرم الآف العيون، من آله الكرام والمؤمنين من صحابته العظام، وسائر محبّيه وزواره، وذلك ثابت بالنص واليقين، من دون حاجة إلى الركون إلى الأطياف والمنامات والأحاديث التي لا خطم لها ولا أزمّة، فهي لا يحتجّ بها على ما في كثير منها من الخرافات والخزعبلات والمخالفات للشرع الأقدس، فكيف للنسب إلى ساحة الرسول المقدّس. وهي بمقدار صفحات من الأصل، فلا حاجة إلى ذكرها، فلتراجع في الأصل ليعرف صحّة ما ذكرناه.

ويأتي إلى زيارة النبيّ العظيم على ربّه ﷺ، وتكون همّته أن يطلب منه كسرة خبز، يا أخي لو طلبت الجنّة، أو المغفرة، أو الرضا، مهما طلبته منه لنلته ببركة هذا النبي الكريم ﷺ[1].

هذا وعدم السؤال يكون للأكابر؛ لما يشاهدون في الحضرة النبويّة من الإجلالات والكرامات العلوية.

وأنت ـ أرشدك الله عزّوجلّ إلى الحقّ، وأزاح عنك الباطل ـ إذا استحضرت بعض ما تقدّم، وعطفت على قول هذا الزائغ: أنّ المسلمين متّفقون على أنّ الميّت لا يُسأل ولا يُدعى ولا يُطلب منه؛ سواء كان نبيّاً أو شيخاً أو غير ذلك.

قطعتَ بفجوره وبهتانه، وأنّه من أخبث الناس طويّة، وأنّه لا اعتقاد له، وهذه عادته بادّعاء الاتّفاق وبالإجماع المقطوع به، كما سيأتي عند ذكر شدّ الرحال وإعمال المطي وفي غير ذلك.

(١) هذا كلام جليل جداً، فليتأمّله القارىء، ولا يستكثر على منزلته ﷺ عند ربّه إغاثة أي ملهوف، فإنّه تعالى يسمع له في الآخرة في الشفاعة العظمى التي تشمل كلّ خلق الله كافرهم كمؤمنهم، فيحمده لذلك الأوّلون والآخرون من الخلق، وإذا كان تعالى يُكرمه بذلك في دار الجزاء ـ وقد غضب غضباً لم يغضب قبله ولن يغضب بعده مثله ـ فعدمّ كلّ ما يُحكى في هذه الدار [الدنيا] من أنواع إغاثته تعالى للمستغيثين به ﷺ بالنسبة لذلك المقام المحمود.

وهو تعالى يُشفّع في ذلك اليوم عباده الصالحين في أناس وجبت لهم النار فلا يدخلونها، وفي أناس في النار فيخرجون منها، فإغاثته إذن لمن يستغيث به في هذه الدار ـ في أمور دون النار بملايين المرّات ـ ليست بالأمر البديع.

وإنّما كتبتُ هذا لأنّي أعلم أنّ كثيراً من الناس، لا يقع منهم موقع القبول ما يحكيه هذا الإمام، رغم نقله عن أئمّة تُحنى رؤوس أكابر الفضلاء عند ذكرهم، فإنّا في زمن لا يعرف أهله إلّا الإنكار لا يعلمون أنّهم إنّما ينكرون إمّا فضل الله على أحبابه، أو قدرته على ما يُنسب إليه من كرامة يُكرم بها مُحبّي أحبابه، فليعلم. انتهى. مصحّحه.

مكان الحذف في الطبعة الجديدة؟

نار وجدي بحبّه في ازدياد	وغرامي به تزايدَ جدّا
كلّما رُمتُ أنْ نفسيَ عنهُ	تتسلّى أبت ولا تتهدّى
وتراها إذا ترنّم حادٍ	بُرباها تذوب شوقاً ووَجْدا
لا تَلُمْها إذا بدت بحنينٍ	وأنين يقدُ ذا القلبَ قدّا
فلها مَعْهدٌ وأنسٌ قديم	ليس يُفنَى وإن تطاول عهدا

كان الصدّيق رضي الله عنه من المشغوفين بمحبّة رسول الله ﷺ.

قال سيف بن عمر: وكان سببُ موتِ الصّديق رضي الله عنه وفاةَ رسول الله ﷺ؛ كمداً عليه، فما زال جسمه يتحرّق حتّى مات.

والكمد الحزن المكتوم

كنتَ السوادَ لناظري	وعليك كنتُ أحاذرُ
من شاء بعدكَ فليمتْ	فعليكَ يبكي الناظرُ[1]

---

(١) أحفظ هذين البيتين هكذا:

كنتَ السوادَ لناظري	فعمى عليك الناظرُ
من شاءَ بعدكَ فليمُتْ	فعليك كنتُ أحاذرُ

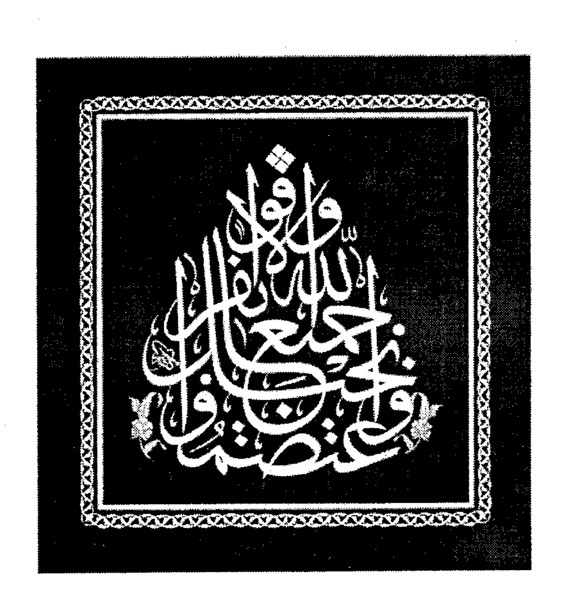
وصلّى الله على سيّدنا ومولانا محمّد سيّد العالمين وعلى آله خير أمّة أخرجت للناس، وعلى تابعيهم بإحسان إلى يوم الدين.

انتهت هذه التعليقات في اليوم الثامن عشر من شهر رجب سنة (١٣٥٠هـ) على يد كاتبها، الذي يرجو قارئها دعوة صالحة إن رأى فيها خيراً، ونحن جميعاً نبتهل إلى ربّنا الغفور الرحيم الشكور الكريم، أن يُفرغ غيوث رحماته وكراماته على جدثٍ يضم هذا الرجل الغيور على دينه، القائم في نصره كالأسد يذود عن عرينه، الإمام أبا بكر تقي الدين الحصني، وأن يجمعنا معه في دار كرامته ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ أمين.

والحمد لله على إحسانه وإفضاله، والصلاة على محمد وآله، ونسأله العفو بكرمه وجلاله إنّه ذو الجلال والإكرام.

والحمدُ لله أوّلاً وآخراً؛ وباطناً وظاهراً، والحمد لله ربّ العالمين، وصلّى الله على سيّد الأوّلين والآخرين، وأكرم السابقين واللاحقين، ورضي الله عن الصدّيقين والصحابة أجمعين، وعن التابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين. آمين آمين.

آخر المطبوعة الجديدة؟


واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا

دفع شبه من شبه وتمرد

ونسب ذلك إلى السيد الجليل الإمام أحمد

تصنيف

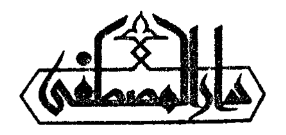
الإمام الحجة الفقيه الزاهد

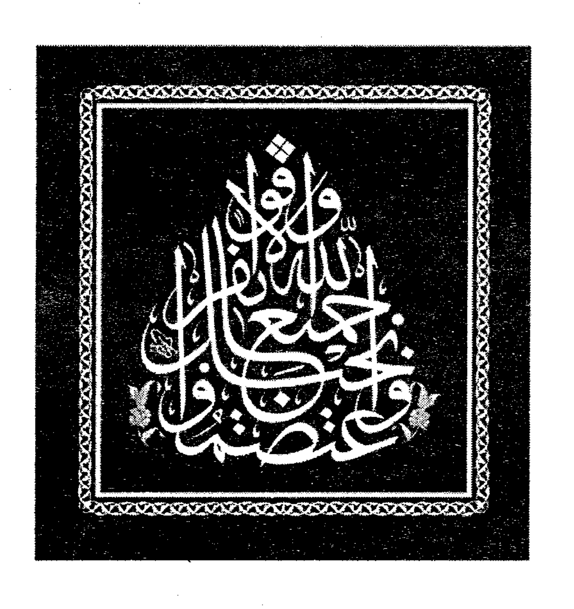
تقي الدين أبي بكر الحصني الشافعي الدمشقي

المتوفى سنة ٨٢٩ هجرية

تحقيق وتعليق

عبد الواحد مصطفى




واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا

[مُقدِّمة]

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

والحَمْدُ لله[١] رَبِّ العَالمين، وصلى الله على سَيِّد الأولِينَ والآخرين، وأكْرَمِ السَّابقين واللاَّحِقين، وسَلَّم وَمَجَّد وكرَّم.

سبحان مَنْ به[٢] الضُّر والنَّفْع، والوَصْل والقَطْع، والتَّفْرِقَة والجمَع، والعطاء والمنع.

وَفَّق مَنْ أحبَّ لِتَنْزِيهه فحمى مِنْه موضع نظره مِنْه[٣] وكذا السَّمع.

وخذل مَنْ أبْغَضَ فجَرى لشقاوته على ما اعتاده وأَلِفَه من رديء الطبع.

فهَبَّ على الأول نَسِيمُ إسْعَاده.

وعلىٰ الثاني ريْحُ إبْعَاده، لِصَدْعِ قلبه بتَمْوِيه العَدو، فيَاله مِنْ صَدع.

تَقَدَّسَ وتَمَجَّدَ بِعِزِّ كِبْرِيائه وجَلاله.

وتَفَرَّد بأوصَافِ عَظَمَته وكَمَالِه، كما عَمَّ بجوده وأفضاله ونواله.

تَقَدَّسَ وتَبَارَكَ عن مُشَابَهَةِ العَبِيد، وتَنَزَّه عن صِفَات الحدوث.

---

(١) في ط: الحمد لله. بدون الواو.

(٢) في ط: من بيده.

(٣) كذا في المخطوطات الثلاث وفي ط: فحمى موضع نظره منه.

فَمَنْ شبَّه فقد شَابَه السَّامِرة وأبا جهل والوليد.

ومَنْ عَطَّل ما ثَبتَ له مِنْ صِفَاته بالأدِلة القاطعة، فهو عن الحَقِّ مَائِلٌ ومَحِيْد.

وكِلا القِسْمَين سَفِيهٌ وشَقِيٌّ[1] وغَيْرُ رَشِيد، ومن ورائهما عَذَابٌ شَدِيد.

ونَال خِلَع الرّضوان في دَار الأمَان مَنْ نَزَّه مع تَزَايُد الكَرامَات[2]، ولدَيْهِ مَزِيد.

فشتان بين مَنْ هو رَاتِعٌ في رِيَاضِ السَّلامة، ونُزُل الكَرامِة في دار المُقَامَةِ، وَبَيْن المَطْرود المَبعود، وقد حَقَّ عَلَيه الوَعِيد.

---

(١) في ج شقي وسفيه.

(٢) في ج: مع الكرامات. بدون كلمة (تزايد).

[سبب وضع هذا المؤلَف]

وبعد:

فإن سبب وضعي (٥٦/أ) لهذه الأحرف اليسيرة ما دهمني من الحيرة من أقوام أخباث السريرة، يظهرون الانتماء إلى مذهب السيد(١) الجليل الإمام أحمد(1)، وهم على خلاف ذلك، والفرد الصمد!

والعجب أنهم يعظمونه في الملأ ويتكاتمون إضلاله مع بقية الأئمة!.

وهم أكفر ممن تمرد وجحد.

ويربطون(٢) عقول العوام وضعفاء الطلبة بالتمويه الشيطاني وإظهار التعبد والتقشف، وقراءة الأحاديث، ويعتنون بالمسند(٣).

كل ذلك خزعبلة(٤) منهم وتمويه.

وقد انكشف أمرهم حتى لبعض العوام.

وبهذه الأحرف يظهر الأمر إن شاء الله تعالى لكل أحد إلا لمن أزاد الله عز وجل إضلاله **وبقاءه(٥) في العذاب السرمد.**

---

(١) في ج: إلى السيد. بدون كلمة (مذهب).

(٢) في ط: ويضلون.

(٣) في ب-ج: ويعتنون بالسند.

(٤) في ط: خزعبلات.

(٥) في ط: وإبقاءه.

---

(1) الإمام: (أبو عبدالله) أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال الشيباني المروزي نزيل بغداد ثقة حافظ أمير المؤمنين في الحديث وأحد أئمة الفقهاء حجة،ولد ﷺ سنة ١٦٤هـ وتوفي سنة ٢٤١هـ.

[تكذيب الخوارج بآيات القرآن في بقاء النار]

ومن قال بعدم ذلك[١] فقد تجرأ على كلام الغفور. قال الله تعالى: ﴿ والَّذِين كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لا يُقْضَي عَلَيهِمّ فَيَمُوتُوا وَلا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِنْ عَذَابِها كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُور﴾[1] وعلى العليم الحكيم في قوله تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أنَ يَخْرُجُوا مِنَ النَّار وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنْهَا ولَهُمْ عَذَابٌ مُقِيم﴾[2].

والآيات في ذلك كثيرة، خصوصاً وعموماً[٢]، ومنها:

قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إنَّ عَذَابَـهَا كَـانَ غَرَامَـاً﴾ [3]

والغرام: المستمر الذي لا ينقطع، فلو انقطع قدر نَفَسٍ لا يُسمى غراماً.

ومن ذلك قوله تعالى[٣]: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ﴾[4]

قال (٥٦/ب) الإمام أحمد: معناه جاء أمر ربك.

قال القاضي أبو يعلي[5]: قال الإمام أحمد: المراد بـه قدرتـه وأمـره، وقـد بينه في قوله تعالى: ﴿أوْ يَأْتِيَ أمْرُ رَبِّكَ﴾[6] يـشير إلى حمـل المطلـق علـى المقيـد

---

(١) في ط: [ومن قال بنفي ذلك، -أي بنفـي خلـود العـذاب وسـرمديته وهـو ابـن تيميـة وأتباعه- فقد ... الخ] وليس موجودًا في المخطوطات الثـلاث، ولعلـه تعليـق وتوضيـح مـن أحـد النساخ أو من أحد المطلعين على المخطوطة المنقول منها المطبوع.

(٢) في ط: عموماً وخصوصاً.

(٣) في المخطوطات (قوله تعالى) بدون : ومن ذلك.

---

(1) الآية ٣٦ من سورة فاطر.

(2) الآية ٣٧ من سورة المائدة.

(3) الآية ٦٥ من سورة الفرقان.

(4) الآية ٢٢، من سورة الفجر.

(5) هو القاضي أبو يعلي محمد بن الحسين بن محمد بن خلف بن الفراء الحنبلـي توفـى سنة ٤٥٨هـ نقلت عنه فظائع في التشبيه والتجسيم، ونقل هو عن الإمام أحمد ما يبعد أن يصح عنه كل البعد. وهو غير الحافظ أبي يعلي أحمد بن علي الموصلي صاحب المسند.

(6) الآية ٣٣، من سورة النحل.

وهو كثير في القرآن والسنة[١] وفي كلام علماء الأمة، لأنه لا يجوز عليه الانتقال سبحانه وتعالى.

ومثله حديث النّزول[1]. وممن صرح بذلك الإمام الأوزاعي[2]والإمام مالك[3]. لأن الانتقال والحركة من صفات الحدث والله عز وجل قد نَزَّه نفسه عن ذلك.

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿اسْتَوىَ عَلَى الْعَرْشِ﴾[4].

فإذا سأل العامي عن ذلك فيقال له: الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة. وسنوضح ذلك إن شاء الله تعالى.

وإنما أجاب الإمام ربيعة[5] بذلك وتبعه تلميذه مالك، لأن الاستواء بالمعنى[٢] الذي يفهمه العوام من صفات الحدث[6] وهو سبحانه وتعالى نَزَّه نفسه عن ذلك بقوله تعالى:﴿ليس كمثله شيء﴾[7] فمتى وقع التشبيه بِزِنَة[٣] ذرة جاء الكفر بالقرآن.

---

(١) في ط: في القرآن والسنة والإجماع.

(٢) في ط: لأن الاستواء الذي يفهمه العوام.

(٣) في ط: فمتى وقع التشبيه ولو بزنة .

---

(1) وسيأتي تأويله.

(2) هو الإمام الحافظ عبد الرحمن بن عمرو بن أبي عمرو الأوزاعي أبو عمرو إمام أهل الشام وأحد أكابر الفقهاء ثقة جليل ولد سنة ٨٨هـ وتوفى سنة ١٥٧ هـ وهو من أئمة التنزيه نقل عنه الإمام النووي تأويل حديث النزول.

(3) هو أمير المؤمنين في الحديث مالك بن أنس بن مالك بن أبي عامر بن عمرو الأصبحي أبو عبد الله المدني أحد أئمة مذاهب الفقهاء، إمام دار الهجرة ولد سنة ٩٣هـ وتوفي سنة ١٧٩هـ وقد نقل عنه الإمام النووي في شرح مسلم تأويل حديث النزول.

(4) الآيات: ٥٤من سورة الأعراف،٣ من سورة يونس، ٢ من سورة الرعد، ٥٩ من سورة الفرقان، ٤من سورة السجدة، ٤من سورة الحديد. أما الآية ٥ من سورة طه فهي ﴿الرحمن على العرش استوى﴾.

(5)أحد شيوخ الإمام مالك وهو الإمام الحافظ: ربيعة بن أبي عبد الرحمن التيمي مولاهم أبو عثمان المدني المعروف بربيعة الرأي، ثقة فقيه مشهور توفى سنة ١٣٦ هـ.

(6) سيأتي الكلام بتوسع على تأويل الاستواء.

(7) الآية ١١ من سورة الشورى.

قال الأئمة: وإنما قيل السؤال عنه بدعة[١] لأن كثيراً ممن يُنْسَب إلى الفقه والعلم لا يدركون الغوامض في غير المتشابه، فكيف بالمتشابه[1] ؟!

---

(١) في ط: وإنما قيل السؤال بدعة. بدون (عنه).

---

(1) كأن الشيخ يقصد بالغامض هنا واحداً من القسمين الآخرين اللذين أضافهما الإمام أبو إسحاق الشاطبي للمتشابه – أو كليهما – أعني التشابه الإضافي، والتشابه في المناط.

قال الشاطبي: والثاني – يعني من أقسام المتشابه – وهو الإضافي ليس بداخل في صريح الآية (آية آل عمران) وإن كان في المعنى داخلا فيه، لأنه لم يصر متشابها من حيث وضع في الشريعة، من جهة أنه قد حصل بيانه في نفس الأمر ولكن الناظر قصر في الاجتهاد أو زاغ عن طريق البيان إتباعا للهوى فلا يصح أن ينسب الاشتباه إلى الأدلة وإنما ينسب إلى الناظرين التقصير أو الجهل بمواقع الأدلة.. إلى أن قال: وأما الثالث فالتشابه فيه ليس بعائد على الأدلة وإنما هو عائد على مناط الأدلة. فالنهي عن أكل الميتة واضح والإذن في أكل الذكية كذلك، فإذا اختلطت الميتة بالذكية حصل الاشتباه في المأكول لا في الدليل على تحليله أو تحريمه ... وهكذا سائر ما دخل في هذا النوع مما يكون محل الاشتباه المناط لا نفس الدليل. أ. هـ. من الموافقات (٣: ٥٥،٥٦) المسألة الثالثة من الفصل الأول في الإحكام والتشابه ط. دار الفكر.

أما التشابه الحقيقي المقابل للإحكام في آية آل عمران: ﴿هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات فأما الذين في قلوبهم مرض فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله، وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا وما يتذكر إلا أولوا الألباب﴾ آل عمران آية ٧.

فيمكننا القول بأن المحكم: هو ما كان راجح الدلالة بنفسه أو ما نزل منزلته– من المؤولات تأويلا قريبا لا يصعب إدراكه على العامة فضلا عن الخاصة، والمتشابه: ما ليس كذلك. ويتضح من التأمل في الآية الكريمة الآتي:

أ– أن كل آية من آيات القرآن الكريم إما محكمة وإما متشابهة ولا يوجد وصف ثالث.

ب– أن الآيات المحكمة واضحة المعنى تتعاصى على الزائغين وهي معظم آيات القرآن الكريم.

ج– أن الآيات المتشابهة خفية المعنى يتبعها كل زائغ لإحداث الفتنة بأن يفسرها بمعان باطلة تطابق هواه وترضي قلبه المريض.

وهذه الآيات المتشابهة قليلة جداً في القرآن الكريم بالنسبة إلى الآيات المحكمة.

ومن أراد التفصيل فليرجع إلى رسالة الأستاذ الدكتور/ إبراهيم عبد الرحمن خليفة (المحكم والمتشابه في القرآن الكريم) الفصل الرابع من الباب الأول.

وآيات(١) المتشابه وأحاديثه لا يعلمه(٢) إلا الله سبحانه وتعالى.[1]

والقرآن والسنة طافحان بتنزيهه عز وجل.[2]

ومن أسمائه (٥٧/أ) «القُدُّوس»، وفي ذلك المبالغة في التنزيه ونفي خيال التشبيه.

وكذا في قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللهُ أحد[3]﴾ إلى آخره، لما فيها من نفي الجنسية والبعضية، وغير ذلك مما فيه مبالغة في تنزيهه سبحانه وتعالى[4].(٣)

---

(١) في ط: فآيات.

(٢) في ب -ط: لا يعلمها.

(٣) في ط: (سبحانه) فقط.

يلاحظ وجود اختلافات كثيرة بين نسخ الكتاب المخطوطات والمطبوعة في الإضافات التابعة لاسم الجلالة (الله تعالى، عز وجل،....) بتقديم أو تأخير أو حذف وكذلك صيغ الصلاة والسلام على سيدنا رسول الله ﷺ وكذلك الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وسوف نثبت الزيادة منها دون الإشارة إلى ذكر تلك الفروق.

---

(1) على وجه القطع كما سيأتي بيانه.

(2) وستأتي أمثلة كثيرة لذلك **فالتنزيه التام المطلق هو الإطار الوحيد الذي تصح فيه العبادة.**

(3) الآية ١ من سورة الإخلاص.

(4) فتنزيه الله سبحانه عن السوء وكذا تعظيمه غاية العظمة أمران متلازمان لا ينفك أحدهما عن الآخر، وهما المدخل إلى الإيمان بالله تعالى والخضوع له والأساس والقاعدة التي تبنى عليها كل أمور الاعتقاد الخاصة بالله سبحانه من لدن آدم عليه السلام وحتى قيام الساعة. وكل الأديان الباطلة التي انحرفت بأتباعها عن دين الله القويم – الإسلام – إنما أدخلها عليهم الشيطان بنسبتهم بعض النقائص إلى الله سبحانه، مع زعم بعضهم أنها ليست نقائص ولا تنقص من تعظيمهم لله.

لذا أفاض القرآن وكذا السُّنة في دلائل التعظيم والتنزيه القاطعة وكررها بكل الصور والأمثلة كي تستنير بها العقول وتمتلأ بها القلوب فتقطع الطريق على وساوس الشيطان.

وكل نص من الكتاب أو السنة يوهم ظاهره نسبة شيءٍ من النقص إلى الله سبحانه فحكمه الإيمان بنصه وتلاوة لفظه دون أي زيادة أو نقصان أو تبديل أو تغيير حتى لا يعطى الشيطان مدخلا للوسوسة، مع امتلاء القلب بالتعظيم والتنزيه له سبحانه عن أي نقص، مع اعتقاد انصرافه عن هذا الظاهر وترك البحث في تفصيل المراد منه للراسخين في العلم.

[الإمام أحمد وكبار أصحابه من المنزهين المعظمين لله]

وكان الإمام أحمد ﷺ يقول: «أمروا الأحاديث كما جاءت»[1].

وعلى ما قال جرى كبار أصحابه كإبراهيم الحربي[2] وأبي داود[3] والأثرم[4]، ومن كبار أتباعه أبو الحسين المنادي[5] وكان من المحققين وكذلك

---

(1) روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «لا يزال الناس يتساءلون حتى يقال هذا: خلق الله الخلق، فمن خلق الله؟ فمن وجد من ذلك شيئاً فليقل: آمنت بالله» وفي رواية أخرى « فليستعذ بالله ولينته» واللفظ لمسلم قال الإمام المازري: «... الخواطر على قسمين فأما التي ليست بمستقرة ولا اجتلبتها شبهة طرأت فهي التي تدفع بالإعراض عنها وعلى هذا يحمل الحديث وعلى مثلها ينطلق اسم الوسوسة...» أهـ لذا كان الإمام أحمد وغيره من السلف يقولون (أمروا الأحاديث كما جاءت) كما سيأتي في الأصل.

(2)هو الإمام الحافظ المشهور أبو إسحاق إبراهيم بن إسحاق البغدادي ولد سنة ١٩٨هـ تفقّه على الإمام أحمد فكان من جملة أصحابه. كان إماما في العلم رأسا في الزهد عارفاً بالفقه بصيرًا بالأحكام حافظا للحديث مميزا لعلله قيما بالأدب جماعاً للغة، صنف غريب الحديث وغيره توفى في ذي الحجة سنة ٢٨٥ هـ.

(3) هو الإمام أبو داود السجستاني سليمان بن الأشعث صاحب كتاب (السنن)، و (الناسخ والمنسوخ)، و(القدر)، و(المراسيل) وغير ذلك، ولد سنة ٢٠٢هـ وتوفى سنة ٢٧٥هـ قال إبراهيم الحربي: ألين لأبي داود الحديث كما ألين لداود الحديد، وقال ابن حبان: أبو داود أحد أئمة الدنيا فقها وعلما وحفظا ونسكا وورعا وإتقاناً وجمع وصنف وذبَّ عن السنن.

(4) هو الإمام أبو بكر أحمد بن محمد بن هانئ الأثرم الطائي البغدادي الإسكافي الفقيه الحافظ صاحب الإمام أحمد بن حنبل، قال إبراهيم الأصبهاني: كان أحفظ من أبي زرعة الرازي وأتقن. وقال الخلال : كان يعرف الحديث ويحفظه ويعلم الأبواب والمسند. وقال غيره: له كتاب في العلل. ذكره ابن حبان في الثقات وقال: كان من خيار عباد الله.

(5) هو الإمام الحافظ أبو الحسين أحمد بن جعفر المنادى البغدادي ولد سنة (٢٥٧)هـ وتوفى سنة (٣٣٦) هـ. قال عنه الداني: مقرئ جليل غاية في الإتقان، فصيح اللسان عالم بالآثار نهاية في علم العربية صاحب سنة ثقة مأمون.

أبو الحسن التميمي[1] وأبو محمد بن[١] رزق الله بن عبد الوهاب[2]، وغيرهم من أساطين الأئمة في مذهب الإمام أحمد.

وجروا على ما قاله في حالة العافية وفي حالة الابتلاء. فقال تحت السياط: «فيكف أقول ما لم يقل».

وقال في آية الاستواء: «هو كما أراد»[٢].

---

(١) في أ-ب: وأبو محمد رزق الله وهو خطأ من الناسخ.

(٢) في ب: في: كما أراد. بدون (هو).

---

(1)هو الإمام الفقيه المحدّث: عبد العزيز بن الحارث بن أسد أبو الحسن التميمي.

صنف في الأصول والفروع والفرائض وقيل إنه حج ثلاثة وعشرين حجة.

من أولاده أبو الفضل وأبو الفرج وغيرهما، أما رزق الله بن عبد الوهاب صاحب الترجمة التالية لهذه فهو حفيده.

ولد أبو الحسن التميمي سنة ٣١٧هـ وتوفى سنة ٣٧١هـ، لكنه اتهم بوضع حديثين في مسند الإمام أحمد ليسا منه، وليت المؤلف لم يذكره اكتفاء بمن ذكرهم من الأكابر.

(2)هو الإمام الكبير رزق الله بن عبد الوهاب بن عبد العزيز بن الحارث أبو محمد التميمي البغدادي الفقيه الواعظ الأصولي اللغوي المفسِّر المحدِّث شيخ الحنابلة في عصره.

ولد سنة ٤٠٠هـ وتوفى سنة ٤٨٨هـ أستاذ أبي الوفاء ابن عقيل.

ترجم له ابن العماد في شذرات الذهب ٣/٣٨٤ فقال: (الفقيه الواعظ شيخ الحنابلة قرأ القرآن على أبي الحسن الحمامي وتقدم في الفقه والأصول والتفسير والعربية واللغة وحدث عن أبي الحسين ابن المتيم وأبي عمر بن مهدي والكبار وتوفى في نصف جمادى الأولى عن ثمان وثمانين سنة قال أبو علي بن سكرة: قرأت عليه ختمة لقالون وكان كبير بغداد وجليلها وكان يقول: «كل الطوائف تدعيني» قاله في (العبر) وقال ابن عقيل في فنونه: « ومن كبار مشايخي أبو محمد التميمي شيخ زمانه كان حسنة العالم وماشطة بغداد» وقال: «كان سيد الجماعة من أصحاب أحمد بيتاً ورياسة وحشمة أبو محمد التميمي وكان أحلى الناس عبارة في النظر وأجراهم قلما في الفتيا وأحسنهم وعظاً ») أ.هـ.

فمن قال عنه أنه قال في الاستواء أنه من صفات الذات أو صفات الفعل أو أنه قال أن ظاهره مراد، فقد افترى عليه وحسيبه الله عز وجل فيما نسب إليه مما فيه إلحاقه عز وجل بخلقه الذي هو كفر بواح[(١)]، لمخالفته كلامه فيما نزه نفسه به سبحانه وتعالى عما يصفون.[(٢)] [(1)]»

(١) في ط: صراح.
(٢) في ط: عما يقولون.

---

(1) يقول الإمام محمد زاهد بن الحسن الكوثري في مقدمته لكتاب (الأسماء والصفات) للبيهقي خلال حديثه عن مؤلفات البيهقي: «وكتابه (مناقب أحمد) له يدفع فيه ما نسب إليه بعض أصحابه من الكلمات الموهمة. ومن جملة ما قال فيه نقلا عن الإمام أبي الفضل التميمي رئيس الحنابلة ببغداد وابن رئيسها: أنكر أحمد على من قال بالجسم وقال: (إن الأسماء مأخوذة من الشريعة واللغة، وأهل اللغة وضعوا هذا الاسم على ذي طول وعرض وسمك وتركيب وصورة وتأليف، والله سبحانه خارج عن ذلك كله فلم يجز أن يسمى جسماً لخروجه عن معنى الجسمية، ولم يجئ في الشريعة ذلك فبطل) أهـ من هذا الخبر يتضح أن منهج الإمام أحمد هو كالتالي:

أولا: تنزيه الله سبحانه عما لا يليق به، لذا لم يجوز أن يطلق على الله سبحانه وتعالى لفظ (جسم) من ناحية المعنى.

ثانياً: أن إطلاق بعض الألفاظ الواردة في الشرع على الله سبحانه (مثل: اليد والوجه والساق... الخ) يكون من جهة الوقوف عند حدود الألفاظ الواردة فقط دون ما يسبق إلى الفهم من المعاني غير اللائقة بالذات الإلهية المقدسة.

قال الإمام الكوثري ﷺ : « سئل الإمام أحمد عن أحاديث النزول والرؤية ووضع القدم ونحوها قال: (نؤمن بها ونصدق بها ولا كيف ولا معنى) وقال أيضاً يوم سألوه عن الاستواء: (استوى على العرش كيف شاء وكما شاء بلاحد ولا صفة يبلغها واصف) على ما ذكره الخلال في (السنة) بسنده إلى حنبل عن عمه الإمام أحمد) أهـ من تعليقه على (دفع شبه التشبيه) لابن الجوزي ص ٢٨ط. التوفيقية.

فقول الإمام أحمد (بلا حد ولا صفة يبلغها واصف) تبين عن مراده فيه بكيف شاء وكما شاء. ثم هذا كله عند عدم ثوران الفتن، أما عند ظهور فتن المجسمة والمشبهة وتمكن الشُبَه من=

= القلوب الضعيفة وعدم القدرة على صيانة عقول العوام عن التفكر في الذات الإلهية ومحاولة تخيلها وتمثيلها وإلحاق النقائص بها بزعم أن نصوص الشرع تفيد ذلك، فالإمام أحمد شأنه شأن سائر أئمة الإسلام يذهب إلى التأويل الذي هو صرف اللفظ عن المعنى القريب المستحيل على الله سبحانه إلى أقرب المعاني اللائقة والتي تدل عليها القرينة الموجودة في سياق النص.

وإليك أمثلة من ذلك:

١- قال البيهقي في مناقب أحمد: »وأنبأنا الحاكم قال حدثنا أبو عمرو بن السماك قال حدثنا حنبل بن إسحاق قال سمعت عمي أبا عبد الله يعني الإمام أحمد يقول: (احتجوا على يومئذ يعني يوم نوظر في دار أمير المؤمنين- فقالوا تجئ سورة البقرة يوم القيامة وتجئ سورة تبارك، فقلت لهم إنما هو الثواب قال الله تعالى (وجاء ربك) إنما تأتي قدرته وإنما القرآن أمثال ومواعظ أهـ)«قال البيهقي: «هذا إسناد صحيح لاغبار عليه«ثم قال» وفيه دليل على أنه كان لا يعتقد في المجيء الذي ورد به الكتاب والنزول الذي وردت به السنة انتقالاً من مكان إلى مكان كمجيء ذوات الأجسام ونزولها، وإنما هو عبارة عن ظهور آيات قدرته، فإنهم لما زعموا أن القرآن لو كان كلام الله وصفة من صفات ذاته لم يجز عليه المجيء والإتيان فأجابهم أبو عبد الله إنما يجيء ثواب قراءته التي يريد إظهارها يومئذ فعبر عن إظهاره إياها بمجيئه. وهذا الجواب الذي أجابهم به أبو عبد الله لا يهتدي إليه إلا الحذاق من أهل العلم المُنَزَهُون عن التشبيه » أهـ انظر مقدمة الأسماء والصفات.

قلت في هذا الحديث ثلاث تأويلات هي تأويل مجيء سورة البقرة يوم القيامة في الحديث الصحيح وكذلك تأويل مجيء سورة تبارك بالإضافة إلى تأويل آية ﴿ وجاء ربك ﴾ .

وهذا الخبر عن الإمام أحمد قد نقله الخلال بسنده في كتاب السنة (انظر تعليق الكوثري على (دفع شبه التشبيه) ص٢٨) وابن كثير أيضاً في البداية والنهاية ٣٢٧/١٠ كما نقل ابن حزم في (الفصل) تأويل الإمام أحمد آية ﴿وجاء ربك﴾ .

٢- يقول حجة الإسلام الغزالي في (فيصل التفرقة) بمجموعة القصور العوالي ١٣٦:

«سمعت الثقات من أئمة الحنابلة ببغداد يقولون إن أحمد بن حنبل رحمه الله صرح بتأويل ثلاثة أحاديث فقط، أحدها: قوله ﷺ (الحجر الأسود يمين الله في الأرض) والثاني قوله ﷺ (قلب المؤمن بن أصبعين من أصابع الرحمن) والثالث قوله ﷺ «إني لأجد نفس الرحمن من ناحية اليمن» أهـ.

قلت: وحصرهم تأويلات الإمام أحمد في هذه النصوص الثلاثة هو من جهة ما بلغهم فقط.

ويتضح من هذه الأمثلة وغيرها صحة وصف المؤلف –جزاه الله خيرا– للإمام أحمد بأنه من أعظم المنزهة لله عز وجل.

[بعض كبار المجسمة المنتسبين للإمام أحمد وغيرهم]

ومنهم ابن حامد[1]، والقاضي تلميذه[2] والزاغوني[3] وهؤلاء ممن ينتمي إلى الإمام أحمد وتبعهم على ذلك الجهلة بالإمام أحمد وبما هو معتمده مما ذكرت بعضه وبالغوا في الافتراء إما لجهلهم، وإما لضغينة في قلوبهم (٥٧/ب) كالمغيرة بن سعيد[4] وأبي[(١)] محمد الكرامي[5]، لأنهم أفراخ السامرة في التشبيه، ويهود في التجسيم، وحرق[(٢)] المغيرة ومعه خمسة من أتباعه كما أذكره من بعد.

قال ابن حامد في قوله تعالى: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ[6]﴾ ، وفي قوله تعالى:

---

(١) في ط: وأبي عبد الله محمد الكرامي.

(٢) في ط: وحرف وهو خطأ لعله من الطبع.

---

(1) قال عنه الإمام الكوثري في تعليقه على (دفع شبه التشبيه) لابن الجوزي:

«هو شيخ الحنابلة أبو عبد الله الحسن بن حامد بن علي البغدادي الورّاق المتوفى سنة ثلاث وأربعمائة، كان من أكبر مصنفيهم له (شرح أصول الدين) فيه طامات سيورد المصنف بعضها ولديه تخرج القاضي أبو يعلي الحنبلي أهـ.

(2) هو القاضي أبو يعلي الفراء سبق ترجمته.

(3) أبو الحسن على بن عبيد الله بن نصير الزاغوني فقيه حنبلي ولد سنة ٤٥٥هـ وتوفي ٢٧ ٥هـ وهو من مشايخ الإمام ابن الجوزي.

(4) ستأتي ترجمته في كلام المؤلف.

(5) ستأتي ترجمته في كلام المؤلف.

(6) الآية ٢٧ من سورة الرحمن.

﴿كَلُّ شَيءٍ هَالِكٌ إلاّ وَجْهَه[1]﴾ نثبت[١] لله وجِها ولا نثبت رأساً[٢].

وقال غيره: «يموت إلا وجهه» . وليس بعد[٣] هذا كفر وذكــروا أشياء يقشعر الجسد من ذكر بعضها.

---

(١) في ب–ج: يثبت.

(٢) في ب: يثبت رأسا. وفي ط: ولا نثبت له رأسا. (ج).

(٣) في ب–ج: وليس بعد هذا. (تراجع المخطوطات).

---

(1) الآية ٨٨ من سورة القصص.

[رد الإمام ابن الجوزي الحنبلي على المجسمة مخالفي المذهب]

قال أبو الفرج ابن الجوزي[1]: رأيت من تكلم من أصحابنا في الأصول بما لا يصلح[١]. وانتدب للتصنيف وهم ثلاثة: ابن حامد وصاحبه القاضي وابن الزاغوني صنفوا[٢] كتبا شانوا بها المذهب، ورأيتهم قد[٣] نزلوا إلى مرتبة العوام، فحملوا الصفات على مقتضى الحس[1]، فسمعوا أن الله سبحانه وتعالى خلق آدم

---

(١) في دفع شبه التشبيه: ورأيت من أصحابنا من تكلم في الأصول بما لا يصلح.
(٢) عند ابن الجوزي: فصنفوا.
(٣) في ط: وقد رأيتهم.

---

(1) أ- هو الإمام العلامة الحافظ جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن أبي الحسن القرشي التميمي البكري البغدادي المعروف بابن الجوزي له مؤلفات عظيمة يقول الإمام الذهبي: ما علمت أحداً من العلماء صنف ما صنف هذا الرجل. ولد سنة ٥١٠ هـ بالبصرة وتوفي في ليلة السابع من شهر رمضان سنة ٥٩٧هـ.
ب- الإمام تقي الدين الحصني ينقل هنا من كتابه المسمى: «دفع شبه التشبية بأكف التنزيه» وقد نسبه له كل من ترجم له.
وقد طبع هذا الكتاب في المرة الأولى في القاهرة بإشراف وتحقيق الإمام العلامة محمد زاهد الكوثري رحمه الله تعالى وصور عن هذه الطبعة طبعات كثيرة في مصر، مع الحذف أو الإضافة أو تعديل في التعليقات !!. وطبع الطبعة الثانية في دار الإمام النووي بعمان – الأردن- بتحقيق واعتناء الشيخ حسن السقاف. وطبع في بيروت لبنان تحت اسم: « الباز الأشهب المنقض على مخالفي المذهب » وكان الإمام الحصني قد بنى كلامه في الربع الأول من كتابه- وقبل توسعة الكتاب- على كتاب ابن الجوزي (دفع شبه التشبيه) لذا أكثر النقول منه.

(1) لأن العوام لم تتمرس على إعمال عقولهم وضبط أفكارهم فجمدوا على تخيل وتصور المحسوسات فقط ولا تأنس نفوسهم بإدراك أمور تجل عن أن ينالها حس أو خيال.
وقد شرح ذلك الإمام أبو محمد عبد الجليل القصري وذكر سببين لضلال الخلق فقال: من أجل التباس صفات الخلق عليهم بصفات الخالق، ومن أجل غيبة الآخرة وحضور الدنيا: لأنه لما نظر الروح على ثقب الحواس إلى معلومات المحسوسات في هذا العالم رسخت صورها في خياله وتنتقش منطبعة في ذاته. فإذا ذكر له مذكور من صفات الباري حمله على ما عهد لأنه لم يعهد إلا ذلك، مثل اليد إذا ذكر له حمله على الجارحة أو البصر أو الوجه أو أي مذكور ذكر له من علم أو غيره حمله على ما عهد. وكذلك الآخرة لما كانت غائبة والدنيا حاضرة سبق الحاضر إلى نظر الخلق فاشتغلوا به عن الغائب أهـ بتصرف من (شعب الإيمان) للقصرى. ط العلمية ص ٦٠-٦١.

على صورته فأثبتوا له صورة ووجها زائدا على الذات وعينين وفما ولهوات وأضراسًا ويدين[١] وأصابعًا وكفا وخنصرا وإبهاما وصدرا وفخذا وساقين ورجلين.

وقالوا: ما سمعنا بذكر الرأس.

وقالوا: يجوز أن يمس ويمس، ويدني العبد من ذاته.

وقال بعضهم: ويتنفس.

ثم إنهم يرضون العوام بقولهم لا كما نعقل[٢].

وقد أخذوا بالظاهر[٣] في الأسماء والإضافات[٤] فسموا الصفات تسمية مبتدعة لا دليل لهم في ذلك من النقل ولا من العقل ولم يلتفتوا إلى النصوص الصارفة عن الظواهر إلى المعاني الواجبة لله (٥٨/أ) سبحانه وتعالى، ولا إلغاء[٥] ما يوجبه[٦] الظواهر من سمات الحدث.

ولم يقنعوا أن يقولوا صفة فعل[1] حتى قالوا صفة ذات! ثم لمّا أثبتوا أنها صفات، قالوا: لا نحملها على ما توجبه[٧] اللغة، مثل اليد على النعمة أو

---

(١) في دفع شبه التشبيه: وأضراسا وأضواء لوجهه هي السبحات ويدين.

(٢) في ب-ج: يعقل وعند ابن الجوزي لا كما يعقل.

(٣) في ط: بالظواهر.

(٤) عند ابن الجوزي: والصفات.

(٥) عند ابن الجوزي ولا إلى إلغاء.

(٦) في ط: ما توجبه.

(٧) في ج: ما يوجبه. وعند ابن الجوزي على توجبه.

---

(1) صفات الأفعال هي عبارة عن التعلقات التنجيزية أي التعلقات بالفعل للقدرة كإيجاد زيد وإعدام عمرو بالفعل وكلها حادثة لأنها جائزة وكل جائز حادث، فصفات الأفعال حادثة وليست من الصفات القائمة بذاته تعالى. انظر تهذيب شرح السنوسية للفاضل سعيد فوده ص٩١. ويقول الإمام فخر الدين الرازي: « ...... وأما الصفات الفعلية فليست عبارة عن حال ثابتة لذات الله تعالى ولا معنى قائم بذات الله تعالى، بل هي عبارة عن مجرد صدور الآثار عنه. ولا معنى للخالق إلا أنه وجد المخلوق منه بقدرته ولا معنى للرازق إلا أنه وصل الرزق منه إلى العبد بسبب إيصاله» أ.هـ انظر له (شرح أسماء الله الحسنى).

القدرة(1) ولا المجيء على معنى البر واللطف ولا الساق على الشدة ونحو ذلك(١).
بل قالوا: نحملها على ظواهرها المتعارف(٢) والظاهر هو المعهود من

---

(١) عند ابن الجوزي: مثل يد علي نعمة وقدرة، ولا مجيء وإثبات على معنى بر ولطف ولا ساق على شدة.
(٢) في ج: على ظواهر المتعارف.

---

(1) والقوة بمعنى القدرة يقول الإمام أبو محمد عبد الله بن محمد بن علي القرشي: « يد الله فوق أيديهم: ليست يد الجارحة وإنما هي يد القوة إذ الباري سبحانه منزه عن ذلك، وإنما لما كانت اليد محلا للبطش والقوة كان مراده **لمعناها لا لذاتها إذ اليد الشلاء لا منفعة فيها**. فلما تقرر ذلك خاطب عبيده بما يفهمونه من القوة والمنعة .. » ثم تحدث ﷺ عن تعدد تأويلات (اليد) باختلاف السياق والقرائن فقال رحمه الله: « فإن قيل: فقد ثنى اليد في موضع آخر فقال: (ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي استكبرت أم كنت من العالين) وقال في الجمع: (أو لم يروا أنا خلقنا لهم مما عملت أيدينا أنعاما فهم لها ما لكون وذللناها لهم فمنها ركوبهم ومنها يأكلون ولهم فيها منافع ومشارب أفلا يشكرون) وأنتم قلتم أن المراد باليد: القوة: والقوة شيء واحد فكيف يتثنى ويجمع؟ فالجواب عن ذلك:

[أ] أنه حيث أفرد أراد الاتصاف بالقوة على كل ذي قوة من سائر المخلوقات كما بين.

[ب] وحيث ثنى في آية آدم عليه السلام فقال (لما خلقت بيدي) وذلك أنه لمّا قسم ذرية آدم عليه السلام إلى قسمين في السعادة والشقاوة [بين] أن كلا منهما بتقديره وأطلق التثنية باعتبار القسمين المخلوقين فثنى باعتبار المخلوقية لا باعتبار أصل الخلق.

[ج] وكذلك يفهم من الجمع في الآية الأخرى حيث تعددت المخلوقات من سائر الانتفاعات كما قال (لكم فيها دفء ومنافع ومنها تأكلون، ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون وتحمل ...) لما فيه من المنة بخلق الأنعام، وههنا عدد المنافع: التذليل والركوب والأكل والشرب وغير ذلك وجمع باعتبار المنافع المخلوقات كأنها من أيدٍ عملت ذلك، لا باعتبار أصل الخلق » أ.هـ. ما نقله عنه الإمام فخر الدين بن المعلم القرشي في ترجمته من كتاب (نجم المهتدي ورجم المعتدي) أعان الله على إخراجه.

هذا هو فهم العلماء الربانيين لكلام الله وكلام رسوله، وعلى هذا المنوال تفهم سائر الظواهر بما يتفق مع تنزيه الله وتعظيمه في إطار سياق الكلام والقرائن الدالة على المفهوم وطبقا للغة العرب واتساع كلامهم كما شرحه إمامنا الشافعي وغيره.

فإن قصر الفهم عن استنباط المعنى وليس كل العلماء (فضلا عن غيرهم) في مستوى واحد في الفهم، **فليسلم لله بالتنزيه التام الكامل والتعظيم المطلق ثم يقول: (آمنت بكلام الله على مراد الله).**

وليس بعد هذين الأمرين سوى إضافة النقائص إلى الله- تعالى عما يقولون- وهو كفر كما قال ابن الجوزي والمؤلف رحمهما الله، ولا ينفع المشبه أو المجسم احتجاجه بأن الله سبحانه قال كذا، لأنه لا يملك الدليل على أن الله أراد بقوله المعنى المرفوض بل الدليل قائم على التنزيه.

نعوت الآدميين، والشيء إنما يحمل على حقيقته إذا أمكن فإن صرف صارف حمل على المجاز[1]. وهم يتحرجون(١) من التشبيه، ويأنفون من إضافته إليهم

---

(١) عند ابن الجوزي: ثم يتحرجون.

---

(1) يقوم حجة الإسلام الغزالي في كتابه (المحبة) ج٤ من الإحياء: « .. وواضع اللغة إنما وضع هذه الأسامي أولا للخلق، فإن الخلق أسبق إلى العقول والأفهام من الخالق. فكان استعمالها في حق الخالق بطريق الاستعارة والتجوز والنقل » أ.هـ (٣١٨/٤-٣١٩) قلت: لما كانت رحلة الإنسان مع حياته الدنيا تبدأ من لحظة مجيئه- وقبل أن يتم عقله ويبلغ رشده- مع ما تدركه حواسه من معارف جسمانية، وكانت هذه المعارف والصور الحسية هي أثبت الأشياء في عقله وأقربها إلى فهمه، مما أدى إلى أن تكون هذه الصور والأمور الحسية هي الأسبق في وضع ألفاظ تعبر عنها وتختزن معها في ذاكرته ومع تطور عقل الإنسان وطروء معاني جديدة على فهمه نتيجة إعماله فكره من ناحية وما نقل إليه من أنوار النبوة من ناحية أخرى، وخاصة ما يخص المعاني العقلية أو الغيبية مما لا تدركه حواسه وليس لهذه المعاني عبارات موضوعة كان استعارة الألفاظ من موضوعات اللغة- أي الألفاظ السابق وضعها للصور والإدراكات الحسية - ضرورة كل ناطق بتلك اللغة.

يقول حجة الإسلام الغزالي في (إلجام العوام): « ..كما أنا لا نستغني عن أن نقول (صورة هذه المسألة كذا، وهي تخالف صورة المسألة الأخرى) وهي مستعارة من الصور الجسمانية. لكن واضع اللغة لما لم يضع لهيئة المسألة وخصوص ترتيبها اسماً ناصًّا، إما لأنه لم يفهم المسألة أو فهم لكن لم تحضره أو حضرته لكن لم يضع لها نصا خاصا اعتماداً على إمكان الاستعارة أو لأنه علم أنه عاجز عن أن يضع لكل معنى لفظاً خاصاً ناصًّا، لأن المعاني غير متناهية العدد والموضوعات (يقصد الألفاظ المستخدمة في اللغة) بالقطع يجب أن تتناهى فتبقى معان لا نهاية لها يجب أن يستعار اسمها من الموضوع.

فاكتفى بوضع البعض. وسائر اللغات أشد قصوراً من لغة العرب، فهذا وأمثاله من الضرورة يدعو إلى الاستعارة لمن يتكلم بلغة قوم إذ لا يمكنه أن يخرج عن لغتهم. كيف ونحن نجوز الاستعارة حيث لا ضرورة اعتماداً على القرائن، فإنا لا نفرق بين أن يقول القائل: (جلس زيد فوق عمرو) ، وبين أن يقول (جلس أقرب منه إلى الصدر) و(إن بغداد في ولاية الخليفة) أو (في يده) إذا كان الكلام مع العقلاء وليس في الإمكان حفظ الألفاظ عن إفهام الصبيان والجهال فالاشتغال بالاحتراز عن ذلك ركاكة في الكلام وسخافة في العقل وثقل في اللفظ أ.هـ ص ٧١-٧٢ط العلمية.

قلت: وأيضاً فإن انتشار التشبيه والاستعارة وأنواع المجاز المختلفة يقدم التعبير الدقيق والتصوير الواضح للمعاني الكثيرة في عبارات مختصرة قليلة الألفاظ توصل المعاني المرادة من المتكلم إلى السامع في أقل وقت وفي سياق هذه العبارات من القرائن ما يلفت نظره إلى المعنى المقصود بل يكتفي المتكلم في أحيان كثيرة بالقرائن (الحالية) المفهومة من موضوع الحديث أو حال المتكلم أو السامع. فالحقيقة =

= تدل على معناها بنفسها وتتبادر إلى فهم السامع عند عدم وجود قرينة صارفة بمجرد سماع الألفاظ، والمجاز لا يدل على معناه إلا بوجود القرينة المانعة من إرادة المعنى الحقيقي وتتفاوت الأفهام في ملاحظة هذه القرينة والتنبه لها، لذا كان المجاز بأنواعه من معايير تذوق اللغات ورقيها.

يقول الدكتور عبد العظيم المطعني في كتابه (المجاز في اللغة وفي القرآن الكريم) ٢/٩٣٦:

«المجاز موجود في كل اللغات وإن أرسطو قبل الميلاد بأكثر من أربعة قرون كان قد تكلم على المجاز والنقل والاستعارة والتشبيه والفرق بين الاستعارة والتشبيه. وأوربا في نهضتها الأدبية واللغوية الحديثة اعتمدت على أدب اليونان القدماء وحذت حذوهم ردحا من الزمن وآداب الأمم حافلة بصور رائعة من المجاز لا ينكرها إلا معاند هنودا وفرسا وروماناً وغيرهم وغيرهم... » إلى أن قال «أجل: إن المجاز عام في كل لغة وإن اختصت العربية بكثرة البحث فيه حتى اشتهر فيها وذاع أمره» أ.هـ المقصود منه فالعرب قد استعملت في أساليبها بعض الكلام فيما وضع له وبعضه في غير ما وضع له وجاء القرآن الكريم بلسان عربي مبين معجز لكل بلغاء وفصحاء العرب فيما نبغوا فيه، فبلغ القدح المعلى في إيراد المعنويات في صورة المحسات لتزداد تمكنا في النفس باستخدام أساليب المجاز وصور التشبيه الرائعة وشرع العلماء في القرن الثاني الهجري مع البدايات المبكرة=للتصنيف في العلوم يفرقون بين الاستعمالين ويضعون المصطلحات المختلفة الدالة عليهما ومنها (الحقيقة والمجاز) حتى إذا بدأ القرن الثالث الهجري كان المصطلحان قد شاعا وأقرتهما جماهير العلماء.

فالحاصل أن القرآن الكريم والسنة المطهرة حافلان بأنواع المجازات فإذا وردت ألفاظ موهمة للتشبيه وجب صرفها عن المعنى المستحيل على الله سبحانه، يقول أبو حامد الغزالي بعد أن ضرب أمثلة للعبارات الموهمة: « ...فكذلك هذه الظواهر الموهمة انقلبت عن الإيهام بسبب تلك القرائن الكثيرة التي بعضها هي المعارف، والواحدة منها معرفتهم أنهم لم يؤمروا بعبادة الأصنام وأن من عبد جسما فقد عبد صنما كان الجسم صغيراً أو كبيراً قبيحاً أو جميلا سافلا أو عاليا، **على الأرض أو على العرش.**

وكان نفي الجسمية ونفي لوازمها معلوما لكافتهم على القطع بإعلام رسول الله ﷺ المبالغة في التنزيه بقوله ﴿ ليس كمثله شيء ﴾ الشورى ١١ وسورة الإخلاص وقوله ﴿ فلا تجعلوا لله أندادا ﴾ البقرة ٢٢ وبألفاظ كثيرة لا حصر لها مع قرائن قاطعة لا يمكن حكايتها، وعُلِم ذلك، علماً لا ريب فيه وكان ذلك كافيا في تعريفهم استحالة (يد) هي عضو مركب من لحم وعظم وكذا في سائر الظواهر لأنها لا تدل إلا على الجسمية وعوارضها لو أطلق على جسم، ولو أطلق على غير الجسم على صورة أنه ما أريد به ظاهره بل معنى آخر مما يجوز على الله تعالى ربما يتعين ذلك المعنى وربما لا يتعين فهذا مما يزيل الإشكال « أهـ إلجام العوام ص ٧٠-٧١ ط العلمية.

ويقولون: نحن أهل السنة.

وكلامهم صريح في التشبيه.

وقد تبعهم خلق من العوام على ذلك لجهلهم ونقص عقولهم وكفروا تقليدا[١].

وقد نصحت للتابع والمتبوع، والله أعلم[٢].

ثم قال[٣] لهم على وجه التوبيخ: يا أصحابنا أنتم أصحاب نقل واتباع وإمامكم الكبير أحمد بن حنبل يقول: كيف أقول ما لم يقل[٤].

هل بلغكم أنه قال أن الاستواء من صفة الذات المقدسة أو صفة الفعل؟! فمن أين أقدمتم على هذه الأشياء؟! وهذا كله ابتداع قبيح بمن ينكر البدعة[٥].

ثم قلتم في[٦] الأحاديث: تحمل على ظاهرها، وظاهر القدم الجارحة وإنما يقال: تمر كما جاءت ولا تقاس بشيء فمن قال استوى بذاته فقد أجراه مجرى الحسيات، وذلك عين التشبيه. فاصرفوا بالعقول الصحيحة (٥٨/ب)

---

(١) هذه العبارة غير موجودة في طبعتي دفع الشبه لابن الجوزي.

(٢) في ط: سقطت عبارة: والله أعلم. وهي غير موجودة عند ابن الجوزي.

(٣) في ط: ثم أقول. وفي دفع شبه التشبيه لابن الجوزي: فقلت لهم.

(٤) عند ابن الجوزي: وإمامكم الأكبر أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى يقول وهو تحت السياط كيف أقول ما لم يقل.

(٥) هذه العبارة غير موجودة عند ابن الجوزي وبدلا منها: فإياكم أن تبتدعوا في مذهبه ما ليس منه.

(٦) في ط: إن.

عنه سبحانه ما لا يليق بـه مـن تشـبيه أو تجسيم[1] وأمـروا الأحـاديث كمـا جاءت من غير زيادة ولا نقص[١].

---

(١) وردت هذه الفقرة عند ابن الجوزي هكذا: ثم قلتم في الأحاديث تحمل علـى ظاهرهـا، فظاهر القدم الجارحة، فإنه لما قيل في عيسـى عليـه الصلاة والسلام روح الله اعتقـدت النصـارى لعنهم الله تعالى أن لله سبحانه وتعالى صفة هـي روح ولجت في مريـم. ومـن قـال استوى بذاتـه المقدسة أجراه سبحانه وتعالى مجرى الحسيات، وينبغي أن لا يهمل ما يثبت به الأصل وهـو العقـل فإنا به عرفنا الله تعالى وحكمنا له بالقدم.

---

(1) لأن عبودية المخلوق لله سبحانه مبنية بالأساس على الإقرار الكامل والشعور التام بالعظمـة المطلقة- التي لا تتناهي ولا تحد- للذات الإلهية المقدسة والتنزيه الكامل لله عن أدنى شائبة نقص. وهذا **التعظيم المطلق** يمنع العبد من تجويزه نسبة أي نقص من أي نوع لله سبحانه وتعـالى بـل هـو ينتج الوجل والخشية من الله كما قال تعالى:﴿ إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم.. ﴾ الآية ٢ من سورة الأنفال.

وهذا الوجل والخشية يمنعان العبد من محاولة تصور الذات الإلهية أو اكتنـاه حقيقتـها- كمـا سيأتي- كما يصرفان الذهن عن فهم الآيات والأحاديث المتشـابهة علـى ظواهرهـا لتَضَمُّـن هـذه الآيات والأحاديث ألفاظاً تستخدم في التعبير عن الأجسام والمحسوسات، لأن ذلـك ينتـج لا محـال نسبة النقائص المرتبطة بهذه الأجسام أو المحسوسات إلى الله سبحانه وتعـالى، ويصـير تعظيـم العبـد لربه **تعظيماً جزئيا** وتنزيهه له **تنزيها ناقصاً**.

وإن زعم العبد أن هذا الوصف – كما يراه هو – ليس نقصا بل هو كمال، فذلك لا ينجيه من الكفر. فقد كفـر النصاري بزعمـهم أن المسيح عليـه السـلام: ابـن الله سـبحانه وتعـالى عمـا يقولون، حتى وإن قالوا: (إن البنوة ليست على حقيقتها وإنمـا هـي صفـة ثابتـة وردت في الإنجيـل فنحن نجعلها صفة). والفيصل في ذلك هـو **العقـل الصحيـح** الـذي استدل بـه سيد الخلـقﷺ في الحديث الذي رواه الترمذي وغيره بإسناد حسن في تفسير سورة﴿ قل هو الله أحـد ﴾ : « لأنـه مـا مـن مولـود إلا سـيموت ومـا مـن ميـت إلا سـيورث، والله سـبحانه لا يمـوت ولا يـورث» فـهذا الاستدلال عقلي بحت لا يفلح من جحده وأنكره لهـذا وصـف الله سـبحانه المشـركين في غـير مـا موضع بأنهم لا يعقلون كما أقروا على أنفسهم في الآخرة﴿ وقالوا لو كنا نسمع أو نعقل مـا كنـا في أصحاب السعير ﴾ آية ١٠ من سورة الملك.

ولما ردَّ القرآن على المشرك في إنكاره البعث: ﴿وضرب لنا مثلا ونسى خلقه قـال مـن يحيـى العظام وهي رميم، قل يحييها الذي أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم﴾ الآيتان ٧٩،٧٨ من =

= سورة يس. فاستدل بالخلق أول مرة على الإعادة، والعقل الصحيح يحكم بصحة هذا الدليل، ومن جحد حكم العقل هذا هالك لا محالة. يقول الإمام فخر الدين بن المعلم القرشي في (نجم المهتدي): «مع أن الشرع قد عدَّل العقل وقبل شهادته واستدل به في مواضع من كتابه الكريم، كالاستدلال= بالإنشاء على الإعادة وكقوله تعالى ﴿لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا﴾ وقوله تعالى ﴿وما كان معه من إله إذا لذهب كل إله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض﴾ وقوله تعالى ﴿أو لم ينظروا في ملكوت السماوات والأرض وما خلق الله من شيء﴾ فيا خيبة من رد شاهداً قبله الله وأسقط دليلا نصبه الله » أ.هـ لوحة ٣٠٥.

ويقول الشيخ عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني في كتابه (ضوابط المعرفة) تحت عنوان: (**العقلِ والتفكير**) : « اهتمت شريعة الله بشأن العقل والتفكر الموصل إلى الفهم الصحيح اهتماماً عظيماً، وتواردت نصوص الكتاب والسنة على تمجيدهما والحث عليهما، وذمت الذين يعطلون عقولهم عمّا خلقت من أجله من تفكر سليم وعقل صحيح، وذمّت الذين لا يأخذون بوسائل الفهم المتينة وضوابطه الرصينة، والذين يكتفون بالتقليد الأعمى وما أشبهه من حجج واهيات، ويستمسكون بالباطل ويصرّون عليه؛ ولو قدّمت لهم الحجج القاطعات والبراهين الساطعات، على أن الحقّ في غير ما هم عليه، وأن ما هم عليه من أمرٍ باطلٌ يجب رفضه ومقاومته لا الأخذ به والانتصار له.

وهذه طائفة من البيانات القرآنيّة في هذا المجال:

أ- نهى القرآن الكريم عن اتباع ما ليس للإنسان به علم صحيح مستند إلى فهم سليم، وجعل وسائل المعرفة لديه مسؤولة يوم القيامة عن وظائفها التي خلقت للقيام بها في الدنيا، فقال الله تعالى في سورة (الإسراء ٣٦): ﴿ وَلاَ تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمعَ وَالْبَصَرَ وَالفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولاً ﴾ .

ب- ومن الدَّعوة القرآنية إلى التفكر قول الله تعالى يعلّم رسوله ما يقول للمشركين في سورة (سبأ ٤٦):
﴿ قُل إِنَّمَا أَعِظُكُم بِوَاحِدَةٍ أَن تَقُومُوا للهِ مَثنى وَفُرَدَى ثُمَّ تَتَفكَّرُواْ مَا بِصَاحِبِكُم مِن جِنَّةٍ إِن هُوَ إلا نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَى عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴾ .

وقوله تعالى في سورة (الأنعام ٥٠):
﴿ قُلْ هَلْ يَستَوِي الأَعْمَى وَالبَصِيرُ أَفلاَ تَتفكَّرُونَ ﴾ .

وقوله تعالى في سورة (الروم ٨):
﴿ أَوَلَمْ يَتَفكَّرُواْ فِي أنفسِهِم مَّا خَلَقَ اللهُ السَّمَوَاتِ والأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلاَّ بِالحَقِ وَأَجَلٍ مُّسَمّىً وَإِنَّ كَثِيراً مِنَ النَّاسِ بِلِقَاىٔ رَبِّهِمْ لَكفِرُونَ ﴾ .

وقوله تعالى في سورة (الحشر ٢١):
﴿ وَتِلْكَ الأَمْثَالُ نَضربُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفكَّرُونَ ﴾ .

وهكذا نجد ثمانية عشر نصاً قرآنياً في التفكر والدعوة إليه. =

= ج- وأمّا العقل والدعوة إليه وبيان ضرورة الأخذ به وذمّ المجانبين له، فقد جاءت هذه في آيات من القرآن الكريم بلغت قرابة الخمسين آية، منها قول الله تعالى في سورة (الأنفال ٢٢):

﴿ إِنَّ شَرَّ الدَّوَآبِّ عِندَ اللهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لا يَعْقِلُونَ ﴾ .

وقوله سبحانه في سورة (الأنعام ٣٢):

﴿ وَلَلدَّارُ الأَخِرَةُ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ ﴾ .

وقوله جلّ وعلا في سورة (البقرة ٢٤٢):

﴿ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمْ ءَايَتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ .

د- وقد حثّ القرآن الكريم على الفقه، ونعى على الذين لا يفقهون وذمّ طريقتهم، والفقه هو الفهم الصحيح لحقائق الأمور، فمن ذلك قول الله تعالى في سورة (الأنعام ٦٥):

﴿ أنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الأَيَتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ ﴾ .

ومما جاء في ذمّ الذين لا يفقهون، معطّلين أجهزة الفقه التي منحهم الله إياها، وأن طريقتهم هذه ستأخذ بأيديهم إلى جهنم، قول الله عزّ وجلّ في سورة (الأعراف ١٧٩):

﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الجِنِّ وَالإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لاَّ يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لاَّ يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لاَّ يَسْمَعُونَ بِهَا أُوْلَئِكَ كَالأَنْعَمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَئِكَ هُمُ الغَفِلُونَ ﴾ » أ.هـ.

وقد تبين من الآيات السابقة قيمة العقل في القرآن الكريم وكذا قيمة التفكر أو التفكير الذي هو استخدام هذا العقل في الجمع بين المعلومات والمدركات والتصورات الحسية المباشرة رابطا بينها بالعلاقات المنطقية (البدهيات العقلية) وبما يؤدي إلى استخراج معلومات جديدة أرقى وأشمل من أن ينالها الإدراك الحسي وبما يؤدي إلى حل مشكلاته وتحقيق أهدافه وعلى رأسها كيف يعرف مراد الله منه وكيف يتعرض لنفحات رحمته وهدايته فيفوز بسعادة الدارين وهذا الفوز مرتبط بقدر تحرره من قيود حسِّه وهواه.

وقد قام علماء النفس المعاصرون بملاحظة سلوكيات الإنسان في التفكير وصور التفكير ومحدداته وما تؤديه من أدوار عند حل المشكلات وقاموا بتقسيم التفكير إلى أنواع وفقا لمحاور ستة أساسية أول هذه المحاور: التجريد- في مقابل العيانية أو الحسِّية.

أولاً: التفكير التجريدي:

ويقول عنه د. فرج عبد القادر طه: وهو مستوى أرقى من التفكير، يسود لدى الكبار والمتحضرين والمتعلمين. حيث يعتمد على المعاني والأفكار المجردة والرموز والمفاهيم، لا على الخبرة المباشرة أو المحسوسات والمجسمات والماديات، أو الصور الذهنية لها. كما أنه يتخطى كلَ ذلك إلى ما وراءه من معان ورموز ومفاهيم وأفكار مجردة. ولذا يتميز بالتعميمات ، وباستخدام الرموز =

= كما في المعادلات الرياضية واللغة. وهكذا، فإن التفكير في المسئولية والعدل والحق والخير والشر والمبادئ الأخلاقية والنظريات الفلسفية، ووضع تصور لما سوف يكون عليه المستقبل بالنسبة لأمر ما أو ظاهرة ما ... كل هذا ومثله مما يقع ضمن نوع التفكير المجرد ويشير إليه. » أ.هـ.

(أصول علم النفس الحديث).

ويقول د. محمد نجيب الصبوة.

« ويتطلب التفكير التجريدي نوعاً من النظر العقلي الكلي لموقف المشكلة وإدراك العلاقات وعوامل الاختلاف والتشابه بين الكل وأجزائه، وبين الأجزاء وبعضها بعضاً والربط بينها، والذاكرة التصورية للموقف ككل. كما يتضمن القدرة على التعميم والوصول إلى المبدأ العام، دون الوقوف عند حد الجزئيات. وينبغي ملاحظة أن النظرة الكلية ليست مجموعاً جبريا لإدراك الجزئيات، إنها إدراك شامل للجزئيات وعلاقاتها بعضها بعضاً وعلاقاتها بالكل، فالعلاقات المترابطة جزء أساسي من الإدراك، كما أنها تعطي الجزئيات معناها » (م.س. هنا، ١٩٧٤، ص١٦،١٧) أ.هـ علم النفس العام) د. عبد الحليم محمود السيد وآخرون .

وقد أوضح د. الصبوة أن التفكير التجريدي يقوم ركيزتين أساسيتين لتكوين المفهوم وحل المشكلات التي تحتاج إلى مجردات أو تصورات عقلية. وهاتان الركيزتان هما:

أ- الاستقراء. ب- الاستنباط، قلت: وكلا منهما قد أمر به القرآن الكريم.

ثانياً: التفكير العياني أو المحسوس:

يقول عنه د. فرج عبد القادر طه:

١- التفكير العياني Concrete Thinking : نوع من التفكير يستعين فيه العقل بالصور الحسية وتكون مادته وتركيزه في الخبرة المباشرة والتجارب الشخصية والأشياء والأحداث الخاصة والمعينة.

وهو نوع أقل من التفكير. ولذا فهو يسود لدى الأطفال والبدائيين والأميين. كما أنه يميز بعض المرضى العقليين، كما في كثير من حالات الفصام والإصابات العقلية العضوية.

ولا يكاد يتخطى هذا النوع من التفكير وقع المحسوسات على الحواس وإدراكها. أ.هـ

(أصول علم النفس الحديث ص ١٨٧-١٨٨).

ويقول الدكتور محمد نجيب الصبوة عنه معرفا وشارحا:

« ويقصد به التفكير الذاتي المحسوس المتصلب المشتت الذي يجمد عند حد الجزئيات ومظاهرها العرضية، مع فقدان القدرة على الاستقراء (هنا، ١٩٧٤، ص٢٠). والمستوى العياني من التفكير هو مستوى التمسك بالمحسوس، الذي يفتقر إلى وجود وجه شبه أساسي أو مفهوم عام أو فكرة كبرى كلية أو مبدأ شامل يجمع بين كل عناصر المشكلة موضوع الحل.

ويتميز هذا المستوى من التفكير بالعجز عن تخطى الواقع العياني إلى المستوى المجرد » . =

= إلى أن قال:

« خلاصة القول في التفكير العياني أنه ليس صورة مرضية شاذة دائماً كما ينظر إليه، على الأقل من منظور علم النفس الإكلينيكي وعلم النفس المرضى والطب النفس والعصبي ففي حالة السواء يتحكم الشخص السوي في تفكيره بحيث يأتي متوافقاً وملائماً لمتطلبات المشكلة المطلوب حلها، فإذا كانت تتطلب هذا المستوى من التفكير بادر به، وإذا كانت تتطلب التفكير التجريدي، أغفل كل جوانب التفكير العياني سالفة الذكر، وبادر بالاستجابات المجردة. هذا هو ما يحدث ما دامت هذه الأنواع من التفكير سليمة وغير معتلة.

أما في حالة المرض العقلي فإن الموقف السابق ينقلب رأساً على عقب، إذ يطلب من الشخص أن يستجيب للمشكلة وفقاً للتفكير التجريدي، فتراه عاجزاً تماماً لانشغاله بخبراته الخاصة وعالمه الذاتي الملئ بالهذاءات والهلاوس وتفكك التفكير.. إلخ. ولذا لا يتحكم في تفكيره وتكون النتيجة نوعاً من الاضطراب الحاد في التفكير يترجمه ظهور ذلك المستوى العياني من التفكير في كل المواقف، كحل لكل المشكلات مهما اختلفت وتباينت ومهما كانت متطلباتها من المجردات».
أ.هـ (علم النفس العام) د. عبد الحليم محمود السيد وآخرون ص ٣٨٩، ٣٩٠.

وقد ضرب القرآن الكريم أمثلة لهؤلاء المرضى الذين أضلهم الهوى وحب المحسوسات والركون إليها بحيث لا يثقون في سواها منها:

١- ﴿ وإذ قلتم يا موسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فأخذتكم الصاعقة وأنتم تنظرون ﴾ البقرة ٥٥.

٢- ﴿ وقال الذين لا يعلمون لولا يكلمنا الله أو تأتينا آية كذلك قال الذين من قبلهم مثل قولهم ، تشابهت قلوبهم قد بينا الآيات لقوم يوقنون﴾ البقرة ١١٨ فبينت الآية أن الإيمان واليقين هما في الارتقاء عن مستوى المحسوس.

٣- ﴿ يسألك أهل الكتاب أن تنزل عليهم كتابا من السماء فقد سألوا موسى أكبر من ذلك فقالوا أرنا الله جهرة فأخذتهم الصاعقة بظلمهم ثم اتخذوا العجل من بعد ما جاءتهم البينات فعفونا عن ذلك وءاتينا موسى سلطانا مبينا﴾ النساء (١٥٣).

٤- ﴿ وقال الذين لا يرجون لقاءنا لولا أنزل علينا الملائكة أو نرى ربنا لقد استكبروا في أنفسهم وعتو عتواً كبيرا يوم يرون الملائكة لا بشرى يومئذ للمجرمين ويقولون حجراً محجورا﴾ الفرقان (٢١-٢٢).

فلو أنكم قلتم: نقرأ الأحاديث ونسكت لما أنكر أحد عليكم(١).

فلا(٢) تدخلوا في مذهب هذا الرجل الصالح السلفي - أعني الإمام أحمد(٣) - ما ليس منه فلقد كسوتم هذا المذهب شينا قبيحا حتى صار(٤) لا يقال عن حنبلي إلا مجسم[1].

ثم زينتم مذهبكم بالعصبية ليزيد وقد علمتم أن صاحب المذهب أجاز لعنته(٥)، وقد كان أبو محمد التميمي[2] يقول في بعض أئمتكم[3]: لقد شان المذهب شينا قبيحا لا يغسل إلى يوم القيامة(٦). أ.هـ.

---

(١) عند ابن الجوزي: لما أنكر أحد عليكم، إنما حملكم إياها على الظاهر قبيح.

(٢) في ط: عليكم أحد ولا.

(٣) وليست في طبعتي دفع شبه التشبيه.

(٤) في ط: حتى لا يقال.

(٥) في ب: لعنه.

(٦) انتهى كلام الإمام ابن الجوزي من دفع شبه التشبيه له (ص٩٧-١٠٢) طبعة دار الإمام النووي - عمان وطبعة مصر (ص ٢٦-٢٩).

---

(1) يقول الإمام تاج الدين السبكي في كتابه قاعدة في الجرح والتعديل وقاعدة في المؤرخين بتحقيق الشيخ عبد الفتاح أبو عذة ص ٤٩-٥٠: بعد أن تحدث عن فرقة الخطابية المجسمة ما نصه: « ثم يَعتَزُون إلى الإمام أحمد بن حنبل ﷺ، وهو منهم برئ. ولكنه كما قال بعض العارفين، ورأيته بخط الشيخ تقي الدين بن الصلاح: إماما ابتلاهما الله بأصحابهما وهما بريئان منهم، أحمد بن حنبل، ابُتلي بالمجسِّمة، وجعفر الصادق ابتلي بالرافضة » ا.هـ.

(2) هو رزق الله بن عبد الوهاب السابق ذكره.

(3) يشير إلى القاضي أبي يعلي الفراء.

فالحاصل من كلام ابن حامد والقاضي والزاغوني[١] من التشبيه والصفات التي لا تليق بجناب الحق سبحانه وتعالى، وهي نزعة يهودية في التجسيم ونزعة سامرية في التشبيه، وكذا نزعة نصرانية[٢]، فإنه لما قيل في عيسى عليه السلام أنه روح الله سبحانه وتعالى، اعتقدت النصارى أن لله سبحانه وتعالى صفة هي روح ولجت في مريم عليها السلام.

وهؤلاء وقع لهم الغلط من سوء فهمهم، وما ذاك إلا أنهم سموا الأخبار أخبار صفات وإنما هي إضافات، وليس كل مضاف صفة فإنه سبحانه وتعالى قال: ﴿ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُوحِي ﴾[1] وليس لله صفة تسمى روحاً[٣].

فقد ابتدع من سمى المضاف[٤] صفة، ونادى على نفسه (٥٩/أ) بالجهل وسوء الفهم.

ثم إنهم في مواضع يؤولون[٥] بالتشهي، وفي مواضع أغراضهم الفاسدة يجرون الأحاديث على مقتضى العرف والحس، ويقولون: ينزل بذاته وينتقل ويتحرك ويجلس على العرش بذاته، ثم يقولون: لا كما يعقل !! يغالطون بذلك من يسمع من عامي وسيء الفهم، وذلك عين التناقض، ومكابرة في

---

(١) في ط: وابن الزاغوني.

(٢) في ط: هي نزعة سامرية في التجسيم ونزعة يهودية في التشبيه وكذا نزعة نصرانية.

(٣) في ج: وليس يقال لله صفة تسمى روحا.

(٤) في ب: الإضافات.

(٥) في ب: يقولون. وهو خطأ.

---

(1) الآية ٢٩ من سورة الحجر، والآية ٧٢ من سورة ص.

الحس والعقل، **لأنه كلام متهافت يدفع آخره أوله وأوله آخره**(1).

وفي كلامهم: «ننزهه غير أن(١) لا ننفي(٢) عنه حقيقة النزول» وهو كلام من لا يتعقل(٣) ما يقول.

---

(١) في ط: أننا.

(٢) في ب: ينفي.

(٣) في ط: وهذا كلام من لا يعقل.

---

(1) وإصرار هذه الطائفة على اتباع نهج التفكير العياني أو الحسي المشار إليه آنفا مع تمسكهم الكاذب بالتنزيه هو السبب في إصابتهم بالإمراض النفسية والعقلية التي حددها علماء وأطباء النفس المعاصرون تفصيلا وسبقت الإشارة إلى بعضها. ومنها مرض الفصام SCHIZOPHRENIA يقول عنه الدكتور أحمد عكاشة أستاذ الطب النفسي: « الفصام هو مرض ذهاني يتميز بمجموعة من الأعراض النفسية والعقلية التي تؤدي إن لم تعالج في بدء الأمر إلى اضطراب وتدهور في الشخصية والسلوك وأهم هذه الأعراض اضطرابات التفكير والوجدان والإدراك والإرادة والسلوك ... » إلى أن شرح أوجه اضطراب التفكير فقال:

١- اضطراب التفكير:

ونستطيع تقسيم هذا الاضطراب إلى:

أ- اضطراب التعبير عن التفكير. ب- اضطراب مجرى التفكير.

ج- اضطراب التحكم في التفكير. د- اضطراب محتوى التفكير.

أ- اضطراب التعبير عن التفكير:

هذا الاضطراب هو من الأعراض المميزة لهذا المرض حيث يشعر المريض بغموض وصعوبة في التعبير عن أفكاره ويظهر ذلك في هيئة:

[١] قلة وعدم الترابط بين الأفكار بحيث لا يستطيع المريض الاستمرار في موضوع واحد لمدة طويلة، مع تطاير أفكاره وعدم قدرته على الانتهاء مما بدأه، أو ربط الأفكار بعضها مع البعض.

[٢] صعوبة إيجاد المعنى بسهولة ولذا فهو يحوم حول المعنى ويزيد في الكلام ويستعمل الألفاظ الضخمة ويدخل في التفصيلات التافهة ولكنه لا يستطيع التركيز على المعنى المطلوب وإظهاره بوضوح، مع إجابات هامشية تدل على أنه يحوم حول الموضوع ولكنه لا يستطيع الدخول إلى اللب.

[٣] امتزاج الواقع مع الخيال، واختلاط الأحداث اليومية الحقيقية باضطراب تفكيره مما يجعل شكل تفكيره شبيه بما يحدث في الأحلام، وتصبح الحقيقة والخيال جزءا واقعيا في حياته الفكرية. =

= [٤] عدم قدرة المريض على تحديد ماهية المشكلة وبالتالي عدم استطاعته التفكير تجريديا ويكون تفسيره عيانيا فمثلاً إذا طلبت من المريض إيجاد معنى لمثل عام مثل « اللي بيته من زجاج ما يحدفش الناس بالطوب » يفشل بعض المرضى بالفصام في إيجاد المعنى التجريدي وراء المثل ولن يستطيع التعبير على أنه « من يعاني من عيب لا يصح له اغتياب الآخرين » وسيفسر المثل بطريقة عيانية أي بالمعنى اللفظي ويقول أنه « إذا قذف الناس بالطوب فسينكسر الزجاج » وأمثلة أخرى « الدم ميبقاش ميه» «العين ما تعلاش عن الحاجب» « إللي يجي في الريش يبقى بقشيش» «القفة اللى بودنين يشيلها اثنين» ... الخ. وبالطبع يكون لذلك أثره الواضح على الاستذكار والفشل الدراسي نظراً لأن عملية التعلم تحتاج لفهم تجريدي لما يقرأه الطالب ولهذا نلاحظ رسوب هؤلاء الطلبة وإذا كان الطالب متقدما دراسيا يبدأ فجأة في الرسوب وعندئذ يجب الشك في احتمال وجود اضطراب في التفكير.

ونظراً للغموض الواضح في التفكير يبدأ المريض في الاتجاه نحو الدراسات الغيبية مثل الفلسفة والدين، وعلم النفس وقد ينتمي للأحزاب السياسية النادرة المتعصبة والتي ترضى فيه عدم القدرة على الالتزام بمعنى محدد،وبالطبع لا يعي المريض كل الأعراض السابقة بل يشكو من صعوبة التركيز وعدم القدرة على فهم الموضوعات مع تعلقه بالتفصيلات التافهة مع عدم القدرة على اتخاذ قرارات ... وهكذا.

ب- اضطراب مجرى التفكير:

[١] توقف التفكير: وهو من الأعراض المميزة لمرض الفصام حيث يتوقف المريض عن التفكير أثناء حديثه ثم يبدأ الكلام ثانية في موضوع آخر وهذا يختلف عن كف وبطء التفكير الذي يحدث في مرض الاكتئاب، والذي يصبح أثناءه التفكير بطيئا ولكن بطريقة مترابطة ومنتظمة وتشبه فترات التوقف عن التفكير نوبات الصرع الخفيفة عندما يغيب الفرد عن وعيه لمدة ثوان ثم يعاود نشاطه العادي دون الوقوع على الأرض أو حدوث أي تشنجات عضلية.

[٢] ضغط الأفكار: هنا يشعر المريض بسباق دائم بين أفكاره ويشكو من ازدحام رأسه بأفكار متعددة ولكن عندما يسأل عن الإفصاح عنها يعجز عن ذلك نظرا لعدم قدرته على التعبير الواضح عن هذه الأفكار ويبدأ في إسقاط ذلك على الغير، وأنهم لا يفهمونه ولا يقدرون آلامه وانفعالاته وأفكاره.

ويشكو من أن الطبيب لا يعطيه الوقت الكافي، وقد يمضي المعالج الساعات معه ولكنه غير قادر على تكثيف أفكاره.

وهذان العرضان أي توقف وضغط الأفكار من الأعراض المميزة لمرض الفصام.

ج- اضطراب التحكم في التفكير:

[١] سحب أو الحرمان من الأفكار: يشكو المريض من أن محتويات أفكاره تسحب منه بواسطة أجهزة خاصة وذلك لحرمانه منها. نظراً لخطورتها وأن هؤلاء العملاء يريدون استعمال هذه الأفكار في إنقاذ أو تحطيم البشرية.. وهكذا ويشكو دائماً من الفراغ الفكري، حيث أنهم قد سلبوه معظم أفكاره ومن ثم لا يستطيع التركيز في العمل أو الاستذكار. =

= [٢] إدخال الأفكار: وهو عكس الاضطراب السابق حيث يعاني المريض من أفكار دخيلة عليه من قوى خارجية تريد تسخيره للعمل معها ويشكو المريض من أنه لا حيلة له وعلى الرغم من مقاومته لهذه الأفكار إلا أنها قد شلت أفكاره السابقة وأصبحت هي المسئولة عن كل تصرفاته وبالطبع يوعز هذا التدخل للإشعاعات والعقول الإلكترونية وإن كان ذا ثقافة متواضعة فلا مانع من تأويلها إلى السحر والشعوذة « العمل » .. الخ.

[٣] إذاعة وقراءة الأفكار: ويرتبط هذا الاضطراب بما سبق شرحه حيث يشكون المريض من سرقة أفكاره وإذاعتها في الراديو ونقلها للتليفزيون ونشرها في الجرائد بل وأحيانا يعاني من أن الناس يستطيعون قراءة أفكاره وما يجول بخاطره ولا شك أن هذا الاعتقاد الخاطئ يجعله في حالة من الخوف والذعر الدائم نظرا لما تنطوي عليه أفكار أي فرد من خير وشر ووساوس شريرة وحميدة مما يجعله يشعر بانكشاف أمره أمام الجميع بل أحيانا ما يسبب هذا العرض في حد ذاته محاولة الانتحار.

د- اضطراب محتوى التفكير:

وهنا يصبح المريض أسيرا لاعتقاداته الخاطئة ووساوسه وأفكاره المرضية وتوهمه علل بدنية، ويؤول جميع أنواع السلوك التي تحيط به تبعا للضلالات التي تحتل كل محتوى تفكيره والتي تختلف من فرد لآخر وسنشرح ذلك من الهذاءات.

٢- اضطرابات الوجدان:

أ- قوة الانفعال: يمر مريض الفصام بعدة أنواع من الانفعالات المميزة فيظهر الاضطراب في بدء الأمر في هيئة تأخر في الاستجابة الانفعالية ثم تبلد في الانفعال Flattening وهنا تقل قدرة المريض على الاستجابات الانفعالية مع نقص شعوره بالألفة والعطف والحنان على أفراد عائلته وأصدقائه بعكس طبيعته الأصلية، وعند تقدم المرض يزيد هذا التبلد ويصاب المريض بما يسمى التجمد الانفعالي Blunting وهنا يفقد القدرة على الاستجابات الانفعالية، وينعدم تجاوبه بالعطف والحنان مع أقربائه» انظر (الطب النفسي المعاصر) للدكتور أحمد عكاشة ص٢٦٦ فما بعدا ط. الأنجلو سنة ١٩٩٨، ثم استمر في شرح بقية أعراض هذا المرض وكل مطالع لهذه الأعراض ومنها ما نقلناه مع مقارنته بأقوال وسلوك هذه الطائفة التي يتحدث عنها الإمام ابن الجوزي والإمام الحصني والتي كان ابن تيمية من أبرز رموزها في التاريخ الإسلامي يستطيع أن يستنتج بسهولة ويسر نوع المرض الذي أصاب هذه الطائفة وخاصة كبراءها وعلى رأسهم ابن تيمية ومن ذلك نعرف مدى رسوخ قدم إمامنا الحصني في الطريق الصوفي والعلم الظاهر جميعا حيث تنبه إلى ذلك وحدد أن التشبيه والتجسيم مرض قلبي قبل أن يكون عقليا وحدد له طريق العلاج والشفاء لمن سبقت له الرحمة من الله سبحانه. كما يتضح لنا حجم المأساة أو الملهاة عند من يريدون أن تكون هذه النماذج هي الأئمة التي تقود المسلمين !

فالأمر كما قال القائل:

أعمى يقود بصيراً لا أبا لكم ضل من كانت العميان تهديه!

ومثله قول بعضهم: المفهوم من قوله تعالى: ﴿هُوَ الحَيّ﴾(١) [1] في حقه هو المفهوم في حقنا، إلا أنه ليس كمثله شيء.

فانظر أرشدك الله كيف حكم بالتشبيه المساوي ثم عقبه بهذا التناقض الصريح، وهذا لا يرضى أن يقوله من له أدنى رويه(٢)، ولهم مثل هذه التناقضات ما لا يحصى.

ومن التناقض الواضح دعواهم(٣) أنه مستقر على العرش مع قولهم في قوله تعالى: ﴿أأمِنْتُم مَن في السَّمَاءِ﴾[2] أن من قال أنه ليس في السماء فهو كافر، ومن المحال أن يكون الشيء الواحد في حيزين في أوان(٤) واحد وفي زمن واحد، ومن المعلوم أن «في» للظرفية ويلزم منه أنه سبحانه وتعالى(٥) مظروف تعالى عن ذلك.

---

(١) في ب: هو الحي القيوم وفي ط: هو الله الحي القيوم.

(٢) في ط: أدنى روية ولتكرار في المخطوطات هو للتأكيد.

(٣) في ط: في دعواهم في قوله تعالى: ﴿الرحمن على العرش استوى﴾.

(٤) في ط: آن.

(٥) في ج: تعالى وتقدس وتنزه عن ذلك.

---

(1) الآية ٢٥٥ من سورة البقرة، والآية ٢ من سورة آل عمران، والآية ٦٥ من سورة غافر.

(2) الآية ١٦ من سورة الملك.

[فصل في نفي الجهة عن الله سبحانه:
نصوص يدل ظاهرها على الكون السفلي]

[١-] وفي البخاري من حديث أنس ﷺ أنه عليه الصلاة والسلام رأى نخامة في القبلة (٥٩/ب) فشق ذلك عليه حتى رؤي في وجهه، فقام فحكّه[١] بيده. فقال: «إن أحدكم إذا قام في صلاته فإنه يناجي ربه» أو: «إن ربه بينه وبين القبلة» [1].

---

(١) في ط: فحكها.

---

(1) صحيح البخاري، كتاب الصلاة باب: حك البزاق باليد من المسجد جزء من حديث رقم (٤٠٥) وقد نقل شيخ الإسلام ابن حجر قول الإمام الخطابي في تأويل الحديث: « معناه أن توجهه إلى القبلة مفض بالقصد منه إلى ربه فصار في التقدير: كأن مقصوده بينه وبين قبلته» أهـ.

وفي أحد روايات الحديث (... فإن الله تلقاء وجهه) يقول الإمام فخر الدين ابن المعلم القرشي في كتابه (نجم المهتدي): «وقوله (فإن الله تلقاء وجهه) فإن رحمة الله أو ثواب الله قبل وجهه فلا يحسن بالأدب أن يهدي الملك العظيم إليك هدية فتقابلها بأن تتفل في مقابلتها بل يقبح ذلك.

ويؤيد هذا التأويل ما رواه الترمذي عن أبي ذر عن النبي ﷺ قال: (إذا قام أحدكم إلى الصلاة فلا يمسح الحصى فإن الرحمة تواجهه) » أ.هـ لوحة ٢٢٤. أخرج الترمذي هذا الحديث في (الصلاة) باب ما جاء في كراهية مسح الحصى في الصلاة وأخرجه أيضاً النسائي وأبو داود وابن ماجه وابن خزيمة في صحيحه وابن حبان في صحيحه وغيرهم وقال الترمذي عنه: « حديث أبي ذر حديث حسن » وحسنه أيضاً السيوطي ورواه عن أبي ذر: أبو الأحوص مولى بني ليث أو غفار ذكره الذهبي في (الرواة المتكلم فيهم بما لا يوجب الرد) وللحديث شواهد في الصحيح.

وفي بعض روايات الحديث (الحصباء) يقول العلامة الزرقاني في شرحه للموطأ ١/٣١٨ط.

«مسح الحصباء: تسوية موضع السجود لأنهم كانوا يفرشون المسجد بالحصى، وترك المسح للتواضع ولعدم الانشغال عن الصلاة. قال الحافظ زين الدين العراقي: قدم التعليل في قوله (فإن الرحمة تواجهه) زيادة في تأكيد النهي وتنبيهًا على عظم ثواب ترك العبث في الصلاة وإعلاماً للمصلي بعظم ما يواجهه فيها فكأنه يقول: لا ينبغي لعاقل يلقى تلك النعمة الخطيرة بهذه الفعلة الحقيرة » أ.هـ.

[٢-] وفيه من حديث ابن عمر(١) ﷺ أنه عليه الصلاة والسلام رأى نخامة[1] في جدار القبلة فحكه(٢)، ثم أقبل على الناس، فقال: «إِذَا كَانَ أَحَدُكُمْ يُصَلِّي فَلاَ يَبْصُقُ قِبَلَ وَجْهِهِ، فَإِنَّ اللهَ تعالى قِبَلَ وَجْهِهِ إِذَا صَلَّى[2]».

[٣-] وفي صحيح مسلم وغيره(٣) من حديث أبي هريرة ﷺ أنه عليه الصلاة والسلام رأى نخامة في القبلة[3]، فقال: «مَا بَالُ أَحَدِكُمْ يَقُومُ يَسْتَقْبِلَ(٤)[4] رَبَّهُ فَيَتَنَخَّعُ أمامَه، أيحب أحدُكم أن يُسْتَقْبَلَ فَيُتَنَخَّعَ فِي وَجْهِهِ»[5].

[٤-] وفي الصحيحين من حديث أبي موسى الأشعري ﷺ : «يا[6] أيها الناس أربعوا على أنفسكم، إنكم ليس تدعون أصم ولا غائب(٥)[7]، إنكم تدعون سميعاً قريباً، وهو معكم[8]».

---

(١) في ج: من حديث أنس.

(٢) في ط: فحكها.

(٣) في ب: وفي صحيح مسلم من حديث.

(٤) في ط: أحدكم يستقبل.

(٥) في ط: ولا غائباً.

---

(1) في صحيح البخاري «.... رأي بُصَاقاً ....» .

(2) في نفس موضع الحديث السابق صحيح البخاري حديث رقم (٤٠٦).

(3) في صحيح مسلم: «.... رأى نخامة في قبلة المسجد فأقبل على الناس...».

(4) في صحيح مسلم: «.... مُسْتَقْبِلَ رَبِّه ... » .

(5) صحيح مسلم، كتاب الصلاة- باب النهي عن البصاق في المسجد جزء من حديث رقم (١٢٠٦).

(6) بداية الحديث عند مسلم «أيها الناس ... » .

(7) عند مسلم «غائباً ... » .

(8) صحيح مسلم، كتاب الدعوات- باب استحباب خفض الصوت بالذكر جزء من حديث رقم (٦٧٣٣).

وفي رواية: «والذَّي[١] تَدْعُونَ(1) أَقْـرَبُ إِلِى أَحَدِكُـم مِـن عُنُـقِ رَاحِلَـةِ[٢] أَحَدِكُمْ»(2).

[٥-] وفي الصحيـح: «أنـا عنـد ظـن عبـدي بـي، وأنـا معـه حـين يذكرني»(3).

---

(١) في أ: والذين وهو خطأ من الناسخ.
(٢) في ط: من عنق راحلته.

---

(1) عند مسلم « .... تدعونه ... » .

(2) نفس موضع الحديث السابق برقم (٦٧٣٨)، وكذلك رواه البخاري في صحيحه في كتاب الدعوات – باب الدعاء إذا علا عقبه وكذلك في كتاب الجهاد باب ما يكره من رفع الصوت في التكبير وفي ثلاث مواضع أُخَرْ، وكذلك أخرجه أصحاب السنن.

(3) أخرج مسلم في صحيحه عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ :« يقول الله عزَّ وجلَّ: أنا عند حُسن ظنِّ عبدي بي، وأنا معه حين يذكرني إن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملإ ذكرته في ملإ هم خير منهم، وإن تقرب إليَّ شبراً تقربت إليه ذراعاً، وإن تقرب إليَّ ذراعاً تقربت إليه باعاً، وإن أتاني يمشي أتيته هرولة » كتاب الدعوات – باب الحثّ على ذكر الله تعالى. وكذلك البخاري في صحيحه كتاب التوحيد – باب ذكر النبي ﷺ وروايته عن ربه، والترمذي في سننه كتاب الدعوات – باب حسن الظن بالله يقول الإمام النووي في شرحه للحديث: هذا الحديث من أحاديث الصفات ويستحيل إرادة ظاهره، وقد سبق الكلام في أحاديث الصفات مرات. ومعناه: من تقرب إليّ بطاعتي تقربت إليه برحمتي والتوفيق والإعانة، وإن زاد زدت، فإن أتاني يمشي وأسرع في طاعتي أتيته هرولة أي صببت عليه الرحمة وسبقته بها ولم أحوجه إلى المشي الكثير في الوصول إلى المقصود والمراد أن جزاءه يكون تضعيفه على حَسَب تقربه. أ. هـ....ط دار الغد العربي.

ويقول الإمام أبو السعادات بن الأثير في (جامع الأصول) عقب إيراده للحديث: المراد بقرب العبد من الله: القرب بالذكر والعمل الصالح لا قرب الذات والمكان فإن ذلك من صفات الأجسام والله يتعالى عن ذلك ويتقدس والمراد بقرب الله من العبد: قُرب نعمه وألطافه به وبره وإحسانه إليه وفيض مواهبه عليه وترادف مننه عنده. أ.هـ.

[٦-] وحديث المريض: «أما لوعدته لوجدتني عنده[1]».
[٧-] وقال تعالى: ﴿وناديْناه مِنْ جَانِبِ الطُور الأَيْمَنِ﴾ [2].
[٨-] وقال تعالى(١): ﴿نودي من شاطئ الوادي الأيمن في البقعة المباركة من الشجرة أن أيا موسى إني أنا الله رب العالمين[3]﴾.

(١) في ج: وقوله تعالى.

(1) أخرج مسلم في صحيحه عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «إنَّ الله عزَّ وجلَّ يقول يوم القيامة: يا ابن آدم مرضتُ فلم تَعدني. قال: يا رب كيف أعودك وأنت رب العالمين؟ قال: أما علمت أنَّ عبدي فلاناً مرض فلم تعده؟ أما علمت أنك لو عدته لوجدتني عنده؟ يا ابن آدم استطعمتك فلم تطعمني. قال: يا رب وكيف أطعمك وأنت رب العالمين؟ قال أما علمت أنه استطعمك عبدي فلان فلم تطعمه؟ أما علمت أنك لو أطعمته لوجدت ذلك عندي؟ يا ابن آدم استسقيتك فلم تسقني. قال: يا رب كيف أسقيك وأنت رب العالمين؟ قال: استسقاك عبدي فلان تسقه أما أنك لو سقيته وجدت ذلك عندي» كتاب الأدب- باب فضل عيادة المريض. يقول الإمام النووي في شرحه للحديث: قال العلماء إنما أضاف المرض إليه سبحانه وتعالى والمراد العبد تشريفاً للعبد وتقريباً له، قالوا: ومعنى (وجدتني عنده) أي وجدت ثوابي وكرامتي، ويدل عليه قوله تعالى في تمام الحديث (لو أطعمته لوجدت ذلك عندي، لو سقيته لوجدت ذلك عندي). ويستفاد من هذا الحديث عدة فوائد جليلة:
الأولى: أنه إثبات قاطع لظاهرة **التبادر**، وهو أن يسبق إلى الفهم معنى اللفظ المعهود في الذهن بمجرد سماع ذلك اللفظ خاليا عن القرائن. وهذا المعنى هو ما يطلق عليه علماء البلاغة (حقيقة) وأي معنى سواه دلت عليه **القرينة** فهو (مجاز). فقد سبق إلى فهم العبد من الكلام ظاهره المستحيل على الله، لذا فقد سأل ربَّه مضمنا سؤاله القرينة الدالة على التنزيه والنافية لهذا المعنى الحقيقي المتبادر إلى ذهنه (كيف أعودك وأنت ربُّ العالمين؟)، (كيف أطعمك وأنت ربُّ العالمين؟)، (كيف أسقيك وأنت رب العالمين؟).
الثانية: أن قرينة التنزيه معلومة لكل أحد في الآخرة بعد كشف الحجب، أما في الدنيا فقد تغيب قليلا عن بعض المؤمنين وخاصة العوام.
الثالثة: أن الله سبحانه قد علمنا التأويل حين أجاب على أسئلة العبد (أما علمت أن عبدي...) وأرشدنا إلى كيفيته للوصول إلى المعنى المقصود في النص، وإنما تتفاوت أقدار العلماء الربانيين في ملاحظة القرائن التي تقود إلى المعنى المراد.
انظر كتاب (نجم المهتدي) للإمام ابن المعلم القرشي، باب (أدلة التأويل من جهة النقل).
(2) الآية ٥٢، من سورة مريم.
(3) الآية ٣٠ من سورة القصص.

[٩-] وقال تعالى (٦٠/أ) ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللهِ[1]﴾.

[١٠-] وفي الترمذي في حديث العنان، وفيه ذكر الأرضين السبع وأن بين كل أرض كما بين السماء والأرض، ثم قال عليه الصلاة والسلام: «والَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ دُلِّي أَحَدُكُمْ بِحَبْلٍ لَوَقَعَ عَلَى اللهِ سُبْحَانَه وَتَعَالَى[2]» .

---

(1) الآية ١١٥ من سورة البقرة.

(2) نص الحديث عند الترمذي: « .... والذي نفس محمد بيده لو أنكم دليتم بحبل إلى الأرض السفلي لهبط على الله » ثم قرأ: ﴿ هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم ﴾ [الحديد:٣] وقد رواه أيضاً عن الحسن عن أبي هريرة أحمد في مسنده والطبراني في معجمه والبيهقي في (الأسماء والصفات).

انظر سنن الترمذي كتاب (التفسير) باب (ومن سورة الحديد) من حديث قتادة قال: حدث الحسن -يعني البصري- عن أبي هريرة، وقال الترمذي: هذا حديث غريب من هذا الوجه، قال: ويروي عن أيوب ويونس بن عبيد وعلى بن زيد قالوا: لم يسمع الحسن من أبي هريرة.

قلت الصحيح أنه سمع من أبي هريرة وأشار إليه ضمنا الإمام البخاري في تاريخه وأكده الحافظ ابن حجر في التهذيب في ترجمة الحسن، وفي فتح الباري ٣٥٤/٩ط. السلفية وصرح الحسن نفسه بسماعه من أبي هريرة وروى بلفظ حدثنا مرات عديدة أحصى منها الشيخ أحمد شاكر ستة مواضع ذكرها في بحث قيم أثبت فيه سماع الحسن من أبي هريرة بلا شك أو ريب انظره في تخريجه لأحاديث المسند ج١٢ ص ١٠٧- ١١٨ عند تخريجه للحديث رقم (٧١٣٨)، وأكد ذلك أيضاً العلامة المحدث السيد عبد الله الغماري في تعليقه على (المقاصد الحسنة) للسخاوي فقال: « بل سمع منه كما صرح به الحسن نفسه في أحاديث بأسانيد جياد منها حديث في فضل سورة الدخان » أ هـ ص ٣٤٥ وهذا الحديث رجاله ثقات وإذ قد ثبت سماع الحسن من أبي هريرة فإسناد الحديث قوي صالح للاحتجاج، وعلى سبيل التنزل لو سلمنا أن الحسن لم يسمع من أبي هريرة فقد روى البيهقي في الأسماء والصفات رواية أخرى متابعة عن أبي ذر -بسند فيه انقطاع- قال: قال رسول الله ﷺ: «ما بين الأرض إلى السماء مسيرة خمسمائة سنة وغلظ السماء الدنيا مسيرة خمسمائة سنة وما بين=

ومثل هذه الأدلة كثير، وكلها قاضية بالكون السفلي دون العلوي[1].

= كل سماء إلى السماء التي تليها مسيرة خمسمائة سنة، والأرضين مثل ذلك. وما بين السماء السابعة إلى العرش مثل جميع ذلك ولو حفرتم لصاحبكم ثم دليتموه لوجدتم الله عز وجل» .

فالحديث بمجموع طرقه ثابت فهو حسن لغيره على أقل تقدير.

يقول الإمام البيهقي في (الأسماء والصفات) بعد ذكره لحديث أبي هريرة: «والذي روى في آخر هذا الحديث إشارة إلى نفي المكان عن الله تعالى وأن العبد أينما كان فهو في القرب والبعد من الله تعالى سواء، وأنه الظاهر فيصح إدراكه بالأدلة، الباطن فلا يصح إدراكه بالكون في مكان. واستدل بعض أصحابنا في نفي المكان عنه بقول النبي ﷺ : «أنت الظاهر فليس فوقك شيء وأنت الباطن فليس دونك شيء)، وإذا لم يكن فوقه شيء ولا دونه شيء لم يكن في مكان» أ هـ.

ص ٤٠٠.ط. الكردي.

ويقول الإمام أبو بكر بن العربي في العارضة: «والمقصود من الخبر أن نسبة الباري من الجهات إلى فوق كنسبته إلى تحت، إذ لا ينسب إلى الكون في واحدة منها بذاته» أ. هـ.

(1) [**ومن الأدلة أيضاً غير ما ذكره المؤلف**]:

١- قوله تعالى: ﴿إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون ﴾ (النحل: ١٢٨).

٢- قوله تعالى: ﴿... وإن الله لمع المحسنين ﴾ (العنكبوت: ٦٩).

٣- قوله تعالى: ﴿... وهو معكم أينما كنتم ﴾ (الحديد: ٤).

٤- قوله تعالى: ﴿ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ولا خمسة إلا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم أين ما كانوا... ﴾ (المجادلة: ٧).

٥- قوله تعالى: ﴿وإذا سألك عبادي عني فإني قريب ﴾ (البقرة: ١٨٦).

٦- قوله تعالى: ﴿ونحن أقرب إليه من حبل الوريد ﴾ (ق: ١٦).

٧- قوله تعالى: ﴿ونحن أقرب إليه منكم ولكن لا تبصرون ﴾ (الواقعة: ٨٥).

٨- قوله تعالى: ﴿... واسجد واقترب ﴾ (العلق: ١٩).

٩- الحديث القدسي الشريف: «أنا جليس من ذكرني» .

١٠- الحديث الشريف: «قلوب العباد بين أصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف شاء» .

قلت: وهذه القلوب في الأرض بغير شك.

١١- الحديث الشريف: «أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد» .

١٢- الحديث الشريف: « احفظ الله تجده تجاهك ... » . =

= فهذه اثنا عشر نصا بالإضافة إلى النصوص العشرة التي ساقها المؤلف ﷺ -ويوجد غيرها- وكلها قاضية بكون الله في الأرض حتى أن الآية الكريمة « هو الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش، يعلم ما يلج في الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وهو معكم أينما كنتم والله بما تعملون بصير » (الحديد: ٤). ذكرت أن الله سبحانه استوى على العرش ثم نصت على أنه معنا أينما كنا في نفس الآية.

كيف نتعامل مع النصوص؟

(أ) **المسلك الأول**: الأخذ بظواهر النصوص ويلزمنا حينئذ إما الترجيح بين أدلة الكون السفلي وأدلة الكون العلوي أو الجمع بينها.

أولا: الترجيح بين الأدلة: وبالنظر إلى أن النصوص الدالة على الكون السفلي أكثر من النصوص الأخرى فيكون الله سبحانه موجوداً في الأرض بذاته – تعالى عن ذلك – وهذا لا نقول به لمنافاته للتنزيه.

ثانياً: الجمع بين النصوص الدالة على الكون العلوي والسفلي: فيكون الله سبحانه موجوداً بذاته في كل مكان – في أرضنا والأرض السابعة وفي السماء وفوق العرش ... – كظواهر الآيات: ﴿وهو الله في السموات وفي الأرض﴾ (الأنعام:٣)، ﴿ وهو الذي في السماء إله وفي الأرض إله ﴾ (الزخرف: ٨٤)، ﴿ ... ألا إنه بكل شيء محيط ﴾ (فصلت: ٥٤) وهذا أيضاً لا نقول به لمنافاته للتنزيه.

(ب) **المسلك الثاني: التنزيه وهو مذهب أهل الحق:**

وهو أن الله سبحانه منزه عن المكان والحدود والتحيز وما إلى ذلك فهو سبحانه كان موجوداً وليس ثمة عرش ولا سماء ولا أرض – قال عليه السلام: «**كان الله ولا شيء غيره**» أخرجه البخاري – ولم تحدث له سبحانه صفة بعد خلقها، وهو الآن على ما عليه كان.

وإذا كانت النصوص الدالة على الكون السفلي مصروفة عن ظاهرها بقرينة تنزيه الله وتعظيمه وتفسر المعية أو الأقربية المذكورة في النصوص بمعية العلم أو النصرة والتأييد وكذلك الأقربية وغيرها حسب القرائن الواردة في نفس النصوص، فكذلك النصوص الواردة في الكون العلوي: (في السماء) أو (على العرش) مصروفة والتقدير بالقرائن الواردة في نفس النصوص.

يقول الإمام شهاب الدين بن جهبل في رده على (الفتوى الحموية) لابن تيميه عن استدلال ابن تيمية بقوله تعالى: ﴿يخافون ربهم من فوقهم﴾ : «الفوقية ترد لمعنيين:

أحدهما: نسبة جسم إلى جسم، بأن يكون أحدهما أعلى والآخر أسفل. بمعنى أن أسفل =

= الأعلى من جانب رأس الأسفل. وهذا لا يقول به من لا يجسم. [و] بتقدير أن يكون هو المراد وأنه تعالى ليس بجسم فلم لا يجوز أن يكون (من فوقهم) صلة لـ (يخافون) ويكون تقدير الكلام: يخافون من فوقهم ربَّهم. أي أن الخوف من جهة العلو وأن العذاب يأتي من تلك الجهة.

وثانيهما: بمعنى المرتبة، كما يقال (الخليفة فوق السلطان) و(السلطان فوق الأمير) وكما يقال جلس فلان فوق فلان، والعلم فوق العمل، والصياغة فوق الدباغة. وقد وقع ذلك في قوله تعالى حيث قال: ﴿ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات﴾ (الزخرف: ٣) ولم يطلع أحدهم على أكتاف الآخر، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وإنا فوقهم قاهرون﴾ (الأعراف: ١٢٧) وما ركبت القبط أكتاف بني إسرائيل ولا ظهورهم أ. هـ (الحقائق الجلية) ص ٥٤. قلت: ووقع ذلك أيضاً في قوله تعالى مخاطباً المؤمنين: ﴿فلا تهنوا وتدعوا إلى السلم وأنتم الأعلون والله معكم ... ﴾ (الآية ٣٥، من سورة محمد).

يقول الإمام الكوثري في تعليقه على (السيف الصقيل): تعقيبا على حديث الجارية:«وأما عدم صحة الاحتجاج به في إثبات المكان له تعالى فللبراهين القائمة في تنزه الله سبحانه عن المكان والمكانيات والزمان والزمانيات. قال الله تعالى: ﴿ قل لمن ما في السموات والأرض قل لله﴾ (الأنعام: ١٢) وهذا مشعر بأن المكان وكل ما فيه ملك لله تعالى. وقال تعالى: ﴿وله ما سكن في الليل والنهار﴾ (الأنعام : ١٣) وذلك يدل على أن الزمان وكل ما فيه ملك لله تعالى.

فهاتان الآيتان تدلان على أن المكان والمكانيات والزمان والزمانيات كلها ملك لله تعالى، وذلك يدل على تنزيهه سبحانه عن المكان والزمان كما في (أساس التقديس) للفخر الرازي أ. هـ ص ١٠٧ط. زهران.

وقد استنبط إمام الحرمين عبد الملك الجويني تنزه الله سبحانه عن الجهة من نهيه ﷺ عن تفضيله على يونس بن متى عليه السلام، ولفظ البخاري (لا يقولن أحدكم إني خير من يونس بن متى). يقول الإمام الجويني: « إن هذا الحديث يدل على أن النبي ﷺ وهو عند سدرة المنتهي لم يكن بأقرب إلى الله من يونس عليه السلام وهو في بطن الحوت في قعر البحر، فدل ذلك على أنه تعالى منزه عن الجهات وإلا لما صح النهي عن التفضيل » أ. هـ انظر السيف الصقيل ص ٤٠ ط. زهران وتابعه على ذلك الفهم واستحسنه الكثير من أئمة أهل الحق منهم القاضي ابن العربي والقاضي عياض والقرطبي والسبكي والكوثري.

[فصل في معانى الاستواء والكلام عن المكان]

واعلم أن الاستواء في اللغة على وجوه، وأصله افتعال من السوي[١]، ومعناه – أي الاستواء[١] – العدل والوسط.

وله وجوه في الاستعمال:

[١-] منها الاعتدال[1] :

قال بعض بني تميم استوى ظالم العشيرة والمظلوم أي اعتدلا.

[٢-] ومنها إتمام الشيء: ومنه قوله تعالى: ﴿ولما بلغ أشده واستوى﴾[2].

---

(١) في ط: السواء.

---

(1) ويكون معنى الاستواء في الآية الكريمة ﴿الرحمن على العرش استوى﴾ طه : ٥ استوى العرش – الذي هو أعظم المخلوقات –وغيره بالنسبة لعلو الله وعظمته وقدرته.

ويكون معنى ﴿على العرش﴾ أي فوق العرش بقهره كما قال ﴿وهو القاهر فوق عباده﴾ الأنعام: ١٨،وقال ﴿وإنا فوقهم قاهرون﴾ الأعراف: ١٢٧.

وتأويل الاستواء هنا بالاعتدال وإن كان جيداً– كما يقول ابن المعلم– فهو بالنسبة إلى آية طه فقط، وأما في الآيات الستة الأخرى والتي فيها ﴿ثم استوى على العرش﴾ فلا يليق لما يؤدي إليه من ركاكة المعنى، وما روى عن ابن عباس في تفسير الآية ﴿ثم استوى على العرش﴾ : «استوى عنده الخلائق القريب والبعيد وصاروا عنده سواء» فلا يصح عنه لشدة ضعف سنده كما أوضحه الإمام البيهقي في (الأسماء والصفات) فذكره ضمن تأويلات أخرى ضعيفة ثم قال: «وفيه أيضاً ركاكة ومثله لا يليق بقول ابن عباس ﷺ عنهما، إذا كان الاستواء بمعنى استواء الخلائق عنده فإيش المعنى في قوله ﴿على العرش﴾ ؟ أ.هـ. انظر المحكم والمتشابه ص ٧٥٨-٧٥٩، نجم المهتدي ٥٣٠ (مخطوط).

(2) جزء من الآية ١٤، من سورة القصص ويكون معنى قوله تعالى ﴿على العرش استوى﴾: استتم خَلْقه بالعرش فلم يخلق خارج العرش شيئاً وجميع ما خلق ويخلق دنيا وأخرى لا يخرج عن دائرة العرش لأنه حاوٍ لجميع الكائنات ومع ذلك فلا يزن في مقدوراته تعالى ذرة فأنَّي يكون مستَقَراً؟! قال تعالى ﴿ولما بلغ أشده واستوى﴾ وقال ﴿ كزرع أخرج شطئه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه ﴾ الفتح: ٢٩ أي استتم ذلك الزرع وقوى. =

[٣-] ومنها القصد إلى الشيء: ومنه قوله تعالى: ﴿ثم استوى إلى السماء﴾ أي قصد خلقها[1].

= فعلى هذا التقدير يكون فاعل (استوى) ضميراً عائداً على المصدر المفهوم من لفظ (خلق) في أول كل آية من الآيات الست أما الآية السابعة ﴿الله الذي رفع السماوات بغير عمد ترونها ثم استوى على العرش﴾ الرعد٢ فيعود الضمير على مصدر (رفع).

وهذا جائز لغة قال تعالى ﴿.... على أن لا تعدلوا، اعدلوا هو أقرب للتقوى﴾ (الآية٨ من سورة المائدة) فالضمير ﴿هو﴾ يعود على العدل المفهوم من فعل الأمر ﴿اعدلوا﴾ .

و ﴿على﴾ بمعنى الباء في قوله ﴿على العرش﴾ فيكون المعنى: استتم واستكمل الخلق بالعرش فلم يخلق شيئاً فوق العرش وإتيان ﴿على﴾ بمعنى (الباء) وارد في كتاب الله قال تعالى ﴿حقيق على أن لا أقول على الله إلا الحق﴾ الأعراف: ١٠٥ فقوله ﴿على أن﴾ هنا معناه ﴿بأن﴾ وقد قرئ في بعض القراءات ﴿حقيق بي﴾ ذكر هذا التأويل الإمام أبو طاهر القزويني ونقله عنه العلامة محمد الخضر الشنقيطي في (استحالة المعية بالذات) ٣٦٠-٣٦٣ وقال عنه أنه من أحسن التأويلات ومخرج من كل شبهة واردة في الآية. ونقله وارتضاه أيضاً الإمام الحافظ ابن حجر العسقلاني في (فتح الباري) واختاره وارتضاه دون سواه ابن حزم رحمه الله في كتابه (الفصل) وهو التأويل الخامس الذي ذكره الدكتور إبراهيم عبد الرحمن في (المحكم والمتشابه) ص ٧٤٩-٧٥١ وهو التأويل الثاني عند ابن المعلم القرشي في (نجم المهتدي) ورقة ٥٢٨ بالمخطوط.

(1) الآية ١١، من سورة فصلت.

ويكون المعنى كما بينه الإمام أبو نصر عبد الرحيم القشيري: «ثم استوى على العرش) : «أقبل على خلقه وقصد إليه» وأشار إليه من قبله الأستاذ أبو إسحاق الإسفراييني وانظر نجم المهتدي ورقة ٥٢٩، ٥٣٠ حيث يقول ابن المعلم القرشي بعد ذكره هذا التأويل العاشر عنده: «قلت يدل على تأويله الاستواء بالقصد قول الشاعر:

ثم استويتم لنا ترمون أنكبنا   بغيا وفي البغي إن لم ينتهوا النكل أهـ

قال الإمام الزركشي في (البرهان في علوم القرآن): «قال الأستاذ: والصواب ما قاله الفراء والأشعري وجماعة من أهل المعاني أن معنى قوله (استوى) أقبل على خلق العرش وعمد إلى خلقه فسماه استواء كقوله ﴿ثم استوى إلى السماء وهي دخان﴾ أي قصد وعمد إلى خلق السماء، فكذا هاهنا قال: وهذا القول مرضى عند العلماء ليس فيه تعطيل ولا تشبيه» . =

[٤-] ومنها الاستيلاء على الشيء [1]:

= رجح الأستاذ الدكتور إبراهيم عبد الرحمن أن الأستاذ المشار إليه في النقل السابق هو إسماعيل الضرير المفسر المقريء المحدث. وهذا التأويل هو السادس في (المحكم والمتشابه) ثم نقل العلامة الدكتور إبراهيم عبد الرحمن تضعيف بعض العلماء لهذا التأويل بقولهم «وهو بعيد إذ ذلك تعدي بـ (إلى) كالقصد دون (على) كالاستيلاء» .

ورد عليهم بقوله: «ولكنك خبير بأن الفراء رحمه الله قد أفاد فيما مر أن الاستواء بمعنى الإقبال بالقصد كهو- يشير إلى المعنى الآخر: الاستيلاء -كلاهما يتعدي بـ(على) تعديه بـ (إلى) فهذا التضعيف إذن هو الضعيف» أهـ.

قلت: قد ذكر العلامة الخضر الشنقيطي أيضاً أن (على) تأتي بمعني (الباء) وبمعنى (إلى) ثم قال: «وحروف الجر وتعاقبها في كلام العرب غير محصور» أهـ استحالة المعية بالذات ص ٣٦٣.

(1) قال صاحب (المواقف) رحمه الله في تفسير الاستواء في الآية الكريمة ﴿الرحمن على العرش استوى﴾ : «اختلف الأصحاب فيه، فقال الأكثرون هو (الاستيلاء) ويعود إلى القدرة. قال الشاعر:

قد استوى عمرو على العراق ... من غير سيف ودم مهراق

أي استولى. وقال الآخر:

فلما علونا واستوينا عليهم ... تركناهم صرعي لنسر وطائر

أي: استولينا » .

ثم ذكر اعتراضين على هذا التفسير وأجاب عنهما بما حاصله: **الاعتراض الأول**: الاستيلاء يشعر بالاضطراب والمقاومة والمغالبة من جانب ما تم الاستيلاء عليه وهذا مستحيل في حقه تعالى فلا شيء يمكن أن يقاومه أو يغالبه تعالى.

والإجابة عليه: أنا لا نسلم أن الاستيلاء يشعر بذلك ألا ترى أنه لفظ (الغالب) في قوله تعالى ﴿ والله غالب على أمره ﴾ ٢١: يوسف لم يشعر بهذه المعاني لما سبق تنبيه السامع إلى أن قدرته تعالى خارج نطاق التنظير أو المقارنة بقدرات أي شيء سواه.

الاعتراض الثاني: ما فائدة تخصيص العرش مع أن استيلاءه يعم الكل؟ والإجابة عليه: الفائدة هي الإشعار بالأعلى على الأدنى، إذ مقرر في الأوهام أن العرش أعظم الخلق فإذا استولى عليه كان مستوليا على غيره قطعاً. انظر (شرح المواقف) للسيد الشريف الجرحاني الموقف الخامس الإلهيات ص ١٧٣ ط. مكتبة الأزهر.

ومنه قول الشاعر:

ثم استوى بشر على العراق[١]. ------------------

وقال آخر:

إذا ما غزا قوماً أبــاح حريمهــم وأضحى على ما كدَّه فقد استوى[٢]

---

(١) في ج: قد بدلاً من ثم.وفي ط: تكملة وهي: من غير سيف ودم مهراق.
(٢) في ط: وأضحى على ما ملكوه قد استوى.

= فالاستواء مجاز عن الاستيلاء لكن لفظ (استوى) أعذب وأخصر من لفظ استولى . يقول الإمام تقي الدين السبكي في (السيف الصقيل): »والمراد بالاستواء: كمال الملك هو مراد القائلين بالاستيلاء، ولفظ الاستيلاء قاصر عن تأدية هذا المعنى. فالاستواء في اللغة له معنيان، أحدهما: استيلاء بحق وكمال، فيفيد ثلاثة معان، ولفظ الاستيلاء لا يفيد إلا معنى واحداً.

فإذا قال المتكلم في تفسير الاستواء: الاستيلاء، فمراده المعاني الثلاثة وهو أمر يمكن في حق الله سبحانه وتعالى فالمقدم على هذا التأويل لم يرتكب محذوراً ولا وصف الله تعالى بما لا يجوز عليه، والمفوض المنزه لا يقدم على التفسير بذلك لاحتمال أن يكون المراد خلافه وقصور أفهامنا عن وصف الحق سبحانه وتعالى مع تنزيهه عن صفات الأجسام قطعاً أ.هـ ص ٨٦-٨٧.

يقول العلامة الدكتور إبراهيم عبد الرحمن في (المحكم والمتشابة) ص٧٤٣ الاستيلاء على العرش كناية عن هيمنة الله على جميع ملكه بالكلية عرشاً وفرشا. قال صاحب الكشاف رحمه الله (العرش سرير الملك والاستيلاء عليه كناية عن الملك لأنه من توابع الملك وروادفه، فإنه يقال: استوى فلان على العرش قصداً للإخبار عنه بأنه ملك وإن لم يقعد على العرش ألبته والتعبير عن -الشيء بطريق الكناية أبلغ وأوقع من الإيضاح بذكره لأنك مع الكناية كمدعي الشيء بالبينة) أهـ.

ويقول الفخر الرازي رحمه الله في (أساس التقديس) ص ١٥٤-١٥٥: « ما قبل آية (طه) وما بعدها مذكور لبيان كمال قدرة الله تعالى وغاية عظمته في الإلهية وكمال التصرف، لأن قوله ﴿تنزيلا ممن خلق الأرض والسماوات العلى﴾ لاشك أن المفهوم منه بيان كمال قدرة الله تعالى وكمال إلهيته، وقوله ﴿له ما في السماوات وما في الأرض وما بينهما وما تحت الثرى﴾ بيان أيضاً لكمال ملكه وإلهيته. وإذا كان الأمر كذلك وجب أن يكون قوله ﴿الرحمن على العرش استوى﴾ كذلك، وإلا لزم أن يكون ذلك كلاما أجنبيا عما قبله وعما بعده وذلك غير جائز. فأما إذا حملناه على كمال استيلائه على العرش الذي هو أعظم المخلوقات والموجودات المحدثة كان ذلك موافقاً لما قبل هذه الآية ولما بعدها فكان هذا الوجه أولى » أ.هـ.

[٥-] ومنها بمعنى استقر[1]: ومنه قوله تعالى: ﴿واستوت على الجودي[2]﴾ وهذه صفة المخلوق الحادث، كقوله تعالى: ﴿وجعل لكم من الفلك والأنعام ما تركبون لتستووا على ظهوره﴾[3] وهو نَزَّه نفسه تعالى[1] عن ذلك في

---

(١) في ط: سبحانه.

---

(1) وهو المعنى الحقيقي المتبادر من لفظ (الاستواء) في اللغة وبقية المعاني المذكوة لهذا اللفظ هي صور بلاغية مقتبسة من هذا المعنى الحقيقي يقول الإمام تقي الدين السبكي في السيف الصقيل: «والمعنى الثلي للاستواء في اللغة (الجلوس والقعود) ومعناه مفهوم من صفات الأجسام لا يعقل منه في اللغة غير ذلك والله منزه عنها، ومن أطلق القعود وقال إنه لم يرد صفات الأجسام قال شيئاً لم تشهد به اللغة فيكون باطلا، وهو كالمقر بالتجسيم المنكر له فيؤاخذ بإقراره ولا يفيد إنكاره.

واعلم أن الله تعالى كامل الملك أزلا وأبداً ولكن العرش وما تحته حادث فان، وقوله ﴿ثم استوى عل العرش﴾ لحدوث العرش لا لحدوث الاستواء» أ.هـ. ص ٨٧.

وقد ورد تفسير (الاستواء) بـ (الاستقرار والجلوس) في خبر موضوع على ابن عباس رواه الإمام البيهقي في (الأسماء والصفات). عن محمد بن مروان عن الكلبي عن أبي صالح- وهذه سلسلة الكذب- عن ابن عباس رضي الله عنهما: «ثم استوى على العرش» يقول: (استقر على العرش) ويقال (امتلأ به) ويقال (قائم على العرش) وهو السرير)» أ.هـ ثم بيَّن الإمام البيهقي بطلان هذا الخبر يقول المفسر النيسابوري رحمه الله في تفسير الآية [٥٤] من سورة الأعراف إن قوله تعالى: «إن ربكم الله الذي خلق السماوات والأرض» تدل على قدرته وحكمته، وكذا قوله تعالى ﴿يغشي الليل والنهار﴾ الآية فلو كان المراد من (الاستواء) هو (الاستقرار) كان أجنبيا عما قبله وعما بعده لأنه ليس من صفلت المدح، إذ لو استقر عليه بق وبعوض صدق عليه أنه استقر على العرش. فإذن المراد بالاستواء كمال قدرته في تدبير الملك والملكوت حتى تصير هذه الكلمة مناسبة لما قبلها ولما بعدها أ.هـ من تفسيره (١٠٧/٨) والغريب أن هذا المعنى الباطل-الاستقرار والجلوس- الذي لا يليق بعظمة الذات الإلهية هو المعنى الوحيد الذي ارتضاه ابن تيمية ورفض جميع المعاني الأخرى التي لا تتعارض مع التنزيه مختلقا ذرائع أوهى من خيوط العنكبوت فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم. انظر كلامه في (تفسير سورة الإخلاص) ص٢٣٠-٢٣٥ط. السلفية بالهند.

(2) الآية رقم ٤٤ من سورة هود .

(3) الآية رقم ١٣ من سورة الزخرف .

كتابه العزيز في غير ما موضع (٦٠/ب) وقطع المادة في ذلك أن المسألة علمية(١)، وكفى الله المؤمنين القتال والجدال [1]

(١) في ب: أن المثلية عليه لا تجوز.

---

(1) ويبقى هناك العديد من التأويلات القوية للاستواء على العرش الموافقة للتنزيه ولتعظيم الله سبحانه والمطابقة في نفس الوقت لسياق الآيات الوارد فيها الاستواء ولقواعد اللغة نختار منها أربعة:

التأويل الأول:

يقول د. إبراهيم عبد الرحمن: «يحمل كل تركيب أضيفت فيه هذه المادة إليه تعالى – يقصد الإضافة المعنوية– على الاستعارة التمثيلية، بأن يشبه شأنه تعالى في تدبيره لأمر ملكه ونفاذ سلطانه على كافة خلقه بحال الملك العظيم المستوى على عرش مملكته النافذ السلطان على من فيها، ولله المثل الأعلى وهو العزيز الحكيم» أ.هـ.

وهذا هو أقوى التأويلات كما ذكر فضيلته وكذلك العلامة الشيخ زاهد الكوثري في تعليقه على كتابي (الأسماء والصفات) ص ٢٢٥، و(الاختلاف في اللفظ) ص٤١ وكذلك الإمام (سلامة العزامي) في (البراهين الساطعة) ص ٢٥٥:٢٤٩.

والاستعارة التمثيلية – كما يقول علماء البيان– «تركيب استعمل في غير ما وضع له لعلاقة المشابهة مع قرينة مانعة من إرادة معناه الأصلي» وهل هناك قرينة أقوى من تنزيه الله سبحانه عن الجسمية ولوازمها؟

ومن أمثلة الاستعارة التمثيلية ما يقال لمن يأتي بالقول الفصل: (قطعت جهيزة قول كل خطيب) من غير أن يكون هناك جهيزة ولا خطيب وإنما هو تشبيه حال بحال، أو كقول أحدهم لمن رآه يعزم على الأمر مرة ويعدل من عزمه أخرى (مالي أراك تقدم رجْلا وتؤخر أخرى؟) ولا رجْل هناك ولا تقديم لها ولا تأخير وإنما هو معنى الإقدام والإحجام أورده في هذه الصورة الحسية يقول الإمام سلامة العزامي: «وكان مما سبق قبل نزول القرآن أن من روادف الملك الجلوس على السرير والاستواء علي عرش المملكة ثم شاع التجوز بهذا التركيب عن تولى المملكة والقيام بالتصرف فيها حتى صار يقال: استوى على عرش المملكة الفلانية، إذا تولى ملكها. ويقال: ثل عرشه، إذا زال عنه الملك . وكثر ذلك حتى أصبح لا يكاد يلتفت الذهن إلى المعنى الأصلي =

= الأولى المنقول منه، فإذا سمع العربي:

(استوى فلان على عرش العراق أو على عرش مصر) لم يخطر بباله قعود على عرش ولا جلوس على سرير بل يسبق فهمه إلى المعنى المراد بهذا التركيب.... إلى أن قال: « وكان مما شاع بينهم – يقصد العرب– الشرك على أنواع متنوعة وأشكال مختلفة، بل الشرك كان شائعاً بين أصناف البشر كلها، وكان منهم الإشراك به تعالى في الخالقية فيقولون بخالقين أو أكثر، ومنهم من يشرك به في الملك فيقولون إن له ملك السماوات، وأما الأرض ففيها معه شركاء يتصرفون في الملك.

فهدم الله هذا وهذا فقال: (إن ربكم الله الذي خلق السماوات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش...) الأعراف (٥٣) فبين بالجملة الأولى: أنه الواحد في خلق العوالم كلها لا خالق معه ولا شريك له في الخلق، ثم بين بالجملة الثانية: أنه المنفرد بالملك لا شريك له في ملكه لا في العوالم العليا ولا في العوالم السفلى. ولذلك ختم الآية بهذه الجملة الشريفة الآتية في أروع أسلوب وأعذب بيان وهي قوله تعالى ﴿ألا له الخلق والأمر﴾ مقدما الخبر لإفادة الحصر،والمعنى [أن الخلق له لا لسواه] وهو إجمال الجملة الأولى، و [أن الأمر له لا لغيره] وهو معنى الجملة الثانية، والأمر من لوازم الملك كما لا يخفي.

فحاصل الكلام أن ربكم هو الخالق لا خالق سواه وهو المَلِك المتفرد بالمُلْك لا مَلِك سواه، وظاهر أن المُلْك الذي هو التصرف من المَلِك كما يشاء في الأشياء الموجودة إنما هو بعد إيجادها على ما شاء لها من أقدار وأشكال وصفات ولهذا أتي بـ (ثم)» أ.هـ المقصود منه يشير الإمام بذلك إلى تأخر الاستواء عن خلق السماوات والأرض، انظر البراهين الساطعة ٢٥١-٢٥٣.

التأويل الثاني:

العرش كناية عن نفس المُلْك، يقال (ثل عرشه) أي: انتقض ملكه وفسد، وإذا استقام له ملكه واطرد أمره وحكمه قالوا: (استوى على عرشه واستقر على سرير ملكه)، ذكر ذلك الإمام القفال يقول الإمام الرازي في تفسيره لآية الأعراف: «ونظيره قولهم للرجل الطويل: (فلان طويل النجاد)، وللرجل الذي يكثر الضيافة (كثير الرماد)، وللرجل الشيخ (فلان اشتعل رأسه شيباً) وليس المراد في شيء من هذه الألفاظ إجراءها على ظواهرها إنما المراد منها تعريف المقصود على سبيل الكناية، فكذا ههنا يذكر الاستواء على العرش والمراد نفاذ القدرة وجريان المشيئة. =

= وقد نقل الفخر الرازي عن الإمام القفال شرحاً وافيا لذلك التأويل ومنه: «... إنه تعالى أخبر أنه خلق السماوات والأرض كما أراد وشاء من غير منازع ولا مدافِع ثم أخبر بعده أنه استوى على العرش أي حصل له تدبير المخلوقات على ما شاء وأراد فكان قوله .﴿ ثم استوى على العرش﴾ أي بعد أن خلقها استوى على عرش الملك والجلال... » والدليل على أن هذا هو المراد قوله في سورة يونس ﴿إن ربكم الله الذي خلق السماوات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش يدبر الأمر ﴾ [آية٣] فقوله (يدبر الأمر) جرى مجرى التفسير لقوله (استوى على العرش).... أ.هـ المقصود منه انظر مفاتيح الغيب تفسير الآية ٥٣ من سورة الأعراف، وانظر كذلك (المحكم والمتشابه) ٢/٧٤٦-٧٤٧ للدكتور إبراهيم عبد الرحمن.

قلت: ولا يرد على هذا ما ذهب إليه بعض علماء اللغة من أن الكناية تستعمل في المعنى الثاني لكن مع جواز إرادة المعنى الأول ولو في محل آخر وباستعمال آخر بخلاف المجاز يقول الإمام العلامة سعد الدين التفتازاني: « ... وأما عند علماء البيان فلأن الكناية لفظ قصد بمعناه معنى ثانٍ ملزوم له أتى لفظ استعمل في معناه الموضوع له لكن لا ليتعلق به الإثبات والنفي ويرجع إليه الصدق والكذب، بل لينقل منه إلى ملزومه فيكون هو مناط الإثبات والنفي ومرجع الصدق والكذب، كما يقال (فلان طويل النجاد) قصدًا بطول النجاد إلى طول القامة فيصح الكلام وإن لم يكن له نجاد قط، بل وإن استحال المعنى الحقيقي كما في قوله تعالى: ﴿ والسماوات مطويات بيمينه﴾ [الزمر: ٦٧] وقوله تعالى ﴿ الرحمن على العرش استوى ﴾ [طه: ٥] وأمثال ذلك، فإن هذه كلها كنايات عند المحققين من غير لزوم كذب لأن استعمال اللفظ في معناه الحقيقي وطلب دلالته عليه إنما هو لقصد الانتقال منه إلى ملزومه » أ.هـ. انظر (شرح التلويح على التوضيح) له ج١ ص١٣١ ط. دار الكتب العلمية.

التأويل الثالث:

يقول د. إبراهيم عبد الرحمن: أن يكون من الاعتدال بمعنى القيام بالعدل في الخلق والتدبير أ.هـ

يقول الإمام ابن اللبان في كتابه (رد الآيات المتشابهات إلى الآيات المحكمات): «قد قررنا (استوى) افتعل من السواء وأصله (العدل) وحقيقة الاستواء المنسوب إلى ربنا في كتابه بمعنى العدل، أي: أقام العدل. وأصله من قوله تعالى ﴿شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولوا العلم=

= قائماً بالقسط﴾ . والعدل هو استواؤه ويرجع معناه إلى أنه أعطى بعزته كل شيء خلقه موزوناً بحكمته للتعرف إلى خلقه بوحدانيته ولذلك قرنه بقوله ﴿لا إله إلا هو العزيز الحكيم﴾ والاستواء المذكور في كتابه استواءان: استواء سماوي، واستواء عرشي...» إلى أن قال:

«وأما الاستواء العرشي فهو أنه تعالى قام بالقسط معتَرَفاً بوحدانيته في عالمين: عالم الخلق وعالم الأمر وهو عالم التدبير ﴿ألا له الخلق والأمر﴾ فكان استواؤه للتدبير بعد انتهاء عالم الخلق لقوله ﴿ الله الذي خلق السماوات والأرض وما بينهما في ستة أيام ثم استوى على العرش يدبر الأمر ما من شفيع إلا من بعد إذنه ﴾ وبهذا تم سِرُّ تعدية الاستواء العرشي بعلى لأن التدبير للأمر لابد فيه من استعلاء واستيلاء» أ.هـ. المقصود منه ص ٤١.

التأويل الرابع:

يقول د. إبراهيم عبد الرحمن: ما حكاه البخاري عن مجاهد تعليقاً فقال: (قال مجاهد: استوى: علا على العرش) كتاب التوحيد ٤/٢٨٠) وقصده والله أعلم العلو بالمنزلة والسلطان لا بالجهة والمكان أي علت منزلته تعالى على منزلة العرش الذي هو أكبر الخلق- وعلى غيره إذن بطريق الأولى – علوا لا يقادره قدره بدلالة (ثم)، وإنما قلنا ذلك لضرورة ما عرفت من البرهان الذي يبعد أشد البعد أن يخفى أمره على علماء السلف الأفضلين من أمثال مجاهد رحمه الله على استحالة الجهة والمكان عليه تعالى. وممن نص على إرادة هذا المعنى من الاستواء كذلك أبو الحسن الطبري رحمه الله ... » ثم نقل فضيلته كلام الإمام البيهقي في هذا التأويل وأنه رأي فريق من الأشاعرة بمعنى علو المنزلة والسلطان. انظر المحكم والمتشابه ٢/٧٥٢-٧٥٤ وقد ذكر هذا التأويل أيضاً الإمام ابن المعلم القرشي في كتابه الجليل (نجم المهتدي) لوحة ٥٣٠ من المخطوط فقال: «ذكره الشيخ الإمام محمد بن عمر القرطبي وهو أن الاستواء بمعنى العلو بالعظمة والعزة، وأن صفاته تعالى أرفع من صفات العرش على جلالة قدره، وهو قول أبي جعفر التيمائي وأبي المنصور. قلت: شرح هذا التأويل أن يقال: خلق السموات والأرض التي خلقها أكبر من خلق الناس وعظمته تقتضي ذلك، بل العرش الذي تقررت عظمته عندكم لا تذكر عظمته وعلوه بالنسبة إلى عظمة الباري وعلوه وعزته. ونظير هذا ما ذكر من أحد التأويلات في قوله (لا أقسم بيوم القيامة)، (فلا أقسم بالشفق): لا أقسم بهذه المخلوقات وإن كانت عظيمة عندكم، بل أطرحها وأقسم بربها فإن عظمتها ليست بشيء بالنسبة إلى عظمة ربها » أ.هـ وهذا التأويل هو الثالث عشر في (نجم المهتدي).

قال أبو الفرج ابن الجوزي: وجميع السلف على إمرار هذه الآية كما جاءت من غير تفسير ولا تأويل.

قال عبد الله بن وهب: كنا عند مالك بن أنس فدخل رجل فقال: يا أبا عبد الله ﴿الرحمن على العرش استوى﴾ (1) كيف استواؤه؟ فأطرق مالك وأخذته الرَّحضَاء، ثم رفع رأسه فقال: الرحمن على العرش استوى، كما وصف نفسه، ولا يقال له كيف، وكيف عنه مرفوع وأنت رجل سوء صاحب بدعة أخرجوه فأخرج.

وكان[١] ابن حامد يقول: المراد بالاستواء القعود. وزاد بعضهم: استوى على العرش بذاته فزاد هذه الزيادة، وهي جرأة على الله عز وجل بما لم يقل.

قال أبو الفرج: وقد ذهبت طائفة من أصحابنا إلى أن الله تعالى على عرشه ما ملأه وأنه يقعد نبيه معه على العرش.

ثم قال: والعجب من قول هذا: ما نحن مجسمة. وهو تشبيه محض تعالى الله عز وجل عن المحل والحيز لاستغنائه عنهما، وذلك[٢] مستحيل في حقه عز وجل، ولأن المحل والحيز من لوازم الأجرام، لا[٣] نزاع في ذلك وهو سبحانه وتعالى مُنَزَّه عن ذلك شرعاً وعقلاً، بل هو أزَلِيٌّ لم يُسبق بعَدَم بخلاف الحادث.

---

(١) في ط: كان.

(٢) في ط: ولأن ذلك.

(٣) في ط: ولا.

---

(1) الآية ٥ من سورة طه.

ومن المعلوم أن الاستواء إذا (٦١/أ) كان بمعنى الاستقرار أو القعود(١) لابد فيه من المماسة، والمماسة إنما تقع بين جسمين أو جِرْمَين، والقائل بهذا شَبَّه وجَسَّم، وما أبقى في التجسيم والتشبيه بقية!! كما أبطل دلالة ﴿ليس كمثله شيء﴾ [1].

ومن المعلوم في قوله تعالى: ﴿لتستووا على ظهوره﴾ [2] أنه الاستقرار على الأنعام والسفن، وذلك من صفات الآدميين.

فمن جعل الاستواء على العرش بمعنى الاستقرار والتمكن فقد ساوى بينه عز وجل وبين خلقه وذلك من الأمور الواضحة التي لا يقف في تصورها بليد فضلاً عمَّنَ هو حَسَنُ التّصور جيد الفهم والذوق، وحينئذ فلا يقف في تكذيبه ﴿ليس كمثله شيء﴾ [1] وذلك كفر محقق.

ثم من المعلوم أن الاستواء من الألفاظ الموضوعة بالاشتراك، وهو من قبيل المجمل فدعواه أنه بمعنى الاستقرار في غاية الجهل، لجعله المشترك دليلاً على أحد أقسامه خَاصّة، فالحمار مع بلادته لا يرضى لنفسه أن يكون ضحكة لجعله القسم قسيماً.

فمن تأمَّل هؤلاء الحمقى وجدهم على جَهْلٍ مركَّب، يحتجون بالأدلة المجملة التي لا دليل فيها قطعاً عند أهل العلم، ويتركون(٢) الأدلة التي ظاهرها

---

(١) في ط: والقعود.

(٢) في ج: ويترك.

---

(1) الآية ١١، من سورة الشورى.

(2) الآية ١٣، من سورة الزخرف.

في غاية الظهور في الدليل على خلاف دعواهم، بل بعضها نصوص (٦١/ب) كما قدمته في حديث النخامة وغيرها، فتنبه لذلك لتبقى على بصيرة من جهل أولئك.

ومن المعلوم أنه عز وجل واجب الوجود كان ولا زمان ولا مكان وهما - أعنى الزمان والمكان - مخلوقان، وبالضرورة أن من هو في مكان فهو محيط به[١] ويكون مقدراً ومحدوداً، وهو سبحانه وتعالى متره عن التقدير والتحديد، وعن أن يحويه شيء وأن يحدث[٢] له صفة، تعالى الله عما يصفون وعما يقولون علواً كبيراً.

فإن قيل: ففي الصحيحين من حديث شريك بن أبي نَمِر عن أنس ﵁ أنه ذكر المعراج، وفيه: «فَعَلا به[٣](1) الجبار تعالى، فقال وهو في مكانه: يا رب خَفِّف عنَّا ....» الحديث.

فالجواب: أن الحافظ أبا سليمان الخطابي قال:

إنَّ هذه لفظة تفرَّد بها شريك و لم يذكرها غيره، وهو كثير التفرّد بمناكير الألفاظ، والمكان لا يضاف إلى الله سبحانه وتعالى إنما هو مكان النبي ﷺ ومقامه الأول الذي أقيم فيه.

---

(١) في ط: مقهور محاط به.

(٢) في ج: أن تحدث. وفي أو يحدث.

(٣) في ط: فعلا بي.

---

(1) في دفع شبه التشبيه: «فعلا به إلى الجبار تعالى» .

وفي هذا الحديث[١] «فأستأذن[1] على ربي وهو في داره» يوهم[٢] مكاناً، وإنما المعنى في داره التي دورها لأوليائه.

وقد قال القاضي أبو يعلى في كتابه «المعتمد» أنّ الله سبحانه وتعالى (٦٢/أ) وتقدس لا يوصف بمكان.[2]

فإن قيل يلزم من كلامكم نفي الجهات ونفيها يُحيل وجوده؟.

فالجواب: أن هذا سؤال[٣] ساقط فيه تمويه على الأغبياء الذين يُحْرون[٤] الجهات المتعلقة بالآدميين بالنسبة إلى الله عز وجل تعالى عن ذلك.

وأيضاً إن كان الموجود يقبل الاتصال والانفصال فمسلَّم، فأما إذا لم يقبلهما فليس خُلُوّه من طرفي النقيض بمحال، ويوضح هذا أنك لو قلت: كل موجود لا يخلوا أن يكون عالماً أو جاهلاً، قلنا: إن كان ذلك الموجود يقبل الضدين فنعم، فأما إذا لم يقبلهما كالحائط مثلاً فإنه لا يقبل العلم ولا الجهل، ونحن نُنَزِّه الذي ليس كمثله شيء سبحانه وتعالى كما نزَّه نفسه عن كل ما يدل على الحدث، وما ليس كمثله شيء لا يتصوره وَهْم ولا يتخيَّله

---

(١) في ط: وفي الحديث.

(٢) في ج: توهم.

(٣) في ط: السؤال.

(٤) في ط: الأغبياء يجرون.

---

(1) في دفع شبه التشبيه: « فاستأذنت على ربي » .

(2) ذكر العلامة الكوثري أنه يرجو أن يكون كتاب (المعتمد) هذا هو آخر ما صنفه أبو يعلي فإن امتحانه في الصفات كان قبل وفاته بثلاثين عاماً.

خيال، والتصور والخيال إنما هما من نتائج المحسوسات والمخلوقات، تعالى عن ذلك علوًّا كبيرًا[1].

ومن هنا وقع الغلط واستدراج العدو فأهلك خَلْقًا، وقد تَنَبَّه خلق لهذه الغائلة فسَلَّموا وصرفوا عنه عقولهم إلى تَنْزِيهه سبحانه وتعالى فسَلِمُوا.

---

(1) يقول الدكتور/ أحمد عكاشة أستاذ الطب النفسي في كتابه (علم النفس الفسيولوجي) تحت عنوان:

(كيف نفهم الأشياء)؟

«الطفل الذي يبدأ في إدراك المحسوسات ليتعلم كنه الأشياء يجمع المشاعر الواردة إلى منطقة مركز بروكا- في قشرة المخ في صور متكاملة تعطي المعنى المراد للصور الممثلة.. أو حتى فكرة هذه الأشياء.

فلمعرفة الهر مثلا تتثبت المشاعر البصرية أولا- شكل الهر ولونه وتقاطيعه الرئيسية، السمة وعلامة مميزة إن وجدت- في المخ على شكل صور بصرية.. وتثبيت المشاعر السمعية- نغمة الصوت والتردد- في المخ على شكل صور سمعية.. وتتثبت المشاعر الحسية اللمسية- لمس الحيوان أو حتى الألم من عضه- في المخ على شكل صور ملموسة أو ألمية.

جميع هذه المشاعر تترابط في مراكزها الثابتة وتشكل نسيج معرفة واحد ولإبراز الشيء المراد- بعد التفكير به- كأن يكون صورة شخص أو حيوان أو أي شيء آخر.

ينبه أحد هذه المراكز المرتبطة مع بعض -سمعية بصرية- حسية فتظهر على مخيلات إدراكنا صورة الشيء الذي تمثلناه وفكرنا به -كما ارتسم من قبل.

ولذا فإن كلمة ما تطرق سمعنا تخرج إلى حيز التنفيذ صورة معنى هذه الكلمة- فنراها عيانا- دون وجود حاضر لها -وإنما يكفي ما سبق ورسمنا لها من صور في أخيلتنا.

وعلى العكس.. لن نستطيع مهما أغرقنا في التفكير وتلمس الجبين أن نبرز في أخيلتنا صورة أو حتى خيال لشيء لم نره أو نسمع به أو نتلمسه - حيوان مجهول - فاكهة غير معروفة - إنسان غير مألوف. » أ.هـ ص ٥٥ ط. الأنجلو المصرية -ط. التاسعة. =

= ويقول في موضع آخر من كتابه عن عملية تذكر المعلومات: « دلت الأبحاث الحديثة أن الذكريات تختزن في المخ على هيئة تغيرات جزيئية في بروتينان الخلايا » أ.هـ ص ٢٤٩.

قلت وعليه فالمعلومات الحسية يتم تخزينها في شبكة واسعة من الخلايا المترابطة في مراكز متعددة بالمخ بحيث تغطى جميع جوانب الشيء المطلوب إدراكه ، مما يعطي قوة ووضوحا للإدراك الحسي مع السرعة الفائقة لحدوث هذا الإدراك مقارنا بعملية الإدراك العقلي فالإدراك الحسِّي كما يذكره أحمد عزت راجح يتضمن عملية تأويل الإحساسات تأويلا يزودنا بمعلومات عما في عالمنا الخارجي من أشياء. أو هو العملية التي تتم بها معرفتنا لما حولنا من أشياء عن طريق الحواس. كأن أدرك أن هذا الشخص الماثل أمامي صديق لي، وأن الحيوان الذي أراه حمار » .

وكما يقول د. فرج عبد القادر عن هذا الإدراك الحسي الذي هو إضفاء معنى على ما تنقله إلينا حواسنا وأحاسيسنا: « ويختلف هذا عن الإدراك العقلي أو الاستبصار العقلي أو التفهم الذي يأتينا عن طريق التأمل والتفكير على نحو ما يحدث لنا عند حل مسألة حسابية أو هندسية أو رياضية وهو من أهم وظائف الذكاء » أ.هـ.

وقد قام علماء وظائف الأعضاء بمحاولات ناجحة لقياس سرعة بعض مراحل هذه العمليات العقلية وقاسوا سرعة الإشارات العصبية (السيالات العصبية) الصادرة من أعضاء الحس ومراكز الأعصاب خارج المخ إلى المراكز العصبية بالمخ وبالعكس ووجدوا أنها تختلف في سرعتها حسب أهمية كل إشارة ووجدوا أنها عند الإنسان تتراوح عن أغلبها بين ١٠٠،١٢٤ مترا في الثانية (انظر أساسيات عامة في علم الفسيولوجيا للدكتور رشدي فتوح ص ٥١٢).

ومن هنا يقول د. فرج عبد القادر طه: « هذا ويتم إدراك المحسوس فيما يشبه اللازم حتى يكاد يختفي الفاصل الزمني بين عمليتي الإحساس والإدراك الحسي من شدة تداخلهما وسرعة الانتقال من الحس إلى الإدراك مما يمكن الفرد من سرعة وكفاءة التعامل مع ما يواجهه ويحيط به من عالمه الخارجي .. » أصول علم النفس الحديث ص١٤٢ وفي قوله (فيما يشبه اللازم) إشارة إلى حتمية الحدوث كما قررته حقيقة الفعل المنعكس وهو العمل الذي يقوم به الجهاز العصبي للكائن الحي كرد فعل لإدراكه للمنبهات الخارجية وأثبتها علماء وظائف الأعضاء – الفسيولوجيا- وأصبحت من الحقائق القطعية الثابتة بعد تحديدها بالتجارب العلمية- كتجربة بافلوف – وكذا تحديد مراكز هذه العمليات في المخ وهذه العمليات نتيجة التوازن الدقيق بين عناصر التركيب=

= الداخلي للكائن الحي وعناصر الوسط الخارجي المحيط به أو المؤثر فيه والواقع في نطاق إدراكه.

(طريقة عمل الجهاز العصبي)

وأثبت العلماء ثلاثة نظم متكاملة للجهاز العصبي:

أ- **النظام الأول**: نظام الأفعال المنعكسة غير الشرطية والناتجة عن المنبهات الطبيعية كأن تدرك الحواس وجود الطعام فتبدأ الغدد اللاعبية في إفراز قطرات اللعاب .... الخ وهو نظام الغرائز والانفعالات ومكانها في منطقة تحت اللحاء الملتصقة بالنصفين الكرويين بالمخ.

ب- **النظام الثاني**: وهو النظام الإشاري الأول الذي يصدر إشارات لمنبهات النظام الأول- المنبهات الطبيعية ويشمل الأفعال المنعكسة الشرطية والناتجة عن وجود منبه خارجي مقارن متزامن للمنبه الطبيعي أو متقدم عليه بفترة قصيرة محددة ويسمى بالمنبه الشرطي ويربط المخ بينه وبين المنبه الطبيعي بمجرد التقارن أو السبق المباشر مع توفر حد معين من الإدراك. فإذا تكرر هذا المنبه الشرطي وحده بعد ذلك يصدر المخ إشارة منعكسة ردا عليه، ومثال ذلك: سماع صوت الجرس مقارنًا لتقديم الطعام تبدأ غدد الحيوان في إفراز قطرات اللعاب.

وهذا النظام الإشاري هو الوحيد لدى الحيوان ويتمركز في النصفين الكرويين فيما عدا الفصوص الأمامية عند الإنسان، وهو الحامل للفكر التخيلي المجسم الانفعالي.

ج- **النظام الثالث**: وهو النظام الإشاري الثاني ولا يوجد إلا عند الإنسان، ويتكون من إشارات مجردة تعتمد على استقبال منبهات الواقع والممثلة في الرمز أو الكلمة والكلمة تشير إلى المنبه الشرطي الذي يشير بدوره إلى المنبه غير الشرطي (المنبه الطبيعي) فيقوم المخ بالفعل المنعكس المناسب لهذا المنبه.

ويتمركز هذا النظام في الفصوص الأمامية من اللحاء وفي مراكز الكلام المختلفة (المنطقة السمعية والبصرية الحركية).

والتآزر أو التكامل بين نشاط هذه النظم الثلاثة هو أساس النشاط العصبي السليم (انظر علم النفس الفسيولوجي للدكتور أحمد عكاشة، مبادئ علم النفس العام للدكتور يوسف مراد

ومما سبق من طريقة عمل الجهاز العصبي ومن كلام د. فرج عن الفرق بين الإدراك الحسي=

= والعقلي وعن سرعة الإدراك الحسي حتى أنه يكاد يختفي الفاصل الزمني بين عمليتي الإحساس).
والإدراك الحسي نستطيع أن نقرر بوضوح: أن الإنسان عند سماعه لفظاً ما وكان لهذا اللفظ معنيان أولهما حسِّي والآخر عقلي فسيتبادر على الفور المعنى الحسِّي المناظر لهذا اللفظ وستتم عملية الإدراك حتى لو لم يكن هو المقصود من المتكلم إلى أن يأتي في الكلمات التالية من الدلالات ما يصرف هذا المعنى الحسِّي عن الذهن لأن تفهم هذه الدلالات وتعقلها من الإدراك العقلي الذي يستغرق وقتاً طويلاً بكثير جداً من الإدراك الحسِّي.

بل أيضاً فهم الدلالات العقلية المختلفة لا يكون بنفس السرعة، لذا جعل علماء اللغة وأصول الفقه تبادر المعنى هو أقوى دلالات الحقيقة.

أن أعمال الجهاز العصبي في الإنسان والسابق شرحها والمؤدية إلى الإدراك الحسِّي والفرق بينه وبين الإدراك العقلي هي حقائق علمية قاطعة أثبتها العلم الحديث ولا مجال لإنكارها بأي حال.

عدم تبادر المعنى الحسِّي من الألفاظ الدالة عليه ليس سوى مرض يسميه الأطباء بمرض: الأجنوزيا السمعية نقل الدكتور فؤاد أبو حطب عن العلامة جولد شتين أنها ثلاثة أنواع تتوازي مع الأجنوزيا البصرية وذكرها ومنها النوع الثالث وهو: « عدم القدرة على معرفة معنى الكلمة حين يسمع المفحوص الرمز اللغوي المألوف، ويرتبط هذا بالقدرة على معرفة وحدات المعاني (الفهم اللفظي) أ.هـ انظر. القدرات العقلية د. فؤاد أبو حطب ص٥٤٨ وشرح د. أبو حطب قبل ذلك كيف أن هذا المرض ينتج عن الإصابة أو الاضطراب في الفص الصدغي الأيسر في المخ.

فعدم تبادر المعنى الحقيقي للكلمة بمفردها ليس سوى حالة مرضية لمن ابتلوا بالاضطراب أو الإصابات في الفص الصدغي الأيسر للمخ وهو أيضاً لمن ابتلوا بأفكار ابن تيمية والعياذ بالله.

[فصل: أحاديث يحتجون بظاهرها
على إثبات التجسيم والانفعالات النفسية]

[أ-] حديث الصورة:

ومن الأحاديث التي يحتجون بها حديث عبد الرحمن بن عائش عن النبي ﷺ أنه قال: «رأيت ربي في أحسن صورة (٦٢/ب) فقال لي فيما يختصم الملأ الأعلى يا محمد؟ قلت: أنت أعلم يا رب. فوضع كفيه بين كتفي فوجدت بردهما بين ثديي، فعلمت ما في السموات والأرض»(١).[1]

---

(١) في ط: وما في الأرض.

---

(1) رواه الترمذي في سننه وقال: حسن صحيح والطبراني في الكبير والخطيب البغدادي في تاريخه وابن الجوزي في الموضوعات (١/١٢٥) والسيوطي في (اللآلئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعة) (١/٣١) وذكره الذهبي في السير وقال عنه: «... وهو خبر منكر نسأل الله السلامة في الدين» أ.هـ.

ورواه البيهقي في (الأسماء والصفات) ثم قال: «وقد روي من وجه آخر وكلها ضعيف» ونقل قبل ذلك بسنده عن البخاري أن سنده مضطرب أ.هـ ص ٣٠٠ وقال عنه الإمام محمد بن نصر المروزي: «هذا حديث اضطرب الرواة في إسناده وليس يثبت عند أهل المعرفة» أهـ وقال عنه الإمام أحمد: « هذا ليس بشيء » وانظر تعليق السيد حسن السقاف على (دفع شبه التشبيه) لابن الجوزي.

ورواية الترمذي في سننه كتاب (تفسير القرآن) في تفسير سورة (ص) بثلاث روايات أصحها حديث رقم (٣٢٣٥) من طريق عبد الرحمن بن عائش عن معاذ بن جبل ﷺ وفيه « ... إنّي قمت من الليل فتوضأت وصليت ما قدر لي فنعست في صلاتي حتى استثقلت فإذا أنا بربِّي تبارك وتعالى في أحسن صورة فقال: يا محمد قلت لبيك رَبِّ، قال: فيم يختصم الملأ الأعلى؟ قلت: لا أدري قالها ثلاثا. قال: فرأيته وضع كفَّه بين كتفيَّ حتى وجدت برد أنامله بين ثديي فتجلَّى لي كل شيء وعرفت ... » الحديث.

قال الترمذي: هذا حديث النص على أن ذلك رؤيا منام.

وقد تكلم الإمام البيهقي في (الأسماء والصفات) على هذا السند وضعفه وكذا العلامة زاهد الكوثري في تعليقه على (الأسماء والصفات) وبافتراض صحة سند الحديث فثابت أن ذلك رؤيا منام ويقول الإمام ابن الجوزي عن ذلك: =

= «رؤيا المنام: وهم والأوهام لا تكون حقائق، وإن الإنسان يرى كأنه يطير أو كأنه صار بهيمة. وقد رأى أقوام في منامهم الحق سبحانه على ما ذكرنا » أ.هـ. ونقل العلامة الكوثري عن الحافظ ابن حجر في هذا المقام: «ولا التفات إلى من تعقب كلامه بقوله في الحديث الصحيح (إن رؤيا الأنبياء وحي) فلا يحتاج إلى تعبير لأنه كلام من لم يمعن النظر في هذا المحل، فقد تقدم في كتاب التعبير أن بعض رؤية الأنبياء يقبل التعبير » أ.هـ.

قلت: يشير ﷺ إلى العديد من الأحاديث في كتاب (التعبير) من صحيح البخاري والتي تذكر بعض رؤى رسول الله ﷺ وتأويلاته لها فمنها: « بينا أن نائم أتيت بقدح لبن فشربت منه .. فأعطيت فضلى عمر بن الخطاب» فقال من حوله: فما أولت ذلك يا رسول الله؟ قال: «العلم» .

ورؤيته عمر يجرّ قميصه وأوّله بالدين، ورؤيته سواران من ذهب فنفخهما أولهما بالكذابَيْن. وغير ذلك.

وقد نقل الحافظ ابن حجر في (فتح الباري) كلام حجة الإسلام الغزالي في تأويل رؤيا المؤمن لرسول الله ﷺ في النوم ثم تأويل رؤيا المؤمن للحق سبحانه في النوم وكذا كلام أبي القاسم القشيري في كتاب (التعبير) في شرحه حديث رقم (٦٩٩٣) فتح الباري ١٨/٥٢١-٥٢٢ط.دار الغد العربي قال ابن حجر عن حديث « من رآني في المنام فسيراني في اليقظة » : « وقال الغزالي : ليس معنى قوله: « رآني » أنه رأى جسمي وبدني، وإنما المراد أنه رأى مثالاً، صار ذلك المثال آلة يتأدى بها المعنى الذي في نفسي إليه، وكذلك قوله: « فسيراني في اليقظة » ليس المراد أنه يرى جسمي وبدني، قال: والآلة تارة تكون حقيقة وتارة تكون خيالية، والنفس غير المثال المتخيل، فما رآه من الشكل ليس هو روح المصطفى ولا شخصه بل هو مثال له على التحقيق، قال: ومثل ذلك من يرى الله سبحانه وتعالى في المنام فإن ذاته منزهة عن الشكل والصورة. ولكن تنتهي تعريفاته إلى العبد، بواسطة مثال محسوس من نور أو غيره، ويكون ذلك المثال حقاً في كونه واسطة في التعريف، فيقول الرائي رأيت الله تعالى في المنام، لا يعني أني رأيت ذات الله تعالى كما يقول في حق غيره.

وقال أبو القاسم القشيري ما حاصله: إن رؤياه على غير صفته لا تستلزم إلا أن يكون هو، فإنه لو رأى الله على وصف يتعالى عنه وهو يعتقد أنه منزه عن ذلك، لا يقدح في رؤيته بل يكون لتلك الرؤيا ضرب من التأويل كما قال الواسطي من رأى ربه على صورة شيخ كان إشارة إلى وقار الرائي وغير ذلك » .

قلت: فليس في رؤية الله سبحانه في النوم ما يثبت لله صورة سواء كان الرائي نبيا أو أحد عوام المؤمنين. =

وهذا الحديث قال الإمام أحمد فيه: أن طرقه مضطربة. وقال الدراقطني: كل أسانيده مضطربة، ليس فيها صحيح. وقال البيهقي: رُوِي من أوجه كلها ضعيفة، وأحسن طرقه يدل على أن ذلك كان في النوم ويدل على ذلك أن روي من حديث أبي هريرة ﷺ أنه عليه الصلاة والسلام قال: «أتاني آت في أحسن صورة، فقال: فيم يختصم الملأ الأعلى؟ قلت: لا أدري، فوضع كفه[١] بين كتفي فوجدت بردها بين ثديي، فعرفت كل شيء يسألني عنه».

وروي من حديث ثوبان ﷺ قال: خرج علينا رسول الله ﷺ بعد صلاة الصبح فقال: «إن ربي أتاني الليلة في أحسن صورة فقال لي: يا محمد فيم يختصم الملأ الأعلى؟ قلت: لا أعلم يا رب. فوضع كفه بين كتفي حتى وجدت برد أنامله في صدري فتجلى لي ما بين السماء والأرض».

---

(١) في ط: كفيه.

= وفي نص الحديث (فوضع كفّه بين كتفى) وفي رواية (يده) وانتهز ابن تيمية الفرصة كعادته وزعم أن إرسال العذبة بين الكتفين كان لهذا السبب. انظر (الخصائص الكبرى) للسيوطي ١٩٩/٣ ط، دار الكتب الحديثة، ويقول العلامة الكوثري: « فمن الغريب ما يزعمه ابن تيمية أن إرسال العذبة بين الكتفين لذلك، وهذا تجسيم صريح منه كما ذكر ابن حجر المكي في شرح الشمائل... » من تعليقه على (الأسماء والصفات) ص٣٠١ ط الكردي

وعن تنزيه الله سبحانه عن الصورة يقول الإمام أبو القاسم القشيري: « قوله جل ذكره ﴿لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم﴾: في اعتدال قامته وحسن تركيب أعضائه. وهذا يدل على أن الحق سبحانه ليس له صورة ولا هيئة، لأن كل صفة اشترك فيها الخلق والحق فالمبالغة للحقِّ، كالعلم: فالأعلم الله، والقدرة: فالأقدر الله.

فلو اشترك الخلق والخالق في التركيب والصورة لكان الأحسن في الصورة الله.

فلما قال: ﴿لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم﴾ علم أن الحق سبحانه منزّه عن التقويم وعن الصورة » أ.هـ. انظر لطائف الإشارات ٧٤٦/٣ تحقيق د. إبراهيم بسيوني ط. الهيئة المصرية العامة للكتاب.

قلت: وهذا الرد يشمل تنزيه الله عن الصورة والتركيب والجوارح والأعضاء جميعا.

وروي من وجوه كثيرة، فهي أحاديث مختلفة وليس فيها ما يثبت مع أن عبد الرحمن لم يسمعه من النبي (٦٣/أ) ﷺ.

وعلى وجه التَّنَزّل فالمعنى راجع إلى رسول الله ﷺ فالمعنى رأيته وأنا على أحسن صورة، وإن قلنا يرجع إلى الله سبحانه وتعالى فالمعنى رأيته على أحسن صفاته أي من الإقبال والرضى ونحو ذلك لأن الصورة يعبر بها ويراد الصفة كما في حديث «خلق الله تعالى آدم على صورته».(1) تقول هذه صورة هذا الأمر أي صفته، فيكون المعنى خلق آدم(٣) على صفته من الحياة والعلم والقدرة والسمع والبصر والإرادة(2).

---

(١) في ط: خلق الله آدم.

---

(1) متفق عليه. رواه البخاري في كتاب أحاديث الأنبياء، باب ﴿ خلق آدم وذريته ﴾، وفي كتاب الاستئذان باب (بدء السلام). ورواه مسلم في كتاب (صفة الجنة والنار) باب (يدخل الجنة أقوام أفئدتهم مثل أفئدة الطير).

(2) قال تعالى: ﴿الله الذي جعل لكم الأرض قراراً والسماء بناء وصوركم فأحسن صوركم ورزقكم من الطيبات، ذلكم الله ربكم فتبارك الله رب العالمين﴾ غافر:٦٤ امتن سبحانه وتعالى علينا بالصورة الحسنة وجعلها آية عظمى من آياته تلى مباشرة آية قرار الأرض وبناء السماء وجعلها نعمة تسبق في الترتيب جميع الطيبات التي رزقنا بها سبحانه وتعالى.

وإذا كان كذلك فما جزاء من كفر بهذه النعمة وازدراها وتصدي لها بالعبث والتشويه أو أهانها باللطم والتقبيح وما شابه ذلك؟ ألم يسبق لإبليس الملعون ازدراء خلقة آدم من قبل فطرده الله من رحمته إلى الأبد؟ قال تعالى: ﴿قال يا إبليس ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي أستكبرت أم كنت من العالين ❀ قال أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين ❀ قال فاخرج منها فإنك رجيم ❀ وإن عليك لعنتي إلى يوم الدين﴾ سورة ص:٧٥-٧٨.

وقال: ﴿ ... قال لم أكن لأسجد لبشر خلقته من صلصال من حمإ مسنون ❀ قال فاخرج منها فإنك رجيم ❀ وإن عليك اللعنة إلى يوم الدين﴾ الحجر: ٣٣-٣٥ يقول الإمام البيضاوي في تفسيره: «(لما خلقت بيدي) خلقته بنفسي من غير توسط كأب وأم والتثنية لما في خلقه من مزيد القدرة واختلاف الفعل، وقرئ على التوحيد، وترتيب الإنكار عليه للإشعار بأنه المستدعي للتعظيم... » أ.هـ. =

مع أن هذا الحديث فيه علل: منها أن الثوري والأعمش اختلفا فيه فأرسله الثوري ورفعه الأعمش، ومنها[١] أن الأعمش كان يدلس و لم يذكر أنه سمع الحديث من حبيب بن أبي ثابت. ومنها أن حبيباً كان يدلس و لم يُعلم أنه سمعه من عطاء. وهذا كله يوجب وَهنًا في الحديث.

ومع ذلك فالضمير يصح عوده إلى آدم عليه السلام، فالمعنى أن الله عز وجل خلق آدم على صورته التي خلقه عليها تاماً لم ينقله من نطفة إلى علقه كبنيه قاله الإمام أبو سليمان الخطابي، وذكره ثعلب[٢](1) في أماليه.

وقيل إن الضمير يعود على بعض[٣] بني آدم. وخَلْق من العلماء سكتوا عن تفسير هذا الحديث.

فالمشبه لا مُتَمَسَّك له بهذه الأحاديث لما ذكرناه، (٦٣/ب) وتمسكه بها يدل على جهله وزندقته عافانا الله عز وجل من ذلك.

---

(١) من قوله الثوري والأعمش اختلف إلى قوله ورفعه الأعمش. سقطت من ط.
(٢) ثغلب.
(٣) في ط: يعود إلى بعض.

= ومن هنا نفهم حديث سيد الخلق ﷺ: «إذا قاتل أحدكم فليتق الوجه فإن الله تعالى خلق آدم على صورته» رواه مسلم أي على صورة الأخ المضروب، وإذا كان إبليس لعنه الله قد طرد من رحمة الله باحتقاره لهذه الصورة التي كرمها الله وشرفها وبرفضه السجود لها وعدم الاعتداد بهذا التكريم والتشريف فخليق بالمسلم أن يتجنب ما فعله الملعون الخبيث.

ومن هنا نفهم أن عبارة (على صورة الرحمن) هي من فهم الراوي حيث رواه بالمعنى وليس من قول سيد الخلق ﷺ، أو على معنى: (الصورة التي خلقها الرحمن) فالإسناد هنا للملكية كما يقال بيت الله وجند الله.

(1) هو العلامة المحدث شيخ اللغة والعربية أبو العباس أحمد بن يحيى بن يزيد الشيباني= مولاهم البغدادي، مقدَّم في (نحو) الكوفيين.ولد سنة ٢٠٠هـ قال عن نفسه: سمعت من عبيد الله بن عمر القواريري مائة ألف حديث، وقال عنه الخطيب: كان ثقة ثبتا حجة صالحاً مشهوراً بالحفظ. توفي سنة ٢٩١ هـ.

[ب- -حديث القدم]:

ومن ذلك حديث القدم: « لا تزال جهنم تقول هل من مزيد حتى يضع رب العزة فيها قدمه ...» الحديث.[1]

وهذا يرجع إلى المحكم، قال الله تعالى: ﴿وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات أن لهم قدم صدق عند ربهم﴾[١].[2]

وقال الحسن البصري: القدم في الحديث هم الذين قدمهم الله تعالى من شرار خلقه وأثبتهم لها.

وقال البيهقي عن النضر بن شميل : القدم هنا: الكفار الذين سبق في علم الله أنهم من أهل النار.

وقال الأزهري: القدم الذين تقدم القول بتخليدهم في النار.

وقال ابن الأعرابي: القدم المتقدم. وكل قادم عليها يسمى قدماً. والقدم: جمع قادم، كما يقال: غيب وغائب[٢].

---

(١) سقط كلمة (الصالحات) من النسخة الأصلية.

(٢) في ط: عيب وعائب.

---

(1) متفق عليه. رواه البخاري في كتاب التوحيد باب: قول الله تعالى: ﴿وهو العزيز الحكيم﴾ وفي الأيمان والنذور باب: الحلف بعزة الله وصفاته وكلماته ورواه مسلم في كتاب صفة الجنة والنار باب: النار يدخلها الجبارون والجنة يدخلها الضعفاء.

والنسائي في السنن الكبرى في كتاب النعوت. والترمذي في تفسير سورة ق.

وأورده العلامة المحدث السيد عبد الله الغماري في كتابه (الفوائد المقصودة في بيان الأحاديث الشاذة المردودة) فليرجع إليه. قال ابن الزاغوني (المجسم): « إنما وضع قدمه في النار ليخبرهم أن أصنامهم تحترق وأنا لا أحترق » أ.هـ. قال ابن الجوزي تعقيبا عليه: « هذا إثبات تبعيض وهو من أقبح الاعتقادات » أ.هـ وسيأتي في تعليقنا ما يثبت قول ابن تيمية أيضاً بالتبعيض وتركب الحق – تعالى عما يقول- من أجزاء.

(2) الآية ٢، من سورة يونس.

وروى الدارقطني: حتى يضع قدمه أو رجله. وفي هذا[١] دلالة على تغيير الرواة[٢] بالظن مع أن الرجل في اللغة هي الجماعة، ألا تراهم يقولون: رجل من جراد، فيكون المعنى يدخلها جماعة يشبهون الجراد في الكثرة.

قال ابن عقيل: تعالى الله أن يكون له صفة تشغل الأمكنة، هذا عين التجسيم وليس الحق بذي أجزاء وأبعاض، فما أسْخَف هذا الاعتقاد وأبعده عن المكون تعالى الله عن تخايل الجسمية (٦٤/أ)، وذكر كلاماً مطولاً بالغ في التَنْزِيه وتعظيم الله تعالى[1].

وقد تمسك بهذا الحديث ابن حامد المشبه فأثبت لله سبحانه وتعالى صفات، وزاد فروى من حديث ابن عباس رضي الله عنهما[٣] أنه عليه الصلاة والسلام قال: «لما أسري بي رأيت الرحمن على صورة شاب أمرد نور يتلألأ وقد نُهيت عن صفته لكم، فسألت ربي أن يكرمني برؤيته فإذا هو

---

(١) في ط: وفي هذه.

(٢) في ب: تغيير الرواية.

(٣) في ط: عنه.

---

(1) يقول السيد المحدث المفيد عبد الله بن محمد بن الصديق الغماري في كتابه (الفوائد المقصودة في بيان الأحاديث الشاذة المردودة): « الحديث الخامس عشر ثبت في الصحيحين عن أنس عن النبي ﷺ قال: يلقي في النار، وتقول : هل من مزيد؟ حتى يضع قدمه فتقول: قط قط.

وفيهما أيضاً عن أبي هريرة قال: (فأما النار فلا تمتلئ حتى يضع رجله، فتقول: قط قط، فهنالك تمتلئ ويزوي بعضها إلى بعض).

روى هذا الحديث بالروايتين أبو إسماعيل الهروي في كتاب الأربعين، فترجم للرواية الأخيرة بقوله: باب الدليل على أن القدم هو الرجل، وهذا من شذوذ هذا الرجل، يتمسك في إثبات صفات لله تعالى بخبر آحاد محتمل للتأويل. =

كأنه(١) عروس حين كشف عنه حجابه مستو على عرشه »وهذا الحديث من(٢) وضعه وكذبه وافترائه وجرأته على الله عز وجل وعلى رسوله ﷺ ، ومَنْ أعظم فرية ممن شبه الله عز وجل بأمرد وعروس(1).

---

(١) في ط: فإذا كأنه.

(٢) في ط: وهذا من وضعه.

= ونقول في الرد عليه:

أولاً: هذا الحديث أتى بزيادة عما في القرآن، فإن الله تعالى قال: (يوم نقول لجهنم هل امتلأت وتقول هل من مزيد) وهذا الحديث وإن كان صحيحا، ليس في قوة القرآن فلا يجوز أن يقطع بما فيه من الزيادة، ويجعل صفة لله تعالى.

ثانياً: ذكر ابن الجوزي أن الرواية التي جاءت بلفظ الرجل تحريف من بعض الرواة، لظنه أن المراد بالقدم الجارحة، فرواها بالمعنى فأخطأ أهـ.

وحيث أن الرواية بالمعنى محتملة في الحديث، فلا يجوز أن نضيفها إلى الله تعالى.

ثالثاً: أن الحديث مؤول بوجوه كثيرة، مبسوطة في فتح الباري وغيره.

رابعاً: قال أبو الوفاء ابن عقيل: تعالى الله عن أنه لا يعمل أمره في النار، حتى يستعين عليها بشيء من ذاته أو صفاته، وهو القائل للنار (كوني برداً وسلاما)، فمن يأمر نارا أججها غيره، أن تنقلب عن طبعها وهو الإحراق فتنقلب، كيف يحتاج في نار يؤججها هو إلى استعانة ؟ أهـ.

فكيف مع هذا الإشكال يجزم الهروى بإثبات القدم والرجل صفة لله تعالى؟ وصفات الله عز وجل لا تثبت إلا بدليل قطعي كالقرآن أو السنة الصحيحة المقطوع بها، ولا يكون لاحتمال التأويل فيها مجال.

الخلاصة: أن الحديث صحيح بأن النار تقول هل من مزيد؟ حتى يضع الرب فيها قدمه، لكن لا يجوز أن نجزم بأن القدم صفة لله تعالى، لأنها محتملة للتأويل، ولا ينسب صفة لله إلا ما كان مقطوعا به.

فمن يثبت القدم لله، ثم يزعم تنزيه الله عن الجوارح فهو متناقض، لأنه أثبت جارحة ثم نفاها» أهـ ص ١١١ إلى ص ١١٣.

(1) حديث موضوع.

وقد جمع السيد المحدث المقيد عبد العزيز بن محمد بن الصديق الغماري جزءًا في هذا الحديث سماه: (القول الأسدّ في بيان حال حديث رأيت ربي في صورة شاب أمرد) بين فيه طرقه وعللها ثم=

وكان بعض أئمة الحنابلة يتوجع ويقول: ليت هذا - ابن حامد[١] - ومن ضاهاه لم ينسبوا إلى أنهم من أتباع الإمام أحمد، فقد أدخلوا بأقوالهم المفتراة التعرض[٢] إلى الإمام أحمد بالتشبيه والتجسيم وحاشاه من ذلك، بل هو من أعظم المنَزِّهة لله عز وجل[1] ﴿وقد خاب من افترى﴾ [2].

وقال بعض أئمة الحنابلة المنَزِّهين: مَنْ أثبت لله سبحانه وتعالى هذه الصفات بالمعنى المحسوس فما عنده من الإسلام خبر، تقدس الله عز وجل عما يقولون علواً كبيراً.

وخوضهم في ذلك كلام من لم يعرف الله (٦١/ب) عز وجل، وكذا خوضهم في الأحاديث خوض مَنْ لا يعرف كلام الله تعالى ولا كلام أهل اللغة، فيجرونها على المتعارف عند الخلق، فيقعون في الكفر في جهة الحق[٣].

---

(١) في ط: ليت ابن حامد هذا.

(٢) في ط: الشين للمذهب والتعرض.

(٣) في ط: فيقعون في الكفر. بدون : في جهة الحق.

= قال: «فهذا ما وقعت عليه من ألفاظ هذا الحديث وطرقه وقد بينت حال كل طريق وفصلت الكلام في ذلك جهد المستطاع وعلى قدر ما سمح به الوقت وكذلك المراجع في الحديث والرجال.

وقد علمت من ذلك كله أن الحديث موضوع واه باطل سندا ومتنافلا يجوز القول به والتعويل عليه كما وقع لبعض أهل العلم» أهـ.

انظر (مجموعة الحديث الصديقية) ص ٢٢٩ إلى ص ٢٥٠.

(1) وقد سبق إثبات ذلك من أقواله.

(2) الآية رقم ٦١، من سورة طه.

[جـ - حديث العجب والضحك]:

ونوضح ذلك إيضاحاً مُبَيّناً يدركه أبلد العوام فضلاً عن أذكياء الطلبة وأخيار العلماء[١] الذين جعل الله عز وجل[٢] قلوبهم معادن المعاني المرادة وكنوزها:

فمن ذلك ما في الصحيحين من حديث أبي هريرة ﷺ في حديث الضيف وفيه: «لقد عجب الله من صنيعكما الليلة»[1].

وفي أفراد البخاري من حديث أبي هريرة: «عجب ربك من قوم جيء بهم في السلاسل حتى يدخلهم الجنة»[2] قال ابن الأنباري: معنى عجب ربك: زادهم إنعاماً وإحساناً. فعبر بالعجب عن ذلك.

قال الأئمة: لأن العجب إنما يكون من شيء يدهم الإنسان فيستعظمه مما لا يعلمه وذلك إنما يكون في المخلوق، وأما الخالق فلا يليق به ذلك.

---

(١) في ط: والعلماء الأخيار.

(٢) في ج: جعل الله تعالى.

---

(1) وقد ذكر الإمام مسلم أن هذا الصحابي هو أبو طلحة وأنزل الله فيه وفي زوجته الآية الكريمة ﴿ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة.. ﴾ الآية ٩ من سورة الحشر.

رواه البخاري في مناقب الأنصار باب قول الله عز وجل ﴿ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة﴾ ، في كتاب التفسير- تفسير سورة الحشر، ورواه مسلم في كتاب الأطعمة- باب: إكرام الضيف وفضل إيثاره، والترمذي في تفسير سورة الحشر، والنسائي في الكبرى- كتاب التفسير.

(2) أخرجه البخاري في كتاب الجهاد - باب الأسارى في السلاسل.

فمعناه: عظم قدر ذلك الشيء عنده لأن المتعجب من الشيء يعظم قدره عنده، فالمعنى في حديث الضيف: عظم قدره وقدر زوجته عنده حتى نَوَّه بذكرهما في أعظم كتبه، وعظم قدر المجيء بهم في السلاسل حتى أدخلهم الجنة وجعلهم من أوليائه وأنصار دينه.

ومن ذلك حديث: «الله(١) أفرح بتوبة عبده»[1] ومعناه أرضى بها (٦٥/أ).

ومنه قوله تعالى: ﴿كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾[2] أي راضون، ونحو ذلك مما هو كثير في القرآن، وكذا الأحاديث:

---

(١) في ب، ج، ط: لله.

---

(1) متفق عليه ولفظ البخاري عن أنس مرفوعا (الله أفرح بتوبة عبده من أحدكم سقط على بعيره وقد أضله في أرض فلاة) صحيح البخاري كتاب الدعوات- باب التوبة وفي صحيح مسلم- كتاب التوبة باب في الحض على التوبة.

ورواه أيضاً الترمذي والنسائي في السنن الكبرى.

(2) الآية رقم ٣٢، من سورة الروم.

[د- حديث النزول وكُفر من جعل للذات الإلهية صفات حادثة]:

ومنها حديث النّزُول: وهو في الصحيحين من حديث أبي هريرة ﷺ أنه عليه الصلاة والسلام قال: «يَنْزِل ربنا كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر(١)، يقول: من يدعوني فأستجيب له.. »[1] إلى آخره. وهذا الحديث رواه عشرون نفساً من الصحابة ﷺ.

وقد تقدم أنه تستحيل(٢) على الله عز وجل الحركة والتنقل والتغير، لأن ذلك من صفات الحدث، فمن قال ذلك في حقه تعالى فقد ألحقه بالمخلوق، وذلك كفر صريح لمخالفته القرآن في تَنْزِيهه لنفسه سبحانه وتعالى(٣).

ومن العجب العجيب أن يقرأ أحدكم قوله تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ﴾[2] مع أن معدنه في الأرض وقوله تعالى: ﴿وَأَنْزَلَ لَكُم مِنَ الأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ﴾[3] فيالله العجب من شخص لم يعرف نزول الجُمَل كيف يتكلم في تفصيلها وقد قال تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ﴾[4] وقال تعالى: ﴿قَدْ أَنْزَلَ الله

---

(١) في ج: الأخير.

(٢) في ب: مستحيل وفي - ط: يستحيل.

(٣) في ج: تنْزِيهه لنفسه تعالى وتقدس.

---

(1) رواه البخاري في مواضع منها: كتاب التوحيد، باب: قول الله تعالى ﴿يريدون أن يبدلوا كلام الله﴾. رواه مسلم في كتاب الصلاة، باب: الترغيب في الدعاء والذكر في آخر الليل والإجابة فيه. ورواه الترمذي وأبو داود وابن ماجة والنسائي في الكبرى وغيرهم.

(2) الآية رقم ٢٥، من سورة الحديد.

(3) الآية رقم ٦، من سورة الزمر.

(4) الآية رقم ٤٨، من سورة المائدة.

إِلَيْكُمْ ذِكْرًا﴾(١)[1] فنسب الإنزال إلى هاتين الغايتين إليه سبحانه وتعالى. وقد قال تعالى: ﴿مَن يُضْلِلِ اللهُ﴾ أي ببدعته، ﴿فَلاَ هَادِيَ لَهُ وَيَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾[2] والعمه في البصيرة كما أن العمى (٦٥/ب) في البصر، والعمه في البصيرة منه الهلكة أعاذنا الله تعالى من ذلك.

وروى أبو عيسى الترمذي عن مالك بن أنس وسفيان بن عيينة وابن المبارك أنهم قالوا: أمروا هذه الأحاديث بلا كيف[3].

---

(١) في أ،ب،جـ: ﴿وأنزلنا إليكم ذكراً﴾ وهو خطأ من الناسخ أو سهو من المؤلف ﷺ.

---

(1) الآية رقم ١٠، من سورة الطلاق.

(2) الآية رقم ١٨٦، من سورة الأعراف.

(3) روى الإمام الترمذي في سننه (كتاب التفسير) باب رقم ٦ حديث رقم (٣٠٤٥) قال: « ...قال رسول الله ﷺ : يمين الرحمن ملأى سحاء لا يغيضها الليل والنهار قال: أرأيتم ما أنفق منذ خلق السموات والأرض؟ فإنه لم يغض ما في يمينه (وعرشه على الماء) وبيده الأخرى الميزان يرفع ويخفض. قال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح.

وتفسير هذه الآية: (وقالت اليهود يد الله مغلولة غلت أيديهم ولعنوا بما قالوا بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء) وهذا حديث قد روته الأئمة نؤمن به كما جاء **من غير أن يفسر أو يتوهم** هكذا قال غير واحد من الأئمة الثوري ومالك بن أنس وابن عيينة وابن المبارك إنه تروى هذه الأشياء **ويؤمن بها فلا يقال كيف** » أ.هـ.

يقول محقق سنن الترمذي أ. إبراهيم عطوة:

١- ملأى سحاء: يعني لا ينقصها عطاء، وسحاء تصب العطاء ويملؤها ماله لا ينقصها العطاء الدائم في الليل والنهار.

٢- وبيده الميزان يرفع ويخفض: هذا عبارة عن التقدير والتدبير الصادر عن إرادة الله، فعبر عن القدرة والإرادة باليدين تتصرفان بحسب العلم.

كما نلاحظ دق تعبير الإمام الترمذي « **من غير أن يفسر أو يتوهم** » وما نقله عن الأئمة المذكورين « **فلا يقال (كيف)** » مما يمنع بتاتاً أي تصور أو تخيل قائم على الحسّيات فالحواسّ لم تدرك إلا بعض ما أحاط بها من المخلوقات، والعقول لم تفحص و لم تتخيل إلا ما قدمته الحواس لها من معلومات وصور. لذا قال الإمام على كرم الله وجهه: (المعرفة: أن تعرف أن ما يتصور في وهمك فالله خالقه) وقال ابن عطاء: العقل آلة للعبودية لا للإشراف على الربوبية.

قال الأئمة: ووواجب(١) على الخلق اعتقاد التَّنْزيه وامتناع تجويز النقلة والحركة، فإن النُّزُول الذي هو انتقال من مكان إلى آخر يفتقر إلى الجسمية في المكان(٢) العالي والمكان السافل ضرورة، كما في قوله تعالى: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِن فَوْقِهِمْ﴾[1] فإن الفوقية باعتبار المكان لا يكون(٣) بالضرورة إلاَّ في الأجرام والأجسام مركبة كانت أو بسيطة، والرب سبحانه وتعالى مُنَزَّه عن ذلك إذ هو من صفات الحدث[2].

وقال ابن حامد الراسم نفسه بالحنبلي: هو على العرش(٤) بذاته، ويـنْزِل

---

(١) في ط: فواجب.
(٢) في ط: والمكان.
(٣) في ط: لا يكون.
(٤) في ط: هو فوق العرش.

---

(1) الآية رقم ٥٠، من سورة النحل.

(2) روى الإمام أحمد في مسنده (٢١٧،٢٢/٤) والبزار (٤٤/٤ كشف الأستار) والطبراني (٥١/٩) عن سيدنا عثمان بن أبي العاص الثقفي مرفوعا:«تفتح أبواب السماء نصف الليل فينادي مناد: هل من داع فيستجاب له. هل من سائل فيعطى؟ هل من مكروب فيفرج عنه؟ فلا يبقى مسلم يدعو بدعوة إلاّ استجاب الله عز وجل له إلا زانية تسعى بفرجها أو عشاراً» وهو صحيح الإسناد وانظر (مجمع الزوائد) (٢٠٩/١٠) وفيه: رواه الطبراني: ورجاله رجال الصحيح، كما ذكره الحافظ الهيثمي أيضاً قبل ذلك (مجمع الزوائد) (٨٨/٣) وروى النسائي في السنن الكبرى (١٢٤/٦ برقم ١٠٣١٦) وعمل اليوم والليلة (ص ٣٤٠ برقم ٤٨٢ بتحقيق فاروق حماده) من حديث أبي سعيد وأبي هريرة مرفوعا: « إن الله عز وجل يمهل حتى يمضي شطر الليل الأول ثم يأمر مناديا ينادي يقول: هل من داع يستجاب له؟ هل من مستغفر يغفر له؟ هل من سائل يعطي؟» .

وأشار الإمام القرطبي في تفسيره إلى صحة هذا الحديث (٣٩/٤). فقال: « صححه أبو محمد عبد الحق قال: وهذا يرفع الإشكال ويزيل كل احتمال والسنة يفسر بعضها بعضاً وكذلك الآيات، ولا سبيل إلى حمله على صفات الذات المقدسة، فإن الحديث فيه التصريح بتجدد النزول واختصاصه ببعض الأوقات والساعات وصفات الرب سبحانه يجب اتصافها بالقدم وتنزيهها عن الحدوث والتجدد بالزمان أ.هـ».

انتهى بتصرف من تعليق الشيخ حسن السقاف على كتاب (دفع شبه التشبيه) للإمام الحافظ ابن الجوزي ص ١٩٢، ١٩٣، ١٩٤.

من مكانه الذي هو فيه الذي هو فيه فينزل وينتقل. ولما سمع تلميذه القاضي هذا منه(١) استبشعه فقال: النَّزُول صفة ذاتية، ولا نقول: نزوله انتقال. أراد أن يغالط الأغبياء بذلك. وقال غيره: يتحرك إذا أنزل.

وحكوا هذه المقالة عن الإمام أحمد فُجُوراً منهم، بل هو كذب محض على هذا السيد السلفي(٢) المَنزِّه، فإن النَّزُول إذا كان صفة لذاته لزم تجددها كل ليلة وتعددها، (٦٦ /أ) والإجماع منعقد على أن صفته(٣) قديمة فلا تجدد ولا تعدد تعالى الله عما يصفون[1].

وقد بالغ في الكفر من ألْحَق صفة الحق بالخلق وأدرج نفسه في جريدة السامرة واليهود الذين هم أشد عداوة للذين آمنوا.

---

(١) في ط: منه هذا.

(٢) في ط: السيد الجليل السلفي.

(٣) في ط: صفاته.

---

(1) ولذلك أدلة كثيرة ذكر بعضها شارح (التجريد) رحمه الله فقال: « الأول: أنه لو جاز اتصافه بالحادث لجاز النقصان عليه، وهو باطل بالإجماع. ووجه اللزوم أن ذلك الحادث إن كان من صفات الكمال كان الخلو عنه مع جواز الاتصاف به نقصا بالاتفاق وقد خلا عنه قبل حدوثه. وإن لم يكن من صفات الكمال امتنع اتصاف الواجب به للاتفاق على أن ما يتصف هو تعالى به يلزم أن يكون صفة كمال » أ.هـ نقل ذلك وأثنى عليه د. إبراهيم عبد الرحمن في (المحكم والمتشابه) ٦١٧/٢.

ويقول الإمام عبد الجليل القصري في (شعب الإيمان):

« الأصل العاشر العلم بأنه قديم الصفات: أما دليله من القرآن فقوله جل جلاله: ﴿ وكان الله على كل شيء قديراً﴾ [٢٧: الأحزاب] (وقوله): ﴿وكان الله بكل شيء عليما﴾ [٤٠ :الأجزاب] (وكقوله): ﴿ وكان الله سميعاً بصيراً ﴾ [١٣٤: النساء] . (وكقوله): ﴿ وكان الله سميعاً عليما ﴾ [١٤٨: النساء]. =

= وأمثال هذا لا يحصى فمعنى كان في هذه الآيات وما أشبهها: كان الله في أزله ولا يجوز أن تصرف فيقال: كان يكون.

ولذلك أطلق بعض العلماء في كان فقال: كان هو الله. أشار به إلى أنه القديم جل جلاله.

ودليله من العقل: أن الله جل جلاله حين أوجد الأفعال والموجودات لو لم يتقدم لـه العلم بوجودها والقدرة عليها والكلام المخاطب لها بالتكوين والإرادة وجميع الأوصاف الموجبة له رتبة الربوبية والملك لما صح منه وجود الأفعال. لأن وجود فعل من عاجز جاهل ضعيف غير قوي ولا مريد محال.

وقد وجدت الأفعال فقد صح قدم الصفات قبلها وإذا صح قدم الصفات قبلها استحال عليه طرئان الحواث في صفاته لأنه لو طرأت عليه لازداد علما وقدرة وبصراً وسمعاً وغير ذلك من أوصافه فكان يكمل بعد النقصان وعند طروئها عليه كان يشتغل بالفكر والروية واكتساب الفضائل فيشغله شأن عن شأن.

ولو أشغله تدبير أهل بلدة من البلدان أو جسد واحد من أجساد الحيوان عن تدبير شيء من الأكوان لبهت وتحير.

فبطل الملك والحدثان وكان يكون له في تكميل نفسه شغل شاغل على ممر الدهور والأزمان.

سبحان ربك رب العزة عما يقول المعتزلة وجميع أهل الإفك والبهتان.

وإنما الحق الذي لا يجوز غيره أن تعلم أن صفات الباري سبحانه قديمة بقدم ذاته لم يحدثها هو لنفسه ولا حدثت عليه بل كان بها من غير افتتاح وجود ولا تزداد ولا تنقص كما كانت عليه ولا تفارقه أبداً ولا تحل في شيء أبداً بل هو منفرد بأوصافه عن جميع خلقه.

ولا يخلق منها بمعنى التبعيض شيئاً بل الأشياء كلها فاضلها ومفضولها أرواحها وأجسامها مخلوقة لا من شيء.

والله جل جلاله ليس من شيء ولا منه – على معنى التبعيض- شيء ولا هو مثل شيء» أ.هـ ص ٢٨٩-٢٩١ط العلمية.

وابن تيمية قائل بهذه البدعة المكفرة المخرجة من الملة ونص عليها وأكدها في مواضع كثيرة من كتبه ومنها: « ... فإن قلتم بقيام الحوادث بالرب قلنا لكم: **نعم** وهذا قولنا الذي دل عليه الشرع والعقل... » منهاج السنة ١/٢٢٤ يقول الإمام الكوثري في تعليقه على (السيف الصقيل): «اتفقت فرق المسلمين سوى الكرامية وصنوف المجسمة على أن الله سبحانه منزه من أن تقوم به الحوادث وأن تحل به الحوادث وأن يحل في شيء من الحوادث، بل ذلك **مما علم من الدين بالضرورة** » أ.هـ ص ١٦.

[هـ: حديث الأصابع وبيان أن: التشبيه والتجسيم من أنواع الشرك]

ومنها حديث الأصابع: وهو في الصحيحين من حديث ابن مسعود ﷺ قال: «جاء حبر إلى رسول الله ﷺ: فقال يا محمد، إن الله يضع السماء على إصبع[١] والأرضين على إصبع والجبال على إصبع والشجر والأنهار على إصبع وسائر الخلق على إصبع. وفي لفظ: والماء والثرى على إصبع، ثم يهزهن. فضحك رسول الله ﷺ، وقال: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾[1] » وفي لفظ « فضحك رسول الله ﷺ تعجباً وتصديقاً له » [2].

قال الأئمة ومنهم أبو سليمان الخطابي: لا نثبت لله سبحانه وتعالى[٢] صفة إلاّ بالكتاب أو خبر مقطوع بصحته يستند[٣] إلى أصل في الكتاب أو في السنة[٤] المقطوع بصحتها[3]، وما كان بخلاف ذلك فالواجب التوقف عن

---

(١) في ط: والجبال على أصبع والشجر على أصبع.
(٢) في ب: لا يثبت وفي ج: لا تثبت لله تعالى. وفي ط: لا نثبت لله صفة.
(٣) في ب: ويستند. وفي ط: مستند.
(٤) في ط: أو السنة.

---

(1) الآية ٦٧، من سورة الزمر.
(2)روه البخاري في كتاب التفسير- تفسير سورة الزمر باب: قوله تعالى ﴿ وما قدروا الله حق قدره ﴾ وفي ثلاثة مواضع أخر ورواه مسلم في كتاب (صفة القيامة والجنة والنار) والترمذي في كتاب (التفسير).
(3) وهكذا كل أمور العقيدة في الإسلام لا تبنى إلا على اليقين الكامل الذي لا يخالطه أي== شك أو احتمال لأمر سواه، وقد ذم الله المشركين على اتباعهم الظن في عقائدهم دون اليقين الكامل، لذا ذهب جمهور الأمة إلى عدم الأخذ بأحاديث الآحاد- الصحيحة الإسناد- في العقيدة بل يعمل بها في فروع الشريعة فقط إلا ما كان على الصفة التي أوضحها الإمام الخطابي أي يستند إلى أصل في القرآن أو السنة المتواترة.

إطلاق ذلك ويُتَأوّل على ما يليق بمعاني الأصول المتفق عليها من أقـوال أهـل العلم مع نفي التشبيه.

وقال غيره: قد نفى الله تعالى التشبيه عنه في قوله تعـالى ﴿سُبْحَانَهُ﴾ بعـد قوله تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللهَ (٦٦/ب) حَقَّ قَدْرِهِ والأَرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُـهُ يَـوْمَ الْقِيَامَةِ والسَّمَوَاتِ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِـهِ﴾ نَـزَّه نفسـه بقولـه: ﴿سُبْحَانَهُ﴾ دفعـاً لمـا يتبادر إليه الفهم باعتبار المحسوسات(١)(1).

---

(١) في ط: وقال غيره قد نفى الله تعالى التشبيه عنه في قوله تعالى ﴿ما قدروا الله حـق قـدره والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه﴾ نزه نفسه (سبحانه) وتعالى دفعاً لمـا يشاء إليه الفهم باعتبار المحسوسات.

---

(1)وقد سبق من كلام الدكتور/ أحمد عكاشة أن هذا أمر فطري لا حيلة فيه بمجرد سماع اللفـظ الدال على شيء محسوس سبق حفظ صورة البصرية والسمعية ... إلخ من مراكزها الثابتة بالمخ.

يقول العلامة الدكتور/ علي عبد الواحد وافي في كتابه (علم اللغـة): « وأول كلمـات تبـدو عند معظم الأطفال هي أسماء الذوات، وتظهر بعدها الأفعال ثم الصفات ثم الضمائر.. والسبب في هذا راجع إلى أن الطفل يسير في ارتقائه اللغوي وفقا لارتقاء فهمه، فدرجة نموه الفكـري في مبـدأ هذه المرحلة لا تتيح له أكثر من فهم الكلمات الدالة على أمور حسية يمكن أن يشار إليها.

ولذلك اقتصر متن لغته في هذا الدور على أسماء الذوات، فـإذا نمـا تفكيره أمكنـه أن يـدرك مدلولات الكلمات المعبرة عن أمور معنويـة وحينئـذ تظـهر في لغتـه الأفعـال (الدالـة علـى الحـدث والزمان) والصفات (الدالة على معنى كلّي تتلبس به الذوات بشكل عارض) وما إليهما.

ولما كانت الحروف والروابط أدق أنواع الكلمات مدلولا، لم يتح لـه فهمـها إلا في أواسـط هذه المرحلة أو أواخرها، فتأخر ظـهورها تبعـا لذلـك» أ.هـ ص ١٤٧- ١٤٨. وقـال في موضـع آخر: «تقدم أن معظم العلماء يذهبون إلى أن اللغة الإنسانية قـد بـدأت بألفـاظ دالـة علـى معـان جزئية وأن الألفاظ الدالة على المعاني الكلية لم تظهر إلا بعد ارتقاء اللغة ونهضة التفكير الإنساني.

ومن أهم الأدلة التي يعمدون في تأييد نظريتهم أنها تتفق مع مراحل التطور اللغوي عند الطفـل » أ.هـ (علم اللغة) ص ١٦٦.

=

قال الأئمة: معناه: ما عرفوه حق معرفته. وقال المبرد: ما عظموه حق عظمته.

وقبضة الله عز وجل عبارة عن قدرته وإحاطته بجميع مخلوقاته، واليمين في كلام العرب بمعنى الملك والقدرة، كما قال تعالى: ﴿لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ﴾[1] أي بالقوة والقدرة.

= وقد أورد الدكتور/ عبد العظيم المطعني في كتابه (المجاز) نقولا تدل على أن العرب توسعوا في استعمال بعض الكلمات ذات الدلالة الحسية فنقلوها للدلالة على الأمور المعنوية ثم قال: «هذا يؤكد النظرية القائلة إن المعاني الحسية سابقة في الوجود على المعاني المعنوية والحقائق على المجازات لأننا حين نطبق هذه النظرية على التطور الدلالي في اللغة العربية نجدها صادقة إلى حد بعيد» أ.هـ ج ٢ ص ٧٢٣.

وقد قال الإمام عبد الجليل القصري في (شعب الإيمان): «لما نظر الروح على نُقَب الحواس إلى معلوماته المحسوسات في هذا العالم رسخت صورها في خياله وتنقشت منطبعة في ذاته فإذا ذكر له مذكور من صفات الباري حمله على ما عهد لأنه لم يعهد إلا ذلك مثل اليد إذا ذكر له حمله على الجارحة أو البصر أو الوجه أو أي مذكور ذكر له من علم أو غيره حمله على ما عهد، فلابد من تميز صفات الخالق من صفات خلقه » أ.هـ ص ٦١.

وقد سبق إثبات ورود الإشارة إلى ظاهرة التبادر في نصوص الشرع عند الحديث الصحيح: «إن الله عز وجل يقول يوم القيامة: يا ابن آدم مرضت فلم تعدني.. » الحديث رواه مسلم.

ويقول الدكتور عبد العظيم المطعني في رده على ابن القيم الذي -ينكر التبادر تبعا لشيخه-: « ... أما تبادر المعنى الحقيقي فيكفي فيه قصة القوم الذين فهموا من قوله تعالى ﴿حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود.. ﴾ أن المراد من الخيطين هنا الحبلان الأبيض والأسود إلى أن نزل قوله تعالى ﴿ من الفجر ﴾ فكانت نصا في فهم المراد.

وهذه المبادرة مطردة لذلك احتيج في المجاز إلى القرائن الصارفة عن المعنى الحقيقي المتبادر. وهذا هو الحق » أ.هـ (المجاز) ج٢ ص ٩٤٣.

ومن هنا يتبين أن ابن تيمية وتلاميذه بإنكارهم تبادر المعنى الحقيقي يصادمون العقل والشرع جميعاً ويسقطون بذلك عن درجة الخطاب.

(1) الآية ٤٥ ، من سورة الحاقة.

قال الفراء: اليمين القوة والقدرة[١]، وأشعار العرب في ذلك كثيرة جداً أكثر من أن تذكر وأشهر من أن تنشر[٢] وتبرز وتظهر، وفي الحديث: «الْحَجَرُ الأَسْوَدُ يَمِينُ الله تَعَالَى»[1] وقال تعالى: ﴿يَدُ الله فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾[2].

وقال أبو الوفاء ابن عقيل[3] - من أصحاب الإمام أحمد -: ﴿مَا قَدَرُوا

---

(١) سقطت هذه العبارة من ط.

(٢) في ط: وأشعار العرب في ذلك أكثر وأشهر من أن تنشد.

---

(1) رواه الطبراني في معجمه وأبو عبيد القاسم بن سلام وابن أبي الفوارس والأزرقي في تاريخه مرفوعاً كما بينه العلامة العجلوني في (كشف الخفاء) ثم قال:« ورواه القضاعي أيضاً عن ابن عباس ﷺ موقوفا عليه لكنه صحيح بلفظ (الركن يمين الله عز وجل يصافح بها خلقه، والذي نفس ابن عباس بيده ما من مسلم يسأل الله عنده شيئاً إلا أعطاه إياه) ومثله مما لا مجال للرأي فيه وله شواهد، فالحديث حسن وإن كان ضعيفاً بحسب أصله كما قال بعضهم.» ثم قال« ومعناه كما قال المحب الطبري أن كل ملك إذا قدم عليه قبلت يمينه ولما كان الحاج والمعتمر يسن لهما تقبيله نزل منزلة يمين الملك على سبيل التمثيل ولله المثل الأعلى، ولذلك من صافحه كان له عند الله عهد كما أن الملك يعطي العهد بالمصافحة » أ.هـ حديث رقم ١١٠٩ ص ٤١٧ -٤١٨ قلت: هذا الحديث مما أوله الإمام أحمد بن حنبل كما سبق، ومع ذلك فقد زعم ابن الفاعوس الحنبلي أن الحجر الأسود يمين الله حقيقة، مما دعا الإمام الحافظ أبو بكر بن الخاضبة إلى تلقيبه بـ(الحجري) وذلك يؤكد أن هؤلاء المجسمة في الحقيقة ليسوا بأتباع للإمام أحمد ﷺ بل هم مجسمة خوارج يتسترون وراء المذهب الحنبلي.

(3) الآية ١٠، من سورة الفتح .

(2) هو: أبو الوفاء علي بن عقيل بن محمد بن عقيل بن أحمد البغدادي الظفري المقري الفقيه الحنبلي الأصولي الواعظ المتكلم. أحد الأعلام وشيخ الإسلام ولد سنة ٤٣١هـ له كتاب (الفنون) مائتا مجلد فيه فوائد جليلة في الوعظ والتفسير والفقه والأصلين والنحو واللغة والشعر والتاريخ والحكايات وفيه مناظراته ومجالسه وخواطره ونتائج فكره، قال الذهبي: لم يصنف في الدنيا أكبر من هذا الكتاب وله كتاب (الفصول) في الفقه و(عمدة الأدلة) و(المفردات) و(الإرشاد) في أصول الدين و (الواضح) في أصول الفقه و(الانتصار لأهل الحديث) مجلد و (نفي التشبيه) و(مسائل مشكلة) في آيات من القرآن، وأحاديث سئل عنها فأجاب، و (تهذيب النفي) وغير ذلك. له مسائل كثيرة ينفرد بها ويخالف المذهب الحنبلي، توفى ﷺ عام ٥١٣هـ.

الله حَقَّ قَدْرِهِ﴾[1] إذ جعلوا صفاته تتساعد وتتعاضد على حمل مخلوقاته، وإنما ذكر الشرك في الآية رداً عليهم.

وفي معنى هذا الحديث قوله عليه الصلاة والسلام: «إنَّ قُلُوبَ بَنِي آدَمَ بَيْنَ أُصْبُعَينِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ يُقَلِّبُهَا»(١) [2] وفي ذلك إشارة إلى أن القلوب مقهورة لمقلبها[3].

---

(١) في ب –ج –ط: يقلبها كيف يشاء.

---

(1) الآية ٦٧ ، من سورة الزمر.

(2) أخرجه مسلم في القدر، باب: تصريف الله تعالى القلوب كيف شاء والترمذي في القدر، باب ما جاء أن القلوب بين أصبعي الرحمن.

(3) ذكر شيخنا العلامة الدكتور/ إبراهيم عبد الرحمن في كتابه (المحكم والمتشابه) الأقوال المختلفة في شرح الحديث بهامش صفحات ٦٢٨-٦٣١ وقال بأعلى الصفحة رداً على قول لابن تيمية « قلنا: بعد قولنا كذلك في لفظة الصفات بما تقدم وتسليم أن ضحكه ﷺ عند سماع قول اليهودي كان تعجبا منه وتصديقا له، فمن أين أن ذلك التصديق كان لما تزعمون من الحقيقة حتى يدل على مدعاكم؟ ولم لا يكون الأمر هو على نحو ما قاله صاحب المفهم رحمه الله من أنّا (لو سلمنا أن النبي ﷺ صرح بتصديقه لم يكن ذلك تصديقاً له في المعنى، بل في اللفظ الذي نقله من كتابه عن نبيه ونقطع بأن ظاهره غير مراد) أي وإنما المراد هو ما نقول به من المجاز...» أهـ. وقال صاحب (الكشاف) في تفسير الآية الكريمة ﴿والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة والسماوات مطويات بيمينه﴾: « والغرض من هذا الكلام إذا أخذته كما هو بجملته ومجموعه تصوير عظمته والتوقيف على كنه جلاله لا غير، من غير ذهاب بالقبضة ولا باليمين إلى جهة حقيقة أو جهة مجاز » أي المجاز المرسل كما قاله ابن السبكي ثم ذكر الزمخشري حديث ابن مسعود السابق ذكره ثم قال: «وإنما ضحك أفصح العرب ﷺ وتعجب لأنه لم يفهم منه إلا ما يفهمه علماء البيان من غير تصور إمساك ولا أصبع ولا هز ولا شيء من ذلك، ولكن فهمه وقع أول شيء وآخره على الزبدة والخلاصة التي هي الدلالة على القدرة وأن الأفعال العظام التي تتحير فيها الأفهام والأذهان ولا تكتنهها الأوهام هينة عليه هوانا لا يوصل السامع إلى الوقوف عليه إلا إجراء العبارة في مثل هذه الطريقة من التخييل ولا ترى باب في علم البيان أدق ولا أرق ولا ألطف من هذا الباب ولا أنفع وأعون على تعاطي تأويل المتشابهات من كلام الله تعالى في القرآن وسائر الكتب السماوية وكلام الأنبياء ...الخ » نقل كلامه بطوله العلامة الدكتور/ إبراهيم عبد الرحمن مقراً له ثم قال:
«أما ما اختار – يشير إلى الزمخشري – فيعني به الاستعارة التمثيلية ... الخ » أ.هـ انظر المحكم والمتشابه (٢ / ٧١٣-٧١٥) أقول: كل هذا يوضح أنه مع افتراض صحة فهم الراوي وأن ضحك رسول الله ﷺ كان تصديقا فهو تصديق بقدرة الله وجلال عظمته فقط.

وقال الخطابي: واليهود مشبهة، ونزول الآية دليل على إنكار الرسول عليهم، ولهذا ضحك عليه الصلاة والسلام على وجه الإنكار (٦٧/أ).

وليس معنى الأصابع معنى الجارحة لعدم ثبوته بل مطلق[١] الاسم في ذلك على ما جاء به الكتاب من غير تكييف ولا تشبيه.

وقال غيره: من حمل الأصابع على الجارحة فقد رد على الله عز وجل في قوله تَعَالَىَ وأدخل نفسه في أهل الشرك لقوله تعالى: ﴿سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونْ﴾[1].

---

(١) في ب-ط: يطلق.

---

(1) الآية ٦٧، من سورة الزمر.

وذلك لما رواه البيهقي في الأسماء والصفات بسنده قال: «عن ابن عباس رضي الله عنهما قال (إن اليهود والنصاري وصفوا الرب عز وجل فأنزل الله عز وجل على نبيه ﷺ «وما قدروا الله حق قدره» ثم بين للناس عظمته فقال ﴿والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة والسماوات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون﴾ فجعل وصفهم ذلك شركا) هذا الأثر عن ابن عباس إن صح يؤكد ما قاله أبو سليمان رحمه الله » أ.هـ ص ٣٣٩ قلت: وإسناده حسن إن شاء الله كما يتبين من مراجعته والمقصود.بوصفه هو تخيله وتصوره كالمخلوقات المحسوسة لنا جسم ذو أبعاد وأجزاء كما هو ثابت في كتبهم المحرّفة وقد صح عن ابن عباس رضي الله عنهما في تفسير قوله تعالى: ﴿وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون﴾ أنهم هم الذين شبهوا الله سبحانه وتعالى بخلقه، رواه الطبري عنه وسيأتي بعد.

يقول السيوطي في تفسير الآية ﴿ وما قدروا الله حق قدره ... ﴾ الآية في تفسيره (الدر المنثور): « وأخرج ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبو الشيخ في العظمة عن سعيد بن جبير قال: تكلمت اليهود في صفة الرب فقالوا ما لم يعلموه وما لم يروه فأنزل الله ﴿ وما قدروا الله حق قدره ﴾ . وأخرج ابن أبي حاتم عن الحسن قال: اليهود نظروا في خلق السماوات والأرض والملائكة فلما زاغوا أخذوا يقدرونه فأنزل الله ﴿ وما قدروا الله حق قدره ﴾ » أ.هـ.

وقد أخرج هذا الأثر أبو الشيخ في كتاب العظمة ٣٦٠/١ بإسناد حسن وفي آخره « .. ثم بين عظمته للناس فقال (والأرض جميعاً ... الآية) فجعل صفتهم التي وصفوا الله تبارك وتعالى شركا. كتاب العظمة ٣٦٠/١.

وهو عز وجل يذكر في كتابه المبين التحرس عما لا يليق به دفعاً[١] ورداً لأعدائه، كقوله تعالى: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ اللهُ وَلَداً سُبْحَانَه﴾ [1] وقال تعالى: ﴿وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحَانَه﴾ [2] ونحو ذلك، وآكد من ذلك قوله: ﴿وأنه تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا مَا تَّخَذَ صَاحِبَةً وَلا وَلَدًا﴾ [3] قدم تنزيهه عز وجل أولا في هذه الآية والقرآن طافح بذلك:

---

(١) في ط: عما لا يليق دفعاً.

---

(1) الآية ١١٦، من سورة البقرة.

(2) الآية ١٠٠، من سورة الأنعام.

(3) الآية ٣ من سورة الجن.

[ز: حديث العندية]:

ومنها ما رواه الشيخان من حديث أبي هريرة ﷺ أنه عليه الصلاة والسلام قال: «لما قضى الله الخلق كتب في كتاب فهو عنده فوق العرش: إن رحمتي غلبت غضبي» وفي لفظ: « سبقت » [1].

قال القاضي المُشَبِّه تلميذ ابن حامد: ظاهر قوله «عنده» القرب من الذات، وما قاله يستدعي القرب بالمساحة، وذلك من صفات الأجسام، وقد عمي عن قوله تعالى: ﴿مُسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ﴾[2] ومن المعلوم أنك تقول: (٦٧/ب) عندي فوق الغرفة كتاب كذا. وهو في موضع شاسع نازل عن الغرفة بمسافة بعيدة.

ثم إن هذا القاضي روى عن الشعبي أنه قال أن الله قد ملأ العرش حتى أن له أطيط كأطيط الرحل، وهو كذب على الشعبي.

وقال بعضهم: ثم استوى على العرش، قعد عليه وقال ابن الزاغوني: خرج عن الاستواء أربع أصابع.

ولهم ولأتباعهم مثل ذلك خبائث كلها صريحة في التشبيه والتجسيم لاسيما في مسألة الاستواء، وهو سبحانه مُنَزَّه[١] عما لا يليق به صفات الحدث.

---

(١) في ط: متنزه.

---

(1) رواه البخاري في كتاب (بدء الخلق) باب: ما جاء في قول الله تعالى ﴿وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده﴾. ومسلم في كتاب (التوبة) باب: في سعة رحمة الله تعالى وأنها سبقت غضبه. والنسائي في السنن الكبرى في كتاب (النعوت).

(2) الآية ٨٣، من سورة هود.

ثم إن هؤلاء الجمادات وأعالي الجهلة يلزمهم أن يقولوا في الحديث الذي رواه مسلم وغيره مما لم[١] يمكن القول به من أجهل الناس: «ولا يزال عبدي يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها... إلى آخره [1]» وبالضرورة لا يكون سبحانه جارحة لعبده ومع هذا يلزم التعدد بحسب المتقربين، والتجزئة والتفرقة وغير ذلك مما لا يقوله حمار بل ولا جماد تعالى الله وتقدس عن ذلك.

قال ابن الجوزي: وهؤلاء وأتباعهم (٦٨/أ) جهلوا بمعرفة[٢] ما يجوز على الله وما يستحيل عليه.

ومن أعجب ما رأيت لهم ما ذكروا عن ابن أبي شيبة أنه قال في كتاب العرش: إن الله تعالى قد أخبرنا أنه صار من الأرض إلى السماء ومن السماء إلى العرش فاستوى على العرش.

ثم قال: ونبرأ من أقوام شانوا مذهبنا فعابنا الناس بكلامهم ولو فهموا أن الله سبحانه وتعالى لا يوصف بما يوصف الخلق لما بنوا أمورهم وقواعدهم على المحسوسات التي بها المساواة بينه وبين خلقه، وفي ذلك تكذيبه في تَنْزِيهه وتقديسه لنفسه[٣] عز وجل.

وقال أبو الوفاء ابن عقيل: يِحَسْب الجهلة نسبة النقائص إليه[٤] فيما نزه نفسه عنه عز وجل، والذي أوقعهم في ذلك: القياس المظنون، وكيف يكون له حكم الدليل وقد قضى[٥] عليه دليل العقل بالرد.

---

(١) في ط: ما لم.
(٢) في ج-ط: معرفة.
(٣) في ط: نفسه.
(٤) في ط: تحسب الجهلة أن الكمال في نسبة النقائص إليه.
(٥) في ج: على بدلاً من عليه وهو خطأ.

---

(1) جزء من حديث قدسي رواه أبو هريرة أن رسول الله ﷺ قال: « قال الله تعالى: من عادي لي وليا فقد آذنته بالحرب وما تقرب إلىّ عبدي بشيء أحب إلى مما افترضت عليه ولا يزال عبدي ... » الحديث. أخرجه البخاري في كتاب الرقاق باب التواضع.

[موقف الناس من أخبار الصفات]

قال أبو الفرج ابن الجوزي:

والناس في أخبار الصفات على ثلاث مراتب.

أحدها: إمرارها على ما جاءت من غير تفسير ولا تأويل، إلاّ أن تقع ضرورة كقوله(١) تعالى﴿وَجَاءَ رَبُّكَ﴾(1) أي جاء أمره. وهذا مذهب السلف.

المرتبة الثانية: التأويل وهو مقام خطر(2).

---

(١) في ب: لقوله. وعند ابن الجوزي كقوله.

---

(1) الآية رقم ٢٢، من سورة الفجر.

(2) يقول الإمام الكوثري في تعليقه على كتاب ابن الجوزي (دفع شبه التشبيه عند قول الإمام بن الجوزي المرتبة الثانية: التأويل وهو مقام خطر) ما نصه:

يقول في شرح المشكاة: «قال النووي في شرح مسلم: في هذا الحديث «حديث النزول» وشبههمن أحاديث الصفات وآياتها مذهبان مشهوران: فمذهب جمهور السلف وبعض المتكلمين الإيمان بحقيقتها على ما يليق به تعالى وأن ظاهرها المتعارف في حقنا غير مراد ولا نتكلم في تأويلها مع اعتقادنا تنزيه الله سبحانه عن سائر سمات الحدوث. والثاني مذهب أكثر المتكلمين وجماعة من السلف وهو محكي عن مالك والأوزاعي إنما يتأول على ما يليق بها بحسب بواطنها فعليه الخبر مؤول بتأويلين أي المذكورين. وبكلامه وبكلام الشيخ الرباني أبي إسحاق الشيرازي وإمام الحرمين والغزالي وغيرهم من أئمتنا وغيرهم يعلم أن المذهبين متفقان على صرف تلك الظواهر كالمجئ والصورة والشخص والرجل والقدم واليد والوجه والغضب والرحمة والاستواء على العرش والكون في السماء وغير ذلك عما يفهمه ظاهرها لما يلزم عليه من محالات قطعية البطلان تستلزم أشياء يحكم بكفرها بالإجماع فاضطر جميع الخلف والسلف إلى صرف اللفظ عن ظاهره وإنما اختلفوا هل نصرفه عن ظاهره معتقدين اتصافه سبحانه بما يليق بجلاله وعظمته من غير أن نؤوله بشيء آخر وهو مذهب أكثر أهل الخلف وهو تأويل تفصيل ولم يريدوا بذلك مخالفة السلف الصالح معاذ الله أن يظن بهم ذلك وإنما دعت الضرورة في أزمنتهم لذلك لكثرة المجسمة والجهمية وغيرهما من فرق الضلال واستيلائهم على عقول العامة فقصدوا بذلك ردعهم وبطلان قولهم ومن ثمت اعتذر كثير منهم وقالوا: لو كنا على ما كان – عليه السلف الصالح من صفاء العقائد وعدم=

= المبطلين في زمنهم لم نخض في تأويل شيء من ذلك وقد علمت أن مالكا والأوزاعي وهما من كبار السلف أوَّلا الحديث تأويلا تفصيليا وكذلك سفيان الثوري أوَّل الاستواء على العرش بقصد أمره ونظيره (ثم استوى إلى السماء) أي قصد إليها ومنهم الإمام جعفر الصادق، بل قال جمع منهم ومن الخلف: إن معتقد الجهة كافر كما صرح به العراقي وقال أنه قول لأبي حنيفة ومالك والشافعي والأشعري والباقلاني، وقد اتفق سائر الفرق على تأويل نحو (وهو معكم أينما كنتم) (ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم) الآية (فأينما تولوا فثم وجه الله) (ونحن أقرب إليه من حبل الوريد) و(قلب المؤمن بين إصبعين من أصابع الرحمن) و (الحجر الأسود يمين الله في الأرض) وهذا الاتفاق يبين لك صحة ما اختاره المحققون أن الوقف على (الراسخون في العلم) لا الجلالة. قلت الجمهور على أن الوقف على (إلا الله) وعدوا وقفه وقفاً لازماً وهو الظاهر لأن المراد بالتأويل معناه الذي أراده تعالى وهو في الحقيقة لا يعلمه إلا الله جل جلاله ولا إله غيره وكل من تكلم فيه تكلم بحسب ما ظهر ولم يقدر أحد أن يقول إن هذا التأويل هو مراد الله جزماً ففي التحقيق الخلاف لفظي ولهذا اختار كثيرون من محققي المتأخرين عدم تعيين التأويل في شيء معين من الأشياء التي تليق باللفظ ويكلون تعيين المراد بها إلى علمه تعالى وهذا توسط بين المذهبين وتلذذ بين المشربين. واختار ابن دقيق العيد توسطا آخر فقال: إن كان التأويل من المجاز البين الشائع فالحق سلوكه من غير توقف أو من المجاز البعيد الشاذ فالحق تركه وإن استوى الأمران فالاختلاف في جوازه وعدمه مسألة فقهية اجتهادية والأمر فيها ليس بالخطر بالنسبة للفريقين. قلت: التوقف فيها لعدم ترجيح أحد الجانبين مع أن التوقف مؤيد بقول السلف ومنهم الإمام الأعظم » أ. هـ ويقول في شرح المشكاة أيضاً: والحاصل أن السلف والخلف مؤولون لإجماعهم على صرف اللفظ عن ظاهره ولكن تأويل السلف إجمالي لتفويضهم إلى الله تعالى وتأويل الخلف تفصيلي لاضطرارهم إليه لكثرة المبتدعين » أ. هـ (ز).

وفي (إشارة النبيه في كشف شبه أهل التشبيه إملاء الشيخ نجم الدين أبي الفتح نصر الله ابن العز بن سعد الله بن نجم الكاتب البغدادي): « وقد تأول العلماء والأدباء والشعراء قديماً وحديثاً ولذلك قول بعضهم:

أقول بالخد خال حين أذكره ... خوف الرقيب وما بالخد من خال

أبكي إلى الشرق أن كانت منازلهم ... بجانب الغرب خوف القيل والقال

ومن قال لا أقول بالتأويل ولا أشبه فقد تأول لأنه إذا عدل عن معنى النزول عنده ومعنى اليمين في حديث (الحجر الأسود يمين الله في الأرض) إلى غير ذلك فقد تأول فلا محيص لكم عن التأويل بحال » أ.هـ. =

= ويقول العلامة الآلوسي في تفسيره عند الكلام على الوجه: « والتأويل القريب إلى الذهن الشائع نظيره في كلام العرب مما لا بأس به عندي، على أن بعض الآيات مما أجمع على تأويلها السلف والخلف والله تعالى أعلم بمراده » هـ وقال أيضاً: « وأنا أميل إلى التأويل وعدم القول بالظواهر مع نفي اللوازم في بعض ما ينسب إلى الله مثل قوله تعالى ﴿ سنفرغ لكم أيها الثقلان ﴾ وقوله ﷺ : « الحجر الأسود يمين الله في أرضه فمن قبله أو صافحه فكأنما صافح الله تعالى وقبل يمينه » فأجعل الكلام فيه خارجاً مخرج التشبيه لظهور القرينة، ولا أقول: الحجر الأسود من صفاته كما قال السلف في اليمين » أ. هـ.

وقد عقد ابن المعلم في كتابه (نجم المهتدي ورجم المعتدي) بابا سرد فيه جماهير المؤولين (فيما يظهر فيه وجه الكلام) من الصحابة والتابعين وغيرهم (ز). انتهى كلام الإمام الكوثري رحمه الله.

قلت: ويقول الإمام تقي الدين بن دقيق العيد في عقيدته التي صنفها على طريقة أهل السنة ونقلها عنه العلامة ابن المعلم القرشي في أثناء ترجمته له في كتابه الجليل (نجم المهتدي ورجم المعتدي) مخطوط لوحة رقم ٤٤٩- ٤٥٠ بخط المؤلف:

(وأنه تعالى تجوز رؤيته وتقع في الآخرة كما أخبر عنه ﷺ بالمعنى الذي قصده مع التنزيه عما لا يجوز على الله تعالى. وكذلك نقول في الألفاظ المشكلة الواردة في الكتاب والسنة: تنزه الله تعالى عما لا يليق بجلاله ونؤمن بأنها حق وصدق على الوجه الذي أراد حصوله ورسوله، من أول شيئاً منها فإن كان تأويله قريباً على ما يقتضيه لسان العرب وتفهم من مخاطباتها لم ننكره عليه و لم نبدعه وإن كان تأويله بعيداً توقفنا عن قبوله واستبعدناه ورجعنا إلى القاعدة في الإيمان بمعناه والتصديق به على الوجه الذي أريد به مع التنزيه، وما كان معناه من صفة الألفاظ ظاهراً مفهوماً من تخاطب العرب قلنا به من غير توقف كما في قوله تعالى ﴿ يا حسرتا على ما فرطت في جنب الله ﴾ فنحمله على حق الله وما يجب له أو على قريب من هذا المعنى ولا نتوقف فيه، وكذلك قوله عليه السلام: قلب المؤمن بين أصبعين من أصابع الرحمن فنحمله على أن إرادات القلب واعتقاداته متصرفة بقدرة الله تعالى وما يوقعه في القلوب، وهكذا سائر الأمور الظاهرة المعنى المفهوم عند سامعيها ممن يفهم كلام العرب..) أ.هـ المقصود منه.

المرتبة الثالثة: القول فيها بمقتضى الحس، وقد عم جهلة[١] الناقلين إذ ليس لهم (٦٨/ب) علوم[٢] المعقولات التي بها يعرف ما يجوز على الله عز وجل وما يستحيل، فإن علم المعقولات يصرف ظواهر المنقولات عن التشبيه فإذا عدموها تصرفوا في النقل بمقتضى الحس[1]، ولو فهموا أن الله عز وجل لا يوصف بحركة ولا انتقال ولا جارحة ولا تغير لما بنوا[٣] على الحسيات التي فيها عين التشبيه[2]، وهو كفر بالقرآن أعاذنا الله تعالى من ذلك.

ولاشك أن مذهب السكوت أسلم.

وقد ندم خلق من أكابر المتكلمين على الخوض في ذلك.

قال أبو المعالي الجويني[3] في آخر عمره: خليت أهل الإسلام وعلومهم، وركبت البحر الأعظم، وغصت في الذي نهوا عنه، والآن قد رجعت[٤] إلى

---

(١) في ط: جهله.

(٢) في ج: علم. وفي دفع الشبه لأبن الجوزي: إذ ليس لهم حظ من علوم.

(٣) في ط: لما بقوا. في دفع الشبه لابن الجوزي ولا انتقال ولا تغير ما بنوا على .

(٤) في ط: والآن رجعت.

---

(1)في كتاب دفع شبه التشبيه بعد قوله؛ بمقتضى الحس: وإليه أشار القاضي أبو يعلى بقوله: لا يمتنع أن يحمل التي وطئها الحق تعالى على أصولنا وأنه معنى يتعلق بالذات: وأصولهم على زعمه ترجع إلى الحس. ولو فهموا ...

(2) انتهى كلام ابن الجوزي انظر دفع الشبه طبعة الكوثري ص ٧٣- ٧٥.

(3)هو الإمام: أبو المعالي ضياء الدين عبد الملك بن عبد الله بن يوسف الجويني إمام الحرمين رئيس الشافعية بنيسابور. ولد سنة ٤١٩هـ تفقه على والده الإمام أبو محمد الجويني وتعلم بمدرسة البيهقي وحصل أصول الدين وأصول الفقه على أبي القاسم الاسفراييني الإسكافي. جاور بمكة أربع سنين يدرس ويفتي ويجمع طرق المذهب ثم رجع إلى نيسابور، واقعد للتدريس بنظامية نيسابور نحو ثلاثين سنة. تخرج به جيل من الأئمة منهم حجة الإسلام أبو حامد الغزالي. قال ابن السمعاني: كان إمام الأئمة على الإطلاق المجمع على جلالته شرقا وغربا لم تر العيون مثله. من تصانيفه (النهاية) و (الغياثي) و(الأساليب في الخلاف) و (الرسالة النظامية) طبع منها الجزء الخاص بالعقيدة رواية الحافظ أبي بكر بن العربي عن حجة الإسلام الغزالي عن الإمام الجويني و (البرهان) و (الإرشاد) و (الورقات) الثلاثة في أصول الفقه و (الإرشاد) و (الشامل) في أصول الدين وغير ذلك. توفى رضي الله عنه عام ٤٧٨هـ.

قولهم عليكم بدين العجائز، فإن لم يدركني الحق بلطفه وأموت على دين العجائز ، وإلاّ فالويل لابن الجويني[1].

---

(1)هذه عبارة شهيرة ينقلونها عن إمام الحرمين ونحوها عن الفخر الرازي ليدللوا بها على تفضيل منهج السلف على منهج علماء الكلام (الخلف) في صيانة العقيدة كما يستخدمها المجسمة ليدللوا بها على بطلان عقائد أهل السنة (الأشاعرة) بزعم أن أئمة أهل السنة قد تراجعوا عن هذه العقائد قبل الموت وهيهات. وقد نقل نص الكلمة كاملا وناقشه الإمام تاج الدين السبكي في طبقات الشافعية الكبرى.

يقول: « وذكر ابن السَّمْعانّي أبو سعد في « الذيل » أنه قرأ بخط أبي جعفر محمد بن أبي عليّ بن محمد الهَمَذانيّ الحافظ، سمعت أبا المعالِي الجوينيّ، يقول : لقد قرأت خمسين ألفا في خمسين ألفا، ثم خلَّيت أهلِ الإسلام بإسلامهم فيها، وعلومهم الظاهرة، وركبت البحر الخِضَمّ، وغُصْت في الذي نهى أهلُ الإسلام عنها؛ كل ذلك في طلب الحق، وكنت أهرُب في سالف الدهر من التقليد، والآن قد رجعت عن الكُلّ إلى كلمة الحق، عليكم بدين العجائز، فإن لم يُدركني الحقُّ بلُطْف بِره فأموتَ على دين العجائز، وتختم عاقبة أمرى عند الرحيل على نزهة أهل الحق وكلمِة الإخلاص لا إله إلا الله، فالويل لابن الجُوَيْنِي، يريد نفسه » .

« ثم عقب الإمام السبكي بعد ذلك بقوله:

قلت: ظاهر هذه الحكاية عند من لا تحقيق عنده البشاعةُ، وأنه خلَّى الإسلامَ وأهلَه، وليس هذا معناها، بل مراده أنه أنزل المذاهبَ كلَّها في منزلة النظر والاعتبار، غيرّ متعصِّب لواحد منها، بحيث لا يكون عنده مَيْلٌ يقوده إلى مذهب معيَّن، من غير برهان، ثم توضَّح له الحق، وأنه الإسلام، فكان على هذه المِلَّة عن اجتهاد وبصيرة، لا عن تقليد، ولا يخفى أن هذا مقام عظيم، لا يتهيأ إلا لمثل هذا الإمام، وليس يُسْمَح به لكلّ أحد، فإنَّ غائلته تُخْشَى إلا على مَن برَّز في العلوم، وبلغ في صحة الذهن مَبْلَغ هذا الرجل العظيم، فأرشد إلى أن الذي ينبغي عدم الخَوْض في هذا، واستعمال دين العجائز.

ثم أشار إلى أنه مع بلوغه هذا المَبْلغ، وأخذِه الحقّ عن الاجتهاد والبصيرة، لا يأمن مكر الله، بل يعتقد أن الحقَّ إن لم يدركه بلطفه، ويختم له بكلمة الإخلاص فالويل له، ولا ينفعه إذ ذاك علومه، وإن كانت مثل مَدَد البحر.

فانظر هذه الحكاية، ما أحسنَها، وأدَلَّها على عظمة هذا الإمام، وتسليمه لربه تعالى، وتفويضه الأمَر إليه، وعدم اتّكاله على علومه ! ثم تعجَّب بعدها من جاهل يفهم منها غير المراد، ثم يَخبِط خَبْطَ عَشْواء ! » أ.هـ ٥/ ١٨٥-١٨٦.

وزيادة في معنى العبارة انظر الهامش التالي.

ويلاحظ أن الإمام الحصني ﷺ يحبذ المنهج الأول الذي ذكره ابن الجوزي في التأويل وهو منهج السلف والذي يتميز بالتنزيه التام المطلق مع عدم الخوض في دقائق أدلة علم الكلام وعدم التصدي لتأويل المتشابهات إلا ما دعت إليه الضرورة فقط لذا ذكر عبارة إمام الحرمين.

قال أبو الوفاء ابن عقيل: معنى (دين العجائز) أن المدققين بالغوا في البحث والنظر و لم يشهدوا ما يشفي العقل من التعليل فوقفوا مع المراسم واستطرحوا ، وقالوا: لا ندري[1].

وسئل الإمام أحمد قدس الله تعالى روحه عن الاستواء فقال: هو كما أخبر لا كما يخطر للبشر[١].

فانظر وفقك الله وأرشدك إلى الحق إلى هذه العبارة (٦٩/أ) ما أرشقها وعلى أتباعه ما أشفقها[٢] . اعتقاد قويم ومنهاج سليم.

---

(١) في ط: بالبشر.
(٢) في ط: ما أشققها وهو خطأ.

---

(1) وأما الثاني وهو ما حكاه عن بعض السلف من قوله: عيكم بدين العجائز فلا دليل فيه أيضاً على صحة التقليد، لأن مراد هذا القائل الأمر بالتمسك بما اجتمع عليه السلف الصالح من الصحابة والتابعين حتى وصل علمه إلى من ليس أهلا للنظر كالعجائز والصبيان في الكتاب والأعراب أهل البدو، وتَرْك ما أحدثته المبتدعة من القدرية والمرجئة والجبرية والروافض وغيرهم ممن لا وجود له في أعصار السلف الصالح خاصهم وعامهم..

ثم ضرب أمثلة منها: مثل ما أنكرته المعتزلة من جواز العفو عمن مات مصراً على المعاصي وإنكار الشفاعة له، وإنكار خلق الجنة والنار وغير ذلك ..

« ويدل قطعاً على هذا التأويل إتيان عمر بن عبد العزيز بمثل هذا جواباً للسائل عن الأهواء فكأنه قال له عليك في الدين بما كان عليه السلف الصالح وتلقاه منهم الخلف ودع ما ينقض ذلك مما أحدثه المبتدعة.

ثم قال: « لأن علماء السنة رضي الله عنهم إنما ألفوا في علم التوحيد ليبينوا للناس ما كان عليه السلف الصالح وصار لشهرته ووضوحه قبل ظهور البدع دينا لعجائزهم وإمائهم وأهل البدو وصبيان كتابهم وزادوا بأن حصنوه بالبراهين العقلية وبالأدلة النقلية القطعية فيما تقبل فيه منهم رضي الله عنهم » .

يقول الشيخ إسماعيل الحامدي: المراد بدين العجائز الخ: الذي كان عليه السلف الصالح الدين الخالص والمعرفة الصافية من الشبه، أي الاعتقاد الجازم عن دليل إجمالي مركوز في نفوسهم.

والذي زاده النظار إنما هي براهين تفصيلية على طريق المناطقة صوناً لها عن الشبه فالمأمور به المعرفة لا التقليد.

قال الحافظ أبو الفرج ابن الجوزي واسمه عبد الرحمن بن علي: لما رأى الحساد للإمام أحمد ما حصل له من الرفعة ونفاسة مذهبه لتشييده بالكتاب والسنة انتموا إلى مذهبه ليدُخلوا عليه النقص والخلل وصرف الناس عنه حسداً من عند أنفسهم[١] فصرحوا بالتشبيه والتجسيم و لم يستحيوا من القدير[٢] العليم ونسبوه إليه افتراءً عليه.

ومن نظمه في ذلك:

ولما نظرت في المذاهب كلها ... طلبت الأسد في الصواب وما أغلو

فألفيت عند المسير قول ابن حنبل ... يزيد على كل المذاهب بل يعلو

وكل الذي قد قاله فمشيد ... بنقل صحيح والحديث هو الأصل

وكان بنقل العلم أعرف من روى ... بقوم[٣] من السادات ما شأنه عضل

ومذهبه أن لا يشبه ربه ... ويتبع في التسليم من قد مضى قبل

يشير إلى صاحبه الإمام الشافعي وغيره من علماء السلف كما أذكره من بعد.

فقام له الحساد من كل جانب ... فقام على رجل الثبات وهم زلوا

وكان له أتباع صدق تتابعوا ... فكم أرشدوا نحو الهدى ولكم دلوا

وجاءك قوم يدعون تمذهباً ... بمذهبه ما كل زرع له أكل

---

(١) في ط: من أنفسهم.

(٢) في ط: من الخبير.

(٣) في ط: يقوم .... (بياض).

ومالوا إلى التشبيه أخذاً بصورة الذ ي نقلوه في الصفات وهم غفل (٦٩/ب)

وقالوا الذي قلناه مذهب أحمد فمال إلى تصديقهم من به جهل

فصار الأعادي قائلين لِكُلِّنا مشبهة قد ضرنا الصحب والخل

فقد فضحوا ذاك الإمام بجهلهم[١] ومذهبه التَنْزِيه لكن هم اختلوا

لعمري لقد أدركت منهم مشايخاً وأكثر من[٢] أدركته ما له عقل

وحذفت أبياتاً من هذه القصيدة لأني في هذه الورقات بسبيل[٣] الاقتصاد والرمز إلى منهج الحق والرشاد.

---

(١) في ط: لجهلهم.

(٢) في ط: وأكثر ما أدكته.

(٣) في ط: على سبيل.

انظر القصيدة في آخر كتابه دفع شبه التشبيه.

[فصل: موقف السلف من آيات وأحاديث الصفات]

وسئل الإمام الشافعي قدس الله تعالى روحه عن الاستواء فقال: (آمنت بلا تشبيه، وصدقت بلا تمثيل، واتهمت نفسي في الإدراك، وأمسكت عن الخوض فيه كل الإمساك).

وهذا شأن الأئمة يمسكون أعِنَّة الخوض في هذا الشأن مع أنهم أعلم الناس به ولا يخوض فيه إلا أجهل الناس به.

وسئل الإمام أبو حنيفة قدس الله تعالى روحه عن ذلك فقال: (من قال لا أعرف الله أفي السماء أم في الأرض فقد كفر). لأن هذا القول يؤذن أن لله سبحانه وتعالى مكان، ومن توهم أن للحق(١) مكاناً فهو مشبه.

وسئل الإمام مالك عن الاستواء فقال: (الاستواء معلوم والكيف مجهول والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة).

فنفى العلم بالكيف، فمن استدل بكلامه (٧٠/أ) على أنه سبحانه وتعالى فوق عرشه فهو لجهله وسوء فهمه.

وقال الإمام مالك عند قوله تعالى: ﴿فَلاَ تَضْرِبُوا لله الأَمْثَالَ﴾(1) من وصف شيئاً من ذات الله سبحانه وتعالى مثل قوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ الله مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ﴾(2) فأشار بيده إلى عنقه قطعت وكذا السمع والبصر

---

(١) في ط: ومن توهم أن الله.

---

(1) الآية رقم ٧٤، من سورة النحل.

(2) الآية رقم ٦٤، من سورة المائدة.

يقلع[١] ذلك منه لأنه شبه الله بنفسه.

وقول[٢] مالك ﷺ : الاستواء معلوم. يعني عند أهل اللغة.

وقوله والكيف مجهول[1]: أي بالنسبة إلى الله عز وجل لأن الكيف من صفات الحدث وكل ما كان من صفات الحدث فالله عز وجل مُنَزَّه عنه، فإثباته له سبحانه كفر محقق عند جميع أهل السنة والجماعة.

وقوله: والإيمان به واجب: أي على الوجه اللائق بعظمته وكبريائه.

وقوله : والسؤال عنه بدعة: لأن الصحابة ﷺ كانوا عالمين به[2] وبمعناه اللائق بحسب اللغة، فلم يحتاجوا إلى السؤال عنه[3] فلما ذهب العالمون به

---

(١) في ط: يقطع.

(٢) في ط: وقال.

---

(1) في رواية أخرى عن الإمام مالك (والكيف غير معقول) ذكرها ابن حجر في (فتح الباري) والبيهقي في (الأسماء والصفات) بسند جيد ومعناها نفي وجود الكيف، لا أن هناك كيفية لا نعلمها وارجع إلى ما نقله الترمذي في سننه عنه وسبق نقله وانظر (المحكم والمتشابه) و(دفع شبه التشبيه) ط دار الإمام النووي وكذا (فرقان القرآن) وفي رواية البيهقي (.. ولا يقال كيف، وكيف عنه مرفوع)بإسناد صحيح.

(2) وقد نقل لنا الصحابة رضي الله عنهم الدين كله بعقائده وأحكامه الفقهية وغنى عن الذكر شدة اجتهادهم في طلب العلم وتحصيله وشدة ذكائهم وجودة قرائحهم في أصغر المسائل العلمية وأكبرها على السواء حتى أن معضلات المسائل التي لا يتوصل إلى جوابها إلا بالأنظار الدقيقة في السنين المتطاولة إذا سُئِل عنها أمير المؤمنين علي بن أبي طالب أجاب بديهة من غير تأمل انظر مناقبهم في كتب السنة وكذا (شرح السنوسية الكبرى) ص٤٤ – ٤٥ ط. دار القلم.

(3) والصحابة رضي الله عنهم كانوا أفصح الفصحاء وأبلغ البلغاء وأكثر المتكلمين سبقا إلى إدراك المراد في العبارات الغامضة والمعاني الدقيقة فكل خفيّ علينا جليٌّ عندهم، لم يكونوا يحتاجون إلى ألفاظ واصطلاحات تصحح لهم المعاني، بل ببديهة العقل يفهمون حين يسمعون.

انظر ما شرحه الإمام ابن المعلم القرشي في (نجم المهتدي) باب (فيمن قال بالتأويل وتكلم في تنزيه الرب الجليل من الصحابة...) لوحة (٩٧) فما بعدها وضرب نماذج عديدة لفهمهم اللغة وأسرار البيان.

وحدث من لم يعلم أوضاع لغتهم، ولا له نور كنورهم[1]، شرع يسأل لجهله بما يجوز على الله عز وجل وما لا يجوز وفرح(١) بذلك أهل الزيغ فشرعوا

---

(١) في ط: يسأل الجهلة بما يجوز على عز وجل وفرح.

---

(1) قال تعالى: ﴿إن في ذلك لآيات للمتوسمين﴾ أي للمتفرسين كما ورد وقال تعالى: ﴿واتقوا الله ويعلمكم الله﴾. وقال عليه السلام «اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله» حديث صحيح رواه الترمذي وغيره، وقال «لقد كان فيما قبلكم من الأمم محدثون فإن يك في أمتي أحد فإنه عمر» متفق عليه.

وانظر ما شرحه حجة الإسلام الغزالي في كتاب عجائب القلب من (إحياء علوم الدين) انظر (إتحاف السادة المتقين) ج٨ ص٤٧٣ فما بعدها ط العلمية وفيه نماذج من إلهامات الصحابة رضي الله عنهم:

أ- قال أبو بكر الصديق ﷺ لعائشة رضي الله عنها عند موته: (إنما هما أختاك) وكانت زوجته حاملا فولدت بنتا كما قال. رواه بسنده الحافظ فتح الدين اليعمري المعروف بابن سيد الناس في كتاب (المقامات العلية).

ب- قال عمر ﷺ في أثناء خطبته يوم الجمعة (يا سارية الجبل) إذ وقع في روعه أن العدو قد حاصر جيش المسلمين وأوصل الله صوت عمر إلى سارية قائد الجيش على مسيرة شهر فانحازوا إلى الجبل وأنجاهم الله. رواه حرملة في جمعه لحديث ابن وهب بسند حسن وذكره البيهقي في الدلائل وغيرهما. وقد أفرد لطرقه القطب الحلبي الحافظ جزءاً.

ج- عن أنس بن مالك ﷺ قال دخلت على عثمان ﷺ وكنت قد لقيت امرأة في طريقي فنظرت إليها شزراً فتأملت محاسنها فقال عثمان ﷺ لما دخلت: يدخل عليَّ أحدكم وآثار الزنا ظاهرة على عينيه، أما علمت أن زنا العينين النظر؟ لتتوبنَّ أو لأعزرنك فقلت: أوحي بعد النبي؟ فقال: لا ولكن بصيرة وبرهان وفراسة صادقة.

د- روى الحافظ أبو الفتح اليعمري بسنده إلى زيد بن وهب قال: جاء وفد من البصرة فيهم رأس من الخوارج يقال له جعدة بن بعجة فخطب وحمد الله ثم قال يا علي: اتق الله فإنك ميت. فقال علي: بل مقتول قتلا تصاب هذه، فخطب هذه عهد معهود، وقضاء مقضي وقد خاب من افترى، وكان كما ذكر. فهؤلاء الصحابة هم أئمة الهدي والفهم لم تكن تخفى عليهم أجوبة شبه أهل الزيغ وقد أجاب علي وابن عباس وابن عمر وغيرهم ما ظهر في عهدهم منها وناظروهم، وقاموا بتأديب من كان عرضة إثارة الفتنة وفتح بابها كصبيغ وغيره.

يدخلون الشبه على الناس ولذلك تعين على أهل العلم أن يبينوا للناس وأن لا يهملوا البيان لقوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ (٧٠/ب) مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ﴾[1].

فهذه الأئمة التي مدار الأمة عليهم في دينهم متفقون في العقيدة فمن زعم أن بينهم اختلافاً في ذلك، فقد افترى على أئمة الإسلام والمسلمين والله حسيبه[(١)] وسيجزي الله المفترين[2].

وفي الصحيحين من حديث ابن عباس رضي الله عنهما أنه عليه الصلاة والسلام قال: «مَنْ فَارَقَ الجَمَاعَةَ شِبْراً فَمَاتَ فَمَيْتَتُهُ جَاهِلِيَّةٌ»[3].

---

(١) في ط: حسبه.

---

(1) الآية رقم ١٨٧ من سورة آل عمران.

(2) يقول الإمام عبد الوهاب السبكي في كتابه « معيد النعم ومبيد النقم » ص ٩٦:

«وهؤلاء الحنفية والشافعية والمالكية وفضلاء الحنابلة ولله تعالى الحمد في العقائد عقيدتهم واحدة كلهم على رأي أهل السنة والجماعة يدينون الله تعالى بطريق شيخ السنة أبي الحسن الأشعري لا يحيد عنها إلاّ رعاع من الحنفية والشافعية لحقوا بالاعتزال **ورعاع من الحنابلة لحقوا بأهل التجسيم** وبرأ الله تعالى المالكية فلم نر مالكياً إلا أشعري العقيدة وبالجملة عقيدة الأشعري هي ما تضمنه عقيدة أبي جعفر الطحاوي التي تلقاها علماء المذاهب بالقبول ورضوها عقيدة وقد ختمنا كتابنا جمع الجوامع بعقيدة ذكرنا أن سلف الأمة عليها وهي وعقيدة الطحاوي وعقيدة أبي القاسم القشيري والعقيدة المسماة بالمرشدة مشتركات في أصول أهل السنة والجماعة » أ.هـ من معيد النعم الطبعة الأولى لمكتبة محمد أمين الخانجي وهي مع مجموعة مؤلفات طبعت تحت اسم: تفريح المهج بتلويح الفرج.

فيتضح من كلام الإمام ابن السبكي أن جمهور الأمة – من الأئمة وأتباعهم- كذلك متفقون على نفس العقيدة فمن شذّ عنهم شذّ في النار.

(3) أخرجه البخاري في كتاب الأحكام باب (السمع والطاعة للإمام) حديث رقم: (٧١٤٣)، في كتاب (الفتن) باب (قول النبي ﷺ: سترون بعدي أموراً تنكرونها) حديث رقمي: (٧٠٥٣، ٧٠٥٤) وأخرجه مسلم في كتاب المغازي باب (وجوب ملازمة جماعة المسلمين...) بروايات متعددة أقربها للفظ المذكور هنا حديث رقم (٧٠٥٤): «من فارق الجماعة شبرا فمات فميتة جاهلية».

وقال عليه الصلاة والسلام: «إِنَّ الشَّيطَانَ ذِئْبُ الإنْسَانِ كَذِئْبِ الْغَنَمِ يَأْخُذُ القَاصِيَةَ والنَّافِرَةِ[١] وَالشَّاذَّة، إِيَاكُمْ والشِّعَابِ وَعَلَيْكُمْ بِالْعَّامَةِ وَالْجمَاعَةِ وَالْمَسَاجِدِ» رواه الطبراني وغيره من حديث[٢] معاذ رضي الله عنه ورواه الإمام أحمد ورجاله ثقات[1].

وسئل الإمام أحمد عن الإمام الشافعي[٣] فقال: ما الذي أقوله فيه وهو الذي أخرج[٤] من قشور التشبيه لبابها، وأطْلع على معارفها أربابَها، وجمع مذهبه أكنافها وإطنابها، فالمحدثون[٥] صيادلة والشافعي طبيبهم، والفقهاء أكابر والشافعي كبيرهم، وما وضع أحد قلمه في محبرة إلاَ وللشافعي عليه مِنّة.

وكان كثير الدعاء للشافعي قال له ابنه عبد الله: أيُّ شيء كان الشافعي فإني أسمعك تكثر الدعاء له؟ (٧١/أ) فقال[٦]: يا بني كان الشافعي كالشمس للدنيا وكالعافية للناس فانظر هل لهذين من خلف أو عوض.

---

(١) في ج: والعاجزة.

(٢) في ج: من طريق.

(٣) في ط: عن الشافعي.

(٤) في ج: ما الذي أقول فيه، وقد أخرج.

(٥) في ب: والمحدثون. وهو خطأ.

(٦) في ج: قال.

---

(1) لكن في سنده انقطاع لأن راويه عن معاذ هو العلاء بن زياد لم يسمع منه انظر (مجمع الزوائد) (٢: ٢٣، ٥: ٢١٩) ومعنى الحديث صحيح وله شواهد كثيرة.

[فصل: عجز العقل عن إدراك حقيقة الذات الإلهية أو الإحاطة بها]

وسئل بعض أئمة السلف عن قوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾[1] فقال: الرحمن جل وعلا لم يزل والعرش محدث،وبالرحمن[١] استوى[٢].

ثم قال: كل ما ميزتموه بأذهانكم وأدركتموه في أتم عقولكم فهو مصروف إليكم ومردود عليكم محدث ومصنوع مثلكم لأن حقيقته عالية عن أن تلحقه عبارة أو يدركه وَهْم أو يحيط به علم، كلاّ كيف يحيط به علم وقد اتفق فيه الأضداد بقوله سبحانه وتعالى: ﴿هُوَ الأَوَّلُ وَالآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالبَاطِنُ﴾[2] أيُّ عبارة تخبر عن[٣] حقيقة الألفاظ كلام قصرت عنه العبارات وخرست عنه الألسن[٤] بقوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾[3] وتعالى وتقدس عن المجانسة والمماثلة.

قال ابن عباس: رضي الله عنهما في هذه الآية معناها : ليس له نظير[4].

---

(١) في ب: ولعرش بالرحمن استوى.

(٢) في ط: بالرحمن استوى. بدون واو.

(٣) في ط: عنه، وفي ج: عن حقيقته الألفاظ....

(٤) في ط: الألسنة.

---

(1) الآية رقم ٥، من سورة طه.

(2) الآية رقم ٣ ، من سورة الحديد.

(3) الآية رقم ١١، من سورة الشورى.

(4) يقول الإمام الكلاباذي في كتابه (التعرف لمذهب أهل التصوف): « قال القحطبي: من لحقته العقول فهو مقهور إلا من جهة الإثبات، ولو لا أنه تعرف إليها بالألطاف لما أدركته من جهة الإثبات» يقول الإمام علاء الدين القونوي شارحا ذلك: « أي العقول لا تلحق الله تعالى ولا تدركه وإلا كان مقهوراً باللحوق والإحاطة والإشراف عليه تعالى الله عن ذلك. نعم تقر له الوجود وهو المراد بالإثبات لاستحالة الإثبات الحقيقي على القدير، وإقرار العقل بوجوده ليس من ذات العقل بل بتعرف الله تعالى إليه بألطافه وهدايته له حتى اهتدى للاعتراف بالثبوت» أ.هـ من (حسن التصرف بشرح التعرف) مخطوط بدار الكتب المصرية لوحة ٧٥- ٧٦.

قال أهل التحقيق: ذكر العرش إظهاراً لقدرته، لا مكاناً لذاته إذ الذات ممتنعة عن الإحاطة والوقوف عليه(١)[1]. كما أشار إلى ذلك في قوله تعالى: ﴿اللهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾[2].

فسبحانه هو المُنَزَّه عن الشبيه، القدوس المبرأ عن الآفات، والمُسَبَّح بجميع اللغات، السلام السالم من نقائص المخلوقات، الصَّمَد السيد الذي (٧١/ب) لا يشبهه شيء من المصنوعات والمخلوقات، الغَني عن الأغيار تبارك وتعالى عن

---

(١) في (ب): الإحاطة به والوقوف عليه، وفي (ط): الإحاطة بها والوقوف عليها.

---

(1) وقد قال تعالى: ﴿ولا يحيطون به علما﴾ (طه- ١١٠) يقول القرطبي في تفسيره «الهاء في (به) لله تعالى، أي أحد لا يحيط به علما إذ الإحاطة مشعرة بالحد ويتعالى الله عن التحديد» أ.هـ بل أجمع العلماء على نفي إحاطة عقول الخلق بالله تعالى.

وقال ﴿لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير﴾ (الأنعام- ١٠٣) يقول الألوسي في تفسيره: ﴿لا تدركه الأبصار﴾ جمع بصر يطلق كما قال الراغب على الجارحة الناظرة وعلى القوة التي فيها وعلى البصيرة وهي قوة القلب المدركة وإدراك الشيء عبارة عن الوصول إلى غايته والإحاطة به. وأكثر المتكلمين على حمل البصر هنا على الجارحة من حيث أنها محمل القوة، وقيل هو إشارة إلى ذلك وإلى الأوهام والأفهام كما قال أمير المؤمنين عليّ كرم الله وجهه (التوحيد أن لا تتوهمه) وقال أيضاً (كل ما أدركته فهو غيره) ونقل الراغب عن بعضهم أنه حمل ذلك على البصيرة وذكر أنه قد نبه به على ما روى عن أبي بكر الصديق ﷺ في قوله (يا من غاية معرفته القصور عن معرفته) إذ كانت معرفته تعالى أن تعرف الأشياء فتعلم أنه ليس بمثلٍ لشيء منها بل هو موجد كل ما أدركته» أ.هـ.

قلت كم من موجود لا تراه العين الباصرة ومع ذلك يدركه العقل ويحيط به علما بل ويسخره لخدمة الإنسان فحمل البصر هنا على البصيرة أي قوة القلب المدركة أو عليها وعلى إبصار العين الجارحة معاً هو الأليق في هذا المقام وسياق الآيات قبل هذه الآية وبعدها يدل على ذلك والله تعالى أعلم.

(2) الآية ٢٦ من سورة النمل.

أن تحويه[١] الجهات، الفرد الذي لا نظير له، والمنفرد[٢] بصفات الكمال والقدرة، ومن بعض مقدوراته الكرسي والعرش والأرضون[٣] والسموات، شهد لنفسه بالوحدانية ونزهها بالآيات البينات، فصفاته لا يوصف بها غيره، ومن تعرض لذلك فقد طعن في كلامه، وضاهى أهل العِناد فاستوجب اللعن وأشد العقوبات.

قال البغداديون في قوله تعالى: ﴿بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَإِذَا قَضَى أَمْراً فَإِنَّما يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾[1] : كل صنع صنعه ولا علة لصنعه[٤]، ليس لذاته مكان لأنه كان قبل[٥] الكون والمكان، وأوجد الأكوان بقوله ﴿كُنْ﴾ أزال العلل عن ذاته بالدرك وبالعبارة عنه، وبالإشارة، فلا يبلغ أحد شيئاً من كنهِ معرفته، لأنه لا يعلم أحد ما هو إلا هو، حي قيوم، لا أول لحياته ولا أمد لبقائه، احتجب عن العقول والأفهام كما احتجب عن الإدراك والأبصار[٦]، فعجز العقل عن الدرك، والدرك عن الاستنباط، وانتهى المخلوق إلى مثله، وأسنَده الطلب إلى شكله[٧].

وقولهم: «كل صنع» عبروا بالمصدر عن اسم المفعول، كقوله تعالى: ﴿هذا خلق الله﴾[1] .

---

(١) في ج: عن تحويه.
(٢) في ط: المنقرد.
(٣) في ب: الأرضيين هو خطأ من الناسخ.
(٤) في ط: لصنعته.
(٥) في ب –ج–ط: لأنه قبل الكون.
(٦) في ج: عن الأبصار والإدراك. وفي ط: عن الأبصار.
(٧) في ط: إلى شكله انتهى.

---

(1) الآية رقم ١١٧، من سورة البقرة.
(2) الآية ١١، من سورة لقمان.

ومن الجهل البَيِّن أن يطلب العبد المقهور (٧٢/أ) بـ «كن» درك مالا يـدرك[1] كيف وقد نزَّه نفسه عـن[(١)] أن يُـدْرك بـالحواس أو يتصـور بـالعقل الحـادث، والقياس لا يدركه العقل من جهة التمثيل،ويدركه من جهة الدليل.

---

(١) في ط: وقد نزه نفسه عنه.

---

(1) بل وردت أحاديث متعددة تنهى عن التفكر في الذات الإلهية المقدسة ومحاولة تصورها منها:

١- عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «تفكروا في كل شيء ولا تفكروا في ذات الله عز وجل فإن بين السماء السابعة إلى كرسيه سبعة آلاف نور وهو فوق ذلك» رواه البيهقي بسنده في (الأسماء والصفات) باب قول الله عز وجل (وهو القاهر فوق عباده).

٢- «تفكروا في كل شيء ولا تتفكروا في الله» لابن أبي شيبة في (العرش).

٣- خرج رسول الله ﷺ على ناس من أصحابه وهم يتفكرون في خلق الله فقال لهم: فيما كنتم تفكرون؟ قالوا: نتفكر في خلق الله، قال: لا تتفكروا في الله وتفكروا في خلق الله ...» الحديث رواه أبو نعيم في الحلية والأصبهاني في الترغيب والترهيب عن عبد الله بن سلام.

٤- أنه ﷺ خرج على أصحابه فقال: «ما جمعكم؟» فقالوا: اجتمعنا نذكر ربنا ونتفكر في عظمته فقال: «تفكروا في خلق الله ولا تفكروا في الله فإنكم لن تقدروا قدره...» الحديث رواه أبو نعيم عن ابن عباس.

٥- «تفكروا في آلاء الله ولا تتفكروا في الله» للطبراني في الأوسط والبيهقي في الشعب من حديث ابن عمر مرفوعاً.

يقول الحافظ السخاوي بعد أن أورد معظم هذه الأحاديث: «وأسانيدها ضعيفة لكن اجتماعها يكتسب قوة والمعنى صحيح، وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة مرفوعاً [لا يزال الناس يتساءلون حتى يقال هذا: خلق الله الخلق، فمن خلق الله؟ فمن وجد من ذلك شيئاً فليقل آمنت بالله] أ.هـ. المقاصد الحسنة حديث رقم (٣٤٢).

وتابعه على ذلك الإمام الزرقاني في (مختصر المقاصد) فقال عن الحديث الأول «(تفكروا في كل شيء ولا تتفكروا في الله): حسن لغيره» أ.هـ.

وقد شرح ذلك حجة الإسلام الغزالي في كتاب التفكر من (إحياء علوم الدين) قال: «المقام الأعلى: الفكر في ذاته وصفاته ومعاني أسمائه، وهذا مما منع منه حيث قيل (تفكروا في خلق الله تعالى ولا تتفكروا في ذات الله) وذلك لأن العقول تتحير فيه فلا يطيق مد البصر إليه إلا الصديقون ثم لا يطيقون دوام النظر، بل سائر الخلق أحوال أبصارهم بالإضافة إلى جلال الله تعالى كحال بصر الخفاش بالإضافة إلى نور الشمس فإنه لا يطيقه ألبتة، بل يختفي نهاراً وإنما يتردد ليلاً ينظر في بقية نور الشمس إذا وقع على الأرض.

=

= وأحوال الصديقين كحال الإنسان في النظر إلى الشمس فإنه يقدر على النظر إليها ولا يطيق دوامه ويخشى على بصره لو أدام النظر، ونظره المختطف إليها يورث العمش ويفرق البصر وكذلك النظر إلى الله تعالى يورث الحيرة والدهش واضطراب العقل.

فالصواب إذن أن لا يتعرض لمجاري الفكر في ذات الله تعالى وصفاته، فإن أكثر العقول لا تحتمله، بل القدر اليسير الذي صرح به بعض العلماء وهو: [أن الله تعالى مقدس عن المكان ومنزه عن الأقطار والجهات وأنه ليس داخل العالم ولا خارجه ولا هو متصل بالعالم ولا هو منفصل عنه قد حيرت عقول أقوام حتى أنكروه – واستشكلوه – إذ لم يطيقوا سماعه ومعرفته. بل ضعفت طائفة عن احتمال أقل من هذا إذا قيل لهم: إنه يتعاظم ويتعالى عن أن يكون له رأس ورجل ويد وعين وعضو وأن يكون جسماً مشخصاً له مقدار وحجم، فأنكروا هذا وظنوا أن ذلك قدح في عظمة الله وجلاله – وهم طائفة من الحشوية الكرامية – حتى قال بعض الحمقى من العوام: إن هذا وصف بطيخ هندي لا وصف الإله! لظن المسكين أن الجلالة والعظمة في هذه الأعضاء، وهذا لأن الإنسان لا يعرف إلا نفسه فلا يستعظم إلا نفسه فكل ما لا يساويه في صفاته فلا يفهم العظمة فيه – وهذا فاسد – نعم غايته أن يقدر نفسه جميل الصورة جالسا على سريره وبين يديه غلمان يمتثلون أمره فلا جرم غايته أن يقدر ذلك في حق الله تعالى وتقدس، حتى يفهم العظمة- قياس الشاهد على الغائب والرب تعالى لا يعرف بالقياس –بل لو كان للذباب عقل وقيل له ليس لخالقك جناحان ولا يد ولا رجل ولا له طيران لأنكر ذلك وقال: كيف يكون خالقي أنقص مني؟ أفيكون مقصوص الجناح أو يكون زمنا لا يقدر على الطيران أو تكون لي آلة وقدرة لا يكون له مثلها وهو خالقي ومصوري؟

وعقول أكثر الخلق قريب من هذا العقل وإن الإنسان لجهول ظلوم كفار، ولذلك أوحي الله تعالى إلى بعض أنبيائه: لا تخبر عبادي بصفاتي فينكروني – أي لأن عقولهم لا تحتمل ذلك – ولكن أخبرهم عني بما يفهمون – أي بقدر ما يطيقون فهمه، وقد ورد مثل ذلك في الأخبار المحمدية: خاطبوا الناس بما يفهمون، أتحبون أن يكذب الله ورسوله؟ – ولما كان النظر في ذات الله وصفاته مخطرا من هذا الوجه اقتضى أدب الشرع وصلاح الخلق أن لا يتعرض لمجاري الفكر فيه، لكننا نعدل إلى المقام الثاني – وهو الأدنى بالنسبة إلى المقام الأول- وهو النظر إلى أفعاله وعجائب صنعه وبدائع أمره في خلقه فإنها تدل على جلاله وكبريائه وتقدسه وتعاليه، وتدل على كمال علمه وحكمته وعلى نفاذ مشيئته وقدرته، فينظر إلى صفاته من آثار صفاته فإنا لا نطيق النظر إلى صفاته كما أنا نطيق النظر إلى الأرض مهما استنارت بنور الشمس ونستدل بذلك على عظم نور الشمس بالإضافة إلى نور القمر وسائر الكواكب لأن نور الأرض من آثار نور الشمس، والنظر في الآثار يدل على المؤثر دلالة ما وإن كان لا يقوم مقام النظر في نفس المؤثر. وجميع موجودات الدنيا أثر من آثار قدرة الله تعالى ونور من أنوار ذاته، بل لا ظلمة أشد من العدم ولا نور أظهر من الوجود. ووجود الأشياء كلها نور من أنوار ذاته تعالى وتقدس إذ قوام وجود الأشياء بذاته القيوم بنفسه =

= كما أن قوام نور الأجسام بنور الشمس المضيئة بنفسها. ومهما انكشف بعض الشمس فقد جرت العادة بأن يوضع طست ماء حتى ترى الشمس فيه ويمكن النظر إليها، فيكون الماء واسطة يغض قليلاً من نور الشمس حتى يطاق النظر إليها. فكذلك الأفعال واسطة تشاهد فيها صفات الفاعل ولا نبهر بأنوار الذات بعد أن تباعدنا عنها بواسطة الأفعال، فهذا سر قوله ﷺ «تفكروا في خلق الله ولا تتفكروا في ذات الله تعالى» أ.هـ.

ولما كان كل ما في الوجود هو فعل الله وخلقه، وفي كل جنس بل في كل فرد منها من العجائب والغرائب ما تظهر به حكمة الله تعالى وقدرته وجلاله وعظمته، فقد توالت الآيات الكريمة بطول القرآن العظيم تأمرنا بالتفكر والتدبر في دلالة هذه المخلوقات- التي هي صنع الله وإبداعه -على ثبوت صفات الكمال والجلال لله سبحانه، وتلفت أنظارنا إلى عظمة الخالق عز وجل، وقد ذكر منها حجة الإسلام الغزالي سبعمائة وثلاث وستون آية في كتابه (جواهر القرآن).

ثم شرع الإمام الغزالي بعد ما سبق نقله من كتاب (الإحياء) في الإشارة إلى أمثلة من آيات الله في الخلق وكيفية التفكر فيها على ضوء آيات القرآن الكريم ثم ختمها بقوله: «فهذا بيان معاقد الجمل التي تجول فيها فكر المتفكرين في خلق الله تعالى وليس فيها فكر في ذات الله تعالى ولكن يستفاد من الفكر في الخلق لا محالة معرفة الخالق وعظمته وجلاله وقدرته وكلما استكثرت من معرفة عجيب صنع الله تعالى كانت معرفتك بجلاله وعظمته أتم، وهذا كما أنك تعظم عالما بسبب معرفتك بعلمه فلا تزال تطلع على غريبة غريبة من تصنيفه أو شعره فتزداد به معرفة وتزداد بحسنه له توقيراً وتعظيماً واحتراما، حتى أن كل كلمة من كلماته وكل بيت عجيب من أبيات شعره يزيده محلا من قلبك يستدعي التعظيم له في نفسك.

فهكذا تأمل في خلق الله تعالى وتصنيفه وتأليفه وكل ما في الوجود من خلق الله وتصنيفه والنظر والفكر فيه لا يتناهى أبداً وإنما لكل عبد منهما بقدر ما رزق» أ.هـ (الإحياء مع شرحه إتحاف السادة المتقين) ط. العلمية ج١٣ص٣٤٣-٤١٥ ويقول القاضي عياض في شرحه لصحيح مسلم: «وقد أجمع أهل السنة على تصويب القول بالوقف من التفكر في ذاته تعالى لحيرة العقل هنالك وحرمة التكييف. والوقف في ذلك غير شك في الوجود ولا جهل بالموجود فلا يقدح في التوحيد، بل هو حقيقته» . أ.هـ. أنظر تعليق الإمام الكوثري على (السيف الصقيل) ص ١٠٤.

يقول شمس الدين أبو الثناء الأصفهاني في كتابه (مطالع الأنظار على طوالع الأنوار): « إن الطاقة البشرية لا تفي بمعرفة ذاته تعالى لأن معرفة ذاته إما بالبديهة أو بالنظر وكل منهما باطل، أما الأول فلأن ذاته غير متصور بالبديهة بالاتفاق. وأما الثاني فلأن المعرفة المستفادة من النظر إما بالحد وإما بالرسم وكل منهما باطل. أما الحد فلأن ذاته غير قابل للتحديد لأن الحد يكون للمركب والتركيب منتف عنه، ولذلك لما سأل فرعون موسى عليه السلام عن حقيقته تعالى حيث قال =

وكل(١) ما يتوهمه العقل لنفسه فهو جسم وله نهاية في جسمه وجنسه ونوعه وحركته وسكونه مع ما يلزمه من الحدود والمساحة من الطول والعرض وغير ذلك من صفات الحدث، تعالى عن ذلك فهو الكائن قبل الزمان والمكان، وهو الأول قبل سوابق العدم الأبَدِي بعد لواحق القدم، ليس كذاته ذات، ولا كصفاته صفات، جلت ذاته القديمة التي لم تسبق بعدم أن يكون لها صفة حديثة(٢)، كما يستحيل أن يكون للذات الحديثة(٣) صفة قديمة قال تعالى: ﴿أَوَلاَ يَذْكُرُ الإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلَ وَلَمْ يَكُ شَيْئاً﴾(1).

---

(١) في ط: فكل.

(٢) في ط: حادثة.

(٣) في ط: الحادثة.

= (وما رب العالمين)؟ » وذكر القصة ثم قال: « وأما الرسم فلا يفيد الحقيقة لأن المعلوم منه سبحانه وتعالى إما بالسلوب كقولنا ليس بجسم ولا جوهر ولا عرض وحقيقته مغايرة لسلب ما عداها عنها، وإما بالإضافات كقولنا قادر عالم ولا شك أن ذاته تعالى مغايرة لهذه الأمور. فإن المعلوم من قدرة الله تعالى عندنا أنها أمر مستلزم للتأثير في الفعل على سبيل الصحة، فحقيقة القدرة مجهولة والمعلوم منها ليس إلا هذا اللازم. وكذلك المعلوم عندنا من علم الله تعالى ليس إلا أنه أمر يلزمه الإحكام والإتقان في الفعل، فماهية ذلك العلم غير هذا الأثر والمعلوم ليس إلا هذا الأثر» ثم يقول: «إن حقائق صفات الله تعالى غير معلومة لنا وعلى تقدير أن تكون معلومة فالعلم بالصفة لا يستلزم العلم بحقيقة الموصوف» قلت: فقولنا (عالم) و(قادر) معناه شيء مبهم له وصف العلم والقدرة ثم قال: « ولما دل الاستقراء على طريق الإنصاف أنا لا نعلم من الله تعالى إلا السلوب وإلاَّ الإضافات وثبت أن العلم بها لا يستلزم العلم بالحقيقة ثبت أنّا لا نعلم ذات الله تعالى» أ.هـ ص ٣٢٣-٣٢٤ وانظر الفصل الرابع من «المقصد الأسنى شرح أسماء الله الحسنى» لأبي حامد الغزالي ص ٣١، والمبحث الرابع من «اليواقيت والجواهر» للإمام عبد الوهاب الشعراني ص ٤٦.

قلت: وعلى هذا الرأي جمهور المحققين من أئمة الإسلام ومنهم القاضي أبو بكر الباقلاني وإمام الحرمين الجويني وحجة الإسلام الغزالي والفخر الرازي وسيف الدين الآمدي والعز بن عبد السلام وغيرهم كثير وكذلك أكثر أهل التصوف.

(1) الآية رقم ٦٧ من سورة مريم.

وسأل بعض المخبثين الطوية الإمامَ العالم العلامة الجامع بين العلوم السَّنِيَّة والمناهج العَلِيَّة يحيى بن معاذ الرازي فقيل له: أخبرنا عن الله؟.

فقال: إله واحد.

فقيل له: كيف هو؟

فقال[١]: إله قادر.

قيل[٢]: فأين هو؟

قال: بالمرصاد.

فقال السائل: لم أسألك عن هذا!؟.

فقال: ما كان غير هذا فهو صفة المخلوق، فأما صفته فالذي أخبرتك عنه.

فالسائل سأل عن الذات والكيفية، فأجابه هذا الحبر (٧٢/ب) بالصفات الجلالية القدسية.

وهذا أخذه من قصة سيدنا موسى عليه الصلاة والسلام مع فرعون اللعين لما قال له موسى عليه السلام: ﴿إني رسولٌ مِنّ رَّبِّ العَالَمِين﴾ [1].

فسأله فرعون: ﴿وما رب العالمين﴾ [2].

فقال موسى عليه السلام: ﴿رب السموات والأرض وما بينهما﴾ [2].

فتضمن[٣] الجواب العدول عن ما سأل لأنه عدل فيه عن مطابقة السؤال

---

(١) في ط: قال.

(٢) في ط: قال.

(٣) في ط: فضمن.

---

(1) الآية ١٠٤، من سورة الأعراف.

(2) من الآيات ٢٣ حتى ٢٧، من سورة الشعراء.

لأن فرعون سأل عن ما هيته سبحانه وتعالى وموسى أجابه عن قدرته وصفاته فجاز له حين خلط في السؤال وأخطأ وسأل عما لا يمكن إدراكه العدول عن سؤاله.

فقال فرعون: ﴿ألا تستمعون﴾ أنا أسأله عن شيء يجيب عن غيره؟!

فقال موسى عليه السلام: ﴿ربكم ورب آبائكم الأولين﴾.

فلما قال موسى عليه السلام ذلك استشعر فرعون أنه أخطأ في السؤال فخشي أن يدرك ذلك جلساؤه فقال: ﴿إن رسولكم الذي أرسل إليكم لمجنون﴾ رماه بذلك حتى يتخلص ويصير موسى عليه السلام في مقام لا يلتفت إلى قوله ولا يؤخذ به[1].

فتأمل أرشدك الله عز وجل وهداك إلى الحق كيف ذلك معلوم عند الأنبياء عليهم الصلاة السلام وغيرهم **عدم العلم بالذات والكيف**.

فلا أجهل ولا أعمى بصيرة ممن فرعون أهدى منه في معرفته العجز[١] عن درك[٢] ذاته (٧٣/أ) قال الإمام الحافظ محمد بن علي الترمذي[2] صاحب التصانيف المشهورة: من جهل أوصاف العبودية فهو بنعت الربوبية أجهل.

وقال أهل التحقيق من أهل السنة والجماعة: من اعتقد في الله عز وجل ما يليق بطبعه كالعامي فهو مشبه، فإنه عز وجل مُنَزَّه عن كل ما يصفه الآدمي أو يتخيله لأن ذلك من صفة الحدث تعالى وتقدس عن ذلك. فإيمان العامي لضعف علمه وعقله يقبل التشكيك.

---

(١) في ط: بالعجز.

(٢) في ج: إدراك.

---

(1) عند ذلك ذكر سيدنا موسى عليه السلام صفات أبين وأشار إلى أن السؤال عن حقيقته ليس دأب العقلاء حيث قال: (رب المشرق والمغرب وما بينهما إن كنتم تعقلون). انظر (طوالع الأنظار) للأصفهاني و(حل الرموز) للعز بن عبد السلام وكذلك كتب التفسير.

(2) المعروف بالحكيم الترمذي عالم من حفاظ الحديث ومن أئمة الصوفية، صاحب (نوادر الأصول)، (الأمثال) و(أسرار الشريعة) وغيرها عاش إلى حدود ٣٢٠ هـ.

قال ابن عباس ﷺ في قوله تعالي: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللهِ إلاَّ وَهُم مُشْرِكُونَ﴾[1]: هم الذين شبهوا الله سبحانه وتعالى بخلقه، يؤمنون به مجملاً ويكفرون به تفصيلاً[(١)(2)]، حملهم على ذلك زخرف العدو وإغواؤه بدسيسة عدم علمهم بغوائل النفس الأمارة بالسوء وتأملهم[٢] قوله تعالى: ﴿مَا أَشْهَدْتُهُمْ خَلْقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَلاَ خَلْقَ أَنفُسِهِم﴾[3] وفي ذلك إشارة إلى عجز الخليقة أن تدرك بعض صفات ذواتها في ذاتها، أو تدري كيف كنهها

---

(١) في ط: مفصلاً.
(٢) في ط: وعدم تأملهم.

---

(1) الآية ١٠٦ من سورة يوسف.

(2) روت ذلك كتب التفسير مثل تفسير الطبري والرازي والقرطبي والنيسابوري والألوسي وغير ذلك، وقال الألوسي بعد نقله كلام حبر الأمة ابن عباس: «... وقد يقال نظراً إلى مفهوم الآية: إنهم من يندرج فيهم كل من أقر بالله تعالى وخالقيته مثلا وكان مرتكبا ما يعد شركا كيفما كان» أهـ. وقد سبق نقل ما أخرجه البيهقي عن ابن عباس بسند حسن « إن اليهود والنصاري وصفوا الرب عز وجل ... » الحديث ويشهد لذلك أيضاً ما أخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره بسنده عن عكرمة – تلميذ ابن عباس – وقد سئل عن الآية الكريمة ﴿وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون﴾ فقال: «هو قوله ﴿ولئن سألتهم من خلق السماوات والأرض ليقولن الله﴾ **فإذا سُئِلوا عن الله وعن صفته وصفوه بغير صفته وجعلوا له ولداً وأشركوا به»** أهـ.

أخرج البزار عن أنس قال: « بعث رسول الله ﷺ رجلاً من أصحابه إلى رجل من عظماء الجاهلية يدعوه إلى الله تبارك وتعالى، فقال: أيش ربُّك الذي تدعوني إليه؟ من حديد هو؟ من نحاس هو؟ من فضة هو؟ من ذهب هو؟ فأتى النبي ﷺ فأخبره فأعاده النبي ﷺ الثانية فقال مثل ذلك، فأتى النبي ﷺ فأخبره فأرسله إليه الثالثة فقال مثل ذلك، فأتى النبي ﷺ فأخبره فأرسل الله تبارك وتعالى عليه صاعقة فأحرقته فقال رسول الله ﷺ : إن الله تبارك وتعالى قد أرسل على صاحبك صاعقة فأحرقته فنزلت هذه الآية ﴿ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء وهم يجادلون في الله وهو شديد المحال﴾ » حديث صحيح ذكر ذلك الحافظ ابن حجر في (مختصر زوائد مسند البزار) والحافظ الهيثمي في مجمع الزوائد كما أخرجه أيضاً الإمام الحافظ البيهقي بسند صحيح في (الأسماء والصفات) وكذلك النسائي في (السنن الكبري) وأبو يعلى والطبراني من طرق.

(3) الآية ٥١، من سورة الكهف.

في أنفسها لعدم[١] شهودهم خلق السموات والأرض وخلق أنفسها فلم تملك أن تحوي علم أنفسها في أنفسها، فكيف تدرك[٢] شيئاً من صفات موجدها من العدم وبارئها ومالكها.

وقال تعالى: ﴿وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ﴾[1] ﴿الَّذِي خَلَقَ الأَزْوَاجَ كُلَّهَا﴾[2] وفي ذلك إشارة ظاهرة (٧٣/ب) إلى عجزك عن إدراك كنه بعض المخلوقات على اختلاف ذواتها وصفاتها، وفي بعضها ما لا يخطر على قلب بشر، فكيف بالخالق الذي نزَّه نفسه بقوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾[3].

وهو سبحانه وتعالى مُبَاين لخلقه من كل وجه، لا يسعه غيره ولا يحجبه سواه، تقدس أن يدركه حادث أو يتخيله وَهْم أو يتصوره خيال، كل ذلك محال، فهو الملك القدوس المُنَزَّه في ذاته وصفاته عن مشابهة مخلوقاته، وأنت من مخلوقاته[4].

---

(١) في ط: بعدم.

(٢) في ط: فكيف تدري أو تدرك.

---

(1) الآية ٤٩، من سورة الذاريات.

(2) الآية ٣٦، من سورة يس.

(3) الآية ١١، من سورة الشورى.

(4) **يقول الإمام الألوسي** في تفسير الآية الكريمة ﴿وما قدروا الله حق قدره... ﴾ الحج ٧٤.

« ...وبالجملة إن القول بأن حقيقة الواجب تعالى غير معلومة لأحد علما إكتناهيا إحاطيا. عقليا أو حسيا مما لا شبهة عندي في صحته وإليه ذهب المحققون حتى أهل الوحدة، والقول بخلاف ذلك المحكى عن بعض المتكلمين لا ينبغي أن يلتفت إليه أصلا، ولا أدري هل تمكن معرفة الحقيقة أولا تمكن ولعل القول بعدم إمكانها أو فق بعظمته تعالى شأنه وجل عن إحاطة العقول سلطانه»

إلى أن قال:

« ... هذا ومن الناس من قال: لا مانع من أن يراد من (حق قدره) حق معرفته ويراد من حق معرفته المعرفة بالكنه وكونها غير حاصلة لأحد مؤمنا كان أو غيره لا يضر فيما نحن فيه لأن المراد إثبات عظمته تعالى المنافية لما عليه المشركون، وكونه سبحانه لا يعرف أحد كنه حقيقته يستدعي العظمة على أتم وجه » أهـ. (روح المعاني) ج١٧. =

= **تنبيهات هامة:**

التنبيه الأول: ذكر الإمام أبو حامد الغزالي أن عدم معرفة كنه الذات المقدسة أو كنه صفاتها لا ينافي الجزم بعدم اتصافها بالمستحيلات والنقائص التي دل عل استحالتها العقل.

التنبيه الثاني: ذكر السبكي ومن قبله أبو حامد الغزالي أن إقرار المسلم بالصفات التي دل عليها الدليل العقلي مثل القدرة أو العلم أو الإرادة مثلا لا يعني إلا: **الإيمان بذات مجهولة لنا لها صفة القدرة والتي معناها فعل ما توجهت له إرادة الذات، ولها صفة العلم والتي هي إدراك هذه الذات المقدسة لكل المعلومات ولا يخفي عليها منها شيء**... وهكذا ويلاحظ أن منشأ الإقرار بهذه الصفات هو التأمل والنظر في صفات وأحوال الخلائق المدْرَكَة للإنسان بأنواعها بحيث أدرك بعقله أن ذاتا قديرة أوجدت هذه الأشياء وهي كذلك عليمه ومريدة مختارة فيما تفعل وهكذا إلى آخر الصفات الدالة على التعظيم و لم ينتج هذا الإيمان والإقرار أبدا عن تصور وإدراك أو إحاطة بحقيقة الذات المقدسة.

التنبيه الثالث: بدهي أن الألفاظ مثل يد وقدم وساق ووجه وغيرها كما ذكر الإمام السبكي يسأل عنها أهل اللغة ما معناها عندهم هل هي صفات؟ أم جوارح وأعضاء لها كيفية ويمكن الإحاطة بها وتصورها؟ وإذا كانت جوارح وأعضاء فلم منع البشر من التفكر في الذات المقدسة إذن؟

ومثل هذا التنبيه والذي قبله ينطبق على بقية الألفاظ مثل الضحك والغضب والنزول.

التنبيه الرابع: إن قيل: لماذا لا نثبت حقائق وظواهر الألفاظ مثل الاستواء والنزول واليد والساق... إلخ ولا نتكلم عن الكيفية لأنها فوق مستوى الإدراك البشري؟

يجيب على ذلك شيخنا الدكتور إبراهيم عبد الرحمن فيقول: « ...القطع منا حاصل بأن جميع ما نثبته لربنا من حقائق صفاته بل أفعاله كذلك فضلا عن ذاته مما لا نعلم كيفيته. إنما الكلام في أن الحقائق التي لا نفهم من إطلاقها إلا ما هو محال غير لائق به سبحانه كيف صحت إرادتها في عقولكم؟! أي أن النزاع ليس بحال في أنها بعد صحة إرادتها كيف تكون إنما النزاع في أصل صحة تلك الإرادة، وشتان بين المقامين » أ.هـ (المحكم والمتشابه) ص ٦٢٣- ٦٢٤.

أي أن السؤال يجب أن يكون: هل أراد الله سبحانه بهذه الألفاظ حقائقها وظواهرها التي نعلمها من اللغة ونتصورها ويجزم العقل باستحالة اتصافه سبحانه بها؟ أم أراد بها معان مجازية تتفق مع كماله سبحانه وعظمته، وهذه المعاني تتسع لها اللغة ولها قرائن في مقدمتها قرينة التعظيم المطلق والتنزيه الكامل التام لله سبحانه وتعالى عن أي نقص؟

التنبيه الخامس: إن قيل: لماذا لا تكون ظواهر الألفاظ أو الكيفية المشار إليها في التنبيه السابق ليس لها علاقة مطلقا بالكيفية أو الظواهر المعروفة والمتصورة لدينا وبالتالي لا تلحق نقصا وليست مستحيلة؟ نقول:

أولا: لا يخاطبنا الله سبحانه بالمهمل ولا بما ليس له معنى لدينا، وقد اعترف ابن تيمية نفسه بذلك. =

= ثانياً: يرد ابن تيمية نفسه على هذا السؤال فيقول: « ... كل ما تثبته من الأسماء والصفات فلابد أن يدل على قدر تتواطأ فيه المسميات، ولولا ذلك لما فهم الخطاب. ولكنا نعلم أن ما اختص الله به وامتاز عن خلقه أعظم مما يخطر بالبال ... » أ.هـ من التدمرية.

ثالثا: يقول ابن تيمية في الرسالة التدمرية: « والكبد والطحال ونحو ذلك هي أعضاء الأكل والشرب فالغنى المنزه عن ذلك منزه عن آلات ذلك بخلاف اليد فإنها للعمل والفعل وهو سبحانه موصوف بالعمل والفعل... » أ.هـ.

فهو هنا يعترف صراحة أنها أعضاء وآلات ومثل ذلك ما يصرح به تلميذه ابن القيم في القصيدة النونية بأن لله عينا يبصر بها فهل هذه العين شيء غير العضو المعروف؟ تعالى الله عما يقولون.

ومن ذلك يتضح أن الكيفية المشار إليها ليست إلا حيلة يخدعون بها العوام، وأن تعظيم ابن تيمية وأتباعه لله سبحانه تعظيم جزئي وتنزيهه له تنزيه ناقص.

التنبيه السادس: يقول الإمام سلامة العزامي في (فرقان القرآن):

إذا سمعت في عبارات بعض السلف إنما نؤمن بأن له وجها لا كالوجوه ويداً لا كالأيدي فلا تظن أنهم أرادوا أن ذاته العلية منقسمة إلى أجزاء وأبعاض. فجزء منها يد وجزء منها وجه غير أنه لا يشابه الأيدي والوجوه التي للخلق حاشاهم من ذلك، وما هذا إلا التشبيه بعينه، وإنما أرادوا بذلك أن لفظ الوجه واليد قد استعمل في معنى من المعاني، وصفة من الصفات التي تليق بالذات العلية كالعظمة والقدرة، غير أنهم يتورعون عن تعيين تلك الصفة تهيبا من التهجم على ذلك المقام الأقدس، وانتهز المجسمة والمشبة مثل هذه العبارة فغرروا بها العوام، وخدعوا بها الأغمار من الناس، وحملوها على الأجزاء فوقعوا في حقيقة التجسيم والتشبيه، وتبرأوا من اسمه، وليس يخفي نقدهم المزيف على صيارفة العلماء، وجهابذة الحكماء، ويدلك على إرادة السلف ما قلنا ما نقله الذهبي نفسه في كتابه الذي سماه (العلو) عن الإمام مالك وشيخه ربيعة ونظرائهما أنهم قالوا حين سئلوا عن قوله تعالى: ﴿ الرحمن على العرش استوى ﴾ كيف استوى؟ **والكيف غير معقول** وكذلك نقل الذهبي بالسند في هذا الكتاب عن أبي عبد الله الحاكم وأبي زرعة اتفاق جميع فقهاء الأمصار من أهل تلك الأمصار أنهم يؤمنون بهذه الصفات من غير كيف. فانظر كيف نفوا الكيف مجمعين وهو صريح في أنها ليست أجزاء ولا جسمانية فإن الاستواء الجسماني والوجه الجسماني وما إليه لابد لها من الكيف قطعاً، إذ هو لازم من لوازم ذاتها لذاتها، ونفي لازم الماهية لذاتها يستلزم نفيها عند جميع المنصفين من العقلاء الذين لم يصابوا بالأهواء وانظر كيف سموها صفات و لم يسموها أبعاضا وأجزاء.

والخلاصة أنه يندفع عنك أيها الطالب لمعرفة مذهب السلف الصالح الوهم بأمرين:

[أ-] إجماعهم على نفي الكيف، بل تصريحهم بأن الكيف غير معقول.

[ب-] والتسمية لها بالصفات أ. هـ ص ١٠٨- ١٠٩.

[في التعظيم والتنزيه]

رَكَّبَك على مِنْوَال عجيب، وجعلك في أحسن صورة وأعجب تركيب[١]، مع تنقل تارات من ماء مهين فقال عز وجل من قائل: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ مِنْ سُلاَلَة مِّن طِين. ثَمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً في قَرَارٍ مَّكِين. ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فُخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عظَاماً فَكَسَوْنَا الْعِظَامِ لَحْماً ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقاً آخَرَ فَتَبَارَكَ اللهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِين﴾[1].

الإنسان هنا هو آدم عليه السلام وسلالته لأنه سله من كل تربة وكان عليه السلام يتكلم بسبعمائة ألف لغة.

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاهُ﴾ أي الإنسان ﴿نَطْفَةً فِي قَرَار مَكِين﴾ أي حرز منيع وهو الرحم ﴿ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةَ﴾ أي دماً ﴿فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً﴾ أي قدر ما يمضغ ﴿فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَاماً﴾ وبين كل خلقين[٢] (٧٤/أ) أربعين[٣] يوماً ﴿فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْماً ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقاً آخَرَ﴾ وهو نفخ الروح فيه، قاله ابن عباس ومجاهد والشعبي وغيرهم وقيل: نبات الأسنان والشعر، قاله قتادة وقيل: ذكراً وأنثى، قاله الحسن وقيل غير ذلك ﴿فَتَبارَكَ اللهُ أَحْسَنُ الخَالِقِينَ﴾ أي المصورين والمقدرين نزَّه [نفسه][٤] سبحانه وتعالى بعد ذكر هذه الأطوار.

---

(١) في ط: ترتيب.
(٢) في ط: خلقتين.
(٣) في ط: أربعون.
(٤) في أ : سقطت كلمة نفسه وفي ط: تنزَّه سبحانه.

---

(1) الآيات ١٢،١٣،١٤ من سورة المؤمنون.

المعنى: أن من هذه بعض[١] مقدوراته يستحق التعظيم والتَنْزِيه، لأن هذه التارات والتنقلات إنشاء بعد إنشاء في غاية الدلالة على كمال القدرة ووصف الألوهية، ثم الإنشاء الآخر أن شقق الشقوق وخرق الخروق وأمزج[٢] العصب وجعل العروق كالأنهار الجارية، وركبها على منوال غريب مع كونه خلقاً سوياً، فأظهر يدا الفطرة[٣] والآيات الظاهرة، وكمال الصنع والحكمة الباهرة وأودع فيه الروح والحركة والسكون والإدراك والتمييز ولغات الكلام والعلم والمعرفة والفهم والفطنة والفراسة وغير ذلك مما يليق بهذا النوع الإنساني الحيواني، إلى غير ذلك مما يطول عده ويعسر تقديره وَحَدُّه ﴿فَتَبَارَكَ اللهُ أَحْسَنُ الخَالِقِينَ﴾.

ولو قيل لك: أخبرني عن قدر عروقك دقة وثخانة وطولاً وقِصَراً، وعن[٤] حقيقة بعض (٧٤/ب) ما في باطنك[٥] من أي نوع كان لعجزت عن بيان ذلك ولخرست[٦]. وأنت وجميع هذا النوع الإنساني نتفة تراب جعله[٧] بشراً منتشراً فتعالى وتبارك أن يخوض في ذاته وصفاته إلاّ مَنْ عُدِم

(١) في ب-ج-ط: أن من هذه من بعضه.

(٢) في ط: وأخرج.

(٣) في ط: يد القدرة.

(٤) في ط: أو عن.

(٥) في ج: ما في بطنك.

(٦) سقطت كلمة «ولخرست» من النسخة ب.

(٧) في ج: جعله الله بشراً.

الرشاد وسلك سبيل الفساد والعناد، وصير نفسه أخَسَّ العباد[1].

فمن حقق نظره واستعمل فكره وجد نفسه أجهل الجاهلين بعظمة هذا

---

(1) وقد ذكر حجة الإسلام الغزالي أنه لو قال قائل:(لا أعرف إلا الله تعالى)كان صادقاً، ولو قال:(لا أعرف الله تعالى) لكان صادقاً.وبين ﷺ أنه إذا اختلف وجه الكلام تصور الصدق في القسمين وأن القول الثاني – الذي ينفي المعرفة – هو الأقرب إلى التعظيم.

ثم ضرب مثالا على ذلك فقال: «لو عرضت خطا منظوما على عاقل وقلت: هل تعرف كاتبه؟ فقال: لا، صدق. ولو قال: نعم كاتبه هو الإنسان الحي القادر السميع البصير السليم اليد العالم بصناعة الكتابة فإذا عرفت كل هذا منه فكيف لا أعرفه؟ فهذا أيضاً صدق. ولكن الأحق والأصدق قوله لا أعرفه، فإنه في الحقيقة ما عرفه وإنما عرف احتياج الخط المنظوم إلى كاتب حي عالم قادر سميع بصير سليم اليد عالم بصناعة الكتابة، ولم يعرف الكاتب نفسه. وكذلك الخلق كلهم لم يعرفوا إلا احتياج هذا العالم المنظوم المحكم إلى صانع مدبر حي عالم قدير » ثم بين ﷺ أن: «الأسماء المشتقة من صفات لا تدخل في حقيقة الذات وماهيتها فلو أشار شخص إلى نار مثلا وقال: ما هي؟ فقيل له: هي حارٌّ، فليس هذا جوابا عن الماهية والحقيقة، وإنما المعرفة بالشيء هي معرفة حقيقته وماهيته لا معرفة الأسماء المشتقة فحقيقة وماهية (حارٌّ) هي: شيء مبهم له وصف الحرارة **وكذلك قولنا عالم وقادر معناه شيء مبهم له وصف العلم والقدرة »** .

فإن قيل: كيف تتفاوت درجات الملائكة والأنبياء والأولياء بل وعوام المؤمنين في معرفة الله عز وجل؟ يجيب عن ذلك حجة الإسلام بأنه: « ليس من يعلم أنه تعالى عالم قادر على الجملة، كمن شاهد عجائب آياته في ملكوت السماوات والأرض وخلق الأرواح والأجساد واطلع على بدائع المملكة وغرائب الصنعة ممعنا في التفصيل ومستقصيا دقائق الحكمة ومستوفيا لطائف التدبير ومتصفا بجميع الصفات الملكية المقربة من الله تعالى نائلا لتلك الصفات نيل اتصاف لها، فبقدر ما ينكشف لهم من معلومات الله تعالى وعجائب مقدوراته وبدائع آياته في الدنيا والآخرة والملك والملكوت تزداد معرفتهم بالله تعالى وتقرب معرفتهم من معرفة الحقيقة» أهـ. بتصرف واختصار من المقصد الأسنى شرح أسماء الله الحسنى – الفصل الرابع لحجة الإسلام الغزالي.

وقد شرح ذلك أيضاً الإمام علاء الدين القونوي في كتابه (حسن التصرف بشرح التعرف) جـ١ لوحة ٨٤ مخطوط بدار الكتب المصرية.

العظيم فلا يقدر(١) قدره غيره، ولا يعرفه سواه وإن قَرَّبه وأدناه[1].

فسبحانه ما أثنى عليه حق ثنائه غيره، ولا وصفه بما يليق به سواه، عجز(٢) الأنبياء والمرسلون عن ذلك حتى قال(٣) أجلهم قدراً وأرفعهم محلاً وأبلغهم نطقاً مع ما أعطي من جوامع الكلم: «لا أُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَى نَفْسِكَ»[2].

---

(١) في ط: فلا يقدره.

(٢) في ب: وعجز.

(٣) في ط: عن ذلك قال بدون كلمة (حتى).

---

(1) قال سهل التستري(سبحان من لم يدرك العباد من معرفته إلا عجزاً عن معرفته) وقد شرح الإمام علاء الدين القونوي ذلك بقوله « أي هذا غاية معرفتهم، وهو معني ما روى عن الصديق أنه قال (العجز عن درك الإدراك إدراك). وقد اعترض عليه بعض المتكلمين بأن العجز عن لعرفة يستلزم عدمها فكيف يكون وجودها عين ملزوم عدمها؟ وأيضاً فإن كان العجز عن المعرفة معرفة فهو حاصل قبل التكليف وقبل بعثة الرسل فما الذي يطلب حصوله بعد ذلك؟ وأجيب عن الأول بأن المعرفة كلما ازدادت ازداد العلم بكمال المعروف وجلاله وعظيم بره وأفضاله واستلزم لمك عجز العارف عن القيام بحق المعروف والمعرفة ولهذا قال سيد الأولين والآخرين (لا أحصي ثناء عليك) واستلزم الحيرة فيه ولذلك سألها من قال (رب زدني فيك تحيرا)، وكل من الحائر والعاجز كأنه غير عارف وإن كانت المعرفة هي منشأ الحيرة والعجز فجاز لذلك أن تعرف المعرفة بمثل هذا العجز الذي هو لازم لها تحقيقاً وملزوم لعدمها تقديراً.

وبهذا يحصل الجواب عن الاعتراض الثاني أيضاً لظهور الفرق بين العجز السابق على المعرفة والعجز اللاحق ضرورة التغاير بين عجز الجاهل وعجز العالم فإن الأول مطلوب الزوال والثاني مطلوب الحصول » أهـ من كتابه (حسن التصرف بشرح التعرف) جـ١ لوحة ٨٤ مخطوطة بدار الكتب المصرية.

وقد شرح هذه النقطة أيضاً الإمام أبو حامد الغزالي في الفصل الرابع من كتابه (المقصد الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى).

(2) جزء من حديث رواه مسلم في كتاب الصلاة باب (ما يقال في الركوع والسجود) حديث رقم (١٠٧١)، والترمذي في سننه كتاب الدعوات حديث رقم (٣٤٩٣) وغيرهما.

[دلالات القرآن على التنزيه]

ومن تأمل كلامه عز وجل وجده محشواً بتَنْزِيهه تارة بالتصريح وتارة بالتلويح وتارة بالإشارات وتارة بما[١] يقصر[٢] عنه العبارات[1].

---

(١) في ب: مما.
(٢) في ج–ط: تقصر.

---

(1) يقول الإمام سلامة العزامي في كتابه الجليل (البراهين الساطعة) تحت عنوان (بيان صراحة القرآن في نفي الجسمية ولوازمها عن الله عز وجل): «قال الله تعالى في كتابه العزيز ﴿الله خالق كل شيء﴾ والخلق في هذه الآية معناه إيجاد الأشياء على القدر الذي سبق به علمه واقتضته مشيئته في حجمها وشكلها وزمانها ومكانها وهذا الكلام العزيز في هذا الإيجاز الرفيع والإعجاز البديع هو صريح أو كالصريح في أن كل ماله قدر فهو حادث بعد عدم ومخلوق بعد أن لم يكن فكونه على قدر مخصوص من صغر أو كبر. وشكل مخصوص من تدوير أو تربيع أو غيرهما وصفة مخصوصة من نحافة أو سمن أو طول أو قصر ومكان مخصوص من علو أو سفل إلى ما يشبه ذلك هو سمة من سمات حدوثه ولازم من لوازم كونه مخلوقاً وبرهان من براهين كونه ممكنا لا واجبا وأن ذلك ظاهر للفطر بأدنى تأمل فلا بد له من خالق وأن خالقه هو الله الذي يتعالى عن سمات الحدوث ولوازم الإمكان وحده لا شريك له وقال تعالى ﴿وخلق كل شيء فقدره تقديراً﴾ ففي ذلك أصرح البيان لأن كل مقدر مخلوق: فيتضح منه أتم اتضاح أن الخالق الذي هو ليس بمخلوق يتعالى في ذاته عن الحدود والمقادير وتجل صفاته أن يكون منها ما هو من سمات الحدوث ولوازم الإمكان وقال سبحانه ﴿قد جعل الله لكل شيء قدراً﴾ ففي هذا القول الكريم أن كل ذي قدر فهو مجعول هو وماله من قدر وأن الله وحده هو الجاعل له ولقدره فمن جوز عليه تعالى أن يكون جسماً والجسم لا محالة ذو قدر فقد جوز عليه أن يكون مجعولا مخلوقاً تعالى عن ذلك علواً كبيراً ومن لوازم الجسمية التركب والأجزاء وقد احتج الله على الإنسان بتركبه حيث قال سبحانه يخاطبه ﴿في أي صورة ما شاء ركبك﴾ لما أركزه سبحانه في الفطر السليمة من أن كل متركب لابد له من مركب جعله كذلك.

وبالجسمية للأجسام احتج الله تعالى على حدوثها وإحداثه تعالى لها في مواضع كثيرة من الكتاب العزيز فقال ﴿إن في خلق السموات والأرض﴾ إلى قوله ﴿لآيات لقوم يعقلون﴾ في سورة البقرة. وإلى قوله ﴿لآيات لأولى الألباب﴾ في سورة آل عمران وهو في قوة التصريح بأن من لم يستدل بتركبها وجسميتها على حدوثها وإمكانها وعلى وحدة خالقها وبارئها ووجوب وجوده فليس من أولى الألباب ولا هو من قوم يعقلون وقال تعالى ﴿الحمد لله الذي خلق السموات والأرض﴾ وقال ﴿فاطر السموات والأرض﴾ وفي طي هذا الكلام المجيد أنها أجسام ومركبات وفي جسميتها وتركبها الدلائل الواضحة للعقلاء على أنه لابد لها من فاطر فطرها وخالق خلقها وكذلك احتجت الرسل عليهم الصلاة والسلام على أممهم كما حكى الله عنهم في قوله ﴿قالت رسلهم أفي الله شك فاطر السموات والأرض﴾ . =

= وبالحركة والنقلة ثم بالجسمية كانت حجة إبراهيم خليل الله على نبينا وعليه الصلاة والسلام التي آتاه الله إياها على قومه فإنه بين لهم عند الأفول أنها لا تصلح أن تكون أربابا وآلهة لأن الحركة والنقلة من لوازم حدوث المتحرك المقتضي مخلوق مربوب فلا يصح أن يكون إلها، وخص هذا النوع من الحركة لأنه أظهر المخاطبين في الاستدلال على المقصود، والأنبياء عليهم الصلاة والسلام يتحرون الأوضح ليكون أقرب إلى الهداية وأبعد عن مشاغبة الخصوم، وأبين في إفحامهم. ألا تراه عليه الصلاة والسلام لما قاله له الذي حاجه في ربه ﴿أنا أحيي وأميت﴾ انتقل به إلى ما هو أبعد عن المشاغبة فيه، وأظهر في إفحامه، فقال ﴿فإن الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب، فبهت الذي كفر﴾ وكان في مكنته عليه الصلاة والسلام أن يناقشه في دعواه ولكنه عدل إلى ما ترى لما ذكرنا، ثم ترقى بقومه في الاحتجاج عليهم بقوله ﴿إني وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض﴾ وليست جهة الاستدلال في هذه الحجة الأخيرة الأفول الذي ذكره في تلك، فإن السموات والأرض حاضرة ظاهرة أمام أعينهم لم تأفل وإنما جهة الاستدلال أنها أجسام، والأجسام من حيث هي ممكنة غير واجبة، حادثة غير قديمة، والعقول قاضية – إذا أنصفت– أن الممكن لا يملك الوجود لنفسه، فضلا عن أن يعطيه غيره، فلها – إذا عاليها وسافلها، مرتفعها، ومنخفضها– فاطر عظيم فطرها وموجد واجب الوجود، عليٌّ متعال عن الجسمية ولوازمها، هو الذي يجب أن يتوجه له – وحده – بالعبادة. وفي اقتصار الخليل عليه الصلاة والسلام والرسل قبله وبعده على ذكر السموات والأرض الدلالة الواضحة على أن الحجة على الكافرين إنما هي بجسميتها، ولوازم تلك الجسمية، وأن الأمر لا يحتاج إلا إلى اللفت والتنبيه. ولو كان في الأجسام ما يصح أن يكون واجباً غير ممكن، وقديما غير محدث، لوجد في الكفرة من يزد على المرسلين حجتهم هذه.

فقل لي – بربك – ما تكون قيمة عقل هذا الحراني الذي يقول في تأسيسه ما نقلناه لك عنه آنفا مما يخجل القلم من أن يكتبه مرة أخرى فها هو كتاب الله يقرر أن كل ما هو جسم فهو حادث، بل كل ما هو ذو قدر ولو في غاية الصغر فهو حادث، الله أحدثه، ويقول رسله الكرام ما هو واضح في إفادة هذا المعنى، ويحتج خليل الله بما سمعت، ولا يقول كافر من قومه ليست الأجسام كلها محدثة، بل يجوز أن يكون بعض الأجسام قديماً فيكون إلها، كما صرح بالقول بذلك – الحراني المسكين– في تأسيسه قال إنه يمكنه التزام القول بقدم بعض الأجسام، فأي جراءة على المعقول والمنقول أشنع من هذه الجراءة؟ وكأن القائل بهذا لا يريد إلا أن يكون من تلك الفئة الخاسرة المادية، التي تقول إن المادة أو بعضها هي الفاعل لكل هذه الكائنات. =

= وقال تعالى ﴿هو الله الخالق البارئ المصور﴾ أي الموجد للكائنات كلها على القدر الذي قدره لها، بريئة من العيوب والمعطي لها ما يناسبها من الصور، والمتصف بهذا الوصف لا يكون ممكنا من الممكنات، فإن الممكن لا يملك وجود نفسه، فضلاً عن أن يفيضه على غيره، فيجب أن يكون واجب الوجود، وما وجب وجوده يجب له كمال الغنى، وكل مقدر بقدر صغر أو كبر فهو مفتقر إلى مقدره، فإذا كان جسما كان أشد فقراً، فواجب الوجود إذا يتعالى عن الصغر والكبر، والتقدر بأي قدر كان، هذا ما أجمع عليه العقلاء من الأولين والآخرين، الأنبياء والمرسلين، والصديقين والمقربين، من الصحابة والتابعين، ومن تبعهم من العلماء المرضيين.

وقال جل جلاله ﴿ليس كمثله شيء﴾ ولو كانت ذاته متقدرة بقدر، أو متركبة من أجزاء لكان له من خلقه أمثال لا تحصى – تعالى الله عما يقول أهل الهوى – وثبت في أسباب النزول أن المشركين قالوا لرسول الله ﷺ صف لنا إلهك الذي تعبده . أمن فضة هو أم من ذهب؟ فأنزل الله في الجواب سورة الإخلاص التي قال في أولها ﴿قل هو الله أحد﴾ وأول ما يدخل في هذه الأحدية دخولا أوليا براءة الذات العلية وتقدسها عن الأجزاء. لأن المسؤل عنه هو الأجزاء التي تركبت منها الذات كما تتركب أصنامهم، فأخبروا بالأحدية، والأحدية هي البراءة من الكثرة والتعالي في التوحد، فهو واحد في ألوهيته، وواحد في كل صفة من صفات كماله، ومن صفات كماله التعالي عن لوازم الإمكان، ومستلزمات الحدوث ومن أظهر ما يستلزم الحدوث تركب الذات وصحة انقسامها إلى الأجزاء وقول ذلك المغرور الجاهل بأوليات المعقول: إن التركب والانقسام إلى الأجزاء لا يستلزم الحدوث: هو خروج عن دلائل القرآن، وإجماع المرسلين، وما عليه أئمة كل دين منزل، ما داموا على دينهم الذي جاءهم من رب العالمين، بل خروج على ما أودع الله في الفطر السليمة من أن الأجسام والمركبات كلها في دائرة الإمكان، لا يتخطى واحد منها ولا أنملة واحدة إلى دائرة وجوب الوجود، وإن كان جالسا على أعلى العرش، أو على ما هو أعلى من ذلك بما بين الثرى إلى العرش ألوف ألوف المرات فالمعتقد أن معبود متركب متصور جالس فوق عرش العروش، بل فوق ما هو أعلى من ذلك مما يقدره أوسع وهم فما هو بعابد خالق العالمين، وباعث المرسلين، ورب الأرواح والأشباح أجمعين، وإنما هو عابد وثن نحته بمنحت عقله من جلاميد وهمه، وإنما جاءت الشرائع الإلهية لهدم الوثنيات، ومحو عبادة المنحوتات في أي صورة تصورت، علت أو تسفلت« . أ.هـ ص ٢١٩-٢٢٤.

[فصل: واجبات علماء الآخرة: التجلي بالإخلاص والصدق والاحتراز عما يوقع في الشبه والالتباس]

وهؤلاء العلماء ورثة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام الذين قربوا من درجة النبوة، لأنهم دلوا الناس على ما جاءت(١) به الرسل عليهم الصلاة والسلام، ويرجح مدادهم على دم الشهداء، ويستغفر لهم من في السموات والأرض حتى الحيتان في الماء، وهم أمناء الله عز وجل في أرضه وأحدهم أشد على الشيطان من ألف عابد (٧٥/أ).

وقد قيل في قوله تعالى: ﴿رَبِّ زِدْنِي عِلْماً﴾[1] أي زدني علماً بالقرآن ومعانيه.

وهؤلاء لهم علم لَدُنِّي(٢)[2] يرد على قلوبهم من غيب الهدى لها جولان في الملكوت فترجع(٣) إلى صاحبها بطرائق الحكمة من غير أن يلقي إليها عالم علمه[3]،

(١) في ط: ما جاء.
(٢) في أ -ب: من لَدُنِّي.
(٣) في ب: فيرجع.

---

(1) الآية ١١٤، من سورة طه.
(2) يعرف الإمام الغزالي العلم اللَّدُنِّي بأنه: «الذي ينفتح في سرِّ القلب من غير سبب مألوف من خارج»أ.هـ انظر الإحياء مع شرحه (إتحاف السادة المتقين) ط العلمية ج٨ ص ٤٧٨.
(3)يقول حجة الإسلام في كتاب (عجائب القلب) في الإحياء: «لا يعرف العاقل ما أفتتح الله على أوليائه وأنبيائه من مزايا لطفه ورحمته ﴿ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها﴾ [فاطر:٢] وهذه الرحمة مبذولة بحكم الجود والكرم من الله سبحانه وتعالى غير مضنون بها على أحد، ولكن إنما تظهر في القلوب المتعرضة لنفحات رحمة الله تعالى كما قال ﷺ «إن لربكم في أيام دهركم لنفحات ألا فتعرضوا لها» والتعرض لها بتطهير القلب وتزكيته من الخبث والكدورة الحاصلة من الأخلاق المذمومة. وإلى هذا الجود الإشارة بقوله ﷺ «ينزل الله كل ليلة إلى سماء الدنيا فيقول: هل من داع فأستجيب له » وبقوله تعالى: «من تقرب إليّ شبراً تقربت إليه ذراعاً »، كل ذلك إشارة إلى أن أنوار العلوم لم تحتجب عن القلوب لبخل ومنع من جهة المنعم تعالى عن =

ومن ثمرة ذلك حصول الخشية وتزايد الخوف والعمل بالإخلاص والصدق والزهد وصون النفس عن مواطن الهلكة وإلاّ هلك وأهلك غيره.

ومثل العالم كمثل السفينة إذا تخرقت[١] غَرِقَتْ وغرق أهلها.

فواجب حتم على[٢] العالم أن يحترز لئلا يَهْلَكَ ويُهْلِكَ غيره فيلقى الله تعالى بذنوبه وذنوب غيره فيضاعف عليه العذاب.

قال محمد بن المنكدر[1] وهو مِنْ سادات[٣] التابعين وكانت عائشة رضي الله عنها تحبه وتكرمه وتَبَرُّهُ: الفقيه يدخل بين يدي الله عز وجل وبين عباده

---

(١) في ج: لو انخرقت، وفي ط: إذا انخرقت.

(٢) في ط: فواجب على.

(٣) في ط: سادة.

= البخل والمنع علواً كبيراً ولكن حجبت لخبث وكدورة وشغل من جهة القلوب، فإن القلوب كالأواني فما دامت ممتلئة بالماء لا يدخلها الهواء فالقلوب المشغولة بغير الله لا تدخلها المعرفة بجلال الله، وإليه الإشارة بقوله ﷺ : «لولا أن الشياطين يحومون على قلوب بني آدم لنظروا إلى ملكوت السماء» ومن هذه الجملة يتبين أن خاصية الإنسان: **العلم والحكمة**، وأشرف أنواع العلم هو: العلم بالله وصفاته وأفعاله فبه كمال الإنسان وفي كماله سعادته وصلاحه لجوار حضرة الجلال والكمال.أ.هـ بتصرف (الإحياء مع شرحه إتحاف السادة المتقين ٤٠٢/٨- ٤٠٤ط العلمية). ثم أوضح حجة الإسلام أن هذه العلوم- التي ليست ضرورية- والحاصلة في القلب على نوعين، الأول: ما يكتسب بطريق الاستدلال والتعلم شأن عامة العلماء، والثاني: ما يهجم على القلب بغير حيلة وتعلم واجتهاد كأنه ألقي فيه من حيث لا يدري ويسمى **الإلهام والنفث في الروع** وهذا حال الأولياء والأصفياء من علماء الآخرة تهب عليهم رياح الألطاف وتنكشف الحجب عن أعين القلوب فينجلي فيها بعض ما هو مسطور في اللوح المحفوظ ويكون ذلك تارة عند المنام وتارة في اليقظة حتى يرتفع الحجاب بلطف خفي من الله تعالى فيلمع في القلوب من وراء ستر الغيب شيء من غرائب العلم: تارة كالبرق الخاطف وأخرى على التوالي إلى حَدٍّ ما ودوامه في غاية الندرة.

(1) هو: محمد بن المنكدر بن عبد الله بن الهدير التَّيمي. روى الحديث عن أبيه وعن جابر وعبد الله بن عمر وابن عباس وأبي أيوب وأبي هريرة وعائشة وغيرهم. روى عنه أبو حنيفة ومالك والزهري وشعبة والسفيانان. قال سفيان بن عيينة عنه: كان من معادن الصدق ويجتمع إليه الصالحون توفى سنة ١٣٠هـ.

فلينظر كيف يدخل.

وصدق ونصح قدس الله تعالى روحه، وهذا شأن السلف بذل[١] النصيحة للإسلام والمسلمين وكانوا شديدين على من خالف لا سيما[٢] لما ظهر أهل الزيغ وتظاهروا بالتنويه بذكر آيات المتشابه وأحاديثه، بالغوا في التحذير منهم ومن مجالستهم، وكانوا يقولون هم الذين عنى الله عز وجل في (٧٥/ب) قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغاءَ الْفِتْنَةِ﴾[٣][1] وكذا قالت عائشة رضي الله عنها.

وكانوا يقولون إذا جلس أحد للوعظ والتذكير تفقدوا منه أموراً ولا تغتروا بكل واعظ[٤] فإن الواعظ إذا لم يكن صادقاً ناصحاً سليم السريرة من الطمع والهوى هَلَك وأهلَك وذكروا أشياءً ببعضها ينطفي[٥] نار الشبه التي بها يُمَوّهُ أهل الزيغ ومن لا يقبلها فما ذاك إلاَ أن[٦] الله عز وجل يريد إهلاكه وحشره في زمرة السامرة واليهود والزنادقة، ومن يرد الله عز وجل إضلاله فلا هادي له، يحكم[٧] لا معقب لحكمه، ﴿لا يُسأل عما يفعل﴾[2] قسم الخلق إلى شقي وسعيد، فهو الفعال لما يريد، فمن اتبع هداه لا يضل ولا يشقى، ومن اتبع هوى نفسه الأمارة وأهل الزيغ والضلالة، وحاد عن سبيل مَنْ يُقتدى هلك في المرقى.

---

(١) في ط: بذلوا.

(٢) في ط: ولا سيما.

(٣) في ط: الآية.

(٤) في ج: بكل واحد.

(٥) في ب-ج-ط: تنطفيء.

(٦) في ب-ج: إلا لأن الله عز وجل.

(٧) في ط: والله يحكم.

---

(1) الآية ٧، من سورة آل عمران.

(2) الآية ٢٣ من سورة الأنبياء.

[فصل: إخبار الرسول عليه السلام بوقوع الفتن وانتشارها بعدَ استشهاد أمير المؤمنين عمر ﷺ]

ولنرجع إلى قول السلف ﷺ: «إذا جلس شخص للوعظ فتفقدوا منه أموراً إن كانت فيه فاهربوا وإياكم والجلوس إليه وإلا هلكتم من حيث طلبتم النجاة» قالوا ذلك حين ظهر أهل البدع[1] وكثرت المقالات وذلك بعد (٧٦/أ) وفاة عمر ﷺ وحديث حذيفة ﷺ يدل لذلك واللفظ لمسلم:

« عن حذيفة قال: كنا عند عمر فقال: أيكم سمع رسول الله ﷺ يذكر الفتن؟ فقال قوم: نحن سمعناه فقال: لعلكم تعنون فتنة الرجل في أهله وجاره، قالوا: أجل قال: تلك تكفرها الصلاة والصيام والصدقة، ولكن أيكم سمع النبي ﷺ يذكر الفتن التي تموج موج البحر؟ قال حذيفة فأسكت القوم، فقلت: أنا قال: أنت لله أبوك.

قال حذيفة: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «تعرض الفتن على القلوب كالحصير عوداً عوداً فأي قلب أشربها نكت فيه نكتة سوداء، وأي قلب أنكرها نكت فيه نكتة بيضاء، حتى تصير على قلبين، على أبيض مثل الصفا فلا تضره فتنة ما دامت السموات والأرض،والآخر أسْوَداً مربادا كالكوز مجخيا لا يعرف معروفا ولا ينكر منكراً إلا ما أشرب من هواه.

قال حذيفة: وحدثته أن بينك وبينها بابا مغلقاً يوشك أن يكسر. قال عمر: أكسرًا لا أبالك، فلو أنه فتح لعله كان يعاد. قلت: لا، بل يكسر، وحدثته أن (٧٦/ب) ذلك الباب رجل يقتل أو يموت، حديثا ليس بالأغاليط.

---

(١) في ط: أهل الزيغ والبدع.

قال أبو خالد فقلت لسعد: يا أبا مالك: ما أسود مُرْبَاداً؟ قال: شدة البياض في سواد قال: قلت: فما الكوز مُجَخِّيا؟ قال: منكوسا » [1].

فقوله : (ليس بالأغاليط) يعني أنه عن رسول الله ﷺ.

والفتن كل أمر كشفه الاختبار عن أمر سوء وأصلها[١] في اللغة الاختبار، وشبهت بموج البحر لاضطرابها ودفع بعضها ببعض وشدة عظمها وشيوعها.

وقوله: (تعرض الفتن على القلوب): أي تلصق بعرض القلوب أي بجانبيها (كالحصير) يلصق بها كما يلصق الحصير بجنب النائم[٢] وتؤثر فيه من شدة التصاقها، وهذا شأن المشبهة تلصق[٣] فتنة التشبيه في قلوبهم وتؤثر، ويحسن العدو لهم ذلك[٤] حتى يعتقدوا ذلك دينا وقربانا من الله عز وجل، وما يقنع أحدهم حتى يبقى داعية وحريصاً على إفتان من يقدر على إفتانه كما هو مشاهد منهم.

وإلى مثل ذلك قوله: (أشربها) أي دخلت فيه دخولاً تامًّا، وأُلزمها وحلت منه محل الشراب ومنه قوله تعالى: ﴿وأشربوا في قلوبهم العجل﴾[1] أي حبه وقوله[٥] (٧٧/أ) إن بينك وبينها باباً مغلقاً معناه: إن تلك الفتن لا تفتح ولا يخرج منها شيء في حياتك.

---

(١) في ط: وأصله.

(٢) في ط: (كالحصير) تلصق بجنب النائم.

(٣) في ب: يصلق.

(٤) في ط: وتحسن لعقولهم ذلك.

(٥) في ب–ط: فقوله.

---

(1) بالرجوع إلى سند الحديث في صحيح مسلم: أبو خالد هو سليمان بن حيان راوي الحديث عن سعد بن طارق عن ربعي عن حذيفة ﷺ .

صحيح مسلم: كتاب الإيمان –باب بيان أن الإسلام بدأ غريباً حديثاً رقم (٣٦٢).

وقوله: (يوُشِك) هو بضم الياء وكسر الشين معناه: أن[١] يكسر عن قرب والرجل هو عمر، وقد جاء مبيناً في الصحيح.

والحاصل أن الحائل بين الفتن[٢] هو عمر ﷺ ما دام حيًّا، فإذا مات دخلت.

وأرباب الفتن هم الذين شرقوا[٣] بالنبي ﷺ وبأبي بكر وعمر رضي الله عنهم لعلمهم أن الدين لا يتم إلا بهما لأن عندهم علماً[٤] بذلك، وكانوا يظهرون الإسلام ويقرءون شيئاً من القرآن، وكانوا يرمزون إلى التعرض بالنقص حتى في النبي ﷺ حتى أن منهم من كان يؤم بالناس[٥] ولا يقرأ في الجهرية إلاّ بعبس لما فيها من العتاب مع النبي ﷺ لأجل ابن أم مكتوم، وهَمَّ[٦] ﷺ على قتله[٧].

وتظاهر شخص بسؤال، ما الذاريات ذروا؟ فقال عمر ﷺ: اللهم أمكني منه. فمر يوماً فقيل له: هو ذا. واسم الرجل صبيغ. فشمر عمر ﷺ عن ذراعيه وأوجعه جلداً. ثم قال: أرجلوه. فأركبوه. على راحلته. فقال: طيفوا به في حيه ليعلم الناس بذلك (٧٧/ب).

وكان ﷺ شديداً في دين الله عز وجل لا يأخذه[٨] في الله لومة لائم، وقد ذكرت نبذة يسيرة في سيرته في كتاب «قمع النفوس».

---

(١) في ط: أنه.

(٢) في ط: والحاصل أن الحائل بين الناس وبين الفتن.

(٣) في ب: شرفوا. وهو خطأ.

(٤) في المخطوطات: علمٌ.

(٥) في ط: الناس.

(٦) في ب-ج: وَهَمَّ عمر ﷺ.

(٧) في ط: قتاله.

(٨) في ط: لا تأخذه.

---

(1) الآية ٩٣، من سورة البقرة.

[المغيرة بن سعيد الساحر المجسم]

ولما كان أواخر القرن الأول اتسع الأمر من القصاص .

وتظاهر شخص يقال له المغيرة بن سعيد وكان ساحراً، واشتهر بالوصَّاف، وجمع بَيْنَ الإلحاد والتجسيم(١)، ويقول: إن ربه على صورة رجل على رأسه تاج، وأن أعضاءه على عدد حروف الهجاء، ويقول ما لا يُنطق به، ويقول أنَّ الأمانة في قوله تعالى(٢): ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَالْجِبَالِ﴾ (1) هي أن لا يمنع علي الخلافة وقوله تعالى: ﴿وَحَمَلَهَا الإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُوماً جَهُولاً﴾ هو أبو بكر رضي الله عنه، وقال عمر رضي الله عنه لأبي بكر رضي الله عنه أن يحملها ويمنع علياً منها وضمن عمر أنه يعين أبا بكر بشرط أن يجعل أبو بكر الخلافة له بعده فقبل أبو بكر منه وأقدما على المنع متظَاهِرَين، ثم وصفهما بالظلم والجهل فقال: وحملها أبو بكر إنه ظلوماً جهولاً.

وزعم أنه نزل في حق عمر رضي الله عنه: ﴿كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلإِنْسَانِ اكْفُرْ ... الآية﴾ (2).

وكان يقول بتكفير سائر الصحابة(٣) رضي الله عنهم إلاّ من ثبت مع علي رضي الله عنه.

وكان يقول (٧٨/أ) أن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام لم يختلفوا في

---

(١) في ط: والتنجيم.

(٢) في ط: في قوله الله تعالى.

(٣) في ج: الصحابة أجمعين.

---

(1) الآية ٧٢، من سورة الأحزاب.

(2) الآية ١٦، من سورة الحشر.

شيء من الشرائع.

وكان يقول بتحريم إنكار المنكر قبل خروج الإمام.

وقال لمحمد الباقر(1): أقرر(١) بأنك تعلم الغيب حتى أجبي لك العراق. فانتهره وطرده، وكذا فعل بجعفر الصادق(2) ولد محمد الباقر، فقال: أعوذ بالله.

وكان يقول: انتظروا محمد بن عبد الله الإمام فإنه يرجع ومعه ميكائيل وجبرائيل يتبعانه بين الركن(٢) والمقام.

---

(١) في ط: أقر.

(٢) في ط: من الركن.

---

(1)هو: محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب الهاشمي أبو جعفر الباقر، أمُّه بنت الحسن بن علي بن أبي طالب. ولد في حدود سنة ٥٦هـ وتوفي ﷺ سنة ١١٤هـ. إمام أهل البيت في عصره، قال عنه الزبير بن بكار: « كان يقال لمحمد: باقر العلم» وقال عنه محمد بن المنكدر: «ما رأيت أحداً يفضل على عليّ بن الحسين حتى رأيت ابنه محمداً، أردت يوماً أن أعظه فوعظني» قال ابن سعد: «كان ثقة كثير الحديث وليس يروي عنه من يحتج به وذكره النسائي في فقهاء أهل المدينة من التابعين، وقال محمد بن فضيل عن سالم بن أبي حفصة: سألت أبا جعفر وابنه جعفر بن محمد عن أبي بكر وعمر فقالا: يا سالم تولهما وابرأ من عدوهما فإنهما كانا إمامي هدى، وعنه قال: «ما أدركت أحداً من أهل بيتي إلا وهو يتولاهما » .

(2) هو: جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب الهاشمي العلوي أبو عبد الله المدني الصادق، وأمُّه: أم فروة بنت القاسم بن محمد بن أبي بكر وأمها: أسماء بنت عبد الرحمن ابن أبي بكر، فلذلك كان يقول ولدني أبو بكر مرتين. توفي رضي الله عنه عام ١٤٨هـ.

قال عمرو بن أبي المقدام: «كنت إذا نظرت إلى جعفر بن محمد علمت أنه من سلالة النبيين» وقال عنه ابن حبان في (الثقات): «كان من سادات أهل البيت فقها وعلما وفضلا..» وقال مالك: «اختلفت إليه زمانا فما كنت أراه إلا على ثلاث خصال: إما مصل وإما صائم وإما يقرأ القرآن وما رأيته يحدِّث إلا على طهارة » .

وكان له خبائث، فلما كان في السنة التاسعة عشر والمائة ظفر به خالد بن عبد الله القسري[1] فأحرق معه خمسة من أتباعه فَهَمد[١] شأن أهل الزيغ[2].

واستمر الأمر على ذلك إلاّ أنهم سلكوا مسلك المكر والحيلة بإظهار الكبِّ على سماع الحديث ويكثروا[٢] من ذكر أحاديث المتشابه ويجمعونها ويسردونها على العوام[٣].

---

(١) في ط: فهذا.

(٢) كذا في المخطوطات الثلاث وفي ط: ويكثرون.

(٣) في ط: على العوام.

---

(1) هو: خالد بن عبد الله بن يزيد بن أسد القسري أبو القاسم. ولاه الوليد بن عبد الملك الأموي أميراً علي الحجاز حتى عزله سليمان بن عبد الملك وفي عام ١٠٦هـ ولاه هشام بن عبد الملك أميرا على العراق واستمر على ذلك حتى عزله سنة ١٢٥هـ، مات مقتولا عام ١٣٦وعمره نحو ستون سنة.

يقول عنه الذهبي: «...صدوق لكنه ناصبي جلد» ومن قبله قال عنه الإمام يحيى بن معين: «..كان واليا لبني أمية وكان رجل سوء وكان يقع في على بن أبي طالب ﷺ» ويقول الإمام ابن حجر في ترجمته في التهذيب: « ...وله أخبار شهيرة وأقوال فظيعة ذكرها ابن جرير وأبو الفرج الأصبهاني والمبرد وغيرهم» .

(2) ويسمى أتباعه بالمغيرية. انظر ترجمته وقصته في :

الملل والنحل للشهرستاني ١٧٦/١ ط. دار صعب.

الفرق بين الفرق لأبي منصور عبد القاهر البغدادي ص ١٤٦ ط. مؤسسة الحلبي.

[محمد بن كرّام السجستاني المجسم]

ثم كثرت المقالات في زمن الإمـام أحمـد وكـثر القصـاص، وتوجـع هـو وابن عيينة وغيرهما[١].

وكان الإمام أحمد يقـول: كنـت أود لـو كـان قَصَّاصاً صادقاً نصوحاً طيب السريرة.

ونبغ في زمنه محمد بن كرام السجستاني[1] وتراقد للإمام[٢] أحمد وأظهر

---

(١) في ط: وغيرهما منهم.

(٢) في ط: وترافق مع الإمام.

---

(1) هو شيخ طائفة الكرامية المجسمة أضلَّ خلقا كثيرا، توفى سنة ٢٥٥هـ من أهم فضائحه:

١- دعا أتباعه إلى تجسيم معبوده، وزعم أنه جسم له حد ونهاية من تحته والجهـة الـتي منـها يلاقي عرشه، ووصفه بالثقل فقال في تفسير الآيـة الكريمـة ﴿ إذا السـماء انفطـرت ﴾ آيـة: ١ مـن سورة الانفطار : (انفطرت من ثقل الرحمن عليها) وقال هو وأتباعه إنه جسم لا كالأجسام، تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا.

٢- زعم هو وأتباعه أن ذات معبودهم محل للحوادث والتغـيرات الـتي تحـدث في ذات الإلـه أولا قبل أن تحدث في الخلق

٣- ذكر ابن كرام في كتابه (عذاب القبر) بابا له ترجمة عجيبة فقال: « باب في كيفوفية الله عز وجل » يقول الإمام عبد القاهر البغدادي: « ولا يدري العاقل ممـاذا يتعجـب: أعـن جسـارته على إطلاق لفظ الكيفية في صفات الله تعالى، أم من قبح عبارته عن الكيفية بالكيفوفيـة؟ولـه مـن جنس هذه العبارة أشكال » أهـ.

٤- زعموا أن الإيمان هو الإقرار بالشهادتين باللسان فقط دون التصديق بالقلب فالمقر بلسانه عندهم مؤمن حقا حتى ولو اعتقد في قلبه الكفر بالرسالة وزعموا أن المنافقين الذين أنزل الله تعالى في تكفيرهم آيات كثيرة كانوا مؤمنين مثل الأنبياء والملائكة. =

حسن الطريقة حتى وثّقه هو ابن عيينة، وسمع الحديث الكثير ووقف على التفاسير (٧٨/ب).

وأظهر التقشف مع العفة ولين الجانب وكان ملبوسه جلد ضأن غير مخيط، وعلى رأسه قلنسوة بيضاء، ثم أخذ حانوتاً يبيع فيه لبناً واتخذ قطعة فرو يجلس عليها ويعظ ويذكر ويحدث ويتخشع، حتى أخذ بقلوب العوام، والضعفاء من الطلبة بوعظه وبزهده[1] ، حتى حصر من تبعه من الناس فإذا هم سبعون ألفاً.

---

(١) في ج: بوعظه وزهده. وفي ط: لوعظه ويزهده.

=٥- يزعمون أن جميع فرق الأمة – من خرج منهم على الإسلام ومن لم يخرج- من أهل الجنة، وأن أهل الأهواء بعد العقاب يصيرون إلى الجنة ولا يدوم عقابهم.

٦- طعنوا في عصمة الأنبياء عليهم السلام:

أ- فقال بعضهم: كل ذنب أسقط العدالة أو أوجب حداً فهم معصومون منه وغير معصومين فيما عدا ذلك.

ب- وقال البعض: لا يجوز عليهم الخطأ في تبليغ الرسالة فقط ويجوز ما عدا ذلك.

ج- وقال آخرون منهم: بل يجوز ذلك أيضاً وزعموا أن رسول الله ﷺ أخطأ في تبليغ بعض آيات من سورة النجم وهى المعروفة بقصة الغرانيق. [والتي زعم صحتها ابن تيمية].

هذه نماذج قليلة ولهم طامات في الفقه أيضاً وغيره ولهذا أجمعت بقية فرق المسلمين وأولهم أهل السنة على تكفير هذه الطائفة – الكرامية- وابن تيمية قد حاول إحياء ضلالات هذه الفرقة وقال بأغلب اعتقاداتهم الباطلة كما سيتبين في هذا الكتاب مع تطوير هذه الأفكار وإعادة عرضها وتقديمها للمسلمين على أنها أفكار واعتقادات السلف، ووصف الكرامية في كلامه بأنهم من حذاق النظار ووضعهم على قدم المساواة مع الأشاعرة والماتريدية وغيرهم من علماء الأمة ترويجا للباطل عامله الله بعدله. انظر (ابن تيمية ليس سلفياً).

وكان من غلاة المشبهة، وصار يلقي على العوام آيات المتشابه، والأخبار التي ظواهرها يوافق عقول العوام وما ألفوه، ففطن الحذاق من العلماء له فأخذوه[١] ووضعوه في السجن فلبث فيه في سجن[٢] نيسابور ثمان سنين، ثم لم يزل أتباعه يسعون فيه حتى خرج من السجن وارتحل إلى الشام ومات بها في زغر، و لم يعلم به إلاّ خاصته[٣] من أصحابه فحملوه ودفنوه في القدس الشريف، وكان من أتباعه[٤] في القدس أكثر من عشرين ألفاً على التعبد والتقشف، وقد زين لهم الشيطان ما هم عليه، وهم من الهالكين، وهم لا يشعرون[1] ، واستمر على ما هم عليه خلق شأنهم حمل الناس على ما هم عليه وإلى[٥] وقتك هذا.

---

(١) في ط: من العلماء فأخذوه بدون (له).

(٢) في ط: فلبث في سجن.

(٣) في ط: خاصة.

(٤) في ط: وكان أتباعه.

(٥) في ط: إلى.

---

(1) انظر ترجمة محمد بن كرّام وآرائه في:

- الملل والنحل للشهرستاني ١/١٠٨. دار صعب.

- الفرق بين الفرق لأبي منصور عبد القاهر البغدادي ص ١٣٠ط مؤسسة الحلبي.

[فصل: في البدع وخطورتها خاصة في العقيدة]

قال الله تعالى: ﴿أَفَمَن زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرءاهُ حَسَنًا﴾ [1] قال سعيد بن جبير: (٧٩ /أ) هذه الآية نزلت في أصحاب الأهواء والبدع المعنى: أنه ركض في ميادين الباطل وهو يظنها حقاً.

وكان ابن عباس رضي الله عنهما يقول عند هذه الآية: إن الضلالة لها حلاوة في قلوب أهلها.

والبدعة هي استحسان ما يسوق إليه الهوى والشبهة مع الظن بكونه[١] حقاً.

وهؤلاء نزع[٢] من قلوبهم نور المعرفة وسراج التوحيد من أسرارهم ووكلوا إلى ما اختاروا فضلوا وأضلوا: ﴿وَيَحْسَبُونَ[٣] أَنَّهُمْ عَلَى شَيْءٍ﴾[2] حتى ينكشف لهم الأمر كما قال الله تعالى: ﴿وَبَدَا لَهُمْ منَ الله مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونْ﴾[3] قيل: عملوا أعمالاً فظنوا أنها في كفة الحسنات فإذا هي في كفة السيئات.

---

(١) في ط: بكونها.

(٢) في ط: ينزع.

(٣) في أ،ب،جـ: وهم يحسبون، وهو خطأ من النساخ أو سهو من المؤلف ﷺ.

---

(1) الآية ٨، من سورة فاطر.

(2) الآية ١٨ ،من سورة المجادلة.

(3) الآية ٤٧، من سورة الزمر.

وهذه الآية قيل: إنها في أهل البدع، يتصور[١] ويعتقد - مع تمام الـورع والزهد وتمام الأعمال الصالحة وفعل الطاعات والقربات - ما عاقبته خطره.

ومن ذلك أن يعتقد في ذات الله تعالى أو في[٢] صفاتـه أو أفعالـه مـا هـو خلاف الحق ويعتقـده علـى خـلاف مـا هـو بـه: **إما برأيه ومعقوله** الـذي يجادل[٣] به الخصوم، وعليه يعول، وبه يغتر، قد زينه[٤] لـه العـدو وحـلاه لـه حتى اعتقده ديناً ونعمة، **وإما أخذاً بالتقليد** ممـن هـذه حالـه، وهـذا التقليـد كثير في العوام لا سيما (٧٩/ب) ممن يعضد[٥] بدعته واعتقاده بظاهر آيـة أو خبر وهو على وفق الطبع والعادة.

وقد أهلك اللعين بمثل هذا خلقاً لا يحصون، حتى إنهم يعتقدون أن الحق في مثل[٦] ما هو عليه وأن غيرهم على ضلالة.

ومثل هؤلاء، ومن تبعوه[٧] إذا بدا لهم ناصية ملك المـوت انكشـف لهـم بطلان ما اعتقدوه حقاً باطلاً وجهلاً، وختم له بالسوء، وخرجت أرواحـهـم على ذلك وتعذر عليهم التدارك، وكـذا كـل اعتقـاد بـاطل، ولا يفيـد زوالَ

---

(١) في ج: يتصور أحدهم.

(٢) في ط: وفي.

(٣) في ط: يحاكي.

(٤) في ط: زين.

(٥) في ب-ج: يعتقد وهو خطأ من النساخ. وفي ط: من يعضد.

(٦) في ط: مثال.

(٧) في ط: اتبعوهم.

ذلك كثرة التعبد وشدة الزهد وكثرة الصوم والحج وغير ذلك من أنواع الطاعات والقربات، لأنها تبع لأمرٍ باطل، ولا ينجو أحد إلا باعتقاد حق[١]، وقد قال تعالى: ﴿فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلاَّ الضَّلاَلِ﴾[1] وهذه الآية صريحة في أنه ليس بين الحق والباطل واسطة.

[والضلال][٢]: هو الذهاب عن الحق مأخوذ من ضلال الطريق، وهو العدول عن سمته[2].

---

(١) في ط: إلا بالاعتقاد الحق.
(٢) في جميع النسخ: والباطل، وهو خطأ، والصواب ما أثبتناه كما هو واضح من السياق.

---

(1) الآية ٣٢، من سورة الأعراف.
(2) وأهل الضلال دركات بعضها أسفل من بعض بحسب بعدها عن الله سبحانه، وقد ذكرهم حجة الإسلام الغزالي في المحجوبين عن الله فجعلهم أقساما نذكر منها ما يبين لنا موقع المبتدعة الذين ذكرهم المصنف رحمه الله وكذلك خوارج العصر.
قال حجة الإسلام في كتابه (مشكاة الأنوار):
« القسم الأول: هم **المحجوبون بمحض الظلمة وهم الملاحدة** الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر، وهم الذين يستحبون الحياة الدنيا على الآخرة لأنهم لا يؤمنون بالآخرة أصلاً وهم أصناف.
الصنف الأول: تشوق إلى طلب سبب لهذا العالم فأحاله الطبع والطبع صفة مركوزة في الأجسام حالة فيها، وهي مظلمة إذ ليس لها معرفة وإدراك ولا خبر لها من نفسها ولا تصور لها وليس لها نور يدرك بالبصر الظاهر أيضاً » .
قلت: ذكر شيخ الإسلام مصطفى صبري أن منشأ ضلال هؤلاء هو الالتباس الحادث عندهم بين مسألتي وجود الله سبحانه ومعاينة ذاته المقدسة فقال في (موقف العقل والعلم والعالم من رب العالمين وعباده المرسلين):
« فمنشأ الغلط هو الالتباس في تعيين الموضوع.. فالذين لا يحسنون تعيين الموضوع وتحديد المنشود يبحثون عن الله كما بحث فرعون موسى القائل: « يا هامان ابن لي صرحا لعلى أبلغ الأسباب أسباب السماوات فأطلع إلى إله موسى » في حين أن من بحث عن الله لاستيقان وجوده لم يكن بحاجة إلى بلوغ أسباب السماوات، وفي الأرض آيات للموقنين وفي أنفسكم أفلا تبصرون.. لكن فرعون ضلّ الموضوع فبحث عن شخص الله ومكانه، كما نرى كثيرين من علماء الغرب= -

= يلتبس عليهم موضوع وجود الله بموضوع معاينة ذاته فيتأثر في نظرهم وضوح الأول - يشير إلى وجود الله – وثبوته بسواطع التجارب المشهودة في نظام الكائنات، من غموض الثاني – يشير إلى معاينة الذات الإلهية– » أ.هـ. ٢/٤٤٥.

فطلب معاينة الله سبحانه وإدراكه بالحواس الجسدية المعروفة هو السبب المباشر كما نرى لإلحاد من ألحد في جميع العصور، كما أنه هو السبب أيضاً في ضلال بقية الدركات التالية كما رتبها الإمام الغزالي ترتيبا تصاعديا من أخسها– الملاحدة– حتى المشبهة كل حسب درجة تعلقه بالمادة المحسوسة، أسير طبعه وحواس جسده.

ثم ذكر حجة الإسلام الصنف الثاني من الملاحدة فقال:

« الصنف الثاني: هم الذين شغلوا بأنفسهم و لم يتفرغوا لطلب السبب بل عاشوا عيشة البهائم فكان حجابهم أنفسهم المركوزة وشهواتهم المظلمة فلا ظلمة أشد من الهوى والنفس. ولذلك قال تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ﴾ [الآية ٢٣ من سورة الجاثية]. وقال النبي ﷺ : « الهوى أبغض إله عبد إلى الله » ، وهؤلاء ينقسمون فرقاً: ففرقة زعمت أن غاية المطلب من الدنيا هي قضاء الأوطار ونيل الشهوات وإدراك اللذات البهيمية من منكح ومطعم ومشرب وملبس، فهؤلاء عبيد اللذة يعبدونها ويطلبونها ويعتقدون أن نيلها غاية السعادة رضوا لأنفسهم بأن يكونوا بمنزلة البهائم بل كيلا ينظر الناس إليهم بعين الحقارة ، وهؤلاء الأصناف لا يحصون وكلهم محجوبون عن الله بمحض الظلمة وهي نفوسهم المظلمة، ولا معنى لذكر آحاد الفرق بعد وقوع التنبيه على الأجناس، ويدخل في جملة هؤلاء جماعة يقولون بلسانهم لا إله إلا الله ولكن ربما حمله على ذلك خوف، أو استظهار بالمسلمين أو تجمل بهم، أو استمداد من مالهم، أو لأجل التعصب لنصرة مذهب الآباء، وهؤلاء إذ لم تحملهم هذه الكلمة على العمل الصالح فلا تخرجهم من الظلمات إلى النور بل أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور إلى الظلمات فأما من أثرت فيه الكلمة بحيث ساءته سيئاته وسرته حسناته فهو خارج عن محض الظلمة وإن كان كثير المعصية.

ثم قال حجة الإسلام:

القسم الثاني: طائفة حجبوا بنور مقرون بظلمة وهم ثلاثة أصناف: صنف منشأ ظلمتهم من **الحس**، وصنف منشأ ظلمتهم من **الخيال**، وصنف منشأ ظلمتهم من **مقايسات عقلية فاسدة**.

الصنف الأول: المحجوبون **بالظلمة الحسية** وهم طوائف لا يخلو واحد منهم عن مجاوزة الالتفات إلى نفسه وعن التأله والتشوق إلى معرفة ربه، وأول درجاتهم عبدة الأوثان وآخرهم الثنوية وبينهما درجات.

=

= الطائفة الأولى: عبدة الأوثان علموا في الجملة أن لهم رباً يلزمهم إيثاره على نفوسهم المظلمة واعتقدوا أن ربهم أعز من كل شيء وأنفس من كل نفيس، ولكن حجبتهم ظلمة الحس عن أن يتجاوزوا المحسوس فاتخذوا من أنفس الجوهر كالذهب والفضة والياقوت أشخاصاً مصورة بأحسن الصور واتخذوها آلهة، فهؤلاء محجوبون بنور العزة والجمال من صفات الله وأنواره، ولكنهم ألصقوها بالأجسام المحسوس وصدهم عن ذلك النور ظلمة الحس، فإن الحس ظلمة بالإضافة إلى العالم الروحاني كما سبق » .

ثم ذكر ﷺ من طوائف هذا القسم من عبدوا الجمَال ثم النار ثم النجوم ... إلخ ستة طوائف وكلهم منشأ ظلمتهم من الحس.

ثم قال: « الصنف الثاني: المحجوبون ببعض الأنوار مقروناً **بظلمة الخيال وهم الذين جاوزوا الحس وأثبتوا وراء المحسوسات أمراً، لكنهم لم يمكنهم مجاوزة الخيال فعبدوا موجوداً قاعداً على العرش وأخسهم رتبة المجسمة، ثم أصناف الكرامية بأجمعهم**، ولا يمكنني شرح مقالاتهم ومذاهبهم فلا فائدة للتكثير، **ولكن أرفعهم درجة من نفى الجسمية وجميع عوارضها إلا الجهة المخصوصة بجهة فوق لأن الذي لا ينسب إلى الجهة ولا يوصف بأنه خارج العالم ولا داخله لم يكن عندهم موجوداً، إذ لم يكن متخيلاً ولم يدركوا أن أول درجات المعقولات تجاوز النسبة إلى الجهات والحيزة.**

قلت: والخيال – كما يقول الفخر الرازي – هو عبارة عن الصور الباقية عن المحسوس بعد غيبته.

لذا صرح أهل الحق بأن هذا الصنف هو من بقايا عباد الأصنام ثم قال: « الصنف الثالث: المحجوبون بالأنوار الإلهية مقرونة بمقايسات عقلية فاسدة مظلمة فعبدوا إلهاً سمعياً بصيراً عالماً قادراً مريداً حياً منزهاً عن الجهات، لكنهم فهموا هذه الصفات على حسب مناسبة صفاتهم، وربما صرح بعضهم فقال كلامه حروف وأصوات ككلامنا، وربما ترقى بعضهم فقال: لا بل هو كحديث نفسنا ولا حرف ولا صوت، وكذلك إذا طولبوا بحقيقة السمع والبصر والحياة رجعوا إلى التشبيه من حيث المعنى وإن أنكروها باللفظ إذ لم يدركوا أصلاً معاني هذه الإطلاقات في حق الله تعالى، ولذلك قالوا في إرادته إنها حادثة مثل إرادتنا وإنه طلب وقصد مثل قصدنا ...» =

والحق: هو الصراط المستقيم الذي في قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوه وَلاَ تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِه ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[1].

= من (مشكاة الأنوار) ضمن مجموعة رسائل الإمام الغزالي ج٤ ص ٢٨ إلى ٣١ط العلمية أ.هـ المقصود منه والصنف الثالث وقعوا في التشبيه وقالوا بقيام الحوادث بذات الله تعالى عما يقولون – جميعا – علوا كبيراً.

وهنا ملحوظتان هامتان:

الأولى: أن أول درجات الهداية هي الخروج من أسر الحس والمادة بأن يأخذ من محسوساته ما يستدل به على ما غاب عن حسه وإدراكه.

قال تعالى: ﴿ ألم. ذلك الكتاب لا ريب فيه. هدى للمتقين. الذين يؤمنون بالغيب.. ﴾ الآيات ١-٣ من سورة البقرة.

فالإيمان بالغيب يقتضي الإيمان بالمغيبات وفي حال كونها غيبا عن الإدراك والشعور.

الثانية: أن الإنسان في دار الدنيا متعلق بالمحسوسات ومرتبط بها نتيجة ما ركب فيه من شهوات قسراً يحركها الشيطان فما لم يشتغل بتعظيم ربه وتنزيهه فسينحدر في الدركات حتما واحدة تلو أخرى. يقول العلامة علي بن أحمد المهايمي في تفسيره لسورة التين:

« ﴿لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم ﴾ أي جامع لمقومات الأشياء روحا وجسما على أحسن الوجوه ﴿ثم رددناه﴾ أي جميع أفراده من أعلى المراتب التي كانت له لو غلّب عقله على سائر قواه ﴿أسفل سافلين﴾ رتبة أنزل من رتبة البهائم ﴿إلا الذين آمنوا﴾ فغلبوا عقولهم على شهواتهم وغضبهم فجاهدوا بذلك سائر القوى ﴿فلهم أجر غير ممنون﴾ أي غير مقطوع بقطع المجاهدة عند استقامة قواهم فلا يزالون يرتفعون أعلى مما كانوا في الرتبة العالية.

فعلم من هذا أن الدين إنما هو تغليب العقل على سائر القوى بعد استنارته بنور الشرع. فهذه مقدمة قطعية في تصديق الدين ﴿ فما ﴾ أي فأي شيء ﴿ يكذبك بعد ﴾ أي بعد هذه المقدمة ﴿بالدين﴾ فإن ادعوا مكذبا لم يعتد به إذ لم يعتبره الله في مقابلة العقل المنور بنور الشرع وهو الحاكم المطلق ﴿أليس الله بأحكم الحاكمين ﴾ » أ.هـ. من (تبصير الرحمن وتيسير المنان) ٢/٤٠٧.

(1) الآية ١٥٣، من سورة الأنعام.

وصف الله تعالى صراطه وهو دينه بالاستقامة وأمرنا[١] باتباعه (٨٠/أ) والمستقيم: هو الذي لا اعوجاج فيه. فمن اتبعه أوصله إلى مقعد صدق عند مليك مقتدر.

قال سهل: الصراط المستقيم هو الذي لا يكون للنفس فيه حظ ولا مراد.

وقال غيره: الصراط المستقيم هو الاقتداء والاتباع وترك والهوى والابتداع[٢].

ثم إنه تعالى نهى عن اتباع السُّبُل لما فيها من الحيدة عن طريق الاستقامة فقال: ﴿ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله﴾ أي تميل بكم عن طريقه التي ارتضى وبه أوصى إلى سبل الضلالات من الأهواء فتهلكوا.

قيل لعبد الله بن مسعود رضي الله عنه: ما الصراط المستقيم؟ فقال: تركنا[٣] محمد ﷺ في أدناه وطرفه في الجنة وعن يمينه جواد وعن يساره جواد وثَم رجال يدعون من مَرَّ بهم، فمن أخذ في تلك الجواد انتهت[٤] به إلى النار، ومن أخذ على الصراط انتهى به إلى الجنة ثم تلا ﴿وأن هذا صراطي مستقيماً.. الآية﴾[1].

وأشار[٥] رضي الله عنه بالرجال الذين على الجواد إلى علماء السوء وأهل البدع، وأشار بقوله يدعون مَنْ مَرَّ بهم إلى الوعاظ الذين هم سبب هلاك من قعد إليهم.

---

(١) في ط: وأمر.

(٢) في ط: قال سهل: الصراط المستقيم هو الاقتدا والاتباع. وسقطت العبارة التي قبلها وهي، الصراط المستقيم هو الذي لا يكون للنفس.

(٣) في ط: ما تركنا.

(٤) في ج: أخذت.

(٥) في ط: فأشار.

---

(1) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره بإسناد صحيح موقوفا على ابن مسعود رضي الله عنه ورواه أيضاً ابن مردويه بإسناد ضعيف وروى من وجه آخر مرفوعاً بمعناه عن ابن مسعود عند الإمام أحمد والنسائي في كتاب التفسير من (السنن الكبرى) والبزار وابن حبان في صحيحه والحاكم في مستدركه وقال (صحيح الإسناد ولم يخرجاه) وغيرهم بعض هذه الطرق صحيح أو حسن.

[صفات علماء السوء]

ولهذا بالغ السلف ﷺ في التحذير من مجالسة كل أحد، وقالوا: (٨٠/ب) إذا جلس شخص للوعظ فتفقدوا منه أموراً إن كانت[١] فيه فاهربوا منه وإلا هلكتم من حيث ظننتم النجاة.

[١-] **منها: إن كان مبتدعا فاحذروه واجتنبوه** فإنه على لسان الشيطان ينطق، ومن نطق على لسان الشيطان فلا شك ولا ريب في إغوائه فيهلك الإنسان من حيث يظن السلامة.

وأيضاً ففي المشي إليه ومجالسته تعظيم له وتوقير، روى ابن عدي من حديث عائشة رضي الله عنها: «من وقر صاحب بدعة فقد أعان على هدم الإسلام» ورواه الطبراني في معجمه الأوسط، ورواه الحافظ أبو نعيم من حديث عبد الله بن بُسْر[1] ولهذا[٢] وغيره يجب التبري من أهل البدع[٣]، قال بعض السلف: من بشَّ في وجه مبتدع أو صافحه فقد حل عرى الإسلام عروة عروة.

---

(١) في ط: فإن كانت.

(٢) في ط: وبهذا.

(٣) في ب: أهل البدع والتباعد منهم وفي ج-ط: والتباعد بدون «منهم».

---

(1) يقول العلامة المحدث السيد مرتضى الزبيدي عن هذا الحديث: « وإيراد ابن الجوزي إياه في الموضوعات غير سديد، غايته أن طرقه ضعيفة... » ثم شرح الحديث فقال: « ومعنى الحديث: أن المبتدع أو الفاسق مخالف للسنة مائل عن الاستقامة، فمن وقره حاول اعوجاج الاستقامة لأن معاونة نقيض الشيء معاونة لدفع ذلك الشيء، وهذا من باب التغليظ والزجر الشديد » أهـ إتحاف السادة المتقين ٦/ ٤٣٦ ط. العلمية.

وقال شخص من أهل الأهواء لأيوب السختياني[1] ﷺ: أكلمك كلمة؟ فقال: لا والله ولا نصف كلمة، وكان يقول: ما ازداد صاحب بدعة اجتهاداً إلا ازداد من الله تعالى بعدا.

قال مالك ﷺ(١): كنا ندخل على أيوب السختياني فإذا ذكرنا له حديثاً عن رسول الله ﷺ يبكي حتى نرحمه، وكان يقول: إذا بلغني موت (٨١/أ) أحد من أهل السنة فكأنما يسقط عضو من أعضائي وكان يقول: والله ما صدق عبد إلا سَرّه أن لا يراه أحد.

وكان يونس بن عبيد[2] يقول: احفظوا عني ثلاثاً مت أو عشت: لا يدخلن أحد على سلطان يعظه أو يعلمه، ولا يخلونّ بامرأة شابة وإن أقرأها القرآن، ولا يُمَكِّن سمعه من ذي هوى، وأشدها الثالثة لما فيها من الزيغ أعاذنا الله من ذلك. وكان يقول: ما يزال العبد بِخَيْر ما أبصر ما يفسد

---

(١) في ط: قال رضي الله عنه.

---

(1) هو: أيوب بن أبي تميمة كيسان السختياني أبو بكر البصري إمام حافظ فقيه قال عنه الحسن البصري: « هذا سيد الفتيان» وقال ابن سعد: «كان ثقة ثبتا في الحديث جامعاً كثير العلم حجة عدلاً» وقال عنه الإمام مالك: «كان من العالمين العاملين الخاشعين»، «كتبت عنه لما رأيت من إجلاله للنبي ﷺ » ، «كان من عبَّاد الناس وخيارهم» ولد في حدود سنة ٦٦هـ وتوفى عام ١٣١هـ..

(2) هو: يونس بن عبيد بن دينار العبدي مولاهم أبو عبيد البصري، أحد الأعلام ثقة حافظ من كبار أصحاب الحسن البصري، رأى أنس بن مالك صاحب رسول الله ﷺ قال عنه ابن حبان: « كان من سادات أهل زمانه علما وفضلا وحفظاً وإتقانا وسنة وبغضا لأهل البدع مع التقشف الشديد والفقه في الدين والحفظ الكثير » توفى عام ١٤٠هـ.

عمله، ويونس هذا تابعي وكان من(١) أصحاب الحسن البصري[1].

وكان أبو عبد الله الأصبهاني من عباد الله الصالحين، ومن البكائين و لم يكن بأصبهان أزهد منه ولا أورع منه قال: وقفت على عليّ بن ماشاذة[2]

---

(١) في ط: تابعي من.

---

(1) هو: الحسن بن أبي الحسن يسار البصري أبو سعيد مولى الأنصار، أمُّه (خيرة) مولاة أم المؤمنين أم سلمة رضي الله عنها. ولد لسنتين بقيتا من خلافة عمر ﷺ ونشأ بوادي القرى وكان فصيحاً من أفصح أهل البصرة، وكان من الشجعان أدرك بعض صفين ورأى مائة وعشرين صحابياً منهم: عثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب وطلحة وعائشة أم المؤمنين رضي الله عنهم.

إمام حافظ فقيه زاهد، قال عنه الصحابي الجليل أنس بن مالك ﷺ : « سلوا الحسن فإنه حفظ ونسينا » ووصفه أصحابه: قتادة وأيوب وبكر المزني ويونس بن عبيد وحميد الطويل بأنه أعلم وأفقه أهل زمانه، قال أبو بردة: « أدركت الصحابة فما رأيت أحداً أشبه بهم من الحسن » وقال مطر الوراق: « كان جابر بن زيد رجل أهل البصرة فلما ظهر الحسن جاء رجل كأنما كان في الآخرة فهو يخبر عما رأى وعاين » وكان إذا ذكر عند الإمام أبي جعفر محمد الباقر قال: «ذاك الذي يشبه كلامه كلام الأنبياء » وكفى بها شهادة من إمام آل البيت في عصره، بل قال تلميذه يونس بن عبيد: «إن كان الرجل ليرى الحسن لا يسمع كلامه ولا يرى عمله فينتفع به». توفي عام ١١٠هـ وعمره نحو ٨٨ سنة.

(2) هو: علي بن محمد بن أحمد بن ميلة أبو الحسن يعرف محمد بـ (ما شاذة) أشعري العقيدة من شيوخ الفقهاء وهو أيضاً من الصوفية يقول عنه الحافظ أبو نعيم: « جمع بين علم الظاهر والباطن لا تأخذه في الله لومة لائم، كان ينكر على مشبهة الصوفية وغيرهم من الجهال فساد مقالتهم في الحلول والإباحة والتشبيه وغير ذلك من جميع أخلاقهم وقبح أفعالهم وأقوالهم فعدلوا عنه لما دعاهم إلى الحق جهلا وعناداً » ويبدو أن إنكاره على مخالفيه قد جرَّ إلى الشطط في بعض المواقف فكان ما ذكره المؤلف غفر الله لناولهم جميعاً والله تعالى أعلم.

وهو يتكلم على الناس قال: فلما[١] جاء الليل رأيت رب العزة في النوم، فقال لي: وقفت على مبتدع وسمعت كلامه، لأحرمنك النظر في الدنيا، فاستيقظ وعيناه مفتوحتان لا ينضر[٢] بهما شيئاً.

وقال الحميدي: سمعت الفضيل[1] يقول: من وقر صاحب بدعة أورثه الله العمى[٣] قبل موته قيل: أراد أيضاً عمى البصيرة[2].

واعلم أن الكلام على البدعة وأهلها فيه طول جداً، وقد ذكرت جملة منه في كتاب[٤] «تنبيه السالك على مظان المهالك»:

---

(١) في ط: الناس فلما بدون (قال).

(٢) في ب-ج-ط: يبصر.

(٣) في ط: عمى.

(٤) في ط: في تنبيه بدون كلمة «كتاب».

---

(1) هو: الفضيل بن عياض بن مسعود بن بشر التميمي اليربوعي أبو علي الزاهد الخراساني محدث ثقة ومن أئمة التصوف توفي عام ١٨٧هـ قال ابن سعد: ولد بخراسان بكورة أبيورد وقدم الكوفة وهو كبير فسمع الحديث من منصور وغيره ثم تعبد وانتقل إلى مكة فنزلها إلى أن مات بها في أول سنة سبع وثمانين ومائة، وكان ثقة نبيلا فاضلا عابداً ورعاً كثير الحديث، ذكره ابن حبان في الثقات وقال: أقام بالبيت الحرام مجاوراً مع الجهد الشديد والورع الدائم والخوف الوافر والبكاء الكثير والتخلي بالوحدة ورفض الناس وما عليه أسباب الدنيا إلى أن مات بها.

(2) قال صاحب (نجم المهتدي): « روى عن الفضيل بن عياض قال: ... نظر المؤمن إلى المؤمن جلاء القلب، ونظر الرجل إلى صاحب البدعة يورث العمي. قال: آكل عند اليهودي والنصراني أحب إلى من أكل عند صاحب بدعة، فإني إذا أكلت عندهما لا يقتدي بي وإذا أكلت عند صاحب بدعة اقتدى الناس بي ... » أ.هـ ونقل عنه أيضاً قوله (عمل قليل في سُنّة خير من عمل كثير من صاحب بدعة) مما يوضح أن ما يفعله خوارج العصر من اتباع ابن تيمية من تمسك بالمظاهر في الملبس والسلوك لا يغنيهم عند الله شيئاً، ولا ينبغي أن يكون محل تقدير منا إطلاقاً، بالنظر إلى فساد عقيدتهم وانحرافهم عن جماعة المسلمين.

[٢-] ومنها: (٨١/ب) **أن يكون الواعظ سيء الطعمة**. فإنه إنما ينطق بالهوى، لأن مثل هذا يوقع الناس في الحرام وربما[١] اعتقدوا حله لأنهم يعتقدون[٢] به في فعله بواسطة قوله.

[٣-]ومنها: أن يكون ردئ العقل أحمق، فإنه يفسد بحمقه أكثر مما يصلح.

والأحمق: هو الذي يضع الشيء في غير موضعه ويعتقد أنه يصيب.

قال عيسى عليه السلام: أبرأت الأكمه والأبرص، وأعياني الأحمق.

فالأحمق مقصوده صحيح، ولكن سلوكه للطريق فاسد فلا يكون له رؤية صحيحة في طريق الوصول إلى الغرض ويختار مالا ينبغي أن يُختار وهذا واجب الاجتناب بخلاف صاحب العقل الصحيح فإنه يثمر حسن النظر وجودة التدبير وثقافة الرأي، وإصابة الظن والتفطن لدقائق الأدلة والأعمال وخفايا النفس الأمارة وغرور الشيطان.

[٤-] ومنها: **أن يذكر الأدلة التي هي رجاء وتوسعة على النفوس، ويسكت عن آيات الخوف والرهبة**، وكذا الأخبار والآثار، لأنه بذلك يحل من القلوب الزواجر ويسهل ارتكاب المعاصي لا سيما إذا عُلم منه ارتكاب شيء ولو كان مكروها فإنه يوقع الناس في ورطة عظيمة.

قال الحسن: إذا[٣] عبث العلماء بالمكروه عبث (٨٢/أ) العوام بالحرام،

---

(١) في ط: أو ربما.

(٢) في ط: يقتدون.

(٣) في ط: قال: إذا بدون «الحسن».

وإذا عبث العلماء بالحرام كفر العوام، منها: أنهم يعتقدون حله لارتكاب العلماء ذلك لأنهم القادة وعليهم المعوّل في التحليل والتحريم(1).

[٥-] **ومنها: أن يتعرض لآيات المتشابه وكذا(١) الأخبار ويجمعها** ويسردها أو يكرر الآية أو الخبر(٢) مراراً لأنه يوقع العامي فيما اعتاده وألفه، فيجري صفات الخالق سبحانه وتعالى على ما ألفه وجرى عليه طبعه ويزينه الشيطان له بغروره، لا سيما إن كان الواعظ ممن يظهر زهداً وورعاً وشفقة على الناس، فكم من شخص حسن الظاهر خبيث الباطن جميل الظاهر قبيح السرائر والضمائر، والسلف ﷺ لهم اعتناء بشدة مجانبة هذا والتباعد عنه.

[٦-]**ومنها: أن يكون متهماً(٣) بالرفض وسب(٤) الصحابة** ﷺ، وهؤلاء نبه مالك ﷺ على أنهم من سلالة المنافقين وأوضح ذلك نور الله تعالى

---

(١) في ط: وكذلك.

(٢) في ط: ويكرر والآية والخبر.

(٣) في أ-ب-ج: أن لا يكون متهماً وهو خطأ، لأن المؤلف رضي الله عنه بصدد ذكر الأخطاء التي يقع فيها الوعاظ..

(٤) في ط: وبسبب.

---

(1)قلت: ومنها كذلك أن يفعل العكس بأن يذكر فقط آيات الخوف والرهبة حتى يورث النفوس البأس والقنوط ويملأ القلوب بالقسوة والغلظة وهذا يحدث كثيراً من خوارج عصرنا. قال حجة الإسلام الغزالي: (من عبد الله بالخوف فهو حروري) أ.هـ لأنه لن يرتقي إلى درجة محبة الله سبحانه والتي تحدث من تأمل نعمه وأفضاله قال ﷺ : « أحبو الله لما يغذوكم به... » الحديث.

قلبه فقال: أرادوا أن يقدحوا النبي[١] ﷺ بشيء فلم يجدوا مَساغاً فقدحوا أخِصَّاءه[٢]، لأن القدح في الرجل قدح في صاحبه وخليطه، وهؤلاء كفار لاستحلالهم سب أفضل الخلق بعد الأنبياء عليهم أفضل الصلاة والسلام.

منهم[٣] أقوام يلبسون على الناس بقراءة البخاري وغيره وهم لا (٨٢/ب) يعتقدون البخاري ويسمونه فيما بينهم الفشاري ولهم خبائث عديدة كل واحدة كفر محقق.

---

(١) في ط: يقدحوا في النبي.

(٢) في ط: فقدحوا في الصحابة.

(٣) في ب-ج: ومنهم.

[عدم الجلوس إلى المبتدعة وحراسة القلب والسمع عن كلامهم]

وبقي أمور لا أطول بذكرها، فمن أراد الله تعالى به خيراً حماه الله تعالى من مجالسة[١] هؤلاء، لأن القلب سريع الانقلاب، وقبول الرخص والشبه، فإذا عَلَقَ[٢] به الشبهة والريبة فبعيد أن ترتفع عن قلبه غشاوة ما وقر فيه وأقل ما ينال القلب التردد والحيرة، وذلك عين الفتنة، ومراد الشيطان.

فإن كان الذي دخل[٣] قلبه الشبهة عامياً والمبتدع أدخلها عليه بـ: قال الله عز وجل وقال رسول الله ﷺ فبعيد أن يرجع وينقشع[٤] عن قلبه غشاوة الجهل والحيرة لتحكم الشبهة بالدليل، وهذا من الهالكين إلا أن يتداركه الله تعالى برحمته لأن عمدة الناس الكتاب والسنه، والهلكة الجُهَّل [لا][٥] تفهمها على المعنى المراد[٦] منهما على الوجه المرضي.

فمن حق العبد الطالب للنجاة حراسة قلبه وسمعه عن خزعبلات[٧] المبتدعة وتزويق كلامهم، وأن لا يغتر بتقشفهم وكثرة تعبدهم وزهدهم وهضمهم[٨] لأنفسهم، فإن ذلك من أقوى حبائلهم التي يصطادون بها

---

(١) في ط: أراد الله به خيراً حماه من مجالسة.

(٢) في ط: علقت.

(٣) في ط: دخلت.

(٤) في ط: ويتقشع.

(٥) في أ،ب،جـ: والهلكة الجهل تفهمها على المعنى المراد...، والصواب ما أثبتناه.

(٦) في ط: والهلكة الجهلة يفهمونها على غير المراد.

(٧) في ط: عن خزايا خزعبلات.

(٨) في ط: ووصفهم.

تَشَرّب[1] القلوب لبدعتهم لا سيما من قلبه مشغوف بحب الدنيا (٨٣/أ) إذا رأى زاهداً فيها مع إكبابه على الكتاب والسنة مع الورع والزهد والعفة والقنع[2] فلا شك ولا ريب أنه يرغب فيه غاية الرغبة ويميل إليه غاية الميل ولا يصده عنه صاد كما هو مشاهد من العوام، ومحبتهم ورغبتهم لمن هو بهذه المثابة فتنبه لذلك.

فقد أوضحت طريق السلامة والتباعد عن مظان الهلكة، فكم من شخص قصده صالح قد هلك بمثل هؤلاء إخوان الشياطين وهو لا يشعر.

وعليك بالاقتداء بالأطباء أعني أطباء القلوب وهم الأنبياء عليهم الصلاة والسلام لأنهم العالمون بأسباب الحياة الأخروية، ثم أتباعهم الذين أخذوا عنهم وشاهدوا منهم ما لم يشاهده غيرهم.

من كان يرغب في النجاة فما له ... غير اتباع المصطفى فيما بدا
فاتبع كتاب الله والسنن التي ... صحت فذاك إذا اتبعت هو الهدى
فالدين ما قال النبي وصحبه ... فإذا اقتديت بهم فنعم المقتدى

فسبحان الحليم الودود، المهمل الكريم العميم الجود، العالم بخفايا الضمائر ودبيب النملة على الصخرة في الليالي السود، ويرى جريان الماء في العود، القادر فكل ما سواه بقدرته موجود، نزّه نفسه بنفسه لعجز خلقه عن ذلك.

فتعالى عن الأشكال والأمثال (٨٣/ب) والجهات والحدود، صفاته قديمة

---

(١) في ط: يصطادون بها وبها تتشرب.

(٢) في ط: والقناعة.

ثابتة بالنقل والعقل فمن عطل وقع في الجحود، وتَنْزِيهه عن النقائص والأشباه محقق ومعلوم والتشبيه مذهب السامرة واليهود، وكف الكيف[١] مشلولة بل مقطوعة وباب التشبيه مردوم ومسدود، فمن فتحه هجم[٢] عليه نار[٣] الوعيد فأهلكته كما هلك فرعون ونمرود، وأصحاب الأخدود وعاد وثمود.

فنسأل الله تعالى العافية من الفتن ومن أسبابها ومن نار[٤] ذات الوقود.

ونتوسل إليك بسيد الأولين والآخرين محمد، كما توسل به أبو البشر فقبلته، فهو أحمد المحمود صاحب الحوض المورود والمقام المحمود.

فهو أعظم الوسائل ولا يخيب من توسل به ولو كان من أهل الجحود، قال الله تعالى: ﴿وكانوا﴾ أي اليهود ﴿من قبل﴾ أي قبل بعثة[٥] محمد ﷺ ﴿يستفتحون﴾ أي يستنصرون ﴿على الذين كفروا﴾[1] وهم مشركوا العرب، كانوا يقولون إذا حزبهم[٦] أمر أو دهمهم[٧] عدو: اللهم انصرنا عليهم بجاه[٨] النبي المبعوث آخر الزمان الذي نجد صفته في التوراة فكانوا ينصرون،

---

(١) في ط: وكف الكف.

(٢) في ط: هجمت.

(٣) في ج: باب.

(٤) في ط: النار.

(٥) في ط: أي بعث.

(٦) في ج: حزمهم وهو خطأ من الناسخ.

(٧) في ب: أمر ودهم عدو.

(٨) في ط: اللهم انصرنا عليهم بجاه.

---

(1) الآية ٨٩، من سورة البقرة.

وكانوا يقولون لأعدائهم كغطفان وغيرها من المشركين قد أظل زمان نبي يخرج بتصديق ما قلناه فنقتلكم معه قتل (٨٤/أ) عاد وثمود.

فانظر أرشدك الله إلى قدره ودنوا منزلته عند ربه كيف قبل عز وجل التوسل به مع[1] علمه سبحانه بأنهم يكفرون به ولا يوقرونه ولا يعظمونه بل يؤذونه ولا يتبعون النور الذي أنزل معه.

فمن منع التوسل به فقد نادى على نفسه، وأعلم الناس بأنه أسوأ حالا من اليهود:

أنت الملاذ[2] لنا وأنت المرتجا ... وبك الملاذ وأنت ملجأ من لجا

يا سيد الكونين يا من قد سما ... معراجه فوق السماء وعرجا

يا سيد الثقلين بالحِكم الهدى[3] ... والمقصد الأسنا لأبواب الرجا

يا سيداً مَنْ أمَّ باب مقامه ... ألفاه خير مقام سؤل يرتجا

يا سيداً ما أمَّهُ من ضامه ... ريب الزمان بِخَطْبِه إلا نجا

يا سيداً جعل الإله وجوده ... للعالمين المرتجى والملتجى

يا خاتم الرسل الكرام ومن به ... رب البرية كل هَمٍّ فَرَّجَا

[غيره][4]:

---

(١) في ط: التوسل به من اليهود مع.

(٢) في ط: اللياذ.

(٣) في ب: يا علم الهدى. وفي ط: والحكم الهدى.

(٤) من ط.

وكن مستجيراً بالذي نال رفعة إلى عزها ذل الملوك الأكاسر
نبي له جاه عريض ومنصب عظيم له تُعْزى العلا والمفاخر
جليل جميل راحم متعطف فصيح مليح كامل الحسن باهر
ألا يا رسول الله يا غاية المنى لقد نلت فخراً ما لأولاه[1] آخر
أيا درة الأنباء يا جوهر الورى هنيئاً لنفس في هواك تتاجر(٨٤/ب)
لقد ربحت في بيعها وتنعمت وقد سعدت يا درها والجواهر
حبيبي رسول الله كن لي شافعاً أغثني أجرني يوم تبلى السرائر
بجاهك آمالُ الضعيف تعلقت إذا نصب الميزان والعقل طائر
فكن شافعي عند الإله فإنه حليم كريم غافر الذنب ساتر
مضى العمر في زهو ولهو[2] وغفلة وإني من الفعل الجميل لقاصر
فيا رب داركنا بعفو ورحمة فأنت جميل العفو للكسر جابر
وخذ بنواصينا وطهر قلوبنا ومُنَّ بعَفْوٍ منك فالعفو غامر
وصل على البدر الذي من جبينه بدا الشمس والأقمار والنجم زاهر

نجزت هذه الأحرف المباركات على قارئها ومستمعيها المتأسين بأهل الحق تبعاً للصفوة[3] من أولي المعجزات المنزِّهين لرب العالمين، والمعظمين لسيد الأولين والآخرين وسائر الأنبياء والمرسلين وسُرُج هذه الأمة من بعدهم كالصديقين وسائر الصحابة والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

---

(١) في ط: لأدناه.

(٢) في ط: لهو وزهو.

(٣) في ط: التابعين للصفوة.

[فصل: تفصيل ضلالات ابن تيمية]

وكنت قد عزمت على أن أقتصر على ذلك لأن في بعض ما ذكرته وقاية من المقت والمهالك، ثم قيل لي وكُرِّر عليّ أن أهل التشبيه والتجسيم والمزدرين بسيد الأولين والآخرين تبعاً لسلالة القردة والخنازير لهم وجود، وفيهم كثرة (٨٥/أ) وقد أخذوا بعقول كثير من الناس لما يزينوا[١] لهم من الإطناب[٢] على قدوتهم ويزخرفون لهم بالأقوال والأفعال ويموّهون لهم بإظهار التنسك والإقبال على كثرة الصلاة والصوم والحج والتلاوة وغير ذلك مما يحسن في قلوب كثير من الرجال لا سيما العوام المائلين مع كل ريح، تباع[٣] الدجال، فانقادوا لهم بسبب ذلك، أوقعوهم[٤] في أسر المهالك.

فرأيت بسبب هذه المكائد والخزعبلات أن أتعرض لسوء عقيدتهم تبعاً[٥] لهذا الزائغ عن طريق أهل الحق، وهم الأئمة الأربعة المقتدى بهم[٦] والمعول عليهم في جميع الأعصار والأقطار لأنهم النجوم الذي بهم يقتدى[٧] والسّرج الذي بنورهم في ظلمات الضلالات والجهالات يُهْتَدى[٨].

---

(١) في ط: يزينون.

(٢) في ط: الإطراء.

(٣) في ط: أتباع.

(٤) في ط: وأوقعوهم.

(٥) في ب،ط: قمعا.

(٦) في ب: لهم.

(٧) في ط: الذين بهم يهتدى.

(٨) سقطت من ط والسرج -إلى- يهتدى.

وقد بالغ جمع من الأخيار من المتعبدين وغيرهم من العلماء كأهل مكة وغيرها أن أذكر ما وقع لهذا الرجل من الحيدة عن طريق هذه الأئمة، ولو كان أحرفاً يسيرة إما بالصريح[١] أو بالتلويح مشيره.

فاستخرت الله عز وجل في ذلك مدة مديدة، ثم قلت: لا أبالك. وتأملت ما حصل وحدث بسببه من الإغواء والمهالك، فلم يسعني عند ذلك أن أكتم ما علمت وإلاّ لجمت بلجام من نار ومُقّت.

---

(١) في ط: بالتصريح.

وها أنا أذكر الرجل وأشير باسمه الذي (٨٥/ب) شاع وذاع واتسع به الباع[١] وسار بل طار في أهل القرى والأمصار.

وأذكر بعض ما انطوى باطنه الخبيث عليه وما عول في الإفساد بالصريح أو الإشارة إليه.

ولو ذكرت كثيراً مما ذكره ودوّنه في كتبه المختصرات لطال جداً فضلاً عن المبسوطات [1].

---

(١) في ب: البايع وهو خطأ.

---

(1)وسقطات هذا الضال المبتدع أكثر من أن تحصى في كتاب واحد وقد سئم العلماء من تتبع ضلالاته والرد عليها لكثرة هذه الضلالات وتنوعها بين ضلالات تهدم عقائد المسلمين إلى فتاوى فقهية باطلة تحل الحرام وتحرم الحلال سالكا في هذا سبيل تحريف آيات الله عن مواضعها وإنكار الأحاديث النبوية الصحيحة التي لا تتفق مع هواه إلى إسقاطه وحذفه لأجزاء من أحاديث أخرى كي لا تصادم بدعته مستخفا بإجماع المسلمين في كل هذه الفتاوى كاذبا في نقله عن أئمة العلماء لكي يوهم عوام المسلمين أن أئمتهم يشاركونه في بدعته. فمن جرائته الشديدة على الله عز وجل إلى استهانته بمقام النبوة طعنه في الصحابة الأخيار أبي بكر وعمر وعثمان وعلي فمن دونهم إلى غمزه لأئمة المذاهب الفقهية إلى سبه وطعنه في أئمة العلماء الذين أعز الله بهم الإسلام ومنهم إمام الحرمين الجويني وحجة الإسلام الغزالي فقال عنهما في منهاجه« أنهما أكفر من اليهود والنصارى »وهو في كل هذا يملأ الدنيا صراخاً وعويلا مناديا باتباع القرآن والسنة متباكيا على سيرة السلف الصالح كي يوهم البسطاء والعامة أنه على نهجهم سائر ومتبع.

وقد تصدى له علماء عصره ومن بعدهم ردوا على أباطيله وأشاروا إلى فضائحه بتأليف الكتب ومناظرته وإفحامه وإلقاء الدروس على العامة لتحذيرهم منه وإلقائه في السجن بعد محاكمته علنا صيانة لعقائد المسلمين وشريعتهم من التشويش والتلاعب.

يقول شيخ الإسلام تقي الدين السبكي- وهو ممن قاموا بالرد على كفريات ابن تيمية وأباطيله في حياته- في مقدمه كتابه (الدرة المضية): (أما بعد: فإنه لما أحدث ابن تيمية ما أحدث في أصول العقائد ونقض من دعائم الإسلام الأركان والمعاقد بعد أن كان مستتراً بتبعية الكتاب والسنة مظهراً أنه داع إلى الحق هادٍ إلى الجنة فخرج من الاتباع إلى الابتداع وشذ عن جماعة =

= المسلمين بمخالفة الإجماع وقال بما يقتضي الجسمية والتركيب في الذات المقدسة وأن الافتقار إلى الجزء ليس بمحال وقال بحلول الحوادث بذات الله تعالى وأن القرآن محدث تكلم الله به بعد أن لم يكن وأنه يتكلم ويسكت ويحدث في ذاته الإرادات بحسب المخلوقات وتعدى في ذلك إلى استلزام قدم العالم، والتزامه بالقول بأنه لا أول للمخلوقات فقال بحوادث لا أول لها فأثبت الصفة القديمة حادثه والمخلوق الحادث قديماً و لم يجمع أحد هذين القولين في ملة من الملل ولا نحلة من النحل. فلم يدخل في فرقة من الفرق الثلاثة والسبعين التي افترقت عليها الأمة ولا وقفت به مع أمة من الأمم همة. وكل ذلك وإن كان كفراً شنيعاً مما تقل جملته بالنسبة إلى ما أحدث في الفروع فإن متلقي الأصول عنه وفاهم ذلك منه هم الأقلون والداعي إليه من أصحابه هم الأرذلون وإذا حوققوا في ذلك أنكروه وفروا منه كما يفرون من المكروه، ونبهاء أصحابه ومتدينوهم لا يظهر لهم إلا مجرد التبعية للكتاب والسنة والوقوف عدما دلت عليه من غير زيادة ولا تشبيه ولا تمثيل. وأما ما أحدثه في الفروع فأمر قد عمت به البلوى وهو الإفتاء في تعليق الطلاق على وجه اليمين بالكفارة عند الحنث، وقد استروح العامة إلى قوله وتسارعوا إليه وخفّت عليهم أحكام الطلاق وتعدى إلى القول بأن الثلاث لا تقع مجموعة إذا أرسلها الزوج على الزوجة وكتب في المسألتين كراريس مطولة ومختصرة أتى فيها بالعجب العجاب وفتح من الباطل كل باب، وكان الله تعالى قد وفق لبيان خطأه وتهافت قوله ومخالفته لكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وآله وسلم وإجماع الأمة، وقد عرف ذلك خواص العلماء ومن يفهم من عوام الفقهاء، ثم بلغني أنه بث دعاته في أقطار الأرض لنشر دعوته الخبيثة وأضل بذلك جماعة من العوام ومن العرب والفلاحين وأهل البلاد البرانية ولبسّ عليهم مسألة اليمين بالطلاق ... » إلى آخر ما ذكره.

ويقول شيخ الإسلام ابن حجر العسقلاني في (الدرر الكامنة) في ترجمة ابن تيمية :

«واستشعر أنه مجتهد فصار يرد على صغير العلماء وكبيرهم قديمهم وحديثهم حتى انتهى إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه فخطأه في شئ فبلغ الشيخ إبراهيم الرقي الحنبلي فأنكر عليه فذهب إليه واعتذر واستغفر. وقال في حق علي كرم الله وجهه: أخطأ في سبعة عشر شيئاً خالف فيها نص الكتاب منها اعتداد المتوفى عنها زوجها أطول الأجلين. وكان لتعصبه لمذهب الحنابلة يقع في الأشاعرة حتى أنه سب الغزالي فقام عليه قوم كادوا يقتلونه... وذكروا أنه ذكر حديث النزول فنزل عن المنبر درجتين فقال كنزولي هذا فنسب إلى التجسيم وافترق الناس فيه شيعاً :

[أ] فمنهم من نسبه إلى التجسيم لما ذكر في العقيدة الحموية - التي رد عليها ابن حنبل -=

= والواسطية وغيرهما، من ذلك كقوله: إن اليد والقدم والساق والوجه صفات حقيقية لله وأنه مستوٍ على العرش بذاته، فقيل له: يلزم من ذلك التحيز والانقسام، فقال: أنا لا أسلم أن التحيز والانقسام من خواص الأجسام، فألزم بأنه يقول بالتحيز في ذات الله تعالى.

[ب] ومنهم من ينسبه إلى الزندقة لقوله: إن النبي صلى الله عليه وآله وسلم لا يستغاث به. لأن في ذلك تنقيصاً ومنعاً من تعظيم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وكان أشد الناس عليه في ذلك النور البكري فإنه لما عقد له المجلس بسبب ذلك قال بعض الحاضرين يعزر، فقال البكري: لا معنى لهذا القول فإنه إن كان تنقيصا يقتل وإن لم يكن تنقيصا لا يعزر.

[ج] ومنهم من ينسبه إلى النفاق لقوله في علي [كرم الله وجهه] ما تقدم ولقوله: إنه كان مخذولا حيثما توجه، وأنه حاول الخلافة مراراً فلم ينلها وإنما قاتل دون الرياسة لا للديانة، وأن عثمان [ﷺ] كان يحب المال، ولقوله: أبو بكر ﷺ أسلم شيخًا يدري ما يقول وعلي كرم الله وجهه أسلم صبياً والصبي لا يصح إسلامه على قول. ونسب قوم إلى أنه كان يسعى في الإمامة الكبرى فإنه كان يلهج بذكر تومرت ويطريه، فكان ذلك مؤكدا لطول سجنه.

[د] وله وقائع شهيرة وكان إذا حوقق وألزم يقول: لم أرد هذا إنما أردت كذا فيذكر احتمالا بعيداً » أهـ.

ويتضح من قراءة النص السابق مدى غرور ابن تيمية وإعجابه بنفسه وجرأته على الذات الإلهية المقدسة وعلى مقام النبوة وتطاوله على صحابة رسول الله ﷺ فمن دونهم، وأخيراً سلوكه طريق الخداع والمراوغة كلما عقدت له المناظرات مع علماء عصره وأسقط في يده وأقيمت الحجة على بطلان آرائه التي ادعاها سابقاً في كتبه أو أحاديثه فلا يجد مناصا من التنكر لهذه الآراء ويلجأ إلى الكذب الصريح بأنه لم يرد ذلك بل أراد شيئاً آخر وسيأتي نماذج لهذا السلوك المشين في استتاباته المتعددة وغيرها. فهل هذا سلوك مقبول لعوام المسلمين فضلا عن علمائهم أم أن هذا سلوك الدجالين الأفاكين متبعي السياسة الميكيافيلية الذين يرون أن الغاية تبرر الوسيلة وليس في قلوبهم من خشية الحق سبحانه ما يردعهم عن استخدام الدين سلماً للوصول إلى أهدافهم الوضيعة من مناصب دنيوية زائلة. كما يتلاحظ أيضاً من تحليل هذا النص أن الشيخ ابن حجر العسقلاني قد صنف أراء العلماء وتقييمهم لابن تيمية إلى أربعة أصناف فقط: الأول: نسبة ابن تيمية إلى التجسيم. الثاني: نسبة ابن تيمية إلى الزندقة. الثالث: نسبته إلى النفاق. الرابع: نسبته إلى السعي في الإمامة العظمى. ولم يذكر رأي محبيه وتلامذته فيه لسقوط رأيهم هذا عن محل الاعتبار أمام =

= الأدلة الدامغة ومن يكون هؤلاء التلاميذ بجوار فحول العلماء وأئمة الدين والورع الذين ساق رأيهم؟ يقول العلامة الشيخ محمد زاهد الكوثري تعليقاً على هذا النص: « وليس بين هؤلاء من ذكره بالإمامة والقدوة في الدين، ومن اتخذه إماما إنما اتخذه إماما في الزيغ والشذوذ من غير أن يتهيب ذلك اليوم الذي يدعى فيه كل أناس بإمامهم، فليعتبر بذلك من ظن أن ابن حجر العسقلاني في صف المثنين على إمامته على الإطلاق. وهذا كلام ابن حجر في هذا الزائغ مع أنه لم يطلع على جميع مخازيه. ومن أثنى عليه من أهل السنة في مبدأ أمره قبل انكشاف الستر عن بدعه الطامة إنما أثنى عليه تشجيعاً له على العلم لما كانوا يرون فيه مبدأ نشأته من القابلية للعلم كما كانوا يفعلون مثل ذلك مع كل ناشيء، لكن لما تشعبت هموم ابن تيمية وتوزعت مواهبه في مختلف الأهواء وضاع صوابه بين أمواج البدع التي ارتضاها لنفسه تراجع كل من أثنى عليه من هؤلاء على توالي فتنه بين الأمة وتعاقب أهوائه المخزية وانقلبوا ضده ولو لا مغامراته في شتى العلوم التي يكفي واحد منها ليختص فيه أذكى العلماء لربما برع في علم يتفرغ له بعزيمة صادقة لكن جنى على نفسه بتشتيت مساعيه وراء أهواء بشعة فأصبح في موضع هزء البارعين كلما اختبروه في علم من العلوم التي يدعي الإمامة فيها ... » أ.هـ من تعليقه على (السيف الصقيل) ص٨١-٨٢ .

ومن هؤلاء الذين انفضوا من حوله وتبرأوا منه رغم صحبتهم الطويلة له سابقاً الحافظ الكبير شمس الدين الذهبي ومن جملة ما يقوله في ابن تيمية ما نقله ابن حجر في (الدر الكامنه):

« ... ومن خالطه وعرفه قد ينسبني إلى التقصير فيه ومن نابذه وخالفه قد ينسبني إلى التغالي فيه وقد أوذيت من الفريقين من أصحابه وأضداده وأنا لا أعتقد فيه عصمة بل أنا مخالف له في مسائل أصلية وفرعية » أ.هـ وكان الذهبي من المبكرين في تأليف التراجم فيترجم لبعض الأشخاص قبل أن يدرس حياتهم جيداً ثم يتدارك ما فاته في بقية كتبه لذا نجده يقول عن ابن تيمية في كتابه (زغل العلم والطلب): « ... فإن برعت في الأصول وتوابعها من المنطق والحكمة والفلسفة وآراء الأوائل ومحارات العقول، واعتصمت مع ذلك بالكتاب والسنة وأصول السلف ولفقت بين العقل والنقل فما أظنك في ذلك تبلغ رتبة ابن تيمية ولا والله تقاربها وقد رأيت ما آل أمره إليه من الحط عليه والهجر والتضليل والتكفير والتكذيب بحق وبباطل. فقد كان قبل أن يدخل في هذه الصناعة منوراً مضيئاً على محياه سيما السلف ثم صار مظلماً مكسوفاً عليه قتمة عند خلائق من الناس، ودجالاً أفاكاً كافراً عند أعدائه، ومبتدعاً فاضلاً محققاً بارعاً عند طوائف من عقلاء الفضلاء، وحامل راية الإسلام وحامي حوزة الدين ومحي السنة عند عموم عوام أصحابه، هذا ما أقوله لك » أهـ ص ٢٣-٢٤.= -

= وتأمل جيداً تعبير الذهبي (بحق وبباطل) لتعلم أن بعض ما جرى على ابن تيمية من تضليل وتكفير..إلخ هو حق في رأى الذهبي ويقول أيضاً في موضع آخر من (زغل العلم والطلب): « ... واحذر الكبر والعجب بعلمك فيا سعادتك إن نجوت منه كفافا لا عليك ولا لك، فوالله ما رمقت عيني أوسع علماً ولا أقوى ذكاء من رجل يقال له(ابن تيمية) مع الزهد في المأكل والملبس والنساء ومع القيام في الحق والجهاد بكل ممكن، وقد تعبت في وزنه وفتشه حتى مللت في سنين متطاولة فما وجدت أخره بين أهل مصر والشام ومقتته نفوسهم وازدروا به وكذبوه وكفروه إلا الكبر والعجب وفرط الغرام في رياسة المشيخة والازدراء بالكبار. فانظر كيف وبال الدعاوي ومحبة الظهور نسأل الله المسامحة، فقد قام عليه أناس ليسوا بأورع منه ولا أعلم منه ولا أزهد منه بل يتجاوزن عن ذنوب أصحابهم وآثام أصدقائهم وما سلطهم الله عليه بتقواهم وجلالتهم بل بذنوبه، وما دفع الله عنه وعن أتباعه أكثر **وما جرى عليهم إلا بعض ما يستحقون فلا تكن في ريب من ذلك**» أ.هـ ص ١٧-١٨. وتأمل العبارة الأخيرة والرسالة التي بعث بها إلى ابن تيمية يعظه فيها آخر حياته أبلغ دليل على رأيه فيه، وقد نقل ابن رجب في طبقاته عن الذهبي في حق ابن تيمية أنه: « أطلق عبارات أحجم عنه الأولون والآخرون وهابوا وجسر هو عليها » أهـ.

قال العلامة الكوثري: « فيدور أمره بين أن يكون مصابا في عقله أو دينه، فتبا لمن يتخذ مثله قدوة » أهـ من تعليقه على السيف الصقيل ص ٦٣.

وقال الإمام الحافظ السيد أحمد بن الصديق الغماري: في كتابه البرهان الجلي في صحة انتساب الصوفية إلى سيدنا علي » ما نصه:

بل بلغت العداوة من ابن تيمية إلى درجة المكابرة وإنكار المحسوس، فصرح بكل جرأة ووقاحة، ولؤم ونذالة، ونفاق وجهالة، إنه لم يصح في فضل علي عليه السلام حديث أصلا، وأن ما ورد منها في الصحيحين لا يثبت له فضلا ولا مزية على غيره، مع أن إمامه وإمام أهل السنة والحديث أحمد بن حنبل رحمه الله يقول: لم يرد من الأحاديث بالأسانيد الصحاح في فضل أحد من الصحابة مثل ما ورد في علي، وهكذا قلل غيره من الحفاظ، بل أضاف ابن تيمية إلى ذلك من قبيح القول في علي وآل بيته الأطهار، وما دل على أنه رأس المنافقين في عصره، لقول النبي ﷺ في الحديث الصحيح المخرج في صحيح مسلم مخاطبا لعلي عليه السلام « لا يحبك إلا مؤمن ولا يبغضك إلا منافق » كما ألزم ابن تيمية بذلك أهل عصره، وحكموا بنفاقه، فيما حكاه الحافظ في ترجمته في (الدرر الكامنة) وكيف لا يلزم بالنفاق مع نطقه قبحه الله بما لا ينطق به مؤمن في حق=

= فاطمة سيدة نساء العالمين صلى الله عليها وسلم ، وحق زوجها أخي رسول الله ﷺ وسيد المؤمنين فقد قال في السيدة فاطمة البتول: أن فيها شبها من المنافقين الذين وصفهم الله تعالى بقوله: ﴿ فإن أعطوا منها رضوا وأن لم يعطوا منها إذا هم يسخطون ﴾ قال لعنة الله عليه: فكذلك فعلت هي إذ لم يعطها أبو بكر ﷺ من ميراث والدها ﷺ . أما علي عليه السلام، فقال فيه أنه أسلم صبيا وإسلام الصبي غير مقبول على قول، فرارا من إثبات أسبقيته للإسلام، وجحودا لهذه المزية وأنه خالف كتاب الله تعالى في سبع عشرة مسألة، وأنه كان مخذولا حيثما توجه، وأنه يحب الرياسة ويقاتل من أجلها، لا من أجل الدين وأن كونه رابع الخلفاء الراشدين غير متفق عليه بين أهل السنة، بل منهم من كان يربع بمعاوية وهم بنو أمية بالأندلس، فسماهم أهل السنة، وكذب عليهم، عليه لعائن الله. فإن هذا لم يحصل من أهل الأندلس أصلا، وإنما حكى هذا عن ابن عبد ربه صاحب العقد الفريد في قصة تزلف فيها لبني أمية فذكر معاوية رابع الخلفاء، فاتفق أهل الأندلس على ذمه وتقبيحه فيما فعل، فأتى هذا الكذاب ونسب ذلك لأهل السنة من أهل الأندلس كلهم، **وزعم قبحه الله أن عليا عليه السلام مات ولم ينس بنت أبي جهل** التي منعه النبي ﷺ الزواج بها، بل فاه في حقه عليه السلام بما هو أعظم من هذا **فحكى عن بعض إخوانه المنافقين** -هو أبو بكر بن أبي داود صاحب السنن، فقد حكي عنه هذا القول الخبيث في ترجمته وإن كان هو قد تبرأ منه. وقال لا أجعل في حل من نسبه إلي وترديد ابن تيمية لهذه الحكاية الباطلة يدل على أنه يبطن بغض علي عليه السلام، وإلا لما استجاز ذكرها في هذا الموضع مهما كانت البواعث- **أن عليا عليه السلام حفيت أظافره من التسلق على أزواج رسول الله ﷺ بالليل،** في أمثال هذا من المثالب التي لا يجوز أن يتم بها مطلق المؤمنين فضلا عن سادات الصحابة رضي الله عنهم فضلا عن أفضل الأمة بعد رسول الله ﷺ ، فقبح الله ابن تيمية وأخزاه وجزاه بما يستحق، وقد فعل والحمد لله، إذ جعله إمام كل ضال مضل بعده، وجعل كتبه هادية إلى الضلال، فما أقبل عليها أحد واعتنى بشأنها إلا وصار إمام ضلالة في عصره، ويكفي أن أخرج الله تعالى من صلب أفكاره الخبيثة قرن الشيطان وأتباعه كلاب النار، وشر من تحت أديم السماء الذين ملأوا الكون ظلمة وسودوا وجهه بالجرائم والعظائم في كل مكان، والكل في صحيفة ابن تيمية إمام الضالين، وشيخ المجرمين، وقد قال النبي ﷺ «من سن سنة سيئة فعليه وزورها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة» وقال ﷺ : «من دعا إلى ضلالة كان عليه إثم من تبعه إلى يوم القيامة ». انظر البرهان الجلي ص ٥٤- ٥٧.

ويلاحظ أن كلام ابن تيمية على السيدة فاطمة موجود في (منهاج السنة) ٢٤٣/٤ فما بعدها ط. مكتبة ابن تيمية تحقيق محمد رشاد سالم.

[سرية بعض عقائد ابن تيمية وآرائه]

وله مصنفات أخر لا يمكن أن يطلع عليها إلاّ من تحقق[١] أنه على عقيدته الخبيثة، ولو عصر هو وأتباعه بالمعصرات[٢] لما فيها من الزيغ والقبائح النحسات[٣].

قال بعض العلماء من الحنابلة[٤] في الجامع الأموي في ملأ من الناس: لو اطلع الحصني على ما اطلعنا عليه من كلامه لأخرجه من قبره وأحرقه.

وأكد مقالة هؤلاء[٥] أن أتعرض لبعض ما وقفت عليه وما أفتى به من جميع[٦] المذاهب وما خطيء فيه وما انتقد عليه، وأذكر بعض ما اتفق له من المجالس والمناظرات، وما جاءت به المراسيم العاليات، أتعرض لبعض ما سلكه من المكايد التي ظن بسببها أنه يخلص من ضرب الأسياط[٧] والحبوس وغير ذلك من الإهانات، وهيهات.

---

(١) في ج: إلاّ من له تحقيق.

(٢) في ط: العاصرات.

(٣) في ج: المنجسات.

---

(٤) في ج: بعض علماء الحنابلة.

(٥) في ط: وأكد هؤلاء.

(٦) في ب: وما أفتى به جميع. وفي ط: وما أفتى به مخالفاً لجميع.

(٧) في ط: السياط.

[خداعه وتلاعبه بالدين]

فأول شيء سلكه من المكر والخديعة أن انتمى إلى مذهب الإمام أحمد، وشرع يطلب العلم ويتعبد، فمالت إليه قلوب المشائخ وغيرهم[١]، فشرعوا في إكرامه والتوسعة (٨٦/أ) عليه فأظهر التعفف، فزادوا في الرغبة فيه والوقوع عليه.

ثم شرع ينظر في كلام العلماء ويعلق في مسوّداته حتى ظن أنه صار له قوة في التصنيف والمناظرة، أخذ[٢] يدوّن ويذكر أنه جاءته[٣] فتوى من بلد كذا، وليس لذلك حقيقة، فيكتب عليها على صورة الجواب، ويذكر مالا ينتقد عليه، وفي بعضها ما يمكن أن ينتقد إلا أنه يشير إليه على وجه التلبيس[1]

---

(١) في ط: المشايخ فشرعوا...

(٢) في ب: أمد وهو خطأ وفي ط: وأخذ.

(٣) في ط: جاءه.

---

(1) وفوق هذا التلبيس فإنه يكذب في النقل والعزو فقد ينقل الإجماع لما ليس فيه إجماع كما سيأتي ويحرّف آراء العلماء السابقين وينقلها محرّفة بحيث تصير قريبة أو مؤيدة لرأيه وقد نبه على ذلك شيخ الإسلام تقي الدين السبكي وأضاف أنه ﷺ رأى من حال ابن تيمية ما يقتضي الإعراض عنه جملة، أي أنه يجب على العامة تجاهل كلامه وعدم تناوله بالبحث وإضاعة الوقت فيه وأي فائدة ترجى مع افتقاد الصدق؟

وإليك نموذج من كلام شيخ الإسلام عز الدين بن عبد السلام في (الفتاوى الموصلية) في مسألة الدعاء عن حديث (قل اللهم إني أقسم عليك بنبيك محمد نبي الرحمة): « وهذا الحديث إن صح فينبغي أن يكون مقصوراً على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لأنه سيد ولد آدم وأن لا يقسم على الله تعالى بغيره من الأنبياء والملائكة والأولياء لأنهم ليسوا في درجته وأن يكون هذا مما خُصّ به نبينا على علو درجته ومرتبته » أ.هـ من (الرد المحكم المتين) للسيد عبد الله الغماري وانظر إلى عزو ابن تيمية لهذا الكلام، يقول ابن تيمية: =

بحيث لا يقف على مراده إلاّ حاذق عالم مفنن فإذا ناظر أمكنه أن يقطع من ناظره إلا ذلك المفنن[١] الفطن.

ثم مع ذلك شرع يتلقى الناس بالأنس وبسط الوجه ولين الكلام، ويذكر أشياء تحْلوا للنفس لا سيما الألفاظ العذبة مع اشتمالها على الزهد في الدنيا والرغبة في الآخرة.

فطلبوا[٢] منه أن يُذكِّر الناس ففعل فطار ذكره بالعلم والتعبد والتعفف، ففزع الناس إليه بالأسئلة، فكان إذا جاءه أحد يسأله عن مسألة قال له: عاودني فيها، فإذا جاءه قال: هذه مسئلة مشكلة، ولكن لك عندي مخرج أقوله لك بشرط فإني أتقلدها في عنقي، فيقول: أنا أوفي لك، فيقول: أن تكتم علي. فيعطيه العهود والمواثيق على ذلك فيفتيه بما فيه فرجه، حتى صار له بذلك أتباع كثيرة يقومون في نصرته[٣] أن لو عرض (٨٦/ب) له عارض.

ثم إنه علم أن ذلك لا يخلصه، فكان إذا كان في بعض المجالس قال: إنا لله

(١) في ط: المتفنن.

(٢) في ب-ج: وطلبوا.

(٣) في ط: بنصرته.

= « .. وأعظم العلماء على النهي عن التوسل بالنبي ﷺ في الدعاء... ولم يبلغني عن أحد من العلماء في ذلك ما أحكيه إلا ما رأيت في فتاوى الفقيه أبي محمد ابن عبد السلام فإنه أفتى أنه لا يجوز لأحد أن يفعل ذلك إلا للنبي ﷺ » أ.هـ قال العلامة السيد عبد الله الغماري بعد نقله كلام ابن تيمية: « قلت: هذا غلط في النقل عن ابن عبد السلام لأن فتواه في الإقسام على الله بخلقه لا في سؤاله بجاه فلان » أ.هـ ثم نقل كلام الإمام عز الدين بن عبد السلام انظر الرد المحكم المتين ص ٥٤-٥٥.

وسيأتي مزيد إيضاح في كلام المصنف رحمه الله على حديث (لا تشد الرحال ..) ص٥٠٦، ص٥٠٧ وكذا في كلام الإمام السبكي في (الدرة المضيئة) والمنقول منه في ختام (الفتاوي السهمية) الملحقة بنهاية هذا الكتاب.

وإنا إليه راجعون قد انفتق فتوق من أنواع المفاسد يبعد ارتتاقها[١]، ولو كان لي حكم لكنت أجعل فلاناً وزيراً وفلاناً محتسباً وفلاناً دويداراً وفلاناً أمير البلد. فيسمع أولئك وفي قلوبهم من تلك المناصب فكانوا يقومون في نصرته.

ثم إنه علم أن مثل هؤلاء لا يقدرون[٢] على مقاومة العلماء إذا قاموا في نحره فجعل له مخلصاً منهم بأن ينظر إلى من الأمر إليه في ذلك المجلس، فيقول له ما عقيدة إمامك؟ فإذا قال: كذا وكذا قال: أشهد أنها حق، وأنا مخطيء، واشهدوا أني على عقيدة إمامك وهذا كان سبب عدم إراقة دمه، فإذا انفض المجلس أشاع أتباعه أن الحق في جهته ومعه، وأنه قطع الجميع، ألا تروه[٣] كيف خرج سالماً؟[1]

---

(١) في ب: إرتفاعها.

(٢) في ط: ثم اعلم أن مثل هؤلاء قد لا يقدرون.

(٣) في ط: ألا ترون.

---

(1) ومثل ذلك ما يحكيه الإمام الكبير علاء الدين علي بن محمد بن خطاب الباجي وذكره ابن حجر في (الدرر الكامنة) ٣/١٠١- ١٠٢ط دار الجيل:

« ... وكان يحكي عن نفسه أن ابن تيمية لما دخل القاهرة حضرت في المجلس الذي عقدوه له فلما رآني قال: **هذا شيخ البلاد.** قلت: لا تطريني ما ههنا إلا الحق. وحاققته على أربعة عشر موضعا فغير ما كان كتب به خطه » أ.هـ

ويصف تاج الدين السبكي هذا اللقاء في (طبقات الشافعية الكبرى) في ترجمة الإمام الباجي فيقول: «وكان إليه مرجع المشكلات ومجالس المناظرات. ولما رآه ابن تيمية عظمه و لم يَجْرِ بين يديه بلفظه، فأخذ الشيخ علاء الدين يقول: تكلم نبحث معك، وابن تيمية يقول: مثلي لا يتكلم بين يديك، أنا وظيفتي الاستفادة منك » !

وبالطبع لم يذكر تلاميذ ابن تيمية وأتباعه ومنهم المؤرخ ابن كثير- الذي أرّخ هذه الفترة في (البداية والنهاية)- سلوك شيخهم هذا ولا مراوغاته، كما لم يذكروا لنا ما هذه المواضع الأربعة عشر التي رجع عنها شيخهم وهل هي يا ترى مما يتداوله أتباع ابن تيمية في عصرنا أم هي مضافة لمصائبه المنقولة حاليا ؟ =

حتى حصل بسبب ذلك افتتان خلق كثير، لا سيما من العوام، فلما تكرر ذلك منه علموا أنه إنما يفعل ذلك خديعة ومكراً[1]، فكانوا مع قوله ذلك يسجنونه، و لم يزل ينتقل من سجن إلى سجن حتى أهلكه الله عز وجل في سجن الزندقة والكفر.

= وعلى أي حال فابن كثير في البداية والنهاية اعترف بهزيمة شيخه واعترافه بالخطأ في مناظرته مع العلماء في موضوع التوسل برسول الله ﷺ مع أن أتباعه وتلامذته من عصره إلى الآن يعتبرون ذلك شركا وكتب ابن تيمية المنشورة على هذا الرأي أما لماذا تراجع ابن تيمية عن آرائه بحضور الإمام الباجي؟ فالجواب الواضح: أن ذلك للدقّة الشديدة للإمام الباجي التي لن تسمح لابن تيمية بالمراوغة والخروج من موضوع المناظرة إلى موضوع آخر للإفلات والهروب من الإذعان للحق والاعتراف به كما حاول ذلك مع الإمام صفي الدين الهندي وسيأتي بيان ذلك.

يقول الإمام تاج الدين السبكي عن الإمام الباجي: « إمام الأصوليين في زمانه وفارس ميدانه وكان من الأوّابين المتقين. وكان شيخ الإسلام ابن دقيق العيد كثير التعظيم له ويقول له إذا ناداه : (يا إمام) قال الإمام تقي الدين السبكي: كان ابن دقيق العبد لايخاطب أحداً: السلطان أو غيره إلا بقوله: يا إنسان، غير اثنين: الباجي وابن الرفعة. يقول للباجي: يا إمام، ولابن الرفعة: يا فقيه».

ويقول أيضاً: « وكان الباجي أعلم أهل الأرض بمذهب الأشعري في علم الكلام وكان هو بالقاهرة والهندي بالشام القائمين بنصرة مذهب الأشعري.

والباجي أذكى قريحة وأقدر على المناظرة » أ.هـ طبقات الشافعية الكبرى ١٠/ ٣٤٠ ط دار هجر.

(1) وأسلوب الخديعة والمراوغة هذا اقتبسه ابن تيمية من اليهود في مناظرات أحبارهم مع علماء المسلمين ومن مناظراته هو نفسه معهم فمن ذلك:

ما ذكرة المرتضى في أماليه : أن أبا الهذيل العلاّف –في حداثته– بلغه أن يهوديًا قدم البصرة، وقَطَع جماعة من متكلميها. فقال لعمه: ياعم امض بي إلى هذا اليهودي حتى أكلمه. فقال له عمه: يابني كيف تكلمه وق عرفت خبره؟ وأنه قَطَع مشايخ المتكلمين؟ فقال: لا بد من أن تمضي بي إليه، فمضى به.

قال: فوجدته يقرر الناس على نبوة موسى عليه السلام فإذا اعترفوا له بها، قال: نحن على ما اتفقنا عليه، إلى أن نجمع على ما تدعونه، فتقدمت إليه، فقلت: أسألك؟ أم تسألني؟ فقال: بل أسألك، فقلت: ذاك إليك. فقال لي: أتعترف بأن موسى نبي صادق؟أم تكر ذلك فتخالف صاحبك؟ فقلت له: إن كان موسى الذي تسألني عنه هو الي بشّر بنبيي عليه السلام، وشهد بنبوته وصدقه، فهو نبي صادق،وإن كان غير من وصفت، فذلك شيطان، لا أعترف بنبوته. فورد عليه ما لم يكن في حسابه، ثم قال لي أتقول: إن التوراة حق؟ فقلت: هذه المسألة تجري مجرى الأولى، إن كانت هذه التوراة التي تسألني عنها هي التي تتضمن البشارة بنبيي عليه السلام، فتلك حق وإن لم تكن كذلك فليست بحق، ولا أقر بها. فبهت. وأفحم و لم يدر ما يقول.

ومن قواعده المقررة عنده وجرى عليها أتباعه التوقي بكل (٨٧/أ) ممكن، حقاً كان أو باطلاً ولو بالأيمان الفاجرة، سواءً كانت بالله عز وجل أو بغيره(1).

وأما الحلف بالطلاق فإنه لا يوقعه ألبتة ولا يعتبره سواء كان بالصريح(١) أو بالكناية أو التعليق أو التنجيز(2) ، وهذا مذهب فرقة الشيعة، فإنهم لا يرونه شيئاً.

---

(١) في ط: بالتصريح.

= ثم قال لي: أحتاج أن أقول لك شيئا بيني وبينك، فظننت أنه يقول شيئًا من الخير، فتقدمت إليه فسارّني، فقال لي: أمّك كذا وكذا -يعني زانية- وأمّ من علّمك لا يكني. وقدّر أني أثب به، فيقول: وثبوا بي وشغبوا عليّ، فأقبلت على من كان في المجلس، فقلت: أعزكم الله، ألستم قد وقفتم على مسألته إياي؟ وعلى جوابي إياه؟ قالوا: بلى. قلت: أفليس عليه أن يرد جوابي أيضًا؟ قالوا: بلى. قلت فإنه لما سارّني شتمني بالشتم الذي يوجب الحد، وشتم من علمني، وإنما قدر أنني أثب عليه، فيدّعي أننا واثبناه وشغبنا عليه. وقد عرفتكم شأنه بعد الانقطاع فانصروني. فأخذته الأيدي من كل جهة، فخرج هاربا من البصرة. أ.هـ. دلالة القرآن المبين للسيد عبدالله الغماري ط المكتبة المكية . ط. الأولى ص ١٥٠-١٥١.

(1) وليت الأمر اقتصر على التقية لحماية نفسه فقط بل تعدى هو وأتباعه ذلك إلى استخدام الأيمان الفاجرة وشهادة الزور للتخلص من خصومه وإزاحتهم من طريقه وهو متبع في ذلك لأبناء طائفته.

يقول الإمام تاج الدين السبكي: « وقد تزايد الحالُ بالخطابية- وهم المجسِّمة- في زماننا هذا، فصاروا يَرون الكذب على مخالفيهم في العقيدة- لا سيما القائم عليهم- بكل ما يسوءُه في نفسه وماله. وبلغني أن كبيرهم استُفتي في شافعي: أيَشهد عليه بالكذب؟ فقال: ألستَ تعتقد أن دمه حلال؟ قال: نعم، قال: فما دون ذلك دُون دمِه، فاشهَد وادفَع فسادَه عن المسلمين. فهذه عقيدتهم.

ويَرون أنهم المسلمون، وأنهم أهل السُّنَّة. ولو عُدوا عَدَداً لما بَلغَ علماؤُهم- ولا عالمَ فيهم على الحقيقة -مَبلَغاً يُعتبَر. ويكفِّرون غالبَ علماءِ الأمة، ثم يَعتَزُون إلى الإمام أحمد بن حنبل ﷺ، وهو منهم بريء » أ.هـ.

من كتابه قاعدة في الجرح والتعديل وقاعدة في المؤرخين ص ٤٩ بتحقيق الشيخ عبد الفتاح أبي غدة. دار الوعي حلب- ط الثانية. وقد حالوا استخدام هذه الطريقة للتخلص من الإمام التاج السبكي نفسه فيما بعد.

(2) وقد نقلنا من كلام الإمام تقي الدين السبكي في ختام (الفتاوي السهمية) الملحقة بالكتاب ما يوضح ذلك إن شاء الله.

وإشاعته هو وأتباعه أن الطلاق الثلاث واحدة خزعبلة[١] ومكر، وإلاّ فهو لا يوقع طلاقاً على حالف به ولو أتى به في اليوم مائة مرة على أي وجه كان سواء كان[٢] حقاً أو منعاً أو تحقيق خبر، فاعرف ذلك، وأن مسألة الثلاث إنما يذكرونها تسترا وخديعة(1).

---

(١) في ط: خزعبلات.

(٢) في ط: على أي وجه سواء كان.

---

(1) وقد رد عليه علماء الأمة خزعبلاته في أيامه وحتى وقتنا الحاضر فألف شيخ الإسلام تقي الدين السبكي ثلاث رسائل في الرد عليه في مسائل الطلاق طبع منها اثنان ورد عليه آخرون أيضاً منهم الإمام الفقيه كمال الدين بن الزملكاني وغيرهما قديما، أما حديثا فقد رد عليه الإمام سلامة العزامي بكتاب (براهين الكتاب والسنة الناطقة على وقوع الطلقات المجموعة منجزة أو معلقة) مطبوع، وكذا الإمام زاهد الكوثري بكتاب (الإشفاق على أحكام الطلاق) مطبوع.

وقبلهما مفتي الديار المصرية ومفخرتها وإمام الحنفية بها الشيخ محمد بخيت المطيعي في كتاب «القول الجامع في الطلاق البدعي والمتتابع» طبع سنة ١٣٢٠هـ وكذا فقيه الشافعية العلامة المحقق التقي الورع الشيخ أحمد بن حسن الطلاوي في كتابه «الإغاثة في حكم الطلاق بالثلاثة» وقد طبع سنة ١٣٢٩هـ.

وإليك أدلة أهل الحق على وقوع الطلقات الثلاث من كلام الإمامين العزامي والكوثري:

الأدلة من القرآن الكريم:

[١] قوله تعالى: ﴿والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء﴾ (البقرة:٢٢٨) ومعناه أن كل مطلقة من النساء المدخول بهن ذوات الأقراء غير الحوامل عليها أن تنتظر وتمتنع عن الزواج مدة ثلاثة قروء.

وجه الاستدلال من الآية: أن لفظ (المطلقات) في الآية الكريمة جمع محلى باللام، وهو من صيغ العموم، ولم تفرق الآية بين طلاق وطلاق فهو يشمل الطلقة الواحدة والاثنتين والثلاث مجموعة كانت أو مفرقة منجزا كان الطلاق أو معلقاً رجعياً كان أو بائنا وهذا في المدخول بهن من النساء. =

= [٢] قوله تعالى : ﴿ ولا جناح عليكم إن طلقتم النساء ما لم تمسوهن أو تفرضوا لهن فريضة﴾ (البقرة: ٢٣٦).

[٣] قوله تعالى: ﴿وإن طلقتموهن من قبل أن تمسوهن وقد فرضتم لهن فريضة﴾ (البقرة: ٢٣٧).

علق سبحانه وتعالى الحكم في الآيتين الكريمتين على الطلاق في حيز أداة الشرط وهي (إن) وفعل الشرط من صيغ العموم فإن الحدث الذي يدل عليه الفعل نكرة، والنكرة في سياق الشرط كالنكرة بعد النفي كلتاهما تفيد العموم.

[٤] وكذلك قوله تعالى ﴿ وللمطلقات متاع بالمعروف ... ﴾ لم يفرق بين طلاق وطلاق.

[٥] وقوله تعالى ﴿ يا أيها النبي إذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن .. ﴾ (الطلاق:١) أي وهن في الطهر الذي لم يجامعن فيه، والأمر هنا من قبيل المطلق وهو مقيد هنا بالعدة فقط. ولا يلزم من كون الطلاق في الحيض معصية- باتفاق الأئمة- كما لا يلزم من كون الطلقات المجموعة معصية حتى في الطهر عند جمهور الأئمة- غير الشافعي- لا يلزم من ذلك عدم الوقوع في الحالتين، بل هو واقع وفاعله آثم بمعصيته لربه.

قال تعالى في نفس الآية ﴿ ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه ﴾ فلو لم يكن طلاقه واقعاً ما كان ظالما لنفسه.

وقال سبحانه في الآية التالية لها ﴿ ... ومن يتق الله يجعل له مخرجا ﴾ (الطلاق:٢) ويدخل في ذلك دخولا أوليا عدم مخالفة أوامره تعالى في أمر الطلاق بأن يطلق للعدة ولا يجمع بين الطلقات، فإن جمعها حرام عند الجمهور ومكروه أو خلاف الأولى عند الشافعي. من فعل تلك التقوى يجعل الله له مخرجا مما قد يحدث بين بعض الأزواج.

لذا قال الإمام على ﷺ في تفسير هذه الآية: ﴿ لو أن الناس أصابوا حد الطلاق ما ندم مطلق قط ﴾ وصح عن حبر الأمة ابن عباس رضي الله عنهما أن سائلا سأله عن قريب له طلق امرأته ثلاثا مجموعة فقال للسائل: « إن صاحبك لم يتق الله تعالى فلم يجعل له مخرجا » .

فأفادت هاتان الآيتان الكريمتان لزوم الطلاق لمن طلق مجموعا أو مفرقا مباحا كان أو معصية بالمنطوق وفحوى الخطاب في الأولى وبالمفهوم في الثانية. =

= [٦] قوله تعالى : ﴿ الطلاق مرَّتان فإمساك بمعروف أو تسريح بإحسان .. ﴾ (البقرة: ٢٢٩).

فقوله تعالى (مرتان) تثنية (مرة) والمرَّة في الأصل الفعلة الواحدة من المر أو المرور، ثم استعملت في كل فعلة من أيّ حدث كان صلاة أو زكاة أو نكاحا أو طلاقاً..

والآحاد من المرات على قسمين ، أولهما: ما لا يكون في الوجود إلا مرتبا الواحد بعد الآخر كالأكلات والتلفظات وما شابه ذلك، وثانيهما: ما توجد آحاده دفعة واحدة حينا وعلى دفعات حينا آخر كالعقود والإعتاقات والطلقات من كل ما يكون وجوده متوقفاً على إنشاء صيغته فتقول: بعت هؤلاء العبيد الثلاثة – مثلاً– فتقع ثلاث بيعات لكل عبد بيعة بهذا التلفظ الواحد، كما لو قلت: بعت هذا العبد وبعت ذاك وبعت الثالث.

وكذلك تطلق المرأة طلقتين أو ثلاثاً بصيغ متفرقة أو بصيغة واحدة فليس من خصوص المرتين التفريق بينهما.

ولذا استعملت كلمة (مرّتين) في اللغة وفي القرآن والسنة على الوجهين والمقام يعين أحدهما، فإذا قلت: جئته مرّتين كان معناه مرة بعد أخرى لأن المجيء المتعدد لا يكون إلا كذلك. وإذا قلت: أعطيت فلانا أجره درهما والآخر قدره مرتين لم يلزم ذلك، بل المعنى مضاعفة الأجر ولو في مرة واحدة من الإعطاء ومن هذا الثاني قوله تعالى في مؤمني أهل الكتاب: ﴿ أولائك يؤتون أجرهم مرتين ﴾ (القصص:٥٤)، وقوله سبحانه في أزواج رسوله عليه وعليهن الصلاة والسلام ﴿ ومن يقنت منكن لله ورسوله وتعمل صالحا نؤتها أجرها مرتين ﴾ (الأحزاب: ٣١).

فالمرّتان واقعتان في الآيتين على الأجرين المعطيين دفعة واحدة. وبنفس هذا الاستعمال جاءت السنة المطهرة: روى البخاري في صحيحه في كتاب (العتق) باب: (العبد إذا أحسن عبادة ربه ونصح سيده) عن ابن عمر عن النبي ﷺ قال: « العبد إذا نصح سيده وأحسن عبادة ربه كان له أجره مرتين » كما روى البخاري أيضاً في كتاب (الجهاد) في باب: (فضل من أسلم من أهل الكتابين) عن أبي موسى عن النبي ﷺ قال: « ثلاثة يؤتون أجرهم مرتين: الرجل تكون له الأمة ..» الحديث فالمرّتان في الحديثين على الجمع لا على التفريق أي أن التعدد هو للأجر المعطى وليس لفعل الإعطاء. =

= ومن هنا فقد رجّح فريق من أهل العلم كالشافعي ومن وافقه أن المراد بكلمة (مرتان) في الآية الكريمة هو : (طلقتان اثنتان مجتمعتين أو متفرقتين) فروى ابن جرير الطبري في تفسيره أن سبب نزول هذه الآية: أن الرجل كان يطلق ما شاء ثم إن راجع امرأته قبل أن تنقضي عدتها كانت امرأته فغضب رجل من الأنصار على امرأته فقال لها: لا أقربك ولا تحلين مني. قالت له كيف؟ قال أطلقك حتى إذا دنا أجلك راجعتك ثم أطلقك، فإذا دنا أجلك راجعتك، فمتى تحلين؟! فشكت ذلك إلى النبي ﷺ فأنزل الله تعالى ﴿ الطلاق مرتان فإمساك بمعروف ﴾ الآية فاستقبل الناس الطلاق جديداً من كان طلق ومن لم يكن طلق روى ذلك ابن جرير الطبري من طرق عديدة ثم قال: « فتأويل الآية على هذا الخبر الذي ذكرناه: عدد الطلاق الذي لكم أيها الناس فيه على أزواجكم الرجعة إذا كن مدخولات بهن تطليقتان ثم الواجب على من راجع منكم بعد التطليقتين إمساك بمعروف أو تسريح بإحسان، لأنه لا رجعة له بعد التطليقتين إن سرحها فطلقها الثالثة ... » إلى أن قال مرجحا لهذا التأويل: « إنه أولى بظاهر التنزيل » لأن الآية إنما هي دليل على عدد الطلاق الذي تكون الرجعة معه والعدد الذي يكون به التحريم وبطلان الرجعة..» يقول شيخ شيوخنا الإمام سلامة العزامي (البراهين الساطعة): « وما رواه الإمام الطبري في سبب نزول قوله تعالى ﴿ الطلاق مرتان ﴾ عن عروة وقتادة وغيرهما هو ما رواه الإمامان مالك والشافعي رضي الله عنهما والترمذي وأبو داود والنسائي والحاكم وصححه وابن أبي حاتم. فينبغي أن يكون هذا القول راجحا إن لم يكن متعينا وهو أوفق بالنظم وأكثر ملائمة لسابق الجملة الكريمة ولاحقها ... » أ.هـ. ص ٣١.

ملحوظتان (**الأولى**): يظن البعض أنه بمجرد نطق الزوج بلفظ الطلاق فقد انتهى عقد النكاح بينه وبين زوجته وعليه فالطلاق الثاني والثالث غير واقعين لأنها لم تعد زوجته يقول الإمام الكوثري عن ذلك: « وكذا القول بحل الطلاق الرجعي لعقد النكاح فإنه رأى باطل مخالف لكتاب الله وسنة رسوله وخارج عما يفقهه أئمة الدين فالله سبحانه وتعالى يقول في حق المطلقات رجعياً: (وبعولتهن أحق بردهن) فقد عد الله رجالهن أزواجاً لهن ما دامت العدة قائمة وجعل لهم حق إعادتهن إلى الحالة الأولى ... » إلى أن قال « وكذلك يقول الله جل شأنه ﴿ الطلاق مرتان=

= فإمساك بمعروف ﴾ فالإمساك هو استدامة القائم لا إعادة الزائل، فدلت الآيتان على أن النكاح باق بعد الطلاق الرجعي إلى أن تنقضي العدة وكذلك يدل على ما ذكرنا الأحاديث الواردة في طلاق ابن عمر ... » إلى أن قال: « ... على أن العودة إلى معاشرتها- يقصد الزوجة بعد المراجعة- بدون عقد يؤدي إلى أن تكون المعاشرة بينهما غير شرعية لو لم يكن العقد قائما، ثم وجوب النفقة والسكنى وإحراز إرث الزوجية عند الوفاة قبل انقضاء العدة وانفراد الزوج بحق الرجعة، كل ذلك من الدليل على دوام الزوجية بينهما بعد الطلاق الرجعي .. » أ.هـ. من (الإشفاق على أحكام الطلاق) ص٩-١٠ ط. الأزهرية للتراث.

الثانية: ذهب جمهور الفقهاء إلى تحريم جمع الطلقات ومع ذلك فهو واقع إذا نطق به الزوج يقول الإمام العزامي: « لأن المعصية ليست مانعة من وقوع الطلاق مجتمعا، ألا ترى الظهار جعله الله منكراً من القول وزوراً ومع هذا لزمه حكم » أ.هـ قلت وكتب السنة بها عشرات النصوص القاطعة في ذلك عن النبي ﷺ وصحابته الكرام وتابعيهم وهي تشمل من طلق في الحيض أو في طهر جامعها فيه فضلا عمن علق طلاقه على شرط أو خرج طلاقه مخرج اليمين.

روى أبو هريرة ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال: « ثلاثة جدّهن جِدٌّ وهزلهن جدٌّ: النكاح والطلاق والرجعة » .

أخرجه الترمذي وقال (حسن غريب) وأبو داود وأحمد في مسنده والحاكم وصححه والبيهقي في السنن وغيرهم يقول الإمام ابن حجر في (تلخيص الحبير) عن سنده أنه (حسن) وكذا قال الحافظ البوصيري في مختصر سنن أبي داود وغيرهم.

قلت: وله طرق أخرى تقويه وكذا شواهد عديدة.

الأدلة من السنة:

وهي منقولة من كلام إمامنا سلامة العزامي ﷺ وقد بدأها بحديثين رواهما الإمام البخاري ﷺ في صحيحه باب: « من أجاز الطلاق الثلاث لقوله تعالى ﴿ الطلاق مرتان ﴾ » . يقول الإمام سلامة العزامي:

قال البخاري: =

---

[١] حدثنا عبد الله بن يوسف أخبرنا مالك عن ابن شهاب أن سهل ابن سعد الساعدي أخبره أن عويمرا العجلاني، جاء إلى عاصم بن عدي الأنصاري ثم ساق الحديث في قصة عويمر مع امرأته وتلاعنهما، قال سهل فتلاعنا وأنا مع الناس عند رسول الله ﷺ ، فلما فرغا قال عويمر: كذبت عليها يا رسول الله إن أمسكتها، فطلقها ثلاثا قبل أن يأمره رسول الله ﷺ ...

ففي هذا الحديث الشريف الدلالة الواضحة على أن لزوم الثلاث كان أمرا متقررا عندهم وأن هذه القصة من عويمر ﷺ قد وقعت بعد تحديد الطلاق بالثلاث، ونزول قوله تعالى ﴿ الطلاق مرتان ﴾ وأن عويمرا ﷺ كان يعتقد أن اللعان لا يكفي في التفريق، وأنها بعده لا تزال امرأته، وأن الواحدة والاثنتين لا تكفي في إبانتها البينونة الكبرى التي يريدها، فطلقها الثلاث لتحصيل هذه البينونة، وكان ذلك مع الناس في المسجد بعد العصر، وكان الناس معه على هذا الاعتقاد. والنبي ﷺ شاهد، ولم يكن رسول الله ﷺ ليترك عويمرا والحاضرين ليعتقدوا أن الطلاق الثالث المجموع يفيد البينونة الكبرى لو كان هذا الاعتقاد خطأ، بل جاء في هذه القصة في سنن أبي داود بسنده عن سهل بن سعد في هذا الخبر. قال « فطلقها ثلاث تطليقات عند رسول الله ﷺ ، فأنفذه رسول الله ﷺ » ... إلى أن قال: « قال سهل: حضرت هذا عند رسول الله ﷺ ، فمضت السنة بعد في المتلاعنين أن يفرق بينهما ثم لا يجتمعان أبدا ». فانظر إلى هذه الزيادة الصريحة الصحيحة عند أبي داود،وهي قوله « فأنفذه رسول الله ﷺ » .

[٢] وقال البخاري أيضاً في هذا الباب « حدثني محمد بن بشار حدثنا يحيى عن عبيد الله قال: حدثني القاسم بن محمد عن عائشة أن رجلا طلق امرأة ثلاثا فتزوجت فطلق، فسئل النبي ﷺ: « أتحل للأول؟ قال: لا، حتى يذوق عسيلتها كما ذاقت الأول» فلم يسأل رسول الله ﷺ - فداه أرواحنا- عن الطلاق الثلاث أكان مفرقا أو مجموعا، بل أفتى كما ترى بأنها لا تحل للأول الذي طلق ثلاثا إلا بعد ذوق العسيلة من الثاني. ولو كان المجموع لا يلزم به إلا طلقة واحدة رجعية كما يقول أولئك الجاهلون، لما ترك رسول الله ﷺ الاستفسار عن كيفية طلاق هذا المطلق الأول، فلما لم يستفسر- ﷺ- السائل علم قطعا أنه لا فرق في لزوم الثلاث بين مجموعة ومفرقة، وقد ذكر البخاري ﷺ في هذا الباب بين هذين الحديثين حديث قصة امرأة رفاعة القرظي- بضم القاف=

= وفتح الراء- وأنها قالت لرسول الله ﷺ : إن زوجها طلقها فبت طلاقها. وكان هذا الطلاق من رفاعة آخر ثلاث تطليقات كما رواه البخاري نفسه بهذا اللفظ، في كتاب الأدب من صحيحه، ليشير إلى هذا المعنى الذي قلناه، وهو أنه لا فرق في لزوم الثلاث بين المجموع والمفرق منه، وهو اتفاق بين علماء الأمة من محققي أهل السنة وليشير به إلى شيء آخر، وهو أنه لا معصية في إيقاع الطلاق مجموعا من حيث الجمع، كما لا معصية في إيقاعه مفرقا، وهو الرأى الذي ترجم له، وعليه الإمام الشافعي ومن وافقه.

[٣] وقال الإمام مسلم بن الحجاج النيسابوري في صحيحه قبل كتاب الرضاع بأبواب: حدثنا محمد بن العلاء الهمداني حدثنا أبو أسامة عن هشام عن أبيه عن عائشة، « أن رسول الله ﷺ سئل عن المرأة يتزوجها الرجل فيطلقها فتزوج رجلا فيطلقها قبل أن يدخل بها، أتحل لزوجها الأول؟ قال: لا، حتى يذوق عسيلتها » ثم ذكره من طريقين إلى هشام بن عروة. ثم قال: حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة حدثنا على بن مسهر عن عبيد الله بن عمر عن القاسم بن محمد عن عائشة قالت طلق رجل امرأته ثلاثا فتزوجها رجل ثم طلقها قبل أن يدخل بها فأراد زوجها الأول أن يتزوجها فسئل رسول الله ﷺ عن ذلك، فقال: لا، حتى يذوق الآخر من عسيلتها ما ذاق الأول ... » ثم ذكر بقية طرق الحديث.

فتأمل – رعاك الله – هل قال رسول الله ﷺ للسائلين: هل كانت طلقة ثالثة حتى لا تحل له إلا بعد زوج؟ أو كانت الثلاثة مجموعة حتى تكون طلقة واحدة رجعية؟ كما يقول أولئك الزائغون. أفلا يكون في ترك سؤال الرسول عليه الصلاة والسلام عن ذلك أبين البيان للأمة جمعاء أنه لا فرق في لزوم الثلاث بين المجموع في دفعة واحدة وبين المفرق على مرات.

[٤] وقال الإمام أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي. المتوفى سنة بضع وثلاثمائة في سننه «باب إحلال المطلقة ثلاثا والنكاح الذي يحلها به » آخر هذا الباب.

أخبرنا محمود بن غيلان. قال حدثنا وكيع، قال حدثنا سفيان عن علقمة بن مرثد عن رزين بن سليمان الأحمري عن ابن عمر قال سئل النبي ﷺ عن الرجل يطلق امرأته ثلاثا فيتزوجها الرجل، فيغلق الباب، ويرخي الستر، ثم يطلقها قبل أن يدخل بها، قال: « لا تحل للأول حتى يجامعها=

= الآخر » قال أبو عبد الرحمن: وهذا أولى بالصواب » .

قال محشيه المحقق السندي: « أي من الذي قبله كما في الكبرى » - يعني كتاب السنن الكبرى للنسائي أيضاً- وقد تابع رزينا سعيد بن المسيب التابعي الثقة بالاتفاق، فاغتفرت الجهالة في رزين، فإن النسائي رواه عن عمرو بن على عن محمد بن جعفر عن شعبة عن علقمة بن مرثد عن سلم بن زرير، وسلم وثقه ابن أبي حاتم وغيره عن سالم بن عبد الله عن سعيد بن المسيب عن ابن عمر عن النبي ﷺ في الرجل تكون له المرأة فيطلقها ... الحديث، و لم يقل ثلاثا، فكأن النسائي إنما ساق حديث رزين لقوله فيه ثلاثا، وقال: إنه اولى بالصواب، وهو كما قال ﷺ ، فإنه لو كان الطلاق دون الثلاث لم يحتج في رجوعها إلى الأول إلى ذوق العسيلة.

[٥] وروى الإمام النسائي أيضاً بسند كل رجاله ثقات عن محمود بن لبيد قال:

« أخبر رسول الله ﷺ عن رجل طلق امرأته ثلاث تطليقات جميعا فقام غضبان، ثم قال: أيلعب بكتاب الله وأنا بين أظهركم؟ حتى قام رجل وقال: يا رسول الله ألا أقتله؟ » ومعنى هذا الحديث أنه أمضى عليه الثلاث وألزمه إياها، وأن السائل كان يريد الإذن في مراجعتها. وكتاب الله بين في أن المطلقة ثلاثا لا تحل لمطلقها إلا بعد زوج، فطلب المراجعة بل الميل إليها يعد لعبا، أو كاللعب بكتاب الله تعالى، ومن أجل ذلك اشتد عليه غضب الرسول ﷺ وقال: « أيلعب بكتاب الله وأنا بين أظهركم؟ » و لم يأمره بمراجعتها كما فعل عليه الصلاة والسلام مع ابن عمر حين طلق امرأته في الحيض تطليقة واحدة، فإنه عليه الصلاة والسلام مع تغيظه على ابن عمر كما رواه البخاري ومسلم وغيرهما، أمره بمراجعتها، وهذا ظاهر جدا، إذ لو كان له مراجعتها بعد هذا الطلاق الثلاث المجموع لأمره بالمراجعة، ولمن يقول: بأن جمع الثلاث معصية أن يحتج بغضبه ﷺ في هذه الحادثة، على أن جمع الثلاث معصية مع إلزامه إياها.

وعلى كل تقدير فلم يذكر في هذا الحديث أمره عليه الصلاة والسلام له بالمراجعة، ولو كان لنقل كما نقل أمره لابن عمر بالمراجعة . قال العلامة الفقيه المحدث الشيخ محمد بن الخضر بن مايابى الجكني نسبا الشنقيطي إقليما، في كتابه (لزوم الطلاق الثلاث دفعه، بما لا يستطيع العالم دفعه): بعد احتجاجه بهذا الحديث وبيان معناه. قال ﷺ : « وهذا الحديث لاشيء أصرح منه في=

= لزوم الثلاث دفعة، وإمضاء النبي ﷺ ذلك بديهي من قوله: « أيلعب بكتاب الله؟ » لأن اللاعب بكتاب الله لا حيلة له عنده، مع ما ظهر فيه من الغضب، وطلب الصحابي قتله » .

[٦] وأخرج البيهقي في سننه، والطبراني والدارقطني بإسنادين صحح أحدهما عن سويد بن غفلة قال: « كانت عائشة الخثعمية عند الحسن بن علي بن أبي طالب ﷺ : فلما مات علي قالت له: لتهنك الإمارة أو الخلافة فقال الحسن ﷺ يقتل علي وتظهرين الشماته؟ اذهبي فأنت طالق ثلاثا. قال فتلفعت نساجها وقعدت حتى انقضت عدتها وبعث إليها بعشرة آلاف متعة، وبقية بقيت لها من صداقها. فقالت: متاع قليل من حبيب مفارق: فلما بلغه قولها بكى وقال: لولا أني سمعت جدي، أو حدثني أبي أنه سمع جدي يقول عليه وعلى آله الصلاة والسلام: « أيما رجل طلق امرأته ثلاثا مبهمة أو ثلاثا عند الأقراء لم تحل له حتى تنكح زوجا غيره» لراجعتها، وفي الرواية الأخرى بلفظ « أو طلقها ثلاثا جميعا لم تحل له ... إلخ » فيكون في هذه الرواية التفسير للمبهمة في قوله ثلاثا مبهمة، قال الحافظ ابن رجب الحنبلي في كتابه « بيان مشكل الأحاديث الواردة، في أن الطلاق الثلاث واحدة » بعد أن ساق هذا الحديث، وإسناده صحيح ولا نص في المسألة أبين من هذا كما لا يخفى » .

[٧] وأخرج الطبراني عن عبادة بن الصامت عن النبي ﷺ « أنه أخبر برجل طلق ألفا فقال: أما ثلاث فله، وأما تسعمائة وسبع وتسعون فعدوان وظلم إن شاء الله عذبه، وإن شاء غفر له » ومثله في مسند عبد الرزاق عن جد عبادة إلا أن فيه عللا ونحن بحمد الله في غنية عنه.

[٨] وأخرج الإمام الحافظ أبو الحسن علي بن عمر الدارقطني المتوفى سنة خمس وثمانين وثلاثمائة ببغداد في سننه قال: « أخبرنا علي بن محمد بن عبيد الحافظ أخبرنا محمد بن شاذان الجوهري » أخبرنا معلى بن منصور، وأخبرنا شعيب بن رزيق أن عطاء الخراساني حدثهم عن الحسن قال أخبرنا عبد الله بن عمر أنه طلق امرأته تطليقة وهي حائض ثم أراد أن يتبعها بتطليقتين أخريين عند القرءين ، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فقال: « يا ابن عمر ما هكذا أمرك الله، إنك قد أخطأت السنة، والسنة أن تستقبل الطهر فتطلق لكل قرء (يعني تطليقة) قال فأمرني رسول الله ﷺ فراجعتها. ثم قال: إذا هي طهرت فطلق عند ذلك أو أمسك، فقلت: يا رسول الله أرأيت لو أني=

= طلقتها ثلاثا أكان يحل لي أن أراجعها؟ قال لا. كانت تبين منك وتكون معصية» وأخرجه الطبراني قال «حدثنا علي بن سعيد الرازي حدثنا يحيى بن عثمان بن سعيد بن كثير الحمصي، حدثنا أبي، حدثنا شعيب بن رزيق قال حدثنا الحسن. حدثنا عبد الله بن عمر» الحديث. وكلا السندين جيد، وما طعن به الشذاذ مدفوع وتعليلهم ساقط، فشيخ الدارقطني حافظ معروف ثقة،كما قال الخطيب، ومحمد بن شاذان ثقة مأمون كما ذكره الخطيب أيضا، ومعلى بن منصور روى عنه الجماعة وقال فيه يعقوب بن أبي شيبة: متقن فقيه مأمون ثقة فيما تفرد به، فما ظنك به إذا شورك، وترك أحمد له لا يضره فإنه لم يرمه بالوهم في الحديث، ولا بالكذب فيه ، بل قال «كان يكتب الشروط ومن كتبها لم يخل من أن يكذب» وهو كما ترى سوء ظن لا يعتبر قادحا في شخص معين عند الإنصاف، ولذلك روى له الجماعة كلهم كما نقلناه لك عن الخلاصة وقد تابعه عثمان بن سعيد بن كثير في سند الطبراني، وعثمان بن سعيد هذا قال في الخلاصة وثقه أحمد وابن معين، وكل منهما رواه عن شعيب ابن رزيق،وشعيب وثقه الدارقطني وابن حبان وقد روى شعيب هذا الحديث عن عطاء الخراساني مرة، وعطاء وثقه ابن معين وابن أبي حاتم وهو من رجال مسلم والأربعة، وما يرمى به من الوهم في بعض حديثه يزول بمتابعة شعيب بن رزيق له في روايته عن الحسن، فيكون شعيب قد سمعه من الحسن بعد ما سمعه من عطاء، وقد ثبت سماعه منهما جميعا، قيل لأبي زرعة: هل لقى الحسن ابن عمر؟ قال: نعم. وأما شيخ الطبراني علي ابن سعيد فموثق، قال في مجمع الزوائد: علي بن سعيد الرازي قال الدراقطني ليس بذاك وعظمه غيره. وكذلك يحي بن عثمان وثقه النسائي وقول ابن عمر ﷺ وعن أبيه في هذا الحديث: قلت يا رسول الله (أرأيت لو طلقتها إلخ) زيادة ثقة غير مخالفة فهي مقبولة، و لم ينفرد بها عطاء بل تابعه شعيب بن رزيق كما سبق. قال العلامة المحدث الشيخ محمد زاهد الكوثري « والحاصل أن هذا الحديث لن ينزل عن مرتبة الاحتجاج مهما احتوشت حوله شياطين الشذوذ » . وبعد: فهذا الحديث الشريف صريح في لزوم الثلاث مع كونه معصية، وأن كونه معصية لا يمنع من لزومه.

[٩] ومن أصرح أدلة السنة وأوضحها وأصحها على وقوع الثلاث بكلمة واحدة، حديث ركانة بن عبد يزيد الصحابي ابن الصحابي رضي الله عنهما في طلاقه امرأته ألبتة، فقد رواه الإمام=

= الأجل مولانا أبو عبد الله محمد بن إدريس الشافعي وهو من هو إتقانا ومعرفة وخبرة بالرواية وأحوال الرواة، وصححه، فإنه قد احتج به في كتابه (الأم) في بابين وكلاهما في الجزء الخامس قال ﷺ في الاستدلال على أن ألبتة في الطلاق قد ينوي بها الثلاث فيلزمه ما نوى قلنا الدليل عن رسول الله ﷺ : « أخبرنا عمى محمد بن علي بن شافع عن عبد الله بن علي بن السائب عن نافع بن عجير بن عبد يزيد أن ركانة بن عبد يزيد طلق امرأته سهيمة المزنية ألبتة، ثم أتى إلى النبي ﷺ فقال إني طلقت امرأتي سهيمة ألبتة، والله ما أردت إلا واحده، فقال النبي ﷺ لركانة: والله ما أردت إلا واحدة؟ فقال ركانة. والله ما أردت إلا واحدة. فردها إليه ﷺ ، فطلقها الثانية في زمان عمر، والثالثة في زمان عثمان رضي الله عنهما» ثم قال ﷺ بعد نحو خمس وخمسين ورقة (الحجة في ألبتة وما أشبهها) ثم ساق هذا الحديث الشريف بنفس هذا السند. ثم ذكر سندا آخر في الكلام على تحريم إتيان النساء في أدبارهن، ثم ذكر حديثا عن عمه محمد بن علي عن عبد الله بن علي بن السائب، فسأله السائل فقال ﷺ : « عمي ثقة وعبد الله بن علي ثقة» أ.هـ. فقد احتج بهذا السند في مسألة ألبتة فهو سند لا مطعن فيه عنده وكفى بهذا الإمام الأجل حجة في التصحيح. ونافع بن عجير قد وثقه ابن حبان بل ذكره البغوي في الصحابة كما في الإصابة فإن لم يكن ذلك ثابتا فإنه من كبار التابعين ويكفي في مثله ألا يذكر بجرح كما لا يخفى على أهل هذا الفن فرجال السند كلهم معروفون فمن رماهم بالجهالة من أهل البدع أو المتسرعين في النقد، فهو الجاهل ورواه الإمام الحافظ أبو داود سليمان ابن الأشعث السجستاني في سننه في عدة رجال عن الشافعي بسنده وسكت عليه فكان ذلك تصحيحا منه لهذا الحديث من جهة لهذا السند فإن قاعدته في السنن أن ما رواه وسكت عليه فهو محتج به. ثم رواه بسند آخر عن الزبير بن سعيد عن عبد الله بن علي بن يزيد بن ركانة عن أبيه عن جده « أنه طلق امرأته ألبتة فأتى رسول الله ﷺ فقال: «ما أردت؟ قال واحدة قال: آلله؟ قال: آلله، قال هو على ما أردت» ؛ والزبير ضعيف ومع ذلك فإنه قال « وهذا أصح من حديث ابن جريج أن ركانة طلق امرأته ثلاثا، لأنهم أهل بيته وهم أعلم به»» وحديث ابن جريج رواه عن بعض بني أبي رافع عن عكرمة عن ابن عباس، فهذا من أبي داود إسقاط لحديث ابن جريج عن رتبة الاحتجاج به، وتصحيح منه لحديث الزبير بن سعيد. وقوله=

= في السند (عن جده) الضمير عائد علي فإن علي بن يزيد يحدث عن جده ركانة، وركانة صاحب القصة لا يزيد، وصححه كذلك ابن ماجه قال: « باب طلاق ألبتة، حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة وعلى بن محمد قالا، حدثنا وكيع عن جرير بن حازم عن الزبير بن سعيد به» كأبي داود سندا ومتنا. ثم قال سمعت أبا الحسن علي بن محمد الطنافسي يقول: ما أشرف هذا الحديث قلت: وعلى هذا هو أحد شيخي ابن ماجه في هذا السند قال فيه الذهبي في التذكرة «هو الحافظ الثبت محدث قزوين وعالمها. قال أبو حاتم: ثقة صدوق» فهو تصحيح من هذا الحبر لهذا الحديث أيضاً، وإن كان من رواية الزبير ابن سعيد « فلا بدع في ذلك، فإن حديث الشافعي الصحيح من رواية ابن السائب شاهد له، ورواه الترمذي عن هناد بن السري عن قبيصة عن جرير بن حازم عن الزبير بن سعيد به كذلك ثم قال « وسألت عنه محمد ابن إسماعيل، يعني البخاري، فقال إنه يضطرب فيه، تارة قيل فيه ثلاث وتارة قيل فيه واحدة » أ.هـ.

وظن الجاهلون المتعسفون أن مجرد هذا الكلام يسقط الاحتجاج بهذا الحديث، وفاتهم أن هذا الاضطراب إنما هو عند عدم التحقيق وبيان ذلك أن الاضطراب القادح هو ما لا يمكن الجواب عنه، إذ الحديث المضطرب ما وقع الاختلاف في متنه أو سنده أو كليهما مع تساوي الروايتين وتعذر الجمع، وحديث ألبتة ليس من هذا القبيل كما سنقف عليه في مناقشاتنا معهم فيما تشبثوا به من السنة الشريفة.

وصحح هذا الحديث أيضاً ابن حبان والحاكم والدارقطني وأخرجه عن أبي بكر النيسابوري عن الربيع بن سليمان عن الشافعي. وساقه بسنده ومتنه المتقدم عنهﷺ « وعن محمد بن يحيى بن مرداس قال أنبأنا أبو داود السجستاني أخبرنا أحمد بن عمرو بن السرح وأبو ثور إبراهيم بن خالد الكلبي وآخرون قالوا أنبأنا الشافعي، وساقه بسنده ومتنه ثم قال: قال أبو داود وهذا حديث صحيح» ثم ساقه من طريق آخر عن محمد بن إدريس بهذا ثم ساقه من طريقين عن جرير بن حازم عن الزبير بن سعيد عن عبد الله بن علي بن يزيد بن ركانة عن أبيه عن جده. وقال: غير أن أبا نضر لم يقل: ابن يزيد بن ركانة. ثم ساقه من طريقين عن عبد الله بن المبارك عن الزبير بن سعيد، وقال في أولاهما: أخبرني عبد الله بن علي بن يزيد بن ركانة قال كان جدي ركانة بن=

=عبد يزيد طلق امرأته ألبتة فأتى رسول الله ﷺ فقال إني طلقت امرأتي ألبتة، فقال: ما أردت؟ فقال: أردت واحدة، قال آلله؟ قال الله، قال فهي واحدة، وقال في أخراهما: عن الزبير بن سعيد عن عبد الله بن علي ابن السائب عن جده ركانة بن عبد يزيد أنه طلق امرأته بنحوه.

فاستبان من هذه الطرق أن للزبير بن سعيد فيه شيخين هما عبد الله ابن علي بن يزيد، وعبد الله بن علي بن السائب، أحد شيوخ إسناد الشافعي وأنه يرويه عن الزبير شيخان هما جرير بن حازم، وعبد الله بن المبارك، ويعلم من رواية الزبير بن سعيد للحديث على نحو ما رواه الشافعي أن الزبير وإن كان ضعيفاً قد أجاد حفظ هذا الحديث، ومن ثم صححه أئمة هذا الشأن، وقال الشيخ أبو الطيب في كتابه التعليق المغنى على سنن الدراقطني « قال ابن كثير لكن قد رواه أبو داود من وجه آخر وله طرق أخر فهو حسن إن شاء الله تعالى» أهـ. وهذا الشيخ ممن يرى هذا الرأي الباطل المبتدع، ويقول في بعض هذا التعليق: إنه هو الحق عندي وهي زلة من عالم تتقى، عفا الله عنا وعنه.

[١٠] ومن أدلة السنة على مذهب أهل الحق ما ثبت عن أنس بن مالك ﷺ « أن رسول الله ﷺ سئل عن رجل كانت تحته امرأة فطلقها ثلاثا فتزوجها بعده رجل فطلقها قبل أن يدخل بها- وفي رواية – فمات عنها قبل أن يدخل بها أتحل لزوجها الأول؟ فقال رسول الله ﷺ : لا حتى يذوق الآخر ما ذاق الأول من عسيلتها وذاقت من عسيلته» قال في مجمع الزوائد، رواه أحمد والبزار وأبو يعلى والطبراني في الأوسط ورجاله رجال الصحيح إلا محمد ابن دينار، وقد وثقه أبو حاتم وأبو زرعة وابن حبان وفيه كلام لا يضر » .

[١١] ومن الأدلة ما في المجمع أيضاً، عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال: « المطلقة ثلاثا لا تحل لزوجها الأول حتى تنكح زوجا غيره. ويخالطها ويذوق من عسيلتها» . رواه الطبراني وأبو يعلى إلا أنه قال بمثل حديث عائشة، وهو نحو هذا ورجال أبي يعلى رجال الصحيح.

[١٢] ومنها ما أخرج أبو داود في السنن قال (باب نسخ المراجعة بعد التطليقات الثلاث) ثم ذكر بسنده عن عكرمة عن ابن عباس قال ﷺ : (والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء) الآية. وذلك أن الرجل كان إذا طلق امرأته، فهو أحق برجعتها وإن طلقها ثلاثا فنسخ ذلك، وقال: (الطلاق مرتان). =

= فهذه اثنا عشر حديثاً، جلها صحاح، وبعضها حسن، مرفوعة إلى رسول الله ﷺ: تنادي بأن الحق المنزل من السماء أن من جمع الطلقات الثلاث فهي ثلاث لا تحل لمطلقها إلا بعد زوج: يرويها تسعة من أصحاب رسول الله ﷺ : سهل بن سعد الساعدي، وعبادة بن الصامت، وأم المؤمنين عائشة، وابن عمر، وابن عباس، وأنس ابن مالك، وعلي أو ابنه الحسن، ومحمود بن لبيد، وركانة . رضي الله عنهم أجمعين. فماذا بعد الحق إلا الضلال ؟ !! » أ.هـ ص٣٧-٥٠. من (البراهين الساطعة).

قلت: والأحاديث التالية مما استدل به الإمام العزامي صريحة قاطعة الدلالة على المطلوب:

الحديث الأول (حديث عويمر).

الحديث الخامس (حديث محمود بن لبيد: أيلعب بكتاب الله ..).

الحديث السادس (حديث الحسن بن علي).

الحديث الثامن (حديث ابن عمر: أرأيت لو أني طلقتها ثلاثا ..).

الحديث التاسع (حديث ركانة: والله ما أردت إلا واحدة ؟).

أما مجموعة الأحاديث: الثاني والثالث والرابع والعاشر والحادي عشر والثاني عشر وهي الأحاديث التي سُئل فيها رسول الله ﷺ عن المطلق ثلاثا فأجاب بأن المطلقة لا تحل له حتى تنكح زوجا غيره ويذوق عسيلتها... **بدون أن يسأل رسول الله ﷺ أكانت الطلقات الثلاث مجموعة أو مفرقة فهي دالة على أن الحكم عام يشمل هذا وذاك فكما يقول علماء الأصول (ترك الاستفسار في عموم الأحوال منزل منزلة عموم المقال) فهذه الأحاديث تثبت عموم الحكم ودلالة العام على أفراده مع وجود القرائن قطعية بلا خلاف.**

أما الحديث السابع (حديث عبادة ابن الصامت فيمن طلق ألفا) فهو ضعيف السند ومعناه صحيح قد ورد مثله موقوفا عن جمع من الصحابة كما هو مبين في كتب السنة.

دليل الإجماع

يقول الإمام سلامة العزامي في كتابه (البراهين الساطعة):

اعلم فقهك الله أنه لم يحفظ عن صحابي واحد بعد إعلان عمر لحكم الله في هذه المسألة أنه=

= خالف عمر فأفتى بأن الثلاث واحدة، ولا احتج عليه بحديث ولا آية، وإنما المحفوظ عن أكابر الصحابة والمجتهدين منهم في عهد عمر وبعده الفتوى بلزوم الثلاث لمن جمعها في كلمة صريحة أو محتملة لها، وأراد الثلاثة. فقد صح نقل هذه الفتيا عن عمر، وعثمان ، وعلى والعبادلة الأربعة: ابن عباس، وابن مسعود، وابن عمرو، وان عمر، وزيد بن ثابت وأبي هريرة وعباد\ة بن الصامت، وأنس بن مالك، وعائشة وغيرهم رضي الله عنهم، وليس لهم مخالف، ولا منهم منكر على من أفتى بذلك، ولم يقل الواحد منهم حين أفتى: إن ذلك هو رأى عمر، أو أفتيت اقتداء بعمر، أو جريا على حكم عمر، كما ستسمعه في كلامهم رضي الله عنهم، وهل الإجماع إلا ذلك؟ وسأسرد لك من فتاواهم ما تطمئن به إلى ما قلنا.

وذكر ﷺ نقولا عن بعض الصحابة الذين ذكرهم إلى أن قال:

وأخرج الطحاوي بسنده في شرح (معاني الآثار) عن مالك بن الحارث قال « جاء رجل إلى ابن عباس فقال: إن عمى طلق امرأته ثلاثا فقال إن عمك عصى الله فأثمه الله وأطاع الشيطان فلم يجعل له مخرجا. فقلت كيف ترى في رجل يحلها له، فقال من يخادع الله يخادعه » .أهـ. وأخرج أبو داود بسنده عند مجاهد قال « كنت عند ابن عباس فجاء رجل فقال إنه طلق امرأته ثلاثا قال فسكت حتى ظننت أنه رادها إليه، ثم قال ينطلق أحدكم فيركب الحموقة ثم يقول يا ابن عباس يا ابن عباس وإن الله قال (ومن يتق الله يجعل له مخرجا) وإنك لم تتق الله فلم أجد لك مخرجا؛ عصيت ربك، وبانت منك امرأتك، وإن الله قال ﴿ يا أيها النبي إذا طلقتم النساء فطلقوهن ﴾ في قبل عدتهن» وذكر أبو داود رواية هذا الحديث من طريق سعيد بن جبير، وعطاء، ومالك بن الحارث، وعمرو بن دينار كلهم قالوا عن ابن عباس في الطلاق الثلاث. أجازها قال وبانت منك»أهـ فتأمل، هل قال ابن عباس في فتواه هكذا رأى أمير المؤمنين عمر خارجا على ما كان في عهد الرسول والخليفة بعده فلهذا نفتي؟ أم تراه ما استند إلا إلى كتاب الله، ولا اعتبر من يخالف هذه الفتوى فيجعلها طلاقا رجعيا إلا مخادعا لله، كما قال تعالى: ﴿ إن المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم ﴾ فابن عباس ﷺ يرى الفتوى بحل المطلقة ثلاثا بدون زوج خروجا على الله وكتابه، لا على عمر ورأيه، أفيكون بعد هذا شك لباحث منصف ومنقب عن الحق غير مصاب بالهوى، أن عمر حين أمضى الثلاث على من جمعها ما كان إلا ممضيا لحكم الله ورسوله الذي كان قد خفي=

= على من جعلها واحدة من ناس قليلين لم يكن بلغهم الناسخ. وأن حديث ابن عباس « كان الطلاق الثلاث واحداً على عهد رسول الله ﷺ ، إلخ » ليس على الظاهر الذي به فاهوا، وفيه وهموا، وإنما هو على المعنى الذي قرره العلماء وله فهموا: أن ذلك كان من قليل لم يبلغهم الناسخ، ولم يعلمه الرسول ﷺ . « ولا الخليفة بعده ولا الخليفة الثاني إلا بعد سنتين أو ثلاث. فاعلم ذلك وتأكده، ولا تتبع سبيل الذين لا يعلمون» .

إلى أن قال: « فهؤلاء ثلاثة عشر صحابيا: الخلفاء الثلاثة. والعبادلة الأربعة وأم المؤمنين عائشة وأبو هريرة وأنس بن مالك والمغيرة بن شعبة، وعبادة وعمران بن حصين، وغيرهم ممن لم نذكره اختصارا على أن الثلاثة المجموعة في كلمة واحدة أو مجلس واحد تقع ثلاثا، ولا يعرف لهم مخالف، ومن نقل عنهم أو عن واحد منهم خلاف ذلك في المطلقة ثلاثا بعد الدخول فقد افترى.

قال الحافظ في الفتح: فالذي وقع في هذه المسألة نظير ما وقع في مسألة المتعة- وذكر حديثها- ثم قال: فالراجح في الموضعين تحريم المتعة، وإيقاع الثلاث للإجماع الذي انعقد في عهد عمر على ذلك ولا يحفظ أن أحدا في عهد عمر خالفه في واحدة منهما، وقد دل إجماعهم على وجود ناسخ وإن كان خفي على بعضهم قبل ذلك حتى ظهر لجميعهم في عهد عمر فالمخالف بعد هذا الإجماع منابذ له. والجمهور على عدم اعتبار من أحدث اختلاف بعد الاتفاق » اهـ.

قال الحافظ زين الدين عبد الرحمن بن رجب الحنبلي في كتابه السابق ذكره « اعلم أنه لم يثبت عن أحد من الصحابة ولا من التابعين ولا من أئمة السلف المعتد بقولهم في الفتاوى في الحلال والحرام شيء صريح في أن الطلاق الثلاث بعد الدخول يحسب واحدة إذا سيق بلفظ واحد، قال ولا نعلم من الأمة أحداً خالف في هذه المسألة مخالفة ظاهرة، لا حكما ولا قضاء، ولا علما ولا إفتاء، ولم يقع ذلك إلا من نفر يسير جداً وقد أنكره عليهم من عاصرهم غاية الإنكار، وكان أكثرهم يستخفي بذلك ولا يظهره، فكيف يكون إجماع الأمة على إخفاء دين الله الذي شرعه على لسان رسوله، واتباع اجتهاد من خالفه برأيه في ذلك. هذا لا يحل اعتقاده ألبتة » اهـ.

قال العلامة المحقق الكوثري عقب هذا: « ولعله ظهر بهذا البيان أن إمضاء عمر للثلاث حكم شرعي مستمد من الكتاب والسنة، مقارن لإجماع فقهاء الصحابة فضلا عن التابعين ومن=

= بعدهم وليس بعقوبة سياسية ضد حكم شرعي، فالخارج على إمضاء عمر خارج على ذلك كله»أهـ.

وقال ابن عبد البر في الاستذكار بعد ما حكى إجماع الصحابة « وعلى ذلك جماعات التابعين وأئمة الفتوى في أمصار المسلمين .. إلى أن قال: وما أعلم أحداً من أهل السنة قال بغير هذا إلا الحجاج بن أرطاة ومحمد ابن إسحاق، وكلاهما ليس بفقيه ولا حجة فيما قاله. ونقل عن بعض أصحاب داود عنه أنه قال: ليس الحجاج بن أرطاة ومن قال بقوله من الرافضة ممن يعترض به على الإجماع لأنه ليس من أهل الفقه. قال و لم يختلف أصحاب داود عنه في أنه قائل بوقوعها مجتمعات » اهـ.

وقال الفقيه المحقق الكمال بن الهمام في شرح الهداية بعد ما نقل نحو ما سبق عن الصحابة: وقول بعض الحنابلة القائلين بهذا المذهب- يعني ابن تيمية- توفى رسول الله ﷺ عن مائة ألف عين رأته فهل صح لكم عن هؤلاء أو عن عشر عشر عشرهم القول بلزوم الثلاث بفم؟ بل لوجهدتم لم تطيقوا نقله عن عشرين نفسا- باطل: أما أولا: فإجماعهم ظاهر فإنه لم ينقل عن أحد منهم أنه خالف عمر ﷺ حين أمضى الثلاث. وليس يلزم في نقل الحكم الإجماعي عن مائة ألف أن يسمى كل ليلزم في مجلد كبير حكم واحد. على أنه إجماع سكوتي. وأما ثانياً: فإن العبْرة في نقل الإجماع نقل ما عن المجتهدين لا العوام، والمائة الألف الذين توفى عنهم رسول الله ﷺ لا تبلغ عدة المجتهدين الفقهاء منهم أكثر من عشرين كالخلفاء والعبادلة وزيد بن ثابت ومعاذ بن جبل وأنس وأبي هريرة رضي الله عنهم وقليل. والباقون يرجعون إليهم ويستفتون منهم. وقد أثبتنا النقل عن أكثرهم صريحا بإيقاع الثلاث و لم يظهر لهم مخالف. فماذا بعد الحق إلا الضلال؟ وعن هذا قلنا لو حكم حاكم بأن الثلاث بفم واحد واحدة لم ينفذ حكمه؛ لأنه لا يسوغ الاجتهاد فيه فهو خلاف لا اختلاف » . أهـ. بنصه.

وقد خالف ابن تيمية وأتباعه كل هذه الأدلة التي يفيد مجموعها القطع بل بعضها قطعي الدلالة بمفرده، إستناداً إلى أحاديث أربعة:

الأول: حديث ابن عمر على رواية من روى أنه طلق امرأته ثلاثا وأنه ﷺ أمره برجعتها واحتسبت له واحدة وهو خطأ من بعض الرواة وقد مكث الإمام الحافظ الليث بن سعد عشرين سنة لا يعرف وجه الحديث حتى لقيه يونس بن جبير وكان ثقة حافظا مأمونا فحدثه أنها كانت=

= طلقة واحدة وكذلك رواه الثقات الأثبات عن ابن عمر ومن هنا قال الإمام مسلم في صحيحه «جوَّد الليث في قوله تطليقه واحدة » أ.هـ.

فرواية الثلاث في طلاق ابن عمر رواية ساقطة لا يحتج بها إلا جاهل أو معاند، والصحيح في هذه القصة هو الحديث الثامن في كلام الإمام العزامي.

الثاني: ما أخرجه الإمام أحمد عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: (طلق ركانة بن عبد يزيد امرأته ثلاثا في مجلس واحد فحزن عليها حزنا شديداً فسأله النبي ﷺ : كيف طلقتها؟ قال: ثلاثا في مجلس واحد، فقال النبي ﷺ : إنما تلك واحدة فارتجعها إن شئت، فارتجعها).

يقول الإمام العزامي: « والجواب الذي لا نشك فيه أن هذا غلط من بعض رواته فربما كان من ابن إسحاق في هذا الحديث وقد جوّده الإمام الشافعي ﷺ ورواه على الصواب وهو أن ركانة إنما طلق ألبتة .... الحديث وقد سبق لك مفصلا والشافعي ورجال سنده من أهل بيت ركانة وأهل بيت الرجل أعلم به » وتكلم عن سند هذه الرواية وأثبت ضعفها، ثم ذكر جوابا آخر يندفع به التعارض بينها وبين الرواية الصحيحة التي ذكرها الإمام الشافعي نقلا عن بعض أئمة الحديث والفقه (أنه طلقها ألبتة وأن الثلاث ذكر فيه على المعنى) ولفظ (الثلاث) لا يحتمل غير الثلاث بينما لفظ (ألبتة) يحتمل الثلاث والواحدة، لذا حلّفه رسول الله ﷺ أنه ما أراد إلا واحدة.

الثالث: ما رواه مسلم في صحيحه عن ابن طاوُس عن أبيه عن ابن عباس قال:« كان الطلاق على عهد رسول الله ﷺ وأبي بكر وسنتين من خلافة عمر طلاق الثلاث واحدة، فقال عمر بن الخطاب: إن الناس قد استعجلوا في أمر قد كانت لهم فيه أناة فلو أمضينا عليهم » .

وللعلماء أجوبة على هذا الحديث:

الجواب الأول: يقول الإمام سلامة العزامي:

« فكذلك ينبغي أن نفهم حديث ابن عباس هذا في أن من جعل الثلاث واحدة في عهد رسول الله ﷺ والعهدين بعده إنما هو عدد قليل لم يبلغهم نسخ المراجعة بعد الثلاث ، أو لم يفهموا شمول ذلك للمجموع كالمفرق، ففعلوا ما فعلوا عن غير علم من رسول الله ﷺ والخليفة بعده والعالمين بالناسخ، حتى تتابع الناس فاشتهر حتى بلغ أمير المؤمنين عمر فأعلن الناسخ وأنفذ حكم الله ورسوله ووافقه=

= مجتهدو عصره من الصحابة والتابعين ومن بعدهم من الأئمة المتبوعين رضي الله عنهم أجمعين » أ.هـ.

وضرب ﷺ أمثلة عديدة لم يبلغ فيها خبر النسخ بعضاً من الناس ومنها نكاح المتعة حتى تنبه لذلك أمير المؤمنين عمر ﷺ .

أجوبة أخرى: وقد أعله بعض العلماء بالاضطراب في السند والمتن وآخرون – منهم أحمد بن حنبل وطائفة من أئمة الحديث– حكموا عليه بالشذوذ.

وقد نقل الكوثري في (الإشفاق) عن الحسين بن علي الكرابيسي في (أدب القضاء) قال: «أخبرنا علي بن عبد الله– وهو ابن المديني– عن عبد الرزاق عن معمر عن ابن طاوس عن طاوس أنه قال: (من حدثك عن طاوس أنه كان يروي طلاق الثلاث واحدة فكذبه).

يقول الإمام العزامي تعليقا على هذا الخبر:

« قلت: وسند الكرابيسي في غاية الصحة، وطاوس هو الراوي لهذا الحديث عن ابن عباس، فيكون هذا الكلام من طاوس نفيا منه للمعنى الذي فهمه الشذاذ من هذا الحديث، وتأويلاً له بالمعنى الذي أسلفنا لك أو نحوه من الأجوبة التي ذكرها العلماء في تأويل هذا الحديث .. » إلى أن بين أن مقصود طاوس ﷺ أن ظاهر الحديث الذي يتبادر إلى الجاهل غير مراد.

وهناك حديث رابع رواه أبو داود عن ابن عباس رضي الله عنهما قال:

« طلق عبد يزيد أبو ركانة وإخوته أم ركانة... » إلى «فقال إني طلقتها ثلاثا يا رسول الله قال: قد علمت راجعها» وفي إسناد الحديث انقطاع يمنع الاستدلال به، كما أنه محمول في حالة ثبوته على أن هذه القصة كانت قبل أن تنسخ المراجعة بعد الثلاث ثم نسخ ذلك كما رواه أبو داود بسنده الصحيح عن ابن عباس « إن الرجل كان إذا طلق امرأته فهو أحق برجعتها وإن طلقها ثلاثا فنسخ ذلك. وقال (الطلاق مرتان).

ومن هذا يتضح أنه لا يوجد لهم دليل ولا شبهة دليل يعذرون به في تركهم لنصوص الكتاب والسنة القطعية أو في خروجهم على إجماع الأمة المعصومة وما جرُّوه على المجتمعات الإسلامية من مصائب.

وقد وقفت على مصنف له في ذلك وكان عند شخص شريف زيني[١]، وكان يرد الزوجة إلى زوجها في كل واقعة بخمسة دراهم، وإنما أطلعني عليه لأنه ظن أني منهم، فقلت له: يا هذا أتترك قول الإمام أحمد وقول بقية الأئمة بقول ابن تيمية؟ فقال: أشهد علي أني تبت وظهر لي أنه كذب في ذلك ولكن جرى على قاعدتهم في التستر والتقية. فنسأل الله تعالى العافية من المخادعة فإنها صفة أهل الدرك الأسفل من النار[٢].

ثم قبل الخوض[٣] في ذكر بعض ما وقع منه[٤] وانتقد عليه أنه يؤكد في بعض مصنفاته (٨٧/ب) كلام رجل من أهل الحق ويدس في غضونه شيئاً من معتقده الفاسد، فيجري عليه الغبي بمعرفة كلام أهل الحق فيهلك وقد هلك بسبب ذلك خلق.

وأعمق من ذلك أنه يذكر أن ذلك الرجل ذكر ذلك في الكتاب الفلاني وليس لذلك الكتاب حقيقة وإنما قصده بذلك انفضاض المجلس، ويؤكد قوله بأن يقول ما يبعد أن هذا الكتاب عند فلان، ويسمى شخصاً بعيد المسافة، كل ذلك خديعة ومكراً وتلبيساً[٥]، لأجل خلاص نفسه، ولا يحيق المكر السيء إلا بأهله. ولهذا لم يزل[٦] فيهم التعازير والضرب بالأسياط[٧]

---

(١) في ج: وكان شخص شريف. وكان يرد...

(٢) في ط: أهل الدرك الأسفل.

(٣) في ط: ثم اعلم قبل الخوض.

(٤) في ب–ج: فيه.

(٥) في ج–ط: ومكر وتلبيس.

(٦) في ج: لم تزل.

(٧) في ط: السياط.

والحبوس وقطع الأعناق، مع تكتمهم ما يعتقدونــه والمبالغة في التكتم حتى إنهم لا ينطقون بشيء من عقائدهم الخبيثة إلا في الأماكن الخفية بعد التحرز وغلق الأبواب والنطق بما هم عليه بالمخافتة، ويقولون إن للحيطان آذان.

ومن جملة مكرهم وتحيلهم أن الكبير منهم المشار إليه في هذه الخبائث له أتباع يظهرون له العلم والعظمة والتعبد والتعفف يخدعون بذلك أرباب الأموال لا سيما الغرباء فيدفع ذلك الغريب أو غيره[١] إلى ذلك الشيخ شيئاً فيأبى ويظهر التعفف فيزداد ذلك الرجل حرصاً (٨٨/أ) على الدفع فلا يأخذ منه إلا بعد جهد فيأخذها ذلك الخبيث ولا عليه[٢] من اطلاع الله تعالى علي خبث[٣] طويته، ويدفع بعضها إلى بعض أتباعه وإلى غيرهم خديعة ويتمتع[٤] هو وخواصه بالباقي، ولهم يد وقدرة على ذلك.

ومن جملة مكرهم من هذا النوع أن يكسو عشرة مساكين قمصانا أو غيرها ثم يقولون انظروا هذا الرجل كيف يجيئه الفتوح له فيؤثركم[٥] به أنتم وغيركم ويترك نفسه وعياله وأصدقاءه وهكذا كان السلف، ويكون قد أخذ أضعاف أضعاف ما دفع[٦] وكثير من الناس في غفلة من هذا[1].

---

(١) في ج: وغيره.

(٢) في ب: وإلا عليه. وهو خطأ.

(٣) في ب-ج: خبيث.

(٤) في ط: وإلى غيرهم ويتمتع.

(٥) في ط: الفتوح فيؤثركم بها.

(٦) في ط: أخذ أضعاف ما دفع.

---

(1) ونحن نؤكد أن ما ذكره الإمام الحصني من صفاتهم وكذا ما لم يشر إليه منها هي صفات ثابتة لهم ولسلفهم من أجيال الخوارج الأوائل ولخلفهم من جيل الخوارج الحالي كما حددها رسول الله ﷺ، وبقى من دلائل نبوته عليه السلام. انظر (المتطرفون) د. عمر كامل.

ولولا أن ذلك من جملة النصيحة لما ذكرته ولما تعرضت له وكان ما في[١] نفسي شاغل عن ذلك إلا أنه كما قال ابن عباس رضي الله عنهما بسبب نجدة الحروري المبتدع: (لولا أن أكتم علما لما كتبت إليه) يعني جواب ما كتب إليه بأن يعلمه مسائل، والقصة مشهورة حتى في صحيح مسلم[1]. وقال عليه الصلاة والسلام «من سئل عن علم فكتمه ألجم يوم القيامة بلجام من نار» رواه غير واحد من حديث أبي هريرة ﷺ منهم أبو داود وكذا الترمذي وحسنه والحاكم وصححه[2].

ثم إن كان المال المدفوع، (٨٨/ب) زكاة فلا تبرأ الذمة بدفعه إليهم لأنهم ليسوا من أهلها فليتنبه لذلك، فإنه قد يخفى مع ظهوره، ومن[٢] تشكك في ذلك وتلاعب الشيطان به فليأخذ[٣] بجانب الاحتياط فإنه طريق السلامة والله أعلم.

---

(١) في ب-ج: وكان لي في نفسي.

(٢) في ط: وقد.

(٣) في أ: فلنأخذ.

---

(1) انظر: صحيح مسلم كتاب الجهاد والسير – باب: النساء الغازيات يرضخ لهن ولا يسهم حديث رقم (١٨١٢)، سنن الترمذي كتاب السير – باب: من يعطي الفيء حديث رقم (١٥٥٦)، سنن أبي داود كتاب الجهاد – باب: المرأة والعبد يحذيان من الغنيمة حديثان رقمي (٢٧٢٧)، (٢٧٢٨).

(2) ووافق الذهبي الحاكم علي تصحيحه وصححه السيوطي في (الجامع الصغير) وذكر الحافظ البوصيري أن طريق أبي داود (حسن) وقد رواه غير هؤلاء من طرق عن عدد من الصحابة فهو صحيح بمجموع الطرق وانظر تخريجه في (المقاصد الحسنة) وغيره.

[ابن تيمية وأتباعه: خوارج لا حنابلة]

واعلم أني لو أردت أن أذكر ما هم عليه من التلبيسات والخديعة والمكر لكان لي في[١] ذلك مزيد وكثرة[٢]، وفيما ذكرته أنموذج ينبه بعضه على غيره، لا سيما من له أدنى فراسة وحسن نظر بموارد الشرع ومصادره التي أشار إليها رسول الله ﷺ وبعضها صرح به تصريحاً ظاهراً لا يخفى إلا على أكمه لا يعرف القمر.

في الصحيحين من حديث علي ﷺ قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «سيخرج قوم في آخر الزمان حدثاء الأسنان سفهاء الأحلام يقولون من خير قول البرية يقرءون القرآن لا يجاوز إيمانهم حناجرهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية فأينما لقيتموهم فاقتلوهم فإن في قتلهم أجراً لمن قتلهم عند الله يوم القيامة»[1].

وفي صحيح مسلم من حديث علي ﷺ قال سمعت النبي ﷺ يقول: «يخرج (٨٩/أ) قوم من أمتي يقرءون القرآن ليس قراءتكم إلى قراءتهم بشيء وليس صلاتكم إلى صلاتهم بشيء ولا صيامكم إلى صيامهم بشيء يقرءون

---

(١) في ج: لكان في ذلك.

(٢) في ب: مزيد. بدون (وكثرة).

---

(1) أخرجه البخاري في كتاب (المناقب) باب (علامات النبوة في الإسلام)، وفي كتاب (فضائل القرآن) وفي (استتابة المرتدين).

وأخرجه مسلم في كتاب (الزكاة) باب (التحريض على قتل الخوارج) وأخرجه كذلك النسائي وأبو داود.

القرآن يحسبون[١] أنه لهم وهو عليهم لا تجاوز صلاتهم تراقيهم يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية»[1].

وفي الصحيحين من حديث ابن عمر رضي الله عنهما[٢] قال سمعت

---

(١) في ج: ويحسبون.

(٢) في ط: عنه.

---

(1) أخرجه مسلم في (كتاب الزكاة) باب (التحريض على قتل الخوارج). تكرار ظهور الخوارج حتى خروج الدجال الأكبر.

ولا يظنن أحد أن الخوارج مجموعة من البشر سيظهرون مرة ويختفون أو أنهم الذين خرجوا على أمير المؤمنين على ﷺ فقط فعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «سيخرج أناس من أمتي من قبل المشرق يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم. كلما خرج منهم قرن قطع كلما خرج منهم قرن قطع حتى عدَّها زيادة على عشر مرات كلما خرج منهم قرن قطع حتى يخرج الدجال في بقيتهم» .

أخرجه الإمام أحمد في مسنده بإسناد حسن (المسند٢/١٩٨) ورواه من طريق آخر أيضاً عن عبد الله بن عمرو بإسناد حسن (المسند ٢/٢٠٩).

وعن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: « ينشأ نشئ يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم، كلما خرج قرن قطع » .

قال ابن عمر رضي الله عنهما سمعت رسول الله ﷺ يقول: « كلما خرج قرن قطع أكثر من عشرين مرة حتى يخرج في عراضهم الدجال » رواه ابن ماجة بإسناد حسن.

وبعد معركة النهروان وهزيمة الخوارج- لعنهم الله- سمع أمير المؤمنين على أحد ابنيه إما الحسن أو الحسين يقول: (الحمد لله الذي أراح أمة محمد ﷺ من هذا العصابة) فقال: (لو لم يبق من أمة محمد ﷺ إلا ثلاثة لكان أحدهم على رأي هؤلاء. إنهم لفي أصلاب الرجال وأرحام النساء). (مجمع الزوائد ٦/٢٤٥) وقال رواه الطبراني في الأوسط وفيه جماعة لم أعرفهم.

النبي[١] ﷺ يقول وهو على المنبر «ألا إن الفتنة [ههنا][٢] - يشير[٣] إلى المشرق - [من] حيث[٤] يطلع قرن الشيطان» وفي رواية «[ها] إن الفتنة ههنا» ثلاثاً وفي رواية «خرج رسول الله ﷺ من بيت عائشة رضي الله عنها فقال «رأس الكفر من ههنا[٥] من حيث يطلع قرن الشيطان»[1].

وهذا المبتدع[٦] من حران الشرق[2] بلدة لا يزال يخرج منها أهل البدع كجهم وغيره.

---

(١) في ج: رسول الله.
(٢) في أ،ب،ج:هنا، والتصحيح من البخاري ومسلم.
(٣) في ط: ويشير.
(٤) في ط: من حيث.
(٥) في ط: رأس الكفر ههنا.
(٦) في ج: وهذا الرجل.

---

(1) رواه البخاري: كتاب (بدء الخلق) باب (صفة إبليس وجنوده)، كتاب (الجهاد) باب (ما جاء في بيوت أزواج النبي ﷺ وما نسب إليهن من البيوت)، كتاب (الأنبياء) باب نسبة اليمن إلى إسماعيل)، كتاب (الطلاق) باب (الإشارة في الطلاق وفي الأمور)، كتاب (الفتن) باب (قول النبي ﷺ الفتنة من قبل المشرق).

رواه مسلم: كتاب (الفتن) باب (الفتنة من المشرق من حيث يطلع قرنا الشيطان).

ورواه أيضاً الإمام مالك في الموطأ والترمذي في سننه.

(2) فحدد ﷺ أنها جهات المشرق بوجه عام وحدد منها منطقة (نجد) المعروفة حاليا على وجه الخصوص، فقد أخرج البخاري عن ابن عمر ﷺ قال: ذكر النبي ﷺ : «اللهم بارك لنا في شامنا اللهم بارك لنا في يمننا » قالوا يا رسول الله: وفي نجدنا؟ قال: «اللهم بارك لنا في شامنا اللهم بارك لنا في يمننا » قالوا: يا رسول الله وفي نجدنا؟ فأظنه قال في الثالثة: «هناك الزلازل والفتن وبها يطلع قرن الشيطان » .

وهل بعد بيان رسول الله بيان؟! أو بعد تصريحه تصريح؟! وهذا الحديث يعد من دلائل النبوة فقد خرجت منها أشد الفتن التي هددت أهل الإسلام بدءًا من مسيلمة الكذاب وحتى خوارج العصر الحديث من أتباع محمد بن عبد الوهاب.

وفي سنن أبي داود من حديث أبي سعيد الخدري وأنس رضي الله عنهما أنه عليه الصلاة والسلام قال « سيكون في أمتي اختلاف وفرقة [قوم] يحسنون القيل ويسيئون الفعل يقرءون القرآن لا يجاوز تراقيهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية [ثم لا يرجعون حتى يرتد على فوقه] هم شر الخلق طوبى لمن قتلهم وقتلوه يدعون إلى كتاب الله [وليسوا منه في شيء، من قاتلهم كان أولى بالله منهم» قالوا: يا رسول الله ما] سيماهم؟ قال: «التحليق» (٨٩/ب):

وفي رواية عن أنس نحوه قال: «سيماهم التحليق والتسبيد فإذا رأيتموهم فأنيموهم»[1] أي أقتلوهم(١) والتسبيد: هو الحلق واستئصال الشعر[2]. وقيل:

(١) في ب: أي فاقتلوهم.

(1) أخرجه أبو داود في كتاب (السنة) باب (في قتال الخوارج) حديث رقم (٤٧٦٥) وإسناده صحيح.

(2) وهذا أيضاً من دلائل نبوة سيدنا محمدﷺ ، لأن الخارجي محمد بن عبد الوهاب كان يأمرأتباعه بذلك ولا تزال هذه الصفة في كثير من أتباعه. يقول السيد أحمد بن زيني دحلان في كتابه (الدرر السنية في الرد على الوهابية):

«وفي قوله صلى الله عليه وآله وسلم « سيماهم التحليق » تنصيص على هؤلاء القوم الخارجين من المشرق التابعين لابن عبد الوهاب فيما ابتدعه، لأنهم كانوا يأمرون من اتبعهم أن يحلق رأسه ولا يتركونه يفارق مجلسهم إذا تبعهم حتى يحلقوا رأسه ولم يقع مثل ذلك قط من أحد من الفرق الضالة التي مضت قبلهم، فالحديث صريح فيهم. وكان السيد عبد الرحمن الأهدل مفتي زبيد يقول: لا يحتاج أن يؤلف أحد تأليفا للردّ على ابن عبد الوهاب بل يكفي في الرد عليه قوله ﷺ «سيماهم التحليق » فإنه لم يفعله أحد من المبتدعة غيرهم.

وكان ابن عبد الوهاب يأمر أيضاً بحلق رءوس النساء اللاتي يتبعنه فأقامت عليه الحجة مرة امرأة دخلت في دينه كرها وجددت إسلامها على زعمه، فأمر بحلق رأسها، فقالت له: أنت تأمر الرجال بحلق رءوسهم، فلو أمرت بحلق لحاهم لساغ لك أن تأمر بحلق رءوس النساء، لأن شعر الرأس للمرأة بمنزلة اللحية للرجال، فبهت الذي كفر ولم يجد لها جوابا، لكنه إنما فعل ذلك ليصدق عليه وعلى من تبعه قوله صلى الله عليه وآله وسلم « سيماهم التحليق» فإن المتبارد منه حلق الرأس، فقد صدق ﷺ فيما قال » أ.هـ. ص ١٧٤- ١٧٥.

ترك **التدهن** وغسل الرأس، وقيل غير ذلك[١].

والأحاديث في ذلك كثيرة وفي واحد كفاية لمن أراد الله تعالى به الرشد والهداية. فقد أوضحهم **سيد** الناصحين ﷺ باعتبار أوصافهم[1] وأماكنهم إيضاحاً جلياً لاخفاء فيه ولا **جهالة**، فلا يتوقف في معرفتهم بعد ذلك إلا من أراد الله تعالى إضلاله.

---

(١) في ط: وغير ذلك.

---

(1) **وقد** ذكرت السنة المطهرة العديد من أوصافهم:

أولاً: **الطعن** في أئمة الدين والانتقاص من أقدارهم يتجلى ذلك في :

أ- قول زعيمهم ذي الخويصرة التميمي لرسول الله ﷺ : (اتق الله واعدل)، وقول الآخر حين أقبل على رسول الله ﷺ وهو في أصحابه فسأله عليه السلام: أنشدك بالله هل حدثت نفسك حين طلعت علينا أن ليس في القوم أحدٌ أفضل منك؟ قال : اللهم نعم.

ب- وقد انتقص ابن تيمية من قدر رسول الله ﷺ حين منع التوسل به أو الاستغاثة به واعتبر ذلك شركا بل منع السفر لزيارته واعتبر ذلك معصية وحين طعن في عصمة الأنبياء وأجاز عليهم الكفر والشرك فما دون ذلك وما طعن به في سيدة نساء العالمين وزوجها أمير المؤمنين على بما سبق ذكر بعضه وكذا غيرهما من الصحابة وأئمة الشرع حتى عصره، وهو ما يردده أتباع ابن تيمية اليوم.

ثانياً: الغرور وشدة إعجابهم بأنفسهم:

أ- كما سبق من الخارجي الذي رأى أنه أفضل من رسول الله ﷺ وأصحابه.

ب- وقد اتصف ابن تيمية وأتباعه بالغرور الشديد والاعجاب بأنفسهم بما قد يفوق هذا الخارجي ونقل الذهبي نفسه ذلك فيما نقلناه عن- انظر (زغل العلم والطلب) و (النصيحة الذهبية)- كما يظهر ذلك في مناظراتهم وكتبهم، حتى الآن.

ثالثاً: سوء الظن بالمسلمين وأئمة الدين ويتجلى ذلك في :

أ- قول ذي الخويصرة التميمي لرسول الله ﷺ : والله إن هذه القسمة ما أريد بها وجه الله (أو ما هذا معناه).

ب- وقد أساء ابن تيمية الظن بجمهور المسلمين حين وصف توسلهم بأنه شرك وعندما وصف الجويني والغزالي بأنهما أكفر من اليهود والنصارى، والتعامل مع أتباعه إلى اليوم يثبت هذه الصفة.

رابعاً: المبالغة في العبادات والعادات الظاهرة. والتمسك بالظواهر لسببين:

١) الشعور بالتميز على الآخرين.

٢) اتخاذ ذلك ذريعة وحجة لما يحاولون تأكيده من زعامتهم الدينية. وقد ظهر ذلك في :=

= أ- وصفه عليه السلام لهم بقوله(ليس قراءتكم إلى قراءتهم بشيء وليس صلاتكم إلى صلاتهم بشيء..) الحديث.

ب- ما يحكى عن ابن تيمية وأتباعه من إظهار الزهد والتقشف والعبادة ومبالغاتهم الشديدة في التمسك ببعض ظواهر السنن وعادات الملبس وغير ذلك والتعامل على أنها واجبات يذمون تاركها وينتقصون من قدره، وكما يحدث اليوم من أتباعه.

خامساً: شدتهم على المسلمين، فإذا كان هناك رأيان فقيهان في قضية ما، رأى أنها مباحة أو مكروهة والآخر أنها حرام يأخذون بالأصعب وهو (حرام) إحراجا للمسلمين وتبريرا لموقفهم منهم. ويصل العداء إلى أن يكون موقفهم من المسلمين أشد من موقفهم من غير المسلمين، بل يصل إلى رفع السلاح في وجه المسلمين بزعم كفرهم . مظهر ذلك:

أ- قوله عليه السلام: « يقتلون أهل الإيمان ويدعون أهل الأوثان » .

ب- تكفير ابن تيمية وأتباعه للمسلمين، ورفع أتباعه السلاح في وجههم إلى اليوم، وخروج الإرهاب من جعبتهم.

سادساً: الفهم السطحي للأمور وقلة التدبر والفقه..

ويتضح ذلك في :

أ- قوله ﷺ « يقرءون القرآن لا يجاوز حناجرهم » وكانوا مضرب المثل في الجهل وبلادة الذهن. بل إن المطالع لأبواب الخوارج في كتب السنة يجد أنهم كانوا يذهبون إلى الإمام علي – أمير المؤمنين الذي يكفرونه- يسألونه عن تفسير القرآن وغيره فسأله ابن الكواء: من الأخسرين أعمالا؟ عن آية ﴿ قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالا ﴾ آية ١٠٣ من سورة الكهف، فقال أمير المؤمنين: أنت وأصحابك! وغير ذلك كثير، حتى إنهم لما أخذوا التابعي الجليل عبد الله بن خباب ليقتلوه طلبوا منه أولا أن يحدثهم بما رواه أبوه عن رسول الله ﷺ وبعد أن أخبرهم بحديث رسول الله ﷺ قدموه على حافة النهر فضربوا عنقه !

ب- ما هو مشاهد في ابن تيمية وإتباعه إلى اليوم إلى درجة أنهم يهربون من العلوم الإسلامية المختلفة بزعم أن بعضها بدعة وأن بعضها علم لا ينفع وجهل لا يضر وفي غير ذلك يتذرعون بأنهم غير ملتزمين بشيء سوى الكتاب والسنة وكأن علوم الإسلام كلها من فقه وحديث وأصول وعقيدة وتفسير ليست المعاني المفهومة والمستنبطة من الكتاب والسنة.

وهم عالة- في القليل الذي يحصلونه- على أئمة الإسلام وتراثهم من أعلام المذاهب الفقهية قديما وحديثا وعلماء المعاهد الدينية في العالم الإسلامي وهم في نفس الوقت يكفرون بعض هؤلاء ويزعمون أنهم أضاعوا الإسلام وأنهم صنيعة الحكام وغير ذلك.

بل سمعت من زعمائهم إتهامهم لشيوخ وأئمة هذه المعاهد بأنهم لا يصلون. =

= سابعاً: حداثة أسنانهم وسفاهة أحلامهم.
وقد أخبر بذلك الصادق المصدوق ﷺ فقال: « سيخرج في آخر الزمان قوم أحداث الأسنان سفهاء الأحلام» لن من شأن حداثة السن وضعف العقل أن يجعلا صاحبهما فريسة لأي دجال يزيف له الآراء ويزخرفها ويزين له إعجابه بنفسه ويدفعه إلى ترك كلام الأئمة أو إجماع الأمة رافعاً شعار (هم رجال ونحن رجال) وهذا ما حدث من الجيل الأول للخوارج ومن تيمية وهو بحذافيره ما يتم اليوم من اتباع ابن تيمية.
ثامناً: الخيانة والغدر وهذا شأن كل من لم يخالط الإيمان قلبه فليس إيمانهم سوى شقشقة باللسان لا يجاوز حناجرهم كما قال عليه السلام :
أ- لما صفَّ علي ﷺ جنوده للقتال في معركة النهروان أخرج شابا منهم وأعطاه مصحفاص ليدعوهم إلى كتاب ربهموسنة نبيهم وقال له : (أما إنك مقتول ولست مقبلا علينا بوجهك حتى يرشقوك بالنيل) فخرج الشاب حتى دنا من الخوارج بحيث يسمعونه وكان ما ذكره أمير المؤمنين ﷺوقبل ذلك لما أراد ابن عباس أن يذهب إليهم ليناظرهم في مسجدهم قال له أمير المؤمنين ﷺ (إني اتخوفهم عليك) لما يعلمه من غدرهم.
ب- وقد حكى الإمام الحصني ﷺ عن ابن تيمية وأتباعه وقتها ما يغنينا عن الإثبات وهو ما نراه في أتباعه في عصرنا الحاضر.
كل هذا يدعونا إلى الجزم بأن حملة فكر ابن تيمية اليوم ليسوا سوى الجيل الأخير من أجيال الخوارج والذين يعملون على خلخلة المجتمع المسلم وهدم عقائده وبنيانه وصرف أنظار المسلمين إلى ما يثيرونه من خرافات ومهاترات تشغل المسلمين عن تعلم دينهم والدفاع عنه وتعطي الفرصة لليهود لاستكمال قواهم للمعركة الأخيرة مع المسلمين ونحن ندعو كل مسلم اليوم إلى قراءة أبواب الخوارج في كتب السنة وكذا كتب للفسير لكي يكون على يقين من ذلك والأحاديث قد أوضحت أنهم قديما وحديثاً:
أ- يكفرون جمهور الأمة وأكابرها تحت دعاوي مختلفة.
ب- يرفعون السلاح لقتل المسلمين تحت أي دعوى.
ولنر نموذجا صغيراً على ذلك:
كتب الشيخ أحمد بن حجر بن محمد آل طامي كتاباً في سيرة وحياة الشيخ (محمد عبد الوهاب) وقدم له الشيخ على صبح المدني وراجع الكتاب والمقدمة المذكورة الشيخ ابن باز و لم يعترض على ما سيأتي بل هو نفسه له الكثير والكثير بنفس مضمون الكلام- راجع رده على الشيخ الصابوني مثلا- يقول الشيخ / علي صبح في مقدمته:
(... ثم بعد انقراض رجال لقرون الثلاثة المشهود لهم بالخيرية، دب في المسلمين داء التنافس على الرئاسة وحب الدنيا، فتفرقت كلمتهم، وتبدد شملهم، فذلوا بعد عزة، وضعفوا بعد قوة، فأصبحوا مسودين بعد أن كانوا سائدين ومحكومين بعد أن كانوا حاكمين وفقدوا كل شئ حتى=

= تعليم دينهم الحنيف ولا سيما توحيد رب العالمين، فاشرأبت أعناق الشرك، وزين لهم الشيطان سوء أعمالهم، فأحلوا البدعة محل السنة، والشرك محل التوحيد، وما زالوا كذلك غارقين في بحار الوثنية والشرك إلا من شاء الله، إلى أن قيض الله لهذه الأمة من يجدد لها أمر دينها ألا وهو شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب) أ. هـ.

وغني عن الذكر أن هؤلاء قد حملوا السلاح واستباحوا دماء المسلمين لنشر هذا الفكر – فكر ابن تيمية– ولا يزالون يحملون السلاح في أنحاء العالم الإسلامي، فنناشدكم الله إن لم يكن هؤلاء هم الجيل الأخير من الخوارج فمن هم الخوارج إذن؟ وهل يطمع أهل الإسلام أن ينتصروا أو حتى يحتفظوا بوجودهم أمام جند المسيح الدجال الذين تجمعوا في قلب العالم الإسلامي اليوم وتحت أيديهم أولى القبلتين ويعلنون صراحة أن معركتهم الأخيرة مع الإسلام خلال سنوات قليلة، أقول هل يطمع المسلمون في النصر وفكرالخوارج ورجالهم ينتشرون في مجتمعات المسلمين انتشار النار في الهشيم يكفرون من شاءوا وينشرون من فكر ابن تيمية ما شاءوا بدعوى السلفية .. إلخ أم نطهر أولا مجتمعات المسلمين من فكر الخوارج إن صح تسميته فكراً قال الله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبالا ودُّوا ما عنتم قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفى صدورهم أكبر، قد بينا لكم الآيات إن كنتم تعقلون﴾ الآية ١١٨ من سورة آل عمران قال الصحابي أبو أمامة (هم الخوارج) رواه الطبراني ورجاله ثقات مجمع الزوائد ٢٣٣/٦ وقال أمير المؤمنين علي ؓ لجنوده عند ظهور الخوارج « ... ما ترون؟ نسير إلى أهل الشام أم نرجع إلى هؤلاء الذين خلفوا إلى ذراريكم؟ قالوا: بل نرجع » مجمع الزوائد ٢٣٨/٦ فكان الجيل الأول من الخوارج سببا أساسياً في ضياع الخلافة الراشدة، كما أصبح خوارج اليوم المنتشرون في جميع أقطار العالم الإسلامي– كبلاد الشام ومصر واليمن والجزائر وغيرها، سببا أساسيا في تمكين أعداء الإسلام من مقدسات المسلمين.

ورحم الله إمامنا الحصني فقد نبه صراحة على أن ابن تيمية وأتباعه من بعده خوارج بنص حديث رسول الله ﷺ :

فائدة هامة:

يقول العلامة السيد علوي بن أحمد بن حداد في كتابه (جلاء الظلام في الرد على النجدي الذي أضلَّ العوام): وأصرح من ذلك أن هذا المغرور محمد ابن عبد الوهاب من تميم، فيحتمل أنه من عقب ذي الخويصرة التميمي الذي جاء فيه حديث البخاري عن أبي سعيد الخدري ؓ أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: « إن من ضئضئ هذا [أو في عقب هذا] قوما يقرءون القرآن لا يجاوز حناجرهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية يقتلون أهل الإسلام ويدعون أهل الأوثان، لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد » « فكان هذا الخارجي يقتل أهل الإسلام ويدع أهل الأوثان». أ.هـ نقلا عن (الدرر السنية) للسيد زيني دحلان ص ١٧٧٠ ١٧٨ وكتاب (جلاء الظلام) مطبوع. وهذه أيضا من دلائل النبوة.

[فصل: محاكمات ابن تيمية وسجنه]

وإذا تمهد لك هذا أيها الراغب في فكاك نفسه من ربقة عقائد أهل البدع[١] الضالين المضلين والاقتداء بأهل السلامة في الدين:

فاعلم أني نظرت في كلام هذا الخبيث الذي في قلبه مرض الزيغ. المتتبع[٢] ما تشابه منه في[٣] الكتاب والسنة ابتغاء الفتنة، وتبعه على ذلك خلق من العوام وغيرهم ممن[٤] أراد الله عز وجل إهلاكه، فوجدت فيه منه مالا أقدر على النطق به ولا لي أنامل تطاوعني على رسمه وتسطيره لما فيه من تسفيه[٥] رب العالمين من[٦] تَنْزِيهه لنفسه في كتابه المبين وكذا بالازدراء بأصفيائه المنتخبين وخلفائهم الراشدين (٩٠/أ) وأتباعهم الموفقين فعدلت عن ذلك إلى ذكر ما ذكره الأئمة المتقون وما اتفقوا عليه من تبديعه وإخراجه ببعضه من الدين.

فمنه ما دُوّن في المصنفات، ومنه ما جاءت به المراسيم العليات[1]،

---

(١) في ط: أهل الزيغ.

(٢) في ب: المتبع.

(٣) في ط: ما تشابه في الكتاب...

(٤) في أ- ب : من.

(٥) في ط: تكذيب.

(٦) في ط: في.

---

(1) كتب د. صلاح الدين المنجد مقالاً في مجلة المجمع العلمي العربي بتاريخ ١ يناير ١٩٥٨ الموافق ٩ جمادى الأخرة سنة ١٣٧٧هـ يقول «مرسوم مملوكي شريف بمخالفة عقيدة ابن تيمية نعتقد أن كتابة التاريخ الإسلامي، في مختلف وجوهه، ينبغي أن تقوم بعد اليوم على الوثائق والإسنادات الرسمية أكثر من اعتمادها على أقول المؤرخين وحدهم. وذلك على نحو ما تجرى=

=كتابة التاريخ في الغرب. لأن هذه الوثائق أدعى إلى الاطمئنان، وأصدق في التصوير، وأبعد عن الاضطراب أو الاختلاف في سرد الحوادث لذي نجده في كتب المؤرخين. وقد دعونا مرات إلى العناية بهذه الوثائق على اختلاف أنواعها، وجمعها، ونشرها، واتخاذها أساساً لدراساتنا عن التاريخ الإسلامي.

وقد عثرنا على أربعة مراسيم مملوكية شريفة، من القرن الثامن والقرن التاسع، أصدرها سلاطين مصر بمخالفة عقيدة شيخ الإسلام تقي الدين بن تيمية، وردع أتباعه عنها. وهذه المراسيم على جانب كبير من الشأن لأنها تبين رأي الدولة في عقيدة الشيخ، في فترات مختلفة، أثناء حياته وبعد مماته. فنحن نعلم أن حياة الشيخ كانت نضالاً مستمراً لم يهدأ، لبثّ مذهبه والدعوة إليه، فقد أثار ما تكلّم به في ذات الله ووصفه، وأنه يتكلم بالحرف والصوت، وما ذكره عن التجسيم والاستواء والعلو والجهة والحيز وغير ذلك، وما أفتى به في مسألة الطلاق، وزيارة القبور، أثار جمهور القضاة والعلماء والفقهاء ممن كانوا لا يرون رأيه ولا يذهبون مذهبه. وكان هذا النضال يثير الناس بعضهم على بعض. فتستيقظ الفتنة ويقع الشغب، وكان يشتدّ أحياناً فيؤدي بالشيخ إلى السجن، أو يعرّض أصحابه للتشهير والتعزيز والإهانة، أو يؤلّب عليه الأمراء، أو ينتهي إلى غضب السلاطين عليه وإصدارهم مراسيم كثيرة بمنعه من الفتيا، أو مخالفة عقيدته، وإلزام أتباعه، خاصة الحنابلة، بالرجوع عن مذهبه.

ونحن نقدّم هنا أحد هذه المراسيم التي عثرنا عليها، وكلها لم تنشر بعد- نقدمه لأنه يتعلق بعالم كبير من علماء دمشق، وبناحية من تاريخ مدينتنا دمشق، ولأن يبين ما فعلته عقيدة الشيخ في المجتمع الإسلامي، في مصر والشام، من تنبيه الناس أو إثارتهم، حتى اضطرت الدولة إلى منعها وإصدار المراسيم بمخالفتها.

وقد وجدنا نصه في مخطوط تاريخي نادر ألفه ابن أيبك الدواداري، **وكان معاصراً للشيخ، وضمّنه أموراً دقيقة كثيرة شاهدها بنفسه أو سمعها من أقرانه »** أ.هـ الجزء الأول من المجلد الثالث والثلاثون ٢٥٩-٢٦٠ ونحن نأمل من الله أن يتم جمع كل الوثائق التاريخية وأن تنشر دراسة تفصيلية عن هذه الأحداث لأن ذلك سيكون أكثر جدوى وأسرع في فهم فكر ابن تيمية وخطورته وكذا أتباعه خوارج عصرنا.

وأجمع عليه علماء عصره ممن يُرجع إليهم في الأمور الملمات والقضايا المهمات، وضمتها[١] الفتاوى الزكيات من دنس أهل الجهالات، ولم يختلف عليه أحد. وكما اشتهر بالقراءة والمناداة على رءوس الأشهاد في المجامع الجامعة حتى شاع وذاع واتسع به الباع حتى في الفلوات.

فمن ذلك نسخة المرسوم الشريف [للسلطان][٢] ناصر الدنيا والدين[٣] محمد بن قلاوون[1] رحمه الله تعالى وقريء على منبر جامع دمشق نهار الجمعة سنة خمس وسبعمائة صورته:

---

(١) في ط: وتضمنه.

(٢) في أ — ب- جـ: السلطان والصواب ما أثبتناه.

(٣) في ج: ناصر الدنيا والد ... غير كاملة.

---

(1) هو: محمد بن قلاوون بن عبد الله الصالحيّ الملك الناصر بن المنصور ولد سنة ٦٨٤هـ، وتوفى سنة ٧٤١هـ.

ولي السلطنة سنة ٦٩٣هـ وله تسع سنين واستمر فيها لمدة سنة إلا ثلاثة أيام ثم ذهب إلى الكرك وترك السلطنة. وفي سنة ٦٩٨هـ أحضروا الناصر من الكرك وتسلطن للمرة الثانية وله يومئذ أربعة عشر سنة وأربعة أشهر وحضر وقعة غازان (سلطان التتار) سنة ٦٩٩هـ بوادي الخزندار وثبت الثبات القوي وجرى لغازان بدمشق ما اشتهر. وفي ولاية الناصر ألبست اليهود العمائم الصفر والنصارى العمائم الزرق وذلك في سنة سبعمائة وفي سنة ٧٠٢ فتحت جزيرة أرواد من بلاد الفرنج .. وفي شعبان منها كانت وقعة شقحب وكان للناصر فيها اليد البيضاء من الثبات ووقع النصر للمسلمين.

نزل عن السلطنة مرة أخرى سنة ٧٠٨هـ وفي سنة ٧٠٩هـ عاد إلى مصر بطلب الأمراء ونواب البلاد واستقر في دست مملكته- وهي السلطنة الثالثة- حتى وفاته. =

= لم ير أحد مثل سعادة ملكه وعدم حركة الأعادي عليه براً وبحراً مع طول المدة فمنذ وقعة شقحب (سنة ٧٠٢هـ) إلى أن مات (٧٤١هـ) لم يخرج عليه أحد. بني في سلطنته من الجوامع والمدارس والخوانق الشيء الكثير جداً وشهد عهده العديد من الفتوحات وأسقط من مملكته مكس الأقوات.

يقول ابن حجر: وجدت له إجازة بخط البرزالي من ابن مشرف وعيسى المغازي وجماعة وسمع الحديث وخرج له بعض المحدثين جزءاً وكان مطاعا مهيبا عارفا بالأمور يعظم أهل العلم والمناصب الشرعية. لا يقرر فيها إلا من يكون أهلا لها ويتحرى لذلك ويبحث عنه ويبالغ.

وحج بعد استقراره في ذلك ثلاث حجج سنة ٧١٢هـ، ٧٢٠هـ، ٧٣٢هـ. وكان ملكا مطاعاً مهيبا محظوظا ذا دهاء وحزم ومكر، طويل الصبر على ما يكره إذا حاول أمراً لا يسرع فيه بل يحتاط غاية الاحتياط أ.هـ. بتصرف واقتصار من الدرر الكامنة ٦٤/٤، ط. دار الكتب الحديثة.

ويلاحظ أن علاقته ببعض كبار العلماء الذين قاموا في وجه ابن تيمية كبدر الدين بن جماعة وصدر الدين بن المرحل وابن عدلان لم تكن جيدة لما كان يراه من أنهم أيدّوا خصومه ضده.

كما يلاحظ أن الملك الناصر نفسه كان محبًّا للعلم وأهله يميز بين أهل العلم- الذين هم أهله- والدجاجلة.

فليس هناك أي احتمال أصلاً لأن يتآمر العلماء مع مثل هذا السلطان ضد ابن تيمية!

بل على العكس من ذلك يحكي الإمام ابن حجر في (الدرر الكامنة) في ترجمة الإمام علاء الدين علي بن إسماعيل القونوي سفره إلى دمشق سنة ٧٢٧ هـ لتولى قضاء القضاة بها بأمر الملك الناصر فيقول:

« وكان يعظم — يقصد الإمام القونوي — الشيخ تقي الدين ابن تيمية ويذب عنه مع مخالفته له في أشياء وتخطئته له . ويقال إن الناصر قال له: إذا وصلت إلى دمشق قل للنائب يفرج عن ابن تيمية فقال : يا خوند لأي معنى سجن؟ قال : لأجل الفتاوى . قال : فإن كان رجع عنها أفرجنا عنه . فيقال : كان هذا الجواب سببا في استمرار الشيخ ابن تيمية في السجن إلى أن مات، لأنه كان لا يتصور رجوعه » أ.هـ. الدرر الكامنة (٩٥/٣

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي تنزه عن الشبيه والنظير، وتعالى عن المثل، فقال تعالى: ﴿ليس كمثله شيء وهو السميع البصير﴾(1).

أحمده على ما ألهمنا من العمل بالسنة والكتاب، ورفع في أيامنا أسباب الشك والارتياب.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة من يرجو بإخلاصه حسن العقبى والمصير. ونزه(١) خالقه عن التحيز في جهة لقوله (٩٠/ب) تعالى: ﴿وهو معكم أينما كنتم والله بما تعلمون بصير﴾(2).

وأشهد(٢) أن سيدنا محمداً عبده ورسوله الذي نهج سبيل النجاة لمن سلك طريق(٣) مرضاته، وأمر بالتفكر في الآية(٤) ونهى عن التفكر في ذاته صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الذي علا بهم منار الإيمان وارتفع. وشيد الله(٥) بهم من قواعد الدين الحنيفي ما شرع وأخمد بهم كلمة من حاد عن الحق ومال إلى البدع، وبعد:

---

(١) في ط: وينزه.

(٢) في ب-ج: وأشهد.

(٣) في ط: سبيل.

(٤) في ط: الآيات.

(٥) في ب: وشيد بهم من قواعد.

---

(1) الآية رقم ١١ من سورة الشورى.

(2) الآية رقم ٤ من سورة الحديد.

فإن القواعد الشرعية، وقواعد الإسلام المرعية وأركان الإيمان العلية. ومذاهب الدين المرضية، هي الأساس الذي يبنى عليه. والمؤمل[١] الذي يرجع كل أحد إليه، والطريق التي من سلكها فقد فاز فوزاً عظيماً، ومن زاغ عنها فقد استوجب عذابا أليما.

ولهذا يجب أن تنفذ[٢] أحكامها، ويؤكد دوامها، وتصان عقائد هذه الأمة عن الاختلاف، وتزان بالرحمة والعطف والائتلاف، وتخمد توانية[٣] البدع، ويفرق[٤] مِنْ فِرَقِهَا ما اجتمع.

وكان ابن تيمية في هذه المدة قد بسط لسان قلمه: ومد بجهله عنان كلمه. وتحدث بمسائل الذات والصفات. ونص في كلامه الفاسد على أمور منكرات. وتكلم فيما سكت عنه الصحابة ﷺ والتابعون. وفاه بما اجتنبه (٩١/أ) الأئمة الأعلام الصالحون. وأتى في ذلك بما أنكره أئمة الإسلام وانعقد على خلافه إجماع العلماء والحكام. وشهر من فتاويه ما استخف به عقول العوام وخالف في ذلك فقهاء عصره وعلم[٥] علماء شامه ومصره. وبث به رسائله إلى كل مكان وسمى فتاويه بأسماء ما أنزل الله بها من سلطان.

ولما اتصل بنا ذلك وما سلك به هو ومريدوه، من هذه المسالك الخبيثة، وأظهروه من هذه الأحوال وأشاعوه، وعلمنا أنه استخف قومه فأطاعوه،

---

(١) في ج-ط: الموئل.

(٢) في ط: تنعقد.

(٣) في ج: تواتر. وفي ط: توائر.

(٤) في ج: وتفرق.

(٥) في ط: وأعلام.

حتى اتصل بنا أنهم صرحوا في حق الله سبحانه بالحرف والصوت والتشبيه والتجسيم فقمنا في نصرة الله عز وجل مشفقين من هذه النبأ العظيم، وأنكرنا هذه البدعة: وعزنا أن تشيع[١] عمن تضمنه ممالكنا[٢] هذه السمعة: وكرهنا ما فاه به المبطلون[٣] وتلونا قوله تعالى: ﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾[1] فإنه سبحانه وتعالى مُنَزَّه[٤] في ذاته[٥] وصفاته عن العديل والنظير: ﴿لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير﴾[2] فتقدمت مراسيمنا باستدعاء ابن تيمية المذكور إلى أبوابنا حينما سارت فتاويه الباطلة في شامنا ومصرنا (٩١/ب) وصرح فيها بألفاظ ما سمعها ذو فهم إلا وتلا قوله تعالى: ﴿لقد جئت شيئاً نكراً﴾ [3].

ولما وصل إلينا جمع[٦] أولوا العقد والحل وذوو التحقيق والنقل وحضر قضاة الإسلام وحكام الأنام وعلماء المسلمين وأئمة الدنيا والدين وعقد له

---

(١) في ط: تشيع.

(٢) في ط: ممالكه.

(٣) في ب: المتكلمون.

(٤) في ب-ج-ط: تنزّه.

(٥) في ب: في كتابه.

(٦) في ط: الجمع.

---

(1) الآية ١٨٠، من سورة الصافات.

(2) الآية ١٠٣، من سورة الأنعام.

(3) الآية رقم ٧٤، من سورة الكهف.

مجلس شرعي في ملأ من الأئمة وجمع ومن له دراية في مجال النظر ودفع فثبت عندهم جميع ما نسب إليه بقول من يعتمد ويعول عليه. وبمقتضى خط قلمه الدال على منكر معتقده.

وانفصل ذلك الجمع وهم لعقيدته الخبيثة منكرون، وواخذوه[١] بما شهد به قلمه، تالين ﴿ستكتب شهادتهم ويسألون﴾[1].

وبلغنا أنه كان قد استتيب مراراً فيما تقدم وأخره الشرع الشريف لما تعرض لذلك وأقدم ثم عاد بعد منعه، و لم يدخل ذلك في سمعه.

ولما ثبت ذلك عليه في[٢] مجلس الحكم المالكي حكم الشرع الشريف أن يسجن هذا المذكور. ويمنع من التصرف والظهور. ومرسومنا[٣] هذا بأن لا يسلك أحد ما سلكه المذكور من هذه المسالك وينهى عن التشبيه في اعتقاد مثل ذلك. أو يعدو[٤] له في هذا القول متبعاً. أو لهذه الألفاظ الخبيثة[٥] مستمعا أو يسري في التشبيه والتجسيم[٦] (٩٢/أ) مسراه. أو يفوه بجهة العلو بما فاه، أو يتحدث أحد بحرف أو صوت. أو يفوه بذلك إلى الموت، أو ينطق

---

(١) في ط: وآخذو؟.

(٢) في ط: ذلك في.

(٣) في ط: ويكتب مرسومنا.

(٤) في ب: أو يغدوا. وفي ط: أو يعود.

(٥) في ط: سقطت كلمة (الخبيثة).

(٦) في ط: سقطت كلمة والتجسيم.

---

(1) الآية: ١٩،من سورة الزخرف.

بتجسيم، أو يحيد عن الطريق المستقيم. أو يخرج عن رأي الأئمة. أو ينفرد به عن علماء الأمة. أو يحيز[1] الله سبحانه وتعالى في جهة أو يتعرض إلى حيث وكيف. فليس لمعتقد هذا إلا السيف.

فليقف كل واحد عند هذا الحد. ولله الأمر من قبل ومن بعد.

وليُلزم كل واحد من الحنابلة بالرجوع عن كل ما أنكره الأئمة من هذه العقيدة. والرجوع عن الشبهات الزائغة الشديدة. ولزوم ما أمر الله تعالى به والتمسك بمسالك أهل الإيمان الحميدة. فإنه من خرج عن أمر الله عز وجل فقد ضل سواء السبيل.

ومثل هذا ليس له إلا التنكيل. والسجن الطويل مستقره[2] ومقيله وبئس المقيل.

وقد رسمنا بأن ينادى في دمشق المحروسة والبلاد الشامية. وتلك الجهات الدنية والقصية بالنهي الشديد. والتخويف والتهديد لمن تبع[3] ابن تيمية في هذا الأمر الذي أوضحناه. ومن تابعه تركناه في مثل مكانه وأحللناه. ووضعناه من عيون الأمة كما وضعناه.

ومن أصر على الامتناع، وأبي إلا الدفاع أمرنا بعزلهم من مدارسهم ومناصبهم (٩٢/ب) وأسقطناهم من مراتبهم مع إهانتهم. وأن لا يكون لهم

---

(١) في ب: أو يخبر أن الله سبحانه.

(٢) في ب-ج: ومستقره.

(٣) في ط: اتبع.

في بلادنا حكم ولا ولاية، ولا شهادة ولا إمامة، بل ولا مرتبة ولا إقامة.

فإنا أزلنا دعوة هذا المبتدع من البلاد. وأبطلنا عقيدته الخبيثة التي أضل بها كثيرا من العباد أو كاد بل كم ضل[١] بها من خلق[٢] وعاثوا بها[٣] في الأرض الفساد ولتثبت المحاضر الشرعية على الحنابلة بالرجوع عن ذلك وتسير المحاضر بعد إثباتها على قضاة المالكية.

وقد أعذرنا وحذرنا. وأنصفنا حيث أنذرنا.

وليقرأ مرسومنا الشريف على المنابر. ليكون أبلغ واعظ وزاجر. لكل باد وحاضر. والاعتماد على الخط الشريف أعلاه.

وكتب ثامن عشرين من شهر[٤] رمضان سنة خمس[٥] وسبعمائة، كتب بعد أن قريء بسنة وشيء[٦] (1).

---

(١) في ط: أضل.

(٢) في ج: بل كم أضل الأرض.

(٣) في ب: وعاثوا وفي الأرض.

(٤) في ب-ج-ط: ثامن عشرين شهر رمضان.

(٥) غير واضحة في النسخة (أ) وعليها شطب بسيط، وفي ب- ج: سنة ست وسبعمائة.

(٦) في ج: بسنة فـ... (غير واضحة) ولعلها: فلينظر. وهي غير موجودة في ط.

---

(1) ونص هذا المرسوم السلطاني وغيره أوردت كتب التاريخ وكتب خاصة مثل (عيون التواريخ) لابن شاكر - تلميذ ابن تيمية! و(نجم المهتدي ورجم المعتدي) للفخر بن المعلم القرشي كما توجد أيضاً صورة للمرسوم نقلها الحافظ شمس الدين بن طولون ونقلها عنه العلامة زاهد الكوثري في تعليقه على (السيف الصقيل)، ومن الملاحظ في المرسوم أنه يشير إلى أن ابن تيمية قد استتيب مراراً ثم نقض توبته وعاد إلى بدعه العديدة وقد ظل هذا دأبه حتى مات في سجنه وهذا السلوك القائم على الخداع والمراوغة لم يكن في يوم من الأيام سلوك الدعاة إلى الله بل هو سلوك=

وأزيد على ذلك ما ذكره صاحب عيون التواريخ وهو ابن شاكر ويعرف بصلاح الدين الكتبي وبالتريكي وكان من أتباع ابن تيمية وضرب الضرب البليغ لكونه قال لمؤذن في مأذنة العروس في وقت السحر.

ألا يا رسول الله أنت وسيلتي إلى الله في غفران ذنبي وزلتي

أشركت[١] وأرادوا ضرب عنقه ثم جدّدوا إسلامه.

وإنما أذكر ما قاله لأنه أبلغ في حق ابن تيمية (٩٣/أ) في إقامة الحجة عليه مع أنه أهمل أشياء خباثة ولآمة[٢] لما فيها من المبالغة في إهانة قدوته[٣] والعجب [أن] ابن تيمية[٤] ذكرها وهو سكت عنها.

---

(١) في ط: لكونه قال لمؤذن في مأذنة العروس وقت السحر: أشركت حين قال:

ألا يا رسول الله أنت وسيلتي إلى الله في غفران ذنبي وزلتي

(٢) في ط: من خبثه ولؤمه.

(٣) في ب: قدوة.

(٤) في أ-ب: والعجب ابن تيمية...

= الدجالين الأفاكين أتباع ميكيافيلي الذين يتخذون المبادئ والعقائد وسائل يمتطون صهوتها للوصول إلى غاياتهم الخبيثة، فسلوك الدعاة إلى الله توضحه الآية الكريمة ﴿ قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني ﴾ يوسف ١٠٨ يقول القرطبي: « على بصيرة » أي على يقين وحق ويقول النسفي: (أي أدعو إلى دينه مع حجة واضحة غير عمياء).

مع ملاحظة أن ابن تيمية كان يستتاب في كل مرة بعد أن تثبت عليه الحجة ويقام عليه الدليل وتدحض شبهه ويسقط في يده فلا يجد بدا من التسليم بالحق بلسانه ثم يخرج ليفكر في شبهة جديدة ينقض بها حجج أهل الحق التي صرعت أباطيله أو يفتح عليهم باب فتنة جديدة.

[نماذج من تصرفاته وأقواله موضوع المحاكمات]

[١ -] فمن ذلك ما أخبر به أبو الحسن علي الدمشقي في صحن الجامع الأموي[١] عن أبيه قال كنا جلوساً في مجلس ابن تيمية فذكر ووعظ وتعرض لآيات **الاستواء** ثم قال: (**واستوى الله على عرشه كاستوائي هذا**) قال فوثب الناس وثبة[٢] واحدة وأنزلوه من على الكرسي[٣] وبادروا إليه ضرباً باللّكْم والنعال وغير ذلك حتى أوصلوه إلى بعض الحكام. واجتمع في ذلك المجلس العلماء فشرع يناظرهم فقالوا ما الدليل على ما صدر منك؟ قال: قوله: ﴿الرحمن على العرش استوى﴾[1] فضحكوا منه وعرفوا أنه جاهل لا يجري على قواعد العلم. ثم نقلوه ليتحققوا أمره. فقالوا: ما تقول في قوله تعالى: ﴿فأينما تولوا فثم وجه الله﴾ [2] فأجاب بأجوبة تحققوا أنه من الجهلة على التحقيق وأنه لا يدري ما يقول[3] .

(١) في ج: في صحن جامع الأموي.
(٢) في ط: فوثب الناس عليه وثبة.
(٣) في ط: من الكرسي.

---

(1) الآية ٥، من سورة طه.
(2) الآية ١١٥، من سورة البقرة.
(3) وقد دخل الرحالة الشهير (ابن بطوطة) دمشق سنة ٧٢٥هـ وشاهد بنفسه بعضا من تصرفات ابن تيمية وسمع أشياء أخرى من أهل دمشق وحكاها في رحلته بعنوان (حكاية الفقيه ذي اللوثة) وها هو كلامه فإنه متمم لما يذكره الإمام الحصني « وكان بدمشق من كبار الفقهاء الحنابلة تقيّ الدين بن تَيْمية كبيرُ الشام يتكلّم في الفنون إلا أن في عقله شيئاً، وكان أهل دمشق يعظّمونه أشدّ التعظيم، ويَعِظهم على المِنبر؛ وتكلّم مرّة بأمرٍ أنكرَه الفقهاء، ورفعوه إلى الملك النّاصر، فأمر بإشخاصه إلى القاهرة، وجُمِعَ القضاةُ والفقهاء بمجلس الملك النّاصر، وتكلّم شرف الدين الزواوي المالكي وقال: إنّ هذا الرجل قال كذا وكذا، وعدّد ما أنكر على ابن تيمية، وأحضر العقود بذلك، ووضعها بين يدي قاضي القضاة. =

وكان قد غره بنفسه ثناء العوام عليه وكذا الجامدين من الفقهاء العارين عن العلوم التي بها يجتمع شمل الأدلة على الوجه المرضي.

[٢-] وقد رأيت في فتاويه ما يتعلق بمسألة الاستواء[1] وقد أطنب فيها

(١) في ج: ما يتعلق على الاستواء.

= وقال قاضي القضاة لابن تيمية: ما تقول؟ قال: لا إله إلا الله. فأعادَ عليه، فأجابَ بمثلِ قوله، فأمَرَ الملك النّاصر بسَجنه فسُجنَ أعواماً، وصنّف في السجن كتاباً في تفسير القرآن سمّاه بالبحر المُحيط في نحو أربعين مُجلّداً.

ثمّ إنّ أمّة تعرّضت للملك النّاصر، وشكت إليه، فأمرَ بإطلاقه إلى أن وقعَ منه مثل ذلك ثانية، وكنتُ إذ ذاك بدمشق، فحضرتُه يوم الجمعة، وهو يعظ الناس على منبر الجامع ويذكّرهم، فكان من جملة كلامه أن قال: إنّ الله ينزل إلى سماء الدنيا كنزولي هذا، ونزل درجةً من درج المنبر، فعارضه فقيه مالكي يُعرَفُ بابن الزهراء، وأنكرَ ما تكلّم به، فقامت العامّة إلى هذا الفقيه، وضربوه بالأيدي والنعال ضرباً كثيراً حتى سقطت عمامته، وظهرَ على رأسه شاشيّة حرير، فأنكروا عليه لباسَها واحتملوه إلى دار عزّ الدين ابن مسلم قاضي الحنابلة، فأمرَ بسجنه وعَزّره بعد ذلك، فأنكر فقهاء المالكية والشافعية ما كان من تعزيره، ورفعوا الأمر إلى ملك الأمراء سيف الدين تنكيز، وكان من خيار الأمراء وصلحائهم، فكتبَ إلى الملك النّاصر بذلك، وكتبَ عَقْداً شرعياً على ابن تيمية بأُمور منكرة منها أن المطلّق بالثلاث في كلمة واحدة لا تلزمه إلاّ طلقة واحدة، ومنها المسافر الذي ينوي بسفره زيارة القبر الشريف، زاده الله طيباً، لا يقصّر الصلاة، وسوى ذلك ممّا يُشبهُه، وبعث العقد إلى الملك النّاصر، فأمر بسجن ابن تيمية بالقلعة فسُجن بها حتى مات في السجن » أهـ من رحلة ابن بطوطة ط. دار صادر ص ٩٥، ٩٦. وابن بطوطة هذا هو: محمد بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم اللواتي الطبنجي أبو عبد الله بن بطوطة. كان مشاركا في شيء يسير من العلم ورحل إلى المشرق في رجب سنة ٧٢٥وفي الهند فقد ما دونه عن رحلته فأعاده من الذاكرة بعد رجوعه إلى (فاس).

يقول ابن حجر في الدرر الكامنة: « .. قرأت بخط ابن مرزوق أن أبا عبد الله بن جزي نمقها وحررها بأمر السلطان أبي عنان وكان البلّفيقي رماه بالكذب فبرأه ابن مرزوق وقال إنه بقى إلى سنة سبعين ومات وهو متولي القضاء كرحلته وكان مع ذلك جوادا محسنا » أهـ.

ترجمة رقم ١٢٨٥ والذي شهد به ابن مرزوق وأقره عليه الحافظ ابن حجر من صدق ابن بطوطة وأمانته هو ما لاحظه كرم البستاني في تقديمه لكتاب رحلة ابن بطوطة بقول: « وأسلوبه في سرده أخباره فكه ظريف **توخى فيه الأمانة حتى ولو كان الأمر متعلقا بنفسه** وهذا ما جعل المستشرق دوزي يلقبه: (بالرحالة الأمين) » أ.هـ.

وذكر أموراً (٩٣/ب) كلها تلبيسات وتحشيرات[١] خارجة عن قواعد أهل الحق.

والناظر فيها إذا لم يكن ذا علوم وفطنة وحسن روية ظَنَّ أنها على منوال مرضي.

ومن جملة ذلك بعد تقريره وتطويله: (وإن الله معنا حقيقة وهو فوق العرش حقيقة كما جمع الله بينهما في قوله تعالى: ﴿هو الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش يعلم ما يلج في الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وهو معكم أينما كنتم والله بما تعملون بصير﴾[(1)] ، فأخبر أنه فوق العرش يعلم كل شيء وهو معنا أينما كنا) هذه عبارته بحروفها.

فتأمل أرشدك الله تعالى هذا التهافت وهذه الجرأة بالكذب على الله تعالى أنه سبحانه وتعالى أخبر عن نفسه أنه فوق العرش ومحتجاً بلفظ الاستواء الذي هو موضوع[٢] بالاشتراك ومن قبيل المجمل.

وهذا وغيره مما هو كثير في كلامه يتحقق به جهله وفساد تصوره وبلادته.

وكان بعضهم يسميه حاطب ليل.

وبعضهم يسميه الهدار المهدار[٣].

[٣-] وكان الإمام العلامة شيخ الإسلام في زمانه أبو الحسن على بن

---

(١) في ط: وتجريات.

(٢) في أ: الذي موضوع...

(٣) في ج: وبعضهم يسميه الهذار المهذار.

---

(1) الآية ٤، من سورة الحديد.

إسماعيل القونوي[1] يصرح بأنه من الجهلة الذي لا يعقل[١] ما يقول ويخبر أنه أخذ **مسألة التفرقة** (٩٤/أ) عن شيخه[2] الذي تلقاها عن أفراخ السامرة

(١) في ط: من الجهلة بحيث لا يعقل.

(1)هو: علي بن إسماعيل بن يوسف علاء الدين القونوي، قاضي القضاة، ذكر أن شيخ الإسلام ابن دقيق العيد قال: إنه يطلق على القونوي اسم الفاضل استحقاقا، قال الأدفوي: وناهيك بابن دقيق العيد من عالم متضلع ومناط بما يقول متورع.

يقول الإمام تاج الدين السبكي: «قلت لا شك أن هذه من ابن دقيق العيد منقبة للقونوي عظيمة. درّس بدمشق بالمدرسة الإقبالية ثم قدم القاهرة وأقام بها مدة في غاية من الفقر من عزة النفس إلى أن ولي تدريس الشريفية ومشيخة الخانقاة الصالحية.

وصنف (شرح الحاوي) واختصر (منهاج الحليمي) وشرح كتاب (التعرف في التصوف) واختصر (المعالم) في الأصول.

ثم ولي قضاء الشام وأقام دون عامين إلى أن مات في رابع عشر ذي القعدة سنة تسع وعشرين وسبعمائة وعمره اثنتان وستون سنة» أ.هـ من طبقات الشافعية الكبرى ١٣٣/١٠– ١٣٤.

يقول تلميذه جمال الدين الإسنوي: «كان أجمع من رأيناه للعلوم مع الاتساع فيها خصوصا العلوم العقلية واللغوية، لا يشار فيها إلا إليه ولا يحال فيها إلا عليه. كان من عقلاء الرجال والقليل الأمثال. تخرج به أكثر علماء الديار المصرية من الطوائف كلها » أ.هـ من طبقات بن قاضي شهبة.

(2) نقل ابن تيميةبعضا من أفكار علماء اليهود الذين أسلموا و لم يتمكنوا من مراجعة كل أفكارهم وآرائهم بعرضها على ميزان الشرع الحنيف وحده أولا لاستبعاد ما شذّ منها وهو ما حذر منه سيد الخلق ﷺسيدنا عمر بن الخطاب لما وجده يطالع في التوراة فغضب غضبا شديداً وقال له: أمتهوِّكُونفيها يا ابن الخطاب؟! والله لو كان موسى حيا ما وسعه إلا اتباعي!

ومسألة التفرقة هذه منقولة من نصوص التوراة والإنجيل كما سيأتي في تعليقنا.

وشيخ ابن تيمية المشار إليه أظن أنه أحد رجلين:

أولهما وهو الغالب: هبة الله بن علي بن ملكا أبو البركات البغدادي، فيلسوف اليهود المتأسلم – كما قال الإمام الكوثري– المتوفى سنة ٥٤٧ هـ وقد تتلمذ ابن تيمية على كتبه وأفكاره بل طوّف بها في الآفاق ودافع عن أبي البركات وأشاد به أيما إشادة كما لاحظه كبار الباحثين =

واليهود الذين أظهروا التشرف بالإسلام وهو من أعظم الناس عداوة للنبي ﷺ وقتل علي ﷺ واحداً منهم تكلم في مجلسه بكلمة[١] فيها ازدراء بالنبي ﷺ .

وقد وقفت على المسألة أعني مسألة التفرقة الـتي أثارهـا اليـهود لـيزدروه بها وبحثـوا فيـها على قواعـد مـأخوذة مـن الاشـتقاق وكـانوا يقطعـون بـها الضعفاء من العلماء فتصدى لهـم الجـهابذة مـن العلمـاء، وأفسـدوا مـا قـالوه بالنقل والعقل والاستعمال الشـرعي والعـرفي وأبـادوهم بـالضرب والأسـياط وضرب الأعناق و لم يبـق منـهم إلا الضعفـاء في العلـم ودامـت فيـهم مسـألة التفرقة حتى تلقها ابن تيمية عن شيخه وكنت أظن أنه ابتكرها[1].

(١) في ط: كلمةً.

= المعاصرين ومن قبلهم الإمام الكوثري، ومن أمثلة هذه الأفكار: فكرة قدم العالم وفكرة قيام الحوادث بذات الله تعالى وتقدس.

انظر (مقالات الكوثري)، (أبو البركات البغدادي وفلسفته الإلهية) للدكتور جمال رجب، (مناهج البحث عند مفكري المسلمين) للدكتور علي سامي النشار وغير ذلك من المراجع.

ثانيهما هو: عبد السيد بن إسحاق بن يحيي الإسرائيلي الحكيم الفاضل بهاء الدين بن المهذب يقول عنه الحافظ ابن حجر في (الدرر الكامنة): «كان ديان اليهود وكان يحب المسلمين ويحضر مجالس الحديث، وسمعه المزي ثم هداه الله تعالى وأسلم وتعلم القرآن وجالس العلماء.. وأسلم على يده جماعة من اليهود من أقاربه وخرجوا يوم عيد الأضحى يكبرون مع المسلمين وفرح الناس بهم فرحا زائداً وأكرموهم إكراما عظيماً، ومات في جمادى الآخرة سنة ٧١٥ » أ.هـ المقصود منه ج٢ ص ٤٧٦ط دار الكتب الحديثة ترجمة رقم (٢٤١٩) وذكر ابن كثير في (البداية والنهاية) أنه أسلم على يد ابن تيمية بعد مناقشات بينهم.

(1) ونظراً لتمكن البدع والأهواء من قلب ابن تيمية لم يكن له منهج ثابت في البحث فكثيراً ما يهاجم طائفة ويبدعها أو يكفرها في موضع ثم يعتقد ما قالته في موضع آخر كما سيذكر الحصني وكما نقل عنه الأستاذ محمود الغراب في كتابه الذي ألفه في الرد عليه (شرح كلمات الصوفية والرد علي ابن تيمية) وكذلك الفاضل/ سعيد فودة في كتابه « الكاشف الصغير عن=

= عقائد ابن تيمية» ومن هذا شأنه لا يصلح للمناظرات مع خصوم الدين أو المباحثة في كتبهم بالإضافة إلى أنه سيجد في نصوصهم المحرفة ما يعضد به البدع التي يعتقدها ويحاول الدفاع عنها مما يضعه مع خصوم الإسلام في خندق واحد مهاجما عقائد المسلمين ومدافعاً عن أهل الكفر وخاصة اليهود الذين أكثر في المباحثة في كتبهم والمناقشة مع أئمتهم **ومن أهم العقائد التي تأثر فيها باليهود تأثراً واضحاً:**

أولاً: **عقائد التشبيه والتجسيم** وهي كفر عند جمهور المسلمين أو بدعة خطيرة من الكبائر تقرب من الكفر عند البقين ودافع عن عقيدة اليهود فيها نصاً في (الفتوى الحموية الكبرى)، كما سيأتي في تعليقنا على إنكاره للمجاز.

ثانياً: **قيام الحوادث بذات الله** وهي كفر أيضاً والتوراة مملوءة بالنصوص الدالة على ذلك وجرى عليه أبو البركات هبة الله ابن ملكا فيلسوف اليهود المتأسلم وسايره ابن تيمية في كلامه انظر (بدعة الصوتية) في مقالات الكوثري وكذا (من عبر التاريخ) للكوثري ومقدمته للبراهين الساطعة، والكاشف لسعيد فودة.

ثالثاً: **قدم العالم** ذكر ذلك ابن ملكا اليهودي المتأسلم وسايره ابن تيمية على ذلك وهذه العقيدة كفر أيضاً انظر المصدر السابق.

رابعاً: **قوله بفناء النار**. وهو كفر عند جميع المسلمين بل إن جمهور المسلمين لما كفر جهم بن صفوان كان ذلك من الأسباب الأساسية.

خامساً: **زعمه عدم عصمة الأنبياء**: ومحاجته في إثبات المعاصي للأنبياء جميعا من آدم حتى نبينا ﷺ ولليهود سهم وافر في نسبة النقائص إليهم وهو كفر أيضاً بإجماع المسلمين.

سادساً: **تفرقته بين حياة النبي ﷺ ووفاته في صحة التوسل به أو السؤال بجاهه عند الله أو الاستغاثة به**، وقد ذهب بعض الفضلاء إلى أن هذا أيضاً كفر لانتقاصه من قدره الشريف الذي حباه الله إياه قال ذلك بمعناه القاضي المالكي نور الدين البكري فيما حكاه ابن حجر عنه في الدرر الكامنة، وذكر السبكي ذلك كما هو منقول في الفتوى الملحقة عندما عقّب على قول ابن تيمية: «.. أن الميت لا يسأل ولا يدعى ولا يطلب منه سواء كان شيخاً أو نبياً أو غير ذلك » أ.هـ. قال أبو الحسن السبكي: « هذا كفر بيقين لأنه حط رتبة الأنبياء عليهم السلام وسوى بينهم وبين غيرهم» وأيده الإمام الحصني فقال: (لأن من حط رتبة نبي فيما يجب له كفر بلا نزاع) أ.هـ.

وهذه التفرقة أخذها من اليهود كما بين ذلك الإمام القونوي ﷺ.

هذا أهم ما وقع لي من عقائده المنقولة عنهم وهي كلها كفريات كما هو موضح في موضعه سواء ثبت كفره هو نفسه أو لم يثبت فالثابت أن هذه عقائد يهودية الأصل والمنشأ.

= بل حتى إنكاره للمجاز ثبت أن أول من أنكره عمليًا وفسَّر الآية الكريمة ﴿ من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا ﴾ الآية ٢٤٥ من سورة البقرة بالمعنى الحقيقي للألفاظ ورفض المعنى المجازي وصولا إلى نسبة النقائص إلى الله سبحانه وقال ﴿ إن الله فقير يستقرضنا ﴾ كان الحبر اليهودي (فنحاص) كما سيأتي بيانه !!!

و لم يقف الأمر عند نقله لعقائدهم وأفكارهم بل تعّدى ذلك إلى اقتدائه بهم في أسلوب المغالطة والمراوغة بل والسلوكيات وإليكم هذه القصة التي نقلها السيد عبد الله الغماري في كتابه (دلالة القرآن المبين على أن النبي أفضل العالمين)ص١٥٠-١٥١قال: « ...ويناسبها ما ذكره المرتضى...

والتي سبق وأن ذكرناها في ثنايا هذا الكتاب. وطريقة هذه المغالطة هي نفسها التي استخدمها في الفتوى الحموية الكبرى عندما زعم أن ما اتفق عليه القرآن والتوراة أولى بالثبوت مما انفرد به أحدهما! وستأتي الإشارة إليها في تعليقنا على المجاز.

ومن أراد أن يقف على مدى بشاعة فكر ابن تيمية فعليه بالآتي:

أولاً: مطالعة كتابي: أ- تأثر اليهودية بالأديان الوثنية لفضيلة الدكتور/ فتحي محمد الزغبي (رسالة دكتوراة) ط دار البشير.

ب- دراسات في التوراة. لفضيلة الشيخ/ عطية إبراهيم الشوادفي مدير عام الوعظ سابقاً ط. المؤتمر العالمي للسيرة والسنة النبوية.

ثم يراجع النقاط السابق ذكرها وخاصة التجسيم وقيام الحوادث بالذات المقدسة وغير ذلك ثم تأمل كلامه الآتي في الفتوى الحموية عن التشبيه والتجسيم – والذي يسميه صفات:- « وأيضاً فقد علم أنه ﷺ قد ذم أهل الكتاب على ما حرفوه وبدلوه، ومعلوم أن التوراة مملوءة من ذكر الصفات. فلو كان هذا مما بدل وحرف لكان إنكار ذلك عليهم أولى، فكيف؟، وكانوا إذا ذكروا بين يديه الصفات ضحك تعجباً وتصديقاً لها، و لم يعبهم قط بما تعيب النفاة لأهل الإثبات على لفظ التجسيم والتشبيه ونحو ذلك، بل عليهم بقولهم ﴿ يَدُ اللهِ مَغْلُولَةٌ ﴾ [سورة المائدة: ٦٤].

وقولهم: ﴿ إنَّ اللهَ فَقِيرٌ وَنَحنُ أغنِيَاءُ ﴾ [سورة آل عمران: ١٨١].

وقولهم: إنه استراح لما خلق السموات والأرض فقال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقنَا السَّمَوَاتِ والأَرضَ وَمَا بَينَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُغُوبٍ﴾ . [سورة ق:٣٨] أ.هـ من الفتوى الحموية ص ٣٨،٣٩.

ومنه يتبين إقراره الضمني بما في عقائدهم من التشبيه والتجسيم سوى الأمثلة التي استثناها، وقس على ذلك بقية النقاط التي تابعهم فيها. وصدق رسول الله ﷺ فإن ما وقع من ابن تيمية هو من دلائل نبوة سيدنا محمد ﷺ حين أخبر به وحذر منه فقال:

«لتتبعن سَنَنَ من كان قبلكم شبراً بشبر وذراعاً بذراع حتى لو سلكوا حجر ضب لَسَلَكْتُمُوه قلنا: يا رسول الله اليهود والنصارى ؟ قال النبي ﷺ : فمن ؟» صحيح البخاري كتاب أحاديث الأنبياء- باب: ما ذكر عن بني إسرائيل عن أبي سعيد الخدري وخص حجر الضب بالذكر لشدة ضيقه ورداءته وهو كناية عن شدة الاتباع في عظيم الأمور وحقيرها.

واتفق الحذاق في زمانه من جميع المذاهب على سوء فهمه وكثرة خطئه وعدم إدراكه للمآخذ الدقيقة وتصورها. عرفوا ذلك منه بالمفاوضة في مجالس العلم.

ولنرجع إلى ما ذكره ابن شاكر في تاريخه ذكره في الجزء العشرين قال:

[٤-] وفي سنة خمس وسبعمائة في ثامن رجب عقد مجلس بالقضاة والفقهاء بحضرة نائب السلطنة بالقصر (٩٤/ب) الأبلق فسئل ابن تيمية عن عقيدته. فأملى شيئاً منها. ثم أحضرت **عقيدته الواسطية** وقرئت في المجلس ووقعت بحوث كثيرة وبقيت مواضع أخرت إلى مجلس ثان.

ثم اجتمعوا يوم الجمعة ثاني عشر رجب وحضر المجلس صفي الدين الهندي [1].

وبحثوا ثم اتفقوا على أن كمال الدين بن الزملكاني[2] يحاقق ابن تيمية

---

(1) هو محمد بن عبد الرحيم بن محمد الشيخ العلامة صفي الدين أبو عبد الله الهندي الأرموي المتكلم على مذهب الأشعري.

ولد في الهند ٦٤٤هـ وتعلم فيها ثم سافر إلى السمن وحج ثم أتى مصر ثم بلاد الروم وأخيراً إلى دمشق وولي بها مشيخة الشيوخ وانتصب للإفتاء والتدريس والتصنيف.

وهو الذي ناظر ابن تيمية في عقيدته عام ٦٩٨هـ المسماة بالفتوى الحموية كما سيأتي الإشارة إليها.

قال التاج السبكي: كان من أعلم الناس بمذهب الشيخ أبي الحسن الأشعري وأدراهم بأسراره متضلعا بالأصلين. وقال الإسنوي: كان فقيها أصوليا متكلما أديبا متعبداً.

توفي ﷺ في دمشق سنة ٧١٥هـ.

(2) هو الإمام العلامة والفقيه الشافعي الكبير قاضي القضاة: كمال الدين أبو المعالي محمد بن عبد الواحد بن عبد الكريم المعروف بـ (ابن الزملكاني) ينتهي نسبه إلى الصحابي الجليل أبي دجانة سمال بن حرشة.

ولد سنة ٦٦٧هـ طلب الحديث بنفسه وسمع من جماعة، وقرأ الفقه على الشيخ تاج الدين الفزاري وقرأ الأصول على بهاء الدين بن الزكي والصفي الهندي والنحو على بدر الدين بن مالك جلس بالجامع للإشغال وله تسع عشرة سنة.

ولي قضاء حلب ودرس بها من مصنفاته في الرد على ابن تيمية: (العمل المقبول في زيارة الرسول)، و(الرد في مسألة الطلاق في مجلد وله مصنفات أخرى في الفقه وأصوله وله كتاب في تفضيل الملك على البشر قال عنه الذهبي: « ... كان من بقايا المجتهدين ومن أذكياء أهل زمانه ودرّس وأفتى وصنف وتخرج به الأصحاب» أ.هـ.

توفي في بلبيس في رمضان سنة ٧٢٧هـ وحمل إلى القاهرة ودفن بجوار قبة الشافعي رضي الله عنهما.

ورضوا كلهم بذلك فأفحم كمال الدين ابن تيمية وخاف ابن تيمية على نفسه فأشهد على نفسه الحاضرين أنه شافعي المذهب ويعتقد ما يعتقده الإمام الشافعي فرضوا منه بذلك وانصرفوا(١).

ثم إن أصحاب ابن تيمية أظهروا أن الحق ظهر مع شيخهم وأن الحق معه، فأحضروا إلى مجلس القاضي جلال الدين القزويني(1)، وأحضروا ابن تيمية وصفعه(٢) ورسم بتعزيره فشفع فيه. وكذلك فعل الحنفي باثنين من أصحاب ابن تيمية.

[٥-] ثم قال: ولما كان سلخ رجب جمعوا القضاة والفقهاء. وعقد مجلس بالميدان أيضاً وحضر نائب السلطنة أيضاً وتباحثوا في **أمر العقيدة** وسلك معهم المسلك الأول.

فلما كان بعد أيام ورد مرسوم السلطان صحبة بريدي من الديار المصرية بطلب قاضي القضاة نجم الدين بن صصري(2) وبابن تيمية. وفي الكتاب: (يعرفونا(٣) ما (٩٥/أ) وقع في سنة ثمان وتسعين في عقيدة ابن تيمية).

---

(١) في ج: فانصرفوا.

(٢) مطموسة في (أ) ولكنها تُقرأ وصفعه.

(٣) في ط: تعرفونا.

---

(1)هو الإمام العلامة قاضي القضاة جلال الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن بن عمر القزويني ثم الدمشقي، ولد سنة ٦٦٦هـ حدث وأفتى ودرس وولي الخطابة ثم القضاء بدمشق ثم انتقل إلى قضاء مصر ١١سنة ثم عاد إلى قضاء الشام صنف (تلخيص المفتاح) في المعاني والبيان، وشرحه المسمى (الإيضاح) وصنف في الأصول كتابا حسنا. توفى بدمشق سنة ٧٣٩هـ.

(2)هو: نجم الدين أبو العباس أحمد بن محمد بن سالم المعروف بـ (ابن صصري).

ولد سنة ٦٥٥هـ تفقه ودرس وأفتى. سمع منه السبكي والبرزالي والذهبي والعلائي وغيرهم، قال عنه الذهبي: «كان ديِّنا رئيسا كبير القدر وكان ماضي الأحكام ... » أ.هـ وقال غيره: أنه في مدة ولايته لم يقدر أحد أن يدلسٍّ عليه قضية ولا يشهد ما سمع عنه أنه ارتشى في حكومة وكان حسن الأخلاق كثير التودد. توفى سنة ٧٢٣هـ ودفن في دمشق.

فطلبوا الناس وسألوا[١] عما جرى لابن تيمية في أيام نقل عنه فيها كلام قاله وأحضر[٢] القاضي جلال الدين القزويني العقيدة التي كانت أحضرت في زمن قاضي القضاة إمام الدين[1] وتحدثوا مع ملك الأمراء في أنه[٣] يكاتب في هذا الأمر فأجاب. فلما كان ثاني يوم وصل مملوك ملك الأمراء على البريد من مصر وأخبر أن الطلب على ابن تيمية كثير وأن القاضي المالكي قائم في

(١) في ط: وسألوهم.

(٢) في ط: وأحضروا.

(٣) في ط: أن.

---

(1)هو قاضي القضاة إمام الدين أبو المعالي عمر بن عبد الرحمن بن عمر التميمي العجلي القزوينيقاضي الشام أخو العلامة قاضي القضاة جلال الدين القزويني قال عنه الذهبي أنه كان: حسن الأخلاق متواضعاً فاضلا عاقلا أ.هـ وقال غيره: كان من محاسن الزمان فاضلا في الأصول والخلاف والمنطق.

والعقيدة التي نوقشت من ابن تيمية في أيامه سنة ٦٩٨هـ هي (الفتوى الحموية الكبرى) التي رد عليها ابن جهبل وكان من عادة ابن تيمية كلما ضاق عليه الخناق أن يهرب ويقول ما أردت كذا بل أردت: ويذكر شيئا بعيداً كما يحكي عنه ابن حجر.

وقد روى تاج الدين السبكي تفاصيل ما حدث سنة ٦٩٨هـ فقال: « ولما وقع من ابن تيمية في المسئلةالحموية ما وقع، وعقد له المجلس بدار السعادة، بين يدي الأمير تنكيز، وجمعت العلماء، أشاروا بأن الشيخ الهندي يحضر، فحضر، وكان الهندي طويل النفس في التقرير، إذا شرع في وجه يقرره لا يدع شبهة ولا اعتراضا إلا قد أشار إليه في التقرير، بحيث لا يتم التقرير إلا وقد بعد على المعترض مقاومته، فلما شرع يقرر أخذ ابن تيمية يعجل عليه على عادته، ويخرج من شيء إلى شيء، فقال له الهندي: ما أراك يا ابن تيمية إلا كالعصفور، حيث أردت أن أقبضه من مكان فر إلى مكان آخر، وكان الأمير تنكيز يعظم الهندي ويعتقده، وكان الهندي شيخ الحاضرين كلهم، فكلهم صدر عن رأيه، وحبس ابن تيمية بسبب تلك المسئلة، وهي التي تضمنت قوله بالجهة، ونودي عليه في البلد، وعلى أصحابه، وعزلوا من وظائفهم » أ.هـ.

توفي ودفن بالقاهرة سنة ٦٩٩هـ. انظر طبقات الشافعية الكبرى ترجمة صفي الدين الهندي.

قضيته قياماً عظيماً. وأخبر بأشياء كثيرة عن الحنابلة وقعت في الديار المصرية وأن بعضهم صفع فلما سمع ملك الأمراء بذلك انحلت عزائمه عن المكاتبة، وسير شمس الدين محمد[1] بن المهمندار إلى ابن تيمية. وقال له: قد رسم مولانا ملك الأمراء بأن تسافر غداً وكذلك راح إلى قاضي القضاة فشرعوا في التجهيز وسافر صحبة ابن تيمية أخواه عبد الله وعبد الرحمن وسافر معهم جماعة من أصحاب ابن تيمية.

[٦-] وفي سابع شوال وصل البريدي إلى دمشق وأخبر بوصولهم إلى الديار المصرية وأنه عقد لهم مجلس بقلعة القاهرة بحضرة القضاة والفقهاء والعلماء والأمراء فتكلم الشيخ شمس الدين بن عدلان[2](1) الشافعي وادعى على ابن تيمية في أمر العقيدة. فذكر (٩٥/ب) منها فصولاً.

فشرع ابن تيمية بحمد الله تعالى[3] وأثنى عليه وتكلم بما يقتضي الوعظ.

فقيل له يا شيخ إن الذي تقوله نحن نعرفه وما لنا حاجة إلى وعظك، وقد ادعي عليك بدعوى شرعية فأجب.

فأراد ابن تيمية أن يعيد التحميد فلم يمكنوه من ذلك بل قيل له أجب، فتوقف وكُرر عليه القول مراراً فلم يزدهم على ذلك شيئاً وطال الأمر، فعند ذلك حكم القاضي المالكي بحبسه وحبس أخويه معه. فحبسوا[4] في برج من

---

(١) في ط: ابن محمد.

(٢) في ط: شمس الدين عدنان، وفي أ، ب، جـ: شمس الدين بن عدنان وهو خطأ.

(٣) في ج: فحمد الله.

(٤) في ط: فحبسوه.

---

(1) هو: محمد بن أحمد بن عثمان بن إبراهيم بن عدلان شمس الدين المعروف بـ (ابن عدلان)، الإمام العلامة شيخ الشافعية. ولد سنة ٦٦٣هـ، قال عنه الإسنوي: كان فقيها إماما يضرب به المثل في الفقه، عارفا بالأصلين والنحو القراءات ذكيا نظارا فصيحا يعبر عن الأمور الدقيقة بعبارة وجيزة مع السرعة والاسترسال دينا سليما الصدر كثير المروءة أ.هـ.

توفى سنة ٧٤٩ شهيداً بالطاعون.

أبراج القلعة، فتردد إليه جماعة من الأمراء[1] فسمع القاضي بذلك فاجتمع بالأمراء وقال: يجب عليه التضييق إذا لم يقتل وإلا فقد وجب قتله، وثبت كفره. فنقلوه إلى الجب بقلعة الجبل ونقلوا أخويه معه بإهانة.

وفي سادس عشر ذي القعدة وصل من الديار المصرية قاضي القضاة نجم الدين بن صصري وجلس يوم الجمعة في الشباك الكمالي وحضر القراء والمنشدون وأنشدت التهاني، وكان وصل معه كتب ولم يعرضها على نائب (٩٦/أ) السلطنة، فلما كان بعد أيام عرضها عليه. فرسم ملك الأمراء بقراءتها والعمل بما فيها امتثالاً للمراسيم السلطانية. وكانوا قد بيتوا على الحنابلة كلهم بأن يحضروا إلى مقصورة الخطابة بالجامع الأموي بعد الصلاة وحضر القضاة كلهم بمقصورة الخطابة معهم الأمير الكبير ركن الدين بيبرس العلائي وأحضروا تقليد القاضي[١] نجم الدين بن صصري الذي حضر مغه من مصر باستمراره على قضاء وقضاة العصر[٢] ونظر الأوقاف[٣] وزيادة المعلوم. وقرئ عقيبه الكتاب الذي وصل على يديه[٤] **وفيه ما يتعلق[٥] بمخالفة ابن تيمية في عقيدته وإلزام الناس بذلك خصوصاً الحنابلة والوعد[٦] الشديد عليهم والعزل من المناصب والحبس وأخذ المال والروح لخروجهم[٧] بهذه العقيدة عن الملة المحمدية.**

(١) في ط: القضاة.

(٢) في ط: على قضاء القضاة وقضاء.

(٣) في ب: باستمراره على الـ.... القضاه وقضاء العسكر ونظر الأوق؟؟.

(٤) في ب: يده.

(٥) في ب: ومنه ما يتعلق.

(٦) في ط: والوعيد.

(٧) في ج: واللزوم بخروجهم .. ثم عُـدِّل بخط أخر أعلاها والروح بخروجهم وفي ب: والزوم بخروجهم.

---

(1) من هذا ومما سبق من كلام المصنف، بل توضح كل المصادر التي سجلت أحداث هذه الفترة أن ابن تيمية كان قد أقام شبكة من العلاقات الودية بينه وبين أمراء هذا العصر لكي يساندوه في موقفه ضد علماء الإسلام، وهو ما سجله المؤرخون لهذه الفترة.

ونسخة الكتاب نحو الكتاب المتقدم. وتولى قراءته شمس الدين محمد بن شهاب الدين الموقع وبلغ عنه الناس ابن صبح المؤذن وقرئ بعده تقليد الشيخ برهان الدين بالخطابة وأحضروا بعد القراءة الحنابلة مهانين إلى بين[١] يدي القاضي جمال الدين المالكي بحضور (٩٦/ب) باقي القضاة واعترفوا أنهم يعتقدون ما يعتقده محمد بن إدريس الشافعي ﷺ. [1]

---

(١) في ط: مهانين بين.

---

(1) ويحكي المؤرخ ابن إيبك الدواداري قصة خروج ابن تيمية من سجنه سنة ٧٠٧هـ بعد تراجعه عن أخطائه في العقيدة الواسطية كالتالي:

«وفيها في العشر الأوّل من شهر ربيع الأول، وصل الأمير حسام الدين مهنّا بن الأمير شرف الدين عيسى بن مهنّا إلى الأبواب العالية، واجتمع بالمقام الأعظم السلطاني، وحصل له من الإقبال والإنعام شيء كثير. **وخاطب مولانا السلطان في أمر الشيخ تقي الدين بن التيميّة، فأنعم مولانا السلطان له بإطلاقه** فتوجّه إليه الأمير حسام الدين مهنّا بنفسه إلى السجن، وأخرجه يوم الجمعة الثالث والعشرين من ربيع الأوّل، وأحضر إلى دار النيابة بحضرة الأمير سيف الدين سلارّ وأحضر له بعض الفقهاء، وحصل بينهم كلام كثير وبحث زايد يضيق هذا المجموع عن بعضه، وقربت صلاة الجمعة فافترقوا. ثمّ اجتمعوا وبحثوا إلى المغرب و لم ينفصل لهم أمر. ثمّ اجتمعوا يوم الأحد الخامس والعشرين من الشهر، وحضروا جماعة فقهاء آخرون وحضر الشيخ نجم الدين بن رفعة، وعلاء الدين الباجي، وفخر الدين بن أبي سعد وشمس الدين الخطيب الجزري، وعزّ الدين النمراوي، وشمس الدين عدلان وصهر المالكّي وجماعة أخر في تعدادهم طول كثير. و لم تحضر المولى القضاء، وطلبوهم فاعتذروا. وقبل عذرهم نايب السلطان، و لم يكلّفهم إلى الحضور. وتباحثوا ذلك اليوم في مجلس الأمير سيف الدين سلار، وانفصل المجلس على خير. وبات الشيخ تقيّ الدين عند نايب السلطان، وكتب بيده كتاباً إلى دمشق مضمّناً خروجه من السجن. وأقام بعد ذلك بدار ابن شقير بالقاهرة. ورسم نايب السلطان بتأخيره عن التوجُه مع مهنّا لمصلحة في ذلك.

وفي يوم الجمعة رابع عشر ربيع الآخر، عُقد له مجلس آخر بالمدرسة الصالحيّة بعد الصلاة. وكان مهنا قد سافر، وبحثوا معه. ووقع الاتفاق على تغيير الألفاظ في العقيدة، وانفصل المجلس على خير. ولستقر بعد ذلك بالقاهرة، والناس يجتمعون به ويُهرعون إليه، و لم يزل كذلك إلى أن سافر في سنة اثنتي عشرة وسبع مائة. واستقرّ إلى أن توفّى رحمه الله تعالى في تاريخ ما يأتي ذكره » أ.هـ (كنز الدرر وجامع الغرر) جـ٩ ص ١٥٠-١٥١.

[٧-] وفي سابع شهر صفر سنة ثمان عشرة ورد مرسوم السلطان بالمنع من الفتوى في مسألة الطلاق الذي يفتي بها ابن تيمية وأمر بعقد مجلس له بدار السعادة وحضر القضاة وجماعة من الفقهاء وحضر ابن تيمية وسألوه عن فتاويه في مسألة الطلاق وكونهم نهوه وما انتهى ولا قبل مرسوم السلطان ولا حُكْم الحكام بمنعه فأنكر، فحضر خمسة نفر فذكروا عنه أنه أفتاهم بعد ذلك. فأنكر وصمم على الإنكار فحضر ابن طليش وشهود شهدوا أنه أفتى لحاماً اسمه قمر مسلماني في بستان ابن منجا ثم قيل لابن تيمية: أكتب خطَّك أنك لا تفتي بها ولا بغيرها. فكتب خطه أنه لا يفتي بها وما كتب بغيرها. فقال القاضي نجم الدين بن صصري: حكمت بحبسك واعتقالك. فقال له: حكمك باطل لأنك عدوي. فلم يقبل منه وأخذوه، واعتقلوه في قلعة دمشق.

وفي سنة إحدى وعشرين وسبعمائة يوم عاشوراء فرّج[1] عن ابن تيمية من حبسه بقلعة دمشق وكانت مدة اعتقاله خمسة (٩٧/أ) أشهر ونصف.

وفي سنة اثنتين[2] وعشرين وسبعمائة في السادس عشر من شعبان قدم بريدي من الديار المصرية ومعه مرسوم شريف باعتقال ابن تيمية، فاعتقل في قلعة دمشق.

وكان السبب في اعتقاله وحبسه أنه قال (لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد، وإن زيارة قبور الأنبياء لا تشد إليها الرواحل كغيرها كقبر إبراهيم الخليل وقبر النبي ﷺ).

---

(١) في ط: أفرج.

(٢) المخطوطات: اثنين، والصواب ما أثبتناه.

ثم إن الشاميين كتبوا فتيا أيضاً في ابن تيمية لكونه أول من أحدث هذه المسألة التي لا تصدر إلا ممن في قلبه ضغينة لسيد الأولين والآخرين. فكتب عليها الإمام العلامة برهان الدين الفزاري[1] نحو أربعين سطراً بأشياء وآخر القول أنه أفتى بتكفيره ووافقه على ذلك الشيخ شهاب الدين بن جهبل[2] الشافعي، وكتب تحت خطه كذلك المالكي وكذلك كتب غيرهم، ووقع الاتفاق على تضليله بذلك وتبديعه وزندقته.

ثم أراد النائب أن يعقد لهم مجلسا ويجمع العلماء والقضاة فرأى أن الأمر يتسع فيه الكلام ولابد من إعلام السلطان بما وقع فأخذ الفتوى وجعلها في مطالعه وسيرها فجمع السلطان لها القضاة. فلما قرئت عليهم (٩٧/ب)

---

(1) هو: إبراهيم بن عبد الرحمن بن إبراهيم بن سباع بن ضياء الفزاري البدري شيخ الإسلام برهان الدين أبو إسحاق ولد سنة ٦٦٠هـ.

قال عنه تاج الدين السبكي « كان ملازما للشغل بالعلم والإفادة والتعليق سديد السيرة كثير الورع مجمعا على تقدمه في الفقه ومشاركته في الأصول والنحو والحديث» أ.هـ ويقول الذهبي عنه «انتهت إليه معرفة المذهب ودقائقه ووجوهه مع علم متون الأحكام وعلم الأصول والعربية وغير ذلك وسمع الكثير وكتب بعض مسموعاته وكان يدري علوم الحديث مع الدين والورع وحسن السمت والتواضع » أ.هـ.

توفى في سنة ٧٢٩هـ على ما حكاه تلميذه تاج الدين السبكي ودفن في دمشق.

(2) هو الشيخ العلامة شهاب الدين أحمد بن يحيى بن إسماعيل بن جهبل الكلابي الحلبي الأصل الشافعي المذهب اشتهر بالزهد والورع، درّس وأفتى وشُغل بالعلم ولم يأخذ معلوما على تدريسه صنف كتابا في نفي الجهة يكتب بماء الذهب كما وصفه العلامة الكوثرى ردَّ به على الفتوى الحموية لابن تيمية وقد نشر بالقاهرة بتحقيق د. طه حبيش بعنوان (الحقائق الجلية في الرد على ابن تيمية) وهو موجود في طبقات الشافعية الكبرى عقب ترجمة ابن جهبل توفى رحمه الله سنة ٧٣٣هـ.

أخذها قاضي القضاة بدر الدين بن جماعة(1) وكتب عليها: (**القائل بهذه المقالة ضال مبتدع**) ووافقه على ذلك الحنفي والحنبلي فصار كفره بذلك مجمعاً(١) عليه ثم كتب كتاباً(٢) إلى دمشق بما يعتمده نائب السلطنة في أمره.

وفي يوم الجمعة عاشر شهر شعبان حضر كتاب السلطان إلى نائب البلد وأمره أن يقرأ على السدة في يوم الجمعة فقريء وكان قارئ الكتاب بدر الدين بن الأعزازي الموقع والمبلغ ابن النجيي المؤذن.

ومضمون الكتاب بعد البسملة:

أدام الله تعالى نعمه ... ونوضح(٣) لعلمه الكريم ورود مكاتبته التي جهزها بسبب ابن تيمية. فوقفنا عليها، وعلمنا مضمونها في أمر المذكور وإقدامه على الفتوى بعد تكرير المراسيم الشريفة بمنعه، حسب ما حكم به القضاة وأكبر(٤) العلماء(٥)، وعقدنا بهذا السبب مجلساً بين أيدينا الشريفة

(١) في ط: فصار كفره مجمعاً.

(٢) في ج: ثم كتب كتابه.

(٣) في ج: وتوضح.

(٤) في ط: وأكابر.

(٥) في ب: بين القضاة والعلماء وفي ج: في سجن المذكور.

---

(1) هو: محمد بن إبراهيم بن سعد الله بن جماعة قاضي القضاة بدر الدين أبو عبد الله ولد سنة ٦٣٩ هـ بحماة. قال عنه الذهبي: « قاضي القضاة شيخ الإسلام الخطيب المفسر، له تعاليق في الفقه والحديث والأصول والتاريخ وغير ذلك. وله مشاركة حسنة في علوم الإسلام مع دين وتعبد وتصوف وأوصاف حميدة وأحكام محمودة ... وهو أشعري فاضل » أ.هـ. اشتغل في علوم كثيرة وصنف في كثير منها، أفتى قديما وعرضت فتواه على النووي فاستحسن ما أجاب به. قلت: من مصنفاته المطبوعة (إيضاح الدليل في قطع حجج أهل التعطيل) طبعته مكتبة دار السلام بالقاهرة وهو يرد على المشبهة والمجسمة في عصره (ابن تيمية وأتباعه).

توفى ﷺ سنة ٧٣٣هـ بالقاهرة ودفن قريباً من الشافعي.

ورسمنا بقراءة الفتوى على القضاة والعلماء فذكروا جميعاً من غير خلف أن الذي أفتى به ابن تيمية في ذلك خطأ مردود عليه، وحكموا بزجره وطول سجنه ومنعه من الفتوى مطلقاً، وكتبوا خطوطهم بين أيدينا على ظاهر الفتوى المجهزة بنسخة ما كتبه ابن تيمية، وقد جهزنا (٩٨/أ) إلى الجناب العالي طي هذه المكاتبة. فيقف على حكم ما كتبت[١] به القضاة الأربعة، ويتقدم اعتقال المذكور في قلعة دمشق ويمنع من الفتوى مطلقاً. ويمنع الناس من الاجتماع به والتردد إليه تضييقاً عليه، لجرأته على هذه الفتوى. فيحيط به علمك الكريم ويكون اعتماده بحسب ما حكم به الأئمة الأربعة، وأفتى به العلماء في السجن المذكور[٢] وطول سجنه فإنه في كل وقت يحدث للناس شيئاً منكراً، وزندقة يشغل خواطر الناس به[٣] ويفسد على العوام عقولهم الضعيفة وعقائدهم[٤]، فيمنع من ذلك[٥] وتسد الذريعة منه. فليكن عمله على هذا الحكم، ويتقدم أمره به. وإذا اعتمد الجناب الرفيع العالي هذا الاعتماد الذي رسمنا به في أمر ابن تيمية فيتقدم منع من سلك مسالكه أو يفتي بهذه الفتاوى أو يعمل بها في أمر الطلاق أو هذه القضايا المستحدثة، وإذا اطلع على أحد عمل بذلك أو أفتى به فيعتبر حاله فإن كان من مشايخ العلماء فيعزر تعزير مثله. وإن كان من الشبان الذين يقصدون الظهور كما

---

(١) في ط: كتب.

(٢) في ج: في سحن المذكور في ب–ط: في السجن للمذكور.

(٣) في ط: بها.

(٤) في ط: وعقلياتهم وعقائدهم.

(٥) في ط: ما ذلك.

يقصده ابن تيمية فيؤذيهم[١] ويردعهم ردعاً بليغاً. ويعتمد[٢] (٩٨/ب) في أمره ما يحسم[٣] به المواد أمثاله ليستقيم[٤] أحوال الناس وتمشي على السداد، ولا يعود أحد يتجاسر على الإفتاء بما يخالف الإجماع. ويبتدع في دين الله عز وجل من أنواع الاقتراح ما لم يسبقه أحد إليه. فالجناب العالي يعتمد هذه الأمور التي عرفناه إياها الآن. وتسد[٥] الذرائع فيها. وقد عجلنا بهذا الكتاب وبقية فصول مكاتبته الوارده تصل[٦] بعد هذا الكتاب إن شاء الله تعالى وكتب في سابع عشرين رجب سنة ست وعشرين وسبعمائة[٧].

---

(١) في ج: فيؤدبهم. وفي ط: فيؤديهم.

(٢) في ج: ويعمل.

(٣) في ط: أمر ما يحسم.

(٤) في ط: لتستقيم.

(٥) في ب: ويسد. وفي ط: وسد.

(٦) في ط: مكاتبته تصل.

(٧) في ط: سبعمائة بدون الواو.

صورة الفتوى من المنقول من خط القضاة الأربعة بالقاهرة[١] على ظاهر الفتوى:

الحمد لله، هذا المنقول باطنها جواب[٢] عن السؤال عن قوله إن زيارة الأنبياء والصالحين بدعة، وما ذكره[٣] من نحو ذلك وأنه لا يرخص في السفر لزيارة الأنبياء باطل مردود عليه.

وقد نقل جماعة من العلماء أن **زيارة النبي ﷺ فضيلة وسنة** مجمع عليها وهذا المفتي المذكور ينبغي أن يزجر عن مثل هذه الفتاوي الباطلة عند الأئمة (٩٩/أ) والعلماء ويمنع من الفتاوى الغريبة ويحبس[٤] إذا لم يمتنع من ذلك ويشهر أمره ليتحفظ الناس من الاقتداء به. وكتبه محمد بن إبراهيم بن سعد الله بن جماعة الشافعي.

وكذلك يقول محمد بن الجزري[٥] الأنصاري الحنفي[1]: لكن يحبس الآن جزماً مطلقاً وكذلك محمد بن أبي بكر المالكي[2] ويبالغ في زجره حسبما

(١) في ج: القاهرة المحروسة.

(٢) في ب: هذه الفتوى باطنها جواب عن السؤال.

(٣) في ب: وذكره نحو ذلك.

(٤) في ط: ويجلس.

(٥) في ط: الجريري.

(1) هو: محمد بن إبراهيم بن أبي بكر بن إبراهيم بن عبد العزيز الجزري شمس الدين الدمشقي الفقيه المحدث ولد سنة ٦٥٨هـ كان حسن المذاكرة سليم الباطن جمع تاريخاً مشهوراً.

قال عنه الذهبي: كان متواضعاً محبا في الصالحين وكان يرحب بهم وكان له مسلك جيد وربما شهد على الحكام أ.هـ توفى في واسط سنة ٧٣٩هـ.

(2) محمد بن أبي بكر بن عيسى بن بدران تقي الدين أبو عبد الله المعروف بابن الأخنائي الفقيه المحدث الفاضل قاضي قضاة المالكية بمصر ولد سنة ٦٥٨هـ، توفي سنة ٧٥٠هـ رد على ابن تيمية في موضوع (الزيارة) وهو مطبوع ضمن كتاب البراهين الساطعة للإمام سلامة العزامي.

تندفع به **المفسدة وغيرها من المفاسد.**

وكذلك يقول أحمد بن عمر المقدسي الحنبلي.

[٨-] **ووجدوا صورة فتوى أخرى لفظها:**[١] **(زيارة قبر النبي ﷺ وقبور الأنبياء معصية بالإجماع مقطوع بها).**

وهذه الفتوى هي التي وقف عليها الحكام وشهد بذلك القاضي جلال الدين محمد بن عبد الرحمن القزويني، **فلما رأوا خطه عليها تحققوا فتواه فغاروا لرسول الله ﷺ غيرة عظيمة وللمسلمين الذين ندبوا إلى زيارته وللزائرين من أقطار الأرض واتفقوا على تبديعه وتضليله وزيغه وأهانوه ووضعوه في السجن.**

وذكر الشيخ الإمام العلامة شمس الدين (٩٩/ب) الذهبي[1] بعض محنته وأن بعضها كان في سنة خمس وسبعمائة وكان سؤالهم عن عقيدته وعنه أذكر[٢] في الواسطية[٣] وطلب وصورت عليه دعوى المالكي[٤] فسجن هو وأخويه[٥]

---

(١) في ط: ووجده صورة فتوى أخرى يقطع فيها بأن.

(٢) في ب ج: وعما ذكر في الواسطية.

(٣) في ط: الواسطة.

(٤) في ج: دعوي عند المالكي.

(٥) في أ،ج: أخويه، هو خطأ . وفي ط: هو وأخواه.

---

(1) هو الإمام العلامة الحافظ أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان بن قائماز المعروف بـ (الذهبي) أخذ الفقه عن الإمام كمال الدين بن الزملكاني وبرهان الدين الفزاري وغيرهم وأتقن صناعة الحديث وتخرج به حفاظ عصره وصنف التصانيف الكثيرة المشهورة تأثر بابن تيمية في أول حياته ثم مال إلى الاعتدال بعد ذلك وأرسل له رسالة قرب نهاية حياة ابن تيمية تدل على إنصاف الذهبي سنذكرها إن شاء الله. توفى رحمه الله سنة ٧٤٨هـ.

بضعة عشر شهراً ثم أخرج ثم حبس في حبس الحاكم[1].

---

(1) المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي يوسف بن تغري بردي ت ٨٧٤هـ ج١ ص ٣٦٠-٣٦١ط. الهيئة المصرية العامة للكتاب ترجمة ابن تيمية ص ٣٥٨ -٣٦٢ج١ ذكر حبسه في سنة ٧٢٦هـ.

ثم قال: «ومما وقع له قبل حبسه أنه بحث مع بعض الفقهاء فكتب عليه محضر بأنه قال: (أنا أشعري) ثم أخذ خطه بما نصه: (أنه اعتقد أن القرآن معنى قائم بذات الله وهو صفة من صفات ذاته القديمة، وهو غير مخلوق وليس بحرف ولا صوت وأن قوله ﴿الرحمن على العرش استوى﴾ ليس على ظاهره، ولا أعلم كنه المراد به، بل لا يعلمه إلا الله، والقول في النزول كالقول في الاستواء، وكتبه أحمد بن تيمية).

ثم أشهدوا عليه جماعة أنه تاب مما ينافي ذلك مختاراً، وشهد عليه بذلك جمع من العلماء وغيرهم أ.هـ.

هذا النص موجود في الدرر الكامنة وحدد أن هذه الاستتابة كانت سنة ٧٠٧هـ، ونقلها أيضاً بتفصيل أكثر الإمام ابن المعلم القرشي في كتابه الجليل (نجم المهتدي) وها هو نص الاستتابة:

« الحمد لله. الذي أعتقده أن القرآن معنى قائم بذات الله وهو صفة من صفات ذاته القديمة الأزلية وهو غير مخلوق وليس بحرف ولا صوت وليس هو حالا في مخلوق أصلا لا ورق ولا حبر ولا غير ذلك. والذي أعتقده في قوله ﴿ الرحمن على العرش استوى ﴾ أنه على ما قال الجماعة الحاضرون وليس على حقيقته وظاهره ولا أعلم كنه المراد به، بل لا يعلم ذلك إلا الله. والقول في النزول كالقول في الاستواء أقول فيه ما أقول فيه لا أعرف كنه المراد به بل لا يعلم ذلك إلا الله وليس على حقيقته وظاهر كما قال الجماعة الحاضرون وكل ما يخالف هذا الاعتقاد فهو باطل وكل ما في خطي أو لفظي مما يخالف ذلك فهو باطل، وكل ما في ذلك مما فيه إضلال الخلق أو نسبة ما لا يليق بالله إليه فأنا بريءٌ منه فقد برئت منه وتائب إلى الله من كل ما يخالفه ، كتبه أحمد بن تيمية، وذلك يوم الخميس سادس شهر ربيع الآخر سبع وسبعمائة، وكل ما كتبته وقلته في هذه الورقة فأنا مختار في ذلك غير مكره. كتبه أحمد بن تيمية حسبنا الله ونعم الوكيل » .

وبأعلى ذلك بخط قاضي القضاء بدر الدين بن جماعة ما صورته: « اعترف عندي بكل ما كتبه بخطه في التاريخ المذكور، كتبه محمد بن إبراهيم الشافعي» وبحاشية الخط: « اعترف بكل ما كتبه بخطه، كتبه عبد الغني بن محمد الحنبلي» وبآخر خط ابن تيمية رسوم شهادات هذه =

وكان مما ادعي عليه بمصر أن قال[1] الرحمن استوى على العرش حقيقة وأنه تكلم بحرف وصوت، ثم نودي بدمشق وغيرها[2] من كان على عقيدة ابن تيمية حل ماله ودمه.

وذكر أبو حيان النحوي الأندلسي[1]

(١) في ج: أنه قال.

(٢) في ج: (ثم نودي بدمشق من كان) بدون غيرها.

= صورتها: «كتب المذكور بخطه أعلاه بحضوري واعترف بمضمونه، كتبه أحمد بن الرفعه» صورة خط آخر: « أقر بذلك، كتبه عبد العزيز النمراوي» صورة خط آخر: « أقر بذلك كله بتاريخه، علي بن محمد بن خطاب الباجي الشافعي» صورة خط آخر: «جرى ذلك بحضوري في تاريخه، كتبه الحسن بن أحمد بن محمد الحسيني» وبالحاشية أيضاً ما مثاله: «كتب المذكور أعلاه بخطه واعترف به، كتبه عبد الله بن جماعة» مثال خط آخر: «أقر بذلك وكتبه بحضوري، محمد بن عثمان البوريجي» يقول العلامة زاهد الكوثري بعد أن نقل ما سبق في تعليقه على (السيف الصقيل): « وكل هؤلاء من كبار أهل العلم في ذلك العصر، وابن الرفعة وحده له (المطلب العالي في شرح وسيط الغزالي) في أربعين مجلداً وفي ذلك عبر. ولولا أن ابن تيمية كان يدعو العامة إلى اعتقاد ضد ما في صيغة الاستتابة هذه بكل ما أوتي من حول وحيلة لما استتابه أهل العلم بتلك الصيغة وما اقترحوا عليه أن يكتب بخطه ما يؤاخذ به إن لم يقف عند شرطه، وبعد أن كتب تلك الصيغة بخطه توج خطه قاضي القضاة البدر بن جماعة بالعلامة الشريفة وشهد على ذلك جماعة من العلماء كما ذكرنا، وحفظت تلك الوثيقة بالخزانة الملكية الناصرية، لكن لم تمض مدة على ذلك حتى نقض ابن تيمية عهوده ومواثيقه كما هو عادة أئمة الضلال وعاد إلى دعوته الضالة ورجع إلى عادته القديمة في الإضلال وكم له من فتن في مختلف التواريخ في سني ٦٩٨ و ٧٠٥ و ٧١٨و ٧٢١ و ٧٢٢و ٧٢٦ وهي مدونة في كتب التواريخ وفي كتب خاصة، ومجرد تصور شواذه التي ألممنا ببعضها في هذا الكتاب يدل المسترشد المنصف على ما ينطوي عليه من الزيغ وإضلال الأمة والله سبحانه ينتقم منه... » . أ.هـ ط. زهران ص ٩٥-٩٦.

(1) هو محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان النِّفْزي الأندلسي أبو حيان يقول عنه تلميذه القاضي عبد الوهاب السبكي: شيخ النحاة العلم الفرد والبحر الذي لم يعرف الجزر بل =

في تفسيره المسمى بالنهر في قوله تعالى: ﴿وسع كرسيه السموات والأرض﴾ [1] ما صورته:

وقد قرأت في كتاب لأحمد بن تيمية هذا الذي عاصرناه وهو بخطه سماه كتاب العرش (إن الله يجلس على الكرسي وقد أخلى مكاناً يقعد معه فيه رسول الله ﷺ) تحيل عليه التاج محمد بن علي بن عبد الحق[2] وكان من تحيله عليه أنه أظهر أنه داعية له حتى أخذ منه الكتاب وقرأنا ذلك فيه.

=المد، سيبويه الزمان، والمبرد إذا حمي الوطيس بتشاجر الأقران ولد سنة ٦٥٤هـ في غرناطة بالأندلس ونشأ بها وقرأ القراءات والنحو واللغة وجال في بلاد المغرب ثم قدم مصر قبل سنة ٦٨٠هـ وسمع الحديث ولازم الحافظ أبا محمد الدمياطي وانتفى على بعض شيوخه وخرج وشغل الناس بالنحو والقراءات. أخذ عنه كثيرون منهم الإمام تقي الدين السبكي وروى عنه الحادثة التي يذكرها الإمام الحصني ويقول عن ذلك الإمام السبكي: إن أبا حيان ظل يلعن ابن تيمية حتى مات بسبب ذلك وليس بسبب سيبويه كما أشاع بعض المؤرخين ذكر ذلك في السيف الصقيل وهو أدرى بتاريخ شيخه الذي عاصره. وله مؤلفات سارت بها الركبان منها البحر المحيط في التفسير وذكر فيه هذه الحادثة عند تفسير آية الكرسي ولكن حدث عند طبعه الطبعة الأولى بمطبعة السعادة في مصر أن المصحح الساذج–سامحه الله– أن هذه الفقرة مدسوسة على الكتاب من أعداء الدين لشدة شناعتها واستعظامه أن يصدر مثلها من مسلم فضلا عمن يصفونه بشيخ الإسلام فقام بحذفها وعندما راجعه في ذلك الإمام الكوثري والسيد المقيد عبد الله الغماري اعترف بما حصل وأسباب ذلك وطلب منهم أن يثبتوا ذلك رجاء إعادة تصحيح هذا الخطأ في الطباعات التالية.

وقد ذكر الإمام أبو حيان نفس هذه الفقرة في تفسيره المختصر (النهر الماد) والذي طبع لاحقا وبحمد لله لم تحذف هذه الفقرة منه، وأشار إليها أيضاً ابن القيم في قصيدته النونية.

وقد اختصر منهاج النووي وشرح التسهيل لابن مالك وله كتاب الارتشاف وتجريد أحكام سيبويه والتذكرة والغاية والتقريب وعقد اللآلئ في القرآت وغير ذلك كثير.

توفى ؓ سنة ٧٤٥هـ بالقاهرة ودفن بمقابر الصوفية. انظر ترجمته في طبقات الشافعية الكبرى ٩/٢٧٦–٢٧٩ط. دار هجر.

(1) الآية ٢٥٥، من سورة البقرة.

(2) هو تاج الدين البارنباري المعروف بُطَوْير الليل من تلامذة أبي الثناء شمس الدين الأصفهاني في المعقولات. قال ابن السبكي: «أحد أذكياء الزمان، برع فقها وعلما وأصولا ومنطقا» . ولد سنة ٦٥٤، وتوفى سنة ٧١٧ رحمه الله تعالى. ترجمته في طبقات الشافعية الكبرى (٩/ ٢٤٩)، الدرر الكامنة (٤/ ١٠٠). تحيل التاج البارنباري على ابن تيمية دليل على أنه كان يخفي حقيقة مذهبه وعقيدته!

[١١-] ورأيت في بعض فتاويه أن الكرسي موضع القدمين.

[١٢-] وفي كتابه المسمى بالتدمرية ما هذا لفظه بحروفه بعد أن قرر ما يتعلق بالصفات المتعلقة بالخالق والمخلوق:

(ثم من المعلوم أن الرب لما وصف نفسه بأنه حي عليم قدير لم (١٠٠/أ) يقل المسلمون أن ظاهر هذا غير مراد لأن مفهوم ذلك في حقه مثل مفهومه في حقنا فكذلك لما وصف نفسه أنه خلق آدم بيديه لم يوجب ذلك أن ظاهره غير مراد لأن مفهوم ذلك في حقه مثل مفهومه في حقنا)[1].

---

(1) في كلام ابن تيمية عدد من المغالطات منها:

أ- زعمه أن المفهوم من وصف الله سبحانه بأنه حي عليم قادر مثل المفهوم من وصف المخلوق بأنه حي عليم قادر. والرد على ذلك:

أولاً: أن جميع صفات الله تبلغ الغاية في الكمال المطلق ولا يشوبها أي نقص بعكس صفات الكمال عند المخلوق. يشرح ذلك الإمام عبد الجليل القصري في كتابه شعب الإيمان فيقول:

« مثال ذلك أن المخلوق يكون عالما فيسمى بذلك لاتصافه بصفة العلم ولكن قد ارتبط علمه بضده من الجهل، فإنه ومن حيث أدرك علمه ما أدرك من المعلوم فقد غاب من علمه أكثر مما علم، فمن حيث عجز علمه عمن غاب عنه فقد عاد جهلا من وجه.

وكذلك بصره من حيث أدرك مبصرات ما غاب عن بصره أكثر مما أدرك فقد عمى بصره عن ذلك، وقدرته وحياته وكرمه وسيادته وجميع صفات العباد كذلك: كل صفة مقرونة مرتبطة بضدها أبد الآبدين ودهر الداهرين. وصفات الباري سبحانه ليست كذلك لأن صفة العلم من الله مدركة لذات الباري تعالى ولجميع المخلوقات فلم يخف عليه من علمه بذاته ولا من علمه بمخلوقاته ما أوجده وما لم يوجده شيء، فليس له ضد يرتبط به.

وكذلك قدرته لأنه لا يقدر إلا على ما علم ﴿ وهو بكل شيء عليم ﴾ وكذلك لا يوجد إلا ما علم. وكذلك جلاله وكبرياؤه غير مرتبط بضد، وكبر المخلوق المحمود المذموم مرتبط بضده فإنه وإن كان عزيزاً وكبير القدر وجليلاً بالله [عبد] لله وصغير حقير بين يديه وهكذا جميع الصفات » أ.هـ ص٩٠ ط. العلمية.

ثانياً: سبق وأن بينا أن وصفه سبحانه بأنه (حي عليم قادر) لا يعني سوى أنه سبحانه ذات مجهولة لنا لها صفة الحياة ولها صفة العلم ولها صفة القدرة.. إلخ وصفة (العلم) مثلا المفهوم لنا منها أنها: أمر يلزمه الإحكام والإتقان في الفعل، وكذلك صفة (القدرة): أمر يستلزم التأثير في الفعل على سبيل الصحة، .. إلى آخر هذه الصفات فحقيقة الصفات المذكورة- فضلا عن حقيقة الذات المقدسة- مجهولة لنا والمعلوم منها فقط هو هذا اللازم.

فذكر هذه الصفات والإقرار بها والتفكر فيما تستلزمه لا ينتج سوى التعظيم المطلق لله سبحانه ولا يستتبع إطلاقا تخيلا ولا تصوراً ولا توهما للذات المقدسة بل ولا لصفاتها يقول الإمام تقي الدين السبكي في (السيف الصقيل):

« ... وأما المشيئة والعلم والقدرة ونحوها فهي صفات ذات. وهي فينا ذات أمرين: أحدهما عرض قائم بالجسم والله تعالى منزه عنه. والثاني: المعاني المتعلقة بالمراد والمعلوم والمقدور وهي الموصوف بها الرب سبحانه وتعالى وليست مختصة بالأجسام فظهر الفرق » أ.هـ قلت يشير بذلك إلى الفرق بين صفات الكمال والألفاظ الدالة على الجسمية مثل الوجه والعين والاستواء.. إلخ.

ثالثاً: ليس في صفات مثل الإرادة أو القدرة أو العلم.. إلخ ما يدل على الجسمية ولا اختصاصها بالأجسام ولا تعطي هذه الألفاظ عند سماعها تصوراً أو تخيلا للذات المتصفة بها بل إننا إذا أطلقنا هذه الصفات على أحد من البشر مثلا، فحقيقة هذا الإنسان هي روحه التي يصح اتصافها بهذه الصفات. ولو فارقت الروح جسدها فسيصير جماداً صرفا شأن كل الجمادات من حوله لا يسمع ولا يبصر ولا يحس فضلا عن أن تكون له إرادة أو علم .. إلخ.

وقد ذهب المحققون من علماء الإسلام إلى أن الروح ليست جسما ولا متحيزا يقول الإمام العلامة محمد زاهد الكوثري: « القول بتجرد الروح مما ذهب إليه إمام الهدى أبو منصور الماتريدي والحليمي والراغب والغزالي والبيضاوي وغيرهم من كبار علماء السنة وبه يزول كثير من الإشكالات، وإن خفيت أدلة ذلك على جمهور المتكلمين فضلا عن مكسري الحشوية » أهـ. من تعليقه على (السيف الصقيل) ص ١٣٩ط. السعادة.

فإن كان – وهو ما نعتقده- فليست الإرادة أو العلم.. إلخ من صفات الأجسام وليس لها تعلق بها أصلا، وإلا فينطبق عليها كلام الإمام السبكي السابق نقله.

ب- زعمه أن ظاهر قوله سبحانه أنه خلق آدم بيديه يجب أن يكون مراداً كما أن ظاهر وصفه سبحانه نفسه بأنه حي عليم قدير مريد، وأن مفهوم ذلك في حقه سبحانه هو المفهوم في حقنا. =

وقد سبق بيان أن ظاهر هذه الصفات: حي عليم قادر.. إلخ لا يلحق نقصا بالله سبحانه، كما سبق بيان المفهوم منها في حقه سبحانه ليس هو المفهوم في حقنا.

ثم أقر ابن تيمية بأن المفهوم من ظاهر (أنه خلق آدم بيديه) في حقه سبحانه هو المفهوم في حقنا. نقول وبالله التوفيق:

أولاً: ومثل ذلك بقية العبارات والألفاظ المماثلة مثل: الاستواء والنزول والمجيء والإتيان، والدالة على الانفعالات النفسية مثل: الغضب والرضا والضحك والرحمة، وكذا الدالة على الجسمية مثل: اليد والوجه والعين والقدم .. إلخ.

وقد تابع ابن القيم شيخه وقال إن الألفاظ السابقة وكذا المشيئة والقدرة من صفات الأجسام فكما وصفناه سبحانه بالمشيئة والقدرة وما إليها من صفات الكمال نصفه أيضاً بتلك الألفاظ سواء بسواء بغير فرق بينهما.

يقول الإمام السبكي في (السيف الصقيل) « كل عاقل يعلم أن الاستواء بمعنى القعود أقرب إلى صفات الأجسام من المشيئة والقدرة » ويقول أيضا في سبب العدول عن ظاهر الألفاظ المتشابهة: « الجسدية والحدوث والإمكان يلزم من ثلاثتها الاحتياج والنقص » والألفاظ المتشابهة المذكورة تندرج تحت واحدة أو أكثر من هذه الثلاثة.

ثانياً: كل عاقل يعلم أن هناك فرق بين حقيقة الشيء وكنهه وبين صفته وكلما كان كنه الشيء أظهر وأوضح وأدخل في إدراكنا وحواسنا، كان الفرق أوضح كذلك. فلو أمسكنا قلما وقلنا (هذا قلم) فهو شيء مدرك بحاستي البصر واللمس بالإضافة إلى العقل وهو في حد ذاته قائم بنفسه وليس معنى قائماً بغيره.

فلا يمكن لعاقل أن يزعم أن كلمة (قلم) هذه صفة لشيء ما ! بل هي اسم دال على شيء ذي ذات وحقيقة، إنما يمكن أن نقول: (قلم أحمر) أو (قلم طويل) أو .. إلخ فتكون هذه الألفاظ (أحمر وطويل و ...) صفات للذات المسماة (قلما) ومثل ذلك لو قلنا (سيارة) ثم قلنا (سيارة سريعة) أو (سيارة جديدة) إلى غير ذلك من الأمثلة اللغوية ولله المثل الأعلى.

يقول الإمام السبكي في السيف الصقيل « .. وهذه الأشياء التي ذكرناها هي عند أهل اللغة أجزاء لا أوصاف، فهي صريحة في التركيب والتركيب للأجسام.

فذكرك لفظ (الأوصاف) تلبيس وكل أهل اللغة لا يفهمون من الوجه والعين والجنب والقدر إلا الجزاء ولا يفهم من الاستواء بمعنى القعود إلا أنه هيئة وضع المتمكن في المكان ولا من المجيء والإتيان والنزول إلا الحركة الخاصة بالجسم .. » أ.هـ.

قلت: ما ذكره الإمام السبكي نضر الله وجهه هو المستقر في ضمير الناطقين باللغة العربية حتى أهل التجسيم منهم فضلا عن أهل الحق المنزهين لله، فلم نجد أحداً، إلى الآن تجاسر وتسمى بعبد اليد أو عبد القدم أو عبد الساق ... إلخ. بل وجدناهم يتسمون بعبد الرحمن أو عبد القادر أو عبد العليم وغير ذلك من الأسماء الحسنى المشتقة من صفات الكمال الواجبة له سبحانه وتعالى.

فمن جهة المجسمة والمشبهة يوقنون جميعا بأن هذه الألفاظ معبرة عن أجزاء وأبعاض والذات الإلهية – كما سننقله عن ابن تيمية في التعليق التالي –تتركب من مجموعها تعالى الله عما يقولون.

أما من جهة المنزهة وأهل الحق الذين صرحوا بأن هذه الألفاظ تدل على صفات فمقصودهم ما نقلناه عن الإمام سلامة العزامي في (التنبيه السادس) من (التنبيهات الهامة) التي ذكرناها عقب كلام الألوسي في تفسير الآية الكريمة وما قدروا الله حق قدره).

ثالثاً: سبق إثبات المجاز– وسيأتي مزيد توسع عند الكلام على قدم العالم– وبه يتبين أن كل هذه العبارات والألفاظ المتشابهة مع القرائن المصاحبة لها تدل على معان صحيحة تتفق مع الكمالات الواجبة لله سبحانه وأول هذه القرائن التعظيم المطلق لرب العالمين والتنزيه التام له عن أي شائبة نقص.

يقول الإمام السبكي في (السيف الصقيل): « .. ومن أولى بعبادة ما نحته ذهنه؟ من ركب أجزاء مقصودة معقولة أو من قال أعبد إلها واحدا أنا عاجز عن معرفته وعن كنه ذاته فهو كما وصف به نفسه، وفوق ما يصف به عباده، وعقلي يقصر عن سبحات وجهه وعلمي يضل في علمه ويتضاءل دون عظمته وملكوت سلطانه وقدرته وقهره لا شريك له سبحانه وتعالى﴿ ليس كمثله شيء وهو السميع البصير﴾ (الشورى: ١١) كل ما تصوره الذهن فالله بخلافه لو اجتمعت عقول العالمين كلها لم تبلغ معرفة حقيقة ذاته ولا كنه صفاته، وإنما علموا منها ما دلهم على التوحيد وأمر السيد العبيد وأنعم عليهم بالرسول أرشدهم إلى ما فيه صلاحهم وأنزل عليهم كتابا كلفهم فيه بتكاليف إن عملوا بها وصلوا إلى دار السلام فلا ينبغي لهم الاشتغال بغيرها– فاشتغالهم بغيرها فضول– وإن فكروا فكروا في آلائه لا في ذاته، فإن هناك تضل العقول، وانظر إلى هذه الصفات التي يثبتها هذا المبتدع لم تجئ قط في الغالب مقصودة وإنما في ضمن كلام يقصد منه أمر آخر وجاءت لتقرير ذلك الأمر، وقد فهمها الصحابة ولذلك لم يسألوا عنها النبيﷺ لأنها كانت معقولة عندهم بوضع اللسان وقرائن الأحوال وسياق الكلام وسبب النزول ومضت الأعصار الثلاثة التي هي خيار القرون على ذلك حتى حدثت البدع والأهواء فيجئ مثل هذا المتخلف يجمع=

= كلمات وقعت في أثناء آيات أو أخبار فـهم الموفقـون معناهـا بانضمامـها مـع الكـلام المقصـود فجعلها هذا المتخلف في أمثاله مقصودة وبالغ فيها فأورث الريـب في قلـوب المـهتدين، وانظـر إلى أكثرها لا تجده مقصوداً بالكلام بل المقصود غيره إما بسياق قبله أو بسـياق بعـده، أو بـأن يكـون المحدث عنه معنى آخر والمحدث به ويكون ذلك مذكورا على الوصف المقوي لمعنى ما سيق الكلام لأجله » أ.هـ ص ١٦٩ – ١٧٠ط. زهران وقد توسع شيخنا د. إبراهيم عبد الرحمن في بحث هـذه النقطة في رسالته (المحكم والمتشابه) فلنراجع ونختم هذا الـرد بكـلام شيخ شيوخنا الإمـام سـلامة العزامي ﷺ في كتابه (فرقان القرآن) ١٠٤-١٠٦ يقول: « ومجمل القول في هذا الباب أن صفات المحدثات على قسمين:

القسم الأول: ما يدل على الحدوث والإمكان والافتقار والاحتياج من حيث ذاته وماهيته أو ملزوماته أو لوازمه المساوية كالكون في الجهة والمكان، وكالصغر والكبر والجسمية وقبول الانقسام فهذا مختص بالكائنات لا يجوز أن يتصف الخالق منه بشيء ثم منه ما يكون القول به في الله كفـراً إجماعا، ككونه والدا أو مولوداً أو ذا صاحبة أو له شريك ونحو ذلك من كل ما النقص فيه ظـاهر جلي، ومنه ما اختلف في كفر القائل به ككونه تعالى في جهة الفوق ينزل ويصعد، إلى أشباه هـذا مما يحتاج إلى فضل تأمل، على أقوال ليس هذا محل بسطها، أرجحها أن ذلك ضلال وبدعة وفسق شنيع أشد من فسق الجوارح بكثير وقد يعذر العـامي في الجـهل ببعـض ذلـك، وأمـا مـن ارتفعت درجته عن العامية فلا يعذر وإنما يعزر، فإن كان داعية إلى رأيه كان الذنب أعظم والأمر أخطـر- عياذا بالله من ذلك-.

والقسم الثاني: ما لا يدل على ما سبق من حيث ذاته بل من حيث نقصه عن الدرجة العليـا في كماله كالوجود والحياة والعالم والإرادة والقدرة وأشباهها من كل صفة هي مـن حيث ذاتـها كمال. فهذا القسم هو للحق تعالى بالأصالة على أكمـل درجاتـه وأبعدهـا عـن شـوب النقـص، وأرفعها عن الإمكان ولوازمه، واجب بوجوب موصوفه تبارك وتعالى قديم بقدمه باق ببقائه، أمـا ما للخلق منه فهو له بالعرض حادث فهي بإحداث الحق ممكن غير واجب، على درجة نازلة لائقة بحال الممكن، بحيث لا نسبة بين ما اتصف به الممكن منه ومـا اتصـف بـه الحـق جـل وعـز، وأيـن وجود ممكن حادث قابل للزوال غير مملوك للمتصف به حين اتصافه به من الوجود الواجب الأزلي الأبدي الذي يجل عن الابتداء والانتهاء، ويرتفع عن قبول الانتفاء؟ وأين مـا للكائنـات مـن العلم الحادث المخلوق القليل الضئيل من علم الحق الواجب المحيط الأكمل؟ وهكذا سائر الصفات التي=

هذه عبارته بحروفها وهي صريحة في التشبيه المساوي كما أنه جعل الاستواء على العرش مثل قوله تعالى ﴿لتستووا على ظهوره﴾ [1] تعالى الله وتقدس عن ذلك.

[١٣-] وقال في الكلام على حديث النزول المشهور: «إن الله ينْزِلِ إلى سماء الدنيا إلى مرجة خضراء وفي رجليه نعلان من ذهب».

هذه عبارته الزائغة الركيكة وله من هذا النوع وأشباهه مغالاة في التشبيه[2]

= هي من هذا القسم فانتفت المشابهة بين وجودنا ووجوده، وحياتنا وحياته، وعلمنا وعلمه، إلى سائر هذا النحو من هذه الصفات، وكذلك قال المحققون: إنه لا مشابهة بين هذا النوع من الصفات الممكن وبين الكمالات التي للغنى الحميد الواجب ذاتا وصفاتا، إلا في مجرد الاسم ولا اشتراك إلى في اللفظ فقط. وبهذا يبين لك معنى قوله تعالى في صفة ذاته العلية وكمالاته المقدسة: ﴿ليس كمثلة شيء وهو السميع البصير﴾﴿هو الحي﴾﴿هو اللطيف الخبير﴾﴿إنه هو السميع العليم﴾﴿وهو العليم القدير﴾﴿لا يعلم من في السموات والأرض الغيب إلا الله﴾ إلى أمثال هذه الآيات الشريفة من كل ما دل على انحصار هذه الصفات فيه عز وجل، وقصرها عليه. ولبعد ما بين حقائق هذه الصفات في الممكن وحقيقتها في الواجب، قال بعض الفضلاء إن إطلاق الوجود والحياة والعلم ونحوها على ما للمكن ما هو إلا بالمجاز » . أ.هـ.

(1) الآية رقم ١٣، من سورة الزخرف.

(2) بملاحظة ما سبق وما سيأتي من أقواله لا يستغرب صدور هذا منه وإليك نموذج آخر: يقول ابن تيمية في ص ٩٢ من الفتاوي ج٥: « ... ولكن إذا قلنا إن الله لم يزل بصفاته كلها أليس إنما نصف إلها واحداً بجميع صفاته، وضربنا لهم مثلا في ذلك فقلنا لهم أخبرونا عن هذه النخلة أليس لها جذوع وكرب وليف وسعف وخوص وجمار واسمها اسم واحد سميت نخلة بجميع صفاتها؟ فكذلك الله جل ثناؤه ... » ثم قال « ... وقد سمى الله رجلا كافراً اسمه وحيدًا، وقد كان الله سماه وحيداً له عينان وأذنان ولسان وشفتان ويدان ورجلان وجوارح كثيرة فقد سماه وحيدا بجميع صفاته فكذلك الله وله المثل الأعلى هو بجميع صفاته إله واحد » أ.هـ.

وهو هنا في هذين المثالين الذين ضربهما لله عز وجل يعترف صراحة.

أ- بأن ما يسميه صفات مثل اليد والوجه والعين والساق وما إلى ذلك لا يقصد به إلا الجوارح والأعضاء.

ب- أن الذات الإلهية المقدسة تتركب من هذه الأعضاء مجتمعة تعالى الله عما يقول وأن هذا من وجهة نظره لا ينافي الوحدانية !

بل قال ابن تيمية في الأجوبة المصرية: « إن الله يقبض السموات والأرض باليدين اللتين هما اليدان » ويعلق الإمام الكوثري قائلاً: (فماذا يجدي بعد هذا التصريح أن يسميها صفات؟).

حريصاً على إظـهارها(١) واعتقادهـا وإبطـال مـا نـزه الله تعـالى بـه نفسـه في أشرف كتبه وأمـر بـه عمومـاً وخصوصـاً وذكـره إخبـاراً عـن المـلأ الأعلـى والكون العلوي والسفلي ومن تأمل القرآن وجده مشحوناً بذلك[1]

(١) في ط: ظاهرها.

---

(1) قال تعالى: ﴿خلق السماوات والأرض بالحق تعالى عما يشركون﴾ آية ٣ النحل يقـول الألوسي في تفسيرها: «واستدل بالآية على أنه تعالى ليس من قبيل الأجرام والأجسام كما يقـول المجسمة. ووجه ذلك أنها تدل على احتياج الأجرام والأجسام إلى خالق سبحانه وتعالى لا يجانسها وإلا لاحتاج إليهافلا يكون خالقاً، وبإرادة الجهتين يكون وجه الدلالة من الآية أظهر أ.هـ قلـت: يقصد بالجهتين جهتي العلو والسفل.

وقد سبق العديد من الآيات الدالة على نفي الجهة ونفي التجسيم ويوجد غيرها أيضاً: ﴿والله هو الغني الحميد﴾ ، ﴿كل شيء هالك إلا وجه﴾ ، ﴿هو الأول والآخر﴾ ، ﴿وله المثل الأعلـى في السماوات والأرض﴾ ، ﴿فلا تجعلوا لله أنداداً وأنتم تعلمون﴾ .

وانظر وجه الدلالة من هذه الآيات في كتب التفسـير وكـذا كتـاب (فرقـان القـرآن) للإمـام العلامة الشيخ سلامة العزامي قدس الله روحه. بل إن حجة الإسلام الغزالي ﷺ في كتابـه (جواهـر القرآن) قسم لباب القرآن إلى نمط الجواهر ونمط الدرر وأوضـح أن المقصـود مـن سـلك الجواهـر، اقتباس أنوار المعرفة (جواهر القرآن) سبعمائة وثلاثة وستون آية مـن آيـات القـرآن العظيـم تفيـد المعرفة وعند تأملها تظهر عظمة الله سبحانه وتنزهه عن أي نقص.

بل إن الإمام البيهقي ﷺ في كتابه (الأسماء والصفات) أفرد بـاب كـاملا لذكـر الأسمـاء ورد معظمها في القرآن الكريم وبعضها ورد في السنة المطهرة وهي:

١- الأحد. ٢- الصمد. ٣- العظيم. ٤- العزيز. ٥- المتعالى. ٦- الباطن.
٧- الكبير. ٨- السلام. ٩ - الغني. ١٠- السبوح. ١١- القدُّوس. ١٢- المجيد.
١٣- القريب. ١٤- المحيط. ١٥- الفعال. ١٦- القدير. ١٧- الغالب. ١٨- الطالب.
١٩- الواسع. ٢٠- الجميل. ٢١- الواجد. ٢٢- المحصي. ٢٣- القوي. ٢٤- المتين.
٢٥- ذو الطول. ٢٦- السميع. ٢٧- البصير. ٢٨- العليم. ٢٩- العلام. ٣٠- الخبير.
٣١- الشهيد. ٣٢- الحسيب.

وذكر ﷺ وجه الاستدلال من كل اسم فانظره.

وهو الخبيث لا يعرج على ما فيه التنْزِيه وإنما يتتبع المتشابه ويمعن الكلام فيه وذلك من أقوى الأدلة على أنه من أعظم الزائغين ومن له أدنى بصيرة لا يتوقف فيما قلته، إذ القرائن لها اعتبار في الكتاب والسنة وتفيد القطع وتفيد ترتب الأحكام الشرعية لا سيما في محل الشبه[1].

---

(1) سبق نقل تكفير ابن تيمية عن بعض العلماء المعاصرين لابن تيمية ومنهم قاضي القضاة تقي الدين السبكي الذي كتب ردوداً عديدة على ابن تيمية وغيره من عصره وممن أتى بعده، ولم ينقذ رقبة ابن تيمية من إقامة حد الردة عليه سوى أمرين:

الأول: إخفاء الكثير من عقائده وكتاباته وعدم بثّها إلا للمفتونين به المقرّين بإمامته.

الثاني: إعلانه توبته في المحاكمات التي جرت له وإثبات رجوعه عن آرائه إلى رأي جمهور المسلمين.

وقد قسّم الإمام ابن حجر العسقلاني – كما سبق- مواقف علماء عصر ابن تيمية منه إلى أربعة أقسام:

الأول: يرون أن ابن تيمية مجسم وهذا كفر عند جمهور المسلمين.

الثاني: يرون أن ابن تيمية زنديق أي أنه لا يقرّ بالإسلام جملة وتفصيلا.

الثالث: يرون أنه منافق وبعض المنافقين بغير شك يصل نفاقهم إلى الكفر.

الرابع: يرون أنه طالب زعامة ورئاسة يأمل في الإمامة العظمى ولم يذكر ابن حجر رأى أشياعه وأتباعه فيه لقلتهم بجانب جمهور المسلمين ولسقوط رأيهم عن محل الاعتبار نظرًا لأن الحكم عليه يشمل من يوافقه في فكره أيضاً كابن القيم مثلاً.

ونحن لا نتمنى ولا نرضى لابن تيمية ولا لغيره أن يكون كافراً وإنما نبين وجهة نظر العلماء وأئمة الدين وقد بنوا رأيهم على عقائده التي دعى إليها وكان لهم قرائن وشواهد عديدة بالإضافة إلى ما أعلنه بنفسه فمنها:

القرينة الأولى: اعتقاد أمور عديدة في موضوعات مختلفة وكلها كفر عند جمهور المسلمين بل بإجماعهم مثل:

١- التشبيه والتجسيم.

٢- قيام الحوادث بذات الله.

٣- قدم العالم.

٤- فناء النار وخروج كل من فيها إلى الجنة.

=

= ٥- إنكاره التوسل بالنبي ﷺ بعد وفاته وتفرقته بين حياة الرسول ووفاته ومنعه من الاستغاثة به أو التشفع به إلى الله مع عده مرتكب ذلك مشركا وفي ذلك:

أ) حط من قدره العظيم ﷺ عند ربه وهذا كفر.

ب) إتهام لجمهور المسلمين بالشرك وهذا أيضاً كفر لأن من كفر مسلما فقد كفر.

٧- إصراره على تحليله الحرام وتحريمه الحلال في عدد من الأمور كالطلاق والتوسل وغيرها بعد مواجهته بالدليل القطعي على خطأه بما ينفي احتمال اللبس أو سوء الفهم بل واعترافه بالخطأ أمام خصومه في المناظرات ثم عودته إلى بث أباطيله تلك بين تلاميذه وعوام الناس بعيداً عن أعين العلماء. وهنا ملاحظة هامة وهي: أن الشاذ من العلماء إذا التبس عليه رأى جماعة المسلمين فخالفهم في مسألة أساسية مثلا من مسائل العقيدة وهو لا يقصد تكذيب الله أو رسوله ﷺ قد يحكي الكفر وهو ليس بكافر بشرط أن تكون المسألة عويصة الفهم تحتاج إلى دقة النظر فتزل قدمه بمخالفة جمهور الأمة فيها، أما أن يخالفهم في كل هذه المسائل؟ فماذا بقى كي يوافقهم فيه! وهل يمكن أن تكون كل هذه المخالفات نتيجة اجتهاد ونظر ؟

القرينة الثانية: بغضه الشديد لرسول الله ﷺ والمتمثل في:

أ- إنكاره الزيارة بغير دليل معتبر مع جحد الأدلة والنصوص الكثيرة الداعية إليها.

ب- بغضه لآل بيت النبي ﷺ والمتمثل في كلامه على السيدة فاطمة وزوجها أمير المؤمنين علي رضي الله عنهم وقد سبق نماذج من كلامه، قال عليه السلام « ... وأحبوا آل بيتي بحبي » .

القرينة الثالثة: تلاعبه بالشريعة مثل:

١- تزويره في النقول وكذبه في الغزو.

٢- زعمه الاقتناع بآراء جمهور المسلمين في مجالس محاكمته وتراجعه عن آرائه السابقة حتى ينفض المجلس ثم يفهم أتباعه بعد ذلك أنه هزم مخالفية وأن عقيدته سليمة.

٣- تلفيقه الأحكام الشرعية في أحكام الطلاق بدليل هو شبهة في بعضها وفي البعض الآخر بغير دليل أصلا ورغم إقامة العلماء للأدلة على بطلان كلامه وهزيمته في المناظرات مما كان يدفعهم إلى أخذ إقرارات وتعهدات مكتوبة بخطه- وهذا دليل آخر على أنه يكذب في حواراته ونقوله الشفهية- بعدم الإفتاء بأحكام الطلاق.

وكان اعتراضه الوحيد كما سبق ذكره أنه يريد أن يفتي في غير الطلاق وهذا اعتراف منه بخطورة فتاواه وأنها ستهدم المجتمع المسلم ومع ذلك كان يذيعها في السرِّ هو وتلاميذه مما يؤكد نيته، وشهد عليهم بذلك الإمام السبكي (في الدرة المضيئة وغيرها) والإمام الحصني.

القرينة الرابعة: **إخفاؤه لعقائده الخطيرة وعدم بثها إلا لمن يثق فيه** ككتاب العرش الذي زعم فيه جلوس النبي ﷺ إلى جوار ربه – سبحانه عما يقول- على العرش. =

= وإذا كان هذا قد انكشف رغما عنه فماذا يمنع وجود غيره وقد يكون أشد خطورة كموضوع تناسخ الأرواح- الذي ألمح إليه هو وتلاميذه وسيأتي ذكره- فحمل الناس كلامه على الاحتمال السيء هو الحزم في أمثال هذه الحالات لافتقاد الثقة في صدقه ونيته.

القرينة الخامسة: **وقيعته الشديدة في رموز الدين وأهل** الحل والعقد عند المسلمين بدءا من الخلفاء الراشدين والصحابة وأئمة الشريعة من أئمة المذاهب الأربعة وأتباعهم وأئمة علوم العقائد والحديث حتى عصره.

القرينة السادسة: موالاته لأعداء الدين:

أ- كمدحه للكرامية الذين أجمع المسلمون على كفرهم لقولهم بالتجسيم ووقيعتهم في الأنبياء وغير ذلك، ووصفه لهم بأنهم من حذاق النظار. وكأن أقوالهم لها حظ من العقل والنظر.

ب- مدحه وثناءه على يزيد بن معاوية الذي فعل ما فعل بآل بيت النبي ﷺ من قتل وإهانة وتشريد واستباة المدينة المنورة- حرم رسول الله ﷺ - وقتل أهلها في وقعة الحرة.

ونختم هذا التعليق بما قاله الإمام الحصني نفسه في كتابه (كفاية الأخيار): كتاب النكاح عند كلامه على الهجر المشروع قال: « وأشد الناس فسقاً من المسلمين فقهاء السوء وفقراء الرجس الذين يترددون إلى الظلمة طمعاً في مزابلتهم مع علمهم بما هم عليه من شرب الخمور، وأنواع الفجور، وأخذ المكوس، وقهر الناس على ما تدعوهم إليه أنفسهم الأمّارة وسفك الدماء، وقمع من دعاهم إلى ما نزلت به الكتب وأرسلت به الرسل فلا يغترّ بصنع هؤلاء الأراذل من الفقهاء والفقراء، ويجب إتباع ما جاء به سيد السابقين واللاحقين ﷺ وقد حرر بعض فقهاء العصر بحثاً فيمن يتعاطي شيئاً يحصل به اعتقاد حلّ ما حرّم الله لأجل عدم إنكاره ذلك لأن به تقام الشريعة. فقال: من ألقى مصحفاً في القاذورة كفر وإن أدّعى الإيمان لأن ذلك يدل على استهزائه بالدين، فهل يكون متعاطي سبب اندراس الشريعة، أولى بالتكفير أم لا؟ وجعّل هذا أولى لأن مثل ذلك قد يخفى على العوام بخلاف إلقاء المصحف شرفه الله تعالى، ولأن السبب المؤدّي إلى طمس الدين، وإماتة الحق أدلّ دليل على خبث الطوية وإن قال إن سريرته حسنة كما قال عليّ ﷺ، وهذا جليّ لا شك فيه والله أعلم » أ.هـ.

نتيجة هامة:

الحاكم في قضية يلجأ إلى القرائن والشواهد عند افتقاد الثقة في صدق المتهم، لأنه لابد من إلباس صفة محددة يتعامل معه المسلمون على أساسها فلو قلنا إنه لم يخرج من الملة -ولسنا حريصين إطلاقاً على تكفيره- فالحق أنه لا يعد بأي حال إماما من أئمة المسلمين بل ولا حتى من صالحي العوام فيهم، ولا يمكن السماح باتخاذه قدوة أو تداول كتبه وكلامه. بل الواجب اليوم على علماء الإسلام غربلة ما دخل حياة المسلمين من آرائه الساقطة وتحذير الناس من اعتقادها صيانة لعقائد المسلمين.

قال بعض السلف ﷺ: (١٠٠/ب) الإعراض عن الحق والتسخط له علامة الركون[1] إلى الباطل وطريق الحق دقيق وبعيد. والصبر معه شديد والعدو لا يزال عنه يحيد. وأثقال الحق لا يحملها إلا مطايا الحق.

وقال بعض السلف: داعي الحق داعي رشد. ليس للشيطان فيه يد ولا للنفس فيه نصيب وداعي الباطل من نزغات الشيطان وهوى النفس، ومتبعها هالك لا محالة لأنه عاص في صورة طائع ومبعد في صورة مقرب.

وصدق ونصح ﷺ فقد هلك بسبب ذلك خلق لا يحصون عداً ولا يمكن ضبطهم حداً.

---

(١) في (أ): الركوب. وهو خطأ من الناسخ.

[فصل : عودة إلى التنزيه والتعظيم]

قال العلماء: إن وسوسة التشبيه من إبليس[١].

فالرد عليه وإبطال وسوسته أن يقول في نفسه[٢] كل ما تصور في صدري فالرب بخلافه فإنه لا يتصور في صدري إلا مخلوق له كيفية ومثل، والرب سبحانه وتعالى لا مثل له ولا كيفية. فما مُثِّل في صدري فهو غير ربي، فهو سبحانه وتعالى موحد الذات والصفات[1].

وسئل علي ﷺ عن التوحيد والعدل فقال: التوحيد أن لا تتوهمه والعدل أن لا تتهمه[٣].

وقال يحيى بن معاذ[2]: التوحيد في كلمة واحدة ما تصور في الأوهام فهو بخلافه.

وقال علي ﷺ: ليس لصفته حد محدود ولا نعت موجود.

وقال ﷺ: أول الدين معرفته وكمال معرفته التصديق به، وكمال التصديق

---

(١) في ب: من التلبيس.

(٢) في ج: أن تقول كل ما يصور في صدري.

(٣) في ب: أن لا يتوهمه -أن لا يتهمه بالياء بدلاً من التاء.

---

(1) قال رسول الله ﷺ : «يأتي الشيطان أحدكم فيقول: من خلق كذا وكذا؟ حتى يقول له: من خلق ربك؟ فإذا بلغ ذلك فليستعذ بالله ولينته» وفي رواية «فمن وجد ذلك فليقل آمنت بالله» رواهما مسلم في صحيحه كتاب الإيمان باب: بيان الوسوسة في الإيمان.

(2) هو: أبو زكريا يحيى بن معاذ الرازي الواعظ، من كبار أئمة التصوف له كلام في الرجاء وفي المعرفة. خرج إلى بلخ وأقام بها مدة ورجع إلى نيسابور ومات بها سنة ثمان وخمسين ومائتين. من أقواله: كيف يكون زاهداً من لا ورع له؟ تورع عما ليس لك ثم ازهد فيما لك. العقلاء ثلاثة: من ترك الدنيا قبل أن تتركه وهيأ قبره قبل أن يدخله وأرضى خالقه قبل أن يلقاه.

به توحيده، وكمال (١٠١/أ) توحيده الإخلاص له، وكمال الإخلاص له نفي الصفات المحدثة عنه، فمن وصفه بحادث فقد قرنه، ومن قرنه فقد ثناه ومن ثناه فقد جزأه، ومن جزأه فقد جهله، ومن أشار إليه فقد حده، ومن حده فقد عده[1].

قال المحققون: من اعتقد في الله سبحانه تعالى بما يليق بطبعه فهو مشبه لأنه سبحانه وتعالى مُنَزَّه عما يصفه به أو يتخيله لأن ذلك من صفة الحدث.

وسئل -أعني علياً ﷺ -: بما عرفت ربك؟ فقال: عرفته بما عرف به نفسه لا يدرك بالحواس، ولا يقاس بالناس، قريب في بعده، بعيد في قربه فوق كل شيء، ولا يقال تحته شيء، وأمام كل شيء، ولا يقال أمامه شيء، وهو في كل شيء لا بشيء في شيء(١) فسبحان من هو هكذا، وليس هكذا غيره[2].

---

(١) في ب-ط: لا كشيء في شيء.

---

(1) نهج البلاغة الخطبة الأولى.

(2) انظر هذا النص في مصادر الشيعة الإمامية المحاسن للبرقي ص ٢٣٩، والكافي للكليني ٨٥/١، والتوحيد للصدوق ص ٢٨٥ ويشهد لهذا النص وما قبله من نصوص النص الجامع الآتي لأمير المؤمنين علي ﷺ: كلمة في تنزيه الله سبحانه وتعالى لعلي بن أبي طالب كرم الله وجهه: قال الحافظ أبو نعيم الأصفهاني في « حلية الأولياء » ج١ ص٢٧٢ « حدثنا أبو بكر أحمد بن أحمد بن محمد بن الحارث ثنا الفضل بن الحباب الجمحي ثنا عبد الوارث بن سعيد عن محمد بن إسحاق عن النعمان بن سعد قال: كنت بالكوفة في دار الإمارة دار علي بن أبي طالب إذ دخل علينا نرف بن عبد الله فقال: يا أمير المؤمنين بالباب أربعون رجلا من اليهود، فقال عليّ عليّ بهم، فلما وقفوا بين يديه قالوا له: يا علي صف لنا ربك هذا الذي في السماء كيف هو؟ فاستوى على جالسا وقال: معشر اليهود اسمعوا مني ولا تبالوا ألا تسألوا أحداً غيري:

إن ربي عز وجل هو الأول لم يبد مما، ولا مماذج مع ما، ولا حال وهما ولا شبح يتقضى=

وقال أيضاً ﷺ: عَرّفنا الله سبحانه وتعالى نفسه بلا كيف، وبعث سيدنا محمداً ﷺ بتبليغ القرآن وبيان مفصلات الإسلام[1] والإيمان وإثبات الحجة[2]

(١) في ط: المفصلات للإسلام.

(٢) في ج: وإثبات للحجة.

= ولا محجوب فيحوى، ولا كان بعد أن لم يكن فيقال حادث، بل جل أن يكيف المكيف للأشياء كيف كان، بل لم يزل ولا يزول لاختلاف الأزمان، ولا لتقلب شأن بعد شأن. وكيف يوصف بالأشباح وكيف ينعت بالأنس الفصاح، من لم يكن في الأشياء فيقال بائن، ولم يبن عنها فيها كائن، بل هو بلا كيفية وهو أقرب من حبل الوريد، وأبعد في الشبه من كل بعيد، لا يخفي عليه من عباده شخوص لحظة، ولا كرور لفظة، ولا أزدلاف رقوة، ولا انبساط خطوة، في غسق ليل داج ولا إلاج، لا يتغشى عليه القمر المنير، ولا انبساط الشمس ذات النور بضوئهما في الكرور، ولا إقبال ليل مقبل، ولا إدبار نهار مدبر، إلا وهو محيط بما يريد من تكوينه، فهو العالم بكل مكان وكل حين وأوان، وكل نهاية ومدة والأمد إلى الخلق مضروب، والحد إلى غيره منسوب، لم يخلق الأشياء من أصول أولية، ولا بأوائل كانت قبله بدية، بل خلق ما خلق فأقام خلقه، وصور ما صور فأحسن صورته، توحد في علوه فليس لشيء من امتناع، ولا له بطاعة شيء من خلقه انتفاع، إجابته للداعين سريعة، والملائكة في السموات والأرضين له مطيعة، علمه بالأموات البائدين، كعلمه بالأحياء المتقلبين، وعلمه بما في السموات العلى كعلمه بما في الأرض السفلى، وعلمه بكل شيء، لا تحيره الأصوات ولا تشغله اللغات سميع للأصوات المختلفة، بلا جوارح له مؤتلفة، مدبر بصير، عالم بالأمور، حي قيوم.

سبحانه كلم موسى تكليما بلا جوارح ولا أدوات، ولا شفة ولا لهوات سبحانه وتعالى عن تكييف الصفات، من زعم أن إلهنا محدود، فقد جهل الخالق المعبود، ومن ذكر أن الأماكن به تحيط، لزمته الحيرة والتخليط، بل هو المحيط بكل مكان.

فإن كنت صادقاً أيها المتكلف لوصف الرحمن، بخلاف التنزيل والبرهان فصف لي جبريل وميكائيل وإسرافيل هيهات، أتعجز عن صفة مخلوق مثلك وتصف الخالق المعبود ! وما تدرك صفة رث الهيئة والأدوات فكيف من لم تأخذه سنة ولا نوم؟ له ما في الأرضين والسموات وما بينهما وهو رب العرش العظيم» . وذكر الحافظ أبو نعيم أن هذا الحديث أرسله محمد بن إسحاق.

وتقويم الناس على منهج الإخلاص فصدقته بما جاء به.

وقال الإمام الحافظ محمد بن علي الترمذي صاحب التصانيف المشهورة: من جهل أوصاف العبودية فهو بنعت الربوبية أجهل.

قال جعفر في قوله تعالى: ﴿قل هو الله أحد﴾: (١٠١/ب) هو الذي لم يعط لأحد من معرفته إلا الاسم[١] والصفة.

وقيل: هو الذي لا يدرك حقيقة نعوته وصفاته إلا هو.

وقوله تعالى ﴿الله الصمد﴾ قيل: هو الذي أيست العقول من أن تطلع عليه أو تدرك ما وصف به نفسه ونسب إليه.

وقيل: هو السيد الذي لا نهاية لسؤدده.

وقيل: هو المصمود إليه في الحوائج.

وقيل: هو الذي لا يستغني عنه شيء من الأشياء.

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: معناه الذي لا جوف له. وقيل غير ذلك.

وقوله ﴿**لم يلد ولم يولد**﴾ نفي الجنسية والبعضية.

وقوله ﴿و لم يكن له كفواً أحد﴾ [1] نفي الشريك والنظير، فهو الذي لا نظير له في ذات ولا صفة ولا فعل[٢]. فتعالى أن يدركه[٣] الأوهام والعقول والعلوم بل هو كما وصف نفسه، والكيفية عن وصفه غير معقولة ولا

(١) في أ: معرفة الاسم... وهو سقط من الناسخ وفي ط: غير الاسم.

(٢) في ب: في ذاته ولا صفته ولا فعله. وفي ط: ولا صفاته ولا أفعاله.

(٣) في ب-ج-ط: تدركه.

---

(1) سورة الإخلاص.

موهومة. كيف يكون ذلك وهو قديم الذات والصفات، والتخيل إنما يكون في المحدثات؟!

وسئل الإمام العلامة أبو الحسن الدينوري[1] عن الاستدلال بالشاهد على الغائب فقال: (كيف يستدل بصفات من يشاهد ويعاين وذو مثل على من لا يشاهد ولا يعاين في الدنيا ولا نظير له ولا مِثْل هذا من جهل الجاهلين (١٠٢/أ) بالآيات الذين قلبوا حقائق الأمور فجعلوا الآيات صفات، ومعنى الآيات العلامات).

وهو كلام إمام محقق وقد زل خلق كثير بمثل ذلك. فسبحان الأحدي الذات العلي الصفات المتره عن الآلات. المقدس عن الكيفيات. المترّه عن مشابهة المخلوقات، تعالى عما يقوله أهل الزيغ من الإلحاقات[١]. كيف يقاس القادر بالمقدورات، والصانع بالمصنوعات، وهي من آياته البينات الظاهرات، رفع السموات وبسط الأرض وثبتها بالأوتاد الراسيات، وألحقها[٢] بالمزن الماطرات، فزهت بأنواع النباتات المختلفات كذلك يحيى الموتى. فـ ﴿اعلموا أن الله يحي الأرض بعد موتها قد بينا لكم الآيات﴾[2].

قال أرباب البصائر وذوو التحقيقات: ليس كذاته ذات. ولا كاسمه اسم من جهة المعنى، ولا لصفته صفة من جميع الوجوه إلا من جهة موافقة اللفظ،

(١) في ط: عما يقوله من الإلحاقات.

(٢) في ب-ج-ط: وأتحفها.

---

(1) هو: أبو الحسن علي بن محمد بن سهل الدينوري اشتهر باسم، أبو الحسن بن الصائغ. كان من كبار المشايخ، أقام بمصر ومات بها سنة ثلاثين وثلاثمائة.

(2) الآية ١٧، من سورة الحديد.

وكما لم يجز أن يظهر من مخلوق صفة قديمة كذلك يستحيل أن يظهر من الذات الذي ليس كمثله شيء صفة حديثة وأن التكرار من حدوث الصفة جل ربنا أن يحدث له صفة أو اسم إذ لم يزل بجميع صفاته واحداً ولا يزال كذلك وكل أمور التوحيد والتفريد[١] خرجت من هذه الكلمة ﴿**ليس كمثله (١٠٢/ب) شيء**﴾[1] لأنه ما عبر عن الحقيقة بشيء إلا والعلة مصحوبة، والعبارة منقوضة لأن الحق لا ينعت إلاّ على إقراره[٢] لأن كل ناعت مشرف على النعوت[٣] وجل ربنا أن يشرف عليه مخلوق احتجب عن خلقه بخلقه ثم عرفهم صنعه بصنعه وساقهم إلى أمره بأمره فلا يمكن الأوهام أن تناله ولا العقول أن تختاله ولا الأبصار أن تمثله ولا الأسماع أن تستمله. ولا الأماني أن تمتحنه. هو الذي لا قبل له ولا بعد ولا مقصر[٤] عنه ولا معدل ولا غاية وراءه ولا مثل[٥]، ليس له أمد ولا نهاية، ولا غاية ولا ميقات، ولا انقضاء. ولا يستره حجاب. ولا يقله مكان ولا تحويه[٦] هواء. ولا يحتاطه فضاء ولا يتضمنه خلاء ﴿ليس كمثله شيء وهو السميع البصير﴾[2].

(١) في ب: والتنزيه.

(٢) في ب-ج: لا ينعت إلا على إقداره. وفي ط: لا ينبعث إقداره إلا على إقراره.

(٣) في ط: المنعوت.

(٤) في ط: لا مثل له ولا مقصر.

(٥) في ب: ولا مثيل، وفي ج: ولا مثل له.

(٦) في ب-ج-ط: يحويه.

(1) الآية رقم ١١، من سورة الشورى.

(2) الآية رقم ١١، من سورة الشوري.

قال ابن عباس رضي الله عنهما معنى الآية: ليس له نظير.

وقيل: الكاف صلة - أعني زائدة - فالمعنى ليس مثله شيء، وقيل: المثل صلة فالمعنى ليس كهو شيء فأدخل المثل للتأكيد.

فمن الجهل البين أن يطلب العبد درك ما لا يدرك وأن يتصور ما لا يتصور كيف وقد نزه نفسه بنفسه عن أن يدرك بالحواس. أو يتصور بالعقل الحادث والقياس. فلا يدركه العقل الصحيح من جهة التمثيل. ويدركه من جهة الدليل. فكل ما يتوهمه العقل فهو (١٠٣/أ) جسم وله[١] نهاية في جسمه وجنسه ونوعه وحركته وسكونه مع ما يلزمه من الحدود والمساحة ومن[٢] الطول والعرض وغير ذلك من صفات الحدث تعالى الله عز وجل عن ذلك فهو الكائن قبل الزمان والمكان المحدثين، وهو الأول قبل سوابق العدم الأبدي بعد لواحق القدم، ليس كذاته ذات ولا كصفاته صفات جلّت الذات القديمة الواجبة الوجود التي لم تُسبق بعدم[٣] أن تكون كالصفة الحديثة قال الله تعالى ﴿أو لا يذكر الإنسان أنا خلقناه من قبل و لم يكن شيئاً﴾[1] فهو سبحانه وتعالى احتجب عن العقول والأفهام كما احتجب عن الإدراك والأبصار فيعجز[٤] العقل عن الدرك والدرك عن الاستنباط وانتهى المخلوق إلى مثله وأسنده الطلب إلى شكله.

(١) في ط: ولا وهو خطأ كما قال مصحح الطبعة.

(٢) في ب: وبين الطول والعرض.

(٣) في ط: بقدم وهو خطأ كما نبه مصحح الطبعة أيضاً.

(٤) في ط: فعجز.

---

(1) الآية رقم ٦٧، من سورة مريم.

قال الصديق ﷺ: العجز عن درك الإدراك إدراك.

وقال أيضاً ﷺ: سبحان من لم يجعل للخلق سبيلاً إلى معرفته إلا بالعجز عن معرفته.

فهو سبحانه عليم قدير سميع بصير لا يوصف علمه وقدرته وسمعه وبصره بما يوصف به المخلوق ولا حقيقته كحقيقته وكذلك[١] علوه واستواؤه إذ الصفة تتبع الموصوف فإذا كانت[٢] حقيقة الموصوف ليست من جنس حقائق سائر الموصوفات فكذلك حقيقة صفاته (١٠٣/ب) فأجهل الناس وأحمقهم وأحمدهم من ألْحَقَ[٣] من ليس كمثله شيء بالمخلوق المصنوع في شيء من صفاته وأفعاله وذاته تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً لأنه سبحانه وتعالى وصفاته مصان[٤] عن الظنون الكاذبة والأوهام الخسيفة[٥].

وقد قيل في قوله تعالى ﴿وما قدروا الله حق قدره﴾[1] أي ما وصفوه حق وصفه. وقيل: ما عظموه حق عظمته. وقيل ما عرفوه حق معرفته. وقيل غير ذلك.

قال بعض أهل المعاني والقلوب: لا يعرف قدر الحق إلا الحق. وكيف

---

(١) في ط: ولا حقيقته وكذلك.

(٢) في ج: فإذا كان.

(٣) في ب-ج: من ألحق من شبَّه. وفي ط: وأجحدهم للحق من يشبه.

(٤) في ط: مصون.

(٥) هذه الفقرة غير مكتملة في النسخة (ب) لأنها كتبت في أطراف الصفحة. وفي ط: السخيفة.

---

(1) الآية رقم ٦٧، من سورة الزمر.

يقدر أحد قدره وقد عجز عن معرفة قدره الوسائط والرسل والأولياء[١] والصديقون. ثم قال: ومعرفة قدره أن لا نلتفت منه[٢] إلى غيره ولا تغفل عن ذكره ولا تفتر[٣] عن طاعته إذ ذاك عرفت قدر ظاهر قدره، وأما حقيقة قدره فلا يقدر قدرها إلا هو.

وصدق لأن الخلق تعجز عن تنْزِيهه بما يستحقه من كمال صفاته وعظيم ذاته.

ولهذا نزه سبحانه نفسه بقوله تعالى: ﴿سبحان ربك رب العزة عما يصفون﴾[1] وفي هذا غاية الحث على كثرة التنزيه ودوامه مع أمره لأكمل خلقه في قوله تعالى: ﴿سبح اسم ربك الأعلى﴾[2]

(١) في ج: والأنبياء والأولياء والصديقون.

(٢) في ط: تلتفت عنه

(٣) في ب: ولا تغير عن طاعته: وفي ج: ولا يلتفت .... ولا يغفل ولا يفتر.

---

(1) الآية رقم ١٨٠، من سورة الصافات.

(2) أخرج البيهقي في (الأسماء والصفات) عن طلحة بن عبيد الله ﷺ قال: سألت رسول الله ﷺ عن تفسير (سبحان الله) فقال: « هو تنزيه الله عن كل سوء » كما روى عن موسى بن طلحة (تابعي من الثانية) قال: سئل النبي ﷺ عن التسبيح فقال: « تنزيه الله تعالى عن السوء » وقد ورد الحث على التسبيح والإشارة إليه في (٩١) آية في القرآن الكريم وكذلك في الكثير من نصوص السنة المطهرة.

يقول الإمام فخر الدين الرازي في تفسيره عند تفسير قوله تعالى ﴿ ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك .. ﴾ الآية ٣٠ من سورة البقرة: « والتسبيحُ تبعيد الله تعالى من السوء وكذا التقديس، من سبح في الماء وقدس في الأرض إذا ذهب فيها وأبعد، واعلم أن التبعيد إن أريد به التبعيد عن السوء فهو التسبيح، وإن أريد به التبعيد عن الخيرات فهو اللعن، فنقول التبعيد عن السوء يدخل فيه التبعيد عن السوء في الذات والصفات والأفعال:

=

= أما في الذات فأن لا تكون محلا للإمكان، فإن منع السوء وإمكانه هو العدم ونفي الإمكان يستلزم نفي الكثرة، ونفيها يستلزم نفي الجسمية والعرضية ونفي الضد والند وحصول الوحدة المطلقة والوجوب الذاتي.

وأما في الصفات فأن يكون منزهاً عن الجهل فيكون محيطاً بكل المعلومات وقادراً على كل المقدورات وتكون صفاته منزهة عن التغييرات.

وأما في الأفعال فأن لا تكون أفعاله لجلب المنافع ودفع المضار وأن لا يستكمل بشيء منها ولا ينتقص بعدم شيء منها فيكون مستغنياً عن كل الموجودات والمعدومات مستولياً بالإعدام والإيجاد على كل الموجودات والمعدومات.

وقال أهل التذكير: التسبيح جاء تارة في القرآن بمعنى التنزيه وأخرى بمعنى التعجب.

أما الأول: فجاء على وجوه (١) أنا المنزه عن النظير والشريك، هو الله الواحد القهار (٢) أنا المدبر للسموات والأرض سبحان رب السموات والأرض (٣) أنا المدبر لكل العالمين، سبحان الله رب العالمين (٤) أنا المنزه عن قول الظالمين، سبحان ربك رب العزة عما يصفون (٥) أنا المستغني عن الكل، سبحانه هو الغني (٦) أنا السلطان الذي كل شيء سواي فهو تحت قهري وتسخيري، فسبحان الذي بيده ملكوت كل شيء (٧) أنا العالم بكل شيء . سبحان الله عما يصفون عالم الغيب (٨) أنا المنزه عن الصاحبة والولد، سبحانه أنى يكون له ولد (٩) أنا المنزه عن وصفهم وقولهم، سبحانه وتعالى عما يشركون ، عما يقولون ، عما يصفون.

أما التعجب فكذلك (١) أنا الذي سخرت البهائم القوية للبشر الضعيف، سبحان الذي سخر لنا هذا (٢) أنا الذي خلقت العالم وكنت منزهًا عن التعب والنصب، سبحانه إذا قضى أمراً (٣) أنا الذي أعلم لا بتعليم المعلمين ولا بإرشاد المرشدين، سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا (٤) أنا الذي أزيل معصية سبعين سنة بتوبة ساعة، فسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس.

ثم يقول: إن أردت رضوان الله فسبح، وسبحوه بكرة وأصيلاً، وإن أردت الفرج من البلاء فسبح، لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين، وإن أردت رضا الحق فسبح، ومن الليل فسبح وأطراف النهار لعلك ترضى، وإن أردت الخلاص من النار فسبح، سبحانك فقنا عذاب النار، أيها العبد عائد إليك، تسبيحي: (فسبحان الله)، (فسبح)، (وسبحوه)، فإن لم تفعل تسبيحي فالضرر عائد إليك، لأن لي من يسبحني. ومنهم حملة العرش﴿فإن استكبَرُوا فالذينَ عِنْدَ رَبِّك يسبحون﴾ [فصِّلت:٣٨] ومنهم المقرَّبون ﴿ قالوا سبحانك أنت وليُّنا﴾ [سبأ:٤١] ومنهم سائر=

مع غير ذلك كما في[١] أشرف الكتب مما أذكر بعضه. فقوله تعالى ﴿سبح اسم ربك﴾ أي قل: سبحان (١٠٤/أ) ربي الأعلى والمعنى: نزه اسم ربك وأذكره وأنت له معظم. وقيل: نزه عن المعاني المفضية إلى نقصه. وقيل: نزه اسمه عن الكذب إذا أقسمت به. وقيل: لفظ اسم زائد وفي الكلام حذف المعنى: نزه مسمى ربك ﴿الذي خلق فسوى﴾[1] أي مخلوقه بأن خلقه مستوياً بلا تفاوت فيه وفي أعضائه وغير ذلك من مخلوقاته فإن من هذا[٢] من بعض مصنوعاته يستحق التنْزيه فكيف بمخلوقات أخر يعجز العقل عن إدراكها لعظمها وكلها على اختلاف أجناسها وأنواعها كل يسبحه بلغته وبما يليق بجلاله قال تعالى: ﴿تسبح له السموات السبع والأرض ومن فيهن وإنْ من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم﴾[2].

(١) في ب-ج-ط: مما في.

(٢) في ب: فإن هذا من بعض ....

= الملائكة ﴿ قالوا سبحانَك ما كان ينبغي لنا﴾ [الفرقان:١٨] ومنهم الأنبياء كما قال ذو النون ﴿ لا إله إلا أنتَ سُبحَانَك﴾ [الأنبياء: ٨٧] وقال موسى ﴿ سبحانَك تُبتُ إليكَ﴾ [الأعراف: ١٤٣] والصحابة يسبحون في قوله تعالى ﴿ سبحانك فقنا عذابَ النار﴾ [آل عمران: ١٩١] والكل يسبحون ومنهم الحشرات والدواب والذرات ﴿وإنْ من شيء إلا يُسبحُ بحَمْدِه﴾ [الإسراء: ٤٤] وكذا الحجر والمدر والرمال والجبال والليل والنهار والظلمات والأنوار والجنة والنار والزمان والمكان والعناصر والأركان والأرواح والأجسام على ما قال ﴿ سَبَّحَ لله ما في السمواتِ ﴾ [الحديد:١] ثم يقول أيها العبد: أنا الغني عن تسبيح هذه الأشياء، وهذه الأشياء ليست من الأحياء فلا حاجة بها إلى ثواب هذا التسبيح فقد صار ثواب هذه التسبيحات ضائعاً وذلك لا يليق بي ﴿وما خلقنا السماءَ والأرضَ وما بينَهما باطلاً ﴾ [ص: ٢٧] لكني أوصل ثواب هذه الأشياء إليك ليعرف كل أحد أن من اجتهد في خدمتي أجعل كل العالم في خدمته » أهـ.

(1) الآية رقم ٢، من سورة الأعلى.

(2) الآية رقم ٤٤، من سورة الإسراء.

وقال ﴿والطير صافات كل قد علم صلاته وتسبيحه﴾[1] قال مجاهد: تسبيح المخلوقات هو تنْزِيه[١] خالقها وتوحيده بما يستحقه من كمال صفاته وعظيم ذاته[٢]. قيل: تفقه[٣] تسبيحهم العلماء الربانيون الذين انفتحت أسماع بصائرهم والمنوروا[٤] البصائر الذين يشاهدون على كل[٥] شيء مرقوماً عليه بقلم القدرة هو الملك القدوس.

وقال مجاهد: كل الأشياء تسبح حيواناً أو جماداً[٦] وتسبيحها: سبحان الله وبحمده.

وروى ابن السني أنه عليه الصلاة والسلام قال: «ما تستقل[٧] (١٠٤/ب) الشمس فيبقى شيء من خلق الله تعالى إلا سبح لله تعالى[٨] وحمده إلا ما كان من الشيطان وأعتاء[٩] بني آدم» . فقيل: ما أعتاء بني آدم؟ فقال: «شرار الخلق »[2].

---

(١) في ب: تنزيهها.

(٢) في ط: من كمال صفات عظم ذاته.

(٣) في ط: يفقه.

(٤) في أ،ب،ج،ط: المنورون وهو خطأ.

(٥) في ط: يشاهدون كل شيء.

(٦) في ط: وجماداً.

(٧) في ط: ما تستقبل.

(٨) في ب-ج،ط: الله تعالى.

(٩) في ط: وأغبياء.

---

(1) الآية رقم ٤١، من سورة النور.

(2) رواه ابن السني في كتاب (عمل اليوم والليلة) عن عمرو بن عبسة ونقله عنه النووي في (الأذكار) باب: ما يقول إذا استقلت الشمس، ولم يذكر فيه ضعف فهو حسن أو صحيح عنده=

وقال شهر بن حوشب[1]: حملة العرش ثمانية، أربعةِ يقولون سبحانك اللهم وبحمدك لك الحمد على حلمك بعد علمك. وأربعة يقولون: سبحانك اللهم وبحمدك لك الحمد على عفوك بعد قدرتك.

وقال تعالى[١] ﴿هو الله الذي لا إله إلا هو الملك القدوس﴾[2] فالملك اسم من أسمائه تعالى وكذا[٢] مليك وهو صيغة مبالغة في الملك قال تعالى: ﴿عند مليك مقتدر﴾[3] فالمَلِكُ قيل[٣]: هو المستغني عن كل شيء ويفتقر إليه كل

---

(١) في ط: وقال. بدون تعالى.

(٢) في ج–ط: وكذلك.

(٣) في ج–ط: فالملك هو.

= وأخرجه بسنده الحافظ ابن حجر العسقلاني في (نتائج الأفكار في تخريج أحاديث الأذكار) ٢/ ٤١٨ وفي سنده (بقية بن الوليد) لكنه صرح بالتحديث. يقول الحافظ بن حجر: « هذا حديث حسن غريب لم يقع إليَّ إلا من هذا الوجه، ووجدت له شاهداً عن ابن عمر .. » أ.هـ وذكر أن هذا الشاهد مبني على أحد التفسيرين في قوله (تستقبل) فإنه رواه بلفظ (ما تستقبل الشمس).

قلت ويشهد له أيضاً ما رواه الترمذي وابن السني عن الزبيرﷺ قال: قال رسول الله ﷺ « ما من صباح يصبح فيه العباد إلا مناد ينادي سبحُّوا الملك القدوس» وإسناده ضعيف وقال الترمذي وابن حجر (حديث غريب) ورواه أبو يعلى الموصلي وابن السني بلفظ : « ... إلا صارخ يصرخ يا أيها الخلائق سبحِّوا الملك القدوس» أخرج الروايتين الحافظ ابن حجر في (نتائج الأفكار) ٢/٣٩٠ لذا ورد في السنة النبوية الكريمة في أحاديث كثيرة الحث على أن يجلس المصلي في مصلاه بعد صلاة الصبح يذكر الله حتى تطلع الشمس.

(1) هو: شهر بن حوشب الأشعري أبو سعيد مولى أسماء بنت يزيد. من التابعين توفى عام (١١٢)هـ.

(2) الآية رقم ٢٣، من سورة الحشر.

(3) الآية رقم ٥٥، من سورة القمر.

شيء ونافذ حكمه في مملكته طوعاً أو كرها. وقيل: هو القادر على الإبداع والإنشاء والإعدام.

وهذا على الحقيقة لا يكون إلا الله عز وجل أبدع المكونات العلويات والسفليات الجليات والخفيات أبدعها بقدرته، وزينها[1] على اختلاف أطوارها بحكمته، فكل ما برز فهو مقهور الوجود بكن. وكل ما انعدم فهو مقهور العدم بكن.

وبهذا تعلم[2] أن إطلاق الملك على ما سواه أمر مجازى. إذ المملوك لا يكون مالكاً. لأن من هو تحت قهر الأغيار فهو كالعدم. ولهذا لما تحقق أرباب القلوب أن الملك لله عز وجل تحققاً (١٠٥/أ) قلبياً سكنت أنفسهم عن وصف الإضافات وتبرءوا من الحول والقوة حتى بالإشارات فلا يقول: (مني) ولا (لي)، حتى قيل لبعضهم: ألك رب؟ فقال: أنا عبد وليس لي نملة. ومن أنا حتى أقول لي.

فهذا وأمثاله صفى نفسه من رعونة البشرية وهواها وفك ربقة رق خيالاتها الباطلة ومناها ومحض رق العبودية لمولاها، فترى الملوك الجبابرة مع جبروتهم[3] يخضعون ويتذللون لهم ولهذا تتمات ليس هذا المقام مقامها، إذ الغرض التنزيه.

---

(١) في ط: ورتبها.

(٢) في ب-ج-ط: يُعلم.

(٣) في ج: مع عظمتهم وجبروتهم.

والقدوس من أسمائه عز وجل سمى نفسه بذلك ليرشدك إلى تقديسه كما أشار إلى ذلك بقوله تعالى: ﴿يسبحون الليل والنهار لا يفترون﴾(1) وفيه الحث على دوام التقديس.

فالقدوس قيل: هو المنزه عما لا يليق به من الأضداد والأنداد وقيل: هو المنزه والمطهر من النقائص والعيوب. وهذان غير مرضيين[١] عند المحققين.

قال حجة الإسلام الغواص الغزالي: وهذا في حق[٢] الباري سبحانه وتعالى يقارب ترك الأدب كما أنه ليس من الأدب أن يقال لملك ليس بحائك ولا بحجام لأن نفي الوجود يكاد يوهم إمكان الوجود وفي ذلك الإيهام نقص بل القدوس: المنزه عن كل وصف يدركه حس أو يتصوره وَهْم أو (١٠٥/ب) يسبق إليه فكر أو يهجس به سر[٣]، أو يختلج به ضمير، أو يسنح له خفي خيال. وقد أجاد رضي الله عنه(2).

---

(١) في ب - ج: مرضي. وفي ط: وهاتان غير مرضيين.

(٢) في ب: وهذا حق في الباري.

(٣) في ب: يهجس به كلمة سر.

---

(1) الآية ٢٠، من سورة الأنبياء.

(2) يقول العلامة الألوسي في تفسيره للآية (٣٠) من سورة البقرة (... ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك ...): « ... والتسبيح في الأصل مطلق التبعيد والمراد به تبعيد الله عن السوء » إلى أن قال: « والتقديس في المشهور كالتسبيح معنى، واحتاجوا لدفع التكرار إلا أن أحدهما باعتبار الطاعات والآخر باعتبار الاعتقادات.

وقيل التسبيح: تنزيهه تعالى عما لا يليق به، والتقديس: تنزيهه في ذاته عما لا يراه لائقا بنفسه فهو أبلغ، ويشهد له أنه حيث جمع بينهما أخر نحو (سبوح قدوس).

ويحتمل أن يكون بمعنى التطهير، والمراد: نسبحك ونطهر أنفسنا من الأدناس أو أفعالنا من المعاصي فلا نفعل فعلهم من الإفساد والسفك أو نطهر قلوبنا عن الالتفات إلى غيرك » أ.هـ.

[فصل: تجليات اسم «القدوس» علاج لمرض التشبيه والتجسيم[1]]

---

(1) التشبيه والتجسيم كما مرّ هما نتيجة لمرض القلب ومن هنا وجب أولا أن نفهم سرّ مرضه وعلاجه.

قلب الإنسان أو روحه هو حقيقته وهو المدرك للعلوم فبه يثاب وبه يعاقب وهو بالفطرة صالح لمعرفة الحقائق لأنه أمر رباني شريف فارق سائر جواهر العالم بهذه الخاصية والشرف وإليه الإشارة بقوله عز وجل ﴿ إنا عرضنا الأمانة على السماوات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان﴾ إشارة إلى أن له خاصية تميز بها عن السماوات والأرض والجبال بها صار مطيقا لحمل أمانة الله تعالى، وتلك الأمانة هي **المعرفة والتوحيد** ألا ترى إلى قوله تعالى: ﴿وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا ... ﴾ الآية. وإلى قوله ﷺ : « كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهوِّدانه أو ينصرانه أو يمجسانه، كمثل البهيمة تنتج البهيمة هل ترى فيها من جدعاء؟ » متفق عليه واللفظ للبخاري.

وقلب كل آدمي مستعد لحمل الأمانة ومطيق لها في الأصل ولكن يثبطه عن النهوض بأعبائها والوصول إلى تحقيقها خمسة أسباب:

الأول: نقصان في ذاته كقلب الصبي.

الثاني: كدورة المعاصي والخبث المتراكم على وجه القلب من كثرة الشهوات.

الثالث: أن يكون معدولا به عن جهة الحقيقة المطلوبة فقد يكون قلب الآدمي الصالح مستوعب الهم بتفصيل الطاعات البدنية أو أسباب المعيشة ولا يصرف فكره إلى التأمل في حضرة الربوبية والحقائق الإلهية.

الرابع: الحجاب الناشئ عن الاعتقادات التقليدية والتي تلقيت بحسن الظن حتى رسخت في القلوب.

الخامس: الجهل بالجهة التي يقع منها العثور على المطلوب. فكل علم له أصلان مخصوصان وبينهما طريق في الازدواج، فيحصل من ازدواجهما العلم المستفاد المطلوب. فالجهل بالأصلين وبكيفية ازدواجهما هو المانع من العلم. (الأصل: المعلومة الأولية). فإذا ثبت أن بعض هذه الأسباب قد عوّق الفهم وأزال الطمأنينة من القلب فما العلاج إذن؟

يقول ربنا سبحانه وتعالى ﴿ الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ألا بذكر الله تطمئن القلوب ﴾ .

ولما كان للقلب بابان: باب مفتوح إلى عالم الملكوت- وهو اللوح المحفوظ وعالم الملائكة - ومنه يكون الإلهام، وباب مفتوح إلى الحواس الخمس المتمسكة بعالم الملك والشهادة ويحاول الشيطان إلقاء الشبه والدخول إلى القلب منه فعند ذلك ليس أمام المؤمن إلا طرق باب عالم الملكوت في قلبه والاستناد إليه، وفتحه والمحافظة عليه يكون بالذكر. =

= يقول الحسن البصري رحمه الله: « إن أهل العقل لم يزالوا يعوِّدون بالذكر على الفكر وبالفكر على الذكر حتى استنطقوا قلوبهم فنطقت بالحكمة » رواه ابن أبي الدنيا في كتاب التفكر. وفائدة التذكار: تكرار المعارف على القلب واسترجاع ما فات منها بالنسيان لترسخ وتثبتُ ولا تنمحي من القلب.

فالمؤثر النافع هو الذكر على الدوام مع حضور القلب ... وللذكر أول وآخر فأوله يوجب الأنس والحب وآخره يوجبه الأنس والحب ويصدر عنه.

فإن المريد في بداية أمره قد يكون متكلفا بصرف قلبه ولسانه عن الوسواس إلى ذكر الله عز وجل فإن وفق للمداومة أنس به وانغرس في قلبه حب المذكور بحيث يمتنع الصبر عنه آخرا وينتهي إلى أن يجد قلبه مع الله تعالى على الدوام.

فإذا تم له ذلك انكشف له جلال الحضرة الربوبية وتجلى له الحق وظهر له من لطائف الله تعالى مالا يجوز أن يوصف، بل لا يحيط به الوصف أصلا.

وغني عن البيان أن لكل اسم من الأسماء الحسنى فضل تجليات خاصة به وللقلب بكل واحد من الأسماء الحسنى تنبه وإيقاظ وتلذذ غير ما يجده في الذكر بغيره من الأسماء.

وأصل التجلي ما ينكشف للقلوب من أنوار الغيوب فإن لكل اسم إلهي بحسب حيطته ووجوهه تجليات متنوعة. » انظر: من (إحياء علوم الدين) وشرحه (إتحاف السادة المتقين) -(كتاب شرح عجائب القلب) ج٨٠ ط. العلمية ففيه تفصيل ذلك، لذا كان لاسم (القدوس) تجليات تشمل المنزه والمشبه جميعاً كما ذكر الإمام الحصني.

تحدث الشيخ قاسم بن صلاح الحلبي عن طريق علاج النفوس الأمارة بالسوء - ومنها نفس المشبه والمجسم- بأسلوب التربية الصوفية، وهذه النفس في المقام الأول والعبد أبعد ما يكون عن ربه في هذا المقام يقول الشيخ قاسم:

« فالسالك - يقصد المريد- إذا كان في المقام الأول وتلقن الاسم الأول من المسلك- يقصد الشيخ - وداوم على تلاوته مع الإكثار آناء الليل وأطراف النهار جهراً وسراً وقياماً وقعوداً أوقد الله تعالى في باطنه ببركة هذا الاسم مصباحا ملكوتيا فيرى بعين قلبه القبائح التي هو منطوٍ عليها كارهاً لها ومستنكراً من نفسه الاتصاف بها متحسراً على ما فاته من الأوقات بعدما كان في غفلة لا يعرف القبيح من الحسن إلا باللسان فيشمر عن ساعد الجد ليسعى على الخلاص مما فيه من القبائح الظاهرة كشرب الخمر والزنا ولبس الحرير وغير ذلك، وعلى إخراج ما فيه من القبائح الباطنة كالكبر والحقد والحسد وأمثال ذلك. وكلما زاد من الذكر وداوم عليه زادت كراهيته لأفعاله القبيحة وزاد سعيه في الخلاص منها، وهذا أمر محقق لا ينكره إلا من لم يجربه. =

= وهذه أول كرامة يكرم بها الله تعالى هذا العبد السالك ليستعين على قطع الطريق. وله في كل مقام كرامة بل كرامات كثيرة، ويعتبر هذا المصباح المذكور أول الجذبة الرحمانية. وكلما داوم السالك على الذكر مع المجاهدة قوى الجذب حتى يصل إلى أعلى درجات الكمال فيقوى على حمل الأمانة وعلى التجليات » أ.هـ. ص ٢٢ (السير والسلوك).

يقول الوزير لسان الدين بن الخطيب في كتابه (روضة التعريف): ص ٥٠٤-٥٠٦ فصل (مراتب الذكر والذاكرين):

« المرتبة الثانية: مرتبة الصوفية، وهم الذين يطلبون الوصول إلى مدلول الذكر. والصوفية يذكرون الله بأي نوع شاءوا من الأذكار حتى تشعر نفوسهم بمدلول ذكرهم وتنفعل لذلك انفعالا مًّا تغيب به عن المحسوسات فيحصل لها حظ من المشاهدة بحسب قوة الحال وضعفها ويكون الإدراك لذلك ذوقيا لا علميا نظريا، وهؤلاء يستعملون الذكر لتقوية الحال واستدعائها كما يجرى اليوم عليه العمل في أذكار الجمع للتواجد.

وهم – أعنى الصوفية– على أنحاء فالكامل منهم من يقتصر على تلاوة الكتاب العزيز، وهو الذكر الحكيم الذي لا ذكر فوقه، ولكنه مقام الكمل من العارفين.

ومنهم من يقتصر على ترداد بعض آياته ويسمونها أسراراً وهى مكتومة عندهم لما يظهر من قوة الحال عند تردادها.

والحال هو: الإدراك الذي يحدث في النفس عند تردادها كما تحدث القوى في الأجسام عند ورود الطعام عليها، ربطا من الله للأسباب بالمسببات.

فلا يزال الذاكر يردد ذكره الذي يعتمد عليه بلسانه ويقيمه بجنانه صارفاً همته نحو مقصوده عاكفا بحواسه فإذا ردده المرات الكثيرة الدائمة وبحسب القابلية جذبه الذكر إلى عالم النور وضعف عمل خياله وقوى عمل فكره. فإن الذكر للفكر بمنزلة السراج بين يدي الماشي في الظلمة حتى يصبح فيغنيه ضوء الصباح وعندما قوى عمل فكره تجردت نفسه، فعند ذلك يحصل لها إدراك مقصودها في نفسها بقدر مقامها وبعدها من الصور الخيالية. ثم تعود إلى حسها وتزول عنها تلك الحال عليه فيأخذ في تجديدها واستدعائها إلى أن ترد عليه الحال المذكورة أجلى وأوضح، ويدوم ذلك أكثر مما دام في المدة الأولى. ثم يعود إلى حسه كما حدث في المرة الأولى.

وهذه هي الأنوار النفسانية والبروق الإلهية. ولا يزال الأمر يزيد في كل مرة حتى تغلب الحال عليه وتتصل فلا يحتاج إلى استدعائها بذكر ولا غيره. وهذه حال الواصلين من الصوفية، وفي التخلص من التصورات معظم حال العارفين وأرباب الهداية ولكن لابد من السلوك عليها فإنها من لوازم الطرق، وقيل إليه الإشارة بقوله: ﴿ وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتما مقضيا. ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا ﴾ مريم ٧١-٧٢. » أ.هـ.

وههنا فائدة جليلة للمنَزِّه والمشَبِّه وهي أنه ينبغي للعبد أن يجعل له حظاً وافراً من تكرير هذا الاسم والإمعان في معناه[1]. فإن كان منزها عطف ذلك عليه وقدس نفسه وقلبه[(1)] وبدنه.

أما نفسه فيطهرها من الأوصاف المذمومة كالغضب والحقد والحسد والغش وسوء الظن والكبر وحب الشرف والعلو وحب الدنيا ولوازمها إلى

(١) في ب: قلبه ونفسه وبدنه.

---

(1)ويقول الأستاذ الشيخ السيد/ محمد زكي إبراهيم في كتابه (في رياض الاسم الأعظم) تحت عنوان (أساليب الذكر الصحيح):

«ولابد في مزاولة ذكر الأسماء المختارة والأسماء الحسنى بعد تفهّم معانيها ولو إجمالا من صحة نطقها صحة مطلقة وتحقيق مخارج الحروف ومراعاة المد والقصر كلٌ في موضعه... » إلى أن قال: «ولذكر أسماء الله تعالى ثلاثة أساليب:

أولها: نطقها مع الألف واللام فيقال مثلا (الرزاق، الفتاح، العليم).

ثانيها: نطقها مجردة عن الألف واللام فيقال مثلا (رزاق، فتاح، عليم).

ثالثها: نطقها ملحقة بـ (ياء النداء) فيقال مثلا (يا رزاق، يا فتاح، يا عليم)، ولكل منها سرٌ ومقام وأثر » .

ثم قال تحت عنوان (الذكر بالاسم المفرد والمجرد في اللغة):

« ... والذاكر الله بلفظ (لرزاق) أو (رزاق) مثلا، ملاحظ أن هذا الاسم أحد جزأي جملة خبرية، تقديرها مثلا (الله الرزاق) أو (ربي رزاق) أو نحو ذلك، فالاسم المجرد هنا خبر لمبتدأ محذوف، أو مبتدأ لخبر محذوف كما يجوز أن يكون مفعولا لفعل محذوف، تقديره (أذكر الله الرزاق)، وقد يكون الذاكر ملاحظاً (ياء النداء) فيكون الاسم المجرد منادى حذفت منه ياء النداء بلاغة (إن لم يكن قد نطق فعلاً بها)،ولكل ذلك أشباه في القرآن والسنة معروفة عند أهل اللغة.

وفي حديث مسلم الثابت: « لا تقوم القيامة وعلى وجه الأرض من يقول (الله الله) » أي ذكراً أو أمراً ونهياً، ولو لم يكن في هذا الباب إلا هذا الدليل لكفي.

وفي الحديث الثابت أيضاً: كان ﷺ يقول في دعائه: « الله الله، الله ربي لا أشرك به شيئاً » ولم يعترض على هذه الرواية سلف ولا خلف.

وثبت في صحاح السير أنه ﷺ كان يمر على بلال ﷺ وهو يعذب ويقول: «أحد، أحد» فلم ينكر عليه، بل كان يكررها ﷺ وهو المشرع الأعظم، وهذا من أوضح الأدلة على صحة هذا الذكر، اعني الذكر بالاسم المفرد.

وفي القرآن الكريم يقول تعالى: ﴿ قل الله ﴾ ﴿ليقولن الله ﴾ مكررة في عدة آيات، وماضية على القواعد اللغوية التي أسلفنا.

والأوضاع اللغوية لفواتح السور وغيرها، كلها نقول ثابتة محمولة على ما قدمنا من القواعد اللغوية والبلاغية الأصيلة، فالقول بأن الذكر بالاسم المفرد أو المجرد خطأ أو هدر، هذا القول هو عين الخطأ وعين الهدر » .

=

غير[1] ذلك ويبدلها بالأوصاف المحمودة ويطهرها أيضاً عن العادات والشهوات وما تدعو إليه من المستحسنات والمألوفات إذ هذه أزمة الشيطان يقود بها إلى ارتكاب الموبقات.

(١) في ط: وغير.

= ثم قال تحت عنوان (الذكر بالاسم المفرد في القرآن):

« ١- الله تعالى يقول: ﴿ واذكر اسم ربك بكرة وأصيلا ﴾ ، ويقول: ﴿ واذكر اسم ربك وتبتل إليه تبتيلا ﴾، والاسم الجامع العام الأشهر لربنا عز وجل هو (الله)، وإليه تعود جميع الأسماء الحسنى والصفات العليا.

٢- الله تعالى يقول: ﴿ ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها ﴾ ، **والدعاء ذكر، والذكر دعاء**، وكلاهما يشمل ترديد اسمه تعالى مفرداً مجرداً، كما جاءت الأسماء الحسنى بالنص الصحيح الجاري على الألسن في كل الروايات مفردة ومجردة.

٣- الله تعالى يقول: ﴿ قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أيا ما تدعوا فله الأسماء الحسنى ﴾ أي: اذكره تعالى باسمه (الله) أو اسمه تعالى (الرحمن) أو غيرهما من أسمائه الحسنى، وكلها أسماء مفردة مجردة، وحكم واحد منها يجرى عليها جميعاً.

٤- الله تعالى يقول ﴿ سبح اسم ربك الأعلى ﴾ يعني: قدس اسم ربك عن النقص في الزمان والمكان والإمكان، والحال والمقال والأفعال، مفسراً بقوله تعالى في آية أخرى ﴿وتبتل إليه تبتيلا ﴾، والتبتل غاية الأدب وتمامه ظاهراً وباطناً.

٥- ذكرت عبارة (اسم الله) في القرآن تسع مرات، وعبارة (اسم ربك) أربع مرات، وعبارة= = (اسم ربه) مرة واحدة، وأكثر ما يراد بذلك الاسم المفرد، على ما سبق بيانه » .

وعن الذكر بياء النداء قال:« قالوا: وإنما يحسن الذكر بياء النداء في مقامات الطلب والابتهال والاستغاثة.. أما مقام التعبد فالأمثل الذكر فيه بغير حرف النداء، وفي هذا المعنى مذاق رفيع » أ.هـ.من ص ٥٦إلى ص ٦٠.

ويؤكد ذلك ما رواه سيدنا علي بن أبي طالب كرم الله وجه قال: « لما كان يوم بدر قاتلت شيئاً من قتال ثم جئت مسرعاً لأنظر ما فعل رسول الله ﷺ فجئت فإذا هو ساجد يقول (يا حي يا قيوم يا حي يا قيوم) لا يزيد عليهما، ثم رجعت إلى القتال ثم جئت وهو ساجد يقول ذلك ثم ذهبت إلى القتال ثم رجعت وهو يقول ذلك ففتح الله عليه» يقول الحافظ الهيثمي « رواه البزار وإسناده حسن ورواه أبو يعلى بنحوه كذلك» أ.هـ مجمع الزوائد ١٠/١٤٧ (باب الاستنصار بالدعاء).

قلت: وحالات الابتلاء بوسوسة التشبيه والتجسيم من أخطر الأمور التي تستوجب الابتهال والتضرع إلى الله والاستغاثة به سبحانه لتطهير القلب منها فعلى المريض أن يداوم على ترديد (يا قدوس يا قدوس) آناء الليل وأطراف النهار كما شرحه الإمام الحصني وكما سيأتي في التعليق من كلام حجة الإسلام الغزالي.

ويكفي في شرف الذكر بالأسماء الحسنى أن الله سبحانه أمر به عقب الآية الكريمة ﴿ولقد ذرأنا لجهنم كثيراً من الجن والإنس لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها أولئك كالأنعام بل هم أضل، أولئك هم الغافلون. ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها ... ﴾ الآيتان ١٧٩، ١٨٠ سورة الأعراف فبين أن الذكر بالأسماء الحسنى علاج للغفلة ولمرض القلب.

وأما القلب فيطهره بالعقد الصحيح المطابق الجازم وبالمبادرة إلى امتثال الأوامر واجتناب النواهي والأهواء وتحقيق الإخلاص نيةً وقولاً وعملاً وبالرضى بما جرى فلا يأسف على فائت ولا يفرح بآت وذلك يرجع إلى ذوق[١] حلاوة الإيمان القلبي لا العلمي[٢] وعلامته تقديس القلب عن ملاحظة الأكوان، ولا يرى الأغيار إلا على العدم الأصلي فلا يتحرك في ظاهره ولا باطنه حتى في أنفاسه إلا بالله عز وجل.

وأما البدن فيطهره بماء الجوع ويكفنه (١٠٦/أ) بدوام التقشف[1] ويحنطه بالعزلة[2] ويطيبه بدوام الذكر والفكر ويدفنه في لحد الخوف فإذا قدسه بذلك ذهب [مغناه وبقى معناه][٣].

فإذا اجتمعت له هذه التقديسات[٤] ذهبت أوصافه القواطع والموانع ولاح له خزائن أسرار الآيات في معارج ترداد الآيات فأثمر له ذلك كشف

---

(١) في ب: يرجع ذوق.
(٢) في ط: العملي. وهو خطأ.
(٣) في أ : ذهب معناه وبقى مغناه.
(٤) في ب: التقدمات وهو خطأ.

---

(1) يشرح حجة الإسلام الغزالي أسباب ذلك فيقول: « قال تعالى: ﴿ إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم ﴾ (آية ١١ من سورة الرعد) وإنما التغيير: تكثير الشهوات فهى مرتع الشياطين ومرعاهم فما دامت مخصبة لم ينقطع ترددهم، وما داموا يترددون لم ينكشف للعبد جلال الله سبحانه وكان محجوبا عن لقائه ... » أ.هـ إتحاف السادة المتقين (٣٢٨/٤) من كتاب أسرار الصوم، يقول الله في الحديث القدسي: « خلقت عبادي حنفاء فجاءتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم » رواه مسلم ومن هنا كان الإقلاع عن المعاصي بل والتقليل من الشهوات المباحة هو المدخل لطرد الشياطين من القلب ومنع استقرارهم فيه بل يصير طوافهم بالقلب ومرورهم به مساً فقط فيظهر أثر الذكر وبركته بعد ذلك، (إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذاهم مبصرون).

(2) يقول الإمام أبو حامد الغزالي: « النفس لا تألف ربها ولا تأنس بذكره إلا إذا فطمت عن عادتها بالخلوة والعزلة أولا ليحفظ السمع والبصر عن المألوفات، ثم عودت الثناء والذكر والدعاء ثانيا في الخلوة حتى يغلب عليها الأنس بذكر الله عز وجل عوضا عن الأنس بالدنيا وسائر الشهوات وذلك يثقل على المريد في البداية ثم يتنعم به في النهاية » أ.هـ أتحاف السادة المتقين ٦٦٦/٨، ٦٦٧ط العلمية.

أسرار الملكوتيات فيثمر له ذلك الشوق إلى رؤية مطلوبه فلا شيء أشهى إليه من الموت لأنه لا سبيل إلى الوصول إلى محبوبه إلا به.

فمن أراد أن يجلس(١) في حضرة القدس على منابر التقديس فليجر على هذا التأسيس.

مَرَّ(٢) إبراهيم بن أدهم قدس الله تعالى روحه بسكران مطروح على قارعة الطريق وقد تقيأ فنظر إليه وقال: بأي لسان أصابته هذه الآفة(1). وطهر فمه ومضى فلما أفاق السكران أخبر بما فعله به إبراهيم. فخجل وتاب وحسنت توبته. فرأى إبراهيم فيما يرى النائم كأن قائلاً يقول: غسلت لأجلنا فمه فلا جرم أنّا طهرنا لأجلك(٣) قلبه.

وأما المشبه والمجسم فلأنه بتكرار هذا الاسم يتعقل معناه فيضيء له نوره فينكشف له حجاب الضلال(2) .

(١) في ط: يجلسه.
(٢) في ط: ومَرَّ.
(٣) في ط: لأجلك، وفي أ،ب،ج: لأجل. والصواب ما أثبتناه.

(1) روى هذه القصة أيضاً الإمام عبد الله بن أسعد اليافعي في كتابه (روض الرياحين) وفيها: « فنظر إليه إبراهيم وقال: أيُّ لسان أصابته هذه الآفة وقد ذكر الله عز وجل » انظر ط. زهران ص١٩١.

ورواها أيضاً بتفصيل وتوضيح أتم الإمام موفق الدين بن عثمان في كتابه (مرشد الزوار) ص١٠٥، ١٠٦ط. الدار المصرية اللبنانية فقال: « حكى عن إبراهيم بن أدهم، رحمه الله، أنه مَرَّ بِرَجُلٍ سكران وهو مُلْقَى والخمر يطفح من فيه وهو يقول: الله الله، فرفع إبراهيم طرفه إلى السماء وقال: إلهي، لسان بذكْرِكَ لا يكون هكذا.. ثم دعاء بماءٍ فَغَسَل به فَاهُ، وتَرَكَهُ ومضر.. فلما أفاق من سكره أخْبِرَ بما فَعَلَهُ إبراهيم بن أدهم، فخجل واستحيا، ولام نفسه ووبخها، وقال: يا نفس، إن لم تستحي من الله ومن أوليائه، فممن تستحين؟! ثم لحقه الندم والأسف على ما مضى من عمره في الذنوب وسلف.. فلما كان تلك الليلة رأي إبراهيم بن أدهم قائلا قول: يا إبراهيم، ربك يقول لك: أنت طهرت فاه لأجلنا، ونحن طهرنا قلبه لأجلك ! إلى آخر ما قال.

فإبراهيم بن أدهم ﷺ طهر لسان الرجل وفمه تعظيما وتقديسا لاسمه سبحانه فكافأه ربه سبحانه بتطهير قلب الرجل وصلاحه، فتعظيم الله وتقديسه وملاحظة هذا التعظيم والتقديس في جميع الأفعال والأوقات أساس لكل خير.

(2) ففائدة الذكر: تكرار المعارف على القلب واسترجاع ما فات منها بالنسيان لترسخ وتثبت ولا تنمحي عن القلب. (انظر الإتحاف ٣١٩/١٣ط العلمية). =

فإذا حقق المعنى المراد منه ظهر له نوره فأحرق حجاب الضلال فصفى القلب(١) إلى الحق وزاح الباطل(1).

وقد وقع ذلك لبعض الغلاة في (١٠٦/ب) التشبيه والتجسيم مر يوماً على هذه الآية ﴿هو الله الذي لا إله إلا هو الملك القدوس﴾(2) فكرَّر هذا الاسم وتعقَّلَ معناه فقال: والله إنا لفي ضلال بين(٢). فبادر في الحال وأتي بالشهادتين. وقال: والله لا يخلصني إلا استئناف العمل.

(١) في ط: قلبه.

(٢) في ب: ضلال مبين. وفي ط: مبين بين.

=ويشرح حجة الإسلام الصراع القائم في القلب بين التقليد ونور البصيرة- الكشف- فيقول: « وهذا التقليد قد يكون باطلا فيكون مانعاً كمن يعتقد في الاستواء على العرش: التمكن والاستقرار. فإن خطر له مثلا في القدوس أنه المقدس عن كل ما يجوز على خلقه لم يمكنه تقليده من أن يستقر ذلك في نفسه! ولو استقر في نفسه لا نجر إلى كشف ثان وثالث ولتواصل ولكن يتسارع إلى دفع ذلك عن خاطره لمناقضته تقليده الباطل... » أ.هـ إتحاف السادة المتقين ١٠٤/٥ –١٠٥ ومن هنا نفهم سر الأمر بالإكثار من الذكر في العديد من آيات القرآن وكذا توجيه النبي ﷺ لأحد أصحابه: « ... لا يزال لسانك رطباً بذكر الله » .

ويمتدح آخرين بأنهم: المستهترين – أي المكثرين- بذكر الله وبيّن أن الذكر يضع عنهم ذنوبهم فيأتون يوم القيامة خفافا. وكتب السنة مشحونة بذلك بل روى أبو سعيد الخدري مرفوعاً: «أكثروا ذكر الله تعالى حتى يقولوا مجنون » صححه ابن حبان والحاكم وحسنه ابن حجر والسيوطي وغيرهم وعن ابن عباس يرفعه « اذكروا الله ذكراً كثيراً حتى يقول المنافقون يراءون » حسن لغيره من طريقين عند الطبراني والبيهقي في (الشعب).

ومن هنا نص أئمة الطريق على المداومة على الذكر المطلوب في حالة كل مريد والصبر على تكراره وترديده حتى تنفتح له أبواب الرحمة الإلهية، يقول الإمام ابن عطاء الله السكندري في (الحكم): « لا تترك الذكر لعدم حضورك مع الله فيه لأن غفلتك عن وجود ذكره أشد من غفلتك في وجود ذكره. فعسى أن يرفعك من ذكر مع وجود غفلة إلى ذكر مع وجود يقظة، ومن ذكر مع وجود يقظة إلى ذكر مع وجود حضور ومن ذكر مع وجود حضور إلى ذكر مع وجود غيبة عما سوى المذكور، وما ذلك على الله بعزيز » أ.هـ.

(1) بين حجة الإسلام الغزالي كيفية ذلك بأن يواظب المريد على الذكر حتى تسقط حركة اللسان ثم يواظب حتى يسقط الأثر عن اللسان وتبقى صورة اللفظ في القلب، ثم يواظب حتى يمحى عن القلب حروف اللفظ وصورته وتبقى حقيقة معناه لازمة للقلب حاضرة معه غالبة عليه قد فرغ عن كل ما سواه. لأن القلب إذا شغل بشيء خلا عن غيره – أي شيء كان – فإذا اشتغل بذكر الله تعالى وهو المقصود خلا لا محالة عن غيره أ. هـ بمعناه.

(2) الآية ٢٣، من سورة الحشر.

فانظر أرشدك الله تعالى إلى بركة تكرير هذا الاسم العظيم في حق أهل التنزيه والتشبيه والله أعلم.[1]

---

(1) ويتضح مما سبق أنه لكي يصير قلب المؤمن فارقا بين الحق والباطل فيما يشتبه عليه من أمور دينه ودنياه فإن الواجب عليه:

أولاً: مداومة التوبة والاستغفار تطهيرًا لقلبه عن أدناس المعصية. أخرج مسلم في صحيحه «إنه ليغان على قلبي حتى استغفر الله في اليوم مائة مرة » وفي رواية « توبوا إلى ربكم فوالله إني لأتوب إلى ربي تبارك وتعالى مائة مرة في اليوم » .

ثانياً: ملازمة التقوى كما أمر الله بها في كتابه وحقيقتها: التحرز بطاعة الله عن عقوبته، وأصلها: اتقاء الشرك ثم بعده اتقاء المعاصي والسيئات ثم بعده اتقاء الشبهات. (انظر الرسالة القشيرية ١/٣٠٦) وعن ضرورة التقوى يقول حجة الإسلام الغزالي: « قال الله تعالى ﴿ إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون ﴾ [الآية٢٠١من سورة الأعراف] فأخبر أن جلاء القلب وإبصاره يحصل بالذكر وأنه لا يتمكن منه إلا الذين اتقوا.

فالتقوى باب الذكر والذكر باب الكشف والكشف باب الفوز الأكبر وهو الفوز بلقاء الله تعالى » أ.هـ الإحياء مع شرحه الإتحاف ج٨ ص ٤٢١ط العلمية.

ويقول الإمام الرباني في المكتوب (١٩٠) من الجزء الأول: « واعلم أن نفع الذكر وترتب الأثر عليه مربوط بإتيان أحكام الشريعة فينبغي حسن الاحتياط في أداء الفرائض والسنن واجتناب المحرم والمشتبه والرجوع إلى العلماء في القليل والكثير والعمل بمقتضى فتواهم » أ.هـ المكتوبات ١/ ١٦٢.

ثالثاً: الاشتغال بالذكر والفكر كما مرَّ وبعد تحقيق شروط صحته من تطهير القلب وتزكيته واختيار الذكر المطلوب لحالته كما علمتنا السنة النبوية وكما نص عليه أهل هذا العلم.

يقول الأستاذ/ محمود الغراب في تفسير الآية الكريمة ﴿ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها ﴾ الآية: « ...(فادعوه بها) فإذا دعوته باسم منها تجلى مجيبا لك في عين ذلك الاسم» إلى أن قال: «فمن أراد الإجابة من الله فلا يسأله إلا بالاسم الخاص بذلك الأمر ولا يسأل باسم يتضمن ما يريده وغيره ولا يسأل بالاسم من حيث دلالته على ذات المسمى ولكن يسأل من حيث المعنى الذي هو عليه الذي جاء لأجله وتميز به عن غيره من الأسماء تميز معنى لا تميز لفظ.

﴿ وذروا الذين يلحدون في أسمائه ﴾ أي ..، الوجه الثاني: هم يميلون عن أسمائه لا بل يميلون في أسمائه إلى غير الوجه الذي قصد بها » أ.هـ انظر (رحمة من الرحمن) ج٢ ص ٢٠٢-٢٠٣.

فهذا هو التعرض لنفحات رحمة الله الذي أمرنا به سيدنا رسول الله ﷺ حين قال: « إن لربكم في أيام دهركم نفحات فتعرضوا لها لعل أن يصيبكم نفحة منها فلا تشقون بعدها =

= أبداً » رواه أربعة من الصحابة بأسانيد متعددة، وأول هذه النفحات إشراق نور البصيرة في القلب قال ﷺ: « اتَّقُوا فِراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله عز وجل » حديث صحيح لغيره رواه الترمذي وغيره (انظر بشارة المؤمن للشيخ محمود سعيد).

وهذه البصيرة أو المعارف الإلهية بحسب الموضوع الذي تتعلق به على أنواع منها: ما يكون القلب مصدره الوحيد كالإلهام الواقع لبعض الصحابة وسبق الإشارة إليه من إخبار ببعض مغيبات وما إلى ذلك.

منها: وهو ما نحن بصدده من بيان وجه الصواب في الأمور المشتبهات وعند الشك في صواب الأمر أو خطئه من مسائل الدين أو الدنيا وحسبك فيه تعليم النبي عليه السلام أمته الاستخارة.

يقول حجة الإسلام الغزالي في شرحه لأقسام العلم الباطن:

« القسم الرابع: أن يدركِ الإنسان الشيء جملة ثم يدركه تفصيلا بالتحقيق والذوق بأن يصير حالاً ملابساً له فيتفاوت العلمان، ويكون الأول كالقشر والثاني كاللباب، والأول كالظاهر والثاني كالباطن. وذلك كما يتمثل للإنسان في عينه شخص في الظلمة أو على البعد فيحصل له نوع علم، فإذا رآه بالقرب أو بعد زوال الظلام أدرك تفرقة بينهما ولا يكون الأخير ضد الأول بل هو استكمال له.

... وكذلك من علوم الدين ما يصير ذوقا فيكمل فيكون ذلك كالباطن بالإضافة إلى ما قبل ذلك » أ.هـ الإحياء مع شرحه الإتحاف ٢/١٢٥-١٢٦.

أي أن علوم القلب لا تضاد علوم العقل بل تكملها وقد أقر الشرع الحكيم علوم القلب هذه واعتمدها كوسيلة من وسائل المعرفة والإدراك عند أصحابها على الأقل وهاهي بعض الأحاديث الدالة على ذلك:

١- عن النواس بن سمعان الأنصاري قال: سألت رسول الله ﷺ عن البرِّ والإثم فقال: « البرُّ حسن الخلق، والإثم ما حاك في صدرك وكرهت أن يطلع عليه الناس» أخرجه مسلم والترمذي.

يقول النووي (حاك في صدرك) أي تحرك فيه وتردد ولم ينشرح له الصدر وحصل في القلب منه الشك وخوف كونه ذنبا.

٢- روى أبو الحوراء السعدي ربيعة بن شيبان قال: قلت للحسن بن على رضي الله عنهما: ما حفظت من رسول الله ﷺ ؟ قال: حفظت منه: « دع ما يريبك إلى مالا يريبك فإن الصدق طمأنينة والكذب ريبة » أخرجه الترمذي والنسائي وأحمد بن حنبل وإسناده صحيح.

٣- عن أبي ثعلبة الخشني قال: قلت يا رسول الله أخبرني بما يحل لي وما يحرم على قال: فصعد النبي ﷺ وصوب في البصر، فقال النبي ﷺ : « البِرُّ ما سكنت إليه النفس واطمأن إليه القلب، والإثم ما لم تسكن إليه النفس ولم يطمئن إليه القلب وإن أفتاك المُفْتُون » قال الحافظ الهيثمي «رواه أحمد والطبراني وفي الصحيح طرف من أوله ورجاله ثقات » أ.هـ مجمع الزوائد ١/١٧٥. =

= ٤- وعن وابصة بن معبد الأسدي قال: جئت رسول الله ﷺ وأنا لا أريد أن أدع من البر والإثم شيئاً إلا سألته عنه فأتيته وهو في عصابة من المسلمين حوله فجعلت أتخطاهم لأدنو منه فانتهرني بعضهم فقال: إليك يا وابصة عن رسول الله ﷺ فقلت: إني أحب أن أدنوا منه، فقال رسول الله ﷺ : دعوا وابصة أدن مني يا وابصة فأدناني حيث كنت بين يديه فقال: أتسألني أم أخبرك؟ فقلت: لا بل تخبرني فقال: جئت تسأل عن البر والإثم قلت: نعم، فجمع أنامله فجعل ينكث بهن صدري وقال: (البرُّ ما اطمأنت إليه النفس واطمأن إليه القلب والإثم ما حاك في النفس وتردد وإن أفتاك المفتون وأفتوك) رواه الطبراني وأحمد باختصار، يقول الحافظ الهيثمي: « ورجال أحد إسنادي الطبراني ثقات » مجمع الزوائد ١٠/٢٩٤ ويقول الإمام النووي: « حديث حسن رواه أحمد والدارمي في مسنديهما » أ.هـ.(رياض الصالحين) ص ١٦٩ ط. الشعب.

٥- عن أبي أمامة قال: قال رجل ما الإثم يا رسول الله؟ قال: (ما حاك في صدرك فدعه) قال: فما الإيمان؟ قال: (من ساءته سيئته وسرته حسنته فهو مؤمن) » قال الهيثمي: « رواه الطبراني وأحمد باختصار عنه ورجال الطبراني رجال الصحيح » أ.هـ مجمع الزوائد ١٠/٢٩٤-٢٩٥ قال الهيثمي: « وعن أبي أمامة قال: سأل رجل النبي ﷺ: ما الإثم؟ قال: (إذا جاءك في نفسك شيء فدعه) قال: فما الإيمان؟ قال: (إذا ساءتك سيئتك وسرتك حسنتك فأنت مؤمن) رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح » مجمع الزوائد ١/ ١٧٦.

٦- عن أم سلمة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ : « إذا أراد الله بعبد خيراً جعل له واعظاً من قلبه يأمره وينهاه » قال الحافظ العراقي: رواه الديلمي في مسند الفردوس من حديث أم سلمة وإسناده جيد. أ.هـ.

ويقول العلامة الزبيدي: « رواه ابن لال في (مكارم الأخلاق) ومن طريقه أورده الديلمي ولفظه: (... جعل له واعظا من نفسه يأمره وينهاه).

٧- حديث معاذ عند أبي داود والترمذي: كان كلما جلس لأصحابه يقول: هلك المرتابون .. واتق زيغة الحكيم .. المشتهرات من كلامه التي يقولون؟ ما هذه؟ ... **قالوا: فكيف نعرف الحق؟ قال: إن على الحق نوراً »** أ.هـ.

٨- وقبل هذا كله الحديث القدسي الذي رواه البخاري في صحيحه في كتاب الرقاق- باب التواضع حديث رقم (٦٥٠٢): « قال رسول الله ﷺ : إن الله تعالى قال: من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إلى عبدي بشيء أحب إلى مما افترضته عليه. وما زال عبدي يتقرب إلىّ بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها وإن سألني لأعطينه ولئن استعاذني لأعيذنه ... » وفي رواية عبد الواحد بن عروة عند البيهقي في الزهد « وفؤاده الذي يعقل به ولسانه الذي يتكلم به وفي حديث ميمونة « ... وقلبه الذي يعقل به ... » وفي إسناد الروايتين الآخيرتين مقال وقال ابن حجر في فتح الباري:« ... قال الطوفي: اتفق العلماء ممن يعتد بقوله أن هذا مجاز وكناية عن نصرة العبد وتأييده=

ثم تمام التقديس لا يحصل إلا بالتمكين(١) بعد كمال التوحيد، وحقيقة التوحيد تكون(٢) باعتبار الذات، وباعتبار الفعل.

فتوحيد الذات: بنفي الحدوث. وثبوت الأحدية بنفي الأضداد وثبوت الذات ينفي التشبيه ويحير العقل في بحر الإدراك.

وأما توحيد الأفعال: فهو شهود القدرة في المقدور ثم الاستغراق في أنوار العظمة فيغيب بذلك عن الموجودات وتبقى القدرة بارزة بأسرار التوحيد ثم الاستغراق في أنوار المحو فيغيب عن رؤية القدرة بالقادر(٣).

ومن مقدوراته جل وعلا ما ذكره في قوله تعالى ﴿يوم يقوم الروح﴾[1] الآية.

---

(١) في ط: بالتمكن.

(٢) في ب - ج: يكون.

(٣) سقط سطرين من المخطوط (ب) هنا من قوله القدره.

= وإعانته حتى كأنه سبحانه ينزل نفسه من عبده منزلة الآلات التي يستعين بها ولهذا وقع في رواية (فبي يسمع وبي يبصر وبي يبطش وبي يمشي) » أ.هـ ج ١٧ ص٣٢٠ ط.دار الغد العربي ويقول العلامة الإمام الفقيه ابن حجر الهيتمي في (الفتاوى الحديثية):

ومما يؤيد ما رواه الصوفية من أن الإلهام حجة أي فيما لا مخالفة فيه لحكم شرعي من قوله ﷺ في الحديث القدسي «فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به » الحديث، وفي رواية « فبي يسمع وبي يبصر وبي ينطق » وفي أخرى «وكنت له سمعاً وبصراً ويداً ومؤيداً ».

والحاصل أن العلماء بالله عز وجل هم الواقفون مع الله في العلوم والأعمال والمقامات والأحوال والأقوال والأفعال وسائر الحركات والسكنات والإرادات والخطرات ومعادن الأسرار ومطالع الأنوار والعارفون المحبون المقربون رضي الله تعالى عنهم ونفع بهم.

إذا تقرر ذلك علم منه الجواب عن جميع ما في السؤال وهو الفرق بين خطاب النبي ﷺ وخطاب الولي فالأول بواسطة الملك أو لا بواسطة أو بالرؤيا الصادقة أو بالنفث في الروع، وكل ذلك يسمى وحيا وكلاما ينسب إلى الله حقيقة ومن أنكر ما علم من الدين بالضرورة كفر. والثاني شيء يلقي في القلب يثلج له الصدر وهو المسمى حديثاً وإلهاما لقوله ﷺ في الحديث «إن في أمتي محدثون - بفتح الدال- ملهمون ومنهم عمر » . أ.هـ. وانظر ما ذكره الحافظ ابن حجر في (فتح الباري) كتاب التعبير- باب من رأى النبي ﷺ في المنام عند شرحه لحديث رقم (٦٩٩٣).

(1) الآية ٢٧، من سورة النبأ.

[قال][١] أبو الفرج بن الجوزي روى عن علي رضي الله عنه في تفسيرها: أن الروح ملك عظيم له سبعون ألف وجه، في كل وجه سبعون ألف لسان، لكل لسان[٢] سبعون ألف لغة (١٠٧/١) تسبح[٣] الله تعالى بتلك اللغات كلها[٤]، يخلق الله عز وجل من كل تسبيحة ملكاً يطير مع الملائكة إلى يوم القيامة.

وقال ابن مسعود ﷺ: الروح ملك عظيم أعظم من السموات والأرضين والجبال والملائكة، يسبح كل يوم ألف تسبيحة[٥] يخلق الله سبحانه وتعالى في[٦] كل تسبيحة ملكا يجيء يوم القيامة صفا، والملائكة بأسرهم يجيئون صفا.

قال ابن عباس: وهو الذي ينزل ليلة القدر. زعيم الملائكة، وبيده لواء طوله ألف عام، فيغرزه في ظهر الكعبة، ولو أذن الله عز وجل له أن يلتقم السموات والأرض لفعل.

وقيل: الروح هنا جبريل عليه الصلاة والسلام.

وقيل: هو ملك ما خلق الله بعد العرش خلقاً أعظم منه. وقيل غير ذلك.

روي أنه عليه الصلاة والسلام قال: «رأيت على كل ورقة من السدرة ملكاً قائماً يسبح الله عز وجل »[1].

---

(١) في أ: فإن أبو. وهو خطأ من الناسخ.

(٢) في أ: إنسان.

(٣) في ط: يسبح.

(٤) في ج: يسبح الله تعالى بكل تلك اللغات.

(٥) في ط: ألف ألف تسبيحة.

(٦) في ط: من.

---

(1) روت ذلك كتب التفسير بالمأثور عند تفسير الآية الكريمة ﴿ إذ يغشى السدرة ما يغشى﴾ الآية ١٦ من سورة النجم .

أ- قال الإمام الطبري في تفسير الآية الكريمة: «حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال: قال ابن زيد في قوله (إذ يغشى السدرة ما يغشى) قال: قيل له يا رسول الله أي شيء رأيت يغشى تلك السدرة؟ قال:(رأيتها يغشاها فراش من ذهب ورأيت على كل ورقة من ورقها ملكا قائماً يسبح الله).

وقال: « حدثنا ابن حميد قال ثنامهران عن أبي جعفر عن الربيع (إذ يغشى السدرة ما يغشى) قال: غشيها نور الرب وغشيتها الملائكة من حب الله مثل الغربان حين يقعن على الشجر». =

ومراده سدرة المنتهى سميت بذلك لأنها لا يتجاوزها أحد من الملائكة وغيرهم، ولا يعلم ما وراءها إلا الله عز وجل، وهي شجرة نبق على يمين العرش عندها جنة المأوى يأوي إليها الملائكة عليهم السلام، وقيل أرواح الشهداء. وقيل: أرواح المتقين.

وقال الله تعالى: ﴿تبارك اسم ربك ذي الجلال والإكرام﴾[1] معنى تبارك جل وعظم ومعنى ذي الجلال المستحق للرفعة (١٠٧/ب) وصفات التعالي ونعوت الكمال جل أن يعرف جلاله غيره تنزه وعظم شأنه عما يقول فيه المبطلون[١]، لأن كل شيء يثني عليه بقدرته، وكل ذاكر يذكره على قدر طاقته وطبعه وعلمه وفهمه، والحق جل جلاله ذِكْرُه خارج عن أوهام الآدميين، لأن الحادث ناقص بقهر الإيجاد والفناء[٢] والمعارف[2] دون الغايات

(١) في ب: عما يقول المبطلون.

(٢) في ب - ج: والثناء.

ثم ذكر حديثا ثالثا فقال « حدثنا علي بن سهل قال ثنا حجاج قال: ثنا أبو جعفر الرازي عن الربيع بن أنس عن أبي العالية الرياحي عن أبي هريرة أو غيره- شك أبو جعفر- قال: لما أسرى بالنبي ﷺ انتهى إلى السدرة قال: فغشيها نور الخلّاق وغشيتها الملائكة أمثال الغربان حين يقعن على الشجر قال: فكلمه عند ذلك فقال له: سل » أ.هـ.

ب- وقال الإمام القرطبي في تفسير الآية « وعن النبي ﷺ : « رأيت السدرة يغشاها فراش من ذهب رأيت على كل ورقة ملكا قائماً يسبح الله تعالى. وذلك قوله: إذ يغشى السدرة ما يغشى » ذكره المهدوي والثعلبي » أ.هـ.

ج- ونحو ذلك أيضاً في تفسير الألوسي ودلائل النبوة للبيهقي وفتح الباري لابن حجر عند الكلام على حديث المعراج: كتاب المبعث النبوي حديث رقم ٣٨٨٧ قلت: وإن كان في طرق ما وقفنا عليه من هذه الروايات مقال إلا أنه بمجموعها يتقوى الحديث إن شاء الله.

(1) الآية ٧٨، من سورة الرحمن.

(2) المعارف جمع معرفة يقول الإمام القشيري في رسالته في (باب المعرفة بالله): المعرفة على لسان العلماء هي العلم، فكل علم معرفة وكل معرفة علم، وكل عالم بالله عارف عالم. وعند هؤلاء القوم: المعرفة صفة من عرف الحق سبحانه بأسمائه وصفاته ثم صدق الله تعالى في معاملاته=

الجلالية فسبحانه ما أثنى عليه حق ثنائه غيره، ولا وصفه بما يليق به سواه، عجز الأنبياء والرسل بأجمعهم عن ذلك حتى قال[1] أجلهم قدرا وأرفعهم محلا وأبلغهم نطقاً مع ما أعطى من جوامع الكلم قال: (لا أحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك)[(1)].

---

(١) في ط: عن ذلك، قال.

= ثم تنقى عن أخلاقه الرديئة وآفاته ثم طال بالباب وقوفه ودام بالقلب اعتكافه فحظى من الله تعالى بجميل إقباله وصدق الله في جميع أحواله وانقطع عنه هواجس نفسه ولم يصغ بقلبه إلى خاطر يدعوه إلى غيره، فإذا صار من الخلق أجنبياً ومن آفات نفسه بريأً ومن المساكنات والملاحظات نقياً ودام في السر مع الله تعالى مناجاته وحق في كل لحظة إليه رجوعه وصار محدّثا- يقصد ملهما- من قبل الحق سبحانه بتعريف أسراره فيما يجريه من تصاريف أقداره يسمى عند ذلك (عارفاً) وتسمى حالته (معرفة) أ.هـ.

يقول شيخ الإسلام زكريا الأنصاري في شرحه على الرسالة: « فلا يطلقون العارف إلا على من توالى عليه العلم بالله وصفاته والنظر في مصنوعاته وغلب عليه ذلك بحيث صار حالاً له حتى قالوا: من عرف الله كلَّ لسانه، أي شغله معرفته به عن ذكر غيره » أ.هـ.

(1) قلت: لذا أمر الشرع ببذل كل جهد وإفراغ الطاقة في تعظيم الله وتنزيهه وشغل القلب واللسان بذلك حتى يمتلأ القلب بالتعظيم والهيبة لله سبحانه وصولا إلى إدراك القلب إدراكا يقينيا جازما عجزه التام بل عجز المخلوقات كلها عن تعظيم ربها سبحانه حق عظمته.

قال تعالى: ﴿ ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها ﴾ آية (١٨٠) من سورة الأعراف، وقال ﴿يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكراً كثيرا، وسبحوه بكرة وأصيلا ﴾ الآيتان ٤١، ٤٢ من سورة الأحزاب، وقد سبق الكلام على الأمر بالمداومة على التسبيح.

وورد في السنة قوله ﷺ « ألظوا بياذا الجلال والإكرام » أي الزموه واثبتوا عليه وأكثروا من قوله، يقال: ألظّ بالشيء إذا لزمه وثابر عليه. وهذا الحديث صحيح مرويّ من طرق عند النسائي في الكبرى والترمذي في السنن والحاكم وصححه وتابعه الذهبي وكذا رواه الطبراني، وله شواهد كثيرة منها ما رواه البيهقي في (الأسماء والصفات): « عن معاذ بن جبل ﷺ قال: (أتى النبي ﷺ على رجل يقول: ياذا الجلال والإكرام، قال: قد استجيب لك فسل) » أ.هـ ص ٩٢. =

وأما الإكرام فمعناه ذو الإنعام والمنن على العام والخاص والطائع والعاصي.

ووصف سبحانه وتعالى نفسه بالكريم في قوله تعالى: ﴿ما غرك بربك الكريم﴾(1) قال عمر رضي الله عنه: لو قيل لي: ما غرك بي؟ لقلت: جهلي بك غرني.

= وروى أيضاً: « عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ سمع رجلا يقول: اللهم إني أسألك بأن لك الحمد لا إله إلا أنت المنان بديع السماوات والأرض ذو الجلال والإكرام، أسألك الجنة وأعوذ بك من النار. فقال النبي ﷺ: لقد كاد يدعو الله باسمه الذي إذا دعي به أجاب وإذا سئل به أعطى » .

بل روى الطبراني في الأوسط، وعنه الحافظ نور الدين الهيتمي في (مجمع البحرين في زوائد المعجمين) ج٨ ص ٢٠، ٢١ قال: « ١٤- باب حسن الثناء على الله عز وجل [٤٦٤٠]- حدثنا يعقوب بن إسحاق بن الزبير ثنا عبد الله بن محمد أبو عبد الرحمن الأذرمي ثنا هشيم عن حميد عن أنس: أن رسول الله ﷺ مر بأعرابي وهو يدعو في صلاته وهو يقول:

(يا من لا تراه العيون ولا تخالطه الظنون ولا يصفه الواصفون ولا تغيره الحوادث ولا يخشى الدوائر، يعلم منا قبل الجبال ومكاييل البحار وعدد قطر الأمطار وعدد ورق الأشجار وعدد ما أظلم عليه الليل وأشرق عليه النهار، وما توارى منه سماء سماءًا ولا أرض أرضاً، ولا بحر ما في قعره ولا جبل ما في وعره، اجعل خير عمري آخره وخير عملي خواتمه وخير أيامي يوم ألقاك فيه)

فوكل رسول الله ﷺ بالاعرابي رجلا فقال: (إذا صلى فأتني به) ، فلما صلى أتاه الأعرابي وقد كان أهدى لرسول الله ﷺ ذهب من بعض المعادن، فلما أتاه الأعرابي وهب له الذهب وقال: (ممن أنت يا أعرابي؟) قال: (من بني عامر بن صعصعة يا رسول الله) قال: (هل تدري لم وهبت لك الذهب؟) قال: (للرحم بيننا وبينك يا رسول الله) فقال: (إن للرحم حقا ولكن وهبت لك الذهب لحسن ثنائك على الله عز وجل).

لم يروه عن حميد إلا هشيم تفرد به عبد الله » أ.هـ.

قال الحافظ الهيتمي في مجمع الزوائد بعد أن روى الحديث: « رواه الطبراني في الأوسط ورجاله رجال الصحيح غير عبد الله بن محمد أبو عبد الرحمن الأذرمي وهو ثقة » ج١٠ص ١٥٨.

قلت: هذا إسناد حسن على أقل تقدير، وما نسب إلى هشيم وحميد الطويل من التدليس غير ضار، فقد احتمله الأئمة وخرجوا لهما في الصحيح وإن لم يصرحا بالسماع. ورواية هشيم عن حميد الطويل موجودة في الصحيحين وسنن النسائي والترمذي وأبي داود.

انظر (جامع التحصيل) للحافظ العلائي ص ١١٣ ط عالم الكتب، ورأى الحافظ ابن حجر في (هدى الساري) و(تهذيب التهذيب).

(1) الآية ٦ من سورة الإنفطار.

والكريم قيل هو[١] الذي إذا قدر عفا. وإذا وعد وفى. وقيل: هو الذي إذا أعطى زاد على منتهى الرجاء ولا يبالي لمن أعطى وكم أعطى، ولا يضيع من لاذ به والتجا.

وقيل: هو الذي يغني عن الوسائل[٢] والشفعاء. وإذا رفعت الحاجة إلى غيره لا يرضى (١٠٨/أ).

وقيل: هو الذي إذا أبصر خللا جبره وما أظهره وإذا أولى متصلا[٣] أجزله ثم ستره. وقيل غير ذلك.

فمن تأمل القرآن الكريم وجده مشحوناً بالتقديس والإجلال والتعظيم وناطقاً بتضليل[٤] أهل الإلحاد والتجسيم والحيدة عن الصراط المستقيم.

وطريقة السلامة في ذلك أن من أشكل عليه شيء من المتشابه في الكتاب أو السنة[٥] فليقل كما أخبر سبحانه وتعالى في كتابه المبين عن الراسخين في العلم ومدحهم عليه في قوله تعالى: ﴿والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا﴾[1] ويقول كما قال عليه الصلاة السلام في «وما جهلتم منه فكِلوه إلى عالمه»[2] خرجه غير واحد منهم الإمام أحمد والنسائي وغيرهما ويقول كما قاله

(١) في ط: والكريم هو.

(٢) في ط: يغني السائل عن الوسائل.

(٣) في ب ج: فضلاً.

(٤) في ط: بإضلال.

(٥) في ط: والسنة.

---

(1) الآية رقم ٧، من سورة آل عمران.

(2) من رواية عبد الله بن عمرو بن العاص، قال الإمام أحمد في مسنده: «أخبرنا عبد الرزاق أخبرنا معمر عن الزهري عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جدّه قال: سمع النبي ﷺ قوماً يتدارؤون فقال: (إنما هلك من كان قبلكم بهذا، ضربوا كتاب الله بعضه ببعض، وإنما نزل كتاب الله يصدّق بعضه بعضاً، فلا تكذبوا بعضه ببعض. فما علمتم منه فقولوا وما جهلتم فكلوه إلى عالمه).

وهذا إسناد حسن إن شاء الله.

أما رواية النسائي التي أشار إليها المؤلف ﷺ فهي مختصرة وليس فيها (وما جهلتم...) رواها النسائي في الكبرى والإمام مسلم في صحيحه ونصها: (إنما هلك من كان قبلكم باختلافهم في الكتاب).

انظر مسند الإمام أحمد ج٢ ص١٨٥ ، صحيح مسلم – كتاب العلم – باب النهي عن اتباع متشابه القرآن، السنن الكبرى للنسائي – كتاب فضائل القرآن– باب ذكر الاختلاف.

الشافعي: آمنت بالله وما جاء عن الله على مراد الله وآمنت برسول الله وما جاء عن رسول الله على مراد رسول الله ﷺ.

والراسخ في العلم هو من طولع على محل المراد منه. وسئل مالك عن الراسخين في العلم فقال[1]: العالم العامل بما علم المتبع له.

وقال عمر بن عبد العزيز انتهى علم الراسخين بتأويل القرآن العظيم إلى أن قالوا آمنا به كل من عند ربنا.

وقال بعضهم: للقرآن تأويل استأثر الله تعالى بعلمه لا يطلع عليه أحد من خلقه، كما (١٠٨/ب) استأثر بعلم الساعة ووقت طلوع الشمس من مغربها، ونحو ذلك والخلق[2] متعبدون بالإيمان به ومتعبدون بالمحكم بالإيمان به[3] وبالعمل به. وقيل غير ذلك.

ثم اعلم أنه حق على اللبيب المعتصم بكتاب الله تعالى وسنة رسول الله ﷺ والتمسك بالعروة الوثقى **أن يثبت لله عز وجل ما قضى العقل بجوازه ونص الشرع على ثبوته.**

فإن المشبهة أثبتوا لله ما[4] لم يأذن فيه بل نهى عنه وهي زيغة سامرية ويهودية. والمعطلة سلبوه ما اتصف به وسفهوه.

ولقد أحسن أبو الحسن الأشعري في جوابه عن التوحيد[5]: إثبات ذات غير مشبهة بالذوات، ولا معطلة عن الصفات.

---

(١) في أ: سقطت كلمة (فقال).

(٢) في ب - ج: فالخلق.

(٣) في ب: وبالإيمان.

(٤) في ج: أثبتو ما لم يأذن.

(٥) في ط: عن التوحيد حيث قال:

الله أكــبر أن يكــون لذاتــه كيفيـة كـذوات مخلوقاتـه
أو أن تقـاس صفاتنـا في كـل مـا نأتيـه مـن أفعالنـا بصفـاته
[أبداً][١] عقول ذوى العقول بأسرها متحـيرات في دوام حيـاتـه
لبـديـع صنعتـه عليه شـواهـد تبدو على صفحات مصنوعاته

فكل ما ترى عينك الباصرة فهو دلائل ظاهرة على أنَّ[٢] العالم مخلوق بتقدير شامل وتدبير كامل وحكمة بالغة وقدرة غير متناهية.

ولو جمع[٣] عقول العقلاء عقلا واحداً ثم[٤] تفكروا بذلك العقل في جناح بعوضة حتى يجدوا تركيبا أحسن منه وأكمل فَنِيَت[٥] تلك العقول (١٠٩/أ) وانقطعت تلك الأفكار ولم تصل إلى درك ذرة من ذرات حكمته في تلك[٦] البعوضة على سبيل التمام والكمال فما الظن بذي الجلال!

تباً ثم تباً ثم تباً[٧] لأهل الجهل والضلال وما اعتقدوه من النقص مع تنزيه البحار وشوامخ الجبال.

فسبحان من تسبحه[٨] البحار الطوافح والجبال الشم والسحب السوابح[٩] والأمطار الطوامح والأفكار والقرائح، تقدس عن مثل وشبيه.

(١) في أ – ج: تباً.
(٢) في ط: سقطت كلمه أن. وعلق على ذلك المصحح.
(٣) في ط: ولو جمعت.
(٤) في ب: العقلاء واحداً ثم.
(٥) في ط: لفنيت.
(٦) في ج: في ذلك البعوضة.
(٧) في ج–ط: تبا ثم تباً لأهل.
(٨) في ب: يسبحه.
(٩) في ب ـ ج–ط: السوائح.

وتنزه عن نقص يعتريه يعلـم خائنـة الصـدر(١) ومـا فيـه مـن سـر أو أضمرتـه الجوانح، تعالى عن الضد(٢) المماثل والضد المكادح يفعل ما يشاء، ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن هلك المعترض والجاهل(٣) المكافح.

متكلم(٤) بكلام مسموع بالآذان بغير آلات ولا أدوات ولا جوارح: أين لهوات الحصى وحلقـوم الجـذع وجارحتـهما؟[1] فمـا أجـهلك بقولـه تعـالى: ﴿فلما جائتهم آياتنا مبصرة﴾[2] نسب الإبصار إلى الآيات فأين الحدقـة(٥) يـا قامح؟!

ومن آياته إنزال القطر بقدرته وصبغ ألوان النبات والثمـار بحكمتـه. مـع مخالفة الطعوم بمشيئته وإرسال الرياح لواقح(٦) موصوف بالسمع والبصر يُرى

(١) في ج–ط: يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور.وفي ط: وما تخفـي الصـدور مـن سـر أضمرته الجوانح.

(٢) في ج: تعالى عن النمو.

(٣) في ط: هلك الجاهل.

(٤) في ب: فتكلم.

(٥) في ط: الحذق.

(٦) في ج: اللواقح.

---

(1) يشير ﷺ إلى تسبيح الحصى بين يدي رسول الله ﷺ وإلى أنين الجذع الذي كان رسول الله ﷺ يقف عليه أثناء الخطبة وتركه ﷺ بعد أن صنعوا له منبراً بدلاً منه.

(2) الآية ١٣، من سورة النمل.

ويقول الإمام الألوسي في تفسيره: «مبصرة» حـال مـن الآيات أي بينـة واضحـة. وجعـل الإبصار لها وهو حقيقة لمتأمليها للملابسة بينها وبينهم لأنـهم إنما يبصـرون بسـبب تأملـهم فيـها، فالإسناد مجازي من باب الإسناد إلى السبب. ويجوز أن يراد مبصرة كل من نظر إليها من العقـلاء أو من فرعون وقومه لقوله تعالى: ﴿ واستيقنتها أنفسهم ﴾ أي جاعلته بصيراً من (أبصره) المتعـدى بهمزة النقل من بصر، والإسناد أيضاً مجازي. أ.هـ المقصود منه.

في الجنة[١] كما يرى القمر من شبهه أو كيفه طغى وكفر.

هذا مذهب أهل الحق والسنة والأثر ودليلهم[٢] جلي واضح من شبهه أو مثل أو جسم فهو مع السامرة واليهود ومن (١٠٩/ب) حزبهم يوم تظهر المخبآت وتبلى السرائر وتبين الفضائح وإن قيل عنه في الدنيا أنه ولي وصالح[٣]. هلك الهالكون بآرائهم لأنه عمل غير صالح وفاز المنزهون فيالها صفقة رابح[1].

---

(١) في ط: الدجنة.

(٢) في ط: والسنة وإن دليلهم.

(٣) في ط: ولي صالح.

---

(1) يقول الإمام أبو منصور عبد القاهر بن طاهر التميمي البغدادي (ت ٤٢٩) في كتابه (أصول الدين) تحت عنوان « المسألة الحادية عشرة من هذا الأصل في حكم المجسمة والمشبهة»: «كل من شبه ربه بصورة الإنسان من البيانية والمغيرية والجواربية المنسوبة إلى داود الجواربي والهشامية المنسوبة إلى هشام بن سالم الجواليقي، فإنما يعبد إنساناً مثله ويكون حكمه في الذبيحة والنكاح كحكم عبدة الأوثان فيها... » إلى أن قال « وأما جسمية خراسان من الكرامية فتكفيرهم واجب لقولهم بأن الله له حدٌّ ونهاية من جهة السفل ومنها يمسُّ عرشه... » وذكر بعض أقوالهم المكفرة لهم ثم قال:« وسائر فرق الأمة يكفرونهم ... وجميع مخالفيهم على أنهم من أهل النار فصاروا عن هذه الجهة شر فرق الأمة » أ.هـ ط دار الكتب العلمية ص ٣٣٧- ٣٣٨ ونقل الإمام المفسر أبو عبد الله القرطبي في تفسيره عند تفسير الآية السابعة من سورة آل عمران «.. فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله » عن شيخه الحافظ أبي العباس أحمد بن عمر القرطبي (ت٦٥٦هـ) مُقراً له قال: «قال شيخنا أبو العباس رحمة الله عليه: متبعوا المتشابه لا يخلو أن يتبعوه ويجمعوه:

١- طلبا للتشكيك في القرآن وإضلال العوام كما فعلته الزنادقة والقرامطة الطاعنون في القرآن.

٢- أو طلبا لاعتقاد ظواهر المتشابه كما فعلته المجسمة الذين جمعوا ما في الكتاب والسنة مما=

= ظاهرة الجسمية حتى اعتقدوا أن البارئ تعالى جسم مجسم وصورة مصورة ذات وجه وعين ويد وجنب ورجل وإصبع تعالى الله عن ذلك !

٣- أو يتبعوه على جهه إبداء تأويلاتها وإيضاح معانيها.

٤- أو كما فعل صبيغ حين أكثر على عمر فيه السؤال.

فهذه أربعة أقسام » . ثم ذكر حكم الشرع في كل قسم من هذه الأقسام فقال « الأول: لا شك في كفرهم وأن حكم الله فيهم القتل من غير استتابة.

الثاني: القول بتكفيرهم، إذ لا فرق بينهم وبين عباد الأصنام والصور، ويستتابون فإن تابوا وإلا قتلوا كما يفعل بمن ارتد.

الثالث: اختلفوا في جواز ذلك بناء على الخلاف في جواز تأويلها. وقد عُرف أن مذهب السلف ترك التعرض لتأويلها مع قطعهم باستحالة ظواهرها فيقولون أمروها كما جاءت وذهب بعضهم إلى إبداء تأويلاتها وحملها على ما يصح حمله في اللسان عليها من غير قطع بتعيين مجمل منها.

الرابع: الحكم فيه الأدب البليغ، كما فعله عمر بصبيغ. وقال أبو بكر الأنباري: وقد كان الأئمة من السلف يعاقبون من يسأل عن تفسير الحروف المشكلات في القرآن، لأن السائل إن كان يبغي بسؤاله تخليد البدعة وإثارة الفتنة فهو حقيق بالنكير وأعظم التعزير، وإن لم يكن ذلك مقصده فقد استحق العتب بما اجترم من الذنب، إذ أوجد للمنافقين الملحدين في ذلك الوقت سبيلا إلى أن يقصدوا ضعفة المسلمين بالتشكيك والتضليل في تحريف القرآن عن مناهج التنزيل وحقائق التأويل.....» أ.هـ المقصود منه انظر تفسير القرطبي سورة آل عمران آية (٧) ويقول القاضي عياض في كتابه (الشفا) تحت عنوان: (فصل في بيان ما هو من المقالات كفر وما يتوقف أو يختلف فيه وما ليس بكفر). «والفصل البين في هذا أن كل مقالة صرحت بنفي الربوبية أو الوحدانية أو عبادة غير الله أو مع الله فهو كفر... وكذلك من اعترف بإلهية الله ووحدانيته ولكنه اعتقد أنه غير حي أو غير قديم وأنه مُحدث أو مصور... فذلك كل كفر بإجماع المسلمين » أهـ. ج٢ ص ١٠٦٥- ١٠٦٧ و(مصوَّر) أي جسم ذو صورة.

ويتضح من ذلك أن أهل الحق متفقون على تكفير المجسمة وغلاة المشبهة المصرحون بذلك والمقرُّون به، أما من يقعون في التشبيه نتيجة التباس وسوء فهم ولا يقرّون بأن ما ذكروه تشبيه أو تجسيم فقد تعددت فيهم آراء العلماء من السلف والخلف.

هو الواحد المتوحد في ذاته وصفاته[1] الأزلي الجبار العظيم العزيز القـهار تبارك وتعالى وتنزه عـن درك الخواطـر والأفكـار، وَسَمَ كـل مخلـوق بميسـم الافتقار، وأظـهر آثـار قدرتـه في مخلوقاتـه ومـن أظـهرها السـموات والأرض والـبراري والبحـار، والأعـين والأنـهار، وجريانـها علـى المـدرار وتصريـف

(١) في ط: المتوحد في صفاته.

= يقول القاضي عياض في (الشفاء): « فصل: وأما من أضاف إلى الله تعالى ما لا يليق به ليس على طريق السب ولا الردة وقصد الكفر ولكن على طريق التأويل والإجتهاد والخطـأ المفضي إلى الهوى والبدعة من تشبيه أو نعت بجارحة أو نفي صفة كمال، **فهذا اختلف السلف والخلف في تكفير قائله ومعتقده** واختلف قول مالك وأصحابه في ذلك، **ولم يختلفوا في قتالهم إذا تحيزوا فئة وأنهم يستتابون فإن تابوا وإلا قتلوا»** أ.هـ. ص١٠٥١ ثم ذكر أقوال المالكية وغيرهم في الخوارج والقدرية ونفاة صفة الكلام لله عز وجل والمشبهة ونقل عن الإمام مالك قوله « أهل الأهواء كلهم كفار » ثم قال القاضي عياض: «وأكثر أقوال السلف تكفيرهم » وذكر مـن قـال ذلـك ثـم قـال: «وكذلك قالوا في الواقفة والشاكة في هذه الأصول » .

ثم قال ص ١٠٥٦ « قد ذكرنا مذاهب السلف في إكفار أهل البدع والأهواء المتـأولين ممن قال قولا يؤديه مساقه إلى كفر وهو إذا وقف عليه لا يقول بما يؤديه قولـه إليـه. وعلـى اختلافـهم اختلف الفقهاء والمتكلمون في ذلك، فمنهم من صوب التكفير الذي قال به الجمهور من السـلف ومنهم من أباه ... » ثم ذكر أقوال الفقهاء في ذلك. يقول الشيخ محمد الخضر الشنقيطي في كتابه (استحالة المعية بالذات) معقبا على ذلك: « والحق أن الخلاف في كفـر القـائل – يشير إلى القـائل بالجهة – جار على الخلاف في لازم القول هل هو كالقول أم لا .. وقيد بعض العلماء هذا الخلاف بما إذا كان اللزوم غير البين، قال: وأما إن كان اللزوم بينا فهو كالقول بلا خلاف. والذي يظـهر أن الجهة لازم عليها التجسيم لزوما بينا » أ.هـ. ص ٣٧٦ وقيد الإمام ابن حجر الهيتمي ذلك بمـا إذا كان القائل بالجهة «يعتقد الحلول والاستقرار أو الظرفية أو التحيز » انظر الفتـاوى الحديثيـة لـه ص ٩٦ فما بعدها وانظر تحقيق هذا في رسالة شيخنا الأستاذ الدكتور إبراهيم عبد الرحمن (المحكم والمتشابه في القرآن الكريم) ج ٢ ص ٦٣٦ تحت عنوان (خاتمة في حكم معتقد الجهة) وانظر رأى الحافظ السيد عبد الله الغماري في (القول الجزل فيما لا يعذر فيه بالجهل) ص ٥، ٢٤، ٢٥.

السحاب المسخر بين السماء والأرض واختلاف الليل والنهار إن في ذلك لعبرة لأولي الأبصار، يعلم حركات الأسرار ودبيب النملة السوداء في الظلمة[١] الظلماء على سواد القار[٢]، نَوَّع هذا العالم الإنساني فمنهم شقى ومنهم سعيد وربك يخلق ما يشاء ويختار.

صفاته[٣] كذاته والمشبهة والمجسمة أهل زيغ وكفَّار نزه نفسه بنفسه وقدسها فمن شبه أو عطل فمأواه النار. ومن أناب ورجع قَبِلَه وإن ارتكب العظائم الكبار. لأنه سبحانه وتعالى عزيز غفار ستار.

ومن بديع صنعه[٤] أن خلق اليوم وأمسه[٥] وقمر السماء وشمسه وآدم عليه السلام وما مسه.

عَلِمَ ذلك المنزه فَنَزَّه قدْسَه.

وجهله الأعمى[٦] (١١٠/أ) البصيرة المشبه فتصور فيه جنسه. لأنه بجهله أقاس[٧] الخالق جل وعلا على ما ألفه وأحسه، فتراكم عليه غبار التشبيه فضاعت المحسه.

وأما المعطل فجحد صفاته فما أغباه وما أخسه.

وإذا كان الأمر كذلك فادفع المعطل بيديك النقية[٨]. وألحق بالمشبه دفعه ورفسه.

---

(١) في ج: الليلة.

(٢) في الظلمة على سواد الصخور والأحجار.

(٣) في ط: وصفاته.

(٤) في ط: صنعته.

(٥) في ط: وليلته.

(٦) في ط: أعمى.

(٧) في ب-ط: قاس.

(٨) في ب: الثقيلة.

[فصل في الرد على ابن تيمية في قوله بفناء النار]

واعلم أنه مما انتقد عليه زعمه أن النار تفنى، وأن الله تعالى يفنيـها، وأنـه جعل لها أمداً تنتهي إليه وتفنى، ويزول عذابها[1].

وهو مطالب أين قال الله عز وجل ذلك؟ وأين قاله رسوله[١] ﷺ وصح

(١) في ج: وأين قاله رسول الله وفي ط: أين قال الله عز وجل وأين قال رسول الله.

---

(1) توجد رسالة لابن تيمية في الرد على من قال بفناء الجنة والنار (لأنـه يزعـم فنـاء النـار فقط وبقاء الجنة) وقد حقق الشيخ الألباني جزءاً من هذه الرسالة وأورده في مقدمة تحقيقه لكتاب «رفع الأستار لإبطال أدلة القائلين بفناء النار» للصنعاني وقد نقلـها عنـه الدكتـور/ طـه الدسـوقي حبيشي في مقدمة تحقيقه تحقيقه لكتابالاعتبار ببقاء الجنة والنار» للإمام تقي الدين السبكي وأطـال ابن قيم الجوزية الاستدلال لرأي شيخه وانتصر له في كتابه «حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح».

يقول ابن تيمية في الرسالة المذكورة: « وقد نقل هذا القول – يقصد فناء النار – عن عمـر وابن مسعود وأبي هريرة وأبي سعيد الخدري وغيرهم رضي الله عنهم. وروى عبد بن حميـد وهـو من أجل علماء الحديث في تفسيره المشهور قال: أخبرنا سليمان بن حرب أخبرنا حمـاد بـن سـلمة عن ثابت عن الحسن البصري قال: قال عمر: (لو لبث أهل النار في النار كقدر رمل عالج– موضع به رمل كثير جداً مسيرة أربع ليال – لكان لهم على ذلك يوم يخرجون فيه) » وذكر طريقاً أخـرى عن الحسن عن عمر بن الخطاب قال:« ذكر ذلك في تفسير قوله تعالى: ﴿لابثين فيها﴾ » والسـند المذكور به انقطاع فالحسن البصري لم يسمع مـن عمـر بـن الخطـاب وهـو بـهذا لا يؤخـذ بـه في الأحكام الفقهية فضلا عن العقائد وأصول الديـن والـتي لا تؤخـذ إلا مـن الأدلـة اليقينيـة القطعيـة الدلالة. وعلى فرض ثبوت هذا القول عن عمر ﷺ فمراده – هو أو غيره من الصحابة والتابعين – بأهل النار الذين يخرجون : عصاة المؤمنين وإن عظمت معاصيهم وطالت مدة عذابهم ولا يريدون بأهل النار الذين هم أهلـها وهـم الكفـار. وقـد ذكـر الإمـام سـلامة العزامـي في كتابـه (الـبراهين الساطعة) العديد من الأحاديث والنصوص عن الصحابة الذين ذكرهـم ابـن تيميـة وغـيرهم تثبـت عكس ما ادعاه تماما ومنها حديث ذبح الموت الوارد في الصحيحين ثـم قـال: « وخـرّج ابـن أبـي حاتم باسناده عن ابن مسعود من قوله نحو هذا المعنى – حديث ذبح الموت – غير مرفوع وزاد (أنه ينادى أهل الجنة وأهل النار هو الخلود أبد الآبدين ...) إلى آخر الحديث أ. هـ. ص ٢٩١.

عنه؟ وقد سفه الله تعالى فيما ذكره في كتابه العزيز كما سفهه في تنزيهه لنفسه وأتى بأمور إقناعية[1] صادم بها النصوص الصريحة في دوام العذاب عليهم فمن ذلك قوله تعالى: ﴿إن الذين كفروا بآياتنا سوف نصليهم ناراً كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلوداً غيرها ليذوقوا العذاب﴾ [2]، تبدل في كل ساعة مائة مرة وقال الحسن: تأكلهم النار كل يوم سبعين ألف مرة ﴿إن الله كان عزيزاً﴾ أي شديد النقمة على من عصاه. وقيل: العزيز الشديد القادر القوي وقيل: الغالب الذي لا يغلب والقاهر الذي لا يقهر. وقيل: الذي لا نظير له. وقيل: معناه المعز فيكون فعيل بمعنى مفعل كالأليم بمعنى المؤلم ونحوه (١١٠/ب).

وقال أهل المعاني وأرباب القلوب: العزيز من ظلت[١] العقول في بحار تعظيمه وحارت الألباب دون إدراك نعته وكَلّت الألسن عن استيفاء مدح جلاله ووصف كماله والقيام بشكر آلائه.

وقوله ﴿حكيماً﴾ أي حكم على الأعداء بدوام العذاب كما حكم على الأولياء[٢] بدوام النعيم، فلا يعلم كنه حقيقة حكمته غيره، فلا شيء[٣] من الأشياء إلا وفيه شيء من حكمته على وفقه لمناسبته ﴿صنع الله الذي أتقن كل شيء﴾.[3]

---

(١) في ج: ضلت.
(٢) في ط: حكم للأولياء.
(٣) في ب - ج: ولا شيء.

---

(1) في ظاهرها ليخدع بها العوام، وستأتي الإشارة إليها في التعليق،
(2) الآية ٥٦، من سورة النساء.
(3) الآية ٨٨، من سورة النمل.

وقال تعالى: ﴿فالذين كفروا قطعت لهم ثياب من نار يصب من فوق رءوسهم الحميم. يصهر به ما في بطونهم والجلود. ولهم مقامع من حديد كلما أرادوا أن يخرجوا منها من غم أعيدوا فيها وذوقوا عذاب الحريق﴾[1].وقال تعالى: ﴿وما هم منها بمخرجين﴾[(١)][(2)].

وقال: ﴿فلن نزيدكم إلا عَذَابا﴾.[(3)]

وقال تعالى: ﴿كلما خبت زدناهم سعيراً﴾.[(4)]

وقال تعالى: ﴿يريدون أن يخرجوا من النار وما هم بخارجين منها ولهم عذاب مقيم﴾[(٢)].[(5)]

. وقال تعالى: ﴿إن عذابها كان غراماً﴾ [(6)] أي مقيماً ملازماً فكل عذاب مفارق[(٣)] صاحبه فليس بغرام، والآيات في ذلك كثيرة جداً[(7)].

---

(١) في ط: هذه الآية غير موجودة.

(٢) سقطت هذه الآية من النسخة.

(٣) في ب-ط: يفارق. في ج: يلازم ولعله أراد لا يلازم.

---

(1) الآيات ١٩ - ٢٢، من سورة الحج.

(2) الآية ٤٨، من سورة الحج ونص الآية: « لا يمسهم فيها نصب وما هم منها بمخرجين» فهي تتحدث عن أهل الجنة، واستدلال المصنف رحمه الله بهذه الآية سهو.

(3) الآية ٣٠، من سورة النبأ.

(4) الآية ٩٧، من سورة الإسراء.

(5) الآية ٣٧، من سورة المائدة.

(6) الآية ٦٥، من سورة الفرقان.

(7) أحصى العلماء نحواً من سبع وتسين آية تصرح بخلود الكفار في النار إما لفظاً ومعنىأو بالمعنى فقط منها أربع آيات تذكر التأبيد مما ينفي تماماً أي احتمال للتأويل فإن ابن تيمية وشيعته يحاولون تأويل الخلود المكث. فالأبد هو: الدائم كما فسرته كتب اللغة وهو الشيء الذي لا نهاية له » كما شرحه العلماء والآيات التي ذكر فيها التأبيد هي: =

= أ- ﴿ إن الذين كفروا وظلموا لم يكن الله ليغفر لهم وليهديهم طريقا إلا طريق جهنم خالدين فيها أبداً ﴾ النساء: ١٦٨، ١٦٩.

ب- ﴿ إن الله لعن الكافرين وأعد لهم سعيراً خالدين فيها أبداً لا يجدون وليا ولا نصيراً﴾ الأحزاب: ٦٤، ٦٥.

ج- ﴿إلا بلاغا من الله ورسالاته ومن يعص الله ورسوله فإن له نار جهنم خالدين فيها أبداً﴾ الجن: ٣٢.

د- ﴿إنهم إن يظهروا عليكم يرجموكم أو يعيدوكم في ملتهم ولن تفلحوا إذا أبداً ﴾ الكهف: ٢٠.

وهناك أربع وثلاثون آية أخرى غير ما سبق ذكر فيها لفظ الخلود فقط بدون التأبيد وتسع وعشرون آية تتضمن معنى الخلود والتأبيد للكفار في جهنم، والخلود والتأبيد بمعنى واحد على الحقيقة بيد أن الخلود قد يستعمل في التعبير عن المكث الطويل على سبيل المجاز أحياناً وقد ألف الإمام تقي الدين السبكي كتاباً جليل القدر في هذا الموضوع سماه « الاعتبار ببقاء الجنة والنار » وقد طبع مرتين آخرها بتحقيق الأستاذ الدكتور: طه الدسوقي حبيشي يقول الإمام السبكي في مقدمة الكتاب: «وبعد: فإن اعتقاد المسلمين أن الجنة والنار لا تفنيان وقد نقل أبو محمد بن حزم الإجماع على ذلك وأن من خالفه كافر بإجماع، ولا شك في ذلك فإنه معلوم من الدين بالضرورة وتواردت الأدلة عليه» أ.هـ ص ٣٢، ٣٣ ثم ذكر أغلب الآيات المصرحة ببقاء النار وخلود الكفار فيها والتي سبق الإشارة إليها ثم قال:« وغيرها من الآيات كثير في هذا المعنى جداً وذلك يمنع من احتمال التأويل ويوجب القطع بذلك، كما أن الآيات الدالة على البعث الجسماني لكثرتها يمتنع تأويلها، ومن أولها حكمنا بكفره بمقتضى العلم جملة وإن كنت لا أطلق لساني بتكفير أحد معين» أ.هـ ص ٤٦،٤٧، ثم انتقل بعد ذلك إلى الحديث عن بعض الأحاديث المصرحة بخلود أهل النار فيها ثم تحدث عن الآيات التي تفيد بقاء الجنة وخلود أهلها فيها ثم قال:« فهذه الآيات التي استحضرناها في بقاء الجنة والنار وبدأنا بالنار لأنا وقفنا على تصنيف لبعض أهل العصر في فنائها

وقد ذكرنا نحو مائة آية منها نحو من ستين في النار ونحو من أربعين في الجنة وقد ذكر الخلد أو ما اشتق منه في أربع وثلاثين في النار وثمان وثلاثين في الجنة وذكر التأبيد في أربع في النار مع الخلود وفي ثمان في الجنة منها سبع مع الخلود، وذكر التصريح بعدم الخروج أو معناه في أكثر من ثلاثين. وتضافر هذه الآيات ونظائرها يفيد القطع بإرادة حقيقتها ومعناها، وأن ذلك ليس مما= --

= استعمل فيه الظاهر في غير المراد به. ولذلك أجمع المسلمون على اعتقاد ذلك وتلقوه خلفا عن سلف عن نبيهم ﷺ وهو مركوز في فطرة المسلمين معلوم من الدين بالضرورة، بل وسائر الملل غير المسلمين يعتقدون ذلك ومن رد ذلك فهو كافر ومن تأوله فهو كمن تأول الآيات الواردة في البعث الجسماني وهو كافر أيضاً بمقتضى العلم وإن كنت لا أطلق لساني بذلك » أ.هـ ص٥٦،٥٧،٥٨.

وقد حاول ابن تيمية في رسالته وكذا ابن القيم في (حادي الأرواح) الشبهات وإثبات أن هناك فرقاً بين بقاء الجنة وبقاء النار من وجوه:

الأول: أن الله أخبر ببقاء نعيم الجنة ودوامه و لم يخبر بذلك عن عذاب النار. وقد تبين كذب هذا القول وتم حصر سبع وتذكر آية تذكر بقاء عذاب النار ودوامه نعوذ بالله منه.

الثاني: أنه أخبر بما يدل على أنه ليس بمؤبد في عدة آيات. والآيات السابقة تكذبه ولا استثناء في ذلك إلا لعصاة المؤمنين فقط.

الثالث: أن النار لم يذكر فيها شيء مما يدل على الدوام. وفي الآيات السابقة أربع آيات تذكر التأبيد والدوام لفظا ومعنى وعشرات الآيات تقطع بمعنى الدوام.

الرابع: أن النار قيدها بقوله (لابثين فيها أحقابا) وتجاهل أن السلف قالوا ليس أشد على أهل النار منها فالآيات التالية لها تقول ﴿ لا يذوقون فيها بردا ولا شرابا إلا حميما وغساقا﴾ فهم يتقلبون بين أنواع العذاب من الشديد إلى الأشد ثم ختم سبحانه هذه الآيات بقوله ﴿ فذوقوا فلن نزيدكم إلا عذاباً ﴾ قاطعا أي أمل لهم في توقف العذاب.

ثم احتج ابن تيمية بقوله سبحانه﴿ خالدين فيها إلا ما شاء الله ﴾ وقوله ﴿ خالدين فيها ما دامت السماوات والأرض إلا ما شاء ربك﴾ . قال شيخ شيوخنا سلامة العزامي في كتابه (البراهين الساطعة) عن هذا الاستثناء: « قلت: معنى هذا الاستثناء في الكلام العزيز المبالغة في أن خلودهم أبدى في دار العذاب لا مخلص لهم منه ألبتة إلا أن يشاء الله خلاصهم منه وهو مما لا يشاؤه كما قال ﴿ إن الله لا يغفر أن يشرك به ﴾ وكما قال ﴿ لم يكن الله ليغفر لهم ﴾ وكما قال ﴿ وما هم بخارجين منها ﴾ ولكنه أخرجه مخرج الاستثناء وعلى صورة الإطماع لهم تهكما بهم وتشديداً للأمر عليهم ببيان أن ذلك الخلاص الذي يطلبونه ليس مربوطا إلا بمشيئته وحده وهو لا يشاؤه. وفيه من الفوائد غير ما ذكر أن الأمور كلها مربوطة بمشيئته لا يجب عليه منها شيء فلو شاء ألا يخلدهم في دار العذاب خلودا أبديا لفعل، ولكنه لا يشاء ذلك كما أخبر عن نفسه» أ.هـ ص٢٨٣ ويؤكد هذا التفسير أن الاستثناء قد ورد أيضاً في حق أهل الجنة ﴿ وأما الذين سعدوا ففي الجنة خالدين فيها ما دامت السماوات والأرض إلا ما شاء ربك عطاء غير مجذوذ ﴾ هود ١٠٨. =

= الخامس: أن الجنة يمكن أن يدخلها من لم يعمل خيرا بمحض فضل الله وكرمه وأما النار فلا يعذب أحد إلا بذنوبه. وهذا الفرق لا يدل على فناء النار.

السادس: أن النعيم من موجب أسمائه فيجب دوامه بدوام معاني هذه الأسماء والصفات أما العذاب فهو مخلوق والمخلوق يمكن أن يكون له انتهاء. وقد رد عليه الإمام السبكي بقوله (قلت: ومن أسمائه تعالى شديد العقاب والجبار والقهار والمذل والمنتقم فيجب دوامه بدوام ذاته وأسمائه أيضاً) أ.هـ الاعتبار ص ٨١.

السابع: أنَّ الله قد أخبر أن رحمته وسعت كل شيء ولو قدر عذاب لا آخر له لم يكن هناك رحمة ألبتة. ونقول له بل هناك الجنة ونعيمها وهي محل الرحمة والرضوان أما إذا أراد أن تشمل الرحمة أهل النار فمن قال قبله أو بعده أن النار هي محل رحمة الله بل هي محل السخط والعذاب فقط ألم يقرأ قول الله ﴿ ... ورحمتي وسعت كل شيء فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون ﴾ الأعراف ١٥٦ فبينت الآية – وهي نفسها التي استدل بها ابن تيمية وتلميذه – أن الرحمة مقصورة على المؤمنين دون الكافرين؟) أ.هـ.

الثامن: أن الله حكيم يخلق لحكمة، وخلق نفوس تعمل الشر في الدنيا لا تلقى إلا العذاب في الآخرة فيه مناقضة لهذه الحكمة وقد رد الإمام السبكي على هذا بقوله « فإن قلت: ما في خلق هؤلاء من الحكمة؟ قلت: إظهار القدرة واعتبار المؤمنين وفكرتهم في عظمة الله تعالى القادر على أن يخلق الملائكة والبشر الصالحين والأنبياء ومحمداً ﷺ سيد الخلق، وعلى أن يخلق من الطرف الآخر فرعون وهامان وأبا جهل وشياطين الجن والإنس وإبليس رأس الضلال، والقادر على خلق دارين متمحضة كل واحدة منهما: هذه للنعيم المقيم وهذه للعذاب الأليم، ودار ثالثة وهي الدنيا ممتزجة من النوعين.

فسبحان من هذه قدرته وجلت عظمته وكان الله سبحانه قادراً على أن يخلق الناس كلهم مؤمنين طائعين ولكن أراد سبحانه أن يبين الشيء وضده، علمه من علمه وجهله من جهله.

والعلم منشأ السعادة كلها نشأ عنه الإيمان والطاعة والجهل منشأ الشقاوة كلها نشأ عنه الكفر والمعصية، وما رأيت مفسدة من أمور الدنيا تنشأ إلا عن الجهل فهو أضر الأشياء » أهـ الاعتبار ص ٨٨. وبعد أن بينا بطلان اعتماد ابن تيمية على الأحاديث الواهية المظلمة في دعوى فناء النار وبطلان محاولته التفرقة بين بقاء الجنة وبقاء النار يجب أن نبين خطورة هذا القول فإن كل من نقل من أهل العلم البدع التي كفر بها (جهم بن صفوان) عدَّ منها قوله بفناء النار و لم يستثنه=

= كما ذكر شيخنا سلامة العزامي . قال الإمام عضد الدين الإيجي في كتابه (المواقف): «أجمع المسلمون على أن الكفار مخلدون في النار أبداً لا ينقطع عذابهم وأنكره طائفة بخارجة عن الملة الإسلامية» ثم ذكر بعض الشبه وردها ونقل عن بعض المعتزلة تخصيص العذاب المؤبد بالكافر المعاند فقط ورد على هذه الشبهة ثم قال «واعلم أن الكتاب والسنة والإجماع يبطل ذلك» قال في شرحه السيد الشريف الجرجاني «بل نقول هو مخالف لما علم من الدين بالضرورة» أهـ مرصد المعاد المقصد السادس.

وتكفير القائل بفناء الجنة والنار أو أحدهما قائم على رفض تأويل الآيات الدالة على بقائهما لسببين:

الأول: أن الكثير جداً من هذه الآيات قطعي الدلالة لا يحتمل إلا معنى واحداً.

الثاني: أن هذه الآيات كثيرة ومتواترة زادت على المائة آية وهذه الكثرة والتكرار المؤكد لمعناها يمنع تماماً أية محاولة لصرف معاني هذه الآيات عن ظاهرها الواضح الذي لا يحتمل المخالفة. لذا فقد اعتبر أئمة الإسلام تأويل هذه الآيات قولا ساقطاً لا يلتفت إليه وعدّوا القول بفناء الجنة أو النار تكذيبا للقرآن وللسنة أيضاً.

ذكر الإمام السبكي في كتابه (الاعتبار) ادعاء ابن القيم أنه بعد فناء النار لابد وأن ينتقل أهلها جميعاً إلى الجنة حيث لم يبق غيرها فيتمتعوا فيها باللذة والنعيم المقيم ونسي قوله تعالى في الكافرين ﴿ أولائك الذين ليس لهم في الآخرة إلا النار﴾ وغير ذلك من الآيات القاطعة بنفس المعنى – ثم قال « قلت قد صرح بما صرح به في آخر كلامه فيقتضي أن إبليس وفرعون وهامان وسائر الكفار يصيرون إلى النعيم المقيم واللذة الدائمة، وهذا ما قال به مسلم ولا نصراني ولا يهودي ولا مشرك ولا فيلسوف. أما المسلمون فيعتقدون دوام الجنة والنار وأما المشرك فيعتقد عدم البعث وأما الفيلسوف فيعتقد أن النفوس الشريرة في ألم. فهذا القول الذي قاله هذا الرجل ما نعرف أحداً قاله وهو خروج عن الإسلام بمقتضى العلم إجمالا ولا أكفر أحداً معيناً من أهل القبلة بلساني ولا بقلبي ولا بقلمي إلا أن يعتقد مشاققة الرسول ﷺ فهذا ضابط التكفير عندي» أ.هـ ص٨٥.

وهناك نقطة مهمة ينبغي إثباتها وهي أن ابن القيم صرح في كتابه (الوابل) بعدم فناء النار التي يعذب بها الكفار وصرح أيضاً بأن الجنة لا يدخلها نفس مشركة وإنما يدخلها أهل التوحيد فقط قال الشيخ سلامة العزامي بعد أن أشار إلى هذه العبارات « وعسى أن يكون ذلك وقع له في آخر أمره فرجع به عن باطل هذه البدعة » أهـ ص ٣٠٠ البراهين الساطعة.

وأما السنة فطافحة بذلك وتدل على إخراج المؤمنين دون غيرهم «حتى يخرج من في قلبه (١١١/أ) مثقال ذرة من الإيمان » وفي رواية «مثقال ذرة من خير. فأقول: يا رب ما بقي في النار إلا من حبسه القرآن أي وجب عليه الخلود. قال الله تعالى: ﴿لهم فيها دار الخلد﴾ [1]» .

---

(1) روى البخاري في صحيحه في كتاب التفسير في سورة البقرة آية « وعلم آدم الأسماء كلها » حديث الشفاعة وإخراج المؤمنين من النار بألفاظ مقاربة لما ذكره الشيخ الحصني وفيه « .. ثم أشفع فيحد لي حداً فأدخلهم الجنة ثم أعود إليه فإذا رأيت ربي مثله ثم أشفع فيحد لي حداً فأدخلهم الجنة ثم أعود الرابعة فأقول ما بقي في النار إلا من حبسه القرآن ووجب عليه الخلود.

قال أبو عبد الله: إلا من حبسه القرآن يعني قول الله تعالى: ﴿ خالدين فيها ﴾ أ. هـ .

والأحاديث التي تقطع بخلود الكفار وتأبيدهم في النار كثيرة منها: ما رواه البخاري ومسلم واللفظ له عن أبي هريرة ﷺ قال:« قال رسول الله ﷺ : « من قتل نفسه بحديدة فحديدته في يده يتوجأ بها في نار جهنم خالداً مخلداً فيها أبداً ومن شرب سمّاً فقتل نفسه فهو يتحساه في نار جهنم خالداً مخلداً فيها أبداً ومن تردى من جبل فقتل نفسه فهو يتردى في نارجهنم خالداً مخلداً فيها أبداً» صحيح مسلم – كتاب الإيمان- باب غلظ تحريم قتل الإنسان نفسه، صحيح البخاري- ٧٦ كتاب الطب- ٥٦ باب شرب السم والدواء به وبما يخاف منه. وعن أبي سعيد الخدريﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : يؤتى بالموت كهيئة كبش أملح فينادي منادٍ: يا أهل الجنة! فيشرئبون وينظرون فيقول: هل تعرفون هذا؟ فيقولون: نعم . هذا الموت وكلهم قد رأوه ثم ينادي: يا أهل النار فيشرئبون وينظرون فيقول: هل تعرفون هذا؟ فيقولون: نعم هذا الموت، وكلهم قد رآه فيذبح. ثم يقول: يا أهل الجنة خلود فلا موت ويا أهل النار خلود فلا موت ثم قرأ ﴿ وأنذرهم يوم الحسرة إذ قضي الأمر وهم في غفلة ﴾ – وهؤلاء في غفلة أهل الدنيا – وهم لا يؤمنون﴾ أخرجه البخاري في كتاب التفسير سورة مريم – باب قوله﴿وأنذرهم يوم الحسرة﴾ وأخرجه مسلم في كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها – باب النار يدخلها الجبارون والجنة يدخلها الضعفاء.

ولا ريب أن الحسرة بسبب أنهم فقدوا الموت وكان منقذاً لهم من عذاب الأبد، أما إذا كان لهم يوم- مهما يكون بعيداً- ينتقلون إلى اللذة والنعيم ففيم الحسرة إذا؟ نسأل الله السلام والنجاة.

ومن أراد الاستزادة من الأدلة والنصوص فليرجع إلى كتاب (الاعتبار ببقاء الجنة والنار) للإمام تقي الدين السبكي، وكتاب (البراهين الساطعة) لإمامنا الشيخ سلامة العزامي.

إلى غير ذلك. ولأن العذاب يدوم بدوام سببه بلا شك ولا ريب وهو قصد الكفر وبقاء العزم عليه ولا شك أنهم لو عاشوا أبد الآباد لاستمروا على كفرهم.

وكذلك المؤمن يستحق الخلود في الجنة لأن عزمه لو عاش أبد الآباد لوحد الله تعالى فلذلك يستحق الخلود[١] وهذا معنى قوله عليه الصلاة والسلام (نية المؤمن خير من عمله)[1] وفي معناه أقوال أخر.

فادعاء فناء النار إلى أمد نزعة يهودية ألا ترى إلى قوله تعالى: ﴿وقالوا لن

---

(١) في ج-ط: سقطت الجملة من قولة (الجنة) إلى (الخلود).

---

(1) رواه سهل بن سعد الساعدي ﷺ فقال: قال رسول الله ﷺ: « نية المؤمن خير من عمله، وعمل المنافق خير من نيته، وكل يعمل على نيته. فإذا عمل المؤمن عملا ثار في قلبه نور» قال الهيثمي في (مجمع الزوائد) ج١ ص ٦١: « رواه الطبراني في الكبير ورجاله موثقون إلا حاتم بن عباد بن دينار الجرشي لم أر من ذكر له ترجمة » .

وكذا رواه العسكري في (الأمثال) والبيهقي في (الشعب) عن أنس ﷺ مرفوعا بلفظ (نية المؤمن أبلغ من عمله) وقال البيهقي: إسناده ضعيف.

ورواه العسكري أيضاً من حديث النواس بن سمعان بلفظ (نية المؤمن خير من عمله ونية الفاجر شر من عمله).

وأخرجه الديلمي في مسند الفردوس بسند ضعيف من حديث أبي موسى الأشعري بلفظ (نية المؤمن خير من عمله، إن الله عز وجل ليعطي العبد على نيته ما لا يعطيه على عمله. وذلك أن النية لا رياء فيها والعمل يخالطه الرياء).

وذكره الإمام السخاوي في (المقاصد الحسنة) برقم (١٢٦٠) وذكر طرقه ثم قال:«.. وهي وإن كانت ضعيفة فبمجموعها يتقوى الحديث» أهـ وأكد ذلك أيضاً العلامة المحدث السيد مرتضى الزبيدى في إتحاف السادة المتقين ج ٣ ص ٢٨ ط. العلمية.

قلت: الحديث معناه صحيح وله شواهد كثيرة في القرآن والسنة.

تمسنا النار إلا أياماً معدودة﴾ (1) الآية أي قدراً مقدراً[١] ثم يذهب عنا العذاب.

وكانت اليهود تقول: إن هذه الدنيا سبعة آلاف سنة وإنما نعذب بكل ألف سنة يوماً، ثم ينقطع العذاب بعد سبعة أيام. وقيل: أربعين يوماً، الذي عبد آباؤنا فيها العجل[٢]. وكانت تقول: إن ربنا عتب علينا في أمر فأقسم ليعذبنا أربعين يوماً فلن تمسنا[٣] إلا تحلة القسم أربعين يوماً.

فالرجل ساع خلف سَلَفِه كما تقدم وكما يأتي.

---

(١) في ج–ط: مقدوراً.

(٢) في ط: العجل فيها.

(٣) في ج: فلن تمسنا النار. وط: ليعذبننا أربعين يوماً فلن تمسنا النار.

---

(1) الآية ٨٠، من سورة البقرة.

[فصل في الرد عليه في قوله بقدم العالم وفي إنكاره المجاز]

[أ- تصنيفه في قدم العالم واستدلاله على ذلك]

ومما انتقد عليه: وهو من أقبح القبائح ما ذكره في مصنفه المسمى بحوادث لا أول لها[1]. وهذه التسمية (١١١/ب) من أقوى الأدلة على جهله، فإن الحادث مسبوق بالعدم، والأول ليس كذلك[2].

---

(1) وردد. نفس الفكرة في مواضع أخرى في كتاب « منهاج السنة » ، « مجموع الفتاوى» ج ١٢ عند كلامه على حديث (كان الله ولم يكن شيء غيره) كما أشار إليها تليمذه ابن القيم في مواضع كثيرة من القصيدة النونية.

(2) يقول حجة الإسلام الغزالي في كتاب الاقتصاد في الاعتقاد: « إنا نقول كل حادث فلحدوثه سبب والعالم حادث فيلزم منه أن له سبباً، ونعني (بالعالم) كل موجود سوى الله تعالى ﴿ونعني بكل موجود سوى الله تعالى﴾ الأجسام كلها وأعراضها » أ.هـ ص ٢٩ ثم يقول في موضع آخر « ندعى أن السبب الذي أثبتناه لوجود العالم قديم فإنه لو كان حادثاً لافتقر إلى سبب آخر وكذلك السبب الآخر ويتسلسل إما إلى غير نهاية وهو محال، وإما أن ينتهي إلى قديم لا محالة يقف عنده وهو الذي تطلبه وتسميه صانع العالم ولابد من الاعتراف به بالضرورة. ولا نعني بقولنا قديم إلا أن وجوده غير مسبوق بعدم، فليس تحت لفظ القديم إلا إثبات موجود ونفي عدم سابق» أ.هـ ص ٣٨. ويقول إمام الحرمين مبطلا للتسلسل: « وما تسلسل لا يتحصل » أ.هـ انظر (العقيدة النظامية) ص ١٤ بتحقيق الشيخ زاهد الكوثري.

وإذا كان هذا العالم الحادث مفتقراً إلى موجود قديم يخرجه من العدم إلى الوجود، فإن هذا الموجود القديم - الله سبحانه وتعالى - غير محتاج ولا مفتقر إلى هذا العالم المحدث على الإطلاق بل هو الغني مطلقاً عن خلق هذا العالم وإيجاده. يقول تعالى ﴿يا أيها الناس أنتم الفقراء إلى الله والله هو الغني الحميد، إن يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد وما ذلك على الله بعزيز﴾ الآية ١٥ من سورة فاطر. وجاء وصفه تعالى بالغني في عشرين موضعاً آخر من القرآن الكريم. ومن هنا فلم يكن سبحانه مضطراً ولا مجبراً على خلق هذا العالم ولا تسببت ذاته المقدسة أو أو جبت خلق العالم رغماً عنه بغير اختيار ومشيئة كخروج النور والحرارة من الشمس تعالى الله عن ذلك. يقول الإمام الفخر الرازي في الباب الرابع من كتاب معالم أصول الدين « المسألة الأولى: قد ثبت أن الله تعالى مؤثر في وجود العالم فإما أن يؤثر فيه على سبيل الصحة وهو: الفاعل المختار أو على سبيل=

= الوجوب وهو: الموجب بالذات. فنقول: القول بالموجب بالذات باطل لوجوه : الحجة الأولى: أنه لو كان تأثيره في وجود العالم على سبيل الإيجاب لزم أن لا يتخلف العالم عنه في الوجود فيلزم إما قدم العالم وإما حدوثه - يقصد حدوث الله - وهما باطلان، فوجب أن لا يكون موجباً بالذات » أ.هـ ص ٤٩ صفة القدرة والعلم وبالمثل فقد سعى كل علماء الكلام إلى إثبات حدوث العالم - كل ما سوى الله من الموجودات - وإلى تساوي إمكان وجود العالم وعدمه مما يحتم ضرورة وجود موجود قديم لم يسبق بعدم ولا يستمد وجوده من غيره بل هو واجب الوجود لذاته وهذا الموجود القديم قام بإخراج العالم من العدم إلى الوجود ورجح وجود هذه المحدثات على عدمها وهذا الموجود القديم ليس إلا الله جل وعلا. وفي خلال سعيهم ذلك كان لابد من التعرض لإبطال الأقوال الضالة لبعض من تلبسهم الشيطان ومنهم:

أولاً: الدهريين من الفلاسفة الذين قال عنهم القرآن ﴿ وقالوا ما هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر ﴾ وقالوا إن العالم لم يزل على ما هو عليه فلم تزل دورة للفلك قبل دورة إلى غير أول ثم لم تزل الحوادث في عالم الكون والفساد تتعاقب كذلك إلى غير مفتح فكل حادث منها مسبوق بمثله فكل ولد مسبوق بوالد وكل زرع مسبوق ببذر وكل بيضة مسبوقة بدجاجة وكل هذا دون احتياج للعالم بجملته إلى صانع، تعالى الله عما يقولون.

ثانياً: طائفة أخرى من الفلاسفة يقولون بأن العالم هكذا أزلي لا إلى نهاية ولكنه من صنع مُوجب قديم أوجبها أي فرض وجودها ويصور الإمام الغزالي رأيهم بقوله: « إن العالم عندهم لم يزل موجوداً مع الله تعالى ومعلولا له ومساوقاً له غير متأخر عنه بالزمان مساوقة العلة للمعلول ومساواة النور للشمس وأن تقدم الباري عليه كتقدم العلة على المعلول وهو تقدم بالذات والرتبة لا بالزمان » أ. هـ تهافت الفلاسفة والعجيب أن هذا الرأي الخطير للفلاسفة يسوقونه على سبيل الافتراض وليس لهم دليل قوي عليه، يقول الدكتور أحمد حجازي السقا في تحقيقه لكتاب(المسائل الخمسون للفخر الرازي): « وكلام أرسطو لا برهان عليه منه وإنما ذكره ككلام يعوزه الدليل لقوله (التي ليست لنا فيها حجة أو هي عظيمة عندنا قلنا فيها لم ذلك؟ عسر مثل قولنا: هل العالم أزلي أم لا؟).

لذا وضح حجة الإسلام الغزالي بأن مآل هذا القول_ أزلية العالم أو حوادث لا أول لها - هو الانتماء حتماً إلى عدم احتياج العالم بجملته إلى صانع فقال موجها كلامه إلى الفلاسفة: « ما الذي يمنعكم من مذهب الدهرية وهو أن العالم قديم كما قلتم ولا علة له ولا صانع وإنما العلة للحوادث؟ » أ.هـ تهافت الفلاسفة ص ١٩٦.

=

= وليست خطورة هذا القول – حوادث لا أول لها – فقط فيما تقدم ذكره من نفي الصانع جل وعلا بل إذا سلمنا أن هذا لن يتم فهناك خطورة أخرى مماثلة لا فكاك منها وهي أن هذا الصانع – تعالى الله عن ذلك – موجباً لا إيثار له أي لا اختيار له ولا قصد ولا إرادة. يقول الدكتور/ عبد الفضيل القوصي في هوامشة على العقيدة النظامية: « لا يستطيع أحد – لا من المتكلمين ولا من الفلاسفة – أن يقول إن القديم يصح استناده إلى الفاعل المختار فمن أوضح الواضحات أن القدم ينافي تأثير الفاعل المختار. ذلك أن تأثير الفاعل المختار مسبوق بالقصد والإرادة والقصد إلى إيجاد الشيء لابد أن يتوجه إليه حال عدمه، لأن القصد إلى إيجاد الموجود تحصيل للحاصل وهو محال فالقصد حين يتجه إلى الشيء المعدوم يوجده بعد أن لم يكن، فيكون حادثاً بعد العدم لا محالة. إذن ففعل الفاعل المختار يستلزم بالضرورة حدوث مفعوله، يترتب على هذا أنه حين يقول الفلاسفة بقدم العالم قدماً زمانياً – بمعنى أنه لم يكن مسبوقاً بعدمه المطلق – فإنهم في نفس اللحظة لا يستطيعون القول أنه تعالى فاعل لهذا العالم بالقصد والاختيار بل يقولون إنه موجب بالذات وحين يقول المتكلمون إن العالم حادث بعد أن لم يكن فإنهم يقولون في اللحظة ذاتها أنه تعالى فاعل لهذا العالم بالقصد والاختيار » ص ٧٢ ثم شرح فضيلته أن دوافع هذا الخلاف بين الفلاسفة والمتكلمون إنما هو في تصور كل منهما للكمال الإلهي، فالفلاسفة ينظرون للكمال الإلهي من زاوية دوام جوده فجوده تعالى يجب أن يكون دائماً فإذا قال المتكلمون إن العالم قد وجد بعد العدم فقد عطلوا الله جل وعلى لن جوده ومن ثم يسميهم ابن سينا (المعطلة)، أما المتكلمون فمع إقرارهم بدوام الجود قد فطنوا إلى أن الكمال الإلهي لا يتم إلا مع القصد والاختيار وهذا يستلزم أن يكون العالم المقصود فعله والمختار إيجاده معدوما حال توجه القصد والاختيار إليه ثم يوجد بعدئذ.

لذا فقد سعى علماء أصول الدين نضر الله وجوههم إلى دحض هذه الشبهة وإقامة الأدلة الواضحة على بطلانها من جميع الوجوه:

أولها: إثبات حدوث العالم. ثانيها: إثبات الإرادة والاختيار للخالق عز وجل.

ثالثها: إثبات التناقض في هذه الدعوى (دعوى: حوادث لا أول لها).

يقول إمام الحرمين في العقيدة النظامية ...« ومن أثبت حوادث منفصلة لا نهاية لها إلى غير أول فقد جمع بين الحدوث والحكم بالقدم ومن انتهى علمه إلى إثبات حوادث أزلية فقد انسل عن مقتضى العقول، فإن حكم الحوادث الابتداء عن عدم والأزل يشعر ببقاء الأزلية. فقد بطل أن يكون مُوقع العالم موجباً لا إيثار له، ووجب القول بصانع مختار مريد قد أوقع العالم على موجب=

= مشيئته » أهـ. ص ١٤ ط بتعليق العلامة زاهد الكوثري.

ويقول الإمام سعد الدين التفتازاني في شرح المقاصد: ...« وثانيا: بإقامة البرهان على امتناع تعاقب الحوادث الغير متناهية وذلك أيضاً لوجهين:

أحدهما: طريق التطبيق وهو أن نفرض جملة من الحوادث المتعاقبة من الآن وأخرى من يوم الطوفان كل منهما لا إلى نهاية، ثم تطبق بينهما بحسب فرض العقل إجمالا، بأن تقابل الأول من هذه بالأول من تلك وهكذا، فإما أن يتساوى الكل والجزء أوْ لا فتنقطع الطوفانية ويلزم انتهاء الآنية لأنها لا تزيد عليها إلا بقدر متناه.

وثانيهما:طريق التكافؤ وهو أنا نفرض سلسلة من الحادث المعين الذي هو مسبوق بحادث وليس سابقاً على حادث آخر بمنزلة المعلول الأخيرة فلضرورة تضايف السابقية والمسبوقية وتكافؤ المتضايقين في الوجود لزم أن تشتمل السلسلة على سابق غير مسبوق وهو المنتهي» . ثم يقول في موضع آخر: «.. لما كان كل حادث مسبوقاً بالعدم، كان الكل كذلك، فإنه إذا كان كل زنجي أسود كان الكل أسود ضرورة » أ.هـ. ج ٣ ص ١١٣، ١١٤، ١١٥ط الكليات الأزهرية.

هذه نماذج من الأدلة الموضحة في مواضعها من كتب العقيدة التي تعني بإثبات صحة العقائد وتعضيدها بالأدلة العقلية. أما من نصوص القرآن والسنة فهى قاطعة بأن للعالم مبدأ ومفتح كما سيأتي بعد.

لذا لم يكن غريباً وإزاء ما يستلزمه هذا القول الضال- القول بحوادث لا أول لها – وما يترتب عليه من نفس الصانع جل وعلا أو نفي القصد والاختيار عنه، أن يعتبر علماء أصول الدين مسألة حدوث العالم أحد الضروريات التي يجب التصديق بها ويكفر منكرها يقول الإمام سعد الدين التفتازاني في شرح المقاصد: « المبحث السابع- في حكم مخالف الحق من أهل القبلة: ليس بكافر ما لم يخالف ما هو من ضروريات الدين كحدوث العالم وحشر الأجساد... » ثم قال في شرح هذا المبحث: « ... ومعناه أن الذين اتفقوا على ما هو من ضروريات الإسلام كحدوث العالم وحشر الأجساد .... وإلا فلا نزاع في كفر أهل القبلة المواظب طول العمر على الطاعات باعتقاد قدم العالم... » ثم قال « التصديق بجميع ما جاء به النبي ﷺ إجمالا كاف في صحة الإيمان وإنما يحتاج إلى بيان الحق في التفاصيل عند ملاحظتها وإن كانت مما لا خلاف في تكفير المخالف فيها كحدوث العالم فكم من مؤمن لم يعرف معنى الحادث والقديم أصلا و لم يخطر بباله حديث حشر الأجساد قطعاً لكن إذا لا حظ ذلك فلو لم يصدق كان كافراً » أ.هـ ج ٥ ص ٢٢٧،٢٢٨،٢٢٩ يقول حجة الإسلام الغزالي في (الاقتصاد في الاعتقاد): « المرتبة الثالثة: الذين=

وبنى أمره فيه على اسم من أسماء الأفعال[1].

= يصدقون بالصانع والنبوة ويصدقون النبي ولكن يعتقدون أموراً تخالف نصوص الشرع.... » إلى أن قال « وهؤلاء هم الفلاسفة ويجب القطع بتكفيرهم في ثلاث مسائل... والثالثة قولهم إن العالم قديم وإن الله تعالى متقدم على العالم بالرتبة مثل تقدم العلة على المعلول وإلا فلم تر في الوجود إلا متساويين » أ.هـ ص ٢٠٧، ٢٠٨ ويقول الإمام تقي الدين السبكي في ردِّه على ابن قيم الجوزية: « وهذا يستوجب القول بقدم العالم وهو كفر » قال العلامة زاهد الكوثري في تعليقه على هذه العبارة في السيف الصقيل « وهذا الاستلزام بيِّن، وما يقال من أن لازم المذهب ليس بمذهب إنما هو فيما إذا كان اللزوم غير بيّن فاللازم البيّن لمذهب العاقل مذهب له. وأما من يقول بملزوم مع نفيه للازمه البين فلا يعد هذا اللازم مذهبا له كأن يسقطه هذا النفي من مرتبه العقلاء إلى درك الأنعام. وهذا هو التحقيق في لازم المذهب فيدور أمر القائل بما يستلزم الكفر لزوماً بيّنا بين أن يكون كافراً أو حماراً» ثم ينقل العلامة زاهد الكوثري عن الأستاذ أبو منصور عبد القاهر البغدادي قوله في كتابه (الأسماء والصفات): « إن الأشعري وأكثر المتكلمين قالوا بتكفير كل مبتدع كانت بدعته كفرا أو أدت إلى كفر... » ومثل لهذا ببعض الأمثلة أ.هـ السيف الصقيل ص ٢٨ – ٣٠.

(1) وبيان ذلك أن كلمة

أ- (خلق) تطلق على فعل من أفعال الله سبحانه وتعالى ومن ثم جاز أن يطلق على الله سبحانه وتعالى اسم (الخالق) اشتقاقاً من كلمة (خلق)، وقد ذكر علماء الأصول أنه من لم يقم به وصف لم يجز أن يشتق له منه اسم فإن قام هذا الوصف بأحد وجب أن يشتق له منه اسم.

ب- أن إطلاق اسم الفاعل أو اسم المفعول على سبيل الاشتقاق من أحد صفة يكون حقيقة باعتبار الحال أي حال التلبس بالصفة بالفعل –أما قبل وجود الفعل أو بعد انتهائه فيكون إطلاق اسم الفاعل أو اسم المفعول على سبيل المجاز.

ج- من هنا بذل ابن تيمية وتلميذه ابن القيم كل جهدهما لترويج الشبهة القائلة بأنه لا يوجد مجاز في القرآن الكريم ولا السنة المشرفة بل ولا في اللغة العربية وجعلا ذلك أصلا ثابتاً فيما روَّجا له من ضلالات حتى يتسانا لهما نشرها بدءاً من عقيدة التجسيم والتشبيه ومروراً بقدم العالم وانتهاء بإنكار التوسل برسول الله ﷺ بعد وفاته لتفرقتهم بين حياته ووفاته.

استدل ابن تيمية – بعد زعمه نفي المجاز – من اسم (الخالق) أنه لابد أن توجد مخلوقات دائماً وأبداً طالما وجد الخالق وإلا لو انعدمت جميع المخلوقات فكيف يصح أن يسمى الله سبحانه=

= بالخالق؟ والنتيجة الحتمية لهذه الفكرة الخاطئة هي أن وجود الخلق متمم لوجود الخالق ولا يصح وجود الخالق بدون مخلوقاته، وفي هذا نسبة الاحتياج والفقر إلى الله جل وعلا عكس ما صرح به القرآن في إحدى وعشرين موضعاً بأنه هو الغني ﴿ يا أيها الناس أنتم الفقراء إلى الله والله هو الغني الحميد ﴾ فاطر آية ١٥.

وهذا يثبت الإيجاب وينفي عن الله صفة الاختيار والإرادة بالإضافة إلى ما في نسبة الاحتياج والفقر إلى الله جل وعلا من إبطال الألوهية ذاتها تعالى الله عما يقولون.

والغريب أن هذا الضال- ابن تيمية- يوافق على احتياج الله إلى مخلوقاته ولا يرى بأسا في هذا المعنى المستحيل تعالى الله عما يقول. وفي تعليقه على (رسالة في الرد على ابن تيمية في مسألة حوادث لا أول لها) للإمام بهاء الدين عبد الوهاب الإخميمي يقول الأستاذ سعيد فودة: « وقد صرَّح ابن تيمية بعدم استحالة احتياج الله تعالى إلى مخلوقاته! كما بيناه بوضوح في كتابنا «الكاشف الصغير عن عقائد ابن تيمية » وقال بأن هذا ليس نقصاً لأن مخلوقات الله محتاجة إلى الله، فإذا احتاج هو إليها فلا يعني هذا إلا احتياجه إلى ذاته! وهذا الكلام باطل قطعاً لأن احتياج الله لمخلوقاته هو احتياج لغيره، وهو نقص حتى وإن كان هذا الغير محتاجاً إليه تعالى أصلا، لأن جهة احتياج الخلق إلى الله غير جهة احتياج الله لهم قطعاً وهو نقص بين » أ.هـ. ص ٨٧.

يقول شيخ شيوخنا الشيخ سلامة العزامي ﷺ في كتابه (البراهين الساطعة): « وربما استروح هذا المفتون بقول العلماء بأنه سبحانه لم يحدث له بخلق الأشياء اسم (الخالق)، بل له هذا الاسم الشريف في الأزل قبل خلق الأشياء فيكون قولا منهم بأزلية الحوادث، وحاشاهم من هذا القول. إذ ليس معناه عندهم إلا أنه القادر المختار أزلا وأبداً ولكنه الفعال لما يريد والفلاسفة لما لم يقدروا الله حق قدره قالوا – وتعالى الله عما قالوا- أنه فاعل بالإيجاب فساقهم ذلك إلى القول بقدم العالم. وليس من قصدنا شرح مذهبهم، وإنما الذي نريد أن تعلمه ويرسخ في قلبك اعتقاده أن الذي دل عليه كتاب الله وأوضحه رسول الله عليه وعلى آله الصلاة والسلام والذي عليه العلماء بالكتاب والسنة أن للحوادث أولاً ليس قبله حادث وما قبل هذا الحادث موجود إلا الله وحده واجب الوجود الذي ليس لوجوده ابتداء ولا انتهاء وأن القول بأن الحوادث لا أول لها باعتبار الشخص في بعضها والنوع في البعض الآخر كما قال اليونان أو باعتبار النوع فقط كما قال هذا الرجل مقتبساً منهم ليس من دين الإسلام في شيء وأن الله ورسوله وأتباعه براء منه. وأعلم أن دعوى كون الكمال الواجب لله سبحانه هو أن يكون فاعلاً أزلاً على الدوام في جانب الماضي على=

= وجه الوجوب واللزوم، إنما هي وهم يوناني لا سبيل له إلى التحقيق ولا نصيب له من الصحة وإنما الكمال الواجب له عز وجل هو أنه مختار إن شاء فعل وإن لم يشأ لم يفعل وليس أحد الأمرين بممتنع على جنابه العزيز » أ.هـ ص ٢٠٧، ٢٠٨.

يقول حجة الإسلام الغزالي في كتابه (الاقتصاد في الاعتقاد) عند حديثه عن هل تصدق أسماء الأفعال عليه تعالى أزلا أم لا؟ فقال شارحا: « والقول الجامع أن الأسامي التي تسمى بها الله تعالى أربعة:

الأول: أن لا يدل إلا على ذاته وهذا صادق أزلا وأبداً.

الثاني: ما يدل على الذات مع زيادة سلب (كالقديم) فإنه يدل على وجود غير مسبوق بعدم أزلاً (والباقي) فإنه يدل على الوجود وسلب العدم عنه آخراً (وكالواحد) فإنه يدل على الوجود وسلب الشريك (وكالغني) يدل على الوجود وسلب الحاجة. فهذا أيضاً يصدق أزلاً وأبداً لأن ما يسلب عنه لذاته فيلازم الذات على الدوام.

الثالث: ما يدل على الوجود وصفة زائدة من صفات المعنى كالحيّ والقادر والمتكلم والمريد والسميع والبصير والعالم وما يرجع إلى هذه الصفات السبعة كالآمر والناهي والخبير ونظائره فذلك أيضاً يصدق عليه أزلا وأبداً عند من يعتقد قدم جميع الصفات .

الرابع: ما يدل على الوجود مع إضافة إلى فعل من أفعاله كالجواد والرزاق والخالق والمعز والمذل وأمثاله وهذا مختلف فيه فقال قوم هو صادق أزلاً إذ لو لم يصدق لكان اتصافه به موجباً للتغير وقال قوم لا يصدق إذ لا خلق في الأزل فكيف يكون خالقاً؟ والكاشف للغطاء عن هذا: السيف في الغمد يسمى صارماً وعند حصول القطع به وفي تلك الحالة على الاقتران يسمى صارماً وهما بمعنين مختلفين فهو في الغمد صارم بالقوة وعند حصول القطع صارم بالفعل.

وكذلك الماء في الكوز يسمى مرويا وعند الشرب يسمى مرويا وهما إطلاقان مختلفان.

فمعنى تسمية السيف في الغمد صارماً أن الصفة التي يحصل بها القطع في الحال (معدومة) لا لقصور في ذات السيف وحدثه واستعداده بل لأمر آخر وراء ذاته. فبالمعنى الذي يسمى السيف في الغمد صارماً يصدق اسم الخالق على الله تعالى في الأزل. فإن الخلق إذا جرى بالفعل لم يكن لتجدد أمر في الذات لم يكن بل كل ما يشترط لتحقيق الفعل موجود في الأزل وبالمعنى الذي يطلق حالة مباشرة القطع للسيف اسم الصارم لا يصدق في الأزل فهذا حظ المعنى فقد ظهر أن من قال أنه لا يصدق في الأزل هذا الاسم فهو محق وأراد به المعنى الثاني، ومن قال بصدق في الأزل فهو=

= مِحِقّ وأراد به المعنى الأول وإذا كشف الغطاء على هذا الوجه ارتفع الخلاف» أ.هـ ١٣٥، ١٣٦.
ويبدو أن الفخر الرازي يميل إلى الرأي الثاني وهو أن أسماء الأفعال لا تصدق في الأزل فبعد أن يصنف صفات الله تعالى إلى ثلاثة أقسام: صفات ذاتية وصفات معنوية وصفات فعلية يقول: «وأما الصفات الفعلية فليست عبارة عن حال ثابتة لذات الله تعالى ولا معنى قائم بذات الله تعالى، بل هي عبارة عن مجرد صدور الآثار عنه، ولا معنى للخالق إلا أنه وجد المخلوق منه بقدرته ولا معنى للرازق إلا أنه وصل الرزق منه إلى العبد بسبب إيصاله » أ.هـ من (أسماء الله الحسنى) له ص ٤٨ يقول العلامة الشيخ زاهد الكوثري في تعليقه على السيف الصقيل: «وحدوث الأفعال فيما لا يزال لا يلزم منه تعطيل الصفات أصلا لا في زمن حدوث الأفعال ولا في غيره وهو تعالى سريع الحساب وشديد العقاب قبل خلق الكون وقبل النشور، وهل يتصور عاقل أن يحاسب الله خلقه ويعاقبهم قبل أن يخلقهم؟ فالله القادر مختار يفعل ما يشاء متى شاء » أ.هـ. ص٣١ ونختم هذا بكلام الإمام أبي جعفر الطحاوي في عقيدته التي يقول عنها الإمام السبكي «جمهور المذاهب الأربعة على الحق يقرون عقيدة الطحاوي التي تلقاها العلماء سلفا وخلفاً بالقبول » يقول الإمام الطحاوي في مقدمه عقيدته:

« هذا ذكر بيان عقيدة أهل السنة والجماعة على مذهب فقهاء الملة أبي حنيفة النعمان بن ثابت الكوفي وأبي يوسف يعقوب بن إبراهيم الأنصاري وأبي عبد الله محمد بن الحسن الشيباني رضوان الله عليهم أجمعين وما يعتقدون من أصول الدين ويدينون به رب العالمين.. . » ثم يقول بعد قليل فيما يعتقده أهل السنة في الله تعالى: ﴿ .. خالق بلا حاجة، رازق بلا مؤونة، مميت بلا مخافة باعث بلا مشقة. ما زال بصفاته قديماً قبل خلقه لم يزدد بكونهم شيئاً لم يكن قبلهم من صفته، وكما كان بصفاته أزليا كذلك لا يزال عليها أبدياً.

ليس بعد خلق الخلق استفاد اسم (الخالق) ولا بإحداث البرية استفاد اسم (الباري).

له معنى الربوبية ولا مربوب ومعنى الخالق ولا مخلوق، وكما أنه محيي الموتى بعدما أحيا استحق هذا الاسم قبل إحيائهم كذلك استحق اسم الخالق قبل إنشائهم. ذلك بأنه على كل شيء قدير وكل شيء إليه فقير وكل أمر عليه يسير لا يحتاج إلى شيء ليس كمثله شيء وهو السميع البصير ﴾ أ.هـ متن العقيدة الطحاوية ص ٣، ٤ وحسبك أن أئمة ابن تيمية نفسه أقروا بضلال القائل بهذا القول. فهذا أبو يعلي الحنبلي يقول في المعتمد. «والحوادث لها أول ابتدأت منه خلافاً للملحدة » أ.هـ السيف الصقيل ص ٧٤. والمعتمد مخطوط في ظاهرية دمشق.

[ب- نفيه المجاز]

ونفى المجاز في القرآن[1]،

---

(1) ألّف الدكتور عبد العظيم المطعني كتاب (المجاز في اللغة والقرآن الكريم) وهو بحث ممتع في جزئين في حوالي ألف ومائة وسبعين صفحة أقام الأدلة القاطعة على وجود المجاز في اللغة وفي القرآن وأتى بنيان ابن تيمية وابن القيم من القواعد (الناشر مكتبة وهبة).

وقد عقد شيخنا الدكتور إبراهيم عبد الرحمن فصلا في كتابه (المحكم والمتشابه) ج٢ ص ٥٢٢ للرد على إنكاره المجاز، وكذا رد عليه الدكتور على العماري بكتاب (المجاز) وكذا فضيلة الشيخ/ محمد العزازي كتب رداً عليه نشر في كتاب (ابن تيمية ليس سلفيا) للشيخ منصور عويس. أما الدكتور/ عبد العظيم المطعني فكتابه المذكور موسوعة شاملة للرد عليه أثبت فيه أن المجاز هو مذهب الكثرة الكاثرة التي لا تحصى عددا من علماء الأمة في كل التخصصات أي أنه يكاد أن يكون إجماعاً أو هو كذلك بالفعل، وأن المنكرين- بما فيهم ابن تيمية وابن القيم- لا يتجاوز عددهم أصابع اليدين مع الشك الكبير في ثبوت هذا الإنكار عن بعضهم.

يقول الدكتور المطعني « ومن خلال قراءات متكررة ومتأنية للفصل الذي كتبه الإمام ابن تيمية بخصوص المجاز في كتابه « الإيمان » وجدناه قد اعتمد في إنكار المجاز في اللغة بعامة، وفي القرآن الكريم بخاصة على ما يأتي:

١- أن سلف الأمة لم يقولوا به مثل الخليل ومالك والشافعي وغيرهم من اللغويين والأصوليين وسائر الأئمة، فهو إذن قول حادث؟!

٢- إنكار أن يكون للغة وضع أول تفرع عنه المجاز باستعمال اللفظ في غير ما وضع له كما يقول مجوزوا المجاز ؟!

٣- إنكار التجريد والإطلاق في اللغة. حتى يقال أن الحقيقة ما دلت على معناها عند الإطلاق والخلو من القرائن، والمجاز ما دل على معناه بمعونة القيود والقرائن.

٤- مناقشة النصوص التي استدل بها مجوزو المجاز على وقوع المجاز في اللغة وفي القرآن الكريم » أ.هـ (المجاز) ج٢ ص ٦٤٤.

ثم ذكر الدكتور المطعني أن ابن تيمية له شبه أخرى ولكنها جزئيات تندرج تحت هذه الركائز الأربع، وسنذكر هذه الركائز مع الإشارة إلى ما يبطلها وغالبه من كلام د. المطعني.

الشبهة الأولى لابن تيمية:

وحاصلها:النفي البات أن يكون أحد من السلف قد قال بالمجاز إلا الإمام أحمد بن حنبل=

= تقسيم الألفاظ إلى حقائق ومجازات لم يحدث إلا بعد المائة الثالثة – محط الإنكار هو على وجود لفظ (المجاز) دون معناه ... واعترف خلال ذلك بأن أبا يعلى وابن عقيل وأبا الخطاب الحنابلة قائلون بالمجاز تبعا لإمامهم.

والرد على ذلك:

١- لفظ (المجاز) مجرد مصطلح والمصطلحات غالبا ما تتأخر في الظهور عن موضوع الفن نفسه وخاصة في عصور تدوين العلوم، وخير مثال على ذلك مصطلحات علمي النحو والصرف بل مصطلحات العلوم الشرعية نفسها من فقه وأصول فقه وحديث ومصطلح حديث وغير ذلك.

٢- أن التأويل المجازي يصرف اللفظ عن ظاهر معناه إلى معنى آخر تدل عليه القرينة وله علاقة بالمعنى الظاهر، قد عرف منذ القرن الأول وكثر تطبيقه على آيات الذكر الحكيم عند الثقات من علماء الأمة وعلى رأسهم الصحابة- على وابن مسعود وابن عباس وغيرهم – والتابعون وقبلهم جميعاً المعلم الأكبر ﷺ ومن تأويلاته المجازية: تأويله الخيطين الأبيض والأسود بالنهار والليل.

٣- أن سلف الأمة يفهمون معنى المجاز ويستعملونه وإن لم يذكر بعضهم اسمه المصطلح (المجاز) لعدم انتشاره في البداية بل كان بعضهم يطلق عليه (الاتساع في اللغة) كما ورد عن سيبويه (ت قبل ١٩٠ هـ) والشافعي (ت ٢٠٥هـ) وها هو الإمام الشافعي يقول في (الرسالة) عن ألفاظ القرآن: « وظاهراً يعرف في سياقه أنه يراد به غير ظاهره » فهو بذلك قد عرّف المجاز وبين نوعي القرينة: اللفظية التي لها ذكر في الكلام، والمعنوية التي تفهم من الأحوال وليس لها صورة في الكلام.

٤- ذكر بعض السلف ممن عاشوا في القرنين الثاني والثالث (المجاز) بمعناه الفني الاصطلاحي بلفظه وبمعناه وكذا (الاستعارة) وهي أظهر أنواع المجاز. نقل ذلك عنهم من النصف الأول للقرن الثاني الهجري. وإليك ستة نماذج لذلك:

الأول: أبو عمر زبان بن العلاء (ت ١٥٤ هـ) أحد القراء السبعة، ذكر (الاستعارة) نصاً على ما هو استعارة فعلاً.

الثاني: أبو زيد محمد بن أبي الخطاب القرشي (ت ١٧٠هـ) ذكر مصطلح (المجاز) وشرحه ونصَّ على وجوده في اللغة وفي القرآن الكريم وضرب لذلك أمثله من القرآن ومن أشعار العرب كامرئ القيس وغيره.

الثالث: أبو عبيدة معمر بن المثنى (ت ٢٠٩هـ) ذكر تخريجات مجازية عديدة في كتابه (مجاز القرآن) وهذه الصور المجازية لا تنطبق إلا على المجاز الذي هو قسيم الحقيقة، **كما نقل عنه القول=**

= بالاستعارة في التعليق على شعر جرير ورد ذلك في كتاب (النقائض بين جرير والفردق).

الرابع: أبو عبد الله بن زياد ابن الأعرابي (ت ٢٣١هـ) شرح الاستعارة الموجودة في بيت شعر ونقل ذلك ابن رشيق في كتابه (العمدة).

الخامس: أحمد بن يحيى المعروف بـ (ثعلب) (ت ٢٩١هـ) أكثر من ذكر الاستعارة في كتابه (قواعد الشعر) محللا لها ومشيراً إلى المعنى الأصلي الخارجة عنه.

السادس: أبو تمام حبيب بن أوس الطائي (ت ٢٣١ هـ) الشاعر المشهور قال:

لقد تركتني كأسها وحقيقيتي مجاز وصبح من يقيني كالظن

قال الدكتور العماري تعليقا على هذا البيت:

« وأستطيع أن أؤكد أن هذا الاصطلاح: (المجاز) كان معروفا من زمن بعيد، ذلك أن الشعراء ليسوا من أرباب وضع المصطلحات، كما لا يمكن أن يقولوا ما ليس معروفا عند الناس. فلابد أن تكون كلمة (مجاز) المقابلة للحقيقة معروفة مشهورة حتى يستعملها شاعر لم يعرف عنه أنه عني بالدراسات النحوية التي كانت سائدة في عصره » أ.هـ (المجاز) للدكتور العماري ص ٢٥، (المجاز) للدكتور المطعني ص ٧١٤ يقول د. المطعني بعد أن نسف الركيزة الأولى لابن تيمية:

« ها نحن أولاء قد فرغنا من الرد على الإمام ابن تيمية في الشبهة الأولى من مجموع الشبه التي بنى عليها رأيه في نفي المجاز عن اللغة، وعن القرآن الكريم، وهي: أن أحداً من سلف الأمة لم يقل به؟ قد واجهناه بنقيض دعواه. وبينا أن ثلاثة من الأئمة الفقهاء، وهم الإمام الشافعي، والإمام أبو حنيفة، ومعه صاحباه، والإمام أحمد ابن حنبل قد روى الرواة الثقات أنهم قالوا بالمجاز، وتكرر ذلك منهم، والإمام ابن تيمية يعترف بما ورد عن الإمام أحمد، ولكنه سلك فيه مسلكين:

أحدهما: تضعيف الرواية القوية، وتقوية الرواية الضعيفة الموافقة لمذهبه.

الثاني: تأويل قول الإمام بما يخرجه عن الاحتجاج به عليه على فرض صحته عنده.

كما رأينا كثيراً من اللغويين والنحاة والأدباء والنقاد والبلاغيين والإعجازيين،والمفسرين والمحدثين، والأصوليين والفقهاء قد قالوا بالمجاز، وتوسع بعضهم فيه، ونقلنا عن أبي عبيدة، وابن الأعرابي وأبي عمرو بن العلاء وثعلب نصوصا صريحة تدفع دعواه هو في نفي المجاز » أ.هـ (المجاز) ص ٧١٥.

الشبهة الثانية لابن تيمية:

أنكر ابن تيمية أن يكون للألفاظ وضع أول يدل على معنى معين لكل منها ثم استعملت الألفاظ في معانيها بعد ذلك ويذهب إلى أن كل لفظ قد استعمل ابتداء فما أريد منه دون أن=

= يتقدم وضع سابق ثم حاول أن يقدم تفسيراً مقنعا لذلك فزعم أن أصل اللغة إلهام من الله سبحانه ثم كان النطق بالألفاظ مباشرة مستعملة فيما أريد منها.

كل ذلك لأنه رأى مجوزي المجاز يقولون: إن المجاز ما نقلت فيه الكلمة من المعنى الوضعي فاستعملت في المعنى غير الوضعي وهذا النقل هو أهم ركن من أركان المجاز.

والرد على ذلك:

١- أطبق علماء الأمة في كل زمان ومكان وفي كل فرع من فروع علم اللغة: قواعد وتطبيقات على أن جميع الألفاظ لكل منها وضع أول ويدل على معنى معين. وفكرة المعاجم اللغوية – كما يقول د. المطعني- إنما نشأت لجمع الألفاظ اللغوية والوقوف على مدلولاتها التي كان عليها الحال عند العرب الخلص ... وهذه المفردات اللغوية ومعناها العام المتعارف هو ما عرف بالدلالة الوضعية.

٢- أن البحث العلمي الحديث قد ضعّف تفسير نشأة اللغة بالإلهام و لم يوافق عليه. بل صفوة القول في ذلك أن هناك ثلاث نظريات تفسر نشأة اللغة:

أ) التوقيف من الله سبحانه، واحتجوا بقوله سبحانه: ﴿ وعلّم آدم الأسماء كلها ﴾ .

ب) الاصطلاح والمواضعة، وفسروا الآية السابقة على أن الله أقدر آدم عليه السلام على وضع الأسماء.

ج) المحاكاة والتقليد يقول السيوطي «وذهب قوم إلى أن أصل اللغات كلها إنما هو من الأصوات المسموعات كدوى الريح وحنين الرعد وخرير الماء وشحيج الحمار ونعيق الغراب وصهيل الفرس ونزيب الظبي ونحو ذلك، ثم ولدت اللغات عن ذلك فيما بعد» ويعلق ابن جنى على هذا المذهب فيقول: «وهذا عندي وجه صالح ومذهب متقبل» انظر المجاز للدكتور المطعني ص ٧٣٥.

قلت: وفي قصة ابني آدم التي حكاها القرآن ما يشير إلى اعتماد هذا الطريق في التعليم ﴿فبعث الله غرابا يبحث في الأرض ليريه كيف يواري سوءة أخية ... ﴾ الآية ٣١ من سورة المائدة وهذه النظرية هي التي يكاد يجزم بصحتها الباحثون المعاصرون في علوم اللغة. وانظر ما ذكره د. علي عبد الواحد وافي في كتابيه: (علم اللغة)، (نشأة اللغة عند الإنسان والطفل).

٣- الوضع والاستعمال متلازمان:

يقول د. المطعني تحت هذا العنوان:

« وما يوهن دعوى الإمام ابن تيمية أن قوله بالإلهام لا يؤدي إلى إنكار الوضع، وأن قوله بالاستعمال لا ينافي الوضع. بل أن الوضع ملازم لكل مذهب قيل به في أصل اللغات. **لأن المراد=**

= **بالوضع هو النطق أول مرة باللفظة دالا على معناه سواء كان مصدره الإلهام أو المحاكاة أو التوقيف.**

والخروج عن الدلالة الأولى للألفاظ مستساغ ومعقول. فبعد أن يستقر استعمال الكلمة في معناها الذي كانت هي من أجله يقع فيها التصرف باستعمالها في دلالة أخرى هي الدلالة المجازية. فسواء كان مصدر نشأة اللغة توقيفا كما يقول ابن فارس وغيره، أو مواضعة كما يرى ابن جني وآخرون أو إلهاما كما يؤكد ابن تيمية أو محاكاة كما يرى قوم أو غريزة زود بها النوع الإنساني كما يذهب بعض المحدثين فإن الوضع ملازم لهذه الفروض كلها، لأن الوضع هو **ورود اللفظ لأول مرة دالا على المراد منه.**

وتلازم الوضع للاستعمال مثل تلازم الحياة للحي. ويستحيل استعمال لفظ بمعزل عن اللفظ نفسه، كما يستحيل وضع لفظ بمعزل عن الاستعمال لأن الواضع يضع اللفظ ويعينه للدلالة على معنى. **وتصور وضع لفظ دون أن تكون حقيقة معناه ومسماه ماثلة في ذهن الواضع مستحيل مستحيل**..

فابن تيمية- مثلا- يرى أن أصل اللغة إلهام واستعمال لا وضع متقدم على الاستعمال. فحين ألهم الله الإنسان أن يستعمل كلمة (بحر) فلابد من أحد أمرين لصحة هذا الاستعمال؟

أحدهما: رؤية مجتمع الماء عيانا حين الاستعمال.

والثاني: تخيل تلك الصورة إذا لم تكن حاضرة مرئية. وفي كلتا الحالتين فكلمة بحر اخترعت مقرونة بالاستعمال إما حسا وإما معنى. ومستحيل أن تخترع كلمة (بحر) أو توضع وليس في ذهن الواضع أو المخترع تصور لمسماها.

وهذا المثال صالح للتطبيق على كل النظريات المفروضة في أصل اللغات. فلا مناص من التسليم بالوضع إذن. فالوضع ملازم لكل نظرية، وللاستعمال. لأن اللغة مظهر خارجي وليست فعلا من أفعال النفس يظل مكتوما بين طواياها.

فليكن الاستعمال ولا وضع كما يرى ابن تيمية. ولكن المجاز جائز ومستساغ حتى مع نفي الوضع وفرض الاستعمال.

فالكلمة في أول استعمال لها حقيقة. وحين تستعمل استعمالا ثانيا بينه وبين الاستعمال الأول صلة معتبرة، ووجدت في السياق قرينة ترجح أو توجب الأخذ بمعنى الاستعمال الثاني دون الأول كان المجاز لا محالة » أ.هـ المجاز ص ٧٤٢- ٧٤٣.

الشبهة الثالثة لابن تيمية:

نفى أثر الإضافة في تحقيق المجاز فزعم:

=

١- أن كل الألفاظ في اللغة لم ترد إلا مقيدة بقيود وقرائن توضح المعنى المراد منها. فادعاء علماء اللغة ورود الألفاظ مجردة أو أنها بدون أية قرائن أو قيود تفيد معنى وبالتالي يكون المجرد منها حقيقة والمقيد بالقرائن مجاز هو خطأ غير معلوم من اللغة بل هو محال.

٢- التسوية بين الإضافات المختلفة لأي لفظ، وزعم بأنه ليس هناك إضافة لما حق اللفظ أن يضاف إليه وإضافة إلى ما ليس حق اللفظ أن يضاف إليه.

وهو في الحالتين يجحد ظاهرة تبادر المعنى الحقيقي للألفاظ عند سماعها مجردة من القرائن الصارفة عن هذا المعنى، ويظن أنه بهذا الزعم قد هرب من الإقرار بها.

والرد على ذلك:

١- إنكاره التجريد في الألفاظ يخالف نص القرآن الكريم: ﴿ وعلم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين ﴾ الآية ٣١ من سورة البقرة ويخالف ما قرره العلماء والباحثون في أصول اللغة قديماً وحديثاً من أن أسماء الذوات وهي الألفاظ الدالة على الأشياء مثل: أرض-سماء-بحر- فرس- إنسان.. إلخ هي بداية تعلم اللغة وحين نطق الإنسان الأول بهذه الأسماء فمن المؤكد أنه نطق بها مجردة قاصدا بها الدلالة على الصورة المتكاملة - سمعية بصرية حسية- كما هي مختزنة في خياله على ما شرحه د. أحمد عكاشة، و لم يكن في الوقت توصل إلى إطلاق الألفاظ الدالة على الأفعال ثم الحروف ثم الضمائر في فترات لاحقة كما أوضحه د. على عبد الواحد وافي من قبل.

٢- مدلول كلامه أن اللفظ إذا ذكر بمفرده خال من أية قيود أو إضافات لا ينتج المعنى المقصود منه وبطلان هذا الرأى من البدهيات وها هي معاجم اللغة تذكر الألفاظ ومعناها مجردة من أي قيد أو إضافة وقد ضرب د. المطعني نماذج لذلك من معاجم اللغة وقال في موضع آخر: «... وكذلك لما نزل قوله تعالى ﴿ وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس والعين بالعين والأنف بالأنف والأذن بالأذن والسن بالسن ... ﴾ (الآية ٤٥ من سورة المائدة).

لم يفهم المسلمون من العين إلا العضو الباصر ولا من الأنف إلا العضو الشامّ، ولا من الأذن إلا العضو السامع، ولا من السن إلا الجارحة القاطعة. مع أن هذه الألفاظ لم تضف إلى ما حقها أن تضاف إليه، ولكنها عرفت عريفا يؤدي نفس المعنى الذي تؤديه الإضافة. و لم ينصرف ذهن السامع إلى معنى آخر غير ما هو مراد في أصل اللغة. لأن هذه الألفاظ تخلو من القيود المؤذنة بصرفها عن الظاهر » أ.هـ (المجاز) ص ٧٥٦- ٧٥٧. =

=وإنكار ظاهرة التبادر جحود للضرورات العقلية وهو أقرب إلى الكذب والمكابرة منه إلى مسائل العلم.

يقول الإمام تاج الدين السبكي:

« وأما من أنكر المجاز في اللغة مطلقا فليس مراده أن العرب لم تنطق بمثل قولك للشجاع أنه (أسد) فإن ذلك مكابرة وعناد ولكن هو دائر بين أمرين:

أ- أحدهما أن يدعي أن جميع الألفاظ حقائق ويكتفي في كونها حقائق بالاستعمال في جميعها وهذا مسلّم ويرجع البحث لفظيا فإنه حينئذ يطلق الحقيقة على المستعمل وإن لم يكن أصل الوضع ونحن لا نطلق ذلك.

ب- وإن أراد بذلك استواء الكُلّ في أصل الوضع: فقال القاضي في مختصر التقريب (فهذه مراغمة لحقائق فإنا نفهم أن العرب ما وضعت اسم (الحمار) للبليد، ولو قيل للبليد: حمار على الحقيقة كالدابة المعهودة وأن تناول الاسم لها متساو في الوضع، فهذا دنو من جحد الضرورة).

وكذلك من زعم أن الجدار له إرادة حقيقة تمسكا بقوله تعالى ﴿ جدارًا يريد أن ينقض ﴾ عد ذلك من مستشنع الكلام » أ.هـ انظر الإبهاج في شرح المنهاج ٢٩٨/١، حاشية البناني على جمع الجوامع ٣٨٥/١ من أسفل بألفاظ متقاربة.

٣- إذا قيل لماذا لا يحمل تعدد المعاني على أنه من المشترك اللفظي بدلا من القول بالمجاز؟ وهو أن اللفظ الواحد يستخدم للتعبير عن أكثر من معنى وعند إطلاقه بدون قرينة لا يتبادر إلى الذهن معنى واحد منهم بل الجميع على قدم المساواة أو كما عرفه الإمام الأصولي ابن الجزري هو: « الموضوع لحقيقتين فأكثر وضعا واحداً » مثاله: كلمة (قرء) مشتركة بين الطهر والحيض، وكلمة (جون) مشتركة بين السواد والبياض، وكلمة (عسعس) مشتركة بين الإقبال والإدبار. قلنا:

أولاً: المشترك خلاف الأصل، لأنه لو كان المشترك هو الأصل لكان اللفظ عند إطلاقه بدون القرينة مجملا لا يعلم المراد منه ولما لم يكن كذلك بل تبادر إلى الذهن أحد هذه المعاني بمفرده فهذا يدل على أن الانفراد هو الأصل.

وأيضاً لو كان الاشتراك هو الأصل لما أمكن الاستدلال بالنصوص على حكم من الأحكام.

ثانياً: أن الاشتراك أقل من الانفراد واستقراء اللغة يدل على ذلك، والقلة دليل المرجوحية.

ثالثاً: أن الوضع يتبع المصلحة والاشتراك فيه مفسدة بالنسبة للسامع وللمتكلم. للسامع لصعوبة الفهم إلا بالقرائن وللمتكلم لصعوبة التعبير واحتياجه إلى إضافة ما يحدد مقصوده وهذه=

= المفسدة وإن كانت لا تمنع وجود المشترك فلا أقل من أن تقتضي كونه مرجوحا.

رابعاً: أن المجاز كثير جداً في اللغة وذلك ثابت بالاستقراء وعند تردد الأمر بين الاشتراك والمجاز فحمله على المجاز أولى من حمله على الحقيقة المؤدي إلى الاشتراك لأن المجاز أغلب من المشترك بالاستقراء والحمل على الأغلب أولى وكما يقول العلامة الإسنوي (والكثرة تفيد الظن في محل الشك).

خامساً أن اللفظ يحمل على المعنى المجازي عند وجود القرينة المانعة من إرادة المعنى الحقيقي وعند عدم هذه القرينة فحمله على المعنى الحقيقي المتبادر للفهم الموضوع له، بخلاف الاشتراك فإنه بدون القرينة يجب التوقف وإهمال اللفظ.

سادساً في حمل اللفظ على المعنى المجازي إثبات للعلاقة بين المعنى الأصلي والمعنى المنقول إليه اللفظ وذلك أقرب إلى مراعاة قصد المتكلم.

سابعاً: في المجاز صور بلاغية رائعة سيتم إهمالها حين الأخذ بالاشتراك.

ويمكن الرجوع في هذه النقطة (المقارنة بين الاشتراك والمجاز) إلى كتاب (المحكم والمتشابه) للدكتور إبراهيم عبد الرحمن ص ٥٣٩ فما بعدها وكذا إلى كتب أصول الفقه.

٤- أن إثبات المجاز في اللغة لم يستند إلى التجرد المحض في الألفاظ يقول الدكتور المطعني:

« ... فمن قال بوقوع المجاز في اللغة لم يذهب إلى التجرد المحض في الألفاظ حتى يكون المقيد منها مجازاً والمجرد حقيقة، وإنما أراد بالتجرد: التجرد من قيود خاصة إذا وجدت وجد المجاز وإذا خلا الكلام منها كان الكلام حقيقة» يشير العلامة بذلك إلى القرينة الدالة على المجاز وكذا العلاقة. وهذه القرينة عند علماء البيان مانعة قطعاً من إرادة المعنى الحقيقي، مثل (رأيت أسداً يرمى بالنشاب) فإن الحيوان المعروف لا يرمى بالنشاب، ومثل:

ومن عجب أن الصوارم والقنا تحيض بأيدي القوم وهي ذكور

فإن (الحيض) لغة لم يستعمل إلا في الدم السائل من أرحام النساء، فهذا التعبير استعارة ومجاز والعلاقة إما اللون وإما مطلق السيلان.

وهذه القرائن منها لفظية لها صورا في الكلام، ومنها حالية معنوية ليس لها صورة في الكلام بل تدرك من الأحوال التي عليها المتكلم.

ومصادر القرينة هي اللغة أو الشرع أو العقل أو العادة والعرف أو الحس والمشاهدة.

وقد توسع العلامة د. المطعني في شرح القرائن الدالة على المجاز وكذا الإضافات وضرب أمثلة=

= قاطعة منها:

قـد رابـني وهن المنى وانقـابضها وبسط جديد اليأس كفيه في صدري

يقول د. المطعني: « وقد جعل الشاعر لليأس كفين وجعله ممسكا به يكاد يخنق أنفاسه ويحطم عظام صدره » وكما نعلم فاليأس ليس له كفان ولا هو جسـم مـن الأجسام ولكنـه كمـا يقـول الإمام عبد القاهر الجرجاني: « ... لما أراد له ذلـك جعـل لليـأس كفـين واستعارهما لـه » فـهل يستطيع ابن تيمية أن يزعم أن إضافة الكفين إلى اليأس حقيقة! وهل هـي نفس الإضافـة في الأثـر الذي رواه البخاري عن سلمة بن الأكوع « ... فأخرج كفاً له ضخمة كأنـها كـف بعير ... » حديث (٩٧٣) الأدب المفرد.

فهل إضافة الكف إلى سيدنا سلمة أو إلى البعير في هذا الخبر كإضافة الكفين إلى اليـأس؟! أم أن الشاعر قد صور المعنى الذي يريد نقله في أقصر عبارة بحيـث يجـذب السـامع ويلفـت انتباهـه؟ يقول أبو هلال العسكري: (وفضل هذه الاستعارة وما شاكلها على الحقيقـة أنـها تفعـل في نفس السامع مالا تفعل الحقيقة) أ.هـ المجاز ٢٦٩ للدكتور المطعني..

وأنواع المجاز أربعة:

١- العقلي. ٢- المرسل. ٣- الاستعارة المفردة. ٤- الاستعارة التركيبية.

وأركان المجاز أربعة أيضاً:

١- المعنى الأصلي (الحقيقي) للفظ. ٢- المعنى الثاني (المجازي) للفظ.

٣- القرينة الدالة على منع إرادة المعنى الأصلي (الحقيقي).

٤- العلاقة المعتبرة بين المعنى الأصلي (الحقيقي) والمعنى الثاني (المجازي).

ولكن هل المعنى المجازي لأي لفظ يجب أن يكـون منقـولا عـن العـرب؟ يقـول الإمـام عبـد الوهاب السبكي:« فإن قلت إنما يكون من اللغة المجاز الذي تكلمت به العرب. قلت: تقدم أنه لا يشترط النقل في الآحاد وأن استعمال العرب لأصل العلاقة كاف في نسبة المجاز لها » رفع الحاجب ٤١١/١ وذلك لأن الصور المجازية هي من إبداع خيال الشعراء والبلغاء وغـير مقيـدة بـأن يكـون غيرهم قد سبقهم إلى استخدام نفس هذا اللفظ في هذه الصورة وإلا لم يكن هناك إبـداع. بـل مـا نقلته الأمة كلها عن العرب الخلّص هو استخدام اللفظ في هذا الموضع بغير قيود وفي موضـع آخـر يصنعون قيداً (قرينة تمنع إرادة المعنى الحقيقي) في وجـود علاقـة بـين المعنـى الحقيقـي وبـين المعنـى الجديد (المجازي).

مثال ذلك إذا قال أحدهم: (رأيت أسداً كبيراً) وقال آخر (رأيت أسداً يرمى بالنشاب) فـلا يشك السامع أن الأول رأى الحيوان المعروف لعدم وجود صارف عن ذلك وأن الآخر رأى رجلا شجاعاً يرمي بالنشاب.

=

= ويقول العلامة صدر الشريعة الحنفي : « واعلم أنه يعتبر السماع في أنواع العلاقات لا في أفرادها فإن إبداع الاستعارات اللطيفة من فنون البلاغة » .

يقول الإمام سعد الدين التفتازاني شارحا ذلك: « يعني أن المعتبر في المجاز وجود العلاقة المعلوم اعتبار نوعها في استعمالات العرب، ولا يشترط اعتبارها بشخصها حتى يلزم في آحاد المجازات أن تنقل بأعيانها عن أهل اللغة.

وذلك لإجماعهم على أن اختراع الاستعارات الغريبة البديعة التي لم تُسمَعْ بأعيانها من أهل اللغة هو من طرق البلاغة وشعبها التي بها ترتفع طبقة الكلام، فلو لم يصح لما كان كذلك ولهذا لم يدونوا المجازات تدوينهم للحقائق » أ.هـ. انظر (شرح التلويح على التوضيح).

جـ١ ص ١٥٢-١٥٣. دار الكتب العلمية.

الشبهة الرابعة لابن تيمية: (زعمه بطلان أدلة جمهور الأمة على إثبات المجاز) وهي: **الدليل الأول: قوله تعالى: ﴿ جداراً يريد أن ينقض ... ﴾** الآية من سورة الكهف.

يقول ابن تيمية: « ... فكل لفظ موجود في كتاب الله وسنة رسوله فإنه مقيد بما يبين معناه. فليس في شيء من ذلك مجاز بل حقيقة. ولهذا لما ادّعى كثير من المتأخرين أن في القرآن مجازاً وذكروا ما يشهد لهم، رد عليهم المنازعون جميع ما ذكروه. فمن أشهر ما ذكروه قوله تعالى: ﴿جداراً يريد أن ينقض﴾ قالوا: والجدار ليس بحيوان، والإرادة إنما تكون للحيوان فاستعمالها في ميل الجدار مجاز.

فقيل لهم لفظ الإرادة قد استعمل في الميل الذي يكون معه شعور وهو ميل الحي وفي الميل الذي لا شعور فيه وهو ميل الجماد. وهو من مشهور اللغة: يقال (هذا السقف يريد أن يقع)، و (هذه الأرض تريد أن تحرث)، و(هذا الزرع يريد أن يسقى)... » أ.هـ (الإيمان) ص ١٠٢-١٠٣.

والرد على ذلك: نقول:

١- سبق إبطال كلامه في إنكاره التجريد والإطلاق في الألفاظ.

٢- قوله (لفظ الإرادة قد استعمل في الميل الذي يكون معه شعور وهو ميل الحي، وفي الميل الذي لا شعور فيه وهو ميل الجماد) وضربه أمثله لذلك، ليس فيه دليل على تساوي استعمال اللفظ في الحالتين بل هو دليل على أن العرب قد نطقت بالحقائق وبالمجازات.

يقول الدكتور المطعني: « ولو كانت إرادة الحيوانات والجمادات مثل إرادة الإنسان لما أهدر الشرع الأضرار التي تقع على الإنسان من العجماوات ولما قال عليه السلام (جرح العجماوات جبار)=

= يعني لا تبعه عليها فيه، ولكان القصاص من الحيوانات إذا رفصت إنساناً فمات و لم يقل بهذا أحداً.

وإذا كان جرح العجماوات هدراً وهي أرقى من الجمادات لما ركب فيها من إحساس وإدراك فإن جرح الجمادات أولى بعدم الإكثرات وليس بعد هذا الفرق من كلام أو نزاع » أ.هـ (المجاز ص ٨٠٠).

الدليل الثاني: قوله تعالى:﴿ فأذاقها الله لباس الجوع والخوف ﴾ الآية ١١٢ من سورة النحل.

يقول ابن تيمية « ... فإن من الناس من يقول: الذوق حقيقة في الذوق بالفم واللباس بما يلبس في البدن وإنما استعير هذا وهذا وليس كذلك. بل قال الخليل: الذوق في لغة العرب هو وجود طعم الشيء والاستعمال يدل على ذلك » أ.هـ (الإيمان ص ١٠٤).

والرد على ذلك: نقول: وهل يوجد الطعم في غير الفم ؟! يقول د. المطعني « فكلمة طعم هذه خاصة بما يؤكل أو يشرب والطعام هو المأكول والطعم أثره في اللسان من حلاوة ومرارة ومزازة ... فالخليل إذا لما قال: وجود طعم الشيء اكتفى بذكر (طعم) عن ذكر اللسان فأجمل إجمالا لا يخل بالفهم... نقول: إن عبارة الخليل لا تفيد الإمام ابن تيمية فهى حجة عليه وليست له» أ.هـ (المجاز ص ٨٠٣- ٨٠٤).

الدليل الثالث: ذكر الأصوليون وبعض اللغويين من أدلة المجاز: قوله تعالى: **﴿ ومكروا مكراً ومكرنا مكراً ﴾** الآية ٥٠ من سورة النمل قوله: **﴿ فيسخرون منهم، سخر الله منهم ﴾** الآية ١٨٠ من سورة التوبة.

يقول ابن تيمية: « وليس كذلك بل مسميات هذه الأسماء إذا فعلت بمن لا يستحق كانت ظلماً له، وأما إذا فعلت بمن فعلها بالمجني عليه عقوبة له بمثل فعله كانت عدلاً » أ.هـ الإيمان ص ١٠٧ والرد على ذلك:

أن هذه الأمثلة كما يقول د. المطعني من باب المشاكلة وهي تسمية الشيء باسم غيره لوقوعه في صحبته لفظاً أو تقديراً، ولا يتوقف تحقيقها على المجاز، وإن وقع فيها مجاز فذلك ليس من شرطها.

وهنا نصوص أخرى من المشاكلة لا يستطيع نفي المجاز فيها، من هذه النصوص ما يتعلق بالله سبحانه مثل: ﴿وقيل اليوم ننساكم كما نسيتم لقاء يومكم هذا﴾ الآية ٣٤، من سورة الجاثية، ﴿فذوقوا بما نسيتم لقاء يومكم هذا إنا نسيناكم ﴾ الآية ١٤ من سورة السجدة، ﴿ نسوا الله فنسيهم﴾ الآية ٦٧، من سورة التوبة.

ونحن لا نناقش هل الكفار يستحقون ذلك أم لا، أو أن نسيان الله سبحانه وتعالى لهم عدل أم لا؟ لكننا نسأل هل يجوز إسناد النسيان إلى الله سبحانه وتعالى على وجه الحقيقة التي يعلمها=

= الناطقون باللغة العربية وهي صفة نقص في المسندة إليه أم أن ذلك تعبير عن حرمانهم من فضله وإحسانه في ذلك اليوم فهو بذلك مجاز؟

وهناك نصوص أخرى من المشاكلة فيها المجاز جاءت في غير الله سبحانه فمنها قوله تعالى ﴿فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم﴾ الآية ١٩٤ من سورة البقرة.

﴿ وجزاء سيئة سيئة مثلها ... ﴾ الآية ٤٠ من سورة الشورى، ﴿ ومنهم الذين يؤذون النبي ويقولون هو أذن ، قل أذن خير لكم﴾ الآية ٦١ من سورة المائدة.

وقد شرح د. المطعني وجه المجاز في كل آية.

الدليل الرابع: وهو أشهر الأدلة التي يستدل بها جمهور الأمة وأعلامها يقول إمامنا الشافعي قدّس الله روحه ورضي عنه في (الرسالة) تحت عنوان: (الصنف الذي يبين سياقه معناه): قال الله تبارك وتعالى ﴿**واسألهم عن القرية التي كانت حاضرة البحر إذ يعدون في السبت إذ تأتيهم حيتانهم يوم سبتهم شرّعا ويوم لا يسبتون لا تأتيهم، كذلك نبلوهم بما كانوا يفسقون**﴾ (الآية ١٦٣ من سورة الأعراف) فابتدأ جل ثناؤه ذكر الأمر بمسألتهم عن القرية الحاضرة البحر فلما قال: ﴿ إذ يعدون في السبت ﴾ ... دل على أنه إنما أراد أهل القرية لأن القرية لا تكون عادية ولا فاسقة بالعدوان في السبت ولا غيره، وأنه إنما أراد بالعدوان أهل القرية الذين بلاهم بما كانوا يفسقون » ثم قال:

« وقال ﴿ وكم قصمنا من قرية كانت ظالمة وأنشأنا بعدها قوما آخرين. فلما أحسوا بأسنا إذا هم منها يركضون ﴾ (الآيتان ١١،١٢ من سورة الأنبياء) وهذه الآية مثل الآية قبلها فذكر قصم القرية فلما ذكر أنها ظالمة بأن للسامع أن الظالم إنما هم أهلها دون منازلها التي لا تظلم. ولما ذكر القوم المنشئين بعدها وذكر إحساسهم البأس عند القصم أحاط العلم أنه إنما أحس البأس من يعرف البأس من الآدميين » أ.هـ الرسالة ص ٦٢-٦٣.

يقول العلامة د. المطعني: « وأكاد أجزم أنه أراد بالسياق ما فيه من قرينة دالة على التجوز وهي كما قال: إن القرية باعتبارها مكانا لا تكون فاسقة ولا عادية ولا تكون ظالمة ولا تحس ألم البأس وغير خاف أن الإمام الشافعي يحمل المطلق (القرية باعتبار المكان) على المقيد (القرية بمعنى من فيها من الأهل) وهذا غير ما ذهب إليه الإمام ابن تيمية من إبقاء القرية على ظاهرها حين يتحدث عنها وقد بالغ في هذا حيث قال: (ونظير ذلك لفظ الإنسان يتناول الجسد والروح ثم الأحكام تتناول هذا تارة وهذا تارة لتلازمها، فكذلك القرية إذا عذب أهلها خربت وإذا خربت كان عذابا=

= لأهلها فما يصيب أحدهما من الشر ينال الآخر كما ينال الجسد والروح ما يصيب أحدهما) فهل يا ترى يذهب الإمام ابن تيمية إلى القول بأن الخراب الواقع على القرية هو عقاب لها من حيث أنها قرية ومنازل ؟ » أ.هـ المجاز ص ٨١٦- ٨١٧.

قلت كان الأولى بابن تيمية في هذا النص أن يقول: فكذلك القرية إذا عذب أهلها عذبت وإذا خربت خرب جسد كل فرد من أهلها! وقد سبق له في كتاب الإيمان أن قال: « فقيل لهم: لفظ القرية والمدينة والنهر والميزاب وأمثال هذه الأمور التي فيها الحال وكلاهما داخل في الاسم ثم قد يعود الحكم على الحالّ وهو السكان وتارة على المحل وهو المكان وكذلك في النهر يقال حفرت النهر وهو المحل وجرى النهر وهو الماء ووضعت الميزاب وهو المحل وجرى الميزاب وهو الماء» أ.هـ الإيمان ١٠٨.

كل هذا كما قيل في الدليل الأول يثبت أن العرب كما قلنا نطقت بالحقيقة وبالمجاز واستعملت هذا وذاك من أساليبها وها هو يثبت في كلامه اعتبار العلاقة بين المعنى الأصلي والمعنى المجازي المنقول إليه عندما شبه القرية وسكانها بجسد الإنسان وروحه وهو يعترف بالقرائن الدالة على إرادة المعنى المجازي والصارفة عن المعنى الحقيقي فماذا يبقى لكي يترك صلفه ويقر بالمجاز لفظا ومعنى كباقي الأمة؟ هل لأنه في هذه الحالة لن يبقى له شيئاً يشتهر به ويتميز به ويجمع حوله الدهماء والجهلة أتباع كل ناعق؟ أم أن أغلب العقائد المكفرة التي ناصرها وروجها بناها على إنكار المجاز في اللغة عامة وفي القرآن الكريم خصوصا؟ واتخذ ذلك ستاراً ويحمي به هذه العقائد والأفكار مع أن الأفراد الذين سبقوه إلى إنكار المجاز لم يعتنقوا هذه العقائد والأفكار ولو تخلى عن إنكاره للمجاز فسينهار بناؤه كله على رأسه ؟!

نعود إلى كلام إمامنا الشافعي يشير بلفظ (السياق) إلى القرينة اللفظية الموجودة في الكلام ثم ذكر ﷺ النوع الآخر للقرينة وهي القرينة الحالية المعنوية فيقول تحت عنوان (الصنف الذي يدل لفظه على باطنه دون ظاهره): « قال الله تبارك وتعالى وهو يحكي قول أخوة يوسف لأبيهم ﴿ما شهدنا إلا بما علمنا وما كنا للغيب حافظين. واسأل القرية التي كنا فيها والعير التي أقبلنا فيها وإنا لصادقون﴾ (الآيتان ٨١، ٨٢ من سورة يوسف) فهذه الآية في مثل معنى الآية التي قبلها لا تختلف عند أهل العلم باللسان أنهم إنما يخاطبون أباهم بمساءلة أهل القرية وأهل العير، لأن القرية والعير لا ينبئان عن صدقهم» الرسالة ص ٦٤.

والقرينة الحالية المعنوية هنا كما يقول الإمام (لأن القرية والعير لا ينبئان عن صدقهم) فهو ﷺ=

=يؤول لفظ القرية بأهلها ولفظ العير بأهلها أيضاً ولا يَبقي اللفظ على ظاهره كما يفعل ابن تيمية.

ونحن نسأل لو قال قائل (ذهبت إلى قرية كذا) أو (ذهبت إلى العير) بدون أية قرينة أو إضافة أليس المتبادر إلى ذهن السامع أنه ذهب إلى القرية التي هي مكان وأبنية وأن الآخر ذهب إلى العير التي هي الجمال (الحيوانات) المعروفة؟ فكلام إمامنا الشافعي والأمة كلها معه - يبين أن هذا هو المفهوم من اللفظ حيث إنه لا توجد قرينة تنفي هذا المفهوم أما على مذهب ابن تيمية فيجوز أنه ذهب إلى القرية التي هي مكان وأبنية ويجوز أنه ذهب إلى أهلها حتى وإن كانوا خارجها!، ومن ذهب إلى العير يجوز أنه ذهب إلى الحيوانات المعروفة ويجوز أنه ذهب إلى أصحابها في منازلهم بعيداً عن الحيوانات! وهل الإمام الشافعي القرشي الذي هو بإجماع أهل العلم حجة في اللغة العربية، والمولود سنة مائة وخمسين من الهجرة وأدرك أتباع التابعين كالإمام مالك رضي الله عنه فبينه وبين الصحابة جيلين فقط ونشأ في مكة المكرمة وسط قريش أفصح العرب وتعلم لغة العرب من مصادرها النقية، أقول هل هذا الإمام الفذ لا يعرف أساليب العرب في التعبير ولا يدرك ما اكتشفه أعجوبة زمانه ابن تيمة في المائة الثامنة من أن الألفاظ السابقة ونظائرها حقائق على ظاهرها في جميع الاستعمالات؟ وكذا أبو عبيدة معمر بن المثنى ومن قبله أبو زيد القرشي وأبو عمر بن العلاء وأبو حنيفة الذي عاصر أربعة من الصحابة وصاحباه وغيرهم مما يكاد أن يكون إجماعا من الأمة في ذلك العصر، بل هو كذلك بالفعل فلم يكن الشافعي رضي الله عنه معبراً عن رأيه هو بل عن فكر الأمة كلها فهل كل هؤلاء أخطأوا ونقلوا لنا العربية بصورة غير صحيحة ؟!

بواعث ابن تيمية لإنكار المجاز:

أولاً مناصرته لعقيدة التجسيم تعالى الله عما يقول:

فهو بإنكاره المجاز يريد أن يقول: إنه لا يقصد التجسيم ولا يريده ولكن ما حيلته والنصوص تفيد ذلك؟ ثم يخرج من ذلك إلى أن جمهور الأمة المنزهين لله سبحانه ملاحدة أتباع ابن سينا وأرسطو ولا يؤمنون بالقرآن ولا بالسنة !

ثانياً: زعمه قيام الحوادث بالذات الإلهية المقدسة تعالى الله عما يقول.

وهذا كسابقه فهو ينكر المجاز المفضي إلى صحة التأويل الذي ينزه الله عن النقص.

ثالثاً: زعمه القدم النوعي للعالم:

فبإنكاره المجاز يصوِّر جمهور الأمة المنكرين لعقيدة قدم العالم بأنهم ينكرون أن الله خالقٌ ! وقد سبق تفصيل ذلك.

=

= **رابعاً: تفرقته بين حياة الرسول ﷺ ووفاته في صحة التوسل به:** كما سبق في (قدم العالم) فإن اشتقاق الأسماء من الصفات التي ستوجد في المستقبل أو تحققت في الماضي – كوصفه ﷺ بـ (الرسول) – يكون على صورة المجاز.

فابن تيمية بنفيه المجاز ينفي رسالتهﷺ بعد الوفاة وما يترتب على رسالته من جاهه ومكانته ﷺ عند ربه بينما يثبت ابن تيمة ذلك له ﷺ في حياته كما سيأتي في كلام المصنف.

خامساً: إنكاره عصمة الأنبياء: ينكر ابن تيمية عصمة الأنبياء سواء قبل النبوة أو بعدها من الخطأ أو الذنوب والمعاصي بما فيها الكفر والشرك بل فقط يعترف بأنهم يسارعون في التوبة ولا يستمرون في الذنب حتى العصمة في إبلاغ الرسالة تحفظ عليها وجعلها مشروطة بجواز وقوع الخطأ في إبلاغ الوحي عن الله مع عدم الاستقرار في ذلك الخطأ، وضرب مثالا لذلك حديث الغرانيق– الذي طعن فيه محققوا العلماء– زاعما أنه منقول نقلا ثابتاً لا يمكن القدح فيه.

لذا عارض ابن تيمية بشدة واستنكار وحدّة كل تأويل للنصوص التي يفيد ظاهرها وقوع الذنب أو الخطيئة من الأنبياء عليهم السلام قال ابن تيمية: « ... والرادُّون لذلك تأولوا ذلك بمثل تأويلات الجهمية والقدرية والدهرية لنصوص الأسماء والصفات ونصوص القدر ونصوص المعاد وهي من جنس تأويلات القرامطة والباطنية التي يعلم بالاضطرار أنها باطلة وأنها من باب تحريف الكلم عن مواضعه ... » إلخ انظر مجموع الفتاوى ٢٨٤/٢ وانظر الباب الثالث من كتاب (ابن تيمية ليس سلفيا).

ومن هنا كان نفيه الجازم لمسألة وقوع المجاز في اللغة أو في القرآن أو السنة وصولا إلى نفي تأويل هذه النصوص وإدانة الأنبياء عليهم السلام الذين هم صفوة الخلق ووسيلتنا إلى معرفة الله سبحانه وتعالى.

هل كان ابن تيمية يعتقد صحة كلامه في بطلان المجاز ؟

يلاحظ أن ابن تيمية مر بثلاث فترات كان له فيها موقف مختلف في موضوع المجاز.

الفترة الأولى: في نشأة حياته العلمية: وألف فيها (رفع الملام عن الأئمة الأعلام) الذي أطراه وأثنى عليه كمال الدين بن الزملكاني، واستخدم المجاز في الدفاع عن أئمة المذاهب في موضعين أشار إليهما د. المطعني، ويبدو أنه ألف فيها أيضاً رسالة (الحقيقة والمجاز في صفات الله) ردا على سؤال لشيخ سماه (شمس الدين) ونشرها محمد عبد الرازق حمزة، عقب الفتوى الحموية مباشرة وفيها يقر بالمجاز بدون تحفظ. =

= **الفترة الثانية: وهي التي بدأ فيها مشاغباته في موضوعـات العقيـدة،** وألـف فيـها الفتـوى الحموية وبدأ يتحفظ فيها في الكلام على المجاز وإن كان ظـاهر كلامـه الإقـرار بـه في اللغـة ومنـع تطبيقه في مسائل صفات الله لما رأى تصادم آرائه في العقيدة مع إباحتـه للمجـاز وفي خـلال هـذه الفترة تصاعدت خلافاته مع علماء عصره وجدرت المناظرات التي كان أولها بسبب الفتوى الحموية وأفحمه العلماء في كل مرة.

الفترة الثالثة: وهنا فزع إلى إظهار إنكاره للمجاز وتلفيق الأسباب لهذا الإنكار حتى لو كان إنكار الضرورات العقلية التي لا يجحدها عاقل لو اتهم بـالجنون، ولكـي ينقـل خلافـه مـع العلمـاء المناظرين له من مجال النصوص الشرعية التي تضعه في موقف، إمـا الاعـتراف بالخطأ أو الاعـتراف بكفره – إلى مجال الخلافات اللغوية وهو في نفسه يعلم أن المجاز حق بـلا ريـب ويظـهر ذلـك مـن سقطات كلامه حتى أثناء هجومه على المجاز في كتاب (الإيمان) و (الفتاوى) مما يؤكد أن إنكـاره للمجاز واعـترافه به بل واستعماله- في تفســير النصـوص وتأويلها- بالمعنى وباللفـظ الصريـح قـد ترافقا في نفس الفترة الزمنية، وعلى نفس طريقته سار تلميذه ابن قيم الجوزية بعد وفاة ابن تيمية إذا ناقش موضوعات الصفات والنصوص التي يوهم ظاهرها التشبيه تراه يسرع في إنكار المجاز وإبطاله بكل ما أوتي من قوة حتى يؤكد فكرة التشبيه والتجسيم فإذا ناقش أفكاراً أخرى تحتاج جزماً إلى التأويل فيجنح إلى المجاز فهما قد جحدا بالمجاز، واستيقنت صحته نفساهما.

وهذا ينفي أي احتمال لسوء الفهم في العقائد التي خالفا فيها جمهور الأمة أو إن شئت قلت إجماع الأمة بل هي مخالفة مع سبق الإصرار والترصد، وليـس إنكـار المجـاز إلا سـتاراً للدفـاع عـن عقائدهم الباطلة.

أورد الدكتور المطعني في كتابه تحت عنوان: (التأويل المجـازي في أعمـال ابـن تيميـة) حـوالي سبعة عشر مثالا تغطى كل أنواع المجاز ومنها خمسة نماذج في صفـات الله عـز وجـل منـها تـأويل (الرؤية والسمع) انظر ص ٨٣٤.

ثم ذكر ورود المجاز صريحاً في أعمال ابن تيمية فأورد عشرة أمثلة ذكر فيها المجاز نصا واعترف به.

إذا كان كذلك فمن هو سلف ابن تيمية في إنكار المجاز؟

لا يقال إن سلفه في ذلك هو داود الظاهري أو غيره من علماء الأمة الذين لم يقصدوا سوى تحرير المسائل اللغوية أو الشرعية و لم يعتنقوا عقائد وأراء رتبت سلفا وأحضر لها إنكار المجاز كغطاء فقط بل من سبق إلى هذا السلوك المشين هم اليهـود فهم الذين فسروا نصـوص التوراة من قبـل=

= تحريفها على ظواهرها جنوحا إلى نسبة النقائص إلى الذات الإلهية المقدسة، بل وحاولوا ذلك في آيات القرآن الكريم على عهد النبي ﷺ .

لما نزلت الآية الكريمة ﴿ من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له أضعافاً كثيرة والله يقبض ويبسط وإليه ترجعون ﴾ [الآية ٢٥٥ من سورة البقرة] ذهب سيدنا أبو بكر إلى فنحاص وهو من كبار أحبار اليهود فدعاه للإيمان وقال « اتق الله وآمن وصدق وأقرض الله قرضا حسنا » فقال فنحاص « يا أبا بكر تزعم أن ربنا فقير يستقرضنا أموالنا وما يستقرض إلا الفقير من الغنيّ إن كان ما تقول حقا فإن الله إذا فقير » فأنزل الله تعالى ﴿ لقد سمع الله قول الذين قالوا إن الله فقير ونحن أغنياؤ، سكنتب ما قالوا ... ﴾ إلى آخر الآية ١٨١ من سورة آل عمران، روى ابن جرير الطبري هذا الخبر من طرق عند تفسيره للآية ١٨١ من سورة آل عمران وكذا غيره فهو ثابت بمجموع طرقه.

فهذا اليهودي الذي ولد وعاش بين قبائل العرب لا يجهل أساليبهم في التعبير لكنه تمسك بظواهر النصوص مدعيا الجهل باللغة حتى يبيح لنفسه الخطأ في الذات الإلهية متهما القرآن وأهله بذلك كيف وقد استدل ابن تيمية نفسه– في الفتوى الحموية – على فكرة التشبيه والتجسيم باعتناق طائفتين لهذه العقيدة زاعما أن القرآن لم يعارضهما في ذلك بل عارض الأولى (مشركي العرب) في إنكارهم المعاد فقط وعارض الثانية (اليهود) في تحريفهم للتوراة وليس فيما عابه عليهم –حسب زعمه– التجسيم والتشبيه وبذلك يكون التجسيم والتشبيه هما عقيدة الرسول وهو ما أتى به القرآن.

ثم ختم عبارته بلفتة خطيرة صرح بها نصاً وهو أن ما يتفق القرآن والتوراة على ذكره وإقراره أصح وأشد ثبوتا وتأكيداً مما انفرد به القرآن وحده !

وهذا تصريح واضح بأن ما أتى به القرآن عنده لا يصل إلى درجة الثبوت القطعي اليقيني الكامل وإلا لما زاد ثبوته بانضمام التوراة أو غيرها له! ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم وإليك نص كلامه « وأهل السنة يقولون لهؤلاء: ونحن نعلم بالاضطرار أن الرسل جاءت بإثبات الصفات، ونصوص الصفات في الكتب الإلهية أكثر وأعظم من نصوص المعاد ويقولون لهم: معلوم أن مشركي العرب وغيرهم كانوا ينكرون المعاد. وقد أنكروه على الرسول وناظروه عليه بخلاف الصفات، فإنه لم يكن العرب تنكرها، فعلم أن إقرار العقول بالصفات أعظم من إقرارها بالمعاد، وأن إنكار المعاد أعظم من إنكار الصفات، فكيف يجوز مع هذا أن يكون ما أخبر به من الصفات=

وهو من الجهل أيضاً فإن القرآن معجز ومحشو بالمجازات والاستعارات حتى إن أول حرف فيه[١]، فيه أنواع هذا المجاز، وتضمن[٢] هذا المصنف مع صغره شيئين عظيمين:

[ج- خطورة كتابه: حوادث لا أول لها]

تكذيب الله عز وجل في قوله: ﴿هو الأول﴾ [1] فجعل معه قديماً.

(١) في ب: حرف فيه أنواع. وفي ط: أن أول حرف فيه أحد أنواع.

(٢) في ب: وتضمين.

= ليس كماأخبر به، وما أخبر به من المعاد هو على ما أخبر به؟ (وأيضاً) فقد علم أنه ﷺ قد ذم أهل الكتاب على ما حرفوه وبدلوه، ومعلوم أن التوراة مملوءة من ذكر الصفات، فلو كان هذا مما بُدّل وحرّف لكان إنكار ذلك عليهم أولى، فكيف؟، وكانوا إذا ذكروا بين يديه الصفات ضحك تعجباً وتصديقاً لها، و لم يعبهم قط بما تعيب النفاة لأهل الإثبات على لفظ التجسيم والتشبيه ونحو ذلك، بل عابهم بقولهم﴿ يد الله مغلولة ﴾ سورة المائدة: ٦٤.

وقولهم: ﴿ إن الله فقير ونحن أغنياء ﴾ سورة آل عمران: ١٨١.

وقولهم: إنه استراح لما خلق السموات والأرض فقال تعالى: ﴿ لقد خلقنا السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام وما مسنا من لغوب ﴾ سورة ق: ٣٨.

والتوراة مملوءة من الصفات المطابقة « صفات المذكورة في القرآن والحديث وليس فيها تصريح بالمعاد كما في القرآن. فإذا جاز أن تتأول الصفات التي وافق عليها الكتابان. فتأويل المعاد الذي انفرد به أحدهما أولى، والثاني مما يعلم بالاضطرار من دين الرسول بأنه باطل. فالأول أولى بالبطلان » أ.هـ الفتوى الحموية ص ٣٨،٣٩ ويتضح بذلك أن إنكار المجاز كما قلنا لم يكن إلا ستاراً يخفي وراءه عقائده التي ساير فيها أساتذته من اليهود كما سايرهم في أسلوب المغالطة والسلوكيات وسبق الإشارة إلى ذلك.

(1) يقول العلامة الألوسي في تفسيره: «(هو الأول) السابق على جميع الموجودات فهو سبحانه قبل كل شيء حتى الزمان لأنه جل وعلا الموجد والمحدث للموجودات » أ.هـ ص ٢٧ ص١٦٥ يقول شيخ شيوخنا العلامة سلامة العزامي « (هو الأول) ومعناه عند أهل اللسان الذي نزل به القرآن أن الأول هو لا سواه فلا شيء قبله ولا شيء معه وأنه هو الحق الموجود بلا ابتداء قبل أن يكون شيء من الأشياء. وقد صح من حديث رسول الله ﷺ ما هو صريح في هذا وهذا فمن دعائه ﷺ (اللهم أنت الأول فلا شيء قبلك) » أ.هـ. البراهين الساطعة ص ٢٠٣.

وتكذيب النبي ﷺ في قوله: (١) «كان الله ولا شيء معه » [1].

وفي البخاري من رواية عمران بن حصين ﷺ : كان الله و لم يكن شيء قبله[2] .

(١) في ج: قوله بدون في.

---

(1) اعترف ابن تيمية في مجموع الفتاوى وفي الرسالة العرشية بصحة هذا الحديث بهذه الرواية وكذلك احتج به الإمام تقي الدين السبكي في السيف الصقيل وكذلك الإمام ابن حجر العسقلاني والبذر العيني وغيرهم وذكر الإمام العجلوني في كشف الخفاء أن هذه الرواية وردت عن بريدة في مصنف ابن أبي شيبة وعند ابن حبان والحاكم وبالرجوع إلى هذه المصادر لم يعثر عليها.

(2)وفي البخاري أيضاً من رواية عمران بن حصين ﷺ (كان الله و لم يكن شيء غيره وكان عرشه على الماء) في كتاب بدء الخلق أما الرواية (قبله) التي ذكرها المصنف فقد رواها البخاري في كتاب التوحيد. قال الحافظ ابن حجر في فتح الباري عند رواية (قبله): « تقدم في بدء الخلق بلفظ (ولم يكن شيء غيره) وفي رواية أبي معاوية (كان الله قبل كل شيء، وهو بمعنى (كان الله ولا شيء معه)، وهي أصرح في الرد على من أثبت حوادث لا أول لها من رواية الباب وهي من مستشنع المسائل المنسوبة لابن تيمية، ووقت في كلام له على هذا الحديث يرجح الرواية التي في هذا الباب على غيرها مع أن قضية الجمع تقتضي حمل هذه على التي في بدء الخلق لا العكس والجمع يقدم على الترجيح بالاتفاق »وذكر أيضاً الحافظ ابن حجر في شرحه للحديث في كتاب بدء الخلق بعد أن ذكر رواية (قبله): «وفي رواية غير البخاري(ولم يكن شيء معه) والقصة متحدة فاقتضى ذلك أن الرواية وقعت بالمعنى- يقصد رواية (قبله) -ولعل راويها أخذها من قوله ﷺ في دعائه في صلاة الليل كما تقدم من حديث ابن عباس(أنت الأول فليس قبلك شيء) ثم قال:«وفيه دلالة على أنه لم يكن شيء غيره لا الماء ولا العرش ولا غيرهما لأن كل ذلك غير الله تعالى» أ.هـ.

ويتحدث الإمام البيهقي عن نفس هذا الحديث في كتابه « الأسماء والصفات » في باب (بدء الخلق) قال: « وقوله(كان الله و لم يكن شيء غيره) يدل على أنه لم يكن شيء غيره لا الماء ولا العرش ولا غيرهما، فجميع ذلك غير الله تعالى. وقوله (كان عرشه على الماء) يعني ثم خلق الماء وخلق العرش على الماء ثم كتب في الذكر كل شيء» أ.هـ ص ٢٧٥، ٣٧٦ وأخرج البخاري أيضاً عن عمر بن الخطاب ﷺ قال: «قام فينا النبي ﷺ مقاماً فأخبرنا عن بدء الخلق حتى دخل أهل=

= الجنة منازلهم وأهل النار منازلهم حفظ ذلك من حفظه ونسيه من نسيه » قال الحافظ ابن حجر في شرح الحديث: « ودل ذلك على أنه أخبر في المجلس الواحد بجميع أحوال المخلوقات منذ ابتدئت إلى أن تفنى وإلى أن تبعث، فشمل ذلك الإخبار عن المبدأ والمعاد ثم ذكر شاهدا لحديث الباب من حديث أبي زيد الأنصاري أخرجه مسلم وأحمد قال: صلى بنا رسول الله ﷺ صلاة الصبح فصعد المنبر فخطبنا حتى حضرت الظهر ثم نزل فصلى بنا الظهر ثم صعد المنبر فخطبنا ثم صلى العصر كذلك حتى غابت الشمس فحدثنا بما كان وما هو كائن فأعلمنا أحفظنا..» إلخ قال الحافظ وروى السدي في تفسيره بأسانيد متعددة أن الله لم يخلق شيئاً مما خلق قبل الماء» أ.هـ والعديد من الأحاديث الصحيحة تتحدث عن بدء الخلق وتذكر ما هو أول المخلوقات يقول الشيخ سلامة العزامي بعد أن ناقش هذه الأحاديث: « فأنت ترى أنه لا رائحة لهذا المذهب القائل بعدم أولية الحوادث لا في الكتاب ولا في السنة ولا في أقوال السلف ولا الخلف رضي الله عنهم، فكيف يدعي فيه أنه مذهب الصحابة والتابعين والسلف الصالحين؟..» إلى أن قال ...« وليظهر لمن يروج عليه تلبيسه أنه على السنة ألصق هذا الرأي الباطل بالصحابة والتابعين بل بسيد المرسلين حيث رجح رواية (ولم يكن شيء قبله) على ما عداها، ورد ابن حجر ترجيحه عليه وبين أن هذا الترجيح مخالف للاتفاق كما أسلفنا لك قريباً ومن البين جداً أنه إنما اختارها ليوقع في النفوس أن الرسول عليه الصلاة والسلام ما نفي إلا تقدم الحوادث عليه تعالى ولم ينف مقارنتها له تعالى» أ.هـ البراهين الساطعة ص ٢٠٦، ٢٠٧ أقول: بل قد صرح تلميذه ابن قيم الجوزية في القصيدة النونية له بالإيجاب كما قال الفلاسفة تماماً قال:

وتخلف التأثير بعد تمام مو ... جبه محال ليس في الإمكان

فلأي شيء قد تأخر فعله ... مع موجب قد تم بالأركان

إلى آخر ما قال أ.هـ القصيدة النونية ص٥٣.

يقول العلامة زاهد الكوثري في تعليقه على السيف الصقيل عند الرد علىالأبيات السابقة : «وأرجو أن يفهم القارئ هنا معنى لابد من اعتقادة وهو أن القائل بأن الله فاعل بالإيجاب في ناحية ودين الإسلام كله في ناحية وأي مسلم يستطيع أن يقول أن ربنا مرغم على فعل ما يفعله؟»» أ. هـ ص ٧٢.

وليس وراء ذلك زيغ وكفر فإن الدين ما قاله عز وجل وقاله رسوله ﷺ وقد قال تعالى: ﴿هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم﴾.[1]

هو الأول قبل كل شيء بلا ابتداء، كان ولم يكن شيء موجوداً.

والآخر بعد فناء كل شيء بلا انتهاء، ويبقى هو.

والظاهر: أي[١] الغالب على كل شيء.

والباطن: أي[٢] العالم بكل شيء هذا معنى قول ابن عباس رضي الله عنهما.

والأقوال في ذلك كثيرة ومنها قول أبي القاسم الجنيد[2]: نفى القدم عن كل أول بأوليته، ونفى البقاء عن كل آخر بآخريته، واضطر الخلق إلى الإقرار بربوبيته بظاهريته، وحجب الأفهام عن إدراك (١١٢/أ) كنهه وكيفيته بباطنيته.

وقال أيضاً: هو الأول بشرح القلوب، والآخر بغفران الذنوب، والظاهر

---

(١) في ط: هو.

---

(1) الآية ٣، من سورة الحديد.

(2) هو: أبو القاسم الجنيد بن محمد سيد الطائفة (الصوفية) وإمامهم أصله من نهاوند ومنشؤه ومولده بالعراق كان فقيها على مذهب أبي ثور، وكان يفتي في حلقته بحضرته وهو ابن عشرين سنة، صحب خاله السري السقطي والحارث المحاسبي ومحمد بن علي القصاب. مات سنة سبع وتسعين ومائتين.

من أقواله: «من لم يحفظ القرآن ولم يكتب الحديث لا يقتدي به في هذا الأمر (التصوف)»، «لا يسمى العبد عاقلا حتى لا يظهر على جوارحه شيء ذمه ربُّه»، «صفاء القلوب على حسب صفاء الذكر وخلوصه من الشوائب»، «لا يصفو قلب لعمل الآخرة إلا إذا تجرد من حب الدنيا».

بكشف الكروب، والباطن بعلم الغيوب.

وقال السيد الجليل محمد بن الفضل[1]: أولاً ببرّه وأخراً بعفوه وظاهراً بإحسانه وباطناً بستره[١].

ومن حق العبد أن يجعل له حظاً من هذا الخطاب فيزن[٢] ظاهره بأنواع الخدمة ويزين باطنه بأنوار الهيبة ويحقق جميع أفعاله وحركاته وسكناته وسائر طاعاته وقرباته بالصدق والإخلاص لقوله عز وجل ﴿والله بكل شيء عليم﴾[2].

وسأل عمر ﷺ كعب الأحبار عن معنى هذه الآية فقال: إن علمه بالأول كعلمه بالآخر وعلمه بالظاهر كعلمه بالباطن وهو بكل شيء عليم[٣].

---

(١) في ط: الأول ببره والآخر والظاهر بإحسانه والباطن بستره.

(٢) في ج: ويزين.

(٣) في ط: كعلمه بالباطن. وليس موجودة وهو بكل شيء عليم.

---

(1) هو: السيد الجليل أبو عبد الله محمد بن الفضل البلخي، سكن سمرقند ومات بها سنة تسع عشرة وثلاثمائة. سأله أبو عثمان الحيري: ما علامة الشقاوة فقال: «ثلاثة أشياء: يرزق العلم ويحرم العمل، ويرزق العمل ويحرم الإخلاص ويرزق صحبة الصالحين ولا يحترم لهم».

من أقواله: «أعرف الناس بالله: أشدهم مجاهدة في أوامره وأتبعهم لسنة نبيه ﷺ»، «ست خصال يعرف بها الجاهل: الغضب في غير شيء، والكلام في غير نفع، والعظة في غير موضعها، وإفشاء السر، والثقة بكل أحد، ولا يعرف صديقه من عدوه»، «أترك نفسك منزلة من لا حاجة له فيها ولابد له منها فإن من ملك نفسه عزّ ومن ملكته ننسه ذلّ».

(2) الآيات ٢٨٢ من سورة البقرة، ٣٥ و ٦٤ من سورة النور، ١٦ من سورة الحجرات، ١١ من سورة التغابن.

[فصل: بعض إشاراته إلى الانتقاص من قدر رسول الله ﷺ وأصحابه]

[أ- طعنه في حديث متى وجبت لك النبوة]

ومما انتقد عليه:

تكذيبه النبي ﷺ فيما أخبر به عن نبوته من حديث أبي هريرة ﷺ قالوا: يا رسول الله متى وجبت لك النبوة: قال عليه الصلاة والسلام: وآدم بين الروح والجسد. وفي رواية: وإن آدم لمنجدل في طينته[1].

وتكلم بكلام لبَّس فيه على العوام وغيرهم من سيء الأفهام حتى وقعوا في شر موقع يقصد بذلك[١] الازدراء برسول الله ﷺ والحط من قدره ورتبته. (١١٢/ب) وما فيه رفْعَةٌ يسكت عنه! يفهم ذلك منه كل عالم امتلأ قلبه بتعظيمه ﷺ، وتوقيره[٢] وبما خصه الله تعالى من مزايا المواهب الإلهية[٣] التي لم ينلها غيره.

وهذا الخبيث حريص على حط رتبته والغض[٤] منه تارة يقع ذلك منه قريباً من التصريح وتارة بالإشارات[٥] القريبة وتارة بالإشارات البعيدة التي لا يدركها إلا أهلُها.

---

(١) في ط: من سيء الأفهام، يقصد بذلك.
(٢) في ج: بتعظيمه وتوقيره صلى الله عليه وسلم.
(٣) في أ: الأهيه، وهو خطأ من الناسخ.
(٤) في ج: والعط. ولعله يقصد والغمط.
(٥) في ط: بالإشارات.

---

(1) روى الإمام أحمد والطبراني عن ميسرة الفجر قال: «قلت يا رسول الله متى كتبت نبيا؟ قال: وآدم بين الروح والجسد » قال الهيثمي: رجاله رجال الصحيح أ.هـ مجمع الزوائد ٢٢٣/٨.
وعن العرباض بن سارية قال: قال رسول الله ﷺ : « إني عند الله لخاتم النبيين وإن آدم لمنجدل في طينته... » رواه أحمد بأسانيد والبزار والطبراني بنحوه قال الهيثمي: أحد أسانيد أحمد رجاله رجال الصحيح غير سعيد بن سويد وقد وثقه ابن حبان أ.هـ مجمع الزوائد ٢٢٣/٨.
وحديث ميسرة الفجر رواه ابن بشران مطولا بزيادة تفصيل وبإسناد قوي كما قال الحافظ ابن حجر وسيأتي في التعليق على حديث توسل سيدنا آدم ﷺ .

[ب- زعمه الإجماع على أفضلية مكة على المدينة]

فمن ذلك وقد سئل على ما زعم أيما أفضل مكة أو المدينة فأجاب: مكة أفضل بالإجماع. وكتبه أحمد بن تيمية الحنبلي. وعليها خطة وأنا أعرف خطه وفي هذا الجواب دسائس وفجور ورمز بعيد.

فمن الفجور نسبته[١] إلى الإمام أحمد والإمام أحمد وأتباعه برءأ منه ومما هو عليه، وهو لا يلتفت إليه إلا إذا كان له في ذكره غرض أما إذا لم يكن فلا يلوي على قوله ويسفهه حتى فيما ينقله، ويكفره فيما يعتقده إذا كان على خلاف هواه.

ومن مواضع تسفيهه الإمام أحمد مسألة الطلاق. فإن الإمام أحمد قال: الذي أخبرنا بأن الطلاق واحدة[٢] أخبرنا بأن الطلاق الثلاث ثلاث[٣] وعلى ذلك جرى الأئمة من جميع المذهب. فإذا كان الإمام أحمد غير ثقة فلمن يوثق[٤].

وقال أعنى ابن تيمية في الجواب عن المسألة المبسوطة (١١٣/أ): (والإمام أحمد أعلم الناس في زمانه بالسنة). وبالغ في الثناء عليه. فيالله العجب من هذا الأعمى البصيرة الذي لا يحس بتناقض كلامه كيف يجعل الإمام أحمد فيما له فيه غرض أعلم الناس بالسنة ويسفهه فيما لا غرض له فيه وهذا ونحوه مما يأتي في غير الإمام أحمد من أئمة الحديث، يعرفك ما في قلبه من الخبث وعماوة[٥] بصيرته وأنه لا عليه فيما يقوله، من[٦] فجوره وادعاء الإجماع على ما يقوله ويفتي به كهذه الفتوى مع شهرة الخلاف في المسألة حتى إنه مشهور في أشهر الكتب المتداولة بين الناس، وهو الشفاء، فإنه ذكر الخلاف

---

(١) في ط: نسبته نفسه.

(٢) في ج: واحد.

(٣) في ط: بأن الطلاق ثلاث.

(٤) في ب-ط: فمن يوثق. وفي ج: فبمن يوثق.

(٥) في ط: وعمى.

(٦) في ط: ومن.

بين مكة والمدينة وأن مالكاً وأكثر أهل المدينة قائلون بأن المدينة أفضل من مكة. وقال أهل مكة والكوفة: مكة أفضل.

ومحل الخلاف في غير الموضع الذي ضم سيد الأولين والآخرين ﷺ وأما هو فالإجماع منعقد على أنه أفضل من مكة وسائر البقاع، وممن حكى الإجماع القاضي عياض في الشفاء بعد أن حكى الخلاف في التفضيل بين مكة والمدينة فقال: ولا خلاف أن(١) موضع قبره أفضل بقاع الأرض. وكذا ذكره الإمام هبة الله في كتابه توثيق عرى الإيمان(1).

وذكر الإمام أبو زكريا يحيى النووي في شرح مسلم ذلك فقال: قال (١١٣/ب) القاضي عياض: أجمعوا على أن موضع قبره أفضل بقاع الأرض. وأقره على ذلك.

فسكوته الخبيث عن مثل ذلك يدل على خبث في باطنه في حق سيد الأولين والآخرين ﷺ.

---

(١) في ط: في أن.

---

(1) يقول العلامة المحدث محمد بن عبد الباقي الزرقاني في شرحه على الموطأ: «وقد اختلف السلف أي البلدين أفضل فذهب الأكثر إلى تفضيل مكة وبه قال الشافعي وابن وهب ومطرف وابن حبيب واختاره ابن عبد البر وابن رشد وابن عرفة. وذهب عمر وجماعة وأكثر أهل المدينة ومالك وأصحابه سوى من ذكر إلى تفضيل المدينة واختاره بعض الشافعية والأدلة كثيرة من الجانبين حتى قال الإمام ابن أبي جمرة بتساوي البلدين والسيوطي في (الحجج المبينة): «المختار الوقف عن التفضيل لتعارض الأدلة بل الذي تميل إليه النفس تفضيل المدينة» ثم قال: وإذا تأمل ذو البصيرة لم يجد فضلا أعطيته مكة إلا وأعطيت المدينة نظيره وأعلى منه» وجزم في خصائصه بأن المختار تفضيل المدينة ومحل الخلاف ما عدا البقعة التي ضمت أعضاءه ﷺ فهي أفضل إجماعا من جميع بقاع الأرض والسماوات كما حكاه عياض وغيره ويليها الكعبة فهي أفضل من بقية المدينة اتفاقا كما قال الشريف السمهودي وإليه يومئ كلام عمر بن الخطاب» . أ.هـ. من شرح الزرقاني على موطأ مالك ٤/٢٣٥ط. دار الجيل في شرحه لحديث رقم (١٧١٩) كتاب الجامع باب (جامع ما جاء في أمر المدينة) .

[ج- إشارته إلى عدم الاعتداد بقول عمر ﷺ]

وفي هذا[(١)] الفتوى رمز إلى عدم الاعتداد بقول عمر ﷺ فإنه ﷺ من القائلين بأن المدينة أفضل من مكة[(1)].

ويدل على ما قلته من الرمز تخطئته في الطلاق وعدم الاعتداد بذلك.

---

(١) في ج: وفي هذه.

---

(1) روى الإمام مالك في (الموطأ) في كتاب: الجامع- باب (٦٢١) جامع ما جاء في أمر المدينة حديث رقم (١٧١٩):

« عَنْ يَحْيَى بْنِ سَعِيدٍ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ الْقَاسِمِ أَنْ أَسْلَمَ مَوْلَى عُمَرَ ابْنِ الْخَطَّابِ أَخْبَرَهُ أَنَّهُ زَارَ عَبْدَ اللهِ بْنَ عَيَّاشِ الْمَخْزُومِيِّ فَرَأَى عِنْدَهُ نَبِيذًا وَهُوَ بِطَرِيقِ مَكَّةَ فَقَالَ لَهُ أَسْلَمُ إِنَّ هَذَا الشَّرَابَ يُحِبُّهُ بْنُ الْخَطَّابِ فَحَمَلَ عَبْدُ اللهِ بْنُ عَيَّاشٍ قَدَحًا عَظِيماً فَجَاءَ بِهِ إِلَى عُمَرَ ابْنِ الْخَطَّابِ فَوَضَعَهُ فِي يَدَيْهِ فَقَرَّبَهُ عُمَرُ إِلَى فِيهِ ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ فَقَالَ عمرُ إِنَّ هذَا لشَرَابٌ طَيِّبٌ فَشَرِبَ مِنْهُ ثُمَّ نَاوَلَهُ رَجُلاً عَنْ يَمِينِهِ فَلَمَّا أَدْبَرَ عَبْدُ اللهِ نَادَاهُ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ فَقَالَ أَأَنْتَ الْقَائِلُ لَمَكَّةُ خَيْرٌ مِنَ الْمَدِينَةِ فَقَالَ عَبْدُ فَقُلْتُ هِيَ حَرَمُ اللهِ وَأَمْنُهُ وَفِيهَا بَيْتُهُ فَقَالَ عُمَرُ لاَ أَقُولُ فِي بَيْتِ اللهِ وَلاَ فِي حَرَمِهِ شَيْئاً ثُمَّ قَالَ عُمَرُ أَأَنْتَ الْقَائِلُ لَمكَّةُ خَيْرٌ مِنَ الْمَدِينَة قَالَ فَقُلْتُ هِيَ حَرَمُ اللهِ وَأَمْنُهُ وَفِيهَا بَيْتُهُ فَقَالَ عُمَرُ لاَ أَقُولُ فِي حَرَمِ اللهِ وَلاَ فِي بَيْتِهِ شَيْئاً ثُمَّ انْصَرَفَ » أ.هـ.

وهذا إسناد صحيح. يقول الإمام الزرقاني في شرحه للحديث: « (فلما أدبر) ولى (عبد الله ناداه) دعاه (عمر بن الخطاب فقال أأنت) بهمزتين أولاهما للاستفهام (القائل لمكة) بلام التأكيد (خير) أفضل (من المدينة فقال عبد الله فقلت هي حرم الله وأمنه وفيها بيته) الكعبة وما أضيف لله خير مما أضيف إلى رسوله (فقال عمر لا أقول في بيت الله ولا في حرمه شيئا) يعني إن هذا ليس من محل الخلاف و لم أسألك عنه إنما سألتك عن البلدين (ثم قال عمر) ثانيا لينظر هل تغير اجتهاده إلى موافقة عمر في تفضيل المدينة (أأنت القائل لمكة خير من المدينة قال) عبد الله (فقلت هي حرم الله وأمنه وفيها بيته) الكعبة (فقال عمر لا أقول في حرم الله ولا في بيته شيئاً ثم انصرف) عبد الله و لم يتغير اجتهاد واحد منهما لموافقة الآخر. » أ.هـ.

وإذا كان هذا الرأي- تفضيل المدينة على مكة – ثابت ومشهور عن سيدنا عمر ﷺ ، فقول ابن تيمية: إن مكة أفضل بالإجماع، لا يعني إلا أن سيدنا عمر لا يعتدّ به في موضوع الإجماع وذلك طعن في تقواه وورعه أو في علمه وفقهه في رأي ابن تيمية !

[د- إشارته إلى الطعن في الصديق ﷺ وزعمه شرك من قال (الله ورسوله..) والرد على ذلك]

كما رمز إلى تكفير الصديق ﷺ في قوله في بعض تصانيفه: من قال الله ورسوله[١] في أمر يلحقه فإنه يكون مشركاً. فإن الصديق ﷺ لما قال النبي ﷺ: «ما أبقيت لأهلك؟» قال: «أبقيت لهم الله ورسوله».[1] ويؤيد ما قلته ما هو مشهور في كتبه وعند أتباعه لا ينبغي أن ينسب إلى غير الله تعالى ضر ولا نفع، ولا أنه يغني وهذا من الدسائس أيضاً فإنه يلبِّس به على كثير من الناس لا سيما الضعفاء في العلم وأصحاب الأذهان الجامدة فهي كلمة حق أريد بها باطل وقد قال الله تعالى في كتابه العزيز: ﴿وما نقموا إلا أن أغناهم الله ورسوله من فضله﴾ [2] وقال تعالى: ﴿وقالوا حسبنا (١١٤/أ) الله سيؤتنا الله من فضله ورسوله﴾ [3] وغير ذلك، فهذا نص القرآن العظيم على مثل هذا القول [الذي][٢] يقولون إنه شرك ففي قولهم قدح في القرآن وفي رسول الله ﷺ لإقراره الصديق ﷺ على هذا القول الذي [هو] شرك[٣].

وهذا منهم كفر بيقين لأنه واجب وحتم لازم على كل أحد أن يؤمن بالقرآن وبما جاء به سيد الأولين والآخرين ﷺ عن رب العالمين من غير شك

(١) في ب: من وإلى الله ورسوله في أمر.

(٢) في أ-ب: الذين. وفي ط: القول في الذي.

(٣) في أ: الذي شرك.

---

(1) سنن الترمذي كتاب المناقب باب (١٦ في مناقب أبي بكر وعمر رضي الله عنهما كليهما. قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

(2) الآية ٧٤، من سورة التوبة.

(3) الآية ٥٩، من سورة التوبة ونصها: « ولو أنهم رضوا ما آتاهم الله ورسوله وقالوا حسبنا الله سيؤتينا الله من فضله ورسوله إنا إلى الله راغبون » .

ولا ارتياب قال الله تعالى: ﴿ومن لم يؤمن بالله ورسوله فإنا أعتدنـا للكـافرين سعيراً﴾ [1] وقال تعالى ﴿وأطيعوا الله وأطيعوا الرسـول﴾[2] وقـال ﴿فـآمنوا بـالله ورسوله﴾ [3] جمع بينهما بواو العطف للشركة، ولا يجـوز هـذا في حـق غـيره عليه الصلاة والسلام.

ولما خطب عليه الصلاة والسلام أم سلمة رضي الله عنها فاعتذرت إليـه بأعذار منها (وأنا موتم مرمل[١] في أربعة من الولد) فقال لهـا من جملـة قولـه: «وأما ولدك فهم ولد أخي أبي سلمة، وهم على الله وعلى رسوله» [4].

وقال تعالى: ﴿إنما وليكم الله ورسوله﴾[1].

---

(١) في ط: مرملة.

---

(1) الآية ١٣ ، من سورة الفتح.

(2) الآية ٩٢ ، من سورة المائدة، والآية ١٢ من سورة التغابن .

(3) الآية ١٥٨ ، من سورة الأعراف، والآية ٨، من سورة التغابن ونظـير ذلـك أيضاً قولـه تعالى ﴿ آمنوا بالله ورسوله ﴾ الآية ١٣٦، من سورة النساء. والآية ٧، من سورة الحديد .

(4) للحديث روايات عدة وبألفاظ متقاربة منها ما أخرجه الإمام أحمد في مسنده ٣٠٧/٦ حديث رقم (٢٦٦٧٥) من طريق حبيب بن أبي ثابت بإسناد حسن لغيره وفيه: « ... وأما العيال فإلى الله ورسوله ... » وأخرجه البيهقي في (دلائل النبوة) من هذا الطريق وروى الإمـام أحمـد في مسنده متابعة أخرى ٣٢٠/٦ حديث رقم (٢٦٧٧٧) من طريق عبـد العزيـز ابـن بنـت أم سـلمة وفيها « ... هم إلى الله وإلى رسوله ... » وأخرى بنفس الإسناد: « ... هم إلى الله ورسوله ..» ٣٢١/٦ حديث رقم (٢٦٧٧٨).

(1) الآية ٥٥، من سورة المائدة .

[رد ابن تيمة على الرافضي ورمز ابن رجب إلى اعتقاد ابن تيمية تناسخ الأرواح]

واعلم أن ما ذكرته من الرمز إلى الصديق والفاروق رضي الله عنهما وأن فيه إشعاراً بأنه رافضي هو كذلك. وفي الرد على (١١٤/ب) الرافضي لـه[(1)] أنه رافضي[(١)] وهذا نبه عليه الشيخ زين الدين القرشي[(2)] .

---

(١) في ط: وفي الرد على الرافضي أنه رافضي.

---

(1) يشير إلى كتاب (منهاج السنة النبوية) الذي ألفه ابن تيمية في الرد على ابن المطهر الحلّي من علماء الشيعة ويقول ابن حجر عن هذا في لسان الميزان: «طالعت الرد المذكور فوجدته كما قال السبكي في الاستيفاء لكن وجدته كثير التحامل إلى الغاية في رد الأحاديث التي يوردها ابن المطهِّر وإن كان ذلك من الموضوعات والواهيات، لكنه ردّ في ردِّه كثيراً من الأحاديث الجياد.. » وقال: «وكم له من مبالغة لتوهين كلام الرافضي قادته أحياناً إلى تنقيص على ﷺ» انظر ترجمة الحسين بن يوسف بن المطهّر الحلي في لسان الميزان. قلت: بل وصل به الأمر إلى تشبيه غضب السيدة فاطمة بنت رسول الله ﷺ - عندما منعها أبو بكر ميراثها في فدك- بأنه من جنس فعل المنافقين الذين إذا أعطوا منها رضوا وإذا لم يعطوا إذا هم يسخطون، عامله الله بما يستحق. ويشير المؤلف رحمه الله إلى احتمال -وإن كان بعيداً- أن يكون ابن تيمية رافضيا يخفي عقيدته لعدة أمارات:

١- بغضه الشديد لأبي بكر الصديق ولعمر رضي الله عنهما حتى كان يقول: وكم لعمر من بليات في الإسلام وأي بليّات!

٢- موافقته لرأي الشيعة في بعض الآراء الفقهية مثل الطلاق وتسفيهه آراء أهل السنة فيه بل كان يزعم أنها من ابتداع عمر بن الخطاب في الدين.

٣- لما ذكر ابن المطهِّر في كتابه أن أهل السنة مشبهة ومجسمة ويقولون بحلول الحوادث في الذات الإلهية ويبغضون أهل البيت، بذل ابن تيمية كل جهده في (منهاج السنة) لإثبات أن التشبيه والتجسيم ... إلخ حق ولم يبرئ أهل السنة من هذه التهم فكأنه هو وابن المطهِّر تعاونا في إلصاق هذه التهم بأهل السّنة!

(2) هو الإمام الحافظ الفقيه الواعظ المفسر زين الدين عمر بن مسلم بن سعيد أبو حفص القرشي الدمشقي الشافعي المذهب.

= ولد سنة ٧٢٤هـ أخذ عن الشيخ علاء الدين حجي، وأخذ علم الأصول عن بهاء الدين الإخميمي، واشتغل في الحديث. قال الحافظ شهاب الدين ابن حجي برع في علم التفسير وأما علم الحديث فكان حافظاً للمتون عارفا بالرجال وكان سمع الكثير من شيوخنا وله مشاركة في العربية أ.هـ وكان مشهوراً بقوة الحفظ ودوامه، كثير الإنكار على أرباب الشبه شجاعاً مقداماً كثير المساعدة لطلبة العلم يقول الحق على من كان من غير مداراة في الحق ولا محاباة.

توفي معتقلا في قلعة دمشق سنة ٧٩٢هـ.

والشيخ زين الدين ابن رجب الحنبلي[1].

نعم وقفت على مصنف لطيف له ولم يتمه[١] وفيه ما يدل على ما قالاه وفي هذا الكتاب رمز إلى أنه من القائلين بتناسخ[٢] الأرواح[2]. وبعض أتباعه الذين هم رؤس[٣] في التبعية يقع منه ما يدل على ذلك والله أعلم.

(١) في ط: ولم يتم.

(٢) في ج: بنسخ.

(٣) في ظ: رسل.

---

(1) هو الإمام الحافظ الفقيه الواعظ زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب البغدادي ثم الدمشقي الحنبلي. صنف (شرح الترمذي) و(شرح علل الترمذي) و(طبقات الحنابلة) وغير ذلك.

قالوا: كان لا يعرف شيئاً من أمور الناس ولا يتردد إلى ذوي الولايات.

توفي في رجب سنة ٧٩٥ هـ.

(2) ربما يكون قد تأثر ببعض أهل الكتاب ففي إنجيل مرقس أن عيسى عليه السلام قال للحواريين: « من أنا في نظر الأميين من بني إسرائيل؟ فأجابوه بأن فريقا منهم يقول إن في جسدك روح إلياس وفريقا يقول: روح نبي من الأنبياء القدماء، وفريقا يقول: روح يحيى بن زكريا» (مرقس ٨: ٢٧-٣٠) أو يكون قد تأثر بالروافض كما يفهم من سياق كلام المؤلف، يقول العلامة السيد/ مرتضى الزبيدي في كتابه (إتحاف السادة المتقين) ٢٩٢/٢ط. العلمية: « .. وصار جماعة من غلاة الروافض وغيرهم إلى التزام التناسخ، وقالوا إنما حسن ذلك من حيث استحقته بجرائم سابقة اقترفتها في غير هذه القوالب، فنقلت إلى هذه القوالب عقوبة لها. ومن أصولهم أنها مدركة عالمة بما هي فيه من العقوبة على الزلات » أ.هـ وقد سبق هؤلاء جميعاً في الزعم بتناسخ الأرواح أتباع الديانة الهندوسية فإنها جزء من عقائدهم الأساسية وربما كان منشأ هذه الملاحظة على ابن تيمية زعمه هو وتلميذه ابن القيم أن هذه الأجساد الدنيوية للبشر تفنى إلى غير رجعة وأن إعادة المعدوم مستحيلة – هذا ظاهر كلام ابن القيم في النونية- وأنها غير معقولة بل البعث عندهما لا يتضمن جمع المتفرق من كل جسد بل هو إنشاء جديد تماما لأجساد أخرى تماما تحلها أرواح البشر هذا هو الثابت من كلامهما وقد يكون الإمام ابن رجب الحنبلي قد اطلع على نصوص أخرى بالإضافة إلى هذا وإليك ما ذكره العلامة الشيخ محمد الحافظ التيجاني حول تناسخ الأرواح ثم ما ذكره ابن القيم حول نفي إعادة المعدوم ورد السبكي عليه: يقول العلامة الشيخ محمد الحافظ التيجاني في كتابه (**أهل الحق العارفون بالله**): « الثيوصوفيزم – الروحانية الحديثة في أوروبا: ومن مبادئهم الاعتراف بالخالق وبخلود الروح والقول بتناسخ الأرواح. =

= وهذه العقيدة مستمدة من عقائد الهندوس. فإن الكائنات- وفقا لتعاليم الفيدا- الكتاب الذي يقدسونه- نشأت من الله، وإلى الله سوف تعود بواسطة الترقي والنشوء الدائم. والنفس عند انفصالها من هذا الجسد الفاني لا تفقد كل جسمانية ولا تتضعضع في نفس الكون العظيمة بل يبقى لها جسم مجيد كجسم الآلهة مصوغ من الله- وهذا هو الشفع السري- أي النفس التي هي شرارة أو شعاع من النار الإلهية مع جسمها اللطيف الفائق البهاء- يلبث دائماً مستعداً للاتحاد بجسد جديد منظور عندما تضطره إلى ذلك شريعة الكائن الأسمي أ.هـ ملخصا من تعاليم الهندوس.

وجعلوا التجسدات الأرضية للأرواح كمدرسة تتهذب فيها بإرشاد الأرواح التي كمل تطهيرها، وهم يدعون إلى مكارم الأخلاق كدعوة الأديان. ويزعمون أن هذا هو المقصود من البعث الذي جاءت به الأنبياء. ويجعلون الجزاء حاصلا في هذه التجسدات الأرضية.

ويستدلون على ذلك بما ينقلونه من أخبار من يستحضرون أرواحهم.

وهذا الدليل غير موثوق به. فقد ثبت لديهم أن بعض تلك الأرواح التي يقومون باستحضارها تكذب عليهم وتضللهم.

ولو كان الأمر كما يدعون، لكان سادة الخلق من الرسل والأنبياء والصديقين والشهداء والصالحين وحاشاهم من ذلك – مستحقين للعذاب في هذه النشأة الأرضية لأنهم أشد الناس بلاء فيها.

وأعجب ممن يأخذ بخبر غير المعصوم، ويترك خبر المعصوم الذي شهد له الحق تبارك وتعالى بالصدق والأمانة والكمال. ولو كان هذا حقا لما أخفاه الأنبياء- وهم المعصومون عليهم الصلاة والسلام، ولأوضحوه للناس. قال تعالى ﴿ وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم ﴾ .

وقد ثبت أن كفار قريش أنكروا البعث وقالوا ﴿ أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا لمبعوثون ﴾ .

﴿ وضرب لنا مثلا ونسى خلقه قال من يحيى العظام وهي رميم، قل يحييها الذي أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم ﴾ .

فقد استبعد الكفار إحياء هذه الأجساد البالية المختلطة بالتراب أما كون الروح تتخذ جسداً آخر غير الجسد البالي فليس هذا هو موطن النزاع بين الكفار وبين رسول الله ﷺ .

ولو قال لهم الرسول ﷺ إن الحشر للأرواح مجردة عن أجسادها، أو متشحة بأجساد أخرى غير هذه الأجساد التي بليت، لما كان هناك ما يدعو لإنكارهم.

وأي داع لأن يرسل الرسول بتناسخ الأرواح، فيعطي قومه صورة غير الحقيقة التي أرسل بها، مع أنه هاد إلى الحق بعيد عن الضلال؟ لاسيما وهم يستبعدون الصورة التي جاء بها. وهو مأمور بتبليغ ما أنزل إليه كما هو. وكذلك الأنبياء السابقون لم يدعوا قومهم إلى القول بالتناسخ.

وكل ما جاء به أهل التناسخ من كلامهم لا يعد دليلا على التناسخ. والأنبياء جاؤوا جميعاً بعقيدة واحدة صريحة ليس فيها لبس ولا غموض. =

= ومن زعم أن الأجساد إذا اختلطت بالتراب صارت زرعا، فأكله الناس واختلط بأجسامهم، فلا يستطاع حشرها لأنها إما أن تكون في جسد إنسان، أو في جسد آخر أو آخر متفرقة في أناس على طول الأزمان، فقد تعجل الحكم و لم يتحر الحقيقة، فإن القدرة المطلقة في مكنتها أن تحفظ كل جسد من الاختلاط المؤدي للصورة التي يحيلها خيال أولئك القوم وإن لم يشعروا.

ومن ذلك ، أن يختص البعث بخلاصة من كل جسم، لا تعدو عليها المؤثرات، كما صح عنه ﷺ أن الله عز وجل يحفظ عجب الذنب من البلى، رواه البخاري ومسلم في الصحيح. وكما حفظ عجب الذنب يحفظ غيره.

ومن شارك الكفار في جهلهم بالقدرة الإلهية، وزعم أن الحق سبحانه لا يقدر على إعادة هذه الأجساد وبعثها بعد أن صارت رفاتا وعظاما، فحكمه حكمهم.

وهب أن إنسانا أكل إنسانا- كما يروى عن نيام نيام- أفليس من الممكن أن يعوض الله الجسد بطريق من طرق الغذاء من ملكه الواسع، وينزل ذلك الجسد المأكول بغير أن يختلط بجسد الآكل؟

من شك في أن القدرة صالحة لذلك فهو جاهل بسعة القدرة كافر بربه، وكل ما في الأمر أن يتطلب ذلك خرق عادة – فيا سبحان الله – ومن رب العادات وخوارق العادات؟

إن الحق سبحانه لا يعجزه شيء، ﴿ ويخلق مالا تعلمون ﴾ . قال تعالى: ﴿ قل كونوا حجارة أو حديداً، أو خلقا مما يكبر في صدوركم، فسيقولون من يعيدنا؟ قل الذي فطركم أول مرة ﴾ ، ﴿منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى﴾ ، ﴿ ومن آياته أن تقوم السماء والأرض بأمره، ثم إذا دعاكم دعوة من الأرض إذا أنتم تخرجون﴾ .

وأهل التزكية – الصوفية المسلمون- يؤمنون بالبعث كما جاء بالكتاب والسنة، وينبذون تلك الدعاوي التي لم ينزل الله بها سلطانا، ويردون القول بتناسخ الأرواح » أ.هـ ص ٧٦-٨١.

وجاء في السيف الصقيل:

(استنكار الناظم إعادة المعدوم .... إلخ) يشير بالناظم إلى ابن قيم الجوزية.

قال: « وقضى الله بأن يجعل خلقه عدما ويقلبه وجوداً ويعيد ذا المعدوم. هذا المعاد وذلك المبدأ لذى جهم وقد نسبوه للقرآن هذا الذي قاد ابن سينا والألى قالوا مقالته إلى الكفرأن لم تقبل الأذهان ذا، وتوهموا أن الرسول ﷺ عناه بالإيمان، هذا كتاب الله أنى قاله أو عبده أو صحبه أو تابعه، بل صرح الوحي بأنه مغير الأكوان وتحدث الأرض وتشهد أفيشهد العدم » . هذا كلام ابن القيم في القصيدة النونية.

يقول الإمام السبكي: أجمع المسلمون على أن الله قادر على أن يعدم الخلق ثم يعيده وعلى أن إنكار ذلك كفر وجمهور المسلمين على أن الواقع ذلك لقوله تعالى ﴿كل من عليها فان ﴾ و ﴿ كل شيء هالك إلا وجهه ﴾ وقيل إن الأجسام تتفرق ثم تعاد وقوله ﴿أفيشهد العدم ﴾ أنحن قلنا تشهد وهي عدم إنما تشهد بعد الإعادة فانظر كلام هذا الجاهل وقوله ﴿لم تقبل الأذهان ذا ﴾ إن كان ينكر=

= إمكانه ﴿وكونه مقدوراً لله﴾ فهو كافر وإن لم ينكر إلا وقوعه فهو مذهب ضعيف. ثم قال « هذا الذي جاء الكتاب وسنة الهادي به، ما قال إن الله يعدم خلقه طرا كقول الجاهل الحيران » أقول قد قال تعالى ﴿ كما بدأنا أول خلق نعيده ﴾ ولو كانت الإعادة جمع الأجزاء بعد تفريقها أو الإتيان بغيرها لم تنطبق على الآية فإن الآية تقتضي أن جميع ما بدأ به الخلق يعيده وإنما يكون كذلك إذ أعدمه ثم أعاده بعينه، والله قادر على ذلك وقال تعالى ﴿وهو أهون عليه ﴾ وإنما كان أهون بالنسبة إلى الشاهد لأن الإعادة في الشاهد فعل على مثال وهو أهون من الابتداء لأنه فعل على غير مثال مع اشتراكهما في الإخراج من العدم إلى الوجود. وعند هذا المتخلف ما أخرج المعاد من العدم إلى الوجود بل من صفة إلى صفة يتعالى الله عن قوله **فهذا القول منه بما دل عليه من أن الإبراز من العدم إلى الوجود في الإعادة غير مقدور، كفر إلا إذا تأول على الوقوع مع الموافقة على الإمكان وليس ظاهر الكلام ففي قبول قوله إذا ادعاه نظر لأن هذا يتكرر وتكرير هذه الأمور يشبه الزندقة»** أ.هـ من السيف الصقيل للإمام تقي الدين السبكي طبعة زهران ص ٣١-٣٢ وأشار العلامة الإمام محمد زاهد الكوثري إلى أن ابن تيمية وتلميذه ابن القيم لا يقولان بإعادة المعدوم بل ولا جمع المتفرق من الأجساد أي أن البعث يوم القيامة سيكون بإحلال أرواح الخلائق في أجساد جديدة لا علاقة لها بأجسادهم في الدنيا، وليت شعري هل هناك من فرق بين كلامهم هذا وما فعله أمية بن خلف لعنه الله- عندما أتى إلى النبي ﷺ وفي يده عظم رميم وهو يفته ويذروه في الهواء وهو يقول: يا محمد أتزعم أن الله يبعث هذا؟ قال ﷺ : « نعم يميتك الله تعالى ثم يبعثك ثم يحشرك إلى النار » ونزلت الآيات من آخر يس وروى أيضاً أن العاص بن وائل أخذ عظما من البطحاء فته بيده ثم قال لرسول الله تعالى عليه وعلى آله وسلم:

أيحيى الله هذا بعدما أري؟ فقال ﷺ: « نعم يميتك الله ثم يحييك ثم يدخلك جهنم » فهؤلاء أئمة الكفر لم ينكروا خلق أجساد جديدة بل أنكروا إعادة المعدوم. ووجه آخر ذكره شيخنا د. إبراهيم عبد الرحمن: لو كان البعث هو مجرد أجساد جديدة لا علاقة لها بالأجساد المعدومة فكيف تشهد الأعضاء المذكورة في القرآن على صاحبها بأنها كانت تفعل كذا وكذا؟ وهل يقبل الله تعالى شهادة الأعضاء والجوارح على أصحابها وهي شهادة زور في هذه الحالة؟ وللعلم فإن ابن القيم أفرد فصلا كاملا في القصيدة النونية لهذا الموضوع.

ملحوظة:

سبقت الإشارة في مقدمة الكتاب إلى ما ذكره الحافظ ابن طولون من أن كثيرين قد سمعوا ترديد أتباع ابن تيمية لهذا الرأي الخطير- تناسخ الأرواح- سراً ونقلوه للحصني مما دعاه لتصنيف هذا الكتاب، بالإضافة إلى تبني ابن القيم وشيخه كما أسلفنا لآراء تمهد لذلك وتعتبر مدخلاً له.

وبالجملة فقد ثبت أن من عقائد ابن تيمية وخواص تلاميذه، أشياء لا يتداولونها إلا مع من يثقون به كعقيدتهم في جلوس النبي ﷺ مع رب العزة- تعالى عما يقولون- على العرش يوم القيامة، ولكن ليس تحت أيدينا نص صريح لهم في موضوع التناسخ.

ومن الأمور الخبيثة التي وقفت عليها في فتاويه ما فيه أن بعض المكاسين مثاب في وظيفة المكس، بل أبلغ من ذلك وأقبض عنان الكلام فيه لما أخشى مما يترتب على التصريح من أهل المكس وتجرئهم عليه، وقرر ما قاله بتقرير مقبول في شق وأهمل الآخر، فلما وقفت على ذلك قب بدني وهجت على الكلام في ذلك.

وكان شخص من الحنابلة يدعى بعلاء الدين بن اللحام البعلبكي[1] وكان عندهم عظيماً، وصنف في مذهب الإمام فأتيته وهو في حلقته[(١)] في الجامع الأموي، وهم يقرءون عليه في بعض مصنفاته، فسألته عن شيء يتعلق بمسألة تقرأ عليه في كتابه فما أجاب، ثم أخرى فما أجاب. ثم قلت: ما هذه المسألة التي ذكرها الشيخ تقي الدين بن تيمية في المكس. فقال وشرع يقرر ما قرره ابن تيمية. فأخذت الشق (١١٥/أ) الآخر وقررته فسكت، ولم يحر[(٢)] جواباً . فقلت: يلزم أحد شيئين: إما بطلان ما قاله، أو تكفيره. فقال: هذه المسألة ما هي في فتاويه وأنا اختصرتها.

فهذه قاعدة من قواعدهم يبحثون مع الخصم فإن ظفروا به فلا كلام وإن ظفر بهم قالوا هذه ما هي في كلامه. فهم خلف إمامهم في المكر والخديعة والكذب وقد خاب من افترى. والله أعلم.

---

(١) في ط: حلقة.

(٢) في ج: يجز وفي (أ) يحر وعليها تعديل وكأنه كتب أولاً يجيز أو (يجد). وفي ط: يجد.

---

(1) هو: علي بن محمد بن علي بن عباس بن فتيان البعليّ ثم الدمشقي ويعرف بـ (ابن اللَّحَّام) وهي حرفة أبيه. برع في مذهبه ودرَّس وأفتى وصار شيخ الحنابلة بالشام مع ابن مفلح. وهو الذي جمع اختيارات وفتاوى ابن تيمية ورتَّبها وحرَّرها. قدم القاهرة بعد الكائنة العظمى بدمشق فسكنها توفى سنة ٨٠٣ هـ بعد أن جاوز الخمسين.

[و- تفرقة ابن تيمية في احترام النبي ﷺ بين حياته ووفاته ونقد الأئمة له]

ومن الأمور المنتقدة عليه: وهو من أقبح القبائح وأشر[١] الأقوال وأخبثها مسألة التفرقة التي أحدثها[٢] غلاة المنافقين من اليهود (1) .

وغضُّوا من[٣] النبي ﷺ، واستمر عليها أتباعهم الذين يظهرون الإسلام وقلوبهم منطوية على بغض النبي ﷺ و لم يقدروا أن يتوصلوا إلى الغض منه إلا بذلك.

---

(١) في ط: وشر.

(٢) في ج: أخذ بها.

(٣) في ط: وعصو أمر.

---

(1) وذلك أن نصوص التوراة والإنجيل لا تذكر حياة للموتى قبل يوم القيامة ولا تثبت لهم عذابا في القبر للأشقياء أو نعيما سواه للشهداء أو لغيرهم كما أثبت القرآن وقد ذهب بعضهم إلى فناء الأرواح بالموت.

يقول د. أحمد حجازي السقا في كتابه (حياة القبور):

« بينا أن الراسخين في العلم من أهل الكتاب لا يصرحون بعذاب في القبر وذلك لأن النصوص المحكمة في كتبهم تنفيه نفيا باتاً ومنها (وكما وضع للناس: أن يموتوا مرة ثم بعد ذلك الدينونة) ومنها: (نسمة حياة) ومنها: ﴿ تنزع أرواحها فتموت وإلى ترابها تعود، ترسل روحك فتخلق وتجدد وجه الأرض ﴾ (مزمور ١٠٤: ٢٩- ٣٠) » أ.هـ ص ١١٣.

ويقول في ص ١٦٤: « ولا تصرح التوراة ولا يصرح الإنجيل بحياة للشهداء في القبور ليتمتع الشهداء بالنعيم وذلك واضح من مزمور ٦، ٣٠، ٨٨، ١١٥.

﴿ إذ وجودهم في القبور سبات وهم لن يسبِّحوا الله فيها ﴾ مزمور ١٣ ودانيال ١٢ » أ.هـ.

فهؤلاء المنافقون يحاولون إلصاق هذه النقائص التي وجدوها في كتبهم المحرَّفة برسول الله ﷺ وانظر (حياة القبور) للدكتور أحمد حجازي السقا صفحات ٥٣، ١١٣، ١٢٠، ١٢٢، ١٦٤.

وقد تابع ابن تيمية- أو على أقل تقدير تأثر بشدة – باليهود في :

١- التشبية والتجسيم.

٢- زعمه قيام الحوادث بالذات الإلهية.

٣- زعمه فناء النار.

٤- التفرقة بين حياة النبي ووفاته.

٥- زعمه عدم عصمة الأنبياء.

وقد ذكر المسألة الأئمة الأعلام فأذكر بعض كلامهم منه[١] ثم أعود إلى تتميمه مستدلا[٢] بأمور سمعية وغيرها تفيد جلالته وعظمته[٣] وحياته في قبره ﷺ وبقاء حرمته على ما كان عليه في حياته ويقطع الواقف عليها أو على بعضها بأن القائلين بالتفرقة من أغالي[٤] أهل الزيغ والزندقة، وأن ابن تيمية كما قاله بعض الأئمة الأعلام – الذي كان يوصف بأنه بحر في العلم(1). –

(١) في ط: فيها.

(٢) في ب: تتمية مشيدة.

(٣) في ط: وعظامته.

(٤) في ط: من متغالي.

---

(1) أظن أنه يشير إلى الشيخ الإمام محمد بن عمر بن مكي بن عبد الصمد صدر الدين بن المرحِّل يقول عنه ابن السبكي في طبقات الشافعية: « كان إماما كبيراً بارعاً في المذهب والأصلين يضرب المثل باسمه فارساً في البحث نظاراً مفرط الذكاء عجيب الحافظة كثير الاشتغال.. وله مع ابن تيمية المناظرات الحسنة وبها حصل عليه التعصب من أتباع ابن تيمية وقيل فيه ما هو بعيد عنه وكثر القائل فارتاب العاقل.

كان الوالد رحمه الله يعظم الشيخ صدر الدين ويحبه ويثني عليه بالعلم وحسن العقيدة ومعرفة الكلام على مذهب الأشعري... وذكره القاضي شهاب الدين بن فضل الله في تاريخه فقال: « إمام له نسب في قريش أعرق وحسب في بني عبد شمس أشرق وعلم **لو أن البحر شطا شبهه لأغرق** وفهم لو أن الفجر سطع نظيره لأحرق... » . أ.هـ طبقات الشافعية الكبرى ٩/٢٥٤

يقول ابن حجر عنه في الدرر الكامنة: « ... وكان لا يقوم بمناظرة ابن تيمية أحد سواه حتى إنهما تناظرا يوما بالكلاسة فاستشهد ابن تيمية ببعض الحاضرين فأنشد الصدر في الحال:

إن انتصارك بالإخوان من عجب وهل رأى الناس منصوراً بمنكسر؟

شرع في شرح الأحكام لعبد الحق فكتب منه ثلاث مجلدات **دالات على تبحره في الحديث والفقه والأصول**. وكان تقي الدين السبكي يعظمه ويثني عليه ويسميه فاضل عصره » أ.هـ ٤/٢٣٤ ط. دار الكتب الحديثة.

يلاحظ أن الخوارج المنتسبين زورا إلى مذهب الإمام أحمد من أشد الناس كذبا وتلفيقا للتهم لتشويه خصومهم والذي لا يستطيعون نعته بالجهل وعدم المعرفة يسلكون معه سبيلا آخر باتهامه بعظائم الذنوب تنفيراً للناس من متابعته أو النظر في كلامه أو إعفاء لأنفسهم من مهمة الرد على حجج الحق التي يبديها.

فنراهم يحاولون اتهام الإمام الكبير والعلم الشهير سيف الدين الآمدي بترك الصلاة لأن جريمته أنه سمع منهم في أول حياته ثم هداه الله وشرح صدره للحق فغادر مذهبهم وتبرأ من عقائدهم وهذا ابن المرحل يتهمونه بأنه سكير عربيد ويقدمون من أراذلهم الواحد تلو الآخر ليشهد على ذلك محاولين إزاحته من طريقهم وقد حاولوا ذلك بإصرار مع تاج الدين السبكي أيضاً.

يقول عنه أنه زنديق مطلق[١]. وسبب قوله ذلك أنه تتبع[٢] كلامه (١١٥ /ب) فلم يقف له على اعتقاد، حتى أنه في مواضع عديدة يكفر فرقة ويضللها، وفي موضع آخر يعتقد ما قالته أو بعضه. مع أن كتبه مشحونة بالتشبيه والتجسيم والإشارة إلى الازدراء بالنبي ﷺ والشيخين وتكفير عبد الله بن عباس ﷺ وأنه من الملحدين وجعل عبد الله بن عمر رضي الله عنهما من المجرمين وأنه ضال ومبتدع[٣] ذكر ذلك في كتاب له سماه (الصراط المستقيم والرد على أهل الجحيم) وقد وقفت في كلامه على المواضع التي كفر فيها[٤] الأئمة الأربعة.

وكان بعض أتباعه يقول أنه أخرج زيف الأئمة الأربعة يريد بذلك إضلال هذه الأمة لأنها تابعة لهذه الأئمة في جميع الأقطار والأمصار وليس وراء هذا زندقة.

ولنرجع إلى قول بعض الأئمة ومنهم:

الإمام العلامة شيخ شيوخ وقته[٥] أبو الحسن على القونوي. قال بعد ذكره أشياء لا أطول بذكرها: وفيها دلالة على أن التوسل بالنبي ﷺ في الحاجات بعد وفاته كالتوسل به في حال حياته.

ثم قال: وهذا وأمثاله يرد على هؤلاء المبتدعة الذين نبغوا في زماننا ومنعوا التوسل برسول الله ﷺ وقد جمع بعضهم كلاماً يتضمن نفي علمه[٦] ﷺ (١١٦ /أ) بعد الوفاة، ونقل طائفة منهم التفرقة بين حال حياته وحال

---

(١) في ط: وأن ابن يتمية الذي كان يوصف بأنه بحر في العلم، لا يستغرب فيه ما قاله بعض الأئمة عنه من أنه زنديق مطلق.

(٢) في ج: يتبع.

(٣) في ج-ط: ضال مبتدع.

(٤) في ب: منها. وهو خطأ.

(٥) في ج: الشيخ شيوخ وفيه أبو الحسن. وفي ب ومنهم العلامة شيخ شيوخ.

(٦) في ط: عمله.

وفاته فقال: « والتفريق بين الحياة [والوفاة][١] كان ثابتاً عند الصحابة فلهذا استسقى أمير المؤمنين عمر بالعباس ولولا هذا التفريق الواضح عندهم لما عدل عمر - مع جلالته وكونه خليفة راشداً وكان يشاور أيضاً - عن قبر رسول الله إلى غيره » .

ثم قال[I] : هذا لفظ المبتدع الجاهل الذي قامت البينة عليه بأشياء من هذا القبيل وعُزِّر على ذلك التعزير البالغ بالضرب المبرح والحبس وغير ذلك في شهور سنة خمس وعشرين وسبعمائة بالقاهرة وهذا الكلام من التفرقة بين الحالتين والاستناد فيه إلى استسقاء عمر بالعباس ليس له وإنما هو لشيخه فإنه لما أظهر القول بنفي التوسل برسول الله ﷺ أورد عليه حديث الاستسقاء ففزع إلى التفرقة المذكورة ولا متشبث له في[٢] الحديث المذكور فإن عمر ﷺ لما[٣] قصد أن يقدم العباس ويباشر الدعاء بنفسه وهذا لا يتصور حصوله من غير الحي[٤].

وأما التوسل برسول ﷺ فلا نسلم أن عمر ﷺ تركه بعد موته وتقديمه[٥] العباس ليدعو للناس لا ينفي[٦] جواز التوسل به مع ذلك.

ثم قال: وهذا القول (١١٦/ب) الشنيع والرأي الخسيف[٧] الذي أخذ به[٨] هؤلاء المبتدعة من التحاقه ﷺ بعد موته بالعدم - حاشاه من ذلك - يلزمه أن لا يقال أنه رسول الله[٩] ﷺ اليوم وهو قول بعض الضلاّل.

---

(١) في أ - ب: سقطت كلمة (الوفاه).

(٢) في ط: ولا متشبث.

(٣) في ب-ط: إنما.

(٤) في ط: الحي، أي الحياة الدنيوية.

(٥) في ط: وتقديم.

(٦) في أ : لا بنفي.

(٧) في ط: السخيف.

(٨) في ج: في نفس المتن (أخذ به) وصححها الناسخ على الهامش به (أحدثها) وفي ب: أحدثه.

(٩) في ط: يلزمه أن يقال إنه ليس رسول الله.

(I) أي القونوي.

قال أبو محمد بن حزم في كتابه الملل والنحل: حدثت[١] فرقة مبتدعة تزعم أنّ محمد بن عبد الله ابن عبد المطلب[٢] ﷺ ليس هو اليوم رسول الله لكن كان رسول الله[٣] ﷺ. ثم قال « وهذه مقالة خبيثة مخالفة لله عز وجل ولرسوله ﷺ ولما عليه أهل الإسلام منذ كان أهل الإسلام إلى يوم القيامة.

قال[٤]: وإنما حملهم على الرأي[٥] الخبيث قولهم الآخر الخبيث أن الروح عرض والعرض يفنى أبداً و يحدث[٦] ولا يبقى وقتين. قال: فروح رسول الله ﷺ عند هؤلاء بطل ولا روح له الآن عند الله. وأما جسده ففي قبره تراب فبطلت نبوته ورسالته بموته عندهم، فنعوذ بالله من هذا القول فإنه كفر صراح لا تردد فيه.

ويكفي في بطلان هذا القول الفاحش الفظيع أنه مخالف لما أمر الله تعالى به ورسوله ﷺ واتفق عليه أهل الإسلام من الأذان في الجوامع والصوامع وأبواب المساجد جهاراً في شرق الأرض[٧] وغربها (١١٧/أ) كل يوم خمس مرات بأعلى أصواتهم قد قرنه الله تعالى بذكره أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً[٨] رسول الله. وكان يجب على قولهم أن يقال وأشهد[٩] أن محمداً كان رسول الله، وكذلك كان يجب أن يقال بين ثاني الشهادتين[١٠]

---

(١) في ب: وحدثت. وقد كتبت في ج: حديث. وهو خطأ من الناسخ.

(٢) في ط: ابن عبد المطلب ابن هاشم.

(٣) في ط: كان رسولاً.

(٤) في ط: ثم قال.

(٥) في ط: هذا الرأي.

(٦) في ط: أو يحدث.

(٧) في ط: الأراضي.

(٨) في ط: أشهد أن سيدنا محمداً.

(٩) في ط: كان يجب أن يقال على قولهم أشهد.

(١٠) في ب: أن يقول من يأتي بالشهادتين.

في الإسلام، وقد قال تعالى: ﴿ورسلاً قد قصصناهم عليك من قبل ورسلاً لم نقصصهم عليك﴾ [1] وقال تعالى: ﴿يوم يجمع الله الرسل﴾ [2] وقال تعالى: ﴿وجيء بالنبيين والشهداء﴾ [3] فسماهم الله عز وجل بعد موتهم في القيامة رسلاً(١) ونبيين والأصل الحقيقة. وكذلك أجمع المسلمون وجاء به النص أن كل مُصَلٍّ فرضاً أو نفلاً يقول في تشهده السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته، ولو كان بعد موته في حكم العدم لما صحت هذه المخاطبة هذا معنى كلام ابن حزم.

ثم قال[4]: إن ابن حزم أورد على نفسه إيرادات وأجاب عنها. قلت[5]: وقد حذفتها أنا لأجل الإطالة ولا تسع عقول العوام، وكثيرٍ ممن أشير إليه بالعلم أن يدركها ويدرك الجواب.

ثم قال[6]: وإنما أطلت النفس في هذه المسألة وإن كانت في غاية الوضوح لقرب العهد بهذيان من أظهر الخلاف فيها وأفسد به عقائد خلق كثير من العوام فلذلك استطردت(٢) في هذا المقام بما(٣) يتعلق بهذه المسألة هذا المقدار اليسير من الكلام وللمقال فيها مجال (١١٧/ب) واسع لكن إشباع القول في ذلك خارج عما نحن بصدده في هذا الكتاب والله تعالى أعلم.

---

(١) في ط: بعد موتهم رسلاً.

(٢) في ط: استطرقت.

(٣) في ب: مما.

---

(1) الآية ١٦٤، من سورة النساء.

(2) الآية ١٠٩، من سورة المائدة.

(3) الآية ٦٩، من سورة الزمر.

(4) أي: القونوي.

(5) القائل هو الحصني.

(6) القونوي.

وهذا الكتاب الذي أشار إليه ومنه نقلت يقال له (شرح التعرف لمذهب أهل التصوف)[1].

واعلم أرشدنا الله تعالى وإياك أيها الموفق المنزه المعظم سيد الأولين والآخرين ﷺ ولوزيريه الذين بهما[١] تَمَّ الدين ولسائر الصحابة ﷺ والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين. أن في هذا الذي ذكره هذه الأئمة[٢] كفاية لمن له أدنى فهم ودراية. إلاَّ أني وعدت بذكر شيء وخلف الوعد صعب شديد. فأنا أذكر[٣] نبذة يسيرة وأرجو من الله عز وجل حصول البركة فيها. وقد ذكرت في كتاب (تنبيه السالك على مظان المهالك) جملة كثيرة تتعلق بذلك وبغيره، وسقت فيها فتواه المطولة والجواب عما قاله، ذكرته في فصل[٤] الحج والله أعلم.

ثُمَّ من[٥] الأمور المهمة معرفة الإنسان حاله في التوفيق والخذلان فمن الخذلان عدم إيمان الإنسان بالآيات والنذر كما قال تعالى: ﴿وما تغني الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون﴾ [2] قيل المعنى لا تصل العقول الخالية عن التوفيق إلى سبيل النجاة وما يغنى ضياء العقل مع الخذلان إنما ينفع نور العقل مؤيداً بنور التوفيق (١١٨/أ) وعناية الأزل وإلا فإنه متخبط بإدراكه بعقله فإذا وعيت ما قلته ووقفت على بعض ما أذكره من الأدلة ولم تجد قلبك مؤمناً بها فاعلم أنك من أهل الخذلان ومرقوم في حزب الشيطان وتابع لأهل البدع عصاة الرحمن.

---

(١) في ط: ولذريته الذين بهم.

(٢) في ط: ذكره الأئمة.

(٣) في ب: أذكره.

(٤) في ج-ط: فضل.

(٥) في ط: ومن.

---

(1) انظر الورقات ١٤٢ حتى ١٤٥ من المخطوط وهو من محفوظات دار الكتب المصرية.

(2) الآية ١٠١، من سورة يونس.

قال كعب الأحبار: تجد الرجل يستكثر من أنواع البر ويحتاط في صنائع[1] المعروف ويكابد سهر الليل وشدة ظمأ الهواجر وهو مع ذلك لا يساوي عند الله عز وجل جيفة حمار. يشير إلى أهل البدع، وأجمع أئمة الإسلام على أنه يجب التباعد عن أهل البدع[2] والتبري منهم وأن لا يمكن[3] سمعه من ذي هوى.

لما صالح عمرﷺ أهل بيت المقدس وقدم عليه كعب الأحبار وأسلم فرح به عمر ﷺ[4] وبإسلامه قال له عمر ﷺ: هل لك أن تسير معي إلى المدينة وتزور قبر النبي ﷺ وتتمتع[5] بزيارته قال: نعم، يا أمير المؤمنين أفعل ذلك.

فهذا صريح في الندب إلى زيارة قبره عليه الصلاة والسلام وشد الرحل وإعمال المطي إليه والكلام على هذا يأتي إن شاء الله تعالى.

---

(١) في ط: صانع وصوبها المصحح بأنها صنائع.

(٢) في ط: من قوله وأجمع-إلى- البدع. ساقطة وغير موجودة.

(٣) في ط: بحيث لا يمكن.

(٤) في ج: فرح عمر ﷺ.

(٥) في ط: وتنتفع.

[فصل: فتوى ابن تيمية في تكفير من استغاث برسول الله ﷺ أو توسّل إلى الله به والرد عليها]

والغرض الآن بيان(١) زندقة من قال أن روحه عليه الصلاة والسلام فنيت وأن جسده صار تراباً وبيان زيغ ابن (١١٨/ب) تيمية وحزبه في جواب الفتوى الذي زعم أنه سئل عنها فقال في جوابه: الحمد لله رب العالمين من استغاث بميت أو غائب من البشر بحيث يدعوه في الشدائد والكربات ويطلب منه قضاء الحاجات فيقول: يا سيدي الشيخ فلان أنا في حسبك أو في جوارك أو يقول عند هجوم العدو عليه: يا سيدي فلان يستوحيه(٢) أو يستغيث به أو يقول نحو ذلك عند مرضه وفقره وغير ذلك من حاجاته فإنَّ هذا ظالم ضال مشرك. وفي بعض النسخ: كافر عاص لله تعالى باتفاق المسلمين. فإنهم متفقون على أن الميت لا يسأل ولا يدعى ولا يطلب منه شيء سواء كان شيخاً أو نبياً(٣) أو غير ذلك(1).

---

(١) في ط: بيان-بدون والغرض الآن.

(٢) في ط: يسترعيه.

(٣) في ط: سواء كان نبياً.

---

(1) قلت: متى وأين اتفق المسلمون على ما يدعيه هذا الرجل؟

والأحاديث والآثار التي سيذكرها المصنف ﷺ تدحض هذه الدعوى، ثم لماذا التفرقة بين الحي والميت من البشر إذا كان الفاعل الحقيقي هو الله سبحانه في الحالتين وما يفعله المسئول- النبي أو الولي حيا كان أو ميتا- هو مجرد التسبب إما بفعله الذي يجريه الله على يديه أو بدعائه الذي يقبله الله سبحانه ويجيبه إلى طلبه وكل مسلم مُقِرٌّ بذلك من واقع شهادته أن لا إله إلا الله.

يقول العلامة الشيخ يوسف الدجوي رحمه الله: «إن الأرواح بعد الموت باقية فاهمة مدركة، بل نقلنا عن إمامهم ابن القيم أن للروح بعد مفارقة الجسد أعمالا تعملها في هذا العالم لم يكن يمكنها أن تعملها حال اتصالها بالبدن ، إلى آخر ما نقلناه عنه وهو معقول جدًا فإن الأرواح لم تستمد قوتها من الأشباح حتى تذهب قواها وخصائصها بمفارقتها بل الأشباح هي التي تستمد حياتها وأفاعيلها من الأرواح، فما هذا الاشتباه الذي أدى إلى قلب الحقائق ومصادمة المعقول والمنقول؟ على أن تخصيص الجواز بالحي دون الميت أقرب إلى إيقاع الناس في الشرك، فإنه يوهم أن للحي فعلا يستقل به دون الميت فأين هذا من قولنا: إن الفعل في الحقيقة لله لا للحي ولا للميت؟! =

= ومن أمعن النظر في كلامهم لم يفهم منه إلا مذهب المعتزلة في الأحياء ومذهب الذين يئسوا من أصحاب القبور في الأموات.

وعلى كل حال فالغفلة عن الفاعل الحقيقي، وتخيل أن الفاعل غيره أظهر في الأحياء منه في الأموات » . أ.هـ. المقصود منه. انظر (مقالات وفتاوي الشيخ يوسف الدجوي) ١/١٤٨-١٤٩ من مطبوعات مجمع البحوث الإسلامية ط. سنة ١٤٠١هـ- ١٩٨١م.

فإذا كان المؤمن يوقن أن الفاعل على الحقيقة هو الله سبحانه وحده وأن الطلب الحقيقي منه فقط وأن الأنبياء والصالحين أسباب كجملة الأسباب التي يخلق الله عندها الفعل فربط القلب بمحبتهم والتعلق بهم هو تقرب إلى الله بمحبة من أحبه الله وتعظيم من عظمه الله.

ألا ترى أن رسول الله ﷺ في الحديث الصحيح لما سُئِل: من الأولياء؟ أجاب: « الذين إذا رؤوا ذكر الله »رواه النسائي- في الكبرى- وغيره وأثبت ذلك علماء النفس المعاصرون بالأدلة الحسية الملموسة بما لا يدع مجالا للشك أو الارتياب- نظرية رد الفعل الشرطي- فالرابطة هي: تعلق قلب المؤمن بقلب شيخه أو الولي أو النبي على وجه المحبة واستحضار صورته كأنه بين يديه.

وهي مؤدية إلى طرد الوساوس والخواطر عن القلب ، مما يجعله طبقا للتوجيه النبوي الكريم في الحديث السابق محلا لتنزل رحمة الله وصدق التوجه إليه سبحانه عقبها مباشرة. وها هم المسلمون قد أجمعوا في الصلاة على قولهم في التشهد (السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته)، كما روى الطبري أن المسلمين في معركة اليمامة كان شعارهم (وامحمداه)، وكذا فعلت السيدة زينب بعد معركة كربلاءواستشهاد الحسين وغيره من آل بيت النبوة عليهم السلام.

فأين الشرك في هذا؟

وهل يقول بذلك إلا من اعتقد أن تخيل الذات الإلهية المقدسة وتصورها أمر ممكن أو واجب- بعد حمل آيات المتشابه على ظاهرها- كما نص على ذلك الإمام الدوسري في (الرحمة الهابطة) وعليه فالقائل بذلك يرغب أن تكون الرابطة المشروحة آنفا هي بين العبد وربِّه كما صرح به أحد أتباع ابن تيمية مع أن الرابطة مدخل مؤدي إلى التوجه إلى الله وليست بديلا عن هذا التوجه بأي حال! (انظر نور الهداية والعرفان).

وما قاله ابن تيميه وأتباعه مبني على جهل أو تجاهل لأحكام عالم الأرواح وخصائصها سواء من ناحية الإدراك والمعرفة أو من ناحية الانجذاب والائتلاف وكذا التنافر والاختلاف.

وقد أخبرنا سيد الخلق ﷺ أن أرواح قتلى بدر من المشركين تدرك وتسمع ما يقوله فما بالكم بأرواح الشهداء- فضلا عن الأنبياء والأولياء- التي خصها الله بوصف الحياة ؟!

كما أخبرنا أن « الأرواح جنود مجندة ما تعارف منها ائتلف وما تنافر منها اختلف » وكذا «إن أرواح المؤمنين لتلتقي على مسيرة يوم وما رأى أحدهم صاحبه » يقول العلامة الشيخ محمد=

= أسعد صاحب زادة عقب هذا الحديث: « وهل ذلك غير المحبة القلبية والمعية الروحانية المعبر عنها بالرابطة التي هي مشتركة بين الأنبياء والأولياء أمواتا كانوا أو أحياء ... » أ.هـ انظر (نور الهداية والعرفان) ص ٣٠.

وقد أثبت العلم الحديث هذه الظواهر ومنها ما أسماه العلماء ظاهرة (التلباثي) أي التخاطر عن بعد بل إنهم أثبتوها بالتجارب المادية حتى على الحيوانات.

يقول الإمام المفسر شهاب الدين الألوسي في كتابه (الفيض الوارد على روض مرثية مولانا خالد).

وأما خاطر الشيخ فهو إمداد صاحب الشيخ يصل إلى قلب المريد الطالب مشتملا على كشف معضل وحل مشكل في وقت استكشاف المريد باستمداد من ضمير الشيخ، وذلك داخل تحت الخاطر الحقاني لأن قلب الشيخ بمثابة باب مفتوح إلى عالم الغيب وكل لحظة يصل إمداد فيض الحق سبحانه وتعالى على قلب المريد بواسطة الشيخ ثم قال بعد كلام: « ولنفي الخواطر أسباب كثيرة منها إحضار صورة الشيخ على الوجه الذي سموه بالرابطة، قيل هذا من أعظم الأسباب .. » أ.هـ. ص ١١٠، ١١١. ط. المطبعة الكنستلية بمصر سنة ١٢٧٨هـ.

قال صاحب (نور الهداية والعرفان):

وقال القطب الأعظم والغوث الأفخم سيدي إبراهيم الدسوقي قدس الله سره: (يا أولادي إن صح عهدكم معي فأنا قريب منكم فإن أخذتم عهدي وعملتم بوصيتي وسمعتم كلامي فلو كان أحدكم بالمشرق وأنا بالمغرب وورد عليكم من المشكلات شيء تستخيرون به ربكم، فوجهوا وجهكم إلي وأطبقوا أعين حسكم وافتحوا عين قلبكم فإنكم تروني جهارا وتستشيروني في جميع أموركم فمهما قلته لكم فاقبلوه وامتثلوه وليس هذا خاصًا بي، هو لكل شيخ صدقتم في محبته. قد يعلم ذلك شيخكم وقد لا يعلمه، هكذا جرت سنة الله تعالى مع أوليائه) أ.هـ.

نقله الشيخ حسين الدوسري في (الرحمة الهابطة) وأقره الشعراني في الطبقات الكبرى » أ.هـ ص٣٨ ، ومن أراد التوسع فعليه بالآتي:

١- مقالة (محق التقول في مسألة التوسل) للإمام الكوثري رضي الله عنه في كتاب (مقالات الكوثري).

٢- مقالات العلامة الشيخ يوسف الدجوي في كتاب مقالات وفتاوي الشيخ يوسف الدجوي.

٣- رسالتين في حكم التوسل بالأنبياء والأولياء لحضرة صاحب الفضيلة العلامة الشيخ محمد حسنين مخلوف وكيل الجامع الأزهر.

٤- المقالات الوفية في الرد على الوهابية للأستاذ حسن خزبك.

٥- كلمة وجيزة في تصرف الأولياء للعلامة الشيخ يوسف الدجوي.

٦- الرد المحكم المتين على كتاب القول المبين للعلامة المحدث السيد عبد الله الغماري.

٧- إتحاف الأذكياء بجواز التوسل بالأنبياء والأولياء للعلامة المحدث السيد عبد الله الغماري.

٨- رفع المنارة بتخريج أحاديث التوسل والزيارة للشيخ محمود سعيد ممدوح.

٩- الإغاثة بأدلة الاستغاثة للسيد حسن السقاف وغير ذلك كثير.

ثم أكد ما قاله بقصة عمر والعباس رضي الله عنهما في الاستسقاء تبعاً لشيخه الجاري خلف سلالة اليهود.

وأنت أرشدك الله تعالى وبصرك إذا تأملت ما قاله من(١) هذا الجواب اقشعر جلدك وقضيت العجب مما فيه من الخبائث والفجور وادعاء اتفاق المسلمين وما فيه من الرمز إلى تكفير الأنبياء وتضليلهم وغيرهم(٢)، والتلبيس على الأغبياء بقصة عمر ﷺ.

وليت شعري من أي الدلالات أن من توجه إلى قبر سيد الأولين والآخرين ﷺ وتوسل به في (١١٩/أ) حاجة الاستسقاء أو غيرها يصير بذلك ظالماً ضالاً مشركاً كافراً؟!(1)

هذا شيء تقشعر منه الأبدان، ولم يسمع أحداً فاه بل ولا رمز إليه في زمن من الأزمان. ولا في بلد من البلدان قبل زنديق حران. قاتله الله عز وجل وقد فعل.

---

(١) في ط: في.

(٢) في ط: سقطت كلمة (وغيرهم).

---

(1) بل في كلام ابن تيمية السابق أن الميت لا يسأل ولا يدعي – أي: لا يُنادَى- ... سواء كان شيخا أو نبيا أو غيره.

نقول: أخرج أبو يعلى الموصلي في مسنده حديث رقم (٦٥٨٤) عن أبي هريرة ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: والذي نفس أبي القاسم بيده لينزلن عيسى بن مريم إماما مقسطا، وحكماً عدلاً، فليكسرن الصليب وليقتلن الخنزير وليصلحن ذات البين وليذهبن الشحناء وليعرضن عليه المال فلا يقبله. **ثم لئن قام على قبري فقال: يا محمد لأجبته** ».

ذكره اليهثمي في مجمع الزوائد (٢١١/٨) وقال: « ... رجاله رجال الصحيح ».

وأخرجه الحاكم في المستدرك ج٢ ص ٦٥١ط. العلمية حديث رقم (٤١٦٢) وفيه: « .. **وليأتين قبري حتى يسلم على ولأردن عليه** » قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد و لم يخرجاه بهذه السياقة. وأقره الذهبي على ذلك وقال: صحيح.

وفي الحديث دلالتان:

الأولى: فضيلة زيارة قبر رسول الله ﷺ.

الثانية: جواز النداء الذي ينكره الضال المبتدع وانظر المزيد من تخريج الحديث في (رفع المنارة) للشيخ محمود سعيد ص ٣٥٧ – ٣٦٠ ط. الثانية.

[أ- حرمة النبي ﷺ ورفعة قدره عند الله]

جعل الزنديق الجاهل الجامد قصة عمر ﷺ دعامة ليتوصل بها إلى خبث طويته في الازدراء[١] بسيد الأولين والآخرين وأكرم السابقين واللاحقين وحط رتبته بعد وفاته عن رتبته في حياته[٢] وأن جاهه وحرمته ورسالته وغير ذلك زال بموته. وذلك منه كفر[٣] بيقين، وزندقة محققة. فإنه عليه الصلاة والسلام حرمته وقدره ومنزلته ورتبته[٤] عند ربه تعالى ما زالت ولم تزل وهو سيد ولد آدم وأكرمهم[٥] على الله عز وجل على الدوام، ومن تأمل القرآن العظيم وجده مشحوناً بذلك.

وقد ذكرت جملة من ذلك في مولده عليه الصلاة والسلام وأشير هنا إلى نبذة يسيرة من ذلك ليتحقق السامع لها خبث[٦] هذا الزنديق وما انطوي عليه باطنه من الخبث بإبداله هذه الأنواع من التعظيم بالازدراء وما فاه به من الفجور والافتراء كما ترى:

سل عن فضائله الزمان لتخبرا فنظير مجدك لا أراه لا يُرى (١١٩/ب)
فلقد جمعت مناقباً ما استجمعت ما استجمعت ما استعجمت[٧] فتفسرا[٨]

---

(١) في ط: للتوصل بها إلى خبث طويته في الازدراء قال المحقق: الصواب أن تقدم (في) وتؤخر (إلى) ليظهر معنى الكلام.

(٢) في ط: واللاحقين، وحط رتبته في حياته.

(٣) في ج: وذلك كفر منه.

(٤) في ط: سقطت كلمة (ورتبته).

(٥) في ج: وأكرم على الله.

(٦) في ج: حيث. وهو خطأ.

(٧) في ج: ماستجمعت في غيره (كتب على الهامش).

(٨) في ط: ما استجمعت ما استعجمت يا سيدي فتفسرا.

ما بين مجدك[١] والمحاول نيله إلا كما بين الثريا والثرى

(فمن ذلك) أنه سبحانه وتعالى تولى عصمته بنفسه فقال تعالى: ﴿والله يعصمك من الناس﴾[1] حفظه عز وجل في ظاهره وباطنه، حفظه في ظاهره من أن ينالوا ما هموا به ورد كيدهم في نحورهم، وحفظه في باطنه من الناس من أن يكون منه إليهم التفات أو يكون له بهم اشتغال. صان سره عن موارد السكون إليهم وعن نزغات[٢] الشيطان وفلتات النفس.

ومنها قوله تعالى: ﴿لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضاً﴾[2].

قيل: معناه: لا تدعوه باسمه كما يدعو بعضكم بعضاً يا محمد، يا عبد الله ولكن فخموه وعظموه وشرفوه وقولوا: يا نبي الله. يا رسول الله. مع لين وتواضع قاله مجاهد وقتادة.

وقيل: معناه: احذروا دعاء الرسول عليكم فإن دعاءه مستجاب لا يرد وليس كدعاء غيره قاله ابن عباس رضي الله عنهما.

وقيل: معناه: من ضيع حرمة الرسول ﷺ فقد ضيع حرمة الله عز وجل ومن ضيع حرمة الله تعالى فقد دخل في ديوان الأشقياء: وحرمة الرسول ﷺ من حرمة الله تعالى بل من ضيع (١٢٠/أ) حرمة الأولياء فقد عرض نفسه للهلكة.

(١) في ج: ما بين فضلك.

(٢) في ج: نزغات.

(1) الآية ٦٧، من سورة المائدة.

(2) الآية ٦٣، من سورة النور .

ومنها قوله تعالى: ﴿إنا أرسلناك شاهداً﴾ أي عليهم بالتوحيد ﴿ومبشراً﴾ أي لهم بالتأييد والمغفرة ﴿ونذيراً﴾ أي محذراً إياهم الزيغ والضلالات ﴿لتؤمنوا بالله ورسوله وتعزروه وتوقروه﴾ (1) أي تعظموه تعظيماً يليق به وبمرتبته، قال الأئمة: لم يؤمن بالرسول من لم يعزه ويعز أوامره ويوقره ويوقر أصحابه ﷺ.

ومنها قوله تعالى: ﴿فالذين آمنوا به﴾ أي بمحمد ﷺ ﴿وعزروه﴾ أي وقروه ﴿ونصروه﴾ بذلوا أنفسهم في نصرته وأموالهم ﴿واتبعوا النور الذي أنزل معه﴾ وهو القرآن ﴿أولئك هم المفلحون﴾(2) أي الفائزون. حصر الفلاح فيهم.

فهذه الآيات موجبة لتوقيره وتعظيمه وتبجيله وتعريف قدره ﷺ عند ربه تعالى.

ومنها قوله تعالى: ﴿من يطع الرسول فقد أطاع الله﴾(3).

قال عمر ﷺ[-بعد وفاة رسول الله ﷺ أثناء كلام طويل-: بأبي أنت وأمي يا رسول الله لقد بلغ](١) من فضيلتك عند الله أن جعل الله عز وجل طاعتك طاعته.

وقال جعفر الصادق: معناه من عرفك بالنبوة والرسالة فقد عرفني بالربوبية والإلهية(٢).

وقيل بطاعتك يصل العبد إلى الحق وبمخالفتك يقطع(٣) عنه.

---

(١) ما بين القوسين هو من ط. فقط، وسقط من المخطوطات الثلاث.

(٢) في ط: والألوهية.

(٣) في ج: ينقطع.

---

(1) الآيتان رقمي ٨،٩، من سورة الفتح .

(2) الآية ١٥٧ ، من سورة الأعراف.

(3) الآية ٨٠ ، من سورة المائدة .

وقيل غير ذلك. ومن أحسنها: من ألزم نفسه طاعته وصحح الاقتداء به، أوصله إلى مقامات (١٢٠/ب) الأنبياء والصديقين والشهداء ألا ترى إلى قوله تعالى: ﴿ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصدقين والشهداء﴾(1) الآية.

ومنها وهو أبلغ مما تقدم قوله تعالى: ﴿إن الذين يبايعونك﴾ أي يا محمد ﴿إنما يبايعون الله﴾(2) نفى سبحانه وتعالى الواسطة في المبايعة(١). وقد تنبه(٢) لذلك أرباب المعاني(٣) والقلوب العارفون بمراتبه عليه الصلاة والسلام وما وهبه الله تعالى من سني الأوصاف التي لا تليق بغيره ولا يقدر على حملها إلا هو قالوا: أن البشرية في نبيه ﷺ عارية وإضافة دون الحقيقة) وهو كلام حكيم منور القلب.

وقال بعضهم: لم يظهر الحق سبحانه وتعالى مقام الجمع(3) على أحد

---

(١) في ط: المبالغة.

(٢) في ج: بينه.

(٣) في ط: المعالي.

---

(1) الآية ٦٩، من سورة النساء .

(2) الآية رقم ١٠، من سورة الفتح.

(3) يقول الإمام شهاب الدين السهروردي في (عوارف المعارف): « والجمع: اتصال لا يشاهد صاحبه إلا الحق... ويقولون: فلان في عين الجمع، يعنون استيلاء مراقبة الحق على باطنه » أ.هـ المقصود منه ص ٥٢٤-٥٢٥ط. دار الكتاب العربي.

ويقول الإمام أبو القاسم القشيري في تفسيره (لطائف الإشارات) عند تفسير الآية الكريمة ﴿إن الذين يبايعونك ... ﴾ الآية:

« ... وفي هذه الآية تصريح بعين الجمع كما قال (وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى) »

أ.هـ. (٤٢٢/٣) ط الهيئة المصرية العامة للكتاب.

بالتصريح [إلا] على(١) أخص نَسَمة(٢) وأشرفها وهو المصطفى(٣) فقال ﴿إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله﴾.[1]

ومنها: قوله تعالى: ﴿ورفعنا لك ذكرك﴾[2] قال ابن عباس رضي الله عنهما المراد الأذان و الإقامة والتشهد والخطبة على المنابر. فلو أن عبداً عبد الله وصدقه في كل شيء و لم يشهد أن محمداً رسول الله لم يسمع منه و لم ينتفع بشيء وكان كافراً.

وفي حديث أبي سعيد الخدري ﷺ أن النبي ﷺ سأل (١٢١/أ) جبريل عليه السلام عن هذه الآية فقال: «قال الله عز وجل: إذا ذكرتُ ذُكِرَ معي[3]».

وقال قتادة ﷺ رفع الله تعالى ذكره في الدنيا والآخرة.

وقيل: رفع ذكره بأخذ ميثاقه على النبيين وإلزامهم(٤) الإيمان به والإقرار به.

---

(١) في أ،ج: التصريح على.

(٢) في ب: نفس أو نفسه.

(٣) في ج: وهو محمداً المصطفى.

(٤) في ط: وألزمهم.

---

(1) الآية ١٠ ، من سورة الفتح.

(2) الآية ٤ من سورة الشرح.

(3) حديث حسن رواه الطبري في تفسيره وابن أبي حاتم وأبو يعلى في مسنده وابن حبان في صحيحه والضياء في المختارة وصححه السيوطي في (الجامع الصغير). يقول الحافظ المناوي في (التيسير): « ... كلهم عن أبي سعيد الخدري ورواه عنه الطبراني أيضاً، وحسنه الهيثمي » أ.هـ.

ونص الحديث كما هو عند ابن حبان: « عن أبي سعيد أن رسول الله ﷺ قال: « أتاني جبريل فقال: إن ربِّي وربَّك يقول لك: كيف رفعت ذكرك؟ قال: الله أعلم. قال: إذا ذكرتُ ذكرتَ معي » .

وقيل: ورفعنا لك ذكرك ليعرف المذنبون وأصحاب الحوائج قدر رتبتك(١) لديّ ليتوسلوا بك إليّ فلا أرد أحداً عن مسألته فأعطيه إياها إما عاجلاً وإما آجلا ولا أخيب من توسل(٢) بك وإن كان كافراً ألا ترى إلى قوله(٣) تعالى: ﴿وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا﴾[1] وسيأتي الكلام على هذه الآية. وقيل غير ذلك.

ولما هاجر النبي ﷺ إلى المدينة قيل بكت مكة لفقده بدموع الحرقة على الخد وقالت: وا أسفاه على من أنزل عليه ﴿لا أقسم بهذا البلد وأنت حل بهذا البلد﴾[2] فمن جعل ﴿لا﴾ زائداً فالمعنى أقسم بهذا البلد وهو مكة لحلولك فيه(٤).

ومن جعل ﴿لا﴾ أصلية فالمعنى (لا أقسم بهذا البلد) وأنت حال فيه، بل أقسم بك وبحياتك(٥). وهذا يدل على علو قدره عند ربه ورفعته التي لم يفز بها غيره.

وفي حديث عائشة رضي الله عنها أن جبريل عليه السلام قال: قلبت مشارق الأرض ومغاربها فلم أر رجلاً أفضل من محمد ﷺ.

وقال ابن عباس (١٢١/ب) رضي الله عنهما من رواية أبي الجوزاء ﷺ:

---

(١) في ط: ليعرف المذنبون قدر رتبتك.

(٢) في ج: من يتوسل.

(٣) في ط: ألا ترى قوله.

(٤) في ط: وأسفاه على من أنزل عليه لا أنتم بهذا البلد وهو مكة لحلولك فيه.

(٥) في ب: بل أقسم بحياتك.

---

(1) الآية ٨٩، من سورة البقرة .

(2) الآيتان ١،٢ ، من سورة البلد.

ما خلق الله ولا ذرأ ولا برأ نفساً أكرم على الله من محمد ﷺ ولا رأيت الله عز وجل أقسم بحياة أحد إلا بحياته فقال: ﴿لعمرك إنهم لفي سكرتهم يعمهون﴾[1] والعمه في البصيرة والعمى في البصر.

وفي رواية عطاء[١] عن ابن عباس رضي الله عنهما: المعنى: وعيشك يا محمد إنهم لفي سكرتهم يعمهون.

وقال بعضهم: أقسم بحياة محمد لأن حياته كانت به وهو في قبضة الحق وبساط القرب وشرف الانبساط ومقام الاتفاق الذي لا يقوم به غيره. فبحياتك يكون القسم فإن الكل[٢] زاغوا وما زغت وسألوا وما سألت حتى بدأناك ونزلناك منزلة ما نالها غيرك، ولا ينالها أحداً سواك.

وقيل المعنى: وحياتك التي خصصت بها من بين[٣] الخلق فيُحيَوا[٤] بالأرواح وحييت بنا.

ولهذا تتمة مهمة ذكرتها في المولد يتعين الوقوف عليها.

وقيل: **أقسم الله عز وجل في الأزل بحياته ليظهر شرفه وعلو قدره ودنو منزلته عنده، ليتوسل المتوسلون به إليه قبل بروزه إلى الوجود وفي حياته وبعد وفاته وفي عرصات القيامة**. ولهذا وغيره لم يزل أهل الإيمان به يتوسلون به[٥] في حياته وبعد وفاته من غير نكير.

---

(١) في ج: بعدها كلمة غير مقروءة ولا تتعلق بالمعنى.

(٢) في ب: فإن فعل زاغوا.

(٣) في ط: بها بين.

(٤) في هامش ج: فيحيون. ولعله استدراك من الناسخ. وفي ط: فحيوا.

(٥) في ط: أهل الإيمان يتوسلون به.

---

(1) الآية ٧٢، من سورة الحجر .

[ب- توسل أهل الكتاب بالنبي ﷺ قبل وجوده]

وكان أهل الكتاب لهم (١٢٢/أ) علم من ذلك فكانوا يتوسلون به قبل وجوده فيستجاب لهم كما قال تعالى: ﴿وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا﴾. قال[١] ابن عباس رضي الله عنهما: كانت أهل خيبر تقاتل غطفان، كلما التقوا هزمت غطفان يهود. فعاذت يهود بهذا الدعاء: اللهم إنا نسألك بحق النبي الذي وعدتنا أن تخرجه لنا آخر الزمان إلاَّ نصرتنا عليهم فكانوا إذا التقوا ودعوا بهذا الدعاء فتهزم[٢] يهود غطفان - ويهود غير منصرف للعلمية والتأنيث[٣] علم على قبيلة[1] - فلما بعث النبي ﷺ كفروا به فأنزل الله عز وجل ﴿وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا﴾ أي يدعون بك يا محمد إلى قوله: ﴿فلعنة الله على الكافرين﴾[2].

---

(١) في ط: وقال.

(٢) في ط: هزمت.

(٣) في ب: والتأنيثه.

---

(1) يقول الشيخ سلامة العزامي: «هي أمة موسى عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام » أ.هـ من هامش النسخة ط.

(2) الآية ٨٩، من سورة البقرة.

وهذا الأثر رواه الحاكم في (المستدرك) والبيهقي في (الدلائل) من طريق عبد الملك بن هارون بن عنترة عن أبيه عن جده عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما. قال العلامة المحدث السيد/ عبد الله الغماري: «هذا إسناد ضعيف لضعف عبد الملك بن هارون لكن للأثر طرق، فأخرج أبو نعيم في (الدلائل) من طريق عطاء والضحاك عن ابن عباس قال: كانت يهود بني قريظة والنضير من قبل أن يبعث محمد ﷺ يستفتحون الله يدعون على الذين كفروا يقولون (اللهم إنا نستنصرك بحق النبي الأمي إلا نصرتنا) فينصرون، فلما جاءهم ما عرفوا - يريد محمداً ﷺ - =

وإذا كان عز وجل يستجيب لأعدائه بالتوسل إليه[(١)] مع علمه عز وجل بأنهم يكفرون به ويؤذونه ولا يتبعون النور الذي أنزل معه قبل وجوده وبروزه إلى الوجود فما الظن بمن يؤمنون به ويعزرونه ويوقرونه ويكرمونه ويتبعون النور الذي أنزل معه وهو القرآن العظيم مع بروزه إلى الوجود وإرساله رحمة للعالمين وإذا كان رحمة للعالمين فكيف لا يتوسل به ويتشفع به[(٢)]، ومن أنكر التوسل به والتشفع به بعد موته وأن حرمته زالت بموته فقد أعلم الناس (١٢٢/ب) ونادى على نفسه أنه أسوأ حالاً من اليهود الذين كانوا يتوسلون به قبل بروزه إلى الوجود وأن في قلبه نزعة هي أخبث النزعات[(٣)].

(١) في ج: بالتوسل به إليه. وفي ط: بالتوسل به ﷺ إليه سبحانه.

(٢) في ط: قبل وجوده وبروزه إلى الوجود وإرساله رحمة للعالمين، فكيف لا يستجيب لأحبائه إذا توسلوا به بعد وجوده عليه الصلاة والسلام وبعثته رحمة للعالمين، وإذا كان رحمة للعالمين فكيف لا يتوسل ولا يتشفع به.

(٣) في ط: نزغة هي أخبث النزغات.

= ولم يشكوا فيه كفروا به .... » إلى أن قال: «ووجه الدلالة عن هذا الأثر ظاهر فإن الله تعالى أقرهم على توسلهم بالنبي ﷺ ولم يذمهم عليه وإنما ذمهم على جحودهم وكفرهم به بعد ما شاهدوا من بركة التوسل به ما لا ينكره إلا من كان مثلهم أعمى القلب والبصيرة عافانا الله من ذلك بحق نبيه » أهـ الرد المحكم المتين ص ١٩٤ – ١٩٥.

وقد اعتمد كثيرون من أئمة المفسرين هذا الأثر تفسيراً لقوله تعالى في سورة البقرة ﴿ ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا ﴾ الآية وهو ما أشار إليه الإمام الحصني ومن هؤلاء المفسرين الإمام النيسابوري، الزمخشري في الكشاف، الخازن والبغوي والنسفي والألوسي فراجع كتبهم في التفسير.

روى الطبراني عن أمية بن عبد الله بن خالد بن أسيد قال: (كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يستفتح بصعاليك المسلمين) قال الحافظ المنذري: (رواته رواة الصحيح وهو مرسل) أ.هـ. وإرسال هذا الحديث لا يضر فالحديث المرسل حجة عند أبي حنيفة ومالك وأحمد بن حنبل وغيرهم انظر (الرد المحكم المتين) ص ١٩٣، ١٩٤، فإذا جاز لنا أن نستفتح بصعاليك المسلمين أفلا نستفتح إذن بخير خلق الله ﷺ ؟

وقد كتب العلامة الشيخ محمود سعيد ممدوح بحثا علميا قيما ناقش فيه أهم أحاديث التوسل وزيارة قبر النبي ﷺ وهو مطبوع بعنوان (رفع المنارة لتخريج أحاديث التوسل والزيارة).

[ج- توسل آدم عليه السلام بالنبي ﷺ]

وهذا آدم عليه السلام توسل به كما هو مشهور ورواه غير واحد من الأئمة منهم الحاكم في مستدركه على الصحيحين من حديث عمر ﷺ قال قال رسول الله ﷺ : «لما اقترف آدم الخطيئة قال يا رب بحق محمد لَمَّا غفرت لي. فقال الله: يا آدم وكيف عرفت محمداً و لم أخلقه، قال: يا رب لأنك لما خلقتني بيدك ونفخت فيَّ من روحك رفعت رأسي فرأيت على قوائم العرش مكتوباً لا إله إلا الله محمد رسول الله فعرفت أنك لم تضف إلى اسمك إلا أحب الخلق إليك. فقال: يا آدم إنه لأحب الخلق إليَّ وإذ سألتني بحقه قد غفرت لك. ولولا محمد لما خلقتك» .

قال الحاكم صحيح الإسناد ورواه الطبراني وزاد (وهو آخر الأنبياء من ذريتك) [1] . ورواه الحاكم أيضاً من حديث ابن عباس رضي الله عنهما

---

(1) ذكر الحافظ السيد عبد الله الغماري في كتابه (إتحاف الأذكياء بجواز التوسل بالأنبياء والأولياء) حديث توسل آدم كما رواه الحاكم في المستدرك عن عمر بن الخطاب ﷺ ثم ذكر زيادة الطبراني (وهو آخر الأنبياء من ذريتك) ثم قال: «قال الحاكم: صحيح، ورد عليه الذهبي فقال: بل موضوع. والحق أن الحديث ليس بصحيح ولا موضوع، بل هو ضعيف فقط كما صرح به البيهقي في دلائل النبوة، وقد نقلت عبارته ورددت كلام الذهبي من ستة وجوه وذكرت ما يشهد للحديث في كتابي (الرد المحكم المتين) ووجدت له شاهداً يرتقي به إلى درجة الحسن فروى ابن بشران بإسناد قوي كما قال الحافظ - يقصد ابن حجر العسقلاني - عن ميسرة الفجر قال: قلت يا رسول الله متى كنت نبياً؟ قال: (لما خلق الله الأرض واستوى إلى السماء فسواهن سبع سموات وخلق العرش كتب على ساق العرش محمد رسول الله خاتم الأنبياء وخلق الله الجنة التي أسكنها آدم وحواء فكتب اسمي على الأبواب والأوراق والقباب والخيام وآدم بين الروح والجسد، فلما أحياه الله تعال نظر إلى العرش فرأى اسمي فأخبره الله أنه سيد ولدك، فلما غرهما الشيطان تابا واستشفعا باسمي إليه)» أ.هـ ص ٢١، ٢٢ وهذا الشاهد الذي ذكره الحافظ عبد الله الغماري رواه ابن الجوزي في كتاب (الوفا بفضائل المصطفى) كما هو موضح في كتاب (الرد المحكم المتين) وقد ناقش فيه الحافظ عبد الله الغماري طرق هذا الحديث وشواهده مناقشة مستفيضة من ص ١٢٢ حتى ص ١٤١ ثم قال رحمة الله: « وبذلك يكون حديث توسل آدم حسنا لغيره فيحتج به بلا نزاع » أ. هـ ص ١٤٠.

وحديث توسل آدم عليه السلام هو الحديث رقم (١٣) في (رفع المنارة) انظر تحقيقه مع شواهده ص (٢٤٢).

بزيادة بلفظ: **أوحى الله إلى عيسى يا عيسى آمن بمحمد وَمُرْ من أدركه من أمتك أن يؤمنوا به فلولا محمد ما خلقت آدم،** ولولا محمد ما خلقت الجنة والنار. ولقد(١) خلقت العرش على الماء فاضطرب فكتبت (١٢٣/أ) عليه لا إله إلا الله محمد رسول الله فسكن. قال الحاكم في مستدركه هذا صحيح الإسناد و لم يخرجاه يعني البخاري ومسلم.

فهذا الإمام الحافظ قد كفانا المؤنة وصحح الحديث وقد رواه غير واحد من الحفاظ وأئمة الحديث بألفاظ منهم أبو محمد مكي وأبو الليث السمرقندي وغيرهما أن آدم عليه السلام عند اقترافه قال: اللهم بحق محمد عليك اغفر لي خطيئتي.

ويروى فقيل(٢) فقال الله تعالى: من أين عرفت محمداً قال: رأيت في كل موضع من الجنة مكتوباً لا إله إلا الله محمد رسول الله. ويروى: محمد عبدي ورسولي. فعلمت أنه أكرم خلقك عليك، فتاب الله عليه وغفر له.

وفي رواية الحافظ الآجري: فقال آدم: لما خلقتني رفعت رأسي إلى عرشك فإذا فيه مكتوب لا إله إلا الله محمد رسول الله فعلمت أنه ليس أحد أعظم قدراً عندك ممن جعلت اسمه مع اسمك. فأوحى الله تعالى إليه: وعزتي وجلالي إنه لآخر النبيين من ذريتك ولولاه ما خلقتك. قال وكان آدم عليه السلام يكنى أبا محمد(1).

بدا مجده من قبل نشأة آدم فأسماؤه(٣) في العرش من قبل تكتب

(١) في ب: والقدر. وهو خطأ.
(٢) في ط: نفيل.
(٣) في ط: وأسماؤه.

---

(1) مجموع الروايات يقوي بعضه بعضاً.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى: ﴿وكان تحته كنز لهما﴾ (١٢٣/ب) قال: لو ح من ذهب فيه مكتوب (عجباً لمن أيقن بالقدر كيف ينصب، عجبا لمن أيقن بالنار كيف يضحك، عجباً لمن رأى الدنيا وتقلبها بأهلها كيف يطمئن إليها. أنا الله لا إله إلا أنا محمد عبدي ورسولي)[1].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أيضاً قال على باب الجنة مكتوب إني أنا الله لا إله أنا محمد رسول الله لا أعذب من قالها.

وذكر السميطاري أنه شاهد في بعض بلاد خرسان مولوداً ولد وعلى أحد جَنْبيه(١) مكتوب لا إله إلا الله محمد رسول الله وذلك بقلم القدرة.

وذكر الإخباريون أن ببلاد الهند وَرْداً أحمر مكتوب عليه بالأبيض لا إله إلا الله محمد رسول الله.

وفي بعض البوادي حيوان مكتوب على شقه الأيمن لا إله إلا الله وعلى شقه الأيسر محمد رسول الله. وذلك بقلم القدرة وهو مرئي ظاهر يراه كل من له بصر، وذكر غير ذلك.

فسيد الأولين والآخرين عظيم عند ربه نَوَّه بذكره في الأزل وفي الكون العلوي والسفلي ليعلم أنه الفاضل الكامل وأنه أعظم الوسائل.

---

(١) في ط: وعلى جبينه.

---

(1) روى هذا الأثر ابن جرير من طرق ورواه أيضاً البزار في مسنده عن أبي ذر مرفوعاً قال: «إن الكنز الذي ذكر الله في كتابه لوح من ذهب مصمت، عجبت لمن أيقن بالقدر لم نصب؟ وعجبت لمن ذكر النار لم ضحك؟ وعجبت لمن ذكر الموت لم غفل؟ لا إله إلا الله محمد رسول الله ﷺ» لا نعلمه يروي عن أبي ذر إلا بهذا الإسناد قال الشيخ: الحارث وبشر لا أعرفهما أ.هـ مختصر زوائد مسند البزار للحافظ ابن حجر والحديث ثابت بمجموع طرقه.

[د- تأكيد الإمام مالك لتوسل أبينا آدم بنبينا ﷺ وحثه المنصور على التوسل به وتعظيمه]

قال أبو حميد ناظر أبو جعفر أمير المؤمنين مالكاً رحمة الله تعالى في مسجد رسول الله ﷺ فقال له مالك ﷺ: (١٢٤/أ) لا ترفع صوتك في هذا المسجد فإن الله عز وجل أدب أقواماً فقال: ﴿لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي﴾ الآية ومدح قوماً فقال ﴿إن الذين يغضون أصواتهم عند رسول الله﴾ الآية وذم قوماً فقال: ﴿إن الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون﴾ [1] وإن حرمته ميتاً كحرمته حياً. فاستكان لها أبو جعفر فقال: يا أبا عبد الله أستقبل القبلة وأدعو أم أستقبل رسول الله ﷺ فقال[(١)]: وَلِمَ تصرف وجهك عنه وهو وسيلتك ووسيلة أبيك آدم إلى يوم القيامة بل استقبله واستشفع به فيشفعك الله عز وجل قال الله تعالى: ﴿ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيماً﴾[2].

---

(١) في ج: لا توجد كلمه فقال.

---

(1) الآيات ٢،٣،٤ من سورة الحجرات.

(2) الآية ٦٤، من سورة النساء.

قال العلامة الزرقاني في (شرح المواهب) عن هذه القصة: «الحكاية المذكورة رواها أبو الحسن على بن فهر في كتابه فضائل مالك بإسناد لا بأس به بل قيل إنه صحيح » أ.هـ (نصرة الإمام السبكي) ص ٦١ وقال العلامة ابن حجر في (الجوهر المنظم) عن هذه القصة أيضاً: «وقد جاءت بالسند الصحيح الذي لا مطعن فيه » أ.هـ انظر (نصرة الإمام السبكي) ص ١٩٥ وقد ذكر الإمام تقي الدين السبكي هذه القصة في كتابه (شفاء السقام) نقلا عن القاضي عياض ثم قال: «وقد ذكر القاضي عياض إسنادها وهو إسناد جيد » أ.هـ ص ١٢٩ ويقول الإمام محمد زاهد الكوثري عن هذه القصة في رسالته (محق التقول في مسألة التوسل): «وأما قول مالك لأبي جعفر المذكور فهو ما أخرجه القاضي عياض في (الشفا بتعريف حقوق المصطفى) بسند جيد » أهـ انظر مقالات الكوثري ص ٣٩٢ وذهب الحافظ السيد عبد الله الغماري إلى أن في إسناد هذه القصة ضعف لكنه لا يسقطها عن درجة الاحتجاج فقال في كتابه (الرد المحكم المتين): «فهذه الحكاية=

وهـذه القصـة[١] معروفـة مشـهورة ذكرهـا غـير واحـد مـن المتقدمـين

(١) في ط: القصة بدون (وهذه).

= عن الإمام مالك صريحة في جواز التوسل بل استحبابه وهي وإن كانت ضعيفة الإسناد وادعاء ابن تيمية كذبها مردود عليه ولا كرامة - فقد تلقاها أهل المذهب بالقبول وعملوا بمقتضاها وناهيك بالقاضي عياض حيث استدل بها و لم يعقبها بما يخالفها. ولهذا لا يحفظ عن أحد من المالكية قول بمنع التوسل بالنبي ﷺ أو كراهته بل كلهم متفقون على جوازه واستحبابه » أ.هـ ص ٩٥ وقد قال حفظه الله في موضع آخر من كتابه المذكور معلقا على ضعف أسانيد بعض أحاديث الأحكام: « وقولهم الحديث الضعيف لا يعمل به في الأحكام ليس على إطلاقه كما يفهمه غالب الناس أو كلهم لأنك إذا نظرت في أحاديث الأحكام التي أخذ بها الأئمة مجتمعين ومنفردين وجدت فيها من الضعيف ما لعله يبلغ نصفها أو يزيد.. » إلى أن قال « بل مما أصَّله مالك وأبو حنيفة الاحتجاج بالمرسل ومن أصول الإمام أحمد وتلميذه أبي داود الاحتجاج بالحديث الضعيف وتقديمه على الرأي والقياس وقدمه أبو حنيفة أيضاً كما نقله ابن حزم عنه » أ.هـ ص ١٩٣ وقد نقل الإمام زاهد الكوثري في مقالاته ما ذكره السخاوي في خاتمة (القول البديع) قال: «وقد سمعت شيخنا - يعني ابن حجر - مراراً يقول وكتبه لي بخطه: (إن شرائط العمل بالضعيف ثلاثة: الأول متفق عليه وهو أن يكون الضعف غير شديد فيخرج من انفرد من الكذابين والمتهمين بالكذب ومن فحش غلطه. والثاني أن يكون مندرجا تحت أصل عام فيخرج ما يخترع بحيث لا يكون له أصل أصلا. والثالث أن لا يعتقد عند العمل به ثبوته لئلا ينسب إلى النبي ﷺ ما لم يقله) قال: (والأخيران عن ابن عبد السلام وعن صاحبه ابن دقيق العيد، والأول نقل العلائي الاتفاق عليه) أ.هـ مقالات الكوثري ص ٤٤، ٤٥.

وما احتواه هذا الخبر من استقبال رسول الله ﷺ أثناء الدعاء هو الثابت الصحيح عن مالك والذي رواه عنه ابن وهب - أجل أصحابه- وكذا أشهب وأئمة مذهبه وهم أدرى بمذهب إمامهم فيما عدا رواية ضعيفة في كتاب (المبسوط) لإسماعيل القاضي المالكي تفيد أنه يستقبل القبلة أثناء الدعاء، بل وهو كذلك الصحيح المعتمد من مذاهب الأئمة أبي حنيفة والشافعي وأحمد بن حنبل. والحاصل أن هذا الخبر ليس فيه ما يدل على الاستغراب أو الاستنكار فضلا عن ادعاء بطلانه ووضعه ولا توجد هنا أية أمارة على وضع هذا الخبر أو كذبه كما زعم ابن تيمية.

والمتأخرين بأسانيد جيدة ومنهم القاضي عياض في أشهر كتبه وهو الشفاء المشهور بالحسن والاتقان في سائر البلدان ومنهم الإمام العلامة هبة الله في كتابه توثيق عرى الإيمان.

وقد اشتملت هذه القصة على تعظيمه بعد وفاته وأنه حي والتوسل به (١٢٤ /ب) وحسن الأدب في حقه كما في حياته وأن في الآية الحث على المجئ إليه ليستغفر له وليس في الآية تعرض لزمن حياته دون الوفاة وكذا فهم العلماء ـ مالك وغيره كما يأتي إن شاء الله تعالى ـ العموم واستحبوا لمن زار قبره المكرم أن يتلو هذه الآية ويستغفر ويتوسل به ويطلب الشفاعة منه، ولم نعلم أن أحد طعن في قصة مالك إلا هذا الفاجر(١) فإنه لما كان فيها هذه الفضائل طعن فيها وقال إنها مكذوبة(1) .

---

(١) في ط: إلا هذا الفاجر ابن تيمية.

---

(1) زعم ابن تيمية بأن هذه القصة مكذوبة لمجرد مخالفتها لهواه فقال: «ولم يقل أحد من الأئمة أنه يستقبل القبر عند الدعاء إلا في حكاية مكذوبة تروى عن مالك ومذهبه بخلافها» **وقد** رد عليه الإمام تقي الدين السبكي رداً وافياً في كتاب (شفاء السقام) انظر الفصل الثاني **من** الكتاب وكذا الشيخ إبراهيم السمنودي في كتاب (نصرة الإمام السبكي) انظر ص ٣٣،٦١،١٩٦، ونقلا كلام الأئمة الأربعة وغيرهم والذي يبطل مزاعم ابن تيمية.

لكن شمس الدين ابن عبد الهادي تلميذ ابن تيمية حاول أن يؤيد دعوى شيخه بأن حاول الطعن في سند هذه القصة وادعى أن الذي رواها عن مالك وهو محمد بن حميد كذاب وحشد كل ما وصل إليه من طعون فيه وقد رد عليه الشيخ محمد زاهد الكوثري فقال: «ومحمد بن حميد هذا روى عنه أبو داود والترمذي وابن ماجة وأحمد بن حنبل ويحيى بن معين قال إبن أبي خيثمة: سئل عنه ابن معين فقال: ثقة لا بأس به رازي كيس وقال أحمد : لا يزال بالري علم ما دام محمد بن حميد، وممن أثنى عليه: الصاغاني والذهلي، وقال الخليلي في الإرشاد: كان حافظاً عالماً بهذا =

قاتله الله فإن هذا شأنه[١] [إذا وجد شيئاً لا مساس فيه لما ابتدعه قال به وقبله ولم يطعن و][٢] إذا وجد شيئاً على خلاف بدعته طعن فيه وإن اتفق على صحته ولا يذكر شيئاً على خلاف هواه وإن اتفق على صحته لا سيما إذا كان آية أو خبراً عن رسول الله ﷺ ولو أمكنه أن يطعن في الآية لفعل إلا أنه تعرض لتخصيصها وهو[٣] دعوى مجردة وعلى خلاف ما فهمه العلماء

(١) في ط: مكذوبة فإن هذا شأنه.

(٢) ما بين المعكوسة من ط.

(٣) في ط: وهي.

=الشأن رضيه أحمد ويحيى. وقال البخاري : فيه نظر. وليس مثله يتهم في مثل هذا الخبر وقد مات سنة ٢٤٨ عن سن عالية وكان عمره عند وفاة مالك لا يقل عن نحو خمس عشرة سنة وهم يقبلون رواية ابن خمس في مسند إمامهم ... » .

إلى أن قال « ... وابن عبد الهادي يأبى قبول هذا الخبر لأنه يمس شذوذ شيخه ليس إلا، أراد ابن المنتاب - أحد رواة الخبر في السند المذكور- بسوق هذا الخبر الرد على ما في مبسوط شيخه إسماعيل القاضي المالكي المخالف لما رواه ابن وهب عن مالك وإسماعيل من أهل العراق وأهل مصر والمدينة أعلم بمسائل مالك منهم، على أن إسماعيل لم يسند ما ذكره إلى مالك بل أرسله إرسالاً » أ.هـ مقالات الكوثري .

ومن الملاحظ أن الحافظ ابن حجر في تقريب التهذيب لم يعتمد اتهام البعض لمحمد بن حميد الراوي بالكذب ولكنه وصفه بالضعف فقط يقول الشيخ إبراهيم السمنودي: «قد صرح أئمة فن الحديث كما قدمناه بأنه ليس كل ما رواه مجهول أو ضعيف أو متهم غير صحيح ولا واهيا ولا منكراً. وأنه ليس لنا ترك حديث كل من تكلم الناس فيه بمجرد الكلام فربما يكون قد توبع عليه وظهرت شواهده وكان له أصل، وإنما لنا ترك ما انفرد به وخالف فيه الثقات ولم يظهر له شواهد لأنا لو فتحنا باب الترك لحديث كل راو تكلم بعض الناس فيه بمجرد الكلام لذهب معظم الشريعة كما قاله العارف الشعراني في ميزانه الكبرى.

فإذا كان هذا في الأحاديث فكيف بالسير كهذه الحكاية التي لها شواهد كثيرة واضحة لموافقتها لما ذهب إليه الجمهور ومنهم الشافعي وأبو حنيفة وأحمد ومالك نفسه فيما رواه عنه ابن وهب وابن المواز وجزم به الحافظ أبو الحسن القابسي وأبو بكر بن عبد الرحمن وغيرهم من أئمة مذهب مالك ونص عليه العلامة خليل في مناسكه كما مر بسط ذلك » أ.هـ نصرة الإمام السبكي ص ١٩٧.

من العموم ووقع العمل عليه[1].

فمن ادعى التخصيص بغير دليل سمعي ظاهر الدلالة قطعنا بخطئه واتهمناه واستدللنا بذلك على استنقاصه سيد الأولين والآخرين الكامل المكمل. وهو كفر بإجماع أهل التوحيد.

---

(1) يقول الحافظ السيد عبد الله بن محمد بن الصديق الغماري في كتابه (الرد المحكم المتين): «قال الله تعالى ﴿ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله تواباً رحيماً﴾ فهذه الآية عامة تشمل حالة الحياة وحالة الوفاة وتخصيصها بأحدهما يحتاج إلى دليل، وهو مفقود هنا. فإن قيل من أين أتى العموم للآية حتى يكون تخصيصها بحالة الحياة دعوى تحتاج إلى دليل؟ قلنا من وقوع الفعل في سياق الشرط والقاعدة المقررة في الأصول أن الفعل إذا وقع في سياق الشرط كان عاماً لأن الفعل في معنى النكرة لتضمنه مصدراً مُنَكَّراً والنكرة الواقعة في سياق النفي أو الشرط تكون للعموم وضعاً» أ.هـ. ص ٤٥،٤٦ وعن ذلك يقول الإمام تقي الدين السبكي في (شفاء السقام): «.. والآية وإن وردت في أقوام معينين في حالة الحياة فتعم بعموم العلة كل من وجد فيه ذلك الوصف في الحياة وبعد الموت. ولذلك فَهِم العلماء من الآية العموم في الحالتين واستحبوا لمن أتى إلى قبره ﷺ أن يتلو هذه الآية ويستغفر الله تعالى وحكاية العتبي في ذلك مشهورة وقد حكاها المصنفون في المناسك من جميع المذاهب والمؤرخون وكلهم استحسنوها ورأوها من آداب الزائر وما ينبغي له أن يفعله» أ.هـ الباب الخامس ويقول الشيخ إبراهيم السمنودي معلقا على كلام الإمام السبكي: «وهذا يدل قطعاً على أنهم فهموا منها العموم الذي ذكره الإمام السبكي فساغ نسبة ذلك – أي فهم العموم في الآية – إليهم» أ.هـ نصرة الإمام السبكي ص ٢٤٤.

[هـ- صنيع الأمة في التوسل بسيد الخلق ﷺ]

[١- قصة الأعرابي]

وذكر القرطبي في تفسيره عن علي ﷺ أنه قال قدم علينا أعرابي بعد ما دفنا (١٢٥/أ) رسول الله ﷺ بثلاث أيام فرمى بنفسه على قبر رسول الله ﷺ وحثا على رأسه من ترابه ثم قال:

قلت يا رسول الله فسمعنا قولك ووعيت عن الله عز وجل فوعينا عنك وكان فيما أنزل عليك ﴿ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاؤك...﴾ الآية وقد ظلمت نفسي وجئتك تستغفر لي. فنودي من القبر قد غفر لك.

وهذه القصة غير قصة العتبي.

[٢- قصة العتبي]

وقصة العتبي مشهورة في غاية الشهرة وقد ذكرها الأئمة في كتبهم قديماً وحديثاً. وكنية العتبي أبو عبد الرحمن واسمه محمد بن عبد الله بن عمرو وكان من أفصح الناس وصاحب أخبار وصاحب رواية للآثار وحدث عن أبيه وعن ابن عيينة.

وقد ذكر قصته خلائق منهم ابن عساكر في تاريخه وذكرها الحافظ أبو الفرج بن الجوزي في كتابه (مثير العزم[١] الساكن) وذكرها غيرهما بالأسانيد.

وممن ذكرها الإمام العلامة المتفق على علمه ودينه وزهده أبو زكريا[٢] يحيى بن شرف النووي قدس الله روحه ونور ضريحه. قال في زيارة قبر النبي ﷺ[٣]: إنها من أعظم القربات وأفضل المساعي والطلبات (١٢٥/ب) وإذا انتهى إلى قبره وقف قبالة وجهه ويتشفع به إلى ربه ومن أحسن ما يقوله ما حكاه أصحابنا عن العتبي مستحسنين له قال العتبي كنت جالساً عند قبر رسول الله[٤] ﷺ فجاء أعرابي فقال: السلام عليك يا رسول الله سمعت الله تعالى يقول: ﴿ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاؤك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لو جدوا الله تواباً رحيماً﴾ وقد جئتك مستغفراً من ذنبي مستشفعاً بك إلى ربي ثم أنشأ يقول:

---

(١) في ط: الغرام.

(٢) في ط: أبو ذكريا وهو خطأ مطبعي!!

(٣) في ج: في زيارة قبره ﷺ. وفي ط: في زيارة قبره.

(٤) في ج: عند قبر النبي.

يا خير من دفنت بالقاع أعظمه فطاب من طيبهن القاع والأكم
نفسي الفداء لقبر أنت ساكنه فيه العفاف وفيه الجود والكرم

قال فرأيت النبي ﷺ في النوم فقال يا عتبي إلحق الأعرابي فبشره بأن الله قد غفر له.

وفي رواية غيره: إلحق الأعرابي وبشره بأن الله قد غفر له بشفاعتي قال فاستيقظت فخرجت[١] فلم أجده.

فأفاد النووي قدس الله تعالى روحه[٢] أن أصحاب الشافعي استحسنوا ذلك وحكوه عن غيرهم وأفاد شمول الآية للحياة والممات وأنه يستشفع به إلى ربه وساق ذلك مساق ما هو متفق عليه ولم يتعرض لذلك أحد بالإنكار في سائر الأعصار وزدت أنا هذين البيتين (١٢٦/أ) لعلي يلحقني نصيب من شفاعته وهما:

وفيه كل خصال الحمد قد جمعت فلذ به فهو من تُدعى[٣] له الذمم
وهو الذي يرتجى في كل معضلة وفي المعاد إذا زلت بنا القدم

---

(١) في ط: قد غفر له بشفاعتي فخرجت.

(٢) في ج: قدس الله سره.

(٣) وفي ط: ترعى.

[٣- قصة الراهبين مع أبي عبدالله الفرحي]

وقال السيد الجليل قطاع المفاوز على قدم التوكل أبو عبد الله الفرحي قدس الله تعالى روحه[١] ونور ضريحه: خرجت مرة أريد الزيارة من طريق المفاوز فوقعت في التيه ـ فكنت فيه أياما حتى أشرفت على الموت ـ فبينا أنا كذلك إذ رأيت راهبين يسيران كأنهما خرجا من مكان قريب يريدان ديراً لهما بالقرب. فملت إليهما فقلت: أين تريدان؟ فقالا: لا ندري. قلت[٢] من أين أتيتما؟ قالا: لا ندري. قلت: فتدريان أين أنتما؟ قالا: نعم نحن في ملكه وبين يديه.

قال: فأقبلت على نفسي أقول لها راهبان يتحققان بالتوكل دونك ثم قلت لهما: أتأذنان في[٣] الصحبة. فقالا: ذاك إليك قال فسرنا فلما أمسينا قاما إلى صلاتهما وقمت إلى صلاة المغرب فتيممت وصليت فنظرا إليّ وقد تيممت فضحكا مني فلما فرغا من صلاتهما بحث أحدهما بيده فإذا بالماء قد ظهر وإذا بطعام موضوع. قال: فبقيت[٤] أتعجب من ذلك. فقالا لي: ادن وكل واشرب. قال: فأكلنا وتوضأت. وقاما فلم يزالا في صلاتهما، (١٢٦/ب) وأنا في صلاتي حتى أصبحنا، فصليت الفجر ثم قاما يسيران فساروا إلى الليل.

فلما أمسينا تقدم الآخر فصلى بصاحبه، ثم دعا بدعوات، ثم بحث الأرض بيده فنبع الماء وظهر الطعام. فقالا لي: ادن وكل اشرب. قال: فأكلنا

---

(١) في ط: قدس الله سره.

(٢) في ط: فقلت.

(٣) في ط: أتأذنان لي في.

(٤) في ج: فقضيت العجب.

وشربنا وتوضأت للصلاة ثم نضب الماء وغار حتى لم يبق له أثر.

فلما كانت الليلة الثالثة قالا لي: يا مسلم الليلة نوبتك. قال: فاستحييت من قولهما وداخلني من ذلك هَمٌّ شديد.

قال: فقلت في نفسي اللهم إني أعلم أن ذنوبي لم تدع لي عندك جاها ولكني أسألك وأتوسل إليك بنبيك المكرم عندك لا تفضحني عندهما ولا تشمت بنبيك محمد ﷺ. قال: فإذا بعين خرارة وطعام كثير. قال: فأكلنا وشربنا.

ولم نزل على حالنا حتى بلغت النوبة الثانية إليَّ قال: فدعوت بمثل ما دعوت أولاً وتوسلت بالنبي ﷺ فإذا بطعام اثنين وشراب اثنين دون ما كان. قال: فتقاصرت إليَّ نفسي وقصرت عن الأكل وأريتهما أني آكل فسكتا عني قال: وسرنا حتى بلغت النوبة الثالثة إليَّ قال: فدعوت بمثل ما دعوت وتوسلت بالنبي ﷺ وأقوى[1] حالي في أمري[2] صدق توسلي (١٢٧/أ) به ﷺ لعلمي[3] بأنه وسيلة من قبلي فإذا بطعام اثنين والماء مثل ذلك فغمني ذلك.

قال فغلبتني عيناي من الهَمّ خوف الشماتة بديننا فإذا بقائل يقول لي أدرناك بالإيثار الذي خصصنا به محمداً ﷺ من دون الأنبياء وهي علامته وكرامة أمته من بعده يوم القيامة. قال: فلما بلغت النوبة الرابعة إلى قالا لي: يا مسلم[4] ما هذا إنا نرى في طعامك وشرابك نقصاً فلم ذلك. فقلت لهما:

(١) في ط: وقوى.

(٢) في ب: أمر صدق.

(٣) في ط: علمي.

(٤) في ط: قال: بل يا مسلم.

أو لم تعلما أن هذا خلق خص[١] الله عز وجل به نبيه محمداً ﷺ من بين الأنبياء وخص أمته به من بعده، إن الله عز وجل يريدني بالإيثار[٢] وقد آثرتكما استناناً بنبيه المكرم[٣] فقالا: صدقت. ثم قالا: نشهد أن لا إله الله ونشهد أن محمداً عبده ورسوله. أرسله بالهدى ودين الحق. صدقت في قولك، هذا خلق محمد في كتب الله المنزلة أن الله عز وجل خص محمداً وأمته بذلك. قال وحسن إسلامهما. قال: ثم قلت لهما: في الجمعة والجماعة. فقالا: ذلك واجب. قلت: نعم فاسألا الله تعالى وادعيا[٤] أن يخرجنا من هذا التيه إلى أقرب الأماكن فدعيا[٥]، فبينا نحن نسير إذا نحن ببيوت قد أشرفنا عليها فإذا هي بيت المقدس.

قال فدخلنا المسجد وأقمنا أياما. ثم تجدد لي سفر ففارقتهما وقد ملئ قلبي فرحاً بإسلامهما وبصحة[٦] توسلي (١٢٧/ب) بالنبي ﷺ وأنه غياث الصادقين في محبته[٧] السالكين خلفه في صدقه مع ربه وصحة الاعتماد عليه.

فانظر أرشدك الله كيف بصدق التوسل به جرى ما جرى من حصول الكرامات من نبع الماء وحصول الطعام والاهتداء لهما فلله عز[٨] وجل المنة على ما أكرمنا به وعلى ما وهب لأولياءه[٩] من آثار معجزاته.

(١) في ط: أن هذا خص.

(٢) في ط: يريد بي الإيثار.

(٣) في ط: آثرتكما اقتداءً بنبي المكرم.

(٤) في ج-ط: وادعوا.

(٥) في ج-ط: فدعوا.

(٦) في ط: وبصحبة وهو خطأ كما أشار مصحح الطبعة.

(٧) في ط: محبة. وهو خطأ كذلك. وقد نبه عليه أيضاً.

(٨) في ط: فله.

(٩) في ب-ط: الأولياء.

[٤- قصة المكثر من الصلاة على النبي ﷺ]

وقال سفيان الثوري: بينا أنا أطوف بالبيت وإذا أنا برجل لا يرفع قدماً ولا يضع أخرى إلا وهو يصلي على النبي ﷺ . فقلت: يا هذا إنك تركت التسبيح والتهليل وأقبلت على الصلاة على النبي ﷺ، فهل عندك من هذا شيء فقال لي: من أنت؟ قلت: سفيان الثوري. فقال: لولا أنك غريب في أهل زمانك لما أخبرتك عن حالي ولما أطلعتك على سرى.

ثم قال: خرجت أنا ووالدي حاجين إلى بيت الله الحرام وإلى زيارة سيد الأنام حتى إذا كنا ببعض المنازل مرض والدي فعالجته فمات فلما مات اسود وجهه فقلت: إنا لله وإنّا إليه راجعون ثم غطيت وجهه[1] فغلبتني عيناي من الهَمّ، فنمت. فإذا أنا برجل لم أر أجمل منه ولا أنظف[2] ثوباً ولا أطيب رائحة منه فدنا من والدي وكشف عن وجهه وأَمَرَّ يده عليه فعاد وجهه (١٢٨/أ) أبيض ثم ذهب، فتعلقت بثوبه وقلت له: يا عبد الله مَنَّ أنت الذي مَن الله عز وجل عليّ وعلى والدي بك في دار الغربة لكشف هذه الكربة. فقال: أو ما تعرفني أنا محمد بن عبد الله صاحب القرآن، أما إنّ والدك كان مسرفاً على نفسه ولكنه كان يكثر الصلاة عليّ. فلما نزل به ما نزل استغاث بي وأنا غياث من أكثر الصلاة عليّ. قال: فانتبهت فإذا وجه والدي قد ابيض.

فانظر أرشدك الله عز وجل لإجلاله[3] وتعظيمه في حياته وبعد وفاته كيف أغاث من استغاث به حتى في البرزخ فهو عليه الصلاة والسلام كما

(١) في ط: من قوله (وجهه) إلى فغطيت وجهه. سقطت.

(٢) في أ: أنضف. وهو خطأ من الناسخ.

(٣) في ط: إلى جلاله.

قيل فيه[١]:

غياث لملهوف وغيث لآمل ... وعين لظمآن وعون لذى جهد

له فوق إيوان الزمان مراتب ... يقصر عنها الأنبياء أولوا المجد

فموسى وعيسى والخليل ونوحهم ... يقولون طه منتهى السؤل والقصد

حوى قصبات السبق من قبل آدم ... وكهلا وأيام الطفولة في المهد

به طيبة طابت ولا غرو قد حوت ... طبيب قلوب الخلق من مرض الجحد

فلولاه ما اشتاقت قلوب نفيسة ... إلى الشيح من أرض الحجاز ولا الرند

ولا ذكرت سلع ونعمان والنقا ... ولا استعذبت من شدة[٢] الوجد للوجد

فسبحان من قربه وبَجَّله وعظمه ومنحه وتَوَّجَه خِلَع الفضائل وجعله (١٢٨/ب) أعظم[٣] ما يتوجه به إليه وأعظم الوسائل.

---

(١) في ط: كما قيل.

(٢) في ب: ولا استعذبت شدة.

(٣) في ج: أفضل.

[و- إرشاد النبي ﷺ أمته للتوسل إلى الله به: حديث الضرير واستمرار الصحابة على ذلك بعد وفاته ﷺ]

روى الترمذي من حديث عثمان بن حنيف ﷺ أن رجلا ضرير البصر أتى(١) إلى النبي ﷺ فقال: ادع لي أن يعافيني الله. فقال: إن شئت دعوت، وإن شئت صبرت فهو خير لك. قال: فادعه.

فأمره رسول الله ﷺ أن يتوضأ فيحسن الوضوء ويدعو بهذا الدعاء: اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبيك محمد نبي الرحمة، يا محمد إني توجهت(٢) بك إلى ربي في حاجتي هذه لتقضى. اللهم شفعه فيَّ.

قال الترمذي حديث حسن صحيح ورواه النسائي بنحوه ورواه البيهقي وزاد محمد بن يونس في روايته: فقام(٣) وقد أبصر. وفي رواية شعبة: ففعل فبرئ وفي رواية: يا محمد. إني توجهت بك إلى ربي فتجلي عن بصري، اللهم شفعه فيّ وشفعني في نفسي.

قال عثمان ﷺ: فوالله ما انصرفنا ولا أطال(٤) الحديث حتى دخل(٥) الرجل وكأنه(٦) لم يكن به ضر[1].

(١) في ط: جاء.
(٢) في ب: قد توجهت.
(٣) في ج: فقال وقد.
(٤) في ط: ولا طال.
(٥) في ط: جاء.
(٦) في ط: كأنه.

---

(1) يقول الحافظ السيد عبد الله بن الصديق الغماري في كتابه (إتحاف الأذكياء): «وللحديث روايات وألفاظ منها عند ابن أبي خيثمة بإسناد صحيح أن النبي ﷺ لما علم الضرير المذكور قال له (وإن كانت حاجة فافعل مثل ذلك) وهذا إذن بالتوسل في سائر الأحوال، ثم إن الروايات كلها متفقة على أن الذي دعا هو الرجل الضرير لا النبي صلى الله عليه وآله وسلم =

= ولهذا ترجم له البيهقي في دلائل النبوة بقوله: (باب ما جاء في تعليمه الضرير ما كان فيه شفاؤه حين لم يصبر وما ظهر في ذلك من آثار النبوة) أ.هـ.

ثم إن الحديث صحيح صححه الترمذي وابن خزيمة والطبراني والحاكم والبيهقي والمنذري والنووي والذهبي وابن حجر والهيثمي والسيوطي بل لا خلاف بين المحدثين في صحته» أ.هـ ص٢٥ ونقل الحافظ الغماري في كتابه (الرد المحكم المتين) إقرار ابن تيمية أيضاً بصحة هذا الحديث انظر تحقيق طرقه بالكتاب ص١٤١ حتى١٦٩ وقد ذكر رحمه الله رواية الترمذي ثم قال: «قال الترمذي: (حديث حسن صحيح غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه من حديث أبي جعفر وهو غير الخطمى) قلت: كذا في نسختي المطبوعة بالهند من جامع الترمذي ولعل زيادة لفظ (غير) سهو من الترمذي رحمه الله وإلا فأبو جعفر هو الخطمي كما صرح به ابن أبي خيثمة والطبراني وغيرهما وسيأتي كلامهم. وقال ابن تيمية ما نصه: (هكذا وقع في الترمذي، وسائر العلماء قالوا هو أبو جعفر الخطمي وهو الصواب وأيضاً فالترمذي ومن معه لم يستوعبوا لفظه كما استوعبه سائر العلماء بل رووه إلى قوله: (اللهم فشفعه في) أ.هـ بلفظه» أ.هـ الرد المحكم المتين ص ١٤٣، ١٤٤ وقد ذكر الإمام الكوثري في مقالاته أن هناك نسخاً لصحيح الترمذي ليس فيها كلمة (غير) وقال الحافظ عبد الله الغماري في كتابه (إتحاف الأذكياء): «وما قيل من أن أبا جعفر في سنده ليس هو الخطمي بل هو آخر مجهول، ليس بشيء، والصواب أن أبا جعفر هو الخطمي المدني كما جاء مصرحا به في روايات الطبراني والحاكم والبيهقي زاد الطبراني في المعجم الصغير أن اسمه عمير بن يزيد وأنه ثقة وليس من المعقول أن يجمع الحفاظ على تصحيح حديث في سنده مجهول خصوصاً الذهبي والمنذري والحافظ فمحاولة بعض العصريين تضعيف الحديث مقضي عليها بالفشل الكبير..» إلى أن قال: «.. إن العلماء فهموا الحديث على العموم كما هو الواجب في نصوص الشارع فأورده الترمذي في كتاب الدعوات من سننه والحاكم في الدعاء من مستدركه والبيهقي في كتاب الدعوات وهو مؤلف خاص، معتبرين له من جملة الأدعية المشروعة المأثورة، وأورده ابن ماجه في كتاب الصلاة من سننه وكذا فعل المنذري في الترغيب والترهيب والهيثمي في مجمع الزوائد معتبر الصلاة فيه والدعاء من جملة النوافل المطلوبة، وأورده النووي في أذكار الحاجة من كتاب الأذكار معتبراً له من جملة الأذكار التي تقال عند عروض حاجة وإرادة قضائها، وأورده غير هؤلاء كابن خزيمة في صحيحه المرتب على الكتب والأبواب وهذا اتفاق منهم على أن الحديث معمول به في سائر الأوقات والأزمان ولو كان خاصاً بذلك الضرير أو بحالة دون حالة أو بوقت دون وقت لم=

فهذا حديث صحيح صريح في التوسل والاستجابة وليس فيه أنه فعل ذلك في حضرة النبي ﷺ ولا فيه[1] التقييد بزمن حياته ولا أنه خاص بذلك الرجل بل إطلاقه عليه الصلاة والسلام يدل على أن هذا التوسل مستمر بعد وفاته شفقة عليهم (١٢٩ /أ) لأنه بهم رءوف رحيم ولاحتياجهم إلى ذلك في

(١) في ط: وليس فيه.

= يكن لذكرهم له في كتب الأحكام وغيرها فائدة أو لنبهوا على أنه خاص ليس بعام كما فعلوا في غيره من الأحاديث التي تكون خاصة ببعض الحالات » أ.هـ ص ٢٥- ٢٧ وقد زاد حفظه الله هذا الموضوع إيضاحاً في معرض ردِّه على المبتدع الألباني في كتابه (إرغام المبتدع الغبي) فقال: «. قلنا في حديث توسل الضرير كفاية وغناء، لأن النبي حين علّم الضرير ذلك التوسل دل على مشروعيته في جميع الحالات. ولا يجوز أن يقال عنه: توسل مبتدع ولا يجوز تخصيصه بحال حياته ﷺ، ومن خصصه فهو المبتدع حقيقة لأنه عطل حديثا صحيحاً وأبطل العمل به وهو حرام. والألباني عفا الله عنه جرئ على دعوى التخصيص والنسخ لمجرد خلاف رأيه وهواه. فحديث الضرير لو كان خاصاً به لبينه النبي ﷺ كما بين لأبي بردة أن الجذعة من المعز تجزئه في الأضحية ولا تجزئ غيره كما في الصحيحين وتأخير البيان عن وقت الحاجة لا يجوز » أ.هـ ثم ذكر الشبهة التي يثيرها المبتدعة ويستدلون بها على تخصيص الحديث فقال: «قد يقال: الداعي إلى تخصيص الحديث بحال حياة النبي ﷺ ما فيه من ندائه، وهو عذر مقبول. والجواب: إن هذا اعتذار مردود، لأنه تواتر عن النبي ﷺ تعليم التشهد في الصلاة وفيه السلام عليه بالخطاب ونداؤه (السلام عليك أيها النبي) وبهذه الصيغة علمه على المنبر النبوي أبو بكر وعمر وابن الزبير ومعاوية واستقر عليه الإجماع كما يقول ابن حزم وابن تيمية.

والألباني لابتداعه خالف هذا كله وتمسك بقول ابن مسعود، (فلما مات قلنا السلام على النبي) ومخالفة التواتر والإجماع هي عين الابتداع. مع أنه صح عن النبي ﷺ أن أعمالنا تعرض عليه وثبت أن لله ملائكة سياحين في الأرض يبلغونه سلام أمته، وثبت بالتواتر والإجماع أن النبي ﷺ حي في قبره وأن جسده الشريف لا يبلى. فكيف يمتنع مع هذا نداؤه في التوسل به؟ وهل هو إلا مثل ندائه في التشهد! » أ.هـ ص ١٩، ٢٠.

وهذا الحديث هو الحديث الثالث في كتاب (رفع المنارة) انظره ص ١٢٢.

حاجاتهم ويدل على ذلك أن عثمان بن حنيف راوي الحديث هو وغيره فَهِمُوا التعميم ولهذا استعمله هو وغيره بعد وفاة النبي ﷺ كما رواه الطبراني في معجمه الكبير في ترجمة عثمان بن حنيف رضي الله عنه ذكره في أول الجزء الخمسين بسنده(١) أن رجلاً كان يختلف إلى عثمان بن عفان رضي الله عنه في حاجة له فكان عثمان لا ينظر في حاجته فلقي الرجل عثمان بن حنيف رضي الله عنه وشكا إليه ذلك فقال له عثمان بن حنيف رضي الله عنه: ائت الميضأة فتوضأ ثم ائت المسجد فصل ركعتين ثم قل: اللهم أني أسألك وأتوجه(٢) إليك بنبينا محمد نبي الرحمة يا محمد إني أتوجه بك إلى ربي فتقضي حاجتي(٣) وتذكر حاجتك . ورُحْ حتى أروح معك فذهب الرجل وفعل ما قاله له عثمان بن حنيف رضي الله عنه(٤).

ثم إن الرجل أتي إلى باب عثمان بن عفان رضي الله عنه فجاء البواب فأخذ بيده حتى أدخله إلى عثمان بن عفان رضي الله عنه فأجلسه معه على الطنفسة فقال: حاجتك فأعلمه بها فقضاها له. وقال: ما ذكرت حاجتك إلا الساعة. ثم قال عثمان بن عفان رضي الله عنه: ما كان (١٢٩/ب) لك من حاجة فاذكرها، ثم إن الرجل خرج من عند عثمان بن عفان رضي الله عنه فلقي عثمان بن حنيف رضي الله عنه فقال له: جزاك الله تعالى خيراً أما إنه ما كان ينظر في حاجتي ولا يتلفت إلي حتى كلمته فيَّ فقال عثمان بن حنيف رضي الله عنه ما كلمته فيك(٥) ولكن شهدت

(١) في ط: من مسنده.

(٢) في ب: توجهت.

(٣) في ط: حاجتك. وهو خطأ. كما نبه عليه المصحح.

(٤) في ط: فعل ما قال عثمان بن حنيف له.

(٥) في ط: ما كلمته. فقط.

رسول الله ﷺ أتاه[١] ضرير فشكى إليه ذهاب بصره فقال له عليه الصلاة والسلام أو تصبر فقال يا رسول الله إنه ليس لي قائد وقد شق علي فقال له عليه الصلاة والسلام: ائت الميضأة فتوضأ ثم صل ركعتين ثم ادع بهذه الدعوات. قال عثمان بن حنيف: فوالله ما تفرقنا[٢] ولا طال الزمان حتى دخل علينا الرجل كأنه لم يكن به ضر قط ورواه البيهقي بإسناده من طريقين[1].

(١) في ب: وأتاه.

(٢) في ط: ما انصرفنا.

---

(1) يقول السيد عبد الله الغماري في كتابه (إتحاف الأذكياء) بعد أن ذكر رواية الطبراني والبيهقي لهذه القصة: «وهذه القصة صحيحة صححها الطبراني ونقل تصحيحه الحافظ المنذري في الترغيب والحافظ الهيثمي في مجمع الزوائد وأقرّاه عليه » أ.هـ ص ٣٩ وقد حاول بعض أذناب ابن تيمية تضعيف هذه القصة متبعين أسلوب الغش والخيانة- كدأبهم دائماً – وتحريف النقول للطعن في سند هذه القصة بتضعيف أحد رجال هذا السند وهو: شبيب بن سعيد التميمي الحبطي من رجال البخاري روى عنه في الصحيح وفي الأدب المفرد فتصدى لهم السيد عبد الله الغماري وبين توثيق الأئمة له وأن كلام ابن عدى فيه إنما هو على نسخة الزهري عن شبيب فقط و لم يقصد جميع رواياته ثم رد على شبهتهم الثانية وهي أن بعض الرواة لم يذكر القصة فقال: « ودعواه ضعف القصة بالاختلاف فيها حيث لم يذكرها بعض الرواة عند ابن السني والحاكم لون آخر من التدليس، لأن من المعلوم عند أهل العلم أن بعض الرواة يروي الحديث وما يتصل به كاملاً وبعضهم يختصر منه بحسب الحاجة والبخاري يفعل هذا أيضاً .. » إلى أن نقل توثيق الحاكم لهذه الزيادة – القصة – ثم قال: «وهو يؤكد ما تقرر عند علماء الحديث والأصول أن زيادة الثقة مقبولة وأن من حفظ حجة على من لم يحفظ ... » إلى أن قال تعليقا على القيمة العلمية لهذه القصة: « تبين مما أوردناه وحققناه في كشف تدليس الألباني وغشه أن القصة: صحيحة جداً رغم محاولاته وتدليساته وهي تفيد جواز التوسل بالنبي ﷺ بعد انتقاله، لأن الصحابي راوي الحديث فهم ذلك وفهم الراوي له قيمته العلمية وله وزنه في مجال الاستنباط. وإنما قلنا إن القصة من فهم=

فهذا من أوضح الأدلة على الاحتجاج بالتوسل بالنبي ﷺ بعد وفاته كحياته لفعل[١] عثمان راوي الحديث ولفعل غيره في حياته وبعد وفاته وهم أعلم بالله عز وجل وبرسوله ﷺ من غيرهم وإليهم ترجع الأمور في القضايا التي شاهدوها (١٣٠ /أ) في زمنه وأخذوها عنه ﷺ[٢] ومن عدل عن ذلك فقد أفهم عن نفسه أن عنده ضغينة لهم وهذا من الواضحات الجليات التي لا ينكرها إلا صاحب دسيسة أعاذنا الله تعالى من ذلك.

---

(١) في ط: كفعل.

(٢) في ط: وأخذوها عنهم ﷺ وهو خطأ وأشار إلى ذلك المصحح.

= الصحابي على سبيل التنزل، والحقيقة أن ما فعله عثمان بن حنيف من إرشاده الرجل إلى التوسل كان تنفيذاً لما سمعه من النبي ﷺ كما ثبت في حديث الضرير » ثم ذكر رواية ابن أبي خيثمة في تاريخه بسنده « (... وإن كانت حاجة فافعل مثل ذلك) إسناده صحيح، والجملة الأخيرة من الحديث تصرح بإذن النبي ﷺ في التوسل به عند عروض حاجة تقتضيه » أ.هـ من كتاب (إرغام المبتدع الغبي) ص ١٥ – ١٧.

انظر (رفع المنارة) الحديث الثالث ص ١٢٢ فما بعدها.

[ز- الحث على تعظيم النبي ﷺ وتوقيره والصلاة عليه]

وقال القاضي عياض[١] في أشهر كتبه المتداوله بين الناس وهو الشفاء: الفصل الثاني في حرمته بعد وفاته.

وأما حرمة[٢] النبي ﷺ بعد وفاته وتوقيره وتعظيمه فهو لازم كما كان في حياته وذلك عند ذكره عليه الصلاة والسلام وذكر حديثه وسنته وسماع اسمه وسيرته ومعاملة آله وتعظيم أهل بيته وصحابته واجب على كل مؤمن[٣] متى ذكر عنده أن يخضع ويخشع ويتوقر ويسكن من حركته فيأخذ في هيبته وإجلاله بما كان يأخذ بعينه لو كان بين يديه ويتأدب بما أدبنا الله عز وجل به.

وقال ابن حبيب إذا دخلت مسجد رسول الله فصل ركعتين بين الروضة والمنبر ثم اقصد القبر من وجاه[٤] القبلة وادن منه ثم سلم على رسول الله ﷺ واثن(١٣٠/ب) عليه وعليك السكينة والوقار فإنه عليه الصلاة والسلام يُسَلِّم[٥] ويعلم وقوفك بين يديه.

وكذا قاله غيره من الأئمة قال الحافظ أبو الفرج بن الجوزي: (أما زيارة قبره عليه [الصلاة][٦] والسلام فأحضر قلبك لتعظيمه والهيبة وأحضر عظيم رتبته في قلبك واعلم أنه عالم بحضورك وتسليمك).

وهذا الذي قالاه معروف مشهور لأن الصحابة ﷺ كانوا يغضون أصواتهم في مسجده تعظيماً له وتوقيراً.

وفي البخاري أن عمر ﷺ قال لرجلين من أهل الطائف:« لو كنتما من

---

(١) في ب: رحمه الله.

(٢) في ط: حرمته. وهو خطأ وأشار إليه المصحح أيضاً.

(٣) في ج: على كل مسلم.

(٤) في ط: تجاه.

(٥) في ب-ط: مسلم.

(٦) في ج-ط: زيادة الصلاة.

أهل البلد لأوجعتكما. ترفعان أصواتكما في مسجد رسول الله»ﷺ[1].

وكانت عائشة رضي الله عنها إذا سمعت دق الوتد أو المسمار يضرب في بعض الدور المطنبة لمسجد رسول اللهﷺ ترسل إليهم لا تؤذوا رسول اللهﷺ.

وروي أن علياً ﷺ لما عمل مصراعي داره ما عملهما إلا بالمناصع توقياً لذلك[2].

والآثار بمثل ذلك كثيرة جداً. وكذا الأخبار بعروض(١) الصلاة عليه.

وكذا برد روحه الشريف العظيمة الكريمة على الله عز وجل وإذا ثبت ردها ثبتت حياته وإذا ثبتت حياته وجب القطع بصحة التوسل به.

في ابن ماجه من حديث أبي الدرداء (١٣١/أ) ﷺ أنه عليه الصلاة والسلام قال (أكثروا عليّ من الصلاة يوم الجمعة فإنها(٢) مشهودة تشهده الملائكة، وإن أحداً لن يصلي علي إلا عرضت على صلاته حتى يفرغ منها). قال قلت: يا رسول الله وبعد الموت قال: (وبعد الموت فإن الله حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء فنبي الله حيّ يرزق)[3]

(١) في ط: بعرض.

(٢) في ط: فإنه.

---

(1) كتاب الصلاة – باب رفع الصوت في المساجد.

(2) المناصع: موضع خارجة المدينة، وخبر الإمام علي والسيدة عائشة رضي الله عنهما رواه الحافظ أبن النجار بسنده من طريق الحافظ أبي نعيم. انظر (الدرة الثمينة في تاريخ المدينة) للحافظ ابن النجار ص ٢٠٥.

(3) سنن ابن ماجة: كتاب الجنائز- باب ذكر وفاته ودفنه ﷺ حديث رقم (١٦٣٧) وحسَّنه الحافظ السيوطي في الجامع الصغير، قال السيد عبد الله الغماري في كتابه(نهاية الآمال): «وهكذا رواه ابن وهب في جامعه. قال الحافظ المنذري في (الترغيب والترهيب): إسناده جيد وكذا قال العلامة السيد السمهودي في (وفاء الوفا) وقال الحافظ في (تهذيب التذهيب): رجاله ثقات لكن أشار إلى انقطاع فيه، وكذا فعل تلميذه الحافظ السخاوي في (القول البديع) وصححه الحافظ البوصيري مع الإشارة إلى انقطاعه أيضاً. وقال الحافظ ابن عبد الهادي المقدسي في (الصارم المنكي) (١٨٨): وهذا الحديث وإن كان فيه شيء فهو شاهد لغيره وعاضد له أ.هـ قلت لا شيء فيه غير الانقطاع المشار إليه وأمره قريب، أما محاولته تضعيف السند بجهالة حال زيد بن أيمن فمردودة بتوثيق ابن حبان له وبتصحيحه الحفاظ المذكورين خصوصاً المنذري والعسقلاني» أ.هـ ص ٣٠، ٣١.

قال(١) عليه الصلاة والسلام (إن لله ملائكة سياحين في الأرض يبلغوني عن أمتي السلام)[1] رواه النسائي وكذا الحاكم من حديث ابن مسعود ﷺ وصححه.

وقال عليه الصلاة والسلام (ليس أحد يسلم على إلا رد الله على روحي حتى أرد عليه السلام) رواه أبو داود من حديث أبي هريرة ﷺ بإسناد جيد[2].

---

(١) في ب: وقال.

---

(1) وأقر الذهبي بصحته ورواه ابن حبان في صحيحه قال الهيثمي في مجمع الزوائد: «رواه البزار ورجاله رجال الصحيح » وصححه السيوطي في الجامع الصغير.

انظره في (رفع المنارة) ص ١٦٢.

(2) قال العلامة الخفاجي في (نسيم الرياض): «رواه أبو داود وأحمد والبيهقي وسنده حسن» أ.هـ وذكر الإمام النووي في (الأذكار) و(رياض الصالحين) أنه صحيح، وكذلك الحافظ السخاوي في (المقاصد الحسنة) والزرقاني في تلخيصها، وقد ناقش الإمام تقي الدين السبكي سند هذا الحديث بالتفصيل في الباب الثاني من كتابه (شفاء السقام) وأثبت أنه صحيح.

وظاهر الحديث يفيد مفارقة الروح لبدنه الشريف في بعض الأوقات وهذا يخالف الأحاديث المتواترة في حياة الأنبياء والشهداء – وحياة الأنبياء أكمل – ونص القرآن في حياة الشهداء ﴿ ولا تحسبن الذين قتلوا ... ﴾ الآية، ورسول الله ﷺ نبي وشهيد وقد أجاب الإمام السيوطي عن هذا في رسالة (إنباء الأذكياء في حياة الأنبياء) فقال: «أن قوله (ردّ الله) جملة حالية وقاعدة العربية أن جملة الحال إذا وقعت فعلا ماضياً قدِّرت فيها (قد) كقوله تعالى﴿ جاءوكم حصرت صدورهم﴾ أي (وقد حصرت) وكذا هنا تقدر والجملة ماضية سابقة على السلام الواقع من كل أحد و(حتى) ليست للتعلل بل هو مجرد حرف عطف بمعنى الواو فصار تقدير الحديث:« ما من أحد يسلم على إلا قدر رد الله علي روحي قبل ذلك وأرد عليه » وقال في نهاية الرسالة: «ثم بعد ذلك رأيت الحديث المسئول عنه مخرجا في كتاب (حياة الأنبياء) للبيهقي بلفظ (إلا وقد ردّ الله على روحي) فصرح فيه بلفظ (وقد)فحمدت الله كثيراً » أ.هـ ص ١٦، ٣٠ وهي منشورة أيضاً في كتاب (الحاوي) للسيوطي.

انظره في (رفع المنارة) حديث (٣٢) ص ٣٥٥.

قال البيهقي معنى قوله إلا رَدَّ الله عليه روحه: إلا وقد رد الله عليه روحه لأجل سلام من يسلم[١] عليه واستمرت في جسده لأنه لا يبلى ولا تفتر صلاة المصلين عليه ولا سلام المسلمين[٢] عليه من الثقلين وغيرهم.

وقال عليه الصلاة والسلام (لا تجعلوا قبرى عيدا وصلوا عليّ فإن صلاتكم تبلغني حيث ما كنتم) رواه أبو داود من حديث أبي هريرةؓ بإسناد صحيح[1].

والأحاديث في ذلك كثيرة.

وقال كعب الأحبار: ما من فجر يطلع إلا (١٣١/ب) نزل سبعون[٣] ألفاً من الملائكة حتى يحفوا بالقبر الشريف يضربون بأجنحتهم ويصلون على النبي ﷺ حتى إذا أمسوا عرجوا وهبط مثلهم وصنعوا مثل ذلك حتى إذا انشقت الأرض خرج رسول ﷺ في سبعين ألفاً من الملائكة يوقرونه[2].

(١) في ب: سلم.

(٢) في ج: المسلم.

(٣) في ط: أنزل الله سبعين.

(1) وقد اعترف ابن تيمية بصحة هذا الحديث وكذلك تلميذه ابن عبد الهادي في (الصارم المنكي) فقال: «هو حديث حسن جيد الإسناد وله شواهد كثيرة يرتقي بها إلى درجة الصحة » أ.هـ ص٤١٤.

وأما عبارة الحديث « لا تجعلوا قبري عيداً » فقد شرحها الإمام تقي الدين السبكي في (شفاء السقام) وقال: «.. فقال الشيخ زكي الدين المنذري (يحتمل أن يكون المراد به الحث على كثرة زيارة قبره ﷺ وأن لا يهمل حتى لا يزار إلا في بعض الأوقات كالعيد الذي لا يأتي في العام إلا مرتين). وقال (ويؤيد هذا التأويل ما جاء في الحديث نفسه: لا تجعلوا بيوتكم قبوراً. أي لا تتركوا الصلاة في بيوتكم حتى تجعلوها كالقبور التي لا يصلي فيها) قلت: ويحتمل أن يكون المراد لا تتخذوا له وقتا مخصوصاً لا تكون الزيارة إلا فيه كما ترى كثيراً من المشاهد لزيارتها يوم معين كالعيد وزيارة قبره ﷺليس لها يوم بعينه بل أي يوم كان ويحتمل أيضاً أن يراد أن يجعل كالعيد في العكوف عليه وإظهار الزينة والاجتماع وغير ذلك مما يعمل في الأعياد، بل لا يؤتى إلا للزيارة والسلام والدعاء ثم ينصرف عنه والله أعلم بمراد نبيه » أ.هـ الباب الرابع ص ٦٧.

(2) رواه الدارمي في سننه: باب (ما أكرم الله تعالى به نبيه بعد موته) حديث رقم (٩٤) وأشار محققه الشيخ حسين سليم أسد إلى ضعف سند الدرامي ثم قال: « ذكره السخاوي في (القول البديع) ص٤٨ وقال: رواه إسماعيل القاضي وابن بشكوال والبيهقي الشعب والدرامي في باب (ما أكرم الله تعالى به نبيه بعد موته من جامعه وابن المبارك في الرقائق له » .

وروى الحافظ أبو القاسم الأصبهاني صاحب الترغيب والترهيب[١] بإسناده عن أنس ﷺ قال قال رسول الله ﷺ: «من صلى عليّ في يوم جمعة وليلة جمعة مائة من الصلاة قضى الله له مائة حاجة سبعين من حوائج الآخرة وثلاثين من حوائج الدنيا ووكّل بذلك ملكا يدخله علي قبري كما يدخل عليكم الهدايا، إن علمي بذلك بعد موتي كعلمي بالحياة »[1].

وقال السيد الجليل سليمان[٢] بن شحيم قدس الله تعالى روحه: رأيت النبي ﷺ في المنام فقلت: يا رسول الله الذين يأتونك ويسلمون عليك تفقه سلامهم. قال: نعم وأرد[٣] عليهم.

---

(١) في ط: صاحب الترغيب.

(٢) في ط: سلمان.

(٣) في ج: نعم. أرد.

---

(1) ورواه عن أنس أيضاً الإمام البيهقي في كتابه (حياة الأنبياء) ورواية البيهقي بها زيادة في ألفاظ الحديث. انظر (شفاء السقام) الفصل الأول من الباب التاسع، وأيضاً رواه ابن منده في فوائده.

[ح- عودة إلى صنيع الأمة في التوسل به عليه السلام]

وقال بعض المشايخ رأيت رسول الله ﷺ في النوم فقلت: استغفر لي فأعرض عني فقلت: يا رسول الله استغفر لي فأعرض عني. فقلت: يا رسول الله إن سفيان (١٣٢/أ) بن عيينة حدثنا عن محمد ابن المنكدر عن جابر: أنك لم تسأل شيئاً قط فقلت لا. فأقبل عليّ وقال: غفر الله لك.

وكان موهوب بن عمر الجزري الشافعي إماما عالما فاضلا مفيدا يشارك في سائر العلوم مشاركة جيدة مع العقل والدين والإيثار لأهل الضرورات. وكان يتّجر فكثر ماله. فأراد الصاحب أن يتعرض له قال: فخفت منه خوفاً شديداً فلما كان في بعض الليالي رأيت النبي ﷺ في المنام فقلت: يا رسول الله إني خائف من الصاحب، فقال: لا تخف منه وقل له بعلامة كذا وكذا لا تؤذني فرسول الله ﷺ يشفع فِيّ[١].

قال فلما انتهبت صليت الصبح وركبت دابتي ووقفت للصاحب في الطريق وهو طالع إلى القلعة قال: فسلمت عليه وصحبته وقلت له[٢]: معي رسالة. فقال: ممن. قلت: من رسول الله ﷺ. وقال: قل له بعلامة كذا وكذا. فقال: صدقت أنت وصدق رسول الله ﷺ وأنا اليوم أتشفع بك إلى رسول الله ﷺ فالمولى يرسم والمملوك يمتثل، ومهما كان لك من الحوائج تعرفني بها أو لأحد أصحابك.

وطلب بعض أمراء (١٣٢/ب) الجور رجلا أراد منه شيئاً وهدده تهديداً شديداً وتواعده[٣] بالعقوبات. فقال له الرجل: أنا أتشفع إليك بسيد الأولين والآخرين أن لا تتعرض لي بما لا يحل لك. فلم يلتفت إليه ولا إلى قوله. فلما

(١) في ج: يشفع في مالي.

(٢) في ج: وقلت: معي.

(٣) في ط: وهدده تهديداً وتواعده.

أصبح الصباح طلب الأمير ذلك الرجل(١) وأكرمه بعد أن فك عنه الطلب. فقيل للأمير في ذلك فقال: رأيت البارحة رسول الله ﷺ فنهرني وهمّ بي وقال: يتشفع بي(٢) ولا تقبل. فوالله لا يتشفع به أحد إليّ إلا قبلت شفاعته، فإني خفت على نفسي الهلكة.

وعن منصور بن عبد الله قال: سمعت ابن الجلاء يقول: دخلت مدينة الرسول ﷺ وبي شيء من الفاقة فتقدمت إلى القبر فسلمت على النبي ﷺ وعلى ضجيعيه أبي بكر رضي الله عنه وعمر رضي الله عنه. ثم قلت: يا رسول الله بي فاقة وأنا ضيفك الليلة. ثم تنحيت ونمت بين القبر والمنبر وإذا أنا بالنبي ﷺ جاءني(٣) ودفع إليّ رغيف خبز فأكلت نصفه فانتبهت فإذا في يدي نصف الرغيف. ومن تتمة القصة أن قال ابن الجلاء أنه دام بعد ذلك أربعين سنة لم يحتج فيها إلى طعام الدنيا ولا إلى شرابها ببركة تلك الأكلة.

قال العلماء: الظاهر أن ما (١٣٣/أ) أتاه به النبي ﷺ من طعام الجنة لأن من أكل من طعام الجنة استغنى عن طعام الدنيا.

قالوا وهذه رؤيا حق لما جاء في الحديث: (من رآني في المنام فقد رآني حقاً فإن الشيطان لا يتمثل بي)(1).

ومثل هذا وقع للسيد الجليل أبي الخير الأقطع صاحب المقامات الباهرة والكرامات الظاهرة قال: دخلت مدينة النبي ﷺ وأنا بفاقة فأقمت خمسة أيام ما ذقت ذواقاً. فتقدمت إلى القبر وسلمت على النبي ﷺ وعلى أبي بكر

---

(١) في ط: طلب الأمير الرجل.

(٢) في ب: تشفع بي ولا.

(٣) في ط: قد جاءني.

---

(1) حديث صحيح رواه البخاري والترمذي، وأحمد في مسنده عن أنس.

وعمر رضي الله عنهما وقلت: أنا ضيفك يا رسول الله وتنحيت ونمت خلف القبر فرأيت في المنام النبي ﷺ وأبا بكر عن يمينه وعمر عن شماله وعلي بين يديه فحركني وقال: قم قد جاء الرسول الله ﷺ قال: فقمت إليه وقبلت بين عينيه فدفع إلى رغيفاً فأكلت نصفه وانتبهت وإذا في يدي نصف رغيف(1).

قال العلماء: وإنما تبقى(١) نصف الرغيف ليتحقق الأمر وتظهر كرامة أولياء(٢) الله عز وجل الذين سلكوا سبيله بصدق، ﷺ ورضي عنهم.

وقال ابن أبي زرعة(٣) الصوفي سافرت مع أبي ومع ابن خفيف(٤) إلى مكة وأصابتنا فاقة شديدة فدخلنا (١٣٣/ب) مدينة النبي ﷺ وبتنا طاوين وكنت دون البالغ فكنت أجيء إلى أبي غير دفعة وأقول: أنا جائع. فأتى والدي إلى الحضرة الشريفة وقال: يا رسول الله أنا ضيفك الليلة. وجلس على المراقبة(٥)، فلما كان بعد ساعة رفع رأسه وكان يبكي ساعة، ويضحك

---

(١) في ب-ط: يبقى.

(٢) في ط: وتظهر الكرامة لأولياء.

(٣) في ب: زرعر. وفي ط: ذرعة.

(٤) في ب-ط: حنيف.

(٥) في ب: المرقبة.

---

(1) ذكر هذه القصة الحافظ السخاوي وعزاها إلى أبي عبد الرحمن السلمي بإسناده إلى أبي الخير الأقطع، وذكرها بسنده الحافظ ابن النجار في (الدرة الثمينة في تاريخ المدينة) ص٢٢٥ وأغلب الآثار التي ذكرها الإمام الحصني موجودة بالسند في هذا الكتاب وكذا كتاب (مصباح الظلام في المستغيثين بخير الأنام) للإمام ابن التلمساني، مخطوط أعان الله على إخراجه. وأبو الخير الأقطع مغربي الأصل له كرامات وفراسة حادة كبير الشأن مات سنة نيف وأربعين وثلاثمائة ، انظر الرسالة القشيرية.

ساعة. فقال: رأيت رسول الله ﷺ فوضع[١] في يدي دراهم وفتح يده فإذا فيها دراهم وبارك الله تعالى لنا فيها إلى أن رجعنا إلى شيراز[٢] فكنا ننفق منها.

وقال السيد الجليل أبو العباس أحمد الصوفي تهت في البادية ثلاثة أشهر وانسلخ جلدى فدخلت المدينة الشريفة وجئت. إلى النبي ﷺ فسلمت عليه وعلى صاحبيه ثم نمت فرأيت النبي عليه الصلاة والسلام في النوم فقال لي: يا أحمد جئت قلت: نعم. وأنا جائع وأنا في ضيافتك. فقال لي: افتح كفيك ففتحتهما[٣] فملأهما دراهم. فانتبهت وهما ملأ. فقمت فاشتريت لي خبز[٤] حواري وفالوذجاً فأكلت وقمت للوقت ودخلت البادية.

ومثل هذا كثير وهؤلاء رجال صدق يقطعون البوادي على قدم التوكل لا يعتمدون على غيره ولا يأنسون بسواه وتقع ألطاف وأمور عجيبة. وقد (١٣٤/أ) ذكرت جملة من ذلك في كتاب (تنبيه السالك) في فصل الكرامات فمن أراد أن يقف على الغرائب والعجائب فلينظر فيه وفيما وهب لهم من الكرامات على مقدار طبقاتهم.

وخرج بعض المشايخ يريد الزيارة في جماعة من الفقراء قال: فلما وصلنا إلى شعب النعام أدركنا العطش وبيننا وبين المدينة مراحل. قال فاستغثت بالنبي ﷺ وصليت ونمت فرأيت النبي ﷺ فقال: مرحبا بك وبجماعتك وضمني إلى صدره وقبلني. فقبلت يده الكريمة وقدمه وقلت له: يا سيدي يا

(١) في ج: ووضع.

(٢) في ط: رجعنا شيراز.

(٣) في ط: ففتحهما. والصواب كما أشار المصحح ما أثبتناه.

(٤) في ط: خبزاً.

رسول الله أنا خائف على أصحابنا من العطش فقال: لا تخف فإنا نُسَيِّر لكم الماء وها نحن نعد لكم الضيافة، ورأيته عليه الصلاة والسلام مشمر الأكمال فجاءنا السيل في تلك الليلة وملأنا ركابنا فلما قدمنا المدينة تلقانا أحد خدام النبي ﷺ فقال لي: سلم على النبي ﷺ وأشتهي أن اجتمع بك حتى أوفي لك بما أوصاني به النبي ﷺ فلما سلمت على النبي جئت إليه فقال لغلامه جئني[١] بالمائدة فجاء بها وعليها كل خير يراد فالتفت إليّ وقال: كُلْ هذا الذي أوصاني به النبي ﷺ وقال لي: هذه ضيافتك يا فلان وسماني باسمي.

وما يبعد (١٣٤/ب) أن النبي ﷺ سماه كما وقع لغيره من الخدام من تسمية أقوام قصدوا زيارته من أرض شاسعة كما أخبرني به الشيخ محمد فولاذ في المسجد الأقصى وكان من الأخيار وكثير التعبد والإيثار وحج ماشياً ما يزيد على ثلاثين حجة، قال لي: إذا جاء أوان الحج هاج بي الشوق إلى تلك المعاهد الشريفة وإلى زيارة سيد الأولين والآخرين فآخذ زادي على ظهري وسفن[٢] الماء وأسير مع الناس إلى جانب وأنا مشغول بحالي قال فاتفق أني تحادثت أنا وخادم الضريح وتذاكرنا مواهب الله عز وجل لسيدنا رسول الله ﷺ فقال لي: يا شيخ محمد لي[٣] أخدم هذا الضريح ستين سنة فاتفق في يوم حار أني سمعت السرير يصرصر وسمعت صوته عليه الصلاة والسلام وهو يقول: وعليك السلام يا فلان بن فلان ويا فلان بن فلان[٤]

---

(١) في ط: جيء.

(٢) في ط: وإناء.

(٣) في ط: إني.

(٤) في ط: وعليك السلام يا فلان ويا فلان ابن فلان.

وسمى ثمانية أنفس. قال الخادم: فقمت من ساعتي وجئت الضريح فإذا[١] بشخص كاد أن يموت من الهزال جالس عند الضريح فسلمت عليه وقلت: ما اسمك فقال: فلان بن فلان: لأحد الثمانية. فقلت له: وأين رفقتك (١٣٥/أ) فقال: عند باب الحرم قد عجزوا عن الوصول إلى عند الضريح[٢] قال: فعمدت إليهم فإذا ثلاثة من الذين سماهم رسول الله ﷺ فقلت وأين بقيتكم فقالوا فارقناهم من وراء تلك الأكمة قال: فأخذت ما أحملهم عليه وماءً وشيئاً من الأكل ومضيت فوجدت الأربعة قد قضوا قال فجهزتهم ثم رجعت إلى الأربعة فأخذتهم وأكرمتهم وسألتهم من أين وردهم فقالوا من بلاد شاسعة تعاقدنا وتعاهدنا[٣] على زيارة سيدنا رسول الله ﷺ وأن لا نرجع عن ذلك ولو ذهبت أنفسنا فأما نحن فقد أعطانا الله عز وجل مرادنا وأما إخواننا الذين ماتوا عند الأكمة، فنرجو أن الله عز وجل لا يخيب مسعاهم.

ووقع مثل هذا[٤] كثيراً جدا وقد دوّنه[٥] الأئمة كابن أبي الدنيا وغيره وعقدوا له: باب الاستغاثة بالنبي ﷺ وخرجوه بأسانيدهم على اختلاف الوقائع.

---

(١) في ط: وإذا.

(٢) في ط: إلى الضريح.

(٣) في ج: تعاهدنا وتعاقدنا.

(٤) في ط: مثل ذلك.

(٥) في ب: روته.

وفيهما ما يتعلق بالصديق والفاروق رضي الله عنهما.

وها أنذا أتعرض لنبذة يسيرة جداً من غير ذكر الأسانيد[١] لأنه اللائق بهذه الورقات فمن أراد الكثرة فعليه بالنظر في كتب الأئمة فإنها مجلدات (١٣٥/ب) والمهمل لذكرها قد نادى على نفسه بخبث طويته في حق أصفياء[٢] الله عز وجل وأوليائه.

عائذاً الله[٣] من الزيغ والفتن ما ظهر منها وما بطن.

فمن ذلك:

ما أخبر به أبو عبيد[٤] الحسين وأبو علي بن سعيد بن نبهان وكان من فضلاء بغداد ورؤسائهم وغيرهما قالوا أراد رجل الحج فأحضره الأمير مقلد، فقال له[٥]: يا فلان تريد الحج؟ قال: نعم. قال: إذا حججت وأتيت المدينة فاقرأ على النبي ﷺ مني السلام وقل له لولا صاحباك لزرتك. قال الرجل فحججت وأتيت المدينة ولم أقل الكلام عند القبر إجلالاً لرسول الله ﷺ فلما كان الليل نمت فرأيت رسول الله ﷺ في منامي فقال لي يا فلان لم لم تؤد الرسالة من مقلد. فقلت يا رسول الله أجللتك أن أقول في صاحبيك ذلك فرفع رأسه إلى رجل قائم فقال[٦] له: خذ هذا الموسى واذبحه قال: ففعل. قال: فوافيت العراق فسمعت أن الأمير مقلد ذبح على فراشه. فلما قدمت المدينة[٧] سألت عنه فقيل: أنه ذبح على فراشه فذكرت للناس الرؤيا التي

(١) في ط: من غير الأسانيد.

(٢) في ب: أنبياء.

(٣) في ط: أعاذنا الله.

(٤) في ب – ج: أبو عبيد الله. وفي ط: أبو عبد الله.

(٥) في ط: فقال.

(٦) في ط: إلى رجل فقال.

(٧) في ط: قدمت المدينة – أي بغداد–.

رأيتها (١٣٦/أ) فشاعت إلى أن بلغت الأمير فرواس[١] بن المسيب فأحضرني وقال لي اشرح لي[٢] الحال فشرحت له فقال أتعرف الموسى؟ قلت: نعم. فأحضر طبقاً مملوءاً مواسي والموسى في الجملة فقال لي: أخرج الموسى فضربت بيدي وأخذت الموسى الذي رأيته بيد النبي ﷺ وقد ناوله الرجل فقال: صدقت هذا الموسى وجدته عند رأسه وهو مذبوح.

ومن ذلك ما أخبر به علي بن محمد قال سمعت رضوان السمان[٣] وكان من الأخيار وأهل السنة قال: كان لي جار في منزلي وفي سوقي وكان يشتم أبا بكر وعمر رضي الله عنهما[٤] قال: فكثر الكلام بيني وبينه فلما كان ذات يوم شتمهما وأنا حاضر فوقع بيني وبينه كلام حتى ناولته وناولني[٥] فانصرفت إلى منزلي وأنا مهموم حزين ألوم نفسي قال فنمت وتركت العشاء لشدة ما بي فرأيت النبي ﷺ في منامي في ليلتي فقلت: يا رسول الله فلان جاري في منزلي وفي سوقي يسب أصحابك[٦] قال[٧]: من أصحابي؟ قلت[٨]: أبا بكر وعمر رضي الله عنهما فقال لي[٩]: خذ هذه المدية واذبحه بها قال فأخذتها وأضجعته (١٣٦/ب) فذبحته، فرأيت كأن يدي أصابها من دمه فألقيت المدية وأهويت[١٠] بيدي إلى الأرض أمسحها فانتبهت وأنا أمسح يدي فأسمع الصراخ من نحو داره فقلت انظروا ما هذا الصراخ قالوا

(١) في ط: قرواس.

(٢) في ب: وقال اشرح لي.

(٣) في ط: رضوان اليماني.

(٤) في ط: وعمر قال:

(٥) في ب: حتى تناولته وتناولني.

(٦) في ط: صاحبيك.

(٧) في ج: فقال.

(٨) في ج: فقلت.

(٩) في ط: قال:

(١٠) في ج: فألقت المدية من يدي.

فلان مات فجأة، فلما أصبحنا جئت أنظر إليه لعلمي أن رؤياه حق فنظرت فإذا خط موضع الذبح.

ومن ذلك ما أخبر به يحيى بن عطاف المعدل بالموصل قال: حكى لي شيخ دمشقي جاور بالحجاز سنين. قال: جاورت بالمدينة الشريفة سنة مجدبة فخرجت إلى السوق لأشتري برباعي دقيقاً فأخذ الدقيقي[١] مني الرباعي وقال: العن الشيخين حتى أبيعك الدقيق فامتنعت من ذلك فراجعني مرات وهو يضحك فضجرت وقلت لعن الله من لعنهما. فلطم عيني فرجعت إلى المسجد والدموع تسيل. قال: وكان لي صديق زاهداً عابداً[٢] جاور بالمدينة سنين فسألني عن حالي فذكرت له القصه[٣]، فقام معي إلى التربة الشريفة وقال السلام عليك يا رسول الله. فلما جنَّ علي الليل نمت فلما أصبحت صادفت عيني أحسن مما كانت وكأنها[٤] لم يصبها ضر قط ثم[٥] لم يكن إلا ساعة وإذا (١٣٧/أ) رجل مبرقع قد دخل من باب المسجد يسأل عني فدُل عليّ فجاء وسلم علي وقال: ناشدتك الله إلا جعلتني في حل فأنا الرجل الذي لطمتك فقلت: لا. أو تذكر لي قصتك فقال: نمت فرأيت رسول الله ﷺ قد أقبل ومعه أبو بكر وعمر وعلي رضي الله عنهم فتقدمت وقلت السلام عليكم فقال علي ﷺ: لا سلم الله عليك ولا رضي عنك أنا أمرتك أن تلعن الشيخين وجعل بإصبعيه كذا في عيني ففقأهما. فانتبهت وأنا تائب إلى الله تعالى وأسألك التجاوز عن جرمي فحين سمعت قوله قلت[٦]: اذهب فأنت في

(١) في ط: صاحب الدقيقي.

(٢) في أ- ب: زاهداً عابداً وفي ج وط: زاهد عابد.

(٣) في ط: فذكرت القصة.

(٤) في ج: كأنها.

(٥) في ط: ضر، ثم.

(٦) في ب: قلت له.

حل من قبلي قال أبو النصر وكان هذا الشيخ الدمشقي دينا صالحاً ناسكاً قدس الله تعالى روحه[١](I).

كان علي ﷺ يقول: أنا وأبو بكر وعمر كنفس واحدة من أحبنا جميعاً انتفع بمحبتنا ومن فرق بيننا في المحبة لقي الله تعالى يوم القيامة ولا حجة له.

وكان أيوب السختياني يقول: من أحب أبا بكر فقد أحب إمام الدين[٢]، ومن أحب عمر فقد أوضح السبيل. ومن أحب عثمان فقد استنار بنور الله تعالى، ومن أحب علياً فقد استمسك بالعروة الوثقى (١٣٧/ب) لا انفصام لها. ومن أحسن الثناء على أصحاب محمد فقد بريء من النفاق. ومن انتقص أحداً منهم فهو مبتدع مخالف للسنة[٣] والسلف الصالح وأخاف أن لا يصعد له عمل إلى السماء حتى يحبهم جميعاً ويكون قلبه سليماً. على هذا الاعتقاد[٤] درج السلف وبذلك اقتدى العلماء خلفاً بعد خلف.

ومن ذلك ما أخبر به أبو محمد بن عبد الله[٥] بن محمد الفقيه الحنبلي قال اجتمع جماعة في الطريق قاصدين مكة في عروض[٦] السنة وكان أحدهم كثير الصلاة والتعبد، فمات فأهمهم دفنه[٧] فنظروا إلى بيت[٨] شعر في

---

(١) في ج: قدس الله سره.

(٢) في ب – ج: فقد أقام الدين.

(٣) في ط: السنة.

(٤) في ب: الاعتبار.

(٥) في ج: أبو محمد عبد الله. وفي ط: محمد بن عبد الله.

(٦) في ط: عرض.

(٧) في ب: فاهتم به رفقه.

(٨) في ج: فنظروا فإذا بين.

(I) روى هذه القصة الحافظ السلفي نزيل الإسكندرية بإسناده إلى يحيى بن عطاف المعدل، وذكرها ابن القيم أيضاً في كتاب (الكبائر) وفي كتاب (السنة والبدعة) له في بيان بدعة الرفض.

الصحراء فقصدوه فإذا في البيت عجوز. وفيه قدوم. فسألوها أن تدفعه إليهم. فقالت: تعاهدوني الله[١] عز وجل أنكم تردونه إليّ فأعطوها ما أرادت. ثم أخذوا القدوم فحفروا به قبراً وواروا الرجل ونسوا القدوم في القبر. فذكروا العهود فدعتهم الضرورة إلى أن نبشوه[٢] فإذا القدوم قد صار غلا من يد الرجل إلى عنقه. فردوا عليه التراب فأخبروا العجوز الخبر فقالت: لا إله إلا الله رأيت رسول الله ﷺ في منامي فقال احتفظي بهذا القدوم فإنه غل (١٣٨/أ) لرجل يسب أبا بكر وعمر رضي الله عنهما.

وأخبر العباس السبتي[٣] قال: قال لي أحد المشايخ المعمرين: كنت بجامع عمرو بن العاص ونحن في صلاة أراها صلاة الصبح فسمعت ضجيجا بصحن الجامع. فلما فرغنا من الصلاة اجتمع الناس فرأو رجلاً مذبوحاً فقال رجل من الحاضرين: أنا ذبحته فإني سمعته يسب أبا بكر وعمر رضي الله عنهما فحمل إلى السلطان فسأله عن القصة فقال: أنا ذبحته. فأمر السلطان بالرجل أن يحبس وبالمقتول أن يدفن فحفروا له موضعاً فوجدوا ثعباناً. ثم حفروا له موضعاً آخر فوجدوا فيه ثعباناً فأخبروا السلطان بذلك فقال: احفروا له قبراً ثالثاً فحفروا. فإذا فيه ثعبان. فقال: ادفنوه وسرح القاتل.

قلت: وبلغني أنه لما دفن ابن تيمية قال شخص بعد ثلاثة أيام: قد اضطرب القول في هذا الرجل والله لأنظرن ما صنع الله تعالى به، قال: فحفر قبره فوجده على صدره ثعبانٌ عظيمٌ هاله منظره. فكان الرجل يحذر الناس من اعتقاده ويعلمهم بما رأى والله أعلم.

(١) في ط: بالله.

(٢) في ج: ينبشوه- وفي ط: ينبشوا.

(٣) في ط: السبي.

وذكر ابن أبي الدنيا في كتابه مجابي الدعوة بسنده إلى مؤذن[١] علك قال جزت أنا وعمي[٢] إلى بكران (١٣٨/ب) وكان رجل يسب أبا بكر وعمر رضي الله عنهما فنهيناه فلم ينته فقلنا: اعتزلنا. فاعتزلنا فلما دنا خروجنا قلنا لو صحبناه حتى نرجع[٣] إلى الكوفة فلقينا غلام له فقلنا له قل لمولاك يعود إلينا. فقال: إن مولاي قد حدث له أمر عظيم قد مسخت يداه يدي خنزير، قال فأتيناه فقلنا له: ارجع إلينا، قال إنه حدث فِيَّ[٤] أمر عظيم وأخرج ذراعيه فإذا هما ذراعي[٥] خنزير. قال: فصحبنا[٦] حتى أتينا قرية من قرى السواد كثيرة الخنازير فلما رآها صاح صيحة فمسخ خنزيراً. وخفي علينا فجئنا بغلامه ومتاعه إلى الكوفة وشاع أمره أعاذنا الله تعالى من ذلك.

واعلم أن من الشيعة طائفة تقول أن خير الناس بعد رسول الله ﷺ علي رضي الله عنه وأن أبا بكر وعمر رضي الله عنهما ارتدا بعد إسلامهما وقاتلا الناس.

ثم اعلم أن مما يتعلق بأمور الشيعة من هذا النوع وغيره كثير .

والمراد أن الاستغاثة بالنبي ﷺ واللواذ بقبره مع الاستعانة به كثير على اختلاف الحاجات.

وقد عقد الأئمة لذلك بابا وقالوا: باب[٧] استعانة (١٣٩/أ) من لاذ بقبره وشكى إليه فقره وضره فكشف عنه ذلك[٨].

---

(١) في ط: أن مؤذن.

(٢) في ط: وعمر.

(٣) في ط: يرجع.

(٤) في ب: حدث لي.

(٥) في ط: ذراعاً.

(٦) في ط: فصبحنا.

(٧) في ط: إن.

(٨) في ط: وشكر إليه فقره وضره توجب كشف ذلك الضر بإذن الله تعالى.

فمن ذلك ما أخبر به يوسف بن علي: قال: ركبتني ديون فقصدت الخروج من المدينة الشريفة ثم جئت إلى قبر رسول الله ﷺ فاستغثت به في وفاء ديني فنمت فرأيت النبي ﷺ فأشار علي بالجلوس فاستيقظت فقيض الله تعالى لي من وفى ديني.

وقال بعضهم بلغنا أن أبا الغيث[١] يقرأ القرآن في المصحف من غير تعلم سبق منه للكتابة وكنت أنكر ذلك قال: فدخلت مكة فوجدته يقرأ القرآن في المصحف قراءة محمودة. فسألته عن سبب ذلك: فقال: كنت في مدينة النبي ﷺ أبيت في المسجد وأخلو به فتشفعت إلى الله عز وجل بالنبي ﷺ أن يسهل عليّ القرآن في المصحف قال وجلست فأخذتني سِنَةٌ فرأيت النبي ﷺ وهو يقول قد أجاب الله تعالى دعاءك فافتح المصحف واقرأ القرآن قال فلما أصبح الصباح فتحت المصحف وشرعت أقرأ القرآن فكنت أقرأ في المصحف فربما يتصحف[٢] عليّ الآية فأنام فأرى من يقول لي الآية التي تصحفت[٣] عليك كذا وكذا (١٣٩/ب).

وذكر ابن عساكر في تاريخه أن أبا القاسم بن ثابت البغدادي رأى رجلا بمدينة النبي ﷺ أذن الصبح عند قبر رسول الله ﷺ فقال[١] فيه: الصلاة خير من النوم فجاءه خادم من خدم المسجد فلطمه حين سمع ذلك منه فبكى واستغاث بالنبي ﷺ وقال: يا رسول الله[٤] في حضرتك يفعل بي هذا الفعل. قال: فضربه الفالج في الحال وحمل إلى داره فمكث ثلاثة أيام ثم مات.

---

(١) في ط: الليث..

(٢) في ب-ط: تتصحف.

(٣) في ج: من يقول الآية التي تصفحت.

(٤) في ط: يا رسول.

وقال أبو العباس أحمد المقري الضرير التونسي جعت بالمدينة ثلاثة أيام فجئت إلى القبر وقلت: يا رسول الله جعت. ثم نمت ضعيفاً فركضتني[١] جارية برجلها فقمت إليها فقالت: اعزم فقمت معها إلى دازها فقدمت لي خبز بر وتمراً وسمناً وقالت: كل أبا العباس فقد أمرني بهذا جدي ﷺ. قال أبو العباس فرجعت إلى بلادي فرأيت النبي ﷺ بمصر بعد رجوعي فقال: أوحشتنا يا أبا العباس[٢]، وكنت أكثر قراءة القرآن عند ضريحه. قال الباجي كم قرأت ختمة عنه قبره؟ قلت: ألف ختمة.

وقال أبو العباس أحمد اللواتي[٣] كانت عندنا بمدينة فارس[٤] (١٤٠/أ) امرأة وكانت إذا أصابها أمر أو شيء يفزعها، جعلت يديها[٥] على عينيها واستغاثت بالنبي ﷺ فتغاث. فلما توفيت قال لي قريب لها: رأيتها في النوم فقلت لها يا عمة: رأيت[٦] الملكين الفتانين؟ فقالت: نعم جاءآني فعندما رأيتهما جعلت يدي علي عيني وقلت يا محمد. فلما نزعت يدي عن وجهي فلم أرهما. وهذه القصة ذكرها بعض الأئمة وعزاها. وقال: إن الاستغاثة من بعيد به ﷺ كالاستغاثة به عند قبره ﷺ.

وساق عن أبي إسحاق الحسين قال: كنت بين مدينة النبي ﷺ والشام فضل لنا جمل. قال وكان قد بلغني عن الشيخ أحمد الرفاعي أنه قال: من

---

(١) في ط: فلكزتني.

(٢) في ط: أوحشتنا يا أبا العباس قراءتك.

(٣) في ج: اللوائي.

(٤) فارس وفي المخطوطة ١-ج: كتب تحتها لعلها »فاس« وفي ب: فارس.

(٥) في ط: يدها.

(٦) في ط: أرأيت.

كانت له حاجة فيستقبل عبادان نحو قبري ويمشي سبع خطوات ويستغيث فإن حاجته تقضى. قال: فلما استقبلت عبادان وقصدت الاستغاثة هتف بي هاتف: أما تستحي من رسول الله ﷺ تستغيث[1] بغيره قال: فتحولت نحو المدينة فقلت يا سيدي يا رسول الله أنا مستغيث بك قال فوالله ما استكملت ذلك إلا والجمّال (١٤٠/ب) يقول لي هذا الجمل قد وجدناه.

وسافر بعض الفقراء لقصد زيارة قبر النبي ﷺ فتاه في الطريق فاستغاث بالنبي ﷺ فظهرت له قبة العباس ﷺ وبينه وبين الموضع المذكور يومان أو نحوهما.

وقال أبو الحجاج يوسف بن على قدس الله روحه[2]: خرجت من مكة متوجها إلى المدينة على طريق المشاة فتهت في الطريق فاستغثت بالنبي ﷺ فإذا بامرأة آتية من نحو المدينة وهي تشير إليّ أن أمشي على أثرها فلم أزل أمشي على أثرها إلى أن وصلت المدينة[3].

وقال: سمعت أبا عبد الله بن سالم يقول: رأيت في المنام كأني في بحر النيل وإذا بتمساح يريد أن يقفز عليّ فخفت منه وإذا بشخص وقع لي أنه النبي ﷺ فقال لي: إذا كنت في شدة فقل: أنا مستغيث بك يا رسول الله. فكنت أفعل فأغاث فأراد بعض الإخوان السفر لزيارته ﷺ وكان ضريراً فحكيت له الرؤيا وقلت له إذا كنت في شدة فقل: أنا مستغيث بك يا رسول الله. فسافر في تلك الأيام (١٤١/أ) فجاء إلى رابغ وهي عزيزة[4]

(١) في ط: وتستغيث.

(٢) في ج: قدس الله سره.

(٣) في ج: وصلت إلى المدينة.

(٤) في ط: غزيزة.

الماء، وكان له خادم قد ذهب في طلب الماء قال: فبقيت القربة في يدي وأنا في شدة من طلب الماء فذكرت ما قلت لي وقلت: أنا مستجير[١] بك يا رسول الله فبقيت أنا كذلك، وإذا بصوت يقول: زم قربتك، وسمعت خرير[٢] الماء في القربة إلى أن امتلأت و لم أعلم من أين أتى القائل.

وقال سمعت محمد السلاوي يقول: لما ودعت النبي ﷺ قلت: يا حبيبي يا محمد يا سيد الكونين أنا أدخل الصحراء فإذا أخذتني شدة أدعو الله وأتوسل بك، وجئت إلى أبي بكر وعمر رضي الله عنهما وقلت لهما كذلك قال فبقيت[٣] في البرية سبعة أيام ووقعت في جب وفيه ماء فبقيت فيه من أول النهار إلى بعد الظهر فلم يبق إلا الموت. قال: ففكرت ما كنت قلت عند النبي ﷺ وقلت: يا حبيبي يا محمد الذي كنت قلت لك وقلت كذلك لأبي بكر وعمر رضي الله عنهما. قال فكأني بمن حَوَّلَنِي[٤] وطلعت ببركة النبي ﷺ وصاحبيه رضي الله عنهما.

وقال أخبرني رجل من مدينة طرابلس قال: كنا جائين من الإسكندرية في مركب فهاج البحر علينا وأشرفنا على التلف والهلاك فقمت إلى الناس فقلت: استغيثوا بالنبي صلى الله (١٤١/ب) عليه وسلم فإنه غياث فقلنا الكل: الغياث يا رسول الله الغياث يا رسول الله: الغياث يا رسول الله العفو يا رسول الله[٥] العفو يا رسول الله، جانين مذنبين استجرنا بك أجرنا يا

(١) في ط: مستغيث.

(٢) في ط: صرير.

(٣) في ب: فتهت.

(٤) في ب–ج: فكان من حولني.

(٥) في ط: فقلنا الكل الغياث يا رسول الله العفو يا رسول الله.

محمد الحبيب يا حبيبنا يا شفيعنا يا ولينا. فنام رجل من أهل المركب مشهور بالخير والصلاح فرأى النبي ﷺ وأخذ بيده فقال: أنج وأبشروا بالسلامة فلما أفاق الرجل بشرنا[١] برؤياه فلما أصبح رجع البحر كالزيت وكأنه عقد بيضة وجئنا إلى طرابلس سالمين ببركة سيدنا رسول الله[٢] ﷺ.

وقال: سمعت أبا الحسن علي العسقلاني يقول: ركبنا في البحر نطلب جدة فهاج علينا البحر ورمينا[٣] ما معنا فيه وأشرفنا على التلف فجعلنا نستغيث بالنبي ﷺ ونحن نقول: وامحمداه يا محمداه[٤](I) وكان معنا رجل مغربي صالح قال لنا: ارفقوا يا حجاج إنكم سالمون، رأيت النبي ﷺ في المنام فقلت يا رسول الله أمتك يستغيثون بك. قال: فالتفت إلى أبي بكر الصديق رضي الله عنه وقال يا أبا بكر أنجدهم قال فكأن[٥] عيني ترى أبا بكر رضي الله عنه وقد خاض البحر وأدخل (١٤٢/أ) يده في مقدم الحلية[٦] ولم يزل يجذبها حتى دخل بها البر، [فلم][٧] تستغيثون فأنتم سالمون فسلمنا ولم نر بعد هذا إلا خيرًا. ودخلنا البر سالمين والحمد لله[٨].

ولما قتل الحسين بن علي رضي الله عنهما يوم عاشوراء أول سنة إحدى وستين وهو يومئذ ابن أربع وخمسين سنة ونصف سنة ونصف شهر ووقع ما

---

(١) في ب: بشر.

(٢) في ج: سيدنا محمد ﷺ. وفي ط: ببركته ﷺ.

(٣) في ط: فهاج علينا ورمينا.

(٤) في ط: نقول وامحمداه. فقط.

(٥) في ب -ج: فإن.

(٦) في ب: الجلية وفي ج: الجلبة.

(٧) في المخطوطات الثلاث فسكم؟!ولعلها فكم. وهي غير واضحة في المخطوطات كلها. وما أثبتناه هو من المطبوعة (ط).

(٨) في ج: والحمد لله وحده.

وقع من السبي وحمل النساء والصبيان فلما مروا بالقتلى صاحت زينب بنت علي رضي الله عنهما مستغيثة بالنبي ﷺ : يا محمداه يا محمداه[(١)] هذا حسين بالعراء مزمل بالدماء مقطع الأعضاء يا محمداه فلما كان سنة ثلاث وأربعمائة أخذ أهل الكوفة جدريٌ عظيم. ثم عمي[(٢)] منهم ألف وخمسمائة كلهم من نسل من حضر قتل الحسين ﷺ. وهذا من أعجب ما سمع.

واعلم أرشدك الله عز وجل أن مثل هذه القضايا كثيرة جداً.

وقد ذكر جماعة من الأئمة من ذلك أمورًا عديدة عجيبة منهم البيهقي[(٣)] ومنهم أبو محمد عبد الحق ومنهم بعض الأئمة وذكر جملة مستكثرة في ذلك وعقد أبواباً في الاستغاثات بالنبي ﷺ.

ومنها باباً في أصحاب العاهات وذكر منها جملة مستكثرة من ذلك على اختلاف أنواع العاهات كالعمى (١٤٢/ب) والصداع والزمانة ووجع البطن وغير ذلك وأنه عليه الصلاة والسلام يضع يده الشريفة على موضع العاهة فتزول ببركة يده الشريفة ويشفى وما كان به قلبه[(٤)].

ثم إنه مع ذلك قال: ولو تتبعت هذا الفن لحفيت الأقلام وجفت المحابر وفنيت الطروس في تتبعه والدفاتر.

---

(١) في ط: يا محمداه مرة وحده. وفي ط: والحمد لله رب العالمين.

(٢) في ب: عظيم عمي وفي ج: جدري ثم عمي.

(٣) في ب: منهم الربعي.

(٤) في ط: وتشفى وكأنه ما به وجع قلبه. قال المصحح والصواب قبله.

---

(1)كان شعار الصحابة رضوان الله عليهم في معركة اليمامة (وامحمداه) ذكر ذلك الطبري في تاريخه ونقله ابن كثير في البداية والنهاية ولم يتهم أحدًا بالشرك أو البدعة !!

ثم قال: ولقد سألت بعض إخواننا المجتهدين وكان بمدينة النبي ﷺ على التجريد فقلت هل استغثت بالنبي ﷺ أو لجأت إليه في شيء قط مدة إقامتك في المدينة. فقال: كنت أستحي أن أسأله إذ كنت بحضرته ﷺ.

ثم قال: سمعت الفقيه الإمام أبا إسحاق إبراهيم بن إسحاق المالكي يقول سمعت الفقيه برهان الدين بن الطيب المالكي يقول: قال لي من أثق به وكان بمدينة النبي ﷺ وأنه أصابه الجوع فأتى قبر النبي ﷺ فقال: يا رسول الله إني جائع وجلس بالقرب من حجرة النبي ﷺ فأتاه رجل من الأشراف فقال له قم فقال: إلى أين؟ فقال: تأكل عندي شيئاً فقام معه إلى بيته فقدم إليه جفنة فيها ثريد ولحم ودهن فقال لي: كل فأكل[1] حتى شبع وأراد الانصراف فقال له: كُل (١٤٣/أ) وازدد. فلما أراد الانصراف قال له: يا أخي الواحد منكم يأتي من البلاد البعيدة ويقطع المفاوز والقفار ويترك الأهل والأوطان ويقطع البحار ويأتي إلى زيارة هذا النبي[2] العظيم على ربه ﷺ وتكون همته أن يطلب منه كسرة خبز يا أخي لو طلبت الجنة أو المغفرة أو الرضى أو مهما[3] طلبته منه لنلته ببركة هذا النبي الكريم ﷺ[4].

وهذا - وهو وعدم السؤال يكون للأكابر لما يشاهدون في الحضرة النبوية من الإجلالات[5] والكرامات العلوية.

---

(١) في ط: ودهن فأكل.

(٢) في ب: صلى الله عليه وسلم وفي ط: ويأتي إلى زيارة النبي.

(٣) في ط: أو الرضى مهما.

(٤) غير موجود في ب لفظ الكريم.

(٥) في ب: الإجلال.

[ط- بيان أن منع التوسل به عليه السلام ناشيء عن عدم تعظيمه ومقتضى فتوى ابن تيمية في حق أبينا آدم عليه السلام]

وأنت أرشدك الله عز وجل إلى الحق وأزاح عنك الباطل إذا استحضرت بعض ما تقدم وعطفت على قول هـذا الزائغ أن المسلمين متفقون على أن الميت لا يسأل ولا يدعى ولا يطلب منه سواء كان نبيا أو شيخا أو غير ذلك قطعت بفجوره وببهتانه وأنه من أخبث الناس طوية وأنه لا اعتقاد لـه وهـذه عادته بادعاء الاتفـاق وبالإجمـاع المقطـوع بـه كمـا سيأتي عنـد ذكـر شـد الرحال وإعمال المطي وفي غير ذلك.

وقد تقدم توسل آدم عليه السلام بالنبي ﷺ وأن الله عز وجل قبله بسبب التوسل[١] وجعل هذا الزنديق آدم عليه السلام بتوسله بالنبي ﷺ ظالما ضالا (١٤٣/ب) مشركا[1] وليس وراء ذلك زندقة وكفر.

(١) في ب: من قوله [وقد تقدم إلى التوسل] سقطت منها.

---

(1) الذي دعا الإمام الحصني إلى هذا التفسير لموقف ابن تيمية أمران:

١- أن حديث توسل آدم مروي من طرق عديدة وبمجموعها يثبت الحديث بغير شك ولا يغيب هذا عن ذهن ابن تيمية وهو المتخصص في علوم الحديث حتى وإن أنكر صحته بلسانه كما هي عادته في كثير من الأمور ومنها المجاز.

بل ذكر هو نفسه في الفتاوي حديثين في توسل سيدنا آدم عليه السلام برسول الله الأول: حديث ميسرة الفجر قال: قلت يا رسول الله متى كنت نبيا؟ .. » إلى أن قال: «فلما غرهما الشيطان تابا واستشفعا باسمي إليه » -وإسناده قوى كما نص عليه الحافظ ابن حجر-.

الحديث الثاني: حديث عمر بن الخطاب ﷺ عن رسول الله ﷺ قال: « لما أصاب آدم الخطيئة رفع رأسه فقال: يا رب، بحق محمد إلا غفرت لي ...» الحديث ثم قال ابن تيمية: « فهذا الحديث يؤيد الذي قبله وهما كالتفسير للأحاديث الصحيحة » أ.هـ من الفتاوى جـ٢ ص ١٥٠، وانظر كتاب (مفاهيم يجب أن تصحح) ص ٤٧ ط دار الإنسان. أي أن ابن تيمية مع زعمه أن التوسل شرك معترف بأن سيدنا آدم قد توسل بسيد الخلق ﷺ! =

[ي – توسل أهل المدينة به ﷺ بعد وفاته في حياة الصحابة: حديث الكوّة– حديث مالك الدار]

وروي عن أبي الجوزاء قال: قحط أهل المدينة قحطاً شديداً فشكوا إلى عائشة رضي الله عنها ذلك فقالت امضوا إلى القبر واجعلوا منه كوة إلى السماء حتى لا يكون بينها وبين السماء شيء ففعلوا فمطروا حتى نبت العشب وسمنت الإبل حتى تفتقت من الشحم فسُمي عام الفتق(١)(1).

(١) في ط: التفتق.

٢– أن ابن تيمية ينفي عصمة الأنبياء ويذكر أن العصمة الخاصة بالأنبياء عليهم السلام هي في إبلاغ الرسالة وفي منع الإقرار على الذنوب فقط، أما وقوع النبي في كبائر الذنوب بما فيها الشرك والكفر فأمر جائز عنده وقد دخل إلى الرأي الخبيث أيضاً من باب إنكار المجاز في اللغة وفي القرآن والسنة حتى يتسنى له التلاعب بنصوص الشريعة، ثم حاول ستر خسيسته بأن أكد أنهم لابد وأن يتوبوا من ذنوبهم تلك ثم قال:

« ... فالتوبة النصوح التي يقبلها الله يرفع بها صاحبها إلى أعظم مما كان عليه كما قال بعض السلف: كان داود عليه السلام بعد التوبة خيرا منه قبل الخطيئة، وقال آخر: لو لم تكن التوبة أحب الأشياء إليه لما ابتلى بالذنب أكرم الخلق عليه » مجموع الفتاوى ٢/ ٢٨٢.

وقال في موضع آخر بعد أن بين أنهم عليهم السلام يسارعون في التوبة وأن بعضهم يؤخرها زمنا قليلا ثم قال:

« والتائب من الكفر والذنوب قد يكون أفضل ممن لم يقع في الكفر والذنوب » مجموع الفتاوى ٢/٢٩١.

ونذكّر أنه في هذا يغترف من الفكر اليهودي ومن التوراة المحرَّفة التي تنسب إلى الأنبياء الكفر والزنا والخمر والخداع والقتل ... إلخ.

(1) حديث صحيح أخرجه الدارمي في سننه (٤٣/١) وانظر تخريج الحديث في (رفع المنارة بتخريج أحاديث التوسل والزيارة) للشيخ محمود سعيد يقول ملا على قاري: «قيل في سبب كشف قبره أنه صلى الله عليه وآله وسلم كان يستشفع به عند الجدب فتمطر السماء فأمرت عائشة رضي الله عنها بكشف قبره مبالغة في الاستشفاع به فلا يبقى بينه وبين السماء حجاب » أ.هـ انظر (الرد المحكم المتين) ص ١٩٦ يقول السيد حسن السقاف: «وهذا صريح في أن السيدة عائشة قد استغاثت بالنبي ﷺ بعد موته وكذا جميع الصحابة الذين كانوا هناك وافقوها وفعلوا ما أرشدتهم إليه » أ.هـ (الإغاثة) ص ٢٥. انظر تخريج هذا الأثر في (رفع المنارة) ص ٢٥٣.

وروى البيهقي بسنده إلى الأعمش عن أبي صالح[١] قال أصاب الناس قحط في زمن عمر ﷺ فجاء رجل إلى قبر النبي ﷺ فقال: يا رسول الله استسق لأمتك[٢] فأتاه رسول الله ﷺ في المنام فقال[٣]: ائت عمر فاقرأه مني السلام وأخبره أنهم مسقون وقل له عليك الكيس. قال فأتى الرجل عمر فأخبره فبكى عمر ﷺ وقال: يا رب ما آلو إلا ما عجزت عنه[1].

(١) في ط: عن ابن صالح.

(٢) في أ-ب: استسقي الناس لأمتك وفي ج: استسقي الله لأمتك.

(٣) في ج: فقال لهم.

---

(1) أخرجه البيهقي في (دلائل النبوة) من طريق الأعمش عن أبي صالح السمان عن مالك الدار وكان خازن عمر قال: « أصاب الناس قحط في زمن عمر ﷺ فجاء إلى قبر النبي ﷺ .. » الحديث ونقله الحافظ عبد الله الغماري في (الرد المحكم المتين) ثم قال: «إسناد هذا الأثر صحيح ورأيت الحافظ – يقصد ابن حجر العسقلاني – عزاه في الفتح إلى ابن أبي شيبة من طريق أبي صالح عن مالك الدار باللفظ المذكور وقال: سنده صحيح، والرجل هو بلال بن الحرث المزني أحد الصحابة كما رواه سيف في الفتوح» ثم قال السيد الغماري معلقا على كلام الحافظ بن حجر: «وإن لم تصح رواية سيف فالرجل تابعي جزما ثم إن الحجة في إقرار عمر له حيث لم ينهه عما فعل» أ.هـ ص ٥٣ ذكر الحافظ ابن حجر هذا الأثر في (فتح الباري) (٢/٤٩٥) ونقله عنه السيد حسن بن على السقاف في كتابه (الإغاثة) ثم قال: « قلت: ومالك الدار ثقة بالإجماع عدَّله ووثقه سيدنا عمر وسيدنا عثمان فولياه بيت المال والقسم ولا يوليان إلا ثقة ضابطاً عدلا كما نص الحافظ ابن حجر في الإصابة في ترجمته ونقل ذلك عن إمام المحدثين علي بن المديني، وكذا وثقه جميع الصحابة الذين كانوا في زمن عمر وعثمان رضي الله عن الجميع بل نصّ الحافظ أن لمالك إدراك فهو صحابي صغير وهذا يجعله ثقة اتفاقاً، ثم روى عنه أربعة من الثقات، ونص على أنه معروف: البخاري في تاريخه وساق هذه القصة، وابن سعد في طبقاته (٥/١٢) وقد فصلت ذلك تفصيلا في الباهر وبينت أن تضعيف المعاصرين لمالك وقوله: (غير معروف العدالة) خطأ بل جهل وتدليس بالغ. فهذا الحديث يثبت بلا شك ولا ريب إجماع من حضر من الصحابة في زمن سيدنا عمر مع سيدنا عمر رضي الله عنهم على جواز الاستغاثة بالنبي ﷺ بعد موته ونحن مقتدون بالصحابة في ذلك » أ.هـ ص ٢٤. انظر (رفع المنارة) الأثر الثاني ص ٢٦٢ قلت: بنى خوارج العصر الحاضر رفضهم لهذا الحديث الصحيح على زعمهم أن مالك الدار مجهول الحال (مستور) وذلك مردودُ عليهم لأمور: =

= **الأول**: صرح علماء أصول الفقه بأن التعديل كما يكون بالتزكية باللفظ والثناء على الراوي، يكون أيضاً بوجود الأمارات الدالة على وجود هذه التزكية والثناء وإن لم ينقل لفظها وهو (**التعديل الضمني**) وضربوا لهذا بعض الأمثلة في كتب الأصول وقد استعمل أئمة علم الحديث والجرح والتعديل هذه القاعدة وها هو أمير المؤمنين في الحديث ابن حجر العسقلاني **يوثق هُنَيًّا مولى عمر ويعدِّله لأن عمر ﷺ استعمله على الحِمَى.**

انظر (فتح الباري) عند شرحه (كتاب الجهاد) - (١٨٠) باب إذا أسلم قوم في دار الحرب ولهم مال وأرضون فهي لهم.

حديث رقم (٣٠٥٩) « ... أن عمر بن الخطاب ﷺ استعمل مولى له يدعى هُنَيًّا على الحِمَى فقال: يا هُنَيّ اضمم جناحك عن المسلمين ... » الحديث يقول الإمام ابن حجر في شرحه للحديث: « وهذا المولى لم أرَ من ذكره في الصحابة مع إدراكه، وقد وجدت له رواية عن أبي بكر وعمر وعمرو بن العاص. روى عنه ابنه عمير وشيخ من الأنصار وغيرهما وشهد صفين مع معاوية ثم تحول إلى عليّ لما قتل عمار ... **ولو لا أنه كان من الفضلاء النبهاء الموثوق بهم لما استعمله** » أ.هـ فتح الباري جـ٩ ص ١٩٢ ط. دار الغد العربي.

ثم ترجم له في تقريب التهذيب فقال: « هُنَي مولى عمر استعمله عمر على الحمى وهو ثقة من الثانية... » .

فعلة توثيق (هُنَيّ) هي نفسها علة توثيق مالك الدار في حديثنا هذا بل هي أوضح وأقوى في مالك الدار الذي ولاه عمر ثم عثمان رضي الله عنهما بيت المال والقسم بل نقول أنه تعديل وتوثيق أقوى من التعديل والتوثيق اللفظي الصريح!

الثاني: ومع ذلك فقد وثقه الأئمة باللفظ الصريح، يقول الشيخ محمود سعيد في (رفع المنارة): «قلت وبالله التوفيق: مالك الدار ثقة، وفوق الثقة، متفق عليه، أثنى عليه جمع من التابعين.

ولنا في بيان ذلك مسالك:

المسلك الأول: مالك الدار هو مالك بن عياض مولى عمر بن الخطاب، ذكره الحافظ في المخضرمين في (الإصابة) (٤٨٤/٣). وقال: له إدراك وسمع من أبي بكر الصديق، وروى عن الشيخين، ومعاذ، وأبي عبيدة، روى عنه أبو صالح السمان وابناه عون وعبد الله ابنا مالك، ثم ذكر بعد كلام **في الرواة عنه: عبد الرحمن بن سعيد بن يربوع الثقة.**

وذكره ابن سعد في الطبقة الأولى من التابعين في أهل المدينة (٦/٥)، وقال: **وكان معروفاً** أ.هـ.=

فهذا رجل مبارك قد أتى قبره عليه الصلاة والسلام وطلب الاستسقاء منه عليه الصلاة والسلام وأخبر عمر ﷺ بالرسالة منه عليه الصلاة والسلام فلو كان ذلك جهلا وضلالا وشركا لمنعه عمر[1] ﷺ الذي احتج الزائغ باستسقائه بالعباس وقد تقدم (١٤٤/أ) قصة عثمان بن حنيف وهي من الأمور المشهورة.

---

(١) في ب: لمنعه ﷺ .

= وقال أبو عبيدة كما في (الإصابة) (٣/٤٨٤):

ولاه عمر وكلة عياله، فلما قدم عثمان ولاه القسم أ.هـ.

وفيها أيضاً قال إسماعيل القاضي عن علي بن المديني: كان **مالك الدار خازناً لعمر**. أ.هـ.

وأجاد الحافظ أبو يعلى الخليلي فقال في الإرشاد (١/٣١٣): مالك الدار مولى عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه **تابعي قديم متفق عليه، أثنى عليه التابعون**. أ.هـ.

ووثقه ابن حبان في (الثقات) (٥/٣٨٤).

فأي ثناء يطلب بعد هذا في الرجل حتى يصحح حديثه؟

وأي حجة تطلب في توثيق الرجل بعد ذلك؟

فتوثيق جمع له وخاصة إذا كانوا معاصرين ومن التابعين الذين هم خير القرون بعد القرن الأول لا تجده إلا في أفذاذ الثقات.

فالرجل متفق على الاحتجاج به بلا مرية كما هو ظاهر كلام الخليلي.

ولفرط دينه وأمانته استعمله (عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان) رضي الله عنهما » ص٢٦٥-٢٦٦ وانظر باقي المسالك الأربعة في توثيق (مالك الدار) مع تخريج الحديث في (رفع المنارة) جزى الله صاحبه خيراً.

ملحوظة: في (رفع المنارة) في السطر الأخير من المنقول: استعمله أبو بكر الصديق وعمر بن الخطاب.. وهو سبق قلم من المؤلف أو خطأ مطبعي كما يتضح من السياق.

[ك – خبث طوية ابن تيمية وحطه من رتبة الأنبياء]

فسكوت هذا الزائغ القائل بمسألة الفرق تبعاً لسلالة اليهود عن هذه الأمور الواضحة الجلية المشهورة والعدول إلى الفجور من أقوى الأدلة على خبث طويته.

ومثل هذا(١) لا يحل لأحد تقليده فيما يقوله ولا ينظر في كلامه إلا من يكون أهلا لمعرفة دسائس أهل البدع والزيغ وإلا هلك وأهلك فتنبه لذلك وخذ حذرك وإلا هلكت من حيث ظننت السلامة.

وقوله: (ولا يطلب منه شيء سواء كان نبياً أو شيخا أو غير ذلك). قال الأئمة الأعلام النقاد أصحاب الأذهان الجيدة(1) هذا منه كفر لما فيه من حط رتبة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام والإجماع على أن من [عَض](٢) من نبي في شيء من الأشياء كفر وأيضاً ففيه ترفيع غير الأنبياء إلى رتبة الأنبياء وإلحاقهم بهم وفيه إشارة بعيدة ترجع(٣) إلى اعتقاد الشيعة(٤) وهو أن النبوة عندهم تكتسب بالرياضات وتهذيب النفس(٥) وكتبهم مشحونة بهذا وهذا من فجورهم فإن النبوة إنما هي من الله عز وجل فمن نبأه الله عز وجل فهو النبي ومن أرسله(٦) فهو الرسول والله أعلم حيث يجعل رسالاته.

---

(١) في ب: هذا لا يحل. بدون ومثل.

(٢) في ب: غطر. وفي ط: غمط، وفي أ: غظ.

(٣) في ب: برفع.

(٤) في هامش المخطوطة (أ): ليس هذا اعتقاد الشيعة وإنما هذا اعتقاد الفلاسفة.

هكذا رؤي على حاشية خط الشيخ أ. هـ. والغالب أن هذا سبق قلم من المؤلف ﷺ

(٥) في ج: وتهذيب الأخلاق والنفس.

(٦) في ب: أرسله الله.

---

(1) صرح في الفتوى الملحقة (الفتاوى السهمية)، أن القائل هو الإمام السبكي ﷺ

[فصل: فتوى ابن تيمية في تحريم السفر لزيارة قبر النبي ﷺ أو قبور الأنبياء عليهم السلام]

[أ- زعمه الإجماع على تحريم الزيارة]

ومن (١٤٤/ب) الأمور المنتقدة عليه قوله: «زيارة قبر النبي وقبور الأنبياء عليهم الصلاة والسلام معصية بالإجماع مقطوعاً[١] بها » وهذا ثابت عنه أنه قاله. وثبت ذلك على القاضي[٢] جلال الدين القزويني[٣].

فانظر هذه العبارة ما أعظم الفجور فيها من كون ذلك معصية. ومن ادعى[٤] الإجماع وأن ذلك مقطوع به.

وهو الزائغ يطالب بما ادعاه من إجماع الصحابة ﷺ وكذا التابعين[٥] ومن بعدهم من أئمة المسلمين إلى حين[٦] ادعائه ذلك.

وما اعتقد أن أحداً يتجاسر على مثل ذلك مع أن الكتب المشهورة بل والمهجورة وعمل الناس في سائر الأعصار على الحث على زيارته من جميع[٧] الأقطار. فزيارته من أفضل[٨] المساعي وأنجح القرب إلى رب العالمين وهي سنة من سنن المرسلين ومجمع عليها عند الموحدين ولا يطعن فيها إلا من في قلبه مرض المنافقين ومن هو من أفراخ اليهود وأعداء الدين من المشركين الذين شرقوا بسيد[٩] الأولين والآخرين.

---

(١) في ط: مقطوع.

(٢) في ط: على يد القاضي.

(٣) في ب-ج: جلال القزويني.

(٤) في ب-ج: ادعاء.

(٥) في ط: التابعون.

(٦) في ب: إلى خبر.

(٧) في ب-ج: ومن جميع.

(٨) في ج: أعظم.

(٩) في ط: الذين أسرفوا في ذم سيد.

ولم تزل هذه الأمة المحمدية على شد الرحال إليه على ممر الأزمان من جميع الأقطار والبلدان. سواء[١] في ذلك الزرافات والوحدان والعلماء والمشايخ والكهول (١٤٥/أ) والشباب[٢] حتى ظهر في طيز الزمان[٣] مبتدع من زنادقة حران لبّس على أتباع الدجال[٤]، ومن شابههم من سيء الأذهان، وزخرف لهم من القول غروراً، كما صنع إمامه الشيطان فصدهم بتمويهه عن سبيل أهل الإيمان وأغواهم عن الصراط السوي[٥] إلى بنيات[٦] الطريق ومدرجة النيران فهم برؤيته[٧] في ظلمة الخطأ يعمهون وعلى منوال بدعته يهرعون.

وسأذكر لك ما تحقق به فجوره وبدعته وتضليل من مشى خلفه وهلكته وأبين ما أظهره من القول الباطل وما رمز إليه. وأوضحه لكل من سمعه ووقف عليه. ثم أردف ذلك بما يدل على المنهج من ذلك فلا يزيغ عنه بعد ذلك إلا هالك.

قال القاضي عياض[1] في أشهر كتبه الذي شاع ذكره في سائر البلاد وقريء في المجامع والجوامع على رءوس الأشهاد:

(١) في ط: سار.

(٢) في ب-ج: الشبان.

(٣) في ط: آخر الزمان.

(٤) في ط: على أشباه الرجال.

(٥) في ط: الصراط المستقيم.

(٦) في ط: ثنيات.

(٧) في ب-ط: برزيته وفي ج: بتزويقه.

---

(1) هو القاضي: عياض بن موسى بن عياض بن عمرو بن موسى بن عياض عالم المغرب العلامة أبو الفضل اليحصبي السبتي الحافظ والفقيه المالكي الكبير.

ولد سنة ٤٧٦هـ، صنّف التصانيف التي سارت بها الركبان مثل (الشفاء)، (طبقات المالكية)، (شرح صحيح مسلم)، وغيرها وبعد صيته وكان إمام أهل الحديث في وقته وأعلم الناس بعلومه وبالنحو واللغة وكلام العرب وأيامهم وأنسابهم.

ولي قضاء سبتة ثم غرناطة توفى ليلة الجمعة سنة ٥٤٤هـ.

[فصل في حكم زيارة قبره عليه الصلاة والسلام وفضل من زاره وكيف يسلم عليه ويدعو]

وزيارة قبره سنة من سنن المرسلين مجمع عليها ومرغب فيها.

وروي عن ابن عمرو رضي الله عنهما[١] قال قال رسول الله ﷺ: «من زار قبري وجبت له شفاعتي » .

وعن أنس بن مالك ﷺ قال قال (١٤٥/ب) رسول الله ﷺ: «من زارني في المدينة محتسباً كان في جواري وكنت له شفيعاً يوم القيامة ».

وفي حديث آخر «من زارني بعد موتي فكأنما زارني في حياتي » هذا لفظه بحروفه[٢].

وكذا ذكره الإمام العلامة هبة الله[1] في كتاب (توثيق عرى الإيمان).

فهذا نقل الإجماع على خلاف ما نقله هذا الزائغ الفاجر المبالغ في فجوره[٣] وإعزائه[٤] إلى السلف.

وأما غير هذين الإمامين ممن نقل الندب إلى زيارته فخلق لا يحصون وسأذكر بعضهم.

(١) في ط: رضي الله عنه.
(٢) في ط: هذه ألفاظه بحروفها.
(٣) في ب: البالغ فجوره.
(٤) في ط: وعزوه.

(1)هو: هبة الله بن عبد الرحيم بن إبراهيم بن هبة الله بن المسلم بن هبة الله الجهنّي قاضي القضاة شرف الدين بن البارزي، نسبة إلى (باب أبرز) إحدى محال بغداد. قاضي حماة، ولد سنة ٦٤٥هـ سمع من أبيه وجده وغيرهم وأجازه الشيخ عز الدين بن عبد السلام، والشيخ نجم الدين البادرائي والحافظ رشيد الدين العطار وأبو شامة وغيرهم انتهت إليه مشيخة المذهب الشافعي ببلاد الشام وكان إماما عارفا بالمذهب وفنون كثيرة.

له تصانيف عديدة في الفقه وغيره يقول عنه الذهبي: « كان عديم النظر له خبرة تامة بمتون الأحاديث وانتهت إليه رياسة المذهب » . توفى سنة ٧٣٨هـ.

على أنه ذكر في فتوى مطولة ما يناقض ما ادعـاه مـن الإجمـاع والقطـع هنا وقد ذكرت المسألة في كتابي (تنبيه السالك)[١] وذكرت صورة الفتـوى وجوابه. وهو[٢] جواب مطول. وتعرضـت لمـا فيـه مـن الخلـل وسـوء الفـهم وفجوره في النقل والإعزاء[٣]، وها أنا أذكر هنا بعض الجـواب، وأبـين[٤] مـا فيه من الخطأ وعدم صحة الاحتجاج بما احتج به. كحديث لا تشد الرحال، ولا أدقق[٥] في الجواب لأن قصدي بيان جهله، وأنه لا حجة له في الحديـث، جرياً على القواعد التي عليـها مـدار الاسـتدلال صحـة وبطلانـاً، وأذكـر مـا ذكره في أحاديث الزيارة، وما ادعاه فيها من الفجور، وما رمز إليه في تكفير الأئمة الذين رووها، وأنه قال قولاً مفترى لم يسبقه إليه أحـد (١٤٦/أ)، ولا رمز ولا أشار إليه. وبالله التوفيق.

---

(١) في ط: في تنبيه السالك.

(٢) في ط: وهذا.

(٣) في ط: والعزو.

(٤) في ب–ج: وأميز.

(٥) في ب: أزوق.

[ب- طعنه في حديث « من زار قبري بعد مماتي فكأنما زارني في حياتي»]

فمما[١] ذكره في الجواب بلفظ قوله: (وقد يحتج بعض من لا يعرف الحديث بالأحاديث المروية في زيارة قبر النبي ﷺ. كقوله: «من زار قبري بعد مماتي فكأنما زارني في حياتي » رواه الدارقطني وابن ماجه)[1].

فانظر أرشدك الله تعالى كيف جعل هذين الإمامين ممن لا يعرف الحديث وهو من أقبح البهتان.

وقد احتج بهذا الحديث خلائق من أئمة الحديث غير هذين الإمامين منهم القاضي عياض وصاحب توثيق عرى الإيمان وأبو الفرج بن الجوزي في كتابه (مثير[٢] العزم الساكن إلى أشرف الأماكن)[2] ذكره في الباب الذي عقده لزيارة قبر النبي ﷺ.

ومنهم ابن قدامه ذكره في كتابه المغني (٥٥٦/٣) في فصل يستحب زيارة قبر النبي ﷺ واستدل بحديث ابن عمر من طريق الدراقطني ومن طريق سعيد بن منصور وذكر أيضاً حديث أبي هريرة ﷺ: « ما من أحد يسلم[٣] علي عند قبري » [3].

(١) في ط: فمن ما. وهو خطأ كما ثبت عليه المصحح.

(٢) في ط: الغرام.

(٣) في ط: سلم.

---

(1) لم يخرج ابن ماجه هذا الحديث كما ادعاه ابن تيمية وذكره الإمام تقي الدين السبكي في كتابه (شفاء السقام) من طريقين عن الدارقطني وابن عساكر وليس في إسناد هذا الحديث بأس سوى جهالة أحد الرواة كما بينه الإمام السبكي وهو بهذا يصلح في المتابعات والشواهد مع غيره من أحاديث الزيارة إذ ليس في رواته متهم بالكذب. يقول الشيخ إبراهيم السمنودي في (نصرة الإمام السبكي) نقلا عن (شرح المواهب للزرقاني: «قال زين الدين المراغي: ينبغي لكل مسلم اعتقاد كون زيارته ﷺ قُرْبة للأحاديث الواردة في ذلك إذ لا تقتصر عن درجة الحسن وإن كان في أفرادها مقال » أ.هـ وعن أحاديث الزيارة يقول الحافظ الذهبي: «ومن أجودها إسناداً حديث حاطب (من زارني بعد موتي فكأنما زارني في حياتي) أخرجه ابن عساكر وغيره » أ.هـ انظر (الدرر المنتثرة) للسيوطي. انظر تخريجه في (رفع المنارة) ص ٣٣٠حديث رقم٢١.

(2) الكتاب مطبوع.

(3) جزء من حديث رواه أبو داود وأحمد والبيهقي عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال:=

[ح- طعنه في حديث (من حج ولم يزرني فقد جفاني)]

وقوله: (وأما ما يذكره[١] بعض الناس من قوله (من حج و لم يزرني فقد (١٤٦/ب) جفاني)[1] فلم يرويه أحد من العلماء).

وهذا أيضاً من البهتان البيّن والجهل فقد روى هذا الحديث غير واحد من الأئمة بألفاظ متقاربة منهم الحافظ أبو عبد الله بن النجار[2] في كتابه (الدرة اليتيمة) من حديث علي ﷺ.

(١) في ب: ما ذكره.

= «ما من أحد يسلم على إلا ردَّ الله علي روحي حتى أرد عليه السلام» وقد سبق ذكر هذا الحديث يقول الإمام تقي الدين السبكي في شفاء السقام: «قد ذكره ابن قدامة من رواية أحمد ولفظه (ما من أحد يسلم على عند قبري) وهذه زيادة مقتضاها التخصيص فإن ثبت فذاك وإن لم يثبت فلا شك أن القريب من القبر يحصل له ذلك لأنه في منزلة المسلم بالتحية التي تستدعى الرد كما في حال الحياة فهو بحضوره عند القبر قاطع بنيل هذه الدرجة على مقتضى الحديث متعرض لخطاب النبي ﷺ له بردَّ السلام عليه وفي المواجهة بالخطاب فضيلة زائدة على الرد على الغائب» أ.هـ ص ٣٥، ٣٦. انظر (رفع المنارة) ص ٣٥٥ حديث رقم ٣٢.

(1) رواه ابن عدي في (الكامل) والدراقطني في (أحاديث مالك بن أنس الغراب التي ليست في الموطأ) بلفظ (من حج البيت و لم يزرني فقد جفاني) وذكره الإمام تقي الدين السبكي في (شفاء السقام) وبين خطأ ابن الجوزي في ذكره في الموضوعات ثم قال: «فتحصل من هذا إبطال الحكم عليه بالوضع لكنه غريب كما قال الدراقطني وهو لأجل كلام ابن عدي صالح لأن يعتضد به غيره» أ.هـ ص ٢٤ قال السيد مرتضى الزبيدي في شرح الإحياء: تحت هذا الحديث «قلت ورواه الديلمي أيضاً وعبد الواحد التميمي الحافظ في (جواهر الكلام في الحكم والأحكام من كلام سيد الأنام وقد ردّ الحافظ السيوطي على ابن الجوزي في إيراده له في الموضوعات وقال (لم- يصب يعني ابن الجوزي- في ذلك) » أ.هـ. وقال العلامة الحافظ ابن حجر الهيتمي في (الجوهر المنظم): «أن ابن عدي روى هذا الحديث بسند يحتج به» أ.هـ وقال العلامة على قاري في (شرح لباب المناسك): «رواه ابن عدي بسند حسن» أ.هـ انظر تفصيل ذلك في (نصرة الإمام السبكي) ص ٩٣ – ١٠٠. انظر (رفع المنارة) ٣٤٤حديث رقم ٢٥.

(2)هو الإمام الحافظ المؤرخ محب الدين أبو عبد الله محمد بن محمود بن الحسن البغدادي الشافعي المذهب. ولد سنة ٥٧٨هـ سمع ابن الجوزي وابن كُلَيْب وغيرهما، كان من أعيان الحفاظ الثقات مع الدين والصيانة والفهم وسعة الرواية اشتملت مشيخته على ثلاثة آلاف شيخ. صنف (ذيل تاريخ بغداد) ، (ذيل المؤتلف) ، (الكمال) في علم الرجال، (تاريخ المدينة)، (مناقب الشافعي) وغير ذلك توفى سنة ٦٤٣هـ.

وكتابه الذي أشار إليه المؤلف : (الدرة اليتيمة في تاريخ المدينة) مطبوع.

ومنهم الإمام الحافظ المتفق على حفظه وعلو قدره في هذا الشأن أبو سعيد عبد الملك النيسابوري خرجه في كتابه شرف المصطفى من حديث علي ﷺ قال رسول الله ﷺ: «من زار قبري بعد موتي فكأنما زارني في حياتي ومن لم يزرني فقد جفاني [1]» رواه ابن عساكر من طرق.

وقوله: « وهو مثل قوله من زارني وزار أبي إبراهيم في عام واحد ضمنت له على الله الجنة [2]» .

تنبه يا من أشير إليه بالعلم في قوله فإنه يشير به إلى أن الحديث الأول كذب على رسول الله ﷺ لأنه سوى بينهما وذكر الحديث الثاني توطئة لقصده الفاسد في إرادة تحشيره[١] والتمويه على العوام والضعفاء من الطلبة، وهو شديد الاعتناء بهذا القصد الخبيث في الكلام على آيات[٢] الصفات وأحاديثها فليحذر الواقف على كلامه في آيات المتشابه وأحاديثه (١٤٧/أ) غاية الحذر فإن الخطأ فيها كفر، بخلاف غيرها من مسائل الفروع.

---

(١) في ط: تجاسره به.

(٢) في ب: أبواب.

---

(1) ورواه أيضاً الدراقطني والبيهقي وابن الجوزي والطبراني في (الكبير) و(الأوسط) وقد ناقش الإمام السبكي طرقه بالتفصيل في (شفاء السقام).

(2) (من زارني وزار أبي إبراهيم ...) حديث موضوع صرح بذلك الإمام النووي والزركشي والسيوطي وابن عراق وغيرهم انظر رفع المنارة ص ٣٥٠.

[د- جمع الفقهاء بين حديث (لا تشد الرحال..) وحديث البخاري (كان ﷺ يزور قباء راكبا وماشيا) فكلاهما صحيح معمول به وليس لكليهما تعلق بزيارة القبور]

وقوله: « وقد احتج أبو محمد المقدسي على جواز السفر لزيارة قبر النبي ﷺ وقبور الأنبياء عليهم الصلاة والسلام بأن النبي ﷺ كان يزور قباء.

وأجاب عن حديث لا تشد الرحال بأن ذلك محمول على نفي الاستحباب وأما الأولون فإنهم محتجون[١] بما في الصحيحين عن النبي ﷺ أنه قال: « إلا إلى ثلاثة مساجد المسجد الحرام والمسجد الأقصى ومسجدي هذا» وهذا الحديث اتفق الأئمة على صحته والعمل به » .

انظر بصرك الله تعالى ما في هذا الكلام من الإيهام[٢] والتدليس فإنه قال[٣]: (وقد احتج الشيخ أبو محمد على جواز السفر لزيارة قبر النبي ﷺ بأن النبي ﷺ كان يزور قباء) ولم يذكر (راكباً وماشياً)[1] لأن الراكب قد شد الرحل وهو لا غرض له في ذلك، وأيضاً فإنه فلم[٤] يذكر غير الشيخ أبي محمد وهو يوهم انفراده بذلك ولم ينفرد كما أذكره من بعد.

وقوله: وأجاب[٥] ـ يعني أبا محمد ـ عن حديث لا تشد الرحال بأن ذلك محمول على نفي الاستحباب.

---

(١) في ب-ج: يحتجون.

(٢) في ب: الإتهام.

(٣) في ط: قال قال:

(٤) في ط: وأيضاً فلم.

(٥) في ط: أجاب.

---

(1) روى البخاري في صحيحه كتاب الصلاة – باب: من أتى مسجد قباء ماشيا وراكبا عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: « كان النبي ﷺ يأتي قباء راكباً وماشياً » زاد ابن نمير حدثنا عبيد الله عن نافع « فيصلي فيه ركعتين » .

وأخرجه مسلم في كتاب الحج – باب: فضل مسجد قباء وفضل الصلاة فيه وزيارته.

وهو يوهم أن ذلك لم يقله إلا الشيخ أبو محمد وهو من التدليس الذي (١٤٧/ب) هو كثير الاعتناء به. والمكر السيء قوله[١] (وأما[٢] الأولون) يعني القائلين بتحريم السفر وعدم جواز القصر في سفر المعصية فإنهم يحتجون بما في الصحيحين عن النبي ﷺ أنه قال: (لا تشد الرحال إلا ثلاثة مساجد المسجد الحرام والمسجد الأقصى ومسجدي هذا)[1] وهذا الحديث اتفق الأئمة على صحته والعمل به.

وهو يوهم أنهم احتجوا لتحريم زيارة قبور[٣] الأنبياء وقبر النبي ﷺ به وهو من التلبيس[٤] الفاحش وهو مطالب بأن الأولين صرحوا بأن شد الرحال وإعمال المطي إلى قبره وقبر الخليل[٥] عليهما الصلاة والسلام[٦] حرام ومعصية ولا تقصر فيه الصلاة. وهذا لا نجده[٧]، بل الموجود غيره والندب إلى ذلك كما يأتي إن شاء الله تعالى وقد خاب من افترى.

ثم ما ذكره من انفراد الشيخ أبي محمد: بأن الحديث محمول على نفي الاستحباب: كذب وفجور وجهل فإنه لم ينفرد بذلك، بل ولا الحديث مساق[١] لتحريم زيارة القبور وإنما هو لبيان فضيلة المساجد الثلاثة دون غيرها لأن المساجد الثلاثة مساجد الأنبياء عليهم الصلاة والسلام والعمل فيها يضاعف ما لا يضاعف في غيرها وليس لزيارة القبور تعلق بالحديث.

---

(١) في ب-ج: وقوله.
(٢) في ط: أما.
(٣) في ط: لتحريم قبور وعلق عليه المصحح.
(٤) في ط: التدليس.
(٥) في ط: الخليل إبراهيم.
(٦) في ب: إلى قبره الجليل عليه الصلاة والسلام.
(٧) في ط: لا يجده.
(٨) في ط: مسوق.

---

(1) صحيح البخاري (كتاب الصلاة(باب: فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة، صحيح مسلم- كتاب الحج – باب: لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد. وروته كذلك بقية الكتب الستة وغيرها.

ولما تكلم[١] الأئمة على هذا الحديث ومنهم الإمام العلامة أبو زكريا يحيي النووي ﷺ في شرح مسلم قال: (في الحديث فضيلة المساجد الثلاثة وفضيلة شد الرحال إليها لأن معناه عند جمهور العلماء لا فضيلة في شدها إلى مسجد غيرها وقال الشيخ أبو محمد الجويني[٢] يحرم شدها إلى غيرها وهو غلط. ومر بيانه في باب سفر المرأة)[1].

فصرح بأن (١٤٨/أ) جمهور العلماء إنما ذكروا ذلك في الفضيلة. وصرح بأنه لا فضيلة في شد الرحال[٣] إلى مسجد غيرها و لم يتعرض للزيارة ألبته.

قلت: وجزم الشيخ محيي الدين ﷺ بأن الشيخ أبا محمد جزم بالتحريم ممنوع[٤]، وإنما تردد في ذلك فقال ربما يحرم وربما يكره والله أعلم.

وقال ـ أعنى النووي ـ في شرح مسلم في باب سفر المرأة: «واختلف في شد الرحال وإعمال المطي إلى غيرها كالذهاب[٥] إلى قبور الصالحين والمواضع الفاضلة ونحو ذلك: فقال الشيخ أبو محمد الجويني يحرم وهذا الذي أشار إليه عياض مختاراً له والصحيح عند أصحابنا واختاره الإمام والمحققون[٦] لا يحرم ولا يكره والمراد أن الفضيلة التامة إنما هي في شد الرحال إلى الثلاثة خاصة » انتهى.

فذكر أولاً أن جمهور العلماء إنما ذكروا ذلك في الفضيلة[٧] وذكر ثانياً أنه قول المحققين وأنه لا يحرم ولا يُكره وأن المراد أن الفضيلة التامة إنما هي في

(١) في ب: وكما تكلم.
(٢) في ط: الجويني من أصحابنا.
(٣) في ط: في شد الرحال.
(٤) في ط: وهو ممنوع.
(٥) في ط: لا الذهاب.
(٦) في ج: واختاره المحققون والإمام.
(٧) في ج: للفضيلة.

---

(1) كتاب الحج.

شد الرحال إلى الثلاث المساجد[١] خاصة، ولم يصرح بقبور الأنبياء.

وقوله وأن الفضيلة التامة إنما (١٤٨/ب) هي في شد الرحال إلى المساجد الثلاثة يفيد أن شد الرحال إلى غير الثلاثة فيه فضيلة إلا أنها غير تامة.

وإذا علمت ذلك وما قرره هذا العبد الصالح وما نقله استفدت منه أنه لا يجوز تقليد هذا الزائغ في نقله ولا يرجع إليه في تقريره لسوء فهمه وتدليسه وسيأتي إن شاء الله تعالى ما يقطع بصحة[٢] ما قلته بلا شك ولا تردد.

وأزيدك على ما ذكره النووي ما يؤكد ما قلته: قال ابن قدامة الحنبلي في كتابه المغني: (فصل) فإن سافر لزيارة القبور والمشاهد قال ابن عقيل لا يباح له الترخص[٣] لأنه منهي عن السفر إليها قال النبي ﷺ: لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد، والصحيح إباحته وجواز القصر فيه لأن النبي ﷺ كان يأتي قباء ماشياً وراكباً، وكان يزور القبور. وقال: (زوروها تذكركم الآخرة)[1] وأما قوله: لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد فيحمل على نفي الفضيلة لا على التحريم، وليست[٤] الفضيلة شرطاً في إباحة القصر ولا يضر انتفاؤها. انتهى.

وفيه من الفوائد أنه صرح بأن الصحيح أن ذلك في نفي الفضيلة وأن المنع إنما نسبه إلى ابن عقيل فقط. فأين قول ابن تيمية: «وطوائف كثيرون (١٤٩/أ) من العلماء المتقدمين» وابن قدامة واسع الباع في الاطلاع فكيف يقتصر على ابن عقيل وحده ويترك طوائف كثيرة من العلماء المتقدمين وهذه كتب الحنابلة وغيرها مشهورة فأين النقل فيها عن المتقدمين؟.

(١) في ب: الثلاث مساجد وفي ج-ط: المساجد الثلاثة.
(٢) في ط: ما تقطع به بصحته.
(٣) في ط: الترخيص.
(٤) في ط: وليس.

(1) حديث صحيح أخرجه الستة ما عدا البخاري، بألفاظ متقاربة كلهم في كتاب الجنائز ولفظ الترمذي «... فزوروها فإنها تذكركم الآخرة».

وهذا مما يعرفك أن ابن تيمية يكذب في الإعزاء[١] ومن تتبع ذلك وجده صحيحاً[1] وينقل في بعض الأحيان الإجماع على شيء[٢] وهو كذب محقق وإذا نقل كلام الغير لم ينقله على وجهه وإن نقله على وجهه دس فيه ما ليس من كلام ذلك المنقول[2] فاعلم ذلك وتنبه له واحذر تقليده تهلك كما هلك.

وقول ابن عقيل لا يباح الترخص له لزيارة القبور لأنه منهي عن السفر إليها، لم يصرح بقبور الأنبياء ولا بقبر النبي ﷺ ولم يعلم مراده وعلى تقدير إرادته ذلك فهو مخطيء وضعيف الإدراك في الاستدلال ألا تراه اعتمد على الحديث، وما[٣] ابن عقيل؟ [3]. وسيأتي إن شاء الله تعالى أن الحديث لا دليل فيه إلا عند عوام الفقهاء وأن من تمسك به فقد تمسك بما لا يفيد.

---

(١) في ط: الإجماع.

(٢) في ط: في بعض الأحيان شيئاً وهو كذب.

(٣) في ب: وأما. وهو خطأ.

---

(1) وقد ذكر الإمام السبكي ﷺ نموذجين لكذبه بالإضافة إلى تزويره لحديث عائشة رضي الله عنها في الفصل الأول من (الدرة المضية) والمنقول في ختام (الفتاوى السهمية) الملحقة بهذا الكتاب انظر ص ٦٢٨، ٦٢٩.

(2) أو حذف من الكلام ما يدل على عكس مراده، كما فعل في حديث عائشة: (كل يمين ...) الحديث. وهذا من أقوى الأدلة التي تثبت **تلاعبه بالدين**. انظر تعليقنا ص ٢٥٨ تحت عنوان (خداعه وتلاعبه بالدين) وكذا كلام الإمام السبكي المشار إليه في التعليق السابق.

(3) يشير إلى أن ابن عقيل ليس من كبار فقهاء الحنابلة حتى يعتد بقوله ذلك وفي إشارته إلى الحديث ينبه على ضعف قدرته على الاستنباط من النصوص وليس ضعف سند الحديث.

[هـ- تحقيق ألفاظ ومعاني حديث (لا تشد الرحال ..)]

ولابد من ذكر ألفاظ الحديث لتتم الفائدة وقد ورد بألفاظ مختلفة.

أشهرها: (لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد مسجدي هـذا ومسـجد الحرام ومسجد الأقصى).

واللفظ الثاني (١٤٩/ب): (تشد الرحال إلى ثلاثـة مسـاجد). مـن غـير لفظ الحصر.

اللفظ الثالث: (إنما يسافر إلى ثلاثة مسـاجد مسـجد الكعبـة ومسـجدي ومسجد إيلياء. وإيلياء بيت المقدس).

وهذه الروايات ذكرها مسلم في فضل المدينة من حديث أبـي هريـرة ﷺ وذكر قبل ذلك في سفر المرأة من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ: (لا تشد[1] الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد مسجدي هذا والمسـجد الحرام والمسـجد الأقصى). وهذا بصيغة النهي. والثلاثة الأول بصيغة الخبر. وبصيغة النهي رواه الطـبراني من حديث ابن عمر رضي الله عنـهما: (لا تشـدوا الرحـال إلا إلى ثلاثـة مسـاجد مسجد إبراهيم[2] ومسجد محمد ومسجد بيت المقدس) وهذا اللفظ رواه ابن راهويه في مسنده من حديث أبي سعيد ﷺ. هذا ما يتعلق بلفظ الحديث.

وأما ما يتعلق بمعنـاه ومـا يـدل عليـه: فـاعلم أن الاسـتثناء في الحديـث مفرغ كما هو واضح ولابد فيه من تقدير وهو شيئان:

أحدهما: لا تشد الرحال إلى مسـجد إلا إلى المسـاجد الثلاثـة. وعلـى هذا فلا حجة للخصم فيه.

والتقدير الثاني: لا تشـد الرحـال إلى مكـان إلا إلى المسـاجد الثلاث

(١) في ب-ج-ط: لا تشدوا.

(٢) في ب: ثلاثة مساجد إبراهيم.

(١٥٠/أ) ولابد من تقدير أحد هذين ليكون المستثنى مندرجاً تحت المستثنى منه.

والتقدير الأول وهو: لا تشد الرحال إلى مسجد أولى من التقدير الثاني وهو: لا تشد الرحال إلى مكان، لأنه على التقدير الأول جنس قريب لما فيه من قلة عدم التخصيص(١)، لأن التخصيص على تقدير إضمار الأمكنة أكثر فيكون مرجوحاً.

ولو خطر بالبال تقدير العموم في الحديث لكان خيالا فاسداً: لمساقه والقرينة(٢) اللفظية فيه ولدخول التخصيص بالأدلة السمعية والعملية الكثيرة جداً.

أما **مساقه**(٣)، فلأن الحديث إنما ورد لبيان شرف هذه المساجد الثلاثة وميزتها(٤) على غيرها من المساجد لما مر(٥) من أنها مساجد الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ولهذا يضاعف(٦) الأعمال فيها مالا تضاعف في غيرها، والمتكلمون على الحديث إنما يتكلمون في ذلك ونحوه من لزوم النذر المتعلق بها دون الزيار(٧) ولهذا لما تكلم بعض المتأخرين على الحديث وأدرج ذكر الزيارة اعترض عليه في ذكر الزيارة. وقيل لم يرد الحديث لذلك وإنما ورد لبيان شرف هذه المساجد دون غيرها. وهذا كاف في بطلان الاحتجاج بالحديث (١٥٠/ب) لمنع زيارة القبور والزيادة على ذلك إنما هو على وجه

(١) في ط: من قلة التخصيص.

(٢) في ط: فاسد السياقة وللقرينة، وكتبت فاسد المساقة وصححها المصحح بقوله المشاقة؟! وكلاهما خطأ.

(٣) في ط: أما سياقه.

(٤) في ط: وخيرتها وصححها المصحح بقوله وخيريتها.

(٥) في ط: كما مر

(٦) في ب-ج-ط: تضاعف.

(٧) في ط: الزيارات.

التنزل فمن احتج بالحديث لمنع الزيارة ينبغي أن لا يُرسم في حزب الفقهاء ألبته لما قررنا. وإن قلنا بعموم اللفظ فكذلك لأن وقائع الأعيان إذا تطرق إليها الاحتمال كساها ثوب الإجمال وسقط بها الاستدلال وهذا في الاحتمال وإن كان فيه بُعد.

فما ظنك بهذا الحديث الذي الاحتمال[١] فيه من لفظه. وهو قرينة ظاهرة وقوية ولها شاهد ظاهر الدلالة[٢] كما أذكره إن شاء الله تعالى. ولا سيما **وقد دخله التخصيص بالأدلة السمعية والعملية مع كثرة المخصصات** على اختلاف أنواعها فمنها: ما هو فرض عين ومنها ما هو فرض كفاية ومنها ما هو مندوب ومنها ما هو قربة ومنها ما هو مباح. وصور هذه الأنواع لا تكاد تنحصر عداً.

فأما القرينة اللفظية فذكر المساجد الثلاث في الاستثناء وهو بعض المستثنى منه وهذا قوي جداً، وإلى تكون بمعنى اللام إذ حروف الصلة ينوب بعضها عن بعض كما هو كثير في الكلام فالمعنى لا تشد الرحال إلا للمساجد الثلاثة[٣].

ويؤيد هذا أن رجلاً من التابعين قال لابن عمر رضي الله عنهما: أريد أن آتي الطور قال: « إنما تشد (١٥١/أ) الرحال إلى ثلاثة مساجد مسجد الحرام ومسجد رسول الله ﷺ ومسجد الأقصى ودع عنك الطور فلا تأته[1]». فهذا[٤] عبد الله بن عمر رضي الله عنهما من أجلاء الصحابة ﷺ لم

(١) في ط: لا احتمال.

(٢) في ب: شاهد الدلالة.

(٣) في ط: فالمعنى لا تشد الرحال لمسجد إلا للمساجد الثلاثة.

(٤) في ج: وهذا.

يتكلم إلا في شد الرحال إلى المساجد دون غيرها وهو أعلم بالحديث وموارده ومصادره. وعلى منواله تكلم العلماء في شد الرحال بالنسبة إلى المساجد وكذا ذكره القاضي عياض في كتابه الإكمال ولم يتعرض لزيارة الموتى أصلا وليس في الحديث تعرض لمنع الزيارة ألبته.

وبهذا وغيره يعرف [أن دعوى] أن الحديث[(١)] يدل على منع الزيارة من كلام الجهلة العارين عن العلوم التي بها يصح الاستدلال والاستنباط وعلى سوء الفهم وبلادة الذهن وجموده وأن مثل هذا لا يحل لأحد تقليده ولا الأخذ بقوله لتحقق جهله ببعض ما قررنا. ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور. ومثل هذا لا يزال يتخبط في ظلمة جهله هو وأتباعه وبالله التوفيق.

---

(١) في أ: يعرف أن الحديث. وهو سقط من الناسخ.

---

(1) يقول الشيخ محمود سعيد في كتابه (رفع المنارة) ط. الثانية ص ٣٧٠-٣٧١: «..أخرج البخاري في التاريخ الكبير (٢٠٤/٧)، وعبد الرزاق (١٣٥/٥)، وابن أبي شيبة (٣٧٣/٢) وعمر بن شبّه في أخبار المدينة (كما في الصارم المنكي ص ٣٤٢). من حديث سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار عن طلق بن حبيب عن قزعة قال: (سألت ابن عمر: آتي الطور؟ قال: دعِ الطور ولا تأتها. وقال لا تشدوا الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد).

وهذا إسناد صحيح لا علة فيه » أ.هـ

ثم ذكر الشيخ محمود سعيد متابعات أخرى لطريق سفيان عند البيهقي في (شعب الإيمان)، والفاكهي في (أخبار مكة)، وعبد الرزاق في المنصف.

[ل- زعم ابن تيمية أن نذر إتيان المساجد الثلاثة واجب الوفاء بخلاف غيرها من المساجد والمشاهد]

وقوله في جواب الفتوى (ولو نذر أن يأتي مسجد النبي ﷺ أو المسجد الأقصى لصلاة أو اعتكاف وجب الوفاء بهذا النذر عند مالك والشافعي وأحمد (١٥١/ب) ولم يجب عند أبي حنيفة رحمهم الله لأنه لا يجب عنده بالنذر إلا ما كان من جنسه واجب بالشرع) إلى آخره.

فقوله: (وجب الوفاء عند الشافعي) يوهم أن الشافعي جازم بذلك وليس كذلك بل هو قول مرجوح عند الشافعي، وعلل بأن مسجد النبي ﷺ والمسجد الأقصى لا يقصدان بالنسك فأشبها سائر المساجد.

وقوله: (ولو نذر أن يصلي في مسجد أو مشهد أو يعتكف فيه أو يسافر إليه غير هذه المساجد الثلاثة لم يجب ذلك باتفاق الأئمة) وهذا أيضاً ليس بصحيح وما رأيت أجرأ منه على الفجور ولا أكذب في دعوى الاتفاق والإجماع وقصده بذلك الترويج على الأغمار ولا عليه من غضب الجبار.

وفي كلامه مسألتان:

الأولى: إذا نذر أن يصلي في مسجد أو مشهد أو يعتكف فيه من غير المساجد الثلاث. وقد حكى الاتفاق على أنه لا يجب عليه الوفاء بذلك وهو البهتان البّين. ففي ذلك قولان آخران أحدهما: يجب الوفاء مطلقاً. والثاني: إن نذرها في الجامع تعين وإلا فلا.

المسألة الثانية: إذا نذر أن يسافر إلى غير هذه المساجد الثلاثة فإنه لا تجب عليه باتفاق الأئمة ثم أردف ذلك بقوله: وأما السفر إلى بقعة غير المساجد الثلاث فلم يوجب أحد من العلماء السفر إليه إذا نذره (١٥٢/أ)

حتى نص العلماء[١] على أنه لا يسافر إلى مسجد قباء لأنه ليس من المساجد الثلاث.

فانظر هذه[٢] الجرأة والفجور بقوله: حتى نص العلماء والمسألة فيها خلاف وقد قال الإمام محمد بن مسلمة المالكي: إذا قصد مسجد قباء لزمه لأن النبي ﷺ كان يأتيه كل سبت راكباً وماشياً بل قال الليث بن سعد إذا نذر المشي إلى أي مسجد كان لزمه سواء في ذلك المساجد الثلاثة وغيرها.

وقال الإمام ابن كج من كبار أصحابنا إذا نذر أن يزور قبر النبي ﷺ فعندي أنه يلزمه وجهاً واحداً. ولو نذر المشي إلى مسجد النبي ﷺ ففيه قولان: أحدهما: لا يلزمه والثاني: يلزمه. فعلى هذا لابد من ضم عبادة. قيل: يلزمه صلاة وقيل: اعتكاف، ولو لحظة. والصحيح أنه يتخير وفي مسجد النبي ﷺ يتخير بين الصلاة وبين زيارة قبر النبي ﷺ.

فجعل زيارة قبر النبي ﷺ طاعة وهي أخص من القربة وجعلها تقوم مقام الصلاة التي هي أفضل عبادات البدن والمساجد موضوعة لها بالأصالة.

---

(١) في ج: نص بعض العلماء.

(٢) في ط: فانظر إلى هذه.

[م- زعمه أن السفر إلى زيارة قبور الأنبياء والصالحين بدعة لم يفعلها الصحابة ولا التابعون]

وقوله(وقالوا وأن السفر إلى زيارة قبور الأنبياء والصالحين بدعة لم يفعلها أحد من الصحابة (١٥٢/ب) ولا التابعين ولا أمر بها رسول الله ﷺ ولا استحب ذلك أحد من أئمة المسلمين فمن اعتقد ذلك عبادة وفعلها فهو مخالف للسنة ولإجماع الأمة).

لما[١] وقف بعض الأئمة على هذا الكلام الباطل قال: هذا من البهت الصريح. وصدق ﷺ لما أذكره وفيه أيضاً تدليس مع الفجور[٢]. وبيان التدليس قوله: قالوا فإنه يوهم أن هذا الذي قاله لم يقله من عند نفسه وإنما نقله عن أئمة المسلمين وأنه مجمع عليه. وهذا شأنه يدلس في الإعزاء[٣] ليحمل الناس على عقيدته الفاسدة المفسدة لأنه لو عزاه إلى نفسه لما انتظم له ذلك لعلم الحذاق النقاد بسوء فهمه وكثرة خلطه مما عرفوه منه في بحثه وتدوينه إذا انفرد.

فقوله (لأن السفر إلى قبور الأنبياء) يشمل قبر الخليل والكليم وقبر النبي ﷺ وغيرهم.

وقوله (والصالحين) يشمل قبور الصحابة ﷺ وغيرهم. وهو مُطالب بإعزاءه[٤] إلى أئمة المسلمين وأنه مجمع عليه وهو لا يجد إلى ذلك سبيلاً بل المنقول خلاف ذلك كما تراه.

وقوله (إن السفر إلى قبور الأنبياء والصالحين بدعة لم يفعلها أحد من الصحابة ولا التابعين) هذا من الفجور والإفك المبين. ولم تزل الناس (١٥٣/أ) علي زيارة قبر الخليل والكليم وغيرهما في سائر الأعصار من جميع الامصار.

وهذا بلال مؤذن رسول الله ﷺ سافر من الشام إلى المدينة الشريفة لزيارة

(١) في ط: قلت لما.

(٢) في ط: من الفجور.

(٣) في ط: في الإغراء.

(٤) في ط: بتصحيح ما عزاه.

قبر رسول الله ﷺ وممن ذكر ذلك الحافظ ابن عساكر والحافظ عبد الغني المقدسي في كتابه الإكمال في ترجمة بلال ﷺ وقال فيه ولم يؤذن لأحد بعد النبي ﷺ فيما يُروى إلا مرة واحدة في قدمة قدمها إلى المدينة لزيارة قبر النبي ﷺ طلب إليه الصحابة ﷺ ذلك فأذن لهم ولم يتم الأذان.

وقيل أنه أذن لأبي بكر ﷺ في خلافته انتهى وممن ذكر ذلك أيضاً إمام الأئمة في الحديث أبو الحجاج الشهير بالمزي(1).

وسبب سفر بلال ﷺ لزيارة قبره عليه الصلاة والسلام(١) أنه رأى النبي ﷺ في المنام فقال له ما هذه الجفوة يا بلال أما آن لك أن تزورني يا بلال فانتبه من نومه حزيناً وجلاً خائفاً فقعد على راحلته من حينه وقصد المدينة فأتى قبره عليه الصلاة والسلام فجعل يبكي عنده ويمرغ وجهه عليه فأقبل الحسن والحسين رضي الله عنهما إليه فجعل يضمهما ويقبلهما ثم قالا له: يا بلال نشتهي أن نسمع أذانك الذي كنت تؤذن (١٥٣/ب) لرسول(٢) ﷺ في المسجد فعلا سطح المسجد ووقف موقفه الذي كان يقفه(٣) فلما أن قال: الله أكبر ارتجت المدينة. فلما قال: أشهد أن لا إله إلا الله ازدادت رجتها. فلما أن قال: أشهد أن محمد(٤) رسول الله خرجت العواتق من خدورهن. وقالوا: أبعث رسول الله ﷺ فما رؤي يوماً أكثر باكياً ولا باكية بالمدينة بعد رسول الله ﷺ من ذلك اليوم.

(١) في ج: ﷺ.
(٢) في ط: للنبي.
(٣) في ط: يقف.
(٤) في ط: سيدنا محمد.

---

(1)هو: الإمام الحافظ محدث الشام جمال الدين أبو الحجاج يوسف بن الزكي عبدالرحمن بن يوسف القضاعيّ ثم الكلبي الشافعي ولد بحلب سنة ٦٥٤هـ ونشأ بالمزّة وتفقه قليلا ثم أقبل على الحديث وعلومه ونظر في اللغة ومهر فيها. أما معرفة الرجال فهو حامل لوائها والقائم بأعبائها لم تر العيون مثله. صنف (تهذيب الكمال) و(الأطراف)، أوضح مشكلات ومعضلات ما سبق إليها في علم الحديث ورجاله. توفى سنة ٧٤٢هـ. وقصة سفر بلال التي أشار إليها الإمام الحصني ذكرها المزي في ترجمة بلال في كتابه (تهذيب الكمال).

فهذا بلال من سادات الصحابة ﷺ[١] قد شد رحالـه مـن الشام وسـافر لزيارة قبره عليه الصلاة والسلام[٢] فقط.[(1)] وأعلم بذلـك الحسـن والحسين، وطار بذلك الخبر في المدينة، وكان في خلافة عمر بن الخطـاب ﷺ ولم ينكـر عليه ولا أحد من الصحابة ﷺ ولو كان السـفر لزيـارة قـبره[٣] مخالفـاً للسـنة

(١) في ج–ط: ﷺ .
(٢) في ج–ط: ﷺ .
(٣) في ج: لقبره عليه الصلاة والسلام.

---

(1) يقول العلامة إبراهيم السمنودي المنصوري في كتابه (سـعادة الدرايـن): « وقـد جـاء بسند جيد عند ابن عساكر وغيره كما في المواهب وخلاصة الوفـاء وغيرهمـا أن بـلال بـن ربـاح رضي الله تعالى عنه ... » وذكر القصة بتمامها ثم علق في الهامش على سند القصة فقال: «تبعت في ذكر هذه القصة العلامة ابن حجر المكي حيث ذكرها في كتابـه (الجوهـر المنظـم) تبعـا للأئمـة المذكورين وإن قال ملا قارى في تذكرة موضوعاته ما نصه: (وفي الذيل: أن قصة رحيل بلال ثـم رجوعه إلى المدينة بعد رؤيته عليه الصلاة والسلام في المنام وأذانه بها وارتجاج أهل المدينة لا أصـل له وهي بينة الوضع. أ.هـ وكأن ابن حجر المكي ما اطلع عليه وذكره في كتابه الموضـوع للزيـارة) أ.هـ كلام الملا كتبه مؤلفه. ثم رأيت في السعي المشكور لعبد الحي اللكنوي الهندي أن الذي أوقع ابن الجوزي في الحكم بوضع الحديث المذكور استناده في غالبه بضعف راويه الذي يرمي بـالكذب مثلا غافلاً عن مجيئه من وجه آخر وربما يكون اعتماده في التفرد قول غيره ممن يكـون كلامـه فيـه محمولا على النسبي. ثم أطال في الرد على الحكم بوضعه وأيد أن سنده جيد فراجعه إن شـئت ولا تقلد القارئ في تحامله وتعصبه على شيخه الإمام ابن حجر المكي أ.هـ لمؤلفه » أ.هـ ج١ ص ٩٩.

وذكر أيضاً هذه القصة الإمام السبكي في (شفاء السقام) قال: « روينا ذلك بإسناد جيـد إليه، وهو نص في الباب » ونقل ذلك عن الحافظ أبي القاسم بن عساكر في (تاريخ دمشـق) عنـد ترجمة بلال بن رباح وعند ترجمة إبراهيم بن محمد بن سليمان بن بلال بن أبي الدرداء أبـو إسـحاق بسند آخر. وقال أيضاً عن هذا الخبر: «وذكره الحافظ أبو محمد عبـد الغـني المقدسـي رحمـه الله في (الكمال) في ترجمة بلال فقال: (ولم يؤذن لأحد بعد النبي ﷺ فيما روى إلا مرة واحـدة في قدمـة قدمها المدينة لزيارة قبر النبي ﷺ وطلب إليه الصحابة ذلك فأذن ولم يتم الأذان وقيل أنه أذن لأبـي بكر الصديق ﷺ في خلافته) وممن ذكر ذلك أيضـاً الحـافظ أبـو الحجـاج المزي أبقـاه الله » أ.هـ ص٤٥ ثم قال أيضاً عن هذا الحديث: «وليس اعتمادنا في الاستدلال بهذا الحديث على رؤيا المنام فقط بل على فعل بلال وهو صحابي لا سيما في خلافة عمر ﷺ والصحابـة متوافـرون ولا يخفـى عنهم هذه القصة ومنام بلال ورؤياه للنبي ﷺ الذي لا يتمثل به الشيطان وليس فيه ما يخالف مـا ثبت في اليقظة فيتأكد به فعل الصحابي » أ.هـ. ص ٤٦.

ولإجماع الأمة لأنكروا عليه لأنهم ينكـرون أدنـى شـيء مـن المخالفـات ولا سيما عمـر رضي الله عنه وهـو أمـير المؤمنـين وأشـد النـاس في الإنكـار وأبطشـهم يـداً وأحدهم لسانا ووقّافاً(١) مع الحق ولا يأخذه في الله لومة لائم.

وأيضاً فمن الشائع الذائع أن عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه كان يبرد الـبرد(٢) مـن الشام لأجل السلام على رسول الله ﷺ فقط ذكر هـذا غـير (١٥٤/أ) واحـدٍ منهم القاضي عياض في أشهر كتبه وهو الشـفاء وذكـره الإمـام هبـة الله في كتابـه توثيق عرى الإيمان. وذكره الإمام العلامة بن الجوزي في كتابه (مثير العـزم(٣) الساكن إلى أشرف الأماكن) وذكره الإمام أبو بكر أحمد النبيل(٤)[1] في مناسك له لطيفة جردها من الأسانيد والتزم فيها الثبوت. ولفظه: (وكان عمر بـن عبدالعزيـز يبعث بالرسول قاصداً من الشام إلى المدينة ليقريء النبي ﷺ السلام ثم يرجع. وهذا الإمام أبو بكر قديم توفي سنة(٥) سبع وثمانين ومائتين.

فهذا ا لسيد الجليل عمر بن عبد العزيز يبعث الرجل لأجل السلام فقـط لا لقصد آخر وكان ذلك في زمن صدر التابعين[2].

(١) في ط: ووقوفاً. وفي ب: أحدّهم بأسا ووقوفا.
(٢) في ط: البريد.
(٣) في ط: الغرام.
(٤) في ج-ط: ابن النبيل.
(٥) في ط: توفي في سنة.

---

(1) هو الإمام الحافظ الكبير: أبو بكر أحمد بن عمرو بن النبيل أبي عاصم الشيباني الزاهد المعروف بـ (ابن أبي عاصم) قاضي أصبهان، له الرحلة الواسعة والتصـانيف النافعـة، ذهبـت كتبـه بالبصرة في فتنة الزنج عام ٢٥٥هـ فأعاد من حفظـه خمسين ألـف حديث كـان فقيـها ظـاهري المذهب. توفى سنة ٢٨٧هـ.

(2) يقول الإمام السبكي في (شفاء السقام): «وقد استفاض عن عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه أنه كان يبرد البريد من الشام يقول: (سلّم لي على رسول الله ﷺ) فمن ذكر ذلك ابن الجوزي ونقلته من خطه في كتاب (مثير العزم الساكن)... » إلى أن قال: «وذكره أيضاً الإمام أبو بكر أحمد بـن عمرو بن أبي عاصم النبيل » أ.هـ وذكر نص عبارته التي نقلها المؤلف.

وذكر السيد السمهودي في (خلاصة الوفاء) أن هذا الخبر صحيح الإسناد وهو عند البيهقي بسنده في (شعب الإيمان).

وكان سفر بلال في زمن صدر الصحابة ﷺ ولم ينكر ذلك أحد فدل على أن السفر لأجل زيارة قبره ﷺ ولأجل السلام عليه مجمع عليه بين[١] الصحابة والتابعين.

فأين دعوى ابن تيمية أن ذلك مخالف للسنة ولإجماع الأمة وقد تقدم قول عمر ﷺ لكعب الأحبار حتى[٢] نسافر لتزور قبر رسول الله ﷺ وتتمتع[٣] بزيارته. فقال: نعم، يا أمير المؤمنين أفعل[1]. وهذا أو بعضه كافٍ في إبطال دعوى ابن تيمية وفجوره[٤].

---

(١) في ج: مجمع عليه من.

(٢) في ط: ألا تسافر وفي ب: حتى يسافر.

(٣) في ب: وتستمتع.

(٤) في ط: وإثبات فجوره.

---

(1) ذكره سيف بن عمر في (فتوح الشام) وهناك خبر آخر جاء في (خلاصة الوفاء): «وذكر المؤرخون والمحدثون أن زياد ابن أبيه لما أراد الحج جاءه أبو بكرة الصحابي رضي الله تعالى عنهم وأشار عليه بتركها لأن أم حبيبة أم المؤمنين بالمدينة، فإن أذنت له في الدخول عليها فهو خيانه لرسول الله ﷺ . أي لأنه ليس بأخيها إلا باستلحاق أخيها معاوية رضي الله تعالى عنه وقد علم الناس بطلان استلحاقه لأمور مشهورة، وإن حجبته فذلك حجة عليه، فهذا يدل على أن زيارة الحاج كانت معهودة من ذلك الوقت وإلا لكان زياد يمكنه الحج من غير طريق المدينة، بل هو أقرب إليه لأنه كان بالعراق ومكة أقرب إليه، ولكن إتيان المدينة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام عندهم أمر لا يترك » أ.هـ ووردت هذه القصة بتمامها في الاستيعاب لابن عبد البر وعند غيره أيضاً على ما هو مبين في (شفاء السقام).

[ن- نماذج من نصوص فقهاء المذاهب الأربعة في استحباب أو وجوب زيارة قبر النبي ﷺ]

وأتبرع بزيادة وأقتصر (١٥٤ /ب) غاية الاقتصار قال بعض الأئمة: وأما زيارة قبر النبي ﷺ فلم ينكرها أحد ولم يقع في السفر إليها نزاع ولم يزل سفر الحجيج إليه في السلف والخلف. وصدق ﷺ وهذه كتب العلماء من جميع المذاهب مصرحةً بذلك. وقد تقدم قول القاضي عياض: زيارة قبره عليه الصلاة والسلام سنة من سنن المرسلين ومجمع عليها ومرغب فيها. واحتج بحديث ابن عمر وأنس رضي الله عنهما وقد ذكر غير القاضي عياض ما ذكره.

وإذا تقرر ذلك ففي ذكري ما أتبرع به مع غاية الاقتصار تتحق أن ابن تيمية من أعظم الكذبة والفجار. وقد انكشف لك ذلك كما انكشف ضوء النهار.

فمن ذلك ما ذكره القاضي أبو الطيب وهو من أئمة الشافعية فإنه قال[1]: ويستحب أن يزور قبر النبي ﷺ بعد أن يحج ويعتمر. انتهى وكيف يزور من غير سفر سواء كان راكباً أو ماشياً.

وقال المحاملي في كتابه (التجريد) ويستحب للحاج إذا فرغ من مكة أن يزور قبر النبي ﷺ انتهى.

وقال الحليمي في كتابه (المنهاج) عند ذكر تعظيم النبي ﷺ وذكر جملة ثم قال: وهذا كان من الذين رزقوا مشاهدته وصحبته وأما اليوم فمن التعظيم بيان تعظيمه (١٥٥ /أ) وزيارته.

وقال الماوَرْديّ في كتابه (الحاوي): أما زيارة قبر النبي ﷺ فمأمور به

(١) في ط: أئمة الشافعية قال:

ومندوب إليها وقال في كتابه (الأحكام السلطانية) في باب الولاية على الحجيج وذكر كلاماً يتعلق بأمير الحاج ثم قال: فإذا[١] قضى الناس الحج أمهلهم الأيام التي جرت عادتهم بها فإذا رجعوا سار بهم على طريق مدينة النبي[٢] ﷺ ليجمع لهم بين[٣] حج بيت الله عز وجل وزيارة قبر رسول الله ﷺ رعاية لحرمته، وقياماً بحقوق[٤] طاعته، وذلك وإن لم يكن من فروض الحج فهو من مندوبات الشرع المستحبة وعبادات الحجيج المستحسنة.

فتأمل هذه العبارة من هذا الإمام وما اشتملت عليه من الفوائد الجليلة.

وقال الإمام العلامة المتفق على دينه وكثرة علومه وعلو قدره الشيخ أبو إسحاق الشيرازي: ويستحب زيارة قبر النبي ﷺ.

وذكر القاضي حسين نحوه، وكذا الروياني ولا حاجة إلى الإطالة بذكر من قال بزيارة قبره عليه الصلاة والسلام سواء في ذلك قبل الحج أو بعده.

وأشير إليه من أصحاب الشافعي: من جملتهم السيد الجليل أبو زكريا يحيى النووي قدس الله تعالى روحه قال في كتابه المناسك وغيره[٥]: (فصل) في زيارة (١٥٥/ب) قبر النبي ﷺ سواء كان ذلك طريقه[٦] أو لا، فإن زيارته ﷺ من أهم القربات وأربح المساعي وأفضل الطلبات[٧].

---

(١) في ج-ط: وإذا.

(٢) في ط: المدينة للنبي.

(٣) في ط: ليجمع بين.

(٤) في ط: وقياماً ببعض حقوق.

(٥) في ب-ط: وغيرها.

(٦) في ط: على طريقه.

(٧) في ط: الطلبات انتهى.

وإذا عرفت هذا فأتبرع[١] لك بزيادة أخرى مع زيادة فائدة.

قالت الحنفية: إن زيارة قبر النبي ﷺ من أفضل المندوبات والمستحبات بل تقرب من درجة الواجبات.

وممن صرح بذلك منهم[٢] الإمام. أبو منصور محمد الكرماني في مناسكه والإمام عبد الله بن محمود في شرح المختار.

وقال الإمام أبو العباس السروجي: وإذا انصرف الحاج من مكة شرفها الله تعالى فليتوجه إلى طيبة مدينة رسول الله[٣] ﷺ وزيارة[٤] قبره فإنها من أنجح المساعي. وكلامهم في ذلك يطول[٥].

وأتبرع بزيادة هي أبلغ في تكذيب هذا الفاجر لأنها من كلام أئمة الحنابلة قال أبو الخطاب[٦] محفوظ الكلوماذي[٧] (1) الحنبلي في كتابه الهداية في آخر باب صفة الحج: استحب له زيارة قبره ﷺ وصاحبيه. وفيه فائدة

(١) في ب: فأشرع.

(٢) في ط: بذلك الإمام.

(٣) في ج: مدينة النبي.

(٤) في ط: لزيادة.

(٥) في ج: طويل.

(٦) في ط: ابن الخطاب.

(٧) في أ: الكلوماذي وفي ب–ج: الكلوباذي وفي ط: الكلواذني وفي طبقات الحنابلة لابن شطي الكلواذني.

---

(1) هو: أبو الخطاب محفوظ بن أحمد بن الحسن بن أحمد الكلوذاني البغدادي الفقيه أحد أئمة المذهب الحنبلي.

ولد سنة ٤٣٢ هـ وسمع الحديث من القاضي أبي يعلى وطبقته ودرس الفقه عليه ولزمه حتى برع في المذهب والخلاف. درس وأفتى وصنف كتبا حسانا في الفقه والفرائض والأصول والخلاف ومنها: (الهداية) في الفقه، والخلاف الكبير المسمى بـ (الانتصار في المسائل الكبار)، والخلاف الصغير المسمى بـ (رؤوس المسائل)، و(التهذيب) في الفرائض، و(التمهيد) في أصول الفقه، و(العبادات الخمس)، و(مناسك الحج).

كان كامل الدين غزير العقل جميل السيرة مرضى الفعل قرأ عليه الفقه جماعة من أئمة المذهب وكان فقيها عظيماً كثير الفقه. توفي سنة ٥١٠هـ ودفن قريبا من قبر الإمام أحمد انتهى بتصرف من (مختصر طبقات الحنابلة) لابن شطي.

وهي استحباب شد الرحل إلى زيارة الصِّدِّقين رضي الله عنهما.

وقال الإمام ابن أحمد(١) في الرعاية الكبرى: ويسن(٢) لمن فرغ من نسكه زيارة قبر النبي ﷺ وقبر صاحبيه رضي الله عنهما (١٥٦/أ) وذلك بعد فراغ حجه(٣) وإن شاء قبله.

وذكر نحو ذلك غيرهم ومنهم الإمام أبو الفرج بن الجوزي في كتابه مثير العزم(٤) وعقد له باباً في زيارة قبره عليه الصلاة والسلام واستدل بحديث ابن عمر وأنس ﵄.

وذكر بن قدامة في المغني فصلاً في ذلك فقال: يستحب زيارة قبر النبي ﷺ واستدل بحديث ابن عمر وأبي هريرة ﵁ ولا أطول بذكر(٥) من ذكره من أئمة الحنابلة تبعاً لإمامهم ﵁(٦).

وأتبرع بزيادة لفوائد جمة ومهمة. فمن ذلك ما في كتاب(٧) تهذيب الطالب لعبد الحق الصقلي(1) عن أبي عمران المالكي: أن زيارة قبر النبي ﷺ واجبة.

وقال عبد الحق(٨) في هذا الكتاب: رأيت في بعض المسائل التي سئل عنها

(١) في ط: أحمد بن حمدان.
(٢) في ط: ويستحب.
(٣) في ط: الحج.
(٤) في ط: الغرام.
(٥) في ط: بذكري.
(٦) في ط: عنهم.
(٧) في ط: كتابي.
(٨) في ب: وأما عبد الحق في هذا.

(1)هو الإمام: عبد الحق بن محمد بن هارون السهمي القرشي أبو محمد فقيه مالكي من أهل صقلية. حج في شبابه ثم حج مرة أخرى بعد أن أسن فلقي أبا المعالي الجويني وباحثه وسأله عن مسائل مشهورة نقلها الونشريسي في (المعيار المغرب)، وكان يعرف فضل إمام الحرمين ويقول: لولا كبر سنِّي ما فارقت عتبة بابه. كان مليح التأليف رحمه الله، صنَّف (النكت والفروق لمسائل المدونة) ورجع في نهاية عمره عن كثير مما كتبه فيه، و(تهذيب الطالب) وهو كتاب كبير، و(استدراكات على تهذيب البرادعي)، وجزء في (ضبط ألفاظ المدونة)، و(عقيدة) رويت عنه.

توفى رحمه الله سنة ٤٦٦هـ بالإسكندرية. له ترجمة في (الديباج المذهب) ٥٦/٢، (شجرة

أبو محمد ابن أبي زيد قيل له في رجل استؤجر بمال ليحج به وشرطوا عليه الزيارة فلم يستطيع تلك السنة أن يزور لعذر منعه من ذلك فقال: يرد من الأجرة بقدر مسافة الزيارة. وهي مسألة حسنة.

وفي كتاب النوادر لابن أبي زيد فائدة أخرى فإنه بعد أن حكى في زيارة القبور من كلام ابن حبيب ومن المجموعة عن مالك ومن كلام القرطبي باسكان الراء وبالطاء المهملتين ثم قال (١٥٦/ب) عَقِبَه: ويأتي قبور الشهداء بأُحد ويسلم عليهم كما يسلم على قبره ﷺ وعلى صاحبيه. وفي الكتاب المذكور: ويدل على التسليم على أهل القبور ما جاء في السنة في التسليم[١] على النبي ﷺ وأبي بكر وعمر رضي الله عنهما مقبورين.

وقال العبدي المالكي في شرح الرسالة: إن المشي إلى المدينة لزيارة قبر النبي ﷺ أفضل من المشي إلى الكعبة وبيت المقدس. وصدق وأجاد ﷺ لأنه أفضل البقاع بالإجماع.

فهذه نبذة يسيرة والنقول[٢] في ذلك كثيرة جداً. وفيها الإجماع على طلب الزيارة بعدت المسافة أو قصرت وعمل الناس على ذلك[٣] في جميع الأعصار من جميع الأقطار. فكيف يحل لأحد أن يبدعهم بالقول الزور ويضلل أئمة أمة المختار بل من المصائب العظيمة أن يوقع وفد الله تعالى في جريمة عظيمة وهي عصيانهم بشد رحالهم لزيارة قبره ﷺ عقب ما رجوه من

النور الزكية) ١١٦.

(١) في ط: والتسليم.

(٢) في ب: والمنقول.

(٣) في ط: في.

---

(1) بعد اتمامهم مناسك الحج.

المغفرة[1] وبتركهم الصلاة التي هي أحد أركان الدين لأنهم إذا لم يجز لهم القصر وقصروا فقد تركوا الصلاة عامدين، ومن تركها متعمداً قتل إما كفراً وإما حداً. ولا يصدر هذا إلا ممن هو شديد العداوة لوفد الله تعالى ولحبيبهم الذين يترجون[(١)] (١٥٧/أ) بزيارتهم استحقاق الشفاعة التي بها نجاتهم[1].

وسأذكر عقب هذا الأدلة الخاصة بالحث على زيارته وأتعرض لما قدح فيها وفي الأئمة رواتها ومنه يعلم[(٢)] أن هذا الخبيث لا دين له يعتقد عليه فتراه واضحاً جلياً لا تشك فيه ولا ترتاب فنسأل الله تعالى العافية مما يرتكبه هذا الزائغ الفاجر الكذاب. وأن يذيقه أشد العذاب. على ما أفسد في هذه الأمة وسيلقى أشد الحساب.

---

(١) في ج-ط: يرتجوا.

(٢) في ب-ط: تعلم.

---

(1) قال العلامة علي قاري في شرحه على كتاب (الشفاء) للقاضي عياض: « وقد فرط ابن تيمية من الحنابلة حيث حرم السفر لزيارة النبي ﷺ كما أفرط غيره حيث قال (كون الزيارة قربة معلوم من الدين بالضرورة وجاحده محكوم عليه بالكفر) ولعل الثاني أقرب إلى الصواب لأن تحريم ما أجمع العلماء فيه بالاستحباب يكون كفرا لأنه فوق تحريم المباح المتفق عليه في هذا الباب» أ.هـ.

[و – أحاديث الزيارة]

وقوله (إنما ذكروه من الأحاديث في زيارة قبر النبي ﷺ فكلها ضعيفة باتفاق أهل العلم بل هي موضوعة لم يروها أحد[١] من أهل السنن المعتمدة شيئاً منها).

أعوذ بالله من مكر الله عز وجل انظر أدام الله تعالى لك[٢] الهداية وحماك من الغواية إلى فجور هذا الخبيث كيف جعل الأحاديث المروية في زيارة قبر خير البرية كلها ضعيفة. ثم أردف ذلك بقوله (باتفاق أهل العلم بالحديث) ولم يجعل هذه الأئمة[٣] الذين أذكرهم من أهل الحديث. والعجب أنه يروي[٤] عنهم في مواضع عديدة من كتبه وهذا[٥] من جهله وبلادة ذهنه وعماوة قلبه من أنه لا يعلم تناقض كلامه ونقضه بذلك.

ثم أنه لم تخمد (١٥٧/ب) نار خبثه بما ذكره من الفجور حتى أردف ذلك بأن الأحاديث المروية في زيارة قبره المكرم[٦] موضوعة يعني أنها كذب. وهذا شيء لم نر أحداً[٧] من علماء المسلمين ولا من غيرهم[٨] فاه به ولا رمز إليه لا مَنْ في عصره ولا مَنْ قبله، قاتله الله تعالى.

ولقد أسفرت هذه القضية على[٩] زندقته بتجرئه على الإفك على العلماء وعلى أنه لا يعتقد حرمة الكذب والفجور ولا يبالي بما يقول. وإن كان فيه عظائم الأمور.

وإذا عرفت هذا فينبغي أيها المؤمن الخالي من البدعة والهوى أن لا تقلده فيما ينقله ولا فيما يقوله بل تفحص عن ذلك وتسأل غير أتباعه ممن له رتبة في العلوم وإلا هلكت كما هلك هو وأتباعه.

---

(١) في ط: لم يرو أحد.
(٢) في ط: أدام الله لك.
(٣) في ط: يجعل الأئمة.
(٤) في ط: روى.
(٥) في ج: مواضع عديدة وهذا.
(٦) في ط: القبر المكرم.
(٧) في ب–ط: لم ير أحدٌ.
(٨) في ط: ولا من عوامهم.
(٩) في ط: عن.

ولنذكر بعض الأحاديث الواردة في زيارة قبره عليه الصلاة والسلام وأذكر من رواها وأحذف الأسانيد لأنها لا تليق بهذه الأوراق وقد رُويت من طرق بلغت بها منزلة الصحيح أو قاربت أو منزلة الحسن وأذكر من [صحح](١) بعضها وأبين أنه من الأئمة الأعلام بالحديث وأنه يعتمد تصحيحه وبالله التوفيق.

فمن الأحاديث في زيارة قبره عليه الصلاة والسلام.

[١-] قوله ﷺ:« من زار (١٥٨/أ) قبري وجبت له شفاعتي»، رواه غير واحد من أئمة الحديث منهم الدراقطني والبيهقي وغيرهما والحديث مروي بهذا اللفظ في عدة نسخ معتمدة وهو من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

وخرجه(٢) أبو اليمن في كتابه إتحاف(٣) الزائر وإطراف المغنم للسائر في زيارة سيدنا رسول الله ﷺ.

وخرجه الحافظ بن عساكر في تاريخه في زيارة قبره عليه الصلاة والسلام بعد وفاته كان كمن رآه(٤) في حياته.

وخرجه العقيلي وغيره فلا نطول بذكره وهو مروي(٥) من طرق تبلغ الحسن(1).

---

(١) في أ: صححها وهو خطأ من الناسخ. (٢) في ب: وأخرجه.

(٣) في ط: إيجاف. قال المحقق وهو خطأ والصواب إتحاف.

(٤) في ب-ج-ط: زاره.

(٥) في ط: فلا نطول بذكر من رواه من أئمة الحديث المعتبرين، وهو مروي.

---

(1)حديث (من زار قبري وجبت له شفاعتي) قال عنه العلامة القاري في (شرح الشفا): «صححه جماعة من أهل الحديث » أ.هـ وقال الحافظ السيوطي في (مناهل الصفا بتخريج أحاديث الشفا): «إن له طرقا وشواهد حسنه لأجلها الذهبي » أ.هـ وقال العلامة الزرقاني في (مختصر مختصر المقاصد الحسنة): «حديث (من زار قبري وجبت له شفاعتي) حسن لغيره » أ.هـ وهذا منه حكاية لمعنى قول الحافظ السخاوي في هذا الحديث. وقال الحافظ ابن حجر العسقلاني في (تلخيص الحبير): « وطرق هذا الحديث كلها ضعيفه لكن صححه من حديث ابن عمر أبو على بن السكن في إيراده إياه أثناء السنن الصحاح له، وعبد الحق في الأحكام في سكوته عنه، والتقي السبكي من المتأخرين باعتبار مجموع الطرق » أ.هـ وعدم تعليق ابن حجر على كلام الأئمة الذين صححوا الحديث يعد إقراراً منه لهذا التصحيح. وقال الشهاب الخفاجي في (نسيم الرياض):=

قال أئمة الحديث: والحديث أو الأحاديث وإن لانت أسانيد مفرداتها فمجموعها يقوي بعضها بعضاً ويصير[١] الحديث حديثاً حسناً ويحتج به. وممن ذكر ذلك أبو زكريا النووي ذكره في شرح المهذب في كتاب الحج. وهي فائدة جليلة ينبغي معرفتها ليعلم بها جهل هذا الفاجر المبالغ في فجوره.

وقوله عليه الصلاة والسلام: «وجبت له شفاعتي» معناه: حقت ولابد منها بوعده الصادق وفي ذلك بشارة عظيمة لزيارة قبره الشريف وهي أن من زراه محتسباً (١٥٨/ب) مات على التوحيد. وهذه البشارة العظيمة من ثمرة[٢] زيارة قبره المكرم ﷺ وفي قوله عليه الصلاة والسلام: وجبت له شفاعتي. تحقيق

(١) في ط: ويعتبر.

(٢) في ب: من بركة.

= «حديث ابن عمر رواه ابن خزيمة والبزار والطبراني والذهبي وحسنه، وله طرق وشواهد تعضده والطعن في روايته مردود كما بينه السبكي. وقول البيهقي إنه منكر يجاب عنه بأن معناه انفرد به راويه، والتفرد قد يطلق عليه ذلك... » إلى آخر ما ذكره، وانظر تفصيل هذه الأقوال في (نصرة الإمام السبكي) وانظر كذلك تحقيق صحة هذا الحديث ومناقشة طرقه ورجالها للإمام السبكي في (شفاء السقام) بما يجعل كل ذي لبّ وإنصاف يسلّم بصحة الحديث ثم قال: « وبهذا – بل بأقل منه – يتبين افتراء من ادعى أن جميع الأحاديث الواردة في الزيارة موضوعة، فسبحان الله! أما استحى من الله ومن رسوله في هذه المقالة التي لم يسبقه إليها عالم ولا جاهل لا من أهل الحديث ولا من غيرهم ولا ذكر أحد موسى بن هلال ولا غيره من رواة حديثه هذا بالوضع ولا اتهمه به فيما علمنا، فكيف يستجيز مسلم أن يطلق على كل الأحاديث التي هو واحد منها أنها موضوعة ولم ينقل إليه ذلك عن عالم قبله ولا ظهر على هذا الحديث شيء من الأسباب المقيّضة للمحدثين لحكم بالوضع ولا حكم متنه بما يخالف الشريعة ، فمن أيّ وجه يحكم بالوضع عليه لو كان ضعيفاً؟ فكيف وهو حسن أو صحيح؟ » أ.هـ ص ١٢ وأورد بعد هذا الحديث أربعة عشر حديثاً تنص على الزيارة كشواهد ومتابعات تعضد الحديث السابق بخلاف باقي الأدلة التي ليس فيها لفظ الزيارة. ومن ذلك يتضح عذر من قال بتكفير ابن تيمية من علماء عصره – وإن كنا نتوقف عن ذلك – لتحريمه زيارة قبر رسول الله ﷺ بعد تحريمه التوسل والاستغاثة به لأن ذلك انتقاص من قدره ﷺ من رجل تخصصه الأول كما يدعي هو علم الحديث. وانظر(رفع المنارة) ص٢٨٠ حديث رقم ١٧ وقد ناقش فيه الشيخ محمود سعيد طرق الحديث ورجاله باستفاضة ورد شبه المبتدعة فجزاه الله خير الجزاء.

لما قلته لأجل إضافة الشفاعة إليه ولأنه عليه الصلاة والسلام[١] مشفع لا ترد شفاعته لا في حياته ولا بعد وفاته ولا في عرصات القيامة.

[٢ -] وقال عليه الصلاة والسلام: «من زار قبري حلت له شفاعتي» رواه الحافظ البزار في مسنده. وهو بهذا اللفظ في نسخة معتمدة وسمعها الحافظ أبو الحسين الصدفي على الإمام أبي عبد الله قورتش[٢] سنة ثمانين وأربعمائة. ومعني حلت: وجبت. وقد عزى عبد الحق هذا الحديث إلى البزار والدراقطني [1].

[٣ -] وقال عليه الصلاة والسلام: «من حج فزار قبري بعد وفاتي فكأنما زارني في حياتي» رواه الدراقطني في سننه وغيرها. وفي رواية[٣] « ... ومن مات بإحدى الحرمين بعث في الآمنين يوم القيامة » ورواه غير واحد وهو من حديث ابن عمر رضي الله عنهما وروي من طرق ورواه الحافظ بن عدي في كتابه الكامل بزيادة قال عليه الصلاة والسلام: «من حج فزار قبري بعد موتي كان كمن زارني في حياتي وصحبني » وذكر البيهقي في سننه أنه ذكره بن عدي وخرجه هو بدون هذه (١٥٩/أ) الزيادة. وخرجه الحافظ بن عساكر من حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال قال

(١) في ج: ﷺ.

(٢) في ب: مورتش وفي ط: مورتش وقال المحقق هو فرتس كما هو في الأصل.

(٣) في ج: وفي رواية أخرى.

---

(1) حديث (من زار قبري حلت له شفاعتي) هو بعينه الحديث السابق والذي فيه (وجبت) بدلا من (حلت) لكن سند هذا الحديث عند البزار فيه رجلان ضعيفان هما: عبد الله بن إبراهيم الغفاري، عبد الرحمن بن زيد بن أسلم. يقول الإمام السبكي في (شفاء السقام): «وإذا كان المقصود من هذا الحديث تقوية الأول - يقصد (من زار قبري وجبت له شفاعتي) - به وشهادته له لم يضر ما قيل في هذين الرجلين إذ ليس راجعاً إلى تهمة كذب ولا فسق ومثل هذا يحتمل في المتابعات والشواهد » أ.هـ ص ١٤ وهذا هو الحديث الثاني من الأحاديث التي استدل بها السبكي في كتابه وانظر (رفع المنارة) ص ٣٤٧ حديث رقم ٢٦.

عساكر من حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال قال رسول الله ﷺ[١] : «من حج فزار قبري بعد موتي كان كمن زارني في حياتي» زاد السهمي: وصحبني ورواه الحافظ بن الجوزي بهذه الزيادة[1].

[٤-] وقال عليه الصلاة والسلام: «من حج البيت ولم يزرني فقد جفاني» رواه بن عدي في كتابه الكامل وغيره وهو من حديث ابن عمر رضي الله عنهما وخرجه الدراقطني في أحاديث مالك التي ليست في الموطأ وهو كتاب ضخم. وقال ابن الجوزي: إن هذا الحديث موضوع وقد نسب ابن الجوزي في ذلك إلى السرف فاعرف ذلك[2].

[٥-] وقال عليه الصلاة والسلام: «من زار قبري أو زارني كنت له شفيعاً أو شهيداً» رواه أبو داو الطيالسي في مسنده وهو من حديث ابن عمر رضي الله عنهما ورواه إمام الأئمة ابن خزيمة ورواه البيهقي وابن عساكر من جهة الطيالسي وروي بزيادة قال أبو داود الطيالسي حدثنا سوار بن ميمون أبو الفرج العبدي قال حدثني رجل من آل عمر ﷺ قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من زار قبري (١٥٩/ب) أو قال زارني كنت له شفيعاً أو شهيداً ومن مات في إحدي[٢] الحرمين بعثه الله في الآمنين يوم القيامة» .

(١) في ط: قال عليه الصلاة والسلام.

(٢) في ط: أحد.

---

(1) هذا هو الحديث الرابع في قائمة الأحاديث التي استدل بها الإمام السبكي وقد بين طرقه وناقش أسانيدها والمقصود من ذكر هذا الحديث عنده تقوية الحديث الأول إذ ليس في رواة (من حج فزار قبري..) كذَّاب. وانظر (رفع المنارة) ص ٣٣٧ حديث رقم ٢٣.

(2) هذا هو الحديث الخامس عند الإمام السبكي في (شفاء السقام) وسبق الكلام عنه وهو يقوي الحديث الأول ويشهد له، كما أثبته الإمام السبكي بعد أن أوضح خطأ ابن الجوزي في ذكره هذا الحديث في الموضوعات. وانظر (رفع النارة) ص ٣٤٤ حديث رقم ٢٥.

[٦ -] وقال عليه الصلاة والسلام: «من زارني متعمداً كان في جواري يوم القيامة» رواه أبو جعفر العقيلي وغيره ومنهم الحافظ ابن عساكر وفي رواية الشحامي(١) قال حدثنا هرون بن قزعة عن رجل من آل الخطاب عن النبي ﷺ قال: «من زارني متعمداً كان في جواري يوم القيامة ومن سكن المدينة وصبر على بلائها كنت له شفيعاً أو شهيداً يوم القيامة. ومن مات في إحدى(٢) الحرمين بعث في الآمنين يوم القيامة » (1).

ومن هو في جواره فهو في الآمنين لا محالة ﷺ .

(١) في ط: السحاي وقال المحقق والصواب السحامي.
(٢) في ط: أحد.

---

(1) ذكر الإمام السبكي هذا الحديث في (شفاء السقام) تحت عنوان: (الحديث السادس) وذكر لفظه: «من زار قبري – أو زارني – كنت له شهيداً أو شفيعاً » وفي رواية بزيادة «ومن مات في أحد الحرمين بعثه الله عز وجل في الآمنين يوم القيامة » وذكر طرقه وناقشها باستفاضة وإنصاف كعادته ثم قال: «فلم يبق في الإسناد من ينظر فيه إلا الرجل الذي من آل عمر والأمر فيه قريب لا سيما في هذا الطبقة التي هي طبقة التابعين » أ.هـ ص ٢٦ وهو بهذا قد أثبت متابعة هذا الحديث وشهادته لما سبقه من أحاديث. ثم ذكر تحت عنوان (الحديث السابع) اللفظ الآخر== للحديث: « من زارني متعمداً كان في جواري يوم القيامة » وزيادة الشحامي: «ومن سكن المدينة وصبر على بلائها كنت له شهيداً وشفيعاً يوم القيامة، ومن مات في أحد الحرمين بعثه الله في الآمنين » وفي رواية: «من الآمنين يوم القيامة » وناقش حال الرجل المجهول من آل الخطاب وهل هو كما ذكرت هذه الروايات أم أنه (رجل من آل حاطب) كما ذكر ا لبخاري في (التاريخ) وكما قال ابن حبان: « هارون بن قزعة ثقة يروي عن رجل من آل حاطب المراسيل»؟ قال الإمام السبكي: «وعلى كلا التقديرين فهو مرسل جيد » أ.هـ ص ٢٧ أي أنه كسابقه يقوي أحاديث الزيارة ويشهد لها. وأورد هذا الحديث الحافظ ابن حجر في كتابه (المطالب العالية) ج١ ص ٣٧١ قال محققه الشيخ حبيب الرحمن الأعظمي في التعليق: «قال البوصيري: رواه الطيالسي بسند ضعيف لجهالة التابعي... وله شاهد عند أبي يعلي والطبراني بسند صحيح »أ.هـ.

انظر (رفع المنارة) ص ٣٣٥ حديث رقم ٢٢.

[٧-] وقال عليه الصلاة والسلام: «من حج حجة الإسلام وزار قبري وغزا غزوة وصلى في بيت المقدس لم يسأله الله فيما افترض عليه» رواه[١] الحافظ أبو الفتح الأزدي في فوائده[1].

وهذا أبو الفتح اسمه محمد بن الحسين وكان حافظاً ومن أهل[٢] العلم والفضل وصنف كتاباً في علم الحديث ذكره الخطيب البغدادي في تاريخه وابن السمعاني في الأنساب وأثنى عليه محمد بن جعفر بن غيلان[٣] وذكره(١٦٠ /أ) في الحفاظ وحسن المعرفة بالحديث.

[٨-] وقال عليه الصلاة والسلام: «من زارني محتسباً كنت له شفيعاً وشهيداً»[٤] وفي رواية: «من زارني محتسباً إلى المدينة كان في جواري يوم القيامة». ومن رواية[٥] أنس ﷺ ورواه غير واحد وممن ذكره ابن الجوزي في كتابه

---

(١) في ط: ورواه.

(٢) في ط: من أهل.

(٣) في ب: عيبلان وفي ج: عنلان.

(٤) في ط: أو شهيداً.

(٥) في ب-ج: ومر من رواية وفي ط: وهو من رواية.

---

(1) في إسناد هذا الحديث (أبو سهل بدر بن عبد الله المصيصي) قال عنه السبكي: «ما علمت من حاله شيئاً» أ.هـ (شفاء السقام) ص ٢٩ الحديث التاسع.

لكن ذكر الحافظ الذهبي عن بدر بن عبد الله المصيصي أنه أتى بخبر باطل. علق الحافظ ابن حجر العسقلاني في (لسان الميزان) على ذلك بقوله: «والخبر المذكور أخرجه أبو الفتح الأزدي في الثامن من فوائده قال: حدثنا النعمان بن هارون ثنا أبو سهل بدر بن عبد الله المصيصي ثنا الحسن بن عثمان الزيادي ثنا عمار بن محمد ثنا خالي سفيان عن منصور عن إبراهيم عن علقمة عن ابن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ (من حج حجة الإسلام...) فذكر الخبر.

ويكون الخبر المذكور بهذا غير صالح للاحتجاج أو لتقوية غيره، وحجية الزيارة النبوية وثبوتها لا تحتاج مثل هذا الحديث.

انظر (رفع المنارة) ص ٣٤٠ حديث رقم ٢٤.

(مثير العزم[١] الساكن) وهو من طريق ابن أبي الدنيا وروي من طرق[1].

[٩ -] وقال عليه الصلاة والسلام: «من زارني ميتاً فكأنما زارني حياً، ومن زارني وجبت له شفاعتي يوم القيامة، وما من أحد من أمتي له سعة ثم لم يزرني فليس له عذر» رواه الحافظ أبو عبد الله محمد بن محمود البخاري[٢] في كتابه الدرة اليتيمة في فضائل المدينة[2].

[١٠ -] وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه عليه الصلاة والسلام قال: «من زارني في مماتي كان كمن زارني في حياتي ومن زار قبري حتى ينتهي إلى قبري[٣] كنت له يوم القيامة شهيداً» خرجه العقيلي ورواه ابن عساكر

(١) في ط: الغرام.

(٢) في ط: البخار.

(٣) في ب: ينتهي قبري.

---

(1) هذا هو الحديث الحادي عشر في (شفاء السقام) ذكر له السبكي ثلاثة طرق تشترك جميعاً في وجود راو ضعيف هو (أبو المثني سليمان بن يزيد الكعبي الخزاعي) من السادسة أخرج له الترمذي وابن ماجه. انظر(تقريب التهذيب) ج٢ ص ٤٦٩ يقول الإمام السبكي: «وسليمان بن يزيد ذكره ابن حبان في الثقات وقال أبو حاتم الرازي إنه منكر الحديث ليس بقوي » أ.هـ (شفاء السقام) ص ٣١ يقول العلامة إبراهيم السمنودي المنصوري في رده على ابن عبد الهادي: «وقوله: لا يجوز الاحتجاج به ولا الرواية عنه إلا للاعتبار. (أقول فيه): إن ما نحن فيه من هذا القبيل لأن التقي السبكي ذكره للمتابعة والاستشهاد لما سبق من الأحاديث. والاعتبار عند المحدثين: هيئة التوصل إلى المتابع والشاهد وحينئذ فلا يتجه رد الخصم على السبكي في هذا الحديث.. » إلى آخر ما ذكره (نصرة الإمام السبكي) ص ١٦٦ وبهذا يثبت تقوية هذا الحديث لما سبقه من أحاديث باعتراف ابن عبد الهادي تلميذ ابن تيمية وذكره السيوطي في (الجامع الصغير) عن البيهقي في شعب الإيمان عن أنس وقال: حديث حسن. انظر (رفع المنارة) ص ٣٢٤ حديث رقم ١٩.

(2) وهو الحديث الثاني عشر في (شفاء السقام) يقول العلامة إبراهيم السمنودي المنصوري: «رأيت في شرح الإحياء للسيد مرتضى أن هذا الحديث أخرجه ابن عساكر أيضاً في فضائل المدينة وأن الحافظ العراقي قال فيه إنه رواه البخاري في تاريخ المدينة أ.هـ وقد قال السيوطي في بعض نسخ الجامع الكبير له: إن تاريخ البخاري كله صحيح أ.هـ » أ.هـ من (نصرة الإمام السبكي) ص ١٦٧، ١٦٨.

من جهته إلا أنه قال: « من زارني في المنام كـان كمـن زارنـي في حيـاتي » وهي فائدة جليلة(1).

[١١ -] وعن علي كرم الله تعالى وجهه أنه عليه الصلاة والسلام قال: «من زار قبري بعد (١٦٠ /ب) موتى فكأنما زارني في حياتي ومن لم يزرنـي فقد جفاني»(2) رواه الحسين بن يحيى بن جعفر في كتاب (أخبار المدينة).

ورواه الحافظ أبو عبد الله بن النجـار في كتابـه الـدرة الثمينـة(١) (مـن لم يزرني فقد جفاني).

ورواه الحافظ أبو سعيد عبد الملك بن محمد النيسابوري في كتاب شرف المصطفي ﷺ وهذا الكتاب ثمان مجلدات(٢) وهذا أبو سعيد(٣) له مصنفـات في علوم الشريعة توفى سنة ست وأربعمائة بنيسابور وقبره بها مشـهور ويتـبرك به. وكان ينتفع بكلامه وبوعظه وتنجلي(٤) بكلامه القلوب قـدس الله روحـه ونور ضريحه.

---

(١) في ب–ج–ط: اليتيمة.

(٢) في ط: في ثمان مجلدات.

(٣) في ط: وأبو سعيد هذا.

(٤) في ب: وتتحرك.

---

(1) وهو الحديث الثالث عشر في (شفاء السقام) يقول العلامة إبراهيم السمنودي المنصوري: «وبالجملة فهذا الحديث لم يصرح أحد من الحفـاظ بوضعه و لم يذكـر العقيلي بـه سـوى التفـرد والنكارة عن ابن جريج وذلك غير مثبت لما ادعاه الخصم ولا يدل على ضعفه أيضـاً إذ ليـس كـل منكر ضعيفاً ولا كل ما تفرد به أحد رواته واهيا » أ.هـ (نصرة الإمام السبكي) ص ١٦٨.

انظر (رفع المنارة) ص ٣١٩ حديث رقم ١٨.

(2) وهو الحديث الرابع عشر في (شفاء السقام) يقول العلامة إبراهيم السمنودي المنصوزي في (نصرة الإمام السبكي): «سنده ضعيف فقط كما في (الجوهر المنظم) وغيره فلا يضر في المتابعة والاستشهاد لتقوية الأول على فرص أنه غير مرتق بنفسه » أ.هـ ص ١٦٩.

[١٢-] وقال عليه [الصلاة][١] والسلام: «من جاءني زائراً لا يعمله حاجة إلا زيارتي كان حقاً عليّ أن أكون له شفيعاً يوم القيامة» وفي رواية: «من جاءني زائراً لم ينزعه[٢] حاجة إلا زيارتي... » رواه غير واحد من الأئمة الحفاظ المشهورين من حديث ابن عمر رضي الله عنهما ومنهم الطبراني في معجمه الكبير ومنهم الدراقطني في أماليه ومنهم أبو بكر ابن المقري في معجمه[1].

ومنهم العلامة الحافظ أبو علي سعيد بن عثمان بن السكن ذكره في كتابه المسمى بالصحاح المأثورة[٣] عن (١٦١/أ) رسول الله ﷺ.

(١) في أ: عليه السلام

(٢) في ط: تنزعه.

(٣) في ط: المؤثرة.

---

(1) وهو الحديث الثالث في (شفاء السقام) يقول السيد السمهودي في (وفاء الوفا): «قلت: ولهذا نقل عنه جماعة – يقصد ابن السكن- منهم الحافظ زين الدين العراقي أنه صححه، فإما أن يكون ثبت عنده من غير طريق مسلمة أو أنه ارتقى إلى ذلك بكثرة الطرق » أ.هـ ص١٣٤٠ ج٢.

ويقول الإمام السبكي في (شفاء السقام) بعد أن ذكر طرق الحديث وكلام ابن السكن: «وتبويب ابن السكن يدل على أنه فهم منه أن المراد بعد الموت أو أن ما بعد الموت داخل في العموم وهو صحيح » أ.هـ ص ١٧ يقول العلامة الشيخ إبراهيم السمنودي المنصوري في (نصرة الإمام السبكي): «الحديث دال على الزيارة بعد الموت أيضاً لدخولها في عموم المجيء المستفاد منه لوقوع (جاءني) فيه في خبر الشرط الدال على العموم، ولا شك أن الزيارة بعد الموت هي زيارة القبر... » إلى أن قال: «لا شك أن الظاهر من الحديث ترغيب الناس في المجئ إليه ﷺ بعد موته لزيارة قبره الشريف فإن جميع المسلمين من أول البعثة إلى يوم وفاته عليه الصلاة والسلام كانوا حريصين على رؤيته في حياته وقد أتاه من قدر على الإتيان رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق ودخلوا في دين الله أفواجاً فلا حاجة له إلى الترغيب، وهذا المعنى قرينة على أن المراد بـ (من جاءني زائراً): من جاء قبري مجازاً في النسبة، ومجيء الأباعد لا يكون إلا بشد الرحل إليه فالترغيب في المجئ ترغيب فيما يتوقف عليه كما هو واضح فتدبر » أ.هـ ثم إنه رحمه الله ذكر تضعيف ابن عبد الهادي للحديث وزعمه أنه لا يصلح للاحتجاج به فقال رداً عليه: «هذه دعوى من غير حجة ومبالغة مردودة فقد قال الحافظ العراقي في تخريج أحاديث إحياء العلوم للغزالي (هذا الحديث رواه الطبراني عن ابن عمر وصححه ابن السكن وهو من كبار الحفاظ النقاد) أ.هـ.. » إلى أن قال: «وقال السيد مرتضى في شرح الإحياء (رواه الدارقطني والخلعي في فوائده بلفظ(لم تنزعه حاجة إلا زيارتي) وتصحيح ابن السكن إياه وإيراده له في أثناء الصحاح له، وكذا صححه عبد الحق في سكوته عنه أي عن القدح في سنده، والتقي السبكي في شفائه باعتبار بمجموع الطرق) أ.هـ ورواه أيضاً الحافظ أبو نعيم وأبو داود الطيالسي في مسنده وابن خزيمة في صحيحه، واحتج به جمع من أكابر العلماء كالإمام الغزالي والعلامة الخطيب الشربيني وغيرهما » أ.هـ ص٦٨،٦٩. =

يا هذا انتبه لما ذكره[١]: قال في خطبة كتابه هذا:

« أما بعد فإنك سألتني أن أجمع لك ما صح عندي من السنن المأثورة التي نقلها الأئمة من أهل البلدان الذين لا يطعن فيهم طاعن مما نقلوه. فتدبرت ما سألتني عنه فوجدت جماعة من الأئمة قد تكلفوا ما سألتني من ذلك وقد وعيت جميع ما ذكروه وحفظت عنهم أكثر ما نقلوه واقتديت بهم وأجبتك إلى ما سألتني من ذلك وجعلته أبواباً في جميع ما يحتاج إليه في أحكام المسلمين فأول من نصب نفسه لطلب الصحيح البخاري وتابعه[٢]

(١) في ج-ط: أذكره.

(٢) في ب: وما معه.

= يقول الحافظ أحمد بن الصديق الغماري في كتابه (قطع العروق الوردية) مخطوط- لوحات أرقام ٢٠، ٢١، ٢٢ عن أحاديث الزيارة: « **فصل** وأما ما ذكروه في حديث الزيارة فجوابهم: إن الحديث ورد من طريق ثمانية من الصحابة أو سبعة، وتابعي على الخلاف في بكر بن عبد الله هل هو الأنصاري الصحابي أو المزني التابعي، وهم: عبد الله بن عمر بن الخطاب، ولحديثه ستة طرق صحح واحداً منها على انفراده ابن السَّكن، وعبد الحق، وحسنه غيرهما. وأنس بن مالك ولحديثه طريقان. وابن عباس ولحديثه طريقان أيضاً. وعلي بن أبي طالب ولحديثه رايقان أيضاً. وأبو هريرة. وعبد الله بن مسعود. وحاطب. وبكر بن عبد الله.

وهو أيضاً مخرج في كتب السنة المشهورة التي هي معصم الإسلام والتي يعتمد وجود الحديث فيها هؤلاء المبتدعة. فقد خرج الحديث في صحيح ابن خزيمة، ومسند الطيالسي، وسنن الدراقطني، والبيهقي، ومسند البزار، ومعجم الطبراني، وحلية أبي نعيم وغيرها، وله مع هذا شواهد كثيرة جداً.

وقد قال الذهبي: طرق حديث الزيارة كلها لينة لكن يتقوى بعضها ببعض، لأن ما في رواتها متهم بالكذب، قال ومن أجودها إسناد حديث حاطب « من زارني بعد موتي فكأنما زارني في حياتي » خرجه ابن عساكر، وقد نقل هذا عن الذهبي الحافظ السخاوي في المقاصد الحسنة [٤١٣. رقم: ١١٤٥.].

وحسبك بهذه الشهادة من الذهبي وتصريحه بأنه ليس في رواتها متهم بالكذب وتعبيره عنها بأنها لينة واللين ما فيه ضعف قريب محتمل يزول بالمتابعات والشواهد، ويرتقي إلى درجة الحسن والصحيح.

والحديث المذكور ورد من حديث ستة عشر طريقاً عن ثمانية من الصحابة، ومن البعيد أن تتفق هذه الطرق كلها مع تباين مخارجها على الكذب.

وقد قدمنا عن شيخ هذه الفرقة الضالة ابن تيمية أن كثرة الطرق والشهادات توجب العلم، وإن لم يكن كل المخبرين ثقات، بل توجبه ولو من الفساق، ولا شك أن شهادة ستة عشر رجلاً من الكثرة التي يوجب ابن تيمية بها العلم ولو من الفساق، وليس هذا من رأي ابن تيمية وحده، بل هو المقرر عند أهل الحديث والأصول كافة، وإنما نؤثر النقل عنه لكونه إمام هذه الفرقة الخبيثة، فإذا كانت الكثرة ولو من الفساق توجب العلم فكيف بها من غيرهم.

فقد شهد الذهبي وهو من أهل الاستقراء التام في معرفة الرجال مع تشدده وتعنته لا سيما فيما هو من هذا الباب بأنه ليس فيهم متهم بالكذب. فلم يبق بعد هذا إلا العناد ... » أ.هـ. المقصود منه.

مسلم وأبو داود والنسائي وقد تصفحت ما ذكروه وتدبرت ما نقلوه فوجدتهم مجتهدين فيما طلبوه(١).

فما ذكرته في كتابي هذا مجملاً فهو مما أجمعوا على صحته وما ذكرته بعد ذلك مما اختاره أحد الأئمة الذين سميتهم فقد ثبتت حجته في قبول ما ذكره ونسبته إلى اختياره دون غيره وما ذكرته فيما ينفرد به أحد أهل النقل للحديث فقد بينت علته ودللت على انفراده دون غيره وبالله التوفيق انتهى.

فانظر أرشدك الله تعالى هذا الإتقان(٢) من هذا الإمام والحرص على تحقيق (١٦١/ب) ما وضعه في كتابه لم يقنع بوضع البخاري ومسلم وغيرهم مع جلالتهم بل تتبع ما وضعوه حتى وضع في كتابه. وهذا شأن الأئمة الخائفين من الله عز وجل من أن يقع منهم ذلك(٣) في الإخبار عن رسول الله ﷺ.

ثم إنه رضي الله عنه ذكر في هذا الكتاب في كتاب الحج في باب ثواب من زار قبر النبي ﷺ عن ابن عمر رضي الله عنهما قال رسول الله ﷺ: «من جاءني زائراً لم ينزعه إلا زيارتي كان حقاً على الله أن أكون له شفيعاً يوم القيامة» ولم يذكر في هذا الباب غير هذا الحديث وهذا حكم منه بأن هذا الحديث مجمع على صحته بمقتضى الشرط الذي شرطه في الخطبة وهو رضي الله عنه إمام جليل حافظ متقن كثير الحديث واسع الرحلة سمع بالعراق وخراسان وما وراء النهر وسمع بالشام ومصر وسمع من خلائق من أئمة الحديث والأجلاء وأهل الدين(٤) وهو من القدماء، أصله بغدادي وسكن مصر ومات بها في نصف المحرم سنة ثلاث وخمسين وثلاثمائة رحمة الله تعالى عليه وعلى أمثاله.

وإذا كان هذا حديث صحيح(٥) فكيف يحل (١٦٢/أ) لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر أن يجعله ضعيفاً فضلا عن أن يجعله كذباً؟! وأقل درجات الثقة

---

(١) في ط: طلبته.

(٢) في ط: الأنفاق.

(٣) في ط: ذلل.

(٤) في ج: أئمة الحديث الأجلاء وأهل الدين. وفي ط: والأجلاء أهل الدين.

(٥) كذا في جميع النسخ والصواب حديثاً صحيحاً لأنه خبر كان.

الخائف أن يقول صححه فلان وأما القول بوضعه وبتكفير هذا[١] الإمام وأمثاله فلا يصدر إلا من زنديق محقق الزندقة بهذه القرينة وغيرها عائذا بالله عز وجل من ذلك.

وإذا تقرر لك ذلك فانظر أرشدك الله تعالى وعافاك هذا الخبيث الطوية كيف طعن في هذه الأئمة الأعلام في علوم الحديث الذين بهم يقتدى وعليهم يعول وعند ذكرهم تتنزل الرحمة ورماهم بالوضع على رسول الله ﷺ وطعن في هذه الأخبار المروية عن هذه الأئمة.

وهذا شأنه قاتله الله تعالى كلما جاء إلى شيء لا غرض له فيه طعن فيه، وإن كان مشهوراً ومعمولاً به بين الأئمة ولا عليه لا من الله عز وجل ولا من رسوله ﷺ ولا من الناس.

وتنبه لشيء عظيم رمى به هذه الأئمة وهو أن من قاعدته أن من كذب على النبي ﷺ متعمداً كفر[٢] . فعليه من الله عز وجل ما يستحقه، وهذا وغيره يدل على أن عنده ضغينة للنبي ﷺ ولصاحبيه وكذا لأمته ليفوت عليهم هذا الخير الذي رتبه على زيارة قبره عليه أفضل الصلاة والسلام (١٦٢/ب) فاحذروه واحذروا تزويق مقالته المطوى تحتها أخبث الخبث[٣] فإنها لا تجوز إلا على عامي أو بليد الذهن[٤]، كالحمار يحمل أسفاراً أو خالٍ من العلوم وأخبار الناس وبالله تعالى التوفيق والله أعلم.

قال عليه الصلاة والسلام: «إن ين الساعة[٥] [كذايين][٦] فاحذروهم[1]» رواه مسلم في صحيحه من حديث جابر بن سمرة ﷺ.

---

(١) في ب: وأما القول بتكفير هذا. وفي ج: وأما القول بوضعه وبتكفيره هذا وفي ط: وأما القول بوضعه وبتكذيبه هذا.

(٢) في ج: فقد كفر.

(٣) في ط: أخبث الخبائث.

(٤) في ب: أو بليد فقط.

(٥) في ط: يدي الساعة.

(٦) غير موجودة في أ-ج وفي ط: دجاجلة.

---

(1) صحيح مسلم – كتاب الفتن – باب: لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل فيتمنى أن يكون مكان الميت من البلاء.

[ز- زعمه أن الزيارة تفضي إلى اتخاذ القبور مساجد]

وقوله: (وفي الصحيحين عن النبي ﷺ أنه قال في مرض موته: « لعن الله اليهود والنصاري اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد، يحذر ما فعلوا » قالت عائشة ولولا ذلك أبرزوا قبره ولكن كره أن يتخذ مسجداً فهم دفنوه في حجرة عائشة خلاف ما اعتادوه من الدفن في الصحراء[١] لئلاً يصلي أحد عند قبره ويتخذ مسجداً فيتخذ[٢] قبره وثناً ...) إلى آخره.

تأمل بصرك الله تعالى وفهمك[٣] كيف بعد تضليل هذه الأئمة وفجوره أن هذه الأحاديث[٤] المتعلقة بالزيارة كذب كيف أردف ذلك بهذا الحديث محتجاً به على منع زيارة القبر الشريف وفيه من أقوى الأدلة على تدليسه وسوء فهمه إذ الحديث ليس فيه تعرض للزيارة ألبته وإنما فيه منع [اتخاذ][٥] القبور مساجد ونحن لم نتخذ قبره المكرم المعظم مسجداً ولا نصلي فيه (١٦٣/أ) ولا إليه بل يزوره ويدعوا[٦] مع الأدب[٧] والخشوع والسكينة ورؤية التعظيم[٨] لعلمنا بأنه يسمعنا ويجيبنا وعلى ذلك جرت عادة المؤمنين.

قال بعضهم رأيت أنس بن مالك ﷺ خادم رسول الله ﷺ أتى قبر النبي ﷺ فوقف فرفع[٩] يديه حتى ظننت أنه قد افتتح الصلاة فسلم على النبي ﷺ ثم انصرف.

وقوله: (فهم دفنوه في حجرة عائشة رضي الله عنها خلاف ما اعتادوه من الدفن في الصحراء[١٠] لئلا يصلي أحد عند قبره ويتخذ مسجداً فيتخذ قبره وثناً).

---

(١) في ط: الصحاري.
(٢) في ط: ويتخذ.
(٣) في ج: تأمل فهمك الله تعالى وبصرك.
(٤) في ط: وفجوره بادعاء أن هذه الأحاديث.
(٥) سقط من النسخ المخطوطو والمثبت من (ط).
(٦) في ط: بل تروره وندعوا.
(٧) في ج: بالأدب.
(٨) في ط: ورؤيه العظمة.
(٩) في ج: ورفع.
(١٠) في ط: الصحاري.

هذا أيضاً من التدليس منه وسوء الفهم على عادته وما قاله باطل يموه به على الضعفاء من الطلبة وغوغاء الناس وإنما دفنوه في حجرة عائشة رضي الله عنها لما روي لهم أن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام يدفنون حيث يقبضون، وكان ذلك بعد اختلافهم أين يدفن. فقال بعضهم: يدفن في مسجده وقال: بعضهم: مع إخوانه. فقال أبو بكر رضي الله عنه: عندي من ذلك علم فذكر لهم أن النبي ﷺ يدفن (١٦٣/ب) موضع يقبض[1]. فلما روى لهم الحديث دفنوه موضع قبضه.

وهذا من القضايا المشهورة غاية[١] الشهرة ولا نعلم أن أحداً قال أنهم دفنوه موضع قبضه للمعنى الذي ذكره[2] وهذا شأنه إن وجد شيئاً يوافق هواه وخبث طويته ذكره ووسع الكلام فيه وزخرفه وإن وجد شيئاً عليه أهمله أو حمله على محمل يعرف به أهل النقل جهله وتدليسه عند تأمله بل في[٢] بعض المواضع يعرف من غير تأمل.

(١) في ط: في غاية.

(٢) في ط: عند تأمله في.

---

(1) روى الترمذي عن عائشة قالت: لّما قبض رسول الله ﷺ اختلفوا في دفنه فقال أبو بكر: (سمعت من رسول الله ﷺ شيئاً ما نسيته، قال «ما قبض الله نبيا إلا في الموضع الذي يحب أن يدفن فيه » إدفنوه في موضع فراشه)

ورواه ابن ماجه عن ابن عباس بلفظ « ما قبض نبي إلا دفن حيث يقبض » .

ورواه أيضاً أحمد بن حنبل في مسنده وأحمد بن منيع وأبو يعلى وإسحق وابن سعد بأسانيد متعددة يقوى بعضها بعضا فالحديث مشهور جداً كما قال المؤلف ﷺ .

(2) ليس هناك ما يمنع من دفن الصالحين في المساجد مع وجود حاجز يحول بين الزائر وبين القبر كما هو مشاهد، وفي حديث البزار بسند صحيح (في مسجد الخيف قُبِرَ سبعون نبيا)، ودفن رسول الله ﷺ في مسجده، ودفن إسماعيل عليه السلام في الكعبة، ودفن ٧٧ نبيا في الكعبة بين زمزم والحطيم والركن، رواه البيهقي في شعب الإيمان، وذكر أن المحدث السيد عبد الله الغماري ذكر هذا الحديث (لعن الله اليهود والنصارى... الخ) في الأحاديث الشاذة، انظر (الفوائد المقصودة) و(إعلام الراكع الساجد) للسيد عبد الله الغماري، وانظر لزاما كتاب (إحياء المقبور) للحافظ السيد أحمد الغماري.

وقوله: (وكانت الصحابة والتابعون لما كانت الحجرة النبوية منفصلة عن المسجد لا يدخل لا لصلاة[(١)] هناك ولا يتمسح[(٢)] بالقبر ولا دعاء هناك).

هذا أيضاً من التحشير[(٣)] التي يزخرف بها على العوام وأشباههم من سيء الأفهام من الطلبة فإن هذا لا يدل على مراده من منع الزيارة[(1)] ، بل

(١) في ط: للصلاة.

(٢) في ط: ولا يتمتع.

(٣) في ط: الجسارة.

---

(1) جاء في المطالب العالية ج٢ ص٤٤٢، ٤٤٣)، (٢٦٩٥) عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة جاء في كما في الزوائد قال: رأيت أسامة يصلى عند قبر رسول الله ﷺ ، فخرج مروان بن الحكم فقال: تصلى عند قبره؟ قال: إني أحبه ، فقال له قولا قبيحاً، ثم أوتر فأنصرف أسامة، فقال لمروان: إنك آذيتني فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: « إن الله يبغض الفاحش المتفحش » فإنك فاحش متفحش (سكت عليه البوصيري (١٤٤/٢) وقال الهيثمي: رواه الطبراني ورجاله ثقات (٦٤/٨) ولفظ المرفوع فيه: إن الله تعالى يبغض الفاحش البذئ. قلت: رواه ابن حبان في صحيحه وأحمد في مسنده.

يقول حسين سلم، عبده على كوشك: في موارد الظمآن ١٩٧٤ – إسناده صحيح فقد صرح محمد بن إسحاق بالتحديث وهو في الإحسان ٤٨١/٧ برقم (٥٦٦٥).

قلت: وإسناد الطبراني أيضاً صحيح أما إسناده عند الإمام أحمد فضعيف وفي رواية أحمد أنه كان واقفاً عند القبر يدعو فالحاصل أن الصلاة والدعاء عند القبر تبركاً بصاحبه توسلاً إلى الله به ليس فيها مخالفة، بل هي سنة صحابية، الباعث فيها محبتنا لصاحب القبر مع اعتقاد فضله ومنزلته عند الله.

وروى أبو عبد الله الحاكم في المستدرك ٣٧٧/١ط الهندية أو ٥٣٣/١ ط. العلمية حديث رقم ١٣٩٦/١٣٢ من طريق سليمان بن داود عن جعفر بن محمد عن أبيه عن علي بن الحسين عن أبيه: « أن فاطمة بنت النبي ﷺ كانت تزور قبر عمها حمزه كل جمعة فتصلي وتبكى عنده » .

ثم قال الحاكم عقبه: « هذا الحديث رواته عن آخرهم ثقات... » .

ولا التفات إلى ما ذكره الذهبي تعليقا على الحديث بأنه منكر أو بان أحد الرواة (سليمان بن داود) متكلم فيه، نقلا عن الأزدي لسببين:

الأول: أن الجرح الذي ساقه غير مفسّر لذا فهو مردود خاصة وأن ابن حبان والحاكم قد نصًا على توثيقه وروى عنه جمع من الرواة.

الثاني: أن الأزدي نفسه ضعيف فكيف يقبل قوله في تضعيف الثقات ونص على ذلك الذهبي في حالات مشابهة عدة مرات في نفس الكتاب (المستدرك) !

فكلام الذهبي مردود عليه والحديث صحيح سندًا ومتناً كما ذكر الحاكم وهو نص يضاف إلى سابقيه يثبت كذب ابن تيمية في نقوله التي يبني عليها مذهبه.

كلامه يدل على الزيارة بلا هذه الأفعال إلا الدعاء. وليس كما قال. وسيأتي إن شاء الله تعالى.

ومع أن ذلك(١) ليس مجمعاً عليه كما زعمه وأوهمه كلامه فإن أبا أيوب الأنصاري ﷺ[1] زار والتزم القبر فأنكر عليه مروان بن الحكم فوبخه أبو أيوب وقال في كلامه ما معناه: ابكوا على كون الأمر وليه(٢) غير أهله ذكر ذلك أبو الحسين في كتابه أخبار المدينة[2].

(١) في ط: ومع ذلك.
(٢) في ط: ابكوا على هذا الأمر إذا وليه. وفي ب: أيكون على كون الأمر إذا وليه.

---

(1) هو خالد بن زيد بن كليب الأنصاري أبو أيوب من كبار الصحابة شهد بدراً ونزل النبي ﷺ حين قدم المدينة عليه مات سنة خمسين وهو يغزو الروم وقبره في أصل سور القسطنطينية.

(2) ونقلها عنه أيضاً الإمام تقي الدين السبكي في كتابه (شفاء السقام) فقال: «إن عدم التمسح بالقبر ليس مما قام الإجماع عليه، فقد روى أبو الحسين يحيى بن الحسين بن جعفر بن عبيد الله الحسيني في (أخبار المدنية) قال: حدثني عمر بن خالد حدثنا أبو نباتة عن كثير بن زيد عن المطلب بن عبد الله بن حنطب قال: أقبل مروان بن الحكم فإذا رجل ملتزم القبر، فأخذ مروان برقبته ثم قال: هل تدري ما تصنع؟ فأقبل عليه فقال: نعم إني لم آت الحجر ولم آت اللَّبن إنما جئت رسول الله ﷺ ، لا تبكوا على الدين إذا وليه أهله ولكن ابكوا عليه وليه غير أهله.

قال المطلب: وذلك الرجل: أبو أيوب الأنصاري ﷺ .

قلت: وأبو نباته يونس بن يحي ومن فوقه ثقات و(عمر بن خالد) لم أعرفه، فإن صح هذا الإسناد لم يكره مسُّ جدار القبر، وإنما أردنا بذكره القدح في القطع بكراهة ذلك » أ.هـ ص ١٤٥ ط دار الجيل.

قلت: عمر بن خالد هو المخزومي روى عنه أبو الحسين محمد بن صالح حديث (رد الشمس لعلي) في طريقه إلى أسماء بنت عميس، انظر مشيخة الفقيه ص ٢٩ بالإضافة إلى أبي الحسين يحيى بن جعفر في الإسناد السابق، وهذا الإسناد مرسل جيد لأن المطلب لم يلق أبا أيوب في الغالب ورواه أيضاً الطبراني في الكبير والأوسط عن المطلب عن أبي أيوب مرفوعاً «لا تبكوا على الدين إذا وليتموه أهله ولكن أبكوا عليه إذا وليتموه غير أهله » ولم يذكر القصة معه.

ولكن جاء الحديث والقصة معا في مسند الإمام أحمد (٤٢٢/٥) وفي (المستدرك) لأبي عبد الله الحاكم (كتاب الفتن والملاحم) ج ٤ ص ٥١٥ وقال : صحيح الإسناد ولم يخرجاه وقال الذهبي في (التلخيص): صحيح.

=

= والإسناد المذكور عندهما هو من طريق عبد الملك بن عمرو العقدي ثنا كثير بن زيد عن داود بن أبي صالح قال: «أقبل مروان يوماً ... » الحديث قلت: كثير بن زيد صدوق حسَّن ابن حجر حديثه في (تلخيص الحبير) - انظر حديث رقم ٧٩٤ أنه ﷺ وضع صخرة على قبر عثمان بن مظعون ... الحديث ج٢ ص ١٣٣ط. دار المعرفة - وداود بن أبي صالح حجازي ذكره ابن أبي حاتم و لم يذكر فيه جرحاً قال عنه الهيثمي في (مجمع الزوائد) ج٤ ص ٢: «قال الذهبي: لم يَرو عنه غير الوليد بن كثير. وروى عنه كثير بن زيد كما في المسند و لم يضعفه أحد» أ.هـ فبذلك= يكون الرواة عنه اثنان وليس واحداً فقط ولذلك قال عنه الحافظ ابن حجر في التقريب: «١٧٩٢ - داود بن أبي صالح حجازي مقبول من الثالثة».

وقول الحافظ (مقبول) فهو عند المتابعة كما صرح به في مقدمة كتابه (التقريب) والمتابعة موجودة بحمد الله في الإسناد الأول الذي أشار إليه الإمام السبكي في (شفاء السقام) حيث لم يوجد فيه أحد من الكذابين أو المتروكين ورواية مستور الحال - بدون المتابعة - مقبولة محتج بها لدى طائفة معتبرة من العلماء وكبار حفاظ الحديث منهم سليم الرازي وابن الصلاح والمنذري والنووي والذهبي - بشرط أن يكون تابعياً - والسخاوي وذهب إلى ذلك قبلهم الإمام أبو حنيفة حيث قبل رواية المستور بدون شرط وقبلها صاحباه أبو يوسف ومحمد بن الحسن بشرط أن يكون الراوي من الصحابة أو التابعين وأتباعهم وقبلها كذلك العلامة المحدث الفقيه محمد هاشم السندي وقبلها أيضاً ابن خزيمة وابن حبان حيث أن العدل عندهما هو من لا يعرف فيه الجرح، وروايته مقبولة إذا كان يروى عن ثقة وكان الراوي عنه أيضاً ثقة و لم يأت بمتن منكر كما هو الحال في هذا الحديث. فداود بن أبي صالح صحيح الرواية على شرط ابن حبان وشيخه ابن خزيمة.

بل قال ابن أبي حاتم في كتابه (الجرح والتعديل) ج١ ص ٣٦: «سألت أبي عن رواية الثقات عن رجل غير ثقة مما يقويه؟ قال: إذا كان معروفاً بالضعف لم تقوه روايته عنه وإذا كان مجهولا نفعه رواية الثقة عنه» أ.هـ يقول العلامة الشيخ محمد عبد الرشيد النعماني تعليقا على كلام ابن أبي حاتم: «فهذا نص في أن الثقة إذا روى عن رجل لم يضعف نفعه ذلك، فسكوت البخاري وابن أبي حاتم وغيرهما يدل على تقوية الرجل إذا روى عنه الثقة، ولذلك يقول ابن حجر مراراً: إن البخاري أو ابن أبي حاتم ذكره وسكت عليه، أو لم يذكر فيه جرحاً» أ.هـ.

وانظر تفصيل الكلام على المستور في تعليق العلامة الشيخ عبد الفتاح أبو غدة على كتاب (الرفع والتكميل) للإمام عبد الحي اللكنوي من ص ٢٣٠ إلى ص ٢٤٨.

ولهذا لم يكن غريباً أن يذهب أربعة من كبار حفاظ الحديث إلى صحة الحديث بإسناده الأخير عن الإمام أحمد في مسنده - وهم الحاكم في المستدرك وأقره الذهبي في التلخيص والإمام الهيثمي في (مجمع الزوائد) والإمام السيوطي في (الجامع الصغير)، بينما ذهب الحافظ المناوي في=

= (التيسير بشرح الجامع الصغير) إلى أنه حسن، كما ذهب الحافظ أبو الفتح المراغي المدني إلى أن هذا الإسناد حسن نقل ذلك وأقره عليه العلامة السمهودي في (وفاء الوفا) ص ١٣٥٩. وللحديث شواهد عديدة تشهد لصحة معناه وسيأتي بعضها في الكلام على تبرك الصحابة.

ولم يذهب أحد من علماء الحديث أو أئمة – فيما علمت– إلى ضعف الحديث سوى العلامة ابن حجر الهيثمي في كتابه (الجوهر المنظم) ولم يذكر سبب الضعف وربما يكون ذلك بالنظر إلى أحد أسانيد الحديث، أما إذا اعتبرنا مجموع طرق الحديث وشواهده فسيكون الحديث صحيحاً أو حسنا بلا خلاف بين أهل العلم بالحديث سواء منهم من يقبل رواية المستور ومن لا يقبلها بل حتى لو اعتبرنا أن الراوي المذكور – داود ابن أبي صالح– مجهولا.

وبعد أن ثبتت صحة الحديث ننقل ما ذكره العلامة السمهودي في (وفاء الوفا) قال: «قال العز: في كتاب (العلل والسؤالات) لعبد الله بن أحمد بن حنبل عن أبيه رواية أبي على بن الصواف عنه، قال عبد الله: سألت أبي عن الرجل يمس منبر رسول الله ﷺ ويتبرك بمسه ويقبله ويفعل بالقبر مثل ذلك رجاء ثواب الله تعالى، قال: لا بأس به.

قال العز بن جماعة وهذا يبطل ما نقل عن النووي من الإجماع، قلت: النووي لم يصرح بنقل الإجماع لكن قوة كلامه تفهمه... » إلى أن قال: «وفي تحفة ابن عساكر: ولا شك أن الاستغراق في المحبة يحمل على الإذن في ذلك والمقصود من ذلك كله الاحترام والتعظيم، والناس تختلف مراتبهم في ذلك كما كانت تختلف في حياته فأناس حين يرونه لا يملكون أنفسهم بل يبادرون إليه وأناس فيهم أناة يتأخرون، والكل محل خير. انتهى » أ.هـ وفاء الوفا ص١٤٠٤ – ١٤٠٦ ثم نقل ما ذكر الإمام ابن حجر العسقلاني في (فتح الباري) باب (من لم يستلم إلا الركنين اليمانيين) قال: «استنبط بعضهم من مشروعية تقبيل الأركان جواز تقبيل كل من يستحق التعظيم من آدمي وغيره، فأما تقبيل يد الآدمي فيأتي في كتاب الأدب، وأما غيره فنقل عن الإمام أحمد أنه سئل عن تقبيل منبر النبي ﷺ وتقبيل قبره فلم يربه بأساً، واستبعد بعض أتباعه صحة ذلك، ونقل عن أبي الصيف اليماني أحد علماء مكة من الشافعية جواز تقبيل المصحف وأجزاء الحديث وقبور الصالحين وبالله التوفيق» أ.هـ ج٣ ص ٤٧٥ يقول شيخ شيوخنا العلامة سلامة العزامي: «ولعل هذا البعض المستبعد هو ذلك الحراني أو أحد المصابين بدائه » أ.هـ البراهين الساطعة ص ٣٦٩ يقول العلامة داود النقشبندي في كتابه (صلح الإخوان): «ويمكن أن الإمام أحمد أخذ جواز تقبيل القبر مما رواه في مسنده عن أبي أيوب الأنصاري.. » وأشار إلى الحديث ثم قال: «قال الشيخ=

وروي عن ابن عمر رضي الله عنهما (١٦٤/أ) أنه وضع يده على موضع مقعد النبي ﷺ من المنبر ثم وضعها على وجهه[1].

وكان ﷺ يتردد إلى الأماكن التي كان يتردد إليها رسول الله ﷺ وبراحلته لأجل التبرك.

= منصور البهوتي الحنبلي في حاشيته (الإقناع): قال إبراهيم الحربي: (يستحب تقبيل حجرة النبي ﷺ والله أعلم) انتهى، أقول: وهذا يؤيد ما تقدم عن الإمام أحمد فإن إبراهيم الحربي من أصحاب أحمد ﷺ » أ.هـ ص ٨٢ يقول الحافظ السيد عبد الله الغماري في (الرد المحكم المتين): ...« وإن كان الإمام أحمد أجاز تقبيل القبر، قال الحافظ العراقي أخبرني الحافظ أبو سعيد العلائي قال: رأيت في كلام ولد أحمد بن حنبل في جزء قديم عليه خط ابن ناصر وغيره من الحفاظ أن الإمام أحمد سئل عن تقبيل قبر النبي ﷺ وتقبيل غيره فقال لا بأس بذلك فأريناه ابن تيمية فصار يتعجب من ذلك ويقول: عندي أحمد جليل! يقول هذا ؟ قال: وأي عجب في ذلك» أ.هـ ص ٢٧٣.

ملحوظة:

يقول الدكتور نور الدين عتر في مقدمته لكتاب المغني في الضعفاء للذهبي ي، ك، ل قال رحمه الله – يقصد الإمام الذهبي – في ختام كتاب الضعفاء – ق ٢٧٧ من مخطوطة الظاهرية –:

« اعلم الهمك الله التقوى أن رجال هذا المصنف على طبقات عدة .. » إلى أن قال: «وأما المجهولون من الرواة، فإن كان الرجل من كبار التابعين أو أوساطهم احتمل حديثه، وتلقى بحسن الظن إذا سلم من مخالفة الأصول، ومن ركاكة الألفاظ، وإن كان الرجل منهم من صغار التابعين فسائغ رواية خبره ويختلف ذلك باختلاف جلالة الراوي عنه وتحريه وعدم ذلك، وإن كان المجهول من أتباع التابعين فمن بعدهم فهو أضعف لخبره سيما إذا انفرد به ... » أ.هـ.

ص ك من مقدمة كتاب الضعفاء للذهبي وهذا يوضح سبب إقرار الذهبي للحاكم في تصحيحه حديث أبي أيوب السابق وأن هذا التصحيح لم يكن عن سهو منه كما يزعم خوارج عصرنا.

(1) فعل ابن عمر مع أثر مقعد النبي: (الشفاء) للقاضي عياض، القسم الثاني– الباب الأول: (في فرض الإيمان به...) ، فصل: (ومن إعظامه وإكباره) ص ٦٢٠ط. دار إحياء الكتب العربية.

ورواه ابن سعد عن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عبد القاري أنه.. انظر (مناهل الصفافي تخريج أحاديث الشفا) للحافظ السيوطي.

وقد تقدمت قصة بلال ﷺ لما شد رحله لزيارة قبره عليه الصلاة والسلام(١) فلما وصل الضريح المكرم(٢) جعل يمرغ وجهه عليه ويبكي(1).

(١) في ج: ﷺ.

(٢) في ج: إلى الضريح المكرم.

---

(1) نص الشارع الحكيم على تعظيم وتكريم بعض الأماكن والجمادات مثل الكعبة ومقام إبراهيم والصفا والمروة وطيبة وطور سيناء يقول الله تعالى: ﴿ ذلك ومن يعظم حرمات الله فهو خير له عند ربه﴾ الحج(٣٠) يقول القرطبي في تفسير الآية: «والحرمات المقصورة هنا هي أفعال الحج المشار إليها في قوله ﴿ثم ليقضوا تفثهم وليوفوا نذورهم ﴾ ويدخل في ذلك تعظيم المواضع » أ.هـ وسماها في آية أخرى (شعائر الله) أي التي تنقل محبة الله وتعظيمه وإجلاله من دائرة الشعور والحس الماديين إلى داخل القلب والوجدان وتذكر العقل بما مر من أحداث شهدتها هذه المواضع فيعتبر بمصارع الظالمين إذا مر بديار ثمود كما يشتاق إلى رحمة الله وأن يلحقه بالصالحين إذا مر بمواضع وأماكن شهدت نزول رحمته تعالى وبركاته كالكعبة ومقام إبراهيم وطور سيناء وغيرها، يقول الله تعالى مخاطباً موسى عليه السلام ﴿أن أخرج قومك من الظلمات إلى النور وذكرهم بأيام الله ﴾ إبراهيم (٥) روى النسائي في (المجتبي) حديث الإسراء والمعراج **بسند صحيح** عن أنس بن مالك ﷺ في كتاب الصلاة باب فرض الصلاة وفيه: «.. فسرت فقال: انزل فصل فصليت، فقال: أتدري أين صليت؟ صليت بطيبة وإليها المهاجرة. ثم قال انزل فصلِّ فصليت، فقال: أتدري أين صليت؟ صليت بطور سيناء حيث كلم الله موسى، ثم قال: انزل فصل فصليت فقال أتدري أين صليت؟ **صليت ببيت لحم حيث ولد عيسى عليه السلام**... » إلى آخر الحديث. يقول الإمام السندي في الحاشية: «**صليت بطور سيناء) وهذا أصل كبير في تتبع آثار الصالحين والتبرك بها والعبادة فيها** » أ.هـ ج ١ ص ٢٢٢ وروى الحافظ الثقة محمد بن إسماعيل الترمذي حديث الإسراء عن شداد بن أوس ﷺ وذكر فيه نزول النبي ﷺ للصلاة في المواضع الثلاثة ورواه عنه الإمام البيهقي بطريقين وقال إن **إسناده صحيح** وذكر له شواهد كثيرة تؤيده انظر دلائل النبوة للبيهقي، وأما ما اعترض به ابن كثير في تفسير سورة الإسراء وزعم وجود نكارة في نزول النبي عليه السلام وصلاته في بيت لحم فهو خطأ غير صحيح وهذه سنة الله في خلقه في كل زمان، أن يجعل الأعمال الصالحة التي يبتغى بها وجهه سببا لتفريج الكروب واستجابة الدعاء والتقرب منه سبحانه، ومن هذه الأعمال المحافظة على آثار الأنبياء والصالحين وتعظيمها والتبرك بها تماماً كبرِّ الوالدين والرفق باليتيم =

= فهؤلاء بنو إسرائيل كان لديهم تابوت يحفظون فيه بعض آثار أنبيائهم- كعصا موسى ونعلاه وغير ذلك – ويقدمونه أمامهم في معاركهم مع أعدائهم يتبركون ويستنصرون الله به فينصرهم حتى إذا غُلبوا في أحد المرات بسبب معاصيهم وأخذ منهم التابوت ثم تابوا وسألوا نبيهم أن يختار لهم ملكا من بينهم يقاتلون تحت لوائه فأخبرهم أن الله قد بعث لهم طالوت ملكاً قال تعالى: ﴿وقال لهم نبيهم إن آية ملكه أن يأتيكم التابوت فيه سكينة من ربكم وبقية مما ترك آل موسى وآل هارون تحمله الملائكة ﴾ البقرة (٢٤٨) يقول الشيخ محمد علوي المالكي في كتابه (مفاهيم يجب أن تصحح): «وهذا في الحقيقة ليس إلا توسلا بآثار أولائك الأنبياء، إذ لا معنى لتقديمهم التابوت بين أيديهم في حروبهم إلا ذلك والله سبحانه وتعالى راض عن ذلك بدليل أنه رده إليهم وجعله علامة وآية على صحة ملك طالوت و لم ينكر عليهم ذلك الفعل » أ.هـ ص ٦٤ والتبرك بآثار الأنبياء والصالحين هو أحد أنواع التوسل العشرة كما أوضحها وبينها أتم بيان العلامة الشيخ محمد حسنين مخلوف وكيل الجامع الأزهر رحمه الله في رسالتيه في حكم التوسل بالأنبياء والأولياء عام ١٣٤٦، ١٣٤٧هـ نشر مكتبة التهذيب (ملحقتين بكتاب الصواعق الإلهية) وتبرك الصحابة والتابعين برسول الله ﷺ وبآثاره حيا وبعد وفاته أكثر من أن تحصى وكان ﷺ يقرهم على ذلك، بل عندما حلق الحلاق رأسه الشريف أعطى ﷺ شعره أبا طلحة وقال له «أقسم بين الناس » في رواية الترمذي وفي رواية مسلم «فجعل يعطيه للناس » وكتب السنة حافلة بهذه الأمثلة وبما كان ﷺ يرشد أصحابه إليه من التبرك ويقرهم عليه وبما كانوا يتبركون به بعد وفاته من شعره وملابسه وغير ذلك ، ومن أراد التفصيل في ذلك فليراجع كتب السنة وليراجع بعض الكتب التي أشارت إلى الموضوع مثل (مفاهيم يجب أن تصحح)، و(سعادة الدارين) للعلامة الشيخ إبراهيم السمنودي ورسالتي التوسل السابق ذكرهما للعلامة الشيخ محمد حسنين مخلوف.

يقول الشيخ محمد علوي المالكي في كتابه (مفاهيم يجب أن تصحح) بعد أن ذكر أمثله عديدة من كتب السنة للتبرك بآثاره ﷺ : «الخلاصة: والحاصل من هذه الآثار والأحاديث هو أن التبرك به ﷺ وبآثاره وبكل ما هو منسوب إليه سنة مرفوعة وطريقة محمودة مشروعة ويكفي في إثبات ذلك فعل خيار الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين وتأييد النبي ﷺ لذلك بل وأمره مرة وإشارته أخرى إلى فعل ذلك وبالنصوص التي نقلناها يظهر كذب من زعم أن ذلك ما كان يعتني به ويهتم بفعله أحد من الصحابة إلا ابن عمر، وأن ابن عمر ما كان يوافقه على ذلك أحد من أصحاب الرسول ﷺ . =

= وهذا جهل أو كذب وتلبيس، فقد كان كثير غيره يفعل ذلك ويهتم به ومنهم الخلفاء الراشدون رضي الله عنهم وأم سلمة وخالد بن الوليد وواثلة بن الأسقع وسلمة بن الأكوع وأنس بن مالك وأم سليم وأسيد بن حضير وسواد بن غزية وسواد بن عمرو وعبد الله بن سلام وأبو موسى وعبد الله بن الزبير وسفينة مولى النبي ﷺ وسرة خادم أم سلمة ومالك بن سنان وأسماء بنت أبي بكر وأبو محذورة ومالك بن أنس وأشياخه من أهل المدينة. كسعيد بن المسيب ويحيى بن سعيد » أ.هـ ص ١٥٦.

وصدق الشيخ فيما ذكره من أن فعل هؤلاء الصحابة فضلا عمن بعدهم إنما هو بأمره وإشارته وتعليمه ﷺ ، أقول: بل وهو المستفاد من النصوص القرآنية ذاتها حيث حكى القرآن تبرك بني إسرائيل بالتابوت ممتنا عليهم بإرجاعه إليهم وقال عن الكعبة (جعل الله الكعبة البيت الحرام قياماً للناس) يقول ابن كثير في تفسير سورة البقرة:« أي يدفع عنهم بسبب تعظيمها السوء كما قال ابن عباس: لو لم يحج الناس هذا البيت لأطبق الله السماء على الأرض. وما هذا إلا لشرف بانيه أولا وهو خليل الرحمن » أ.هـ ج١ ص ١٦٨.

بل جعل سبحانه قصد الكعبة والصفا والمروة وما حولها من أماكن لتعظيمها وعبادة الله عندها فرضا وركنا من أركان الإسلام الخمس وما ذلك إلا لأنها من (شعائر الله) أي التي تشعر وتعلم به تعالى. قال عز من قائل ﴿ذلك ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب﴾ الحج ٣٢ يقول القرطبي في تفسيره: «قوله تعالى ﴿ ومن يعظم شعائر الله ﴾ الشعائر جمع شعيرة وهو كل شيء لله تعالى فيه أمر أشعر به وأعلم ومنه شعار القوم في الحرب أي علامتهم التي يتعارفون بها ... » إلى أن قال: « فشعائر الله أعلام دينه لا سيما ما يتعلق بالمناسك » أ.هـ تفسير القرطبي ويقول الإمام عبد الغني النابلسي في رسالته (كشف النور عن أصحاب القبور): « وشعائر الله هي الأشياء التي تشعر – أي تعلم – به تعالى كالعلماء والصالحين أحياء وأمواتاً ونحوهم » أ.هـ ص ٢٨ يقول تعالى معظماً شأن بيته الحرام بعد وصفه إياه بأنه مبارك وهدى للعالمين (فيه آيات بينات مقام إبراهيم) وعن هذا المقام يقول الحافظ ابن كثير في تفسيره لسورة البقرة عند آية﴿واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى ﴾ : «والمراد بالمقام إنما هو الحجر الذي كان إبراهيم عليه السلام يقوم عليه لبناء الكعبة لما ارتفع الجدار... » إلى أن قال «وكانت آثار قدميه ظاهرة فيه و لم يزل هذا معروفاً تعرفه العرب في جاهليتها. ولهذا قال أبو طالب في قصيدته المعروفة اللامية:

وموطئ إبراهيم في الصخر رطبة على قدميه حافيا غير ناعل

= وقد أدرك المسلمون ذلك فيه أيضا ... » ونقل خبرين بإسنادين صحيحين يدلان على ذلك كما سيأتي، فماذا عمل كبار الصحابة تبركا بهذا الأثر من آثار خليل الرحمن. روى البخاري في صحيحه في باب ﴿واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى﴾ : «قال عمر بن الخطاب: وافقت ربي في ثلاث أو وافقني ربي في ثلاث: قلت يا رسول الله لو اتخذت من مقام إبراهيم مصلى؟ فنزلت ﴿واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى ...﴾ » إلى آخر الحديث وأخرجه أيضاً الإمام أحمد بن حنبل في مسنده وغيرهما، وهذا يؤكد صحة التبرك بالأماكن الفاضلة كما كان ابن عمر وغيره يتحرون الأماكن التي صلى فيها رسول الله ﷺ ليصلوا فيها كي ينالوا بركته وكما كان ابن عمر يمسح المنبر والرمانة بيده ويضعها على وجهه وكما كان أبو أيوب الأنصاري يضع وجهه على القبر الشريف وغيره من الصحابة يغسلون جبة رسول الله ﷺ ويشربون الماء أو يغتسلون به استشفاء من المرض وغير ذلك مما روته كتب السنة فكل هذه الأعمال إنما هي نابعة من الفطرة النقية السليمة التي فطر الله الناس عليها. يقول الحافظ ابن كثير في تفسيره للآية الكريمة ﴿واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى﴾: « كما قال عبد الله بن وهب: أخبرني يونس بن يزيد عن ابن شهاب أن أنس بن مالك حدثهم قال: (رأيت المقام فيه أصابعه عليه السلام وأخمص قدميه غير أنه أذهبه مسح الناس بأيديهم)، وقال ابن جرير: أخبرنا بشر بن معاذ أخبرنا يزيد بن زريع أخبرنا سعيد عن قتادة ﴿واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى﴾ إنما أمروا أن يصلوا عنده و لم يؤمروا بمسحه، وقد تكلفت هذه الأمة شيئاً ما تكلفته الأمم قبلها، ولقد ذكر لنا من رأى أثر عقبه وأصابعه فيه فما زالت هذه الأمة يمسحونه حتى اخلولق وانمحي » أ.هـ ج١ ص ١٧٠ وانظر أيضاً تفسير الطبري للآية المذكورة ج٢ ص٣٥ تحقيق أحمد شاكر. وهذان إسنادان صحيحان إن شاء الله كما يعلم من مراجعتهما.فمن يا ترى هؤلاء الناس الذين ذكرهم الصحابي الجليل أنس بن مالك والتابعي الجليل قتادة ؟ أليسوا هم الملايين من جماهير الصحابة وأوائل التابعين الذين حجوا واعتمروا من عصر النبي ﷺ وحتى أوائل المائة الثانية من الهجرة؟ فهل يستطيع ابن تيمية وأذنابه والببغاوات الذين يرددون كلماته بغير فهم أن يتهموا هذه الملايين ومعهم جماهير الصحابة وأئمتهم مثل عمر بن الخطاب وابنه عبد الله وبلال وأبي أيوب الأنصاري وأسماء وأم سلمة وغيرهم بالشرك والضلال؟ كيف وقد ظلت آثار قدمي سيدنا إبراهيم عليه الصلاة والسلام طوال قرون الشرك بل آلاف السنين من وقته عليه السلام وحتى مبعث نبينا صلى الله عليه وآله وسلم ظاهرة بينة في الصخر و لم تذهب وتنمحي هذه الآثار إلا من مسح المسلمين بأيديهم تبركاً عليها في أقل من مائة عام من بداية الإسلام!=

= وعلى هدى الصحابة والتابعين سار أئمة الدين وعلماء الأمة الذين نقلوا لنا الدين كاملاً نقياً. يقول إمام الدنيا في علم الحديث الحافظ ابن حجر العسقلاني في كتابه (فتح الباري في شرح صحيح البخاري): « (فائدة) في البيت أربعة أركان الأول له فضيلتان: كون الحجر الأسود فيه، وكونه على قواعد إبراهيم. وللثاني: الثانية فقط، وليس للآخرين شيء منهما. فلذلك يقبل الأول ويستلم الثاني فقط ولا يقبل الآخران ولا يستلمان، هذا على رأي الجمهور، واستحب بعضهم تقبيل الركن اليماني أيضاً.

(فائدة أخرى) استنبط بعضهم من مشروعية تقبيل الأركان جواز تقبيل كل من يستحق التعظيم من آدمي وغيره، فأما تقبيل يد الآدمي فيأتي في كتاب الأدب، وأما غيره فنقل عن الإمام أحمد أنه سئل عن تقبيل منبر النبي ﷺ وتقبيل قبره فلم ير به بأساً، واستبعد بعض أتباعه صحة ذلك. ونقل عن ابن أبي الصيف اليماني أحد علماء مكة من الشافعية جواز تقبيل المصحف وأجزاء الحديث وقبور الصالحين وبالله التوفيق » أ.هـ من (باب من لم يستلم إلا الركنين اليمانيين) ج٣ ص ٤٧٥ قلت: ربما قصد الحافظ ابن حجر بعبارة (بعض أتباعه) ابن تيمية وأذنابه ولا قيمة لاعتراضهم على صحة الخبر بعد ثبوته عنه بالدليل القاطع يقول الشيخ عبد ربه سليمان في كتابه (فيض الوهاب): « قال الحافظ العراقي في كتابه(فتح المتعال): أخبرني الحافظ أبو سعيد العلائي قال: رأيت في كلام ولد أحمد بن حنبل في جزء قديم عليه خط ابن ناصر وغيره من الحفاظ أن الإمام أحمد سئل عن تقبيل قبر النبي ﷺ وتقبيل غيره فقال لا بأس بذلك فأريناه ابن تيمية فصار يتعجب من ذلك ويقول: عندي أحمد جليل يقول هذا؟ قال: وأي عجب في ذلك وقد روينا عن الإمام أنه غسل قميصاً للشافعي وشرب الماء الذي غسله به! » ج٤ ص ١٤٥ ويقول الحافظ السيد عبد الله الغماري في كتابه (الرد المحكم المتين): « وفي كتاب العلل والسؤالات لعبد الله بن أحمد بن حنبل: سألت أبي عن الرجل يمس منبر النبي ﷺ يتبرك بمسه ويقبله ويفعل بالقبر مثل ذلك رجاء ثواب الله تعالى، قال: لا بأس به. وعن يحيى بن سعيد شيخ الإمام مالك أنه حين أراد الخروج إلى العراق جاء إلى المنبر النبوي فمسحه. ونقل عن ابن أبي الصيف والمحب الطبري جواز تقبيل قبور الصالحين نقله ابن زكرى في شرح همزيته بعد أن حكى عن كثير من العلماء خصوصاً المالكية كراهة تقبيل القبر والله أعلم » أ.هـ ص ٢٧٣.

ويقول أيضاً الشيخ عبد ربه سليمان: «وموجود بخط الحافظ الضياء المقدسي الحنبلي في كتابه (الحكايات المنثورة) المحفوظ الآن تحت رقم ٩٨ من المجاميع بظاهرية دمشق أنه سمع الحافظ عبد الغني المقدسي الحنبلي يقول إنه خرج في عضده شيء يشبه الدمل فأعيته مداواته ثم مسح به=

= قبر أحمد بن حنبل فبرئ و لم يعد إليه. وفي تاريخ الخطيب ج١ ص ١٢٣ يسند إلى الشافعي رضي الله تعالى عنه أنه قال: إني لأتبرك بأبي حنيفة وأجئ إلى قبره كل يوم يعني زائراً » أ.هـ من (فيض الوهاب) ج ٤ ص ١٤٥.

على أن هناك بعض الفقهاء الذين منعوا التمسح بالقبر والصلاة عنده سداً للذريعة فقط ومراعاة لأدب الزيارة حيث أن حرمة صاحب القبر ميتاً كحرمته حياً. يقول الإمام السبكي في (شفاء السقام) تعليقاً على ادعاء ابن تيمية أن الصحابة والتابعين لم يكونوا يصلون عند القبر ولا يتمسحون به: « ونحن نقول إن من أدب الزيارة ذلك وننهى عن التمسح بالقبر والصلاة عنده، على أن تلك ليس مما قام الإجماع عليه » أ.هـ ص.١٢٦.

ويقول الحافظ السيد عبد الله الغماري في كتابه (الرد المحكم المتين) ناصحاً لزائر النبي أو الولي: «واقتصر في زيارتك وتوسلك على الجائز المشروع ودع كل لفظ موهم وكل تعظيم يؤدي بك إلى المحظور الممنوع كتقبيل وتمسح وسجود وركوع » أ.هـ ص ٢٧٣ وأشار بالهامش إلى ما سبق ذكره عن الإمام أحمد وغيره من جواز تقبيل قبر النبي أو غيره.

وذهب الحافظ ابن عساكر في (التحفة) إلى الجمع بين الرأيين فقال: « ولا شك أن الاستغراق في المحبة يحمل على الإذن في ذلك والمقصود من ذلك كله الاحترام والتعظيم والناس تختلف مراتبهم في ذلك كما كانت تختلف في حياته، فأناس حين يرونه لا يملكون أنفسهم بل يبادرون إليه وأناس فيهم أناة يتأخرون والكل محل خير » أ.هـ نقلا عن (وفاء الوفا) للسيد السمهودي ص ١٤٠٦ .

ومن كل ما سبق يتضح أن ما يفعله بعض زوار الأنبياء أو الأولياء من تمسح بقبورهم أو تقبيلها أو غير ذلك لا علاقة له بالشرك أو الكفر حتى عند من يمنعه وينهى عنه من الفقهاء، ولم يذهب إلى هذا الرأي الشاذ في تكفير جماهير المسلمين ونسبتهم إلى الإشراك وإخراجهم من دائرة الإسلام سوى ابن تيمية وأذنابه معترضين بأنه لما كان تعظيم الكعبة والحجر الأسود ومقام إبراهيم وغير ذلك مأمورا به فلا يعد شركا تقبيلهم والتمسح بهم وأما ما سوى ذلك من قبور الأنبياء والأولياء فيعد شركا لأن الله لم يأمر بذلك عن هذا الاعتراض أجاب الشيخ جعفر سبحانه في كتابه القيم (التوحيد والشرك في القرآن الكريم) بعد أن ضرب أمثله عن سجود الملائكة لآدم عليه السلام وسجود أبوي يوسف عليهم السلام له واستلام الحجر الأسود وتقبيله ثم قال: «فإذا عدت أعمال – كالسجود واستلام الحجر الأسود وما شابههما – عبادة لآدم أو يوسف أو الحجر، وما يقوله القائل من أنها عبادة ذاتاً وطبيعة ولكن حيث تعلق بها الأمر الإلهي خرجت =

= عن الشرك، يستلزم أن تكون هذه الأعمال من الشرك المجاز، وهو قول لا يقبله أي إنسان.

والخلاصة أن المسألة تدور مدار إما أن نعتبر هذه الأعمال خارجة بطبيعتها عن مفهوم الشرك، أو أن نقول إنها من مصاديق الشرك في العبادة ولكنها شرك أذن الله به وأجازه !!!

والقول الثاني على درجة من البطلان بحيث لا يمكن أن يحتمله أحد فضلا عن الذهاب إليه وسيوافيك أن بعض الأعمال يمكن أن تكون باعتبار تعظيماً وتواضعاً وباعتبار آخر شركاً، فلو كانت الملائكة – مثلا– تسجد لآدم باعتقاد أنه إله كان عملهم شركاً قطعاً وإن أمر الله به – على وجه الافتراض – وأما إذا كانت تسجد بغير هذا الاعتقاد لم يكن فعلها شركاً حتى لو لم يأمر به المولى جل شأنه.

لقد كان الشيخ عبد العزيز إمام المسجد النبوي يحاول توجيه صحة وشرعية هذه الاحترامات بورود الأمر الإلهي بشأنها، ويستشهد بما قاله عمر بن الخطاب حول الحجر الأسود إذ قال – ما مضمونه –: (إني أعلم أنك حجر لا تنفع ولا تضر ولولا أني رأيت النبي ﷺ يقبلك لما قبلتك) – صحيح البخاري ج٣ ص ١٤٩ كتاب الحج طبعة عثمان خليفة. وقد قلنا للشيخ: إن مفاد كلامكم هو أن تكون هذه الأفعال من الشرك المجاز إذن. ونلفت نظر الشيخ إلى الآية الكريمة: ﴿ قل إن الله لا يأمر بالفحشاء أتقولون على الله مالا تعلمون﴾ ؟ (الأعراف ٢٨) فلو كانت ماهية السجود لآدم – ع – واستلام الحجر الأسود عبادة لآدم والحجر وشركا لما كان الله سبحانه يأمر بها أبداً » أ.هـ ص ٥٨، ٥٩ ثم قال في موضع آخر: «خلاصة القول في المقام أن أي عمل ينبع من هذا الاعتقاد (أي الاعتقاد بأنه إله العالم أو ربه أو غني في فعله وأنه مصدر للأفعال الإلهية) ويكون كاشفا عن هذا النوع من التسليم المطلق يعد عبادة ويعتبر صاحبه مشركاً إذا فعل ذلك لغير الله.

ويقابل ذلك: القول والفعل والخضوع غير النابع من هذا الاعتقاد. فخضوع أحد أمام موجود وتكريمه – مبالغاً في ذلك – دون أن ينبع من الاعتقاد بألوهيته لا يكون شركاً ولا عبادة لهذا الموجود وإن كان من الممكن أن يكون حراماً مثل سجود العاشق للمعشوقة أو المرأة لزوجها، فإنها وإن كانت حراماً في الشريعة الإسلامية، لكنها ليست عبادة. فكون الشيء حراماً غير القول بأنه عبادة، فإن حرمة السجود أمام بشر من غير اعتقاد بألوهيته وربوبيته إنما هي لوجه آخر.. » إلى أن قال: « إن السجود حيث أنه وسيلة عامة للعبادة وحيث أن بها يعبد الله عند جميع الأقوام والملل والشعوب وصار بحيث لا يراد منه إلا العبادة لذلك لم يسمح الإسلام بأن يستفاد من هذه الوسيلة العالمية حتى في الموارد التي لا تكون عبادة وهذا التحريم إنما هو من خصائص الإسلام إذ لم يكن حراماً قبله وإلا لما سجد يعقوب وأبناؤه ليوسف– عليه السلام – إذ يقول: ﴿ورفع أبويه على العرش وخروّا له سجداً﴾ (يوسف – ١٠٠) » أ.هـ ص ٩٤ – ٩٥.

وقوله: (ولا دعاء هناك) قصة سياقه أن الإجماع على أنه لا يدعو أحد عند القبر وهي دعوى عريضة. ثم أكد ذلك بقوله: (إنما يفعلونه في المسجد) ثم أردف ذلك بقوله: (وكان السلف من الصحابة والتابعين إذا سلموا عليه وأرادوا الدعاء دعوا مستقبلي القبلة ولم يستقبلوا القبر) ثم قال: (وأما وقت السلام فقال أبو حنيفة يستقبل القبلة ولا يستقبل القبر. وقال أكثر الأئمة: يستقبل القبر عند السلام خاصة. ولم يقل أحد من الأئمة أنه يستقبل القبر(١) عند الدعاء إلا في حكاية مكذوبة عن مالك وعن مذهبه(٢) بخلافها).

ثم أردف هذا بأمور يجشر(٣) بها على الأغمار (١٦٤/ب) يتخيل الواقف عليها من العوام حسم باب الزيارة لقبره عليه الصلاة والسلام.

والحاصل من كلامه أنه لا يدعى عند القبر بالاتفاق ولا يستقبل القبر عند الدعاء بالإجماع وأن الحكاية التي وقعت بين مالك وبين وأبي جعفر(٤) المنصور كذب !! وهذا سبحانك(٥) بهتان عظيم!! من الفجور(٦) الذي لا أعلم أحد فاه به ولا رمز إليه لا من العلماء ولا من غيرهم.

أما قصة(٧) مالك مع المنصور فقد ذكرتها في الكلام على التوسل وإنها(٨) صحيحة بلا نزاع(1).

---

(١) في ط: أنه لا يستقبل القبلة.

(٢) في ط: ومذهبه.

(٣) في ط: يجسر.

(٤) في ط: بين مالك وأبي جعفر.

(٥) في ط: كذب سبحانك هذا.

(٦) في ط: وهذا من الفجور.

(٧) في ط: قضية.

(٨) في ط: فإنها.

---

(1) وقد مر في خبر أسامة بن زيد عند الإمام أحمد أنه كان يدعو بجوار القبر الشريف وفي الروايتان عن الطبراني وابن حبان كان يصلي والصلاة تتضمن الدعاء قطعاً.

وأما الدعاء عند القبر فقد ذكره خلق، ومنهم الإمام مالك وقد نص على أنه يقف عند القبر ويقف كما يقف الحاج عند البيت للوداع ويدعو، وفيه المبالغة في طول الوقوف والدعاء. وقد ذكره ابن المواز في الموازية فأفاد ذلك أن إتيان قبر النبي ﷺ والوقوف عنده والدعاء عنده من الأمور المعلومة عند مالك وأن عمل الناس على ذلك قبله وفي زمنه، ولو كان الأمر على خلاف ذلك لأنكره فضلا عن أن يفتي به أو يقر[١] عليه.

وقال مالك في رواية ابن وهب: إذا سلم على النبي ﷺ ودعا يقف ووجهه إلى القبر لا إلى القبلة ويدعو ويسلم ولا يمس القبر (١٦٥/أ) بيده، نعم في المبسوطة: لا أرى أنه يقف عنده يدعو ولكن يسلم ويمضي وإنما ذكرت كلام المبسوطة لأن من حق العالم الذي يؤخذ بكلامه أن يذكر ماله عليه[٢] لأن ذلك من الدين.

وقال الإمام أبو عبد الله محمد[٣] بن عبد الله السامري في كتاب (المستوعب) في باب زيارة[٤] قبر النبي ﷺ: وإذا قدم المدينة[٥] رسول الله ﷺ استحب له أن يغتسل لدخوله ثم يأتي مسجد رسول الله ﷺ ويقدم رجله اليمنى في الدخول ثم يأتي حائط القبر فيقف ناحيته ويجعل القبر تلقاء وجهه والقبلة خلف ظهره والمنبر عن يساره. ثم ذكر كيفية السلام والدعاء وأطال ومنه: اللهم إنك قلت في كتابك لنبيك عليه الصلاة والسلام ﴿ولو أنهم إذ

(١) في ط: يقره.

(٢) في ط: وما عليه.

(٣) في ط: وقال أبو عبد الله محمد وفي ج: وقال الإمام أبو عبد محمد.

(٤) في ب: المستوعب باب زياره. وفي ج: المستوعب في زيارة.

(٥) ب-ط: مدينة.

ظلموا أنفسهم جاؤك ﴾ الآية وإني قد أتيتك مستغفراً فأسألك أن توجب لي المغفرة كما أوجبتها لمن أتاه في حال حياته، اللهم إني أتوجه إليك بنبيك. وذكر دعاء طويلاً ثم قال: وإذا أراد الخروج عاد إلى القبر فودع.

وهذا أبو عبد الله من أئمة الحنابلة وساق هذا الكلام سياق المتفق عليه ومن جملة ما أفاد أنه يتوسل (١٦٥/ب) بالنبي ﷺ ويتوجه به بعد وفاته كما في حياته، وأن الآية عامة وشاملة للحياة وبعد الوفاة فتنبه لذلك.

وكذلك ذكر[١] أبو منصور الكرماني من الحنفية: أنه يدعو ويطيل الدعاء عند القبر المكرم.

وقال الإمام أبو زكريا النووي في مناسكه وغيره: فصل في زيارة قبر النبي ﷺ وذكر كلاماً مطولاً ثم قال: فإذا صلى تحية المسجد أتى القبر فاسقبله واستدبر القبلة على نحو أربعة أذرع من جدار القبر وسلم مقتصداً لا يرفع صوته وذكر كيفية السلام ثم قال: ويجتهد في إكثار الدعاء، ويغتنم هذا الموقف الشريف إلى آخره.

فهذه نقول الأئمة بتطويل الدعاء عند القبر المكرم وقد خاب من افترى وكل أحد تلحقه الخيبة على قدر فريته[٢].

وقوله: (وهذا كله محافظة على التوحيد فإن من أصول الشرك بالله اتخاذ القبور مساجد، كما قال طائفة من السلف في قوله تعالى ﴿لا تذرن آلهتكم ولا تذرن وداً ولا سواعاً ولا يغوث ويعوق ونسراً وقد أضلوا كثيرا﴾ قالوا: كان هؤلاء قوماً صالحين في قوم (١٦٦/أ) نوح فلما ماتوا اعتكفوا على قبورهم ثم صوروا على صورهم تماثيل ثم طال عليهم الأمد فعبدوها. وقد ذكر

(١) في ط: ذكره.
(٢) في ط: على قدره.

هذا المعنى[١] البخاري في صحيحه عن ابن عباس رضي الله عنهما وذكر ابن جرير الطبري في التفسير[٢] وغيره عن غير واحد من السلف إلى آخره.[1]

(١) في ط: ذلك المعنى.
(٢) في ط: تفسيره.

---

(1) يقول العلامة السيد داود النقشبندي في (صلح الإخوان) ص ١٣٩-١٤١:
الشبهة السادسة: استدلوا بتفسير بن عباس في رواية عنه في قوله تعالى ﴿ لا تذرن آلهتكم ولا تذرن ودا ولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا ﴾ وبقرائته أفرأيتم اللاتّ بشديد التاء وأنهم كانوا أناسا صالحين فعبدوهم من دون الله هكذا يذكر الخوارج المكفرون للمسلمين يقولون (فعبدوهم).
والجواب: أنهم جمعوا بين الكذب والخيانة في النقل ولبسوا على الناس وهذا شأن من أراد ترويج بدعته فاعلم أن الذي ذكره بن عباس كما في البغوي وغيره بسنده إلى البخاري قال وهي أسماء رجال صالحين من قوم نوح فلما هلكوا أوحى الشيطان إليهم أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون بها أصناما وسموها بأسمائهم ففعلوا فلم تعبد حتى إذا هلك أولئك ونسخ العلم عبدت أي تلك الصور فانظر إلى هؤلاء الذين يشبهون الأنبياء والصالحين من هذه الأمة بالأصنام وهذا الحديث راد عليهم من وجوه **الأول**: إن الشيطان أوحي إليهم أن انصبوا أنصابا وسموها بأسمائهم ففعلوا فلم يكن بذلك بأس و لم ينكر ذلك عليهم مع أن هذا من العبث فلا ترى أحدا من هذه الأمة المحمدية يأتي بصور من حجارة أو خشب وينصبها ويسميها باسم صالح أبدا ثم قال ابن عباس حتى إذا هلك أولئك ونسخ العلم عبدت، ففي غير هذه الرواية أن الشيطان قال للجيل الثاني أن الذين قبلكم كانوا يعبدونهم **فعبدوهم بعد نسخ العلم** ومعلوم أن من عبد غير الله تعالى ولو كان نبيا أو ملكا أو ميتا يكفر فضلا عن أحجار مسماة بأسماء الصالحين وما تفعل هذه الأمة من الطلب والسؤال على طريق التوسل من الأنبياء والصالحين أنفسهم لا أنصاب مسماة بأسمائهم والأنبياء والشهداء والصالحون في هذه الأمة مدفونون في قبورهم وهم أحياء في قبورهم يرزقون ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم وأخبرنا نبينا أنهم يعلمون ويعرفون زائرهم ومن يخاطبهم وأمرنا بالسلام عليهم وأن نعاملهم معاملة الأحياء وأنهم يردون على من سلم عليهم ويعرفون أحوال أهلهم وأقاربهم وإخوانهم من المسلمين الأجانب بعلم من الله أو من عرض الأعمال عليهم وأمرنا النبي ﷺ باحترامهم وعدم امتهانهم وعدم الوطئ والجلوس على قبورهم وعدم فعل ما يؤذيهم من قذر وفعل قبيح وقول مؤذ لهم وأنهم يؤذيهم في قبورهم ما يؤذي الأحياء في بيوتهم ويدعون في قبورهم ويصلون ويقرؤن القرآن ويتزاورون مع بعضهم بعضاً ويتذاكرون أحوال أهل الدنيا وأن الميت إذا وصل إليهم اجتمعوا إليه يسئلونه كالغائب إذا قدم فأين هذا في شريعتنا من أولئك الأنصاب المسماة بأسماء الصالحين ومع ذلك ما عتب عليهم بالأنصاب بل: **بالعبادة لها، ونسخ العلم** وقد أخبر الله أن علم هذه الأمة محفوظ قال تعالى ﴿ إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون ﴾ وأخبر نبينا ﷺ أن هذه الأمة لا تزال طائفة منها على الحق حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك وفي رواية إلى قيام الساعة. فعلم هذه الأمة لا ينسخ إلى قيام الساعة حتى لا يقال=

= في الأرض الله الله كما في صحيح مسلم مع أن الكفار مع عبادتهم للأنصاب سموها آلهة وأرباباً كما أخبر الله عنهم في قوله لا تذرن آلهتكم ومن أطلق اسم الإله ولو على سيد المرسلين يكفر باتفاق المسلمين حتى إن الأنبياء يقاتلونهم على قول لا إله إلا الله فلم يقولوها ويرضون بالقتل والموت ولا يقولونها فأين حال هؤلاء من المسلمين الموحدين الشاهدين بألسنتهم وقلوبهم أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وعبده وحبيبه ويقرون بأنبيائه ورسله وملائكته وباليوم الآخر وبالقدر خيره وشره وبالجنة والنار والصراط والميزان ويؤمنون بالكتب المنزلة من ربهم ويصلي أحدهم ويصوم ويزكي ويحج لله وحده لا شريك له ولكنه ينادي أهل القبور الأحياء السامعين نداء من ناداهم العالمين بهم فكيف يشبِّهون هؤلاء أهل الإسلام بأولئك الكفار المعتقدين أن مع الله آلهة أخرى؟ ويشبّهون الأنبياء والشهداء بالأنصاب والأصنام؟ ياويلهم من الله وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون.

وأما قراءة اللاتّ بتشديد التاء وأنه رجل صالح يلت السويق للحاج قال البغوي هذه أسماء أصنام اتخذوها آلهة يعبدونها اشتقو لها أسماء من أسماء الله فقالوا من الله اللات ومن العزيز العزي تأنيث الأعز ومن المنَّان مناة قال قتادة كانت بالطائف وقال ابن زيد بيت بنخلة كانت قريش تعبده وقرأ ابن عباس ومجاهد وأبو صالح اللاتّ بتشديد التاء وقالوا كان رجلا يلت السويق للحاج فلما مات عكفوا على قبره يعبدونه وقال الكلبي كانت له صخرة يلت عليها أسوقتهم فلما مات الرجل حولتها ثقيف إلى منازلهم فعبدتها أي الصخرة التي كان يلت السويق فيها والعزى قال مجاهد هي شجرة بغطفان كانوا يعبدونها ولاشك أن من عبد غير الله حيا أو ميتا فقد كفر ولكن أين العبادة؟ فقد قدمنا أن النداء لا يقال له عبادة مع أن من عبد اللات والعزى كانوا يجعلونها أرباباً وآلهة وأنها بنات الله كما هو ظاهر القرآن قال الله تعالى ﴿ أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى ألكم الذكر وله الأنثى تلك إذا قسمة ضيزي ﴾ قال البغوي أفرأيتم أي أخبرونا أيها الزاعمون أن اللات والعزي ومناة بنات الله وقال الكلبي: كان المشركون بمكة يقولون الأصنام والملائكة بنات الله وكان الرجل منهم إذا بشر بالأنثى كره ذلك فقال الله منكراً عليهم ﴿ألكم الذكر وله الأنثى ﴾ فظاهر القرآن لا يلتئم مع تفسير اللات بالرجل الذي مات وعبدوا قبره فإنه يقتضي أنه ذكر وذكر الله عن هذه الأصنام أنها إناث فأين الذكر من الأنثى؟ ومع هذا لو لم يكن للكفار من تكذيب الله أو تكذيب الرسل صلوات الله وسلامه عليهم وتكذيب الكتب المنزلة وعدم إيمانهم بالبعث والآخرة لكفاهم مجرد عبادتهم لغير الله ولو كان من أكبر المقربين فكيف وقد جمعوا هذه المكفرات مع اتخاذهم الأصنام أربابا وآلهة لزعمهم أنها بنات الله والإبن له حكم الأب من الربوبية والألوهية تعالى الله عن ذلك علوا كبيراً » . أ.هـ.

قلت: في نص حديث ابن عباس أن الشرك وعبادة الأصنام لم يأت إلا بعد نسخ العلم وذهابه وهو العلم بخالقهم سبحانه وتوحيده وتنزيهه فكيف تتغافل عن هذا وننشغل بمشكلة عبادة الأصنام فإنهم إذا لم يعبدوها فسيعبدون الشمس أو القمر أو ملوكهم! أو يظلون ملاحدة لا يعبدون شيئاً وفي جميع هذه الحالات سيظلون كفاراً، بل الدين الحق أن نعلم الناس معنى توحيد الله وتنزيهه عن كل نقص فيكون ذلك سياجا يمنع الشرك والإلحاد.

وأنت أيها اللبيب أرشدك الله عز وجل وزادك بصيرة وفهماً إذا تأملت هذا الاستدلال منه قطعت بجهله وبخلطه في خبطه وعلمت بذلك سوء فهمه وخيالاته الفاسدة ومن نفس الدليل تعلم ذلك. فإنه تخيل بذهنه الجامد وخياله الفاسد أن منع الزيارة أو السفر(١) إليها من المحافظة على التوحيد. وأن الزيارة تؤدي إلى الشرك وعبادة الأوثان.

وهذا خيال فاسد لأن اتخاذ القبور(٢) مساجد وعيداً والعكوف وتصوير الموتى فيها هو المحذور والمؤدي إلى الشرك عند تطاول الزمان وهو الممنوع(٣) منه كما هو مصرح به في الأحاديث الصحيحة في قوله عليه الصلاة والسلام: «لعن الله اليهود اتخذوا(٤) قبور أنبيائهم مساجد يحذر ما صنعوا» وفي قوله عليه الصلاة والسلام لما أخبر (١٦٦/ب) بكنيسة بأرض الحبشة قال: «أولئك إذا مات منهم الرجل الصالح بنوا على قبره مسجداً، ثم صوروا فيه تلك الصور، أولئك شرار الخلق عند الله عز وجل»[1].

فهذا هو الذي حذر منه رسول الله ﷺ وأما الزيارة والسلام على الميت والدعاء له وعنده فلم يؤدي إلى ذلك ولا له تعلق بتلك الأمور ومن تخيل ذلك فهو من سوء فهمه في هذا الأمر الواضح ولو كان يؤدي إلى ذلك لما

(١) في ط: والسفر.

(٢) في ج -ط: الصور وهو خطأ.

(٣) في ب-ج-ط: وهذا هو الممنوع.

(٤) في ط: اليهود والنصارى اتخذوا.

---

(1) رواه البخاري في الصلاة – باب: هل تنبش قبور مشركي الجاهلية ويتخذ مكانها مساجد؟ ورواه أيضاً في كتاب المناقب – باب هجرة الحبشة ورواه مسلم في كتاب الصلاة – باب: النهي عن بناء المساجد على القبور.

شرعه رسول الله ﷺ.(1)

وأبلغ من ذلك لما أمره الله عز وجل بالخروج إلى قبور الشهداء الذين أكرمهم بالشهادة حين نزل عليهم جبريل عليه السلام [١] وأمره بأمر الله تعالى

(١) في ج: جبريل عليه الصلاة والسلام.

(1) يقول السيد داود النقشبندي: **الشبهة العاشرة: استدلالهم بقوله ﷺ لعن الله اليهود والنصاري اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد رواه البخاري** وغيره (الجواب) أن المساجد جمع مسجد وهو ما يسجد [عليه] كما هو مقتضى اللغة العربية فالملعون من سجد على القبور واتخذها مسجداً أي محل السجود بأن تكون نفسها مسجداً وأما إذا اتخذ بجنبها مسجداً وسجد على الأرض وهو بعيد عن القبر أو بين القبر والمسجد فاصل كما هو الغالب فلا يدخل في هذا الوعيد المفهوم من هذا الحديث كيف وقد قال الله تعالى في أهل الكهف (وقال الذين غلبوا على أمرهم لنتخذن عليهم مسجداً) ذكر أهل التفسير أن الذين غلبوا على أمرهم هم المؤمنون وأخبر الله أنهم اتخذوا عليهم مسجداً قال الشهاب الخفاجي في حاشيته على تفسير البيضاوي «في هذه دليل على اتخاذ المساجد على قبور الصالحين» انتهى ومعنى هذا الحديث كما ذكرنا أولا أن المنهي عنه اتخاذ نفس القبر مسجداً يعني محل السجود وهذا لا يوجد في الإسلام ولله الحمد. قال الشهاب الخفاجي في شرح الشفاء في شرح قوله ﷺ «اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد» أي يسجدون لها كما يسجدون للأوثان انتهى ونقل محشي المشكاة عن البيضاوي ما نصه كانت اليهود والنصارى يسجدون لقبور أنبيائهم ويجعلونها قبلة لهم ويتوجهون في الصلاة نحوها فقد اتخذوها أوثانا ولذلك لعنهم الله ومنع المسلمين عن مثل ذلك، أما من اتخذ مسجداً في جوار رجل صالح أو ولي في مقبرة وقصد به الاستظهار بروحه أو وصول أثر من أثار عبادته إليه لا للتعظيم والتوجه فلا حرج إليه ألا ترى أن مرقد إسماعيل عليه السلام في المسجد الحرام عند الحطيم ثم أن ذلك المسجد أفضل مكان يتحرى فيه المصلى لصلاته انتهى بالهامش: قوله (والتوجه) أي في الصلاة يتوجه إليه في الصلاة (أقول) ويؤيده قوله تعالى واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى فإن مقام وقوفه وهو الحجر لشرفه أمرنا الله أن نتحرى الدعاء والصلاة عنده لحصول البركة فيه والله أعلم فتبين أن مراد الحديث كما هو مقتضى اللفظ وقواعد العربية ما قلناه أولاً ومع هذا فالسجود حرام لا كفر يخرج عن الملة إذ لم يقل به أحد من العلماء كما لا يخفي والله أعلم » . أ.هـ من (صلح الإخوان من أهل الإيمان) ص١٤٨-١٤٩.

بالخروج إلى بقيع الغرقد[1] بل كان نهاه أن لو أراد الخروج.

وأيضاً فإنه عليه الصلاة والسلام قال: «زوروا القبور» [2] كما رواه مسلم وغيره بزيادة إلى غير ذلك مما علمهم عليه الصلاة والسلام كيفية الزيارة كما جاء في الأحاديث في زيارتها قولاً وفعلاً. وتواتر ذلك وأجمع عليه المسلمون حتى أن منهم من أوجب زيارتها لظاهر قوله عليه الصلاة والسلام «زوروا (١٦٧/أ) القبور» .

فلو كانت الزيارة من الأمور التي تؤدي إلى الشرك كاتخاذها مساجد وعيداً والتصوير ونحو ذلك لم يشرعه الله عز وجل لنبيه ﷺ ولا شرعها ورسول الله ﷺ بقوله وبفعله وقد أطلعه الله عز وجل على ما أراد من غيبه وبعثه بدينه ا لقويم وهو الصراط المستقيم، ولا فعلها الصحابة رضي الله عنهم الذين هم من أصفياء الله تعالى بل كانوا أحرص الناس على ذلك خوفاً من إعادة ما جاء رسول الله ﷺ بإماتته ودفنه واندراس أثره والله أعلم.

وأنت أيها العاقل الفطن إذا تصورت ما قررته لك[١] وتعقلته بذهنك الصحيح علمت وتحققت أنه ليس لأحد أن يحرم إلا ما حرم الله تعالى ورسوله وأنه لا يحل له التهجم على موارد الشرع ومصادرها بخيالاته الفاسدة. وأنه بذهنه الجامد أدرك ما لم يدركه الصحابة ﷺ ولو فتحنا هذا الباب والخيالات[٢] الفاسدة لهدمنا أموراً كثيرة من الدين ولا انحلت عراه عروة وتبدلت[٣] بعرى الجهالة ولمات الدين وذلك من الخسران المبين[٤].

فالقول ما قال (١٦٧/ب) النبي وصحبه فإذا اقتديت بهم فنعم المقتدى

(١) في ط: ما نقلته.

(٢) في ط: وتتبعها هذه الخيالات.

(٣) في ط: وتتبدلت وصحبه بعد الجهالة.

(٤) من قوله ولا نحلت - إلى - ولمات الدين - سقطت من ج.

---

(1) صحيح مسلم -كتاب الجنائز- باب: ما يقال عند دخول القبور.

وأما زيارة قبور الشهداء فهى عند البيهقي في (دلائل النبوة) وغيره.

(2) صحيح مسلم كتاب صلاة الجنائز - باب استئذان النبي ﷺ ربه في زيارة قبر أمه.

[ح- احتجاج ابن تيمية على منع الزيارة بدعاء الرسول ﷺ (اللهم لا تجعل قبري وثنا...) مع أن دعاءه ﷺ مستجاب]

واعلم أن من جملة ما احتج به على منع زيارته عليه الصلاة والسلام[١]: «اللهم[٢] لا تجعل قبري وثنا يعبد[٣]. اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد».

وهذا من أظهر الأمور على عماوة[٤] قلبه وطمس بصيرته كيف بقي يتخيل[٥] متخيل فضلا عن أن يعتقد معتقد أن قبره المكرم المعظم يصير وثناً كلا والذي رفع ذكره وعلا[٦] قدره وبجلّه وعظمه وملأ كتابه بذلك لا يمكن تصور ذلك وكيف يتصور وهو لا ترد له دعوة ولا[٧] في حق غيره فكيف بما هو في حقه وهذا من المعلوم الشائع الذائع المتسع[٨] الباع ولو عددت لك نقطة[٩] من ذلك مع الاقتصاد لضاقت القراطيس والألواح. ولما أدرك غبار مباديه ولا لاح.

[١-] دعا عليه الصلاة والسلام لسعد بن أبي وقاص رضي الله عنه أن يجيب الله تعالى دعوته[1] فما دعا على أحد إلا استجيب له، وإذا كان هذا قد ناله ببركة دعوته ﷺ فكيف بدعائه لنفسه لا سيما في هذا الأمر الفظيع.

(١) في ب-ج-ط: زيارة قبره عليه الصلاة والسلام وفي ج: ﷺ.
(٢) في ط: حديث: اللهم.
(٣) في ط: وعيداً.
(٤) في ط: عمى.
(٥) في ط: كيف يتخيل.
(٦) في ب-ط: وأعلى.
(٧) في ط: ولو في.
(٨) في ط: عند المتسع.
(٩) في ب: لفظة.

---

(1) روى الترمذي عن سعد بن أبي وقاص أن رسول الله ﷺ قال: « اللهم استجب لسعد إذا دعاك » حديث رقم ٣٧٥٢ في المناقب - باب مناقب سعد بن أبي وقاص وإسناده صحيح ورواه ابن حبان في صحيحه والحاكم في المستدرك وصححه ووافقه الذهبي.

[٢-] ومرض أبو طالب فعاده عليه الصلاة والسلام فقال ادع ربك أن يعافيني فقال: اللهم اشف عمي (١٦٨/أ) فقام في الحال كأنما نشط من عقال. فقال له: يا ابن أخي أيطيعك ربك؟ فقال: وأنت يا عماه[١] لئن أطعت الله عز وجل ليطيعنك.

[٣-] ودعا عليه الصلاة والسلام لابنته فاطمة رضي الله عنها أن الله تعالى لا يجيعها. قالت رضي الله عنها: فما جعت بعد[1].

[٤-] ودعا عليه الصلاة والسلام لعلي ﷺ أن يكفيه الحر والبرد فكان يلبس في الشتاء ثياب الصيف وفي الصيف ثياب الشتاء ولا يصيبه حر ولا برد[2].

[٥-] ودعا عليه الصلاة والسلام لابن عباس رضي الله عنهما فقال: «اللهم فقهه في الدين وعلم به التأويل» [3] فكان كذلك وكان بعد ذلك يسمى الحبر وترجمان القرآن.

[٦-] ودعا [لعبد الله] [٢] بن جعفر بالبركة في صفقة يمينه فما اشترى شيئاً إلا ربح فيه[4].

---

(١) في ط: فقال: يا عماه.

(٢) في أ-ب-جـ-ط: عبد الرحمن، وهو سبق قلم من المؤلف ﷺ والصواب ما أثبتناه.

---

(1) رواه الطبراني في الأوسط عن عمران بن حصين يقول الحافظ الهيثمي في مجمع الزوائد: «وفيه عتبة بن حميد وثقه ابن حبان وغيره وضعفه جماعة، وبقية رجاله وثقوا » أ.هـ ٢٠٤/٩.

(2) رواه الطبراني في الأوسط عن عبد الرحمن بن أبي ليلى ذكر ذلك الهيثمي في مجمع الزوائد ١٢٢/٩ ثم قال: « وإسناده حسن » أ.هـ.

(3) حديث صحيح رواه أحمد والطبراني وابن حبَّان بأسانيد متعددة والحاكم وصححه وأقره الذهبي.

(4) « روى عمرو بن حريث أن رسول الله ﷺ مرَّ بعبد الله بن جعفر وهو يبيع بيع الغلمان أو الصبيان قال: (اللهم بارك له في بيعه أو قال في صفقته) رواه أبو يعلى والطبراني ورجالهما ثقات» أ.هـ مجمع الزوائد ٢٨٦/٩ وانظر دلائل النبوة للبيهقي ٢٢٠/٦ -٢٢١.

[٧ -] ودعا عليه الصلاة والسلام لعروة بن أبي الجعد فكان لو اشترى التراب لربح فيه(1).

[٨ -] ودعا عليه الصلاة والسلام لعبد الرحمن بن عوف ﷺ بالبركة قال عبد الرحمن: فلو رفعت حجراً لرجوت أن أصيب تحته ذهباً(2).

[٩ -] وندت له عليه [الصلاة](١) والسلام ناقة فدعا بردها فجاءتها(٢) إعصار ريح حتى ردها عليه.

فانظر كيف من كساه خلع القرب والمنزلة عنده أن جعلها سائسة (١٦٨ /ب) بعيره. والإعصار أحد الأعاصير وهو الريح العاصف التي ترتفع إلى السماء كأنها عمود.

[١٠ -] وفي حديث أسماء بنت عميس رضي الله عنها أنه عليه الصلاة والسلام كان يوحى إليه ورأسه في حجر علي ﷺ فلم يصل العصر حتى غربت الشمس فقال عليه الصلاة والسلام: اللهم إنه كان في طاعتك وطاعة رسولك فاردد عليه الشمس قالت أسماء رضي الله عنها: فرأيتها غربت، ثم

(١) في ب-ج-ط:

(٢) في ب: فجلبها وفي ط: فجاءها.

---

(1) انظر دلائل النبوة للبيهقي ٦/٢٢٠، دلائل النبوة لأبي نعيم ص ٣٩٥.

(2) دعاء الرسول ﷺ لعبد الرحمن بن عوف بالبركة في قصة زواجه « ... قال: بارك الله لك أو لم ولو بشاة » أخرجه البخاري: كتاب (النكاح) – باب كيف يدعى للمتزوج. وأخرجه مسلم: كتاب (النكاح) – باب: الصداق وجواز كونه تعليم قرآن وخاتم حديد وغير ذلك.

أما عبارة عبد الرحمن: « فلقد رأيتني ولو رفعت حجراً لرجوت أن أصيب تحته ذهبا أو فضة» فهو من رواية البيهقي في دلائل النبوة ٦/٢١٩ وأخرجه أبو داود أيضاً في كتاب (النكاح) باب: (قلة المهر).

رأيتها طلعت بعد ما غربت ورفعت[1] على الجبال، وذلك بالصهباء بخيبر. وقيل رجعت حتى بلغت نصف المسجد[3]

(١) في ط: ووقعت.

---

(1) روى هذا الحديث ستة من الصحابة من طرق بعضها حسن فهو بمجموعها صحيح إن شاء الله، وأقر ذلك جمهور الحفاظ والمحدثين كما سيأتي، ومن شذ وحكم بوضعه أو ضعفه كابن الجوزي فهو بالنظر إلى بعض طرقه الضعيفة. أما ابن تيمية فقد حكم بوضعه في كتابه (منهاج السنة) بسبب تعصبه وبغضه لأمير المؤمنين علي ﷺ. انظر (الأحاديث المنتقاة في فضائل رسول الله) ص ٢٤- ٢٦ للسيد/ عبد الله الصديق الغماري قال: « ورد أن الشمس ردت على النبي ﷺ فروى الطحاوي في (مشكل الآثار) من طريقين » : وذكر الطريقين بالهامش:

« قال في الطريق الأول: حدثنا أبو أمية ثنا عبيد الله بن موسى العبسي ثنا الفضيل بن مرزوق عن إبراهيم بن الحسن عن فاطمة بنت الحسين عن أسماء بنت عميس.

وقال في الطريق الثاني: حدثنا على بن عبد الرحمن بن محمد بن المغيرة ثنا أحمد بن صالح – هو المصري الحافظ المشهور – ثنا ابن أبي فديك حدثني محمد بن موسى عن عون بن محمد عن أمه أم جعفر عن أسماء بنت عميس » ثم قال:

« عن أسماء بنت عميس قالت: كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يوحى إليه ورأسه في حجر علي فلم يصل العصر حتى غربت الشمس فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: أصليت يا علي؟ فقال: لا. فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: اللهم إنه كان في طاعتك وطاعة رسولك فاردد عليه الشمس، قالت أسماء: فرأيتها غربت ثم رأيتها طلعت بعد ما غربت ووقعت على الجبال والأرض وذلك في الصبهاء بخيبر.

قال الطحاوي هذان الحديثان ثابتان ورواتهما ثقات.

ونقل عن الإمام أحمد بن صالح المصري أنه كان يقول: لا ينبغي لمن سبيله العلم التخلف عن حفظ حديث أسماء لأنه من علامات النبوة أ.هـ. ووافق الطحاوي على تصحيحه أيضاً القاضي عياض في الشفاء ورواه الطبراني في الكبير بإسناد حسن كما نص عليه الحافظ أبو زرعة ابن العراقي في شرح التقريب أما ابن الجوزي فذكره في الموضوعات وتبعه ابن تيمية فحكم بوضعه أيضاً في رده على الروافض لأجل ذكر عليّ فيه، ولو ذكر فيه أبو بكر أو عمر بدله كان أول المصححين له بكل قواه. وانحراف ابن تيمية عن علي وأهل البيت معروف حتى حكم عليه بالنفاق لأجل ذلك.

وفي أوسط معاجم الطبراني بإسناد حسن كما قال أبو زرعة ابن الحافظ العراقي «عن جابر بن عبد الله أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أمر الشمس فتأخرت ساعة من نهار» ثم قال في الهامش تعليقا على رواية الطبراني في الكبير: « قال حدثنا جعفر بن أحمد بن سنان الواسطي ثنا على بن المنذر ثنا محمد بن فضيل ثنا فضيل بن مرزوق عن إبراهيم بن الحسن عن فاطمة بنت على عن أسماء بنت عميس. وعزاه الحافظ في الفتح إلى الحاكم والبيهقي أيضاً ونص كلامه:

«روى الطحاوي والطبراني في الكبير والحاكم والبيهقي في الدلائل عن أسماء بنت عميس أنه ﷺ دعا لما نام على ركبة علي ففاته صلاة العصر فردت الشمس حتى صلى عليّ ثم غربت وهذا=

ومثل هذا كثير جداً وقد ذكرت جملة من ذلك في فصل[1] الحج من كتاب (تنبيه السالك على مظان المهالك).

(١) في ب: وقد ذكرت في فصل.

= أبلغ في المعجزة وقد أخطأ ابن الجوزي في إيراده في الموضوعات وكذا ابن تيمية في كتاب الرد على الروافض في زعم وضعه والله أعلم أ.هـ بلفظه وقال الحافظ أبو بشر الدولابي في كتاب الذرية الطاهرة: حدثني إسحاق بن يونس ثنا سويد بن سعيد عن المطلب بن زياد عن إبراهيم ابن حيان عن عبد الله بن الحسين عن فاطمة بنت الحسين عن الحسين بن على رضي الله عنهما قال: كان رأس رسول الله ﷺ في حجر علي وكان يوحى إليه فلما سرى عنه قال لي: يا عليّ صليت العصر. قال لا: قال اللهم إنك تعلم أنه كان في حاجتك وحاجة رسولك فردَّ عليه الشمس فردَّها عليه فصلى وغابت الشمس أ.هـ قال العلامة المحدث أبو عبد الله محمد بن يوسف الدمشقي الصالحي في جزء (مزيل اللبس عن حديث رد الشمس): «اعلم أن هذا الحديث رواه الطحاوي في كتاب (شرح مشكل الآثار) عن أسماء بنت عميس من طريقين وقال: هذان الحديثان ثابتان ورواتهما ثقات ونقله القاضي عياض في (الشفا) والحافظ ابن سيد الناس في (بشرى اللبيب) والحافظ علاء الدين مغلطاي في كتاب (الزهر الباسم) وصححه الحافظ أبو الفتح الأزدي وحسنه الحافظ أبو زرعة ابن العراقي وشيخنا الحافظ جلال الدين السيوطي في الدرر المنتثرة في الأحاديث المشتهرة.

وقال الحافظ أحمد بن صالح وناهيك به: لا ينبغي لمن سبيله العلم التخلف عن حديث أسماء لأنه من أجلّ علامات النبوة وقد أنكر الحفاظ على ابن الجوزي إيراده الحديث في الموضوعات فقال الحافظ أبو الفضل ابن حجر في باب قول النبي ﷺ (أحلت لكم الغنائم) من (فتح الباري) بعد أن أورد الحديث: «أخطأ ابن الجوزي بإيراده في الموضوعات» أ.هـ ثم قال: «إن هذا الحديث ورد من طريق أسماء بنت عميس وعلى وابنه الحسين وأبي سعيد الخدري وأبي هريرة رضي الله عنهم» ثم أوردها وتكلم على أسانيدها ثم قال:

قد علمت مما أسلفناه من حكم الحفاظ في هذا الحديث وتبين حال رجاله أنه ليس فيه متهم ولا من أجمع على تركه، ولاح لك ثبوت الحديث وعدم بطلانه و لم يبق إلا الجواب عما أعلّ به وقد أعل بأمور فذكرها وأجاب عنها بأجوبة شافية، كذا في كتاب (الأمم لإيقاظ الهمم) للعلامة المحقق الشيخ إبراهيم الكوراني، قلت حسن الحافظ السيوطي حديث أسماء في أواخر (الدرر المنتثرة) وعزاه في الخصائص الكبرى لابن شاهين وابن منده والطبراني، وقال: بعض أسانيده على شرط الصحيح وعزا حديث أبي هريرة لابن مردويه، وذكر في اللآلئ المصنوعة جزءاً لبعض المتقدمين في طرق هذا الحديث أورده بتمامه فليراجع هناك.

بل للحافظ السيوطي نفسه جزء « كشف اللبس عن حديث رد الشمس » وذكر الذهبي في ترجمة الحافظ الحسكاني أن له مجلساً – يعني مجلس إملاء – في تصحيح رد الشمس لعلي يدل على تشيعه وخبرته بالحديث أ.هـ ص ٣٦٨ ج ٣ تذكرة الحفاظ طبعة ثانية بحيدر أباد. ولا تنس أن الذهبي شامي من تلاميذ ابن تيمية وانظر كتاب تنزيه الشريعة المرفوعة لابن عراق » أ.هـ.

يا من أمد أبا هر بمزودة فأوقرت منه للغادين أحمال
جئناك نطوي الفجاج المقفرات على عيس لها وجد وإرقال[١]
حملن وقر الليل الشوق قادمهم وما ثنى العزم عنهم عنك عذال[٢]

[١١-] قال أبو هريرة ﷺ: أصاب الناس مخصمة فقال لي رسول الله ﷺ: » هل من شيء؟ قلت: نعم شيء من التمر في المزود. قال: فأتني به. فأدخل يده فأخرج قبضة فبسطها ودعا بالبركة. ثم قال: (١٦٩/أ) ادع عشرة. فأكلوا حتى شبعوا. ثم عشرة كذلك حتى أطعم الجيش كلهم وشبعوا. قال: خذ ما جئت به وأدخل يدك واقبض منه ولا تكفئه. فقبضت على أكثر مما جئت[٣] به فأكلت منه. وأطعمت حياة رسول الله ﷺ وأبي بكر وعمر رضي الله عنهما إلى أن قتل عثمان ﷺ فانتهب مني فذهب «وفي رواية فقد حملت من ذلك التمر كذا وكذا من وسقاً[٤] في سبيل الله تعالى[1].

فقد تحققت بهذا فضلا عن غيره مثل[٥] الرمال كثرة يا صحيح الذهن وقوي الإيمان به أنه لا يكون قبره وثناً ألبته .

(١) في ج: عيسى لها في الاجى وجد وأرقال. وفي ط: عيسى لها في السرى وجد وإرقال.
(٢) هذا البيت غير موجود في ط.
(٣) في ط: أكثر ما جئت.
(٤) في ط: وكذا أوسقاً.
(٥) في ط: وهو مثل.

(1) حديث صحيح بمجموع طرقه، له طرق عديدة بعضها حسن. أخرجه الترمذي في مناقب أبي هريرة في سننه وقال: « هذا حديث حسن غريب » .
وأخرجه أحمد في مسنده ٣٥٢/٢ وقال السيوطي في (الخصائص الكبرى) ٥١/٢: «وأخرجه ابن سعد والبيهقي وأبو نعيم من طريق أبي العالية عن أبي هريرة... » وذكر الحديث وأخرجه الإمام البيهقي في دلائل النبوة ١٠٩/٦-١١١ فذكر له ثلاث روايات منها رواية محمد بن سيرين عن أبي هريرة فذكر فيها أنه أخذ منها خمسين وسقا من التمر في سبيل الله، وفي روايته عن زيد بن منصور عن أبيه عن أبي هريرة فذكر فيها: « أكلت منه أكثر من مائتي وسق».
والوسق يساوي ١٢٠,٥ كيلو جراما بمقاييس زمننا انظر تعليق حسين سليم أسد، وعبده على كوشك على موارد الظمآن ٥٢/٧ حديث رقم (٢٥١٠).
وهذا الحديث من دلائل النبوة وله نظائر كثيرة في بابه من كتب السنة.

[بشارته ﷺ بأن الشيطان لن يعبد في جزيرة العرب وعليه فلن يكون القبر المكرم وثنا]

بل في الحديث الصحيح: (قد أيس الشيطان أن يعبد في جزيرة العرب)[1] أو مثل هذا السيد المعظم(١) المكرم لا يتوسل به ولا تشد الرحال إليه قاتل العزيزُ(٢) من قاله وضاعف العذاب عليه.

جدير بنا نسعى إليه وندلج ... فذاك الذي يُسعى إليه ويدلج
جعلنا إليه في الحياة احتياجنا ... ونحن إليه في القيامة أحوج
جميع الورى والرسل تحت لوائه ... ومن ذا له عن جاه أحمد مخرج

أو لهذا السيد الجليل المبجل (١٦٩/ب) لا يشد إليه رحل ولا يتوسل قاتل قائله(٣) وجعله على رضف جهنم متململ(٤).

زكا قدره من ذا يجاريه في العلا ... وأعلامه في ذروة العز تركز
زحاماً ترى للرسل تحت لوائه ... وكل نبي باللوا يتعزز
زعيم بتعجيل الشفاعة عندما ... أولو العزم عنها في القيامة تعجز
زفير لظى عنا يرد بجاهه ... إذا هي من غيظ علينا تميز
زكاة على الأبدان تسعى لقبره ... فسيروا وزوروا فالغنائم تحرز

(١) في ب: العظيم.

(٢) في ب-ط: قاتل الله العزيز.

(٣) في ب-ج: ولا يتوسل، قاتل الله قائلة وفي ط: ولا يتوسل به قاتل الله قائله.

(٤) في ب-ج: يتململ وفي ط: يتمايل.

---

(1) حديث صحيح رواه جابر بن عبد الله ﷺ - أخرجه: مسلم كتاب (المنافقين) - باب (تحريش الشيطان وبعثه سراياه)، الترمذي كتاب (البر والصلة)- باب: ما جاء في التباغض، أحمد في مسنده عن جابر ٣١٣/٣، ٣٥٤، ٣٦٦، ٣٨٤ ومن حديث عم أبي حمزة الرقاشي ٧٣/٥.

فمـن زاره نال السعـادة كلها ومن مات عجزاً ذاك والله أمـيز

فمن توسل به عليه الصلاة والسلام إنما توسل به[١] لعلو قدره ومرتبته[٢] وارتفاع منزلته وكمالها عند ربه[٣] وعظم إدلاله[٤] وفضله على جميـع خلقـه ﷺ كما أخبر هو عن نفسه فإنه سيد الأولين والآخرين وحبيـب رب العـالمين وأحب الخلق إليه أجمعين ذلك شائع وذائـغ في الأقدمـين والآخريـن حتـى في أعدائه المبطلين.

قديمـاً بـدا قبـل النبيـين فضـله وإن قدِّموا بعثا ففي الفضـل أسبق

قضى الله أن لا يلحق الرسل لاحق ولا أحد منهم(١٧٠/أ) بأحمد يلحق

قطعنـا بـأن لا يخلـق الله شبـهه قديماً ولا في آخـر الخلق يخلـق[٦]

قل الحق هل تدري لأحمد مشبهاً فبـادر وقـل لا لا فـإنك تصـدق

قرأنـا أحاديثـاً صحاحـاً بأنـه عليه لـواء الحمد في الحشـر يخفـق

قيام لك[٥] الأملاك والرسـل تحته ومن حولـه صفـوا وحفـوا وأحـدق[٧]

قـوي ولكـن لـين في أناسـه رفيـق ولكـن بالمساكـين أرفـق

قريـب لأرباب الحوائج ما تـرى لأحمد حجاباً ولا البـاب يغلـق

وكيف لا يكون كذلك وهو كما قيل فيه:

أكـرم العالمـين أصـلا وفضـلا[٨] وجـلالا وسيـد البطحـاء

(١) في ج: توسل لعلو.

(٢) في ط: ورتبته.

(٣) في ط: ربه تعالى وتقدس.

(٤) في ب: وعظيم ادلاله وفي ط: وعظم إجلاله.

(٥) في ط: قياماً له.

(٦) في ج: قديماً ولا في آخر هو يخلق.

(٧) في ب-ج-ط: وأحدقوا.

(٨) في ب-ط: وفصلاً.

خص بالحوض والشفاعة في الحشر لكـل الـورى ورفـع اللـواء
والمقـام المحمـود والسبـق للنـا س دخـولا في الجنـة الفيحـاء
ثـم يعطـى وسيلـة هـي أعـلى درجـات الجنـان ذات البقـاء
هـو جـاري وعـدتي ونصـيري وعمـادي في شـدتي ورجـائـي

وليس هذا خاص بي وبفقري بل هو كما قيل فيه:

له المقـام الـذي مـا نالـه أحـد والفخر والمجد والإحسـان والحسـب
وهو الشفيـع الذي تنجي شفاعته كـل الأنـام إذا مـا مسـها العطـب
محمد خـير خلـق الله قاطبـة وهو الذي لفخار المجد يكتسب(١٧٠/ب)
نـوه به يـا منـادي الحـي إن بـه يزول عن قلـبي[1] الالآم والكـرب
عـان لـه مقـلة تشـتاق تنظـره وكبده بلهيـب الشـوق تلتهب[2]

وكيف لا تلتهب وقد شاهدت ما شهدت مما لا يمكـن[3] النطـق بـه ولا أفوه وكيف وكيف وكيف[4] أسلوه:

رعـى الله بالبطحـاء أيامنـا الـتي مضت كوميـض البرق ثم تولـت
وحيـا قبابـاً بـين سلـع إلـى قبـا لعزتـها يحلـو خضوعـي وذلـتي
نعمـت بها لكـن كأحـلام نائـم كأن لم تزرها العيس حتى تولـت
فهل لي إلى تلك المعالم[5] عـودة ولو دونهـا بيض الصـوارم سلت
وألثـم إجـلالا ثراهـا وأجتـلي شمـوسـي في أرجائهـا وأهلـتي

(١) في ب: يزول عني الآلام. وفي ط: نزول عني قلبي.
(٢) في ب: يلهب وفي ج-ط: ومهجة بلهيب الشوق تلتهب.
(٣) في ب: وقد شاهدت ما لا يمكن.
(٤) في ط: وكيف كيف.
(٥) في ط: العوالم.

سقى الله ذات الظل من داره الحمى ... حياً[٣] نهلت منه رباها وعلت

وسحت على أعلام سلع مزينة[١] ... غمائهم بالنوء الروي استهلت

فتلك لعمر الله دار أحبتي ... وسكانها كل المراد وبغيتي

ألا ليت شعري هل أزور قبابها ... فتحمد فيها العيس شدي ورحلتي

وأنشد في أكنافها متعوضاً[٢] ... لمن نظم مدحي فيه بيت قصيدتي

ألا يا رسول الله أنت وسيلتي ... إلى الله إذ ضاقت بما رمت حيلتي

وإن شئت قلت:

-------------------- ... إلى الله في غفران ذنبي وزلتي

فالتوسل به عليه أفضل الصلاة والسلام لم يزل منذ آدم عليه السلام لا يتوقف فيه أحد ولا يطعن (١٧١/أ) إلى أن أظهر نقصه[٤] زنادقة اليهود وغلاتهم في بغضه عليه [الصلاة][٥] والسلام وأنه[٦] بموته بطلت حرمته وجاهه فلا يتوسل به ولا يقال: يا جاه محمد وتم ذلك بتوارث سلالتهم معتقدين ذلك مصرين عليه.

ثم زاد هذا الخبيث أن التوسل به شرك وقرره بتقرير ألحقه بقوله ﴿ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى﴾[1].

---

(١) في ط: مديمة وفي ب: بزبتة.

(٢) في ط: مترنماً.

(٣) في ط: دارة الحمى حي.

(٤) في ب: أظهر بعضه زنادقة وفي ط: ظهر بعض زنادقة.

(٥) في ب-ج-ط:

(٦) في ط: قال وأنه.

---

(1) الآية ٣، من سورة الزمر .

وذلك يدل على أنه مـن أجـهل الجهلـة. فـإن التوسـل بـه عليـه الصـلاة والسلام معناه: أسأل الله عز وجل برسوله وأتشفع إليه به هو. فهو سائل الله عز وجل لا لغيره.

ولا يلزم من التوسل به أو بشخص والتشفع إليه به أن يكـون عَبَـده ولا اتخذه إلها ورباً من دونه[١] ولا جعله شريكاً في ألوهيته[٢] ومن جعل التوسـل بشخص مثل هؤلاء فهو من جهله وسوء فهمه وعدم تعقله ما يقول.

---

(١) في ب-ط: من دون الله.

(٢) في ب-ج-ط: الألهية.

[ط- عرض أعمالنا على رسول الله ﷺ في قبره ودعائه لنا دليل للتوسل به]

ومثل هذا لا يحل لأحد أن يقلده ولا ينظر في كلامه إلا من له رتبة التمييز بين الحق والباطل وإلا هلك وهو لا يشعر. وقد قال عليه الصلاة والسلام: «حياتي خير لكم ومماتي خير لكم» قالوا: يا رسول الله قد عرفنا أن حياتك خير لنا فكيف وفاتك خير (١٧١/ب) لنا. قال: «أما حياتي فإنكم كلما أحدثتم حدثاً أحدث الله لكم المخرج منه بي فإذا مت فلا أزال أنادي من قبري ربي أمتي حتى ينفخ في الصور. ثم لا أزال أجاب أربعين سنة حتى ينفخ الأخرى وتعرض علي أعمالكم فما كان من حسن شكرت الله عليه وما كان من سيء دعوت الله تعالى أن يغفره »

رواه الإمام العلامة هبة الله في كتابه (توثيق عرى الإيمان)[1] ورواه غيره.

---

(1) وأخرجه أيضاً البزار في مسنده عن ابن مسعود ﷺ انظر (كشف الأستار ٣٩٧/١) قال الحافظ العراقي في (طرح التثريب) ٢٩٧/٣: إسناده جيد وقال الحافظ الهيثمي في (مجمع الزوائد) ٢٤/٩: رواه البزار ورجاله رجال الصحيح.

وصححه الحافظ السيوطي في (الخصائص) ٢٨١/٢، وفي (تخريج أحاديث الشفا) وكذا على القارى والشهاب الخفاجي والمحدث القسطلاني وله مع ذلك نحو عشرين طريقا من أصحها ما أخرجه القاضي إسماعيل في فضل الصلاة على النبي ﷺ (ص ٣٨،٣٩) من طريقين صحيحين عن بكر بن عبد الله المزني مرسلا.

وللسيد عبد الله بن الصديق الغماري جزء مطبوع اسمه: (نهاية الآمال في شرح وتصحيح حديث عرض الأعمال) وذكره أيضاً في كتابه (إتحاف الأذكياء) وقال فيه: « وهذا الحديث يدل دلالة صريحة على أن النبي عليه السلام يشفع لأمته بعد انتقاله باستغفاره لهم على هذا يجوز التوسل به لأنه استشفاع » أ.هـ. ص ٢٨ – ٢٩.

ثم أشار ﷺإلى أن عرض الأعمال المذكور في الحديث هو عرض إجمالي لا يلزم أن يكون عليه السلام عارفاً بأعمال الأمة وبأفرادهم على سبيل الإحصاء والتفصيل وانظر (رفع المنارة) ص ١٥٦ فما بعدها.

فهو عليه الصلاة والسلام رحمة لنا في حياته وبعد وفاته فكيف لا يتوسل به إليه ولا نُعمل البزل[1] القناعيس[2] نحوه وإليه، وذلك مما أجمع أهل التوحيد عليه وأجمعوا على تكفير من قال بخلاف ذلك، صرح به أئمة الأمة وأولهم مالك.

وكان ابن تيمية ممن يعتقد ويفتي بأن شد الرحال إلى قبور الأنبياء حرام لا تقصر فيه الصلاة ويصرح بقبر الخليل وقبر النبي ﷺ وجاء بريدي من مصر باعتقاله على ذلك فاعتقل.

---

(1) البزل: جمع بازل، وهو البعير الذي طلع نابه.

(2) القناعيس: جمع، وهو الجمل الضخم العظيم.

[الخاتمة: أتباع ابن تيمية]

وكان على هذا الاعتقاد تلميذه ابن قيم الجوزيـة الزرعـي وإسماعيل بـن كثير الشركويني. فاتفق أن ابن قيم الجوزية سافر إلى القدس الشـريف ورقـي على منبر في الحرم ووعظ (١٧٢/أ) وقال في أثناء وعظه بعد أن ذكر المسـألة وقال: هأنا أرجع[١] ولا أزور الخليل. ثـم جـاء إلى نـابلس وعمـل لـه مجلس وعظ وذكر المسألة بعينها حتى قال: فلا يزار[٢] قبر النبي ﷺ فقام إليه النـاس وأرادوا قتله فحماه منهم وإلى نابلس.

وكتب أهل القدس وأهل نابلس إلى دمشق يعرفون صـورة مـا وقـع منه فطلبه القاضي المالكي فتودد[٣] وصعد إلى الصالحية إلى القـاضي شمـس الديـن بن مسلم الحنبلي وأسلم على يديه فقبل توبته وحكم بإسلامه وحقن دمه و لم يعزره لأجل ابن تيمية.

ولما كان يوم الجمعة رابع شعبان جلس قاضي[٤] جلال الدين بعد العصر بالمدرسة العادلية وأحضر جماعة من جماعة ابن تيمية كانوا معتقلين في سـجن الشرع فادعي على إسماعيل بن كثـير صـاحب التـاريخ أنـه قـال: إن التـوراة والإنجيل ما بدلا وأنهما بحالهما كما أنزلتا[٥] وشهدوا عليـه بذلـك وثبـت في وجهه فعزر في المجلس بالدرة وأخرج وطيف به ونودي عليه بما قاله(1).

---

(١) في ط: راجع.

(٢) في ط: فلا يزور.

(٣) في ب: ليأدبه. وفي ج-ط: فتردد.

(٤) في ط: القاضي.

(٥) في ط: أنزلا.

---

(1) وهو قد تبع في هذا ابن تيمية:

يقول الإمام سلامة العزامي عن ابن تيمية:

واستفتي: هل وقع في ألفاظ التوارة تغيير؟ فأفتى وطول بمـا لـو قرأتـه لظننت إن المفـتي مـن أكابر أحبار يهود المباهتين » أ.هـ البراهين الساطعة ص ١٩٠.

=

ثم أحضر ابن قيم الجوازية وادعي عليه بما قاله في القدس الشريف وفي

= قال عز وجل: ﴿ومنهم أميون لا يعلمون الكتاب إلا أماني وإن هم إلا يظنون، فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا، فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون﴾البقرة.

عن ابن عباس أنه قال: يا معشر المسلمين كيف تسألون أهل الكتاب عن شيء وكتاب الله الذي أنزله على نبيه أحدث أخبار الله تقرأونه غضاً لم يشب وقد حدثكم الله تعالى أن أهل الكتاب قد بدلوا كتاب الله وغيروه وكتبوا بأيديهم الكتاب وقالوا هو من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا، أفلا ينهاكم ما جاءكم من العلم عن مساءلتهم ولا والله ما رأينا منهم أحداً قط سألكم عن الذي أنزل عليكم » رواه البخاري من طرق عن الزهري ونقله ابن كثير في تفسير الآية ٧٩ البقرة وذكر أيضاً في تفسيرها عن ابن عباس وقتادة وعكرمة أن الآية نزلت في اليهود.

انظر تفسير ابن كثير نفسه.

ورغم هذا سبق نقل كلام ابن تيمية في تعضيد بدعة التجسيم بما جاء في التوراة المحرفة.

ولابن كثير مواقف أخرى غريبة في تفسيره وتاريخه تأثر فيها من وجهين بشيخه منها:

١- عند تفسيره لآية ﴿ وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون ﴾ يوسف: ١٠٦.

ذكر رواية ابن عباس في تفسير الآية بأن المشركين يعترفون بأن الله هو خالق السماوات والأرض ومع ذلك يشركون معه في العبادة غيره.

ولم يشر من قريب أو بعيد لما رواه ابن جرير وغيره عن ابن عباس من تفسيره للآية بأنهم المشبهة الذين يشبهون الله بخلقه مع صحة هذه الرواية عنه.

٢- عن تفسيره للآيات التي تصور كلام سيدنا موسى مع عدو الله فرعون وقول فرعون (وما رب العالمين؟) وعلى الرغم من أن المحققين من المفسرين وجمهورهم ذهب إلى أن (ما) يسأل بها عن الماهية وأن فرعون يحاول أن يتخيل الذات الإلهية ويتصورها ولسخافة هذا السؤال تجاهله سيدنا موسى وأجاب عن غيره وإذا بابن كثير يعترض على ذلك ويقول أن (ما) ليست للسؤال عن الماهية حتى لا يكشف فساد مذهب شيخه ابن تيمية.

٣- عند تفسير قوله تعالى ﴿ وما قدروا الله حق قدره ﴾ يروي ابن عباس رضي الله عنهما أن اليهود وصفوا الرب سبحانه فنزلت الآية وقد روى ذلك بإسناد حسن البيهقي في الأسماء والصفات فيتجاهل ذلك ابن كثير ولا يشير إليه أبداً ويذكر أن الحبر أتى إلى رسول الله ﷺ ... الحديث وفيه أن الله سبحانه يضع السماوات على أصبع... الخ وأن النبي ضحك تعجباً وتصديقاً!

وهذه نماذج من تأثر ابن كثير بشيخه ابن تيمية وإن كان هو أكثر اعتدالا من تلميذ ابن تيمية الآخر: ابن قيم الجوزية الذي لم يخرج عن آراء شيخه ابن تيمية بل نافح عنها بالباطل عاملهما الله بعدله.

٤- روايته لأحداث محاكمة ابن تيمية وعدم ذكر توبته وإقراره بالخطأ في العقيدة وغير ذلك.

نابلس فأنكر فقامت عليه البينة بما قاله (١٧٢/ب) فأدب وحمل على جمل ثم أعيدوا في السجن.

ولما كان يوم الأربعاء أحضر ابن قيم الجوزية إلى مجلس شمس الدين المالكي وادعوا عليه وأرادوا[1] ضرب عنقه. فما كان جوابه إلا أن قال: أن القاضي الحنبلي حكم بحقن دمي وبإسلامي وقبول توبتي. فأعيد إلى الحبس[2] إلى أن أحضر الحنبلي فأخبر بما قاله فأحضر وعزر وضرب بالدرة وأركب حماراً وطيف به في البلد والصالحية وردوه إلى الحبس ولم يزل هذا في أتباعه.

وحضر شخص إلى دمشق يقال له أحمد الظاهري وكان قد حفظ باب[3] المتشابه وأحاديثه فكان يسردها على العوام وآحاد الناس من الفقهاء فعظمه أتباع ابن تيمية وأكرموه. ثم إنه توجه إلى القاهرة فشرع يسرد الآيات والأحاديث فعلم به الإمام العلامة الشيخ سراج الدين البلقيني فطلبه وأعلم به برقوق فأخذوه وقيدوه. وكانوا يضربونه بالسياط أول النهار ثم يستعملونه في العمارة فإذا كان آخر النهار أعادوا عليه الضرب. ثم بلغني أن آخر الأمر أن ضربوا عنقه.

وكان الشيخ زين الدين بن رجب الحنبلي ممن يعتقد كفر ابن تيمية وله عليه الرد. وكان يقول بأعلى صوته في بعض المجالس: معذور (١٧٣/أ) السبكي - يعني في تكفيره -[4].

والحاصل أنه وأتباعه من الغلاة في التشبيه والتجسيم والازدراء بالنبي ﷺ

(١) في ط: المالكي وأرادوا.

(٢) في ب: السجن.

(٣) في ب-ج-ط: آيات.

(٤) في ب: معذور السبكي في تكفيره.

وببغض[(١)] الشيخين[(1)] وبإنكار الأبدال[(2)] الذين هم خلفوا الأنبياء.

(١) في ط: وبغض.

---

(1)وقد تقدم نماذج من كلامه فيهم وفي عثمان وعلي وفاطمة وغيرهم.

(2) يقول السيد الحافظ عبد الله الغماري في كتابه (إتحاف الأذكياء بجواز التوسل بالأنبياء والأولياء) عن أدلة التوسل:

الدليل الحادي عشر: أخرج أحمد في مسنده عن شريح بن عبيد قال ذكر أهل الشام عند علي بن أبي طالب وهو بالعراق فقالوا العنهم يا أمير المؤمنين قال: لا سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول « الأبدال بالشام وهم أربعون رجلا كلما مات رجل أبدل الله مكانه رجلا يسقى بهم الغيث وينتصر بهم على الأعداء ويصرف عن أهل الشام بهم العذاب، إسناده صحيح غير أن فيه انقطاعا لأن شريح بن عبيد لم يلق عليا لكن له شواهد فروى الحاكم عن عبد الله بن زرير الغافقي أنه سمع علي بن أبي طالب يقول: « لا تسبوا أهل الشام فإن فيهم الأبدال وسبّوا ظلمتهم » قال الحاكم صحيح وأقره الذهبي، وروى الطبراني في الأوسط عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم «لن تخلو الأرض من أربعين رجلا مثل خليل الرحمن فبهم تسقون وبهم تنتصرون ما مات منهم أحد إلا أبدل الله مكانه آخر » قال قتادة لسنا نشك أن الحسن- يعني البصري – منهم ، قال الحافظ الهيثمي في مجمع الزوائد: إسناده حسن وللحديث طرق كثيرة أفردت بالتأليف، ومعنى المثلية في قوله خليل الرحمن أنهم على طريقة إبراهيم عليه الصلاة والسلام في السخاء وسلامة الصدر والرحمة لجميع المسلمين كما جاء في أحاديث أخرى» أ.هـ ٣٢- ٣٣ ط. دار الطباعة الحديثة قلت: وللحافظ السيوطي رسالة في (الأبدال) ضمن كتاب (الحاوي) وكذا للعلامة الفقيه ابن عابدين الحنفي ضمن مجموع رسائله، هي رسالة: (إجابة الغوث ببيان حال النقبا والنجبا والأبدال والأوتاد والغوث).

يقول الحافظ السيد أحمد بن الصديق الغماري في كتابه (قطع العروق الوردية)- مخطوط- خلال كلامه على تلاعب ابن تيمية بنصوص الشريعة واختراعه قواعد جديدة في علم الحديث لم يسبقه إليها أحد تبيح له رد ما يشاء من الأحاديث الصحيحة أو الزيادة الواردة في بعض روايات الحديث بزعم أن هذا الحديث أو هذه الزيادة لم ترد في الكتب المشهورة أو لم ترد في كتاب كذا! ثم يستدل لنفسه أحياناً كثيرة بأحاديث يعزوها إلى أجزاء من أغرب الغرائب التي لم يسمع بها حتى كبار الحفاظ وهي غالبا من أجزاء فقهائهم الحنابلة كالخلال وابن بطة وأبي يعلى أما إذا=

ولهم دواهي أخر لو نطقوا بها لأحرقهم الناس في لحظة واحـدة. فنسأل الله تعالى العافية ودوامها إنه على ما يشاء قدير وبالإجابة جدير.

وجرسوا ابن القيم وابن كثير وطيف بهما في البلد وعلى باب الجوزية لفتواهم في مسألة الطلاق والله أعلم.

واعلم أني اقتصرت على الكلام على هذه الفتوى لإشاعتها بين العوام وفيها التعرض لمنع الوسيلة ومنع شد الرحال إلى قبر سيدنا رسول الله ﷺ واستدلاله لما قاله بالتحشير[١] والتمويهات التي بينا بطلانها وفسادها وأن ذلك من أظهر الأمور على فجوره في النقل والإعزاء[٢] وأن لا يحل لأحد أن يقلده[٣] ولا يأخذ عنه ولا ينظر في كلامه ولا يسمعه إلا من يكون له رتبة التمييز بين الحق والباطل وإلا هلك وهو لا يشعر.

(١) في ط: بالتجسير.

(٢) في ط: والإغراء.

(٣) في ط: وأن لا يحل أن يقلده.

= وردت في الكتب المشهورة و لم يجد طرقة لردها فإنه ينفي وجودها في هذه الكتب حتى لو كانت من أشهر كتب السنة. وضرب الحافظ أحمد الغماري مثالا على ذلك فقال:

«كقوله في منهاج السنة أنه لم يرد لفظ الأبدال عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلا في حديث واحد ضعيف مع أن حديث الأبدال متواتر مخرج في مسند أحمد إمامه وعمدته في دينه من حديث علي بن أبي طالب عليه السلام، ومن حديث عبادة بن الصامت ومن حديث أم سلمة رضي الله عنها وحديثها في سنن أبي داود أشهر كتب السنة والأول من السنن الأربعة التي هي مع الصحيحين معصم الإسلام .. » إلى أن قال: « ... ثم هو مع هذا يذكر في آخر كتابه (الصارم المسلول) أحاديث الأبدال ويصححها ويحتج بها، فحيث اقتضى المقام ردَّها وأنكر وجودها بالمرة وحيث اقتضى الجدال إثباتها: أوردها واحتج بها. وهكذا يفعل في كثير من الأحاديث ، فهل يبقى مع هذا ثقة بقوله أو اعتماد على دينه ؟! ... » أهـ. المقصود منه لوحتان رقمي ١٤،١٥.

[وصية مهمة]

ثم من الأمور المهمة المقربة إلى الله عز وجل وإلى رسوله وإلى وزيريه رضي الله عنهما بسط الألسن والأيدي (١٧٣/ب) فيهم جرياً على ما درج عليه العلماء والسلاطين منذ أثار هذا الخبيث هذه الخبائث وأن يعلن بالتوسل بسيد الأولين والآخرين وأن يعتنى بإظهار شد الرحال وإعمال المطي والأقدام إلى خير خلقه وحبيب القلوب من بذكره تنجلي الكروب. وتهتز الطروب. وبالصلاة والسلام عليه تذهب الذنوب. التي بسببها حصل الأبعاد عن المراد[1] وبعد الدار.

روى زيد بن أسلم أن عمر ﷺ خرج ليلة يحرس فرأى مصباحاً في بيت وإذا عجوز تنفش صوفاً وتقول:

على محمد صلاة الأبرار صلى عليه الطيبون الأخيار

قد كنت قواماً بكاء في الأسحار ياليت شعري والمنايا أطوار

هل تجمعني وحبيبي[2] الدار

تعني رسول الله ﷺ قال: فجلس عمر ﷺ يبكي شوقاً إلى حبيبه رسول الله ﷺ وتتصعد أنفاسه من نار الشوق. لولا دموع المحبين تطفئ نار الشوق

---

(١) في ط: المزار.

(٢) في ط: وحبيب وقد صححها المصحح.

(٢) في ب-ج-ط: وعرفت.

(٣) في ط: سلمى.

(٤) في ب-ج-ط: بحبه في ازدياد.

(٥) في ب: برباة وفي ط: برباها.

لاحترقت أكبادهم بأنفاسهم.

يا خليلي قد بلغت القصدا — وعزمت[٢] الغرام هزلاً وجدا
خلياني من ذكر سلع[٣] ونجد — ودعاني من حب سلمى وسعدى
أنا لي في حشاشتي حب بدر — أقسم الدهر أنه لا يتبدى (١٧٤/أ)
نار وجدي به في ازدياد[٤] — وغرامي به تزايد جداً
كلما رمت أنّ نفسي عنه — نتسلى أبت ولا تتهدى
وتراها إذا ترنم حاد — برباه[٥] يذوب شوقاً ووجدا
لا تلمها إذا بدت بحنين — وأنين يقد ذا القلب قدا
فلها معهد وأنس قديم — ليس يفنى وإن تطاول عهداً

كان الصديق ﷺ من المشغوفين بمحبة رسول الله ﷺ قال سيف بن عمر وكان سبب موت الصديق ﷺ وفاة رسول الله ﷺ كمد عليه[١] فما زال جسمه يحري[٢] حتى مات ﷺ[٣] والكمد الحزن المكتوم.

كنت السواد لناظري — وعليك كنت أحاذر
من شاء بعدك فليمت — فعليك يبكي الناظر[٤]

(١) في ب-ط: كمداً.

(٢) في ط: يتحرق.

(٣) غير موجوده في ب-ج-ط.

(٤) في ط: احفظ البيتين هكذا:

كنت السواد لناظري — فعمى عليك الناظر
من شاء بعدك فليمت — فعليك كنت أحاذر

[1]والحمد لله أولاً وآخراً. وظاهراً وباطناً[2]. والحمد لله رب العالمين

وصلى الله على سيد الأولين والآخرين وأكرم

السابقين واللاحقين ورضى الله عن الصديقين

وعن الصحابة[3] أجمعين وعن التابعين

لهم بإحسان إلى يوم الدين[4]

---

(١) جاء بعد هذا الشعر: هذا آخر كتاب دفع الشبه غفر الله لمصنفه سيدنا الشيخ العلامة تقي الدين الحصني وعاد علينا من بركاته وغفر لنا ولوالدينا ولسائر المسلمين والحمد لله وحده وصلى على سيدنا محمد رسول الله وصحبه وسلم، وحسبنا الله ونعم الوكيل.

(٢) في ب-ط: وباطناً وظاهراً.

(٣) في ط: والصحابه.

(٤) في ب: إلى يوم الدين وحسبنا الله ونعم الوكيل وفي ط: إلى يوم الدين آمين آمين. ثم في ب: وكان الفراغ من تعليقه في ليلة تسفر عن عشرين من رجب الفرد على يد العبد الفقير إلى الله تعالى محمد بن يحيى بن إبراهيم العدوي الشافعي ونقل ذلك من نسخة بخط مصنفه الشيخ الإمام العلامة تقي الحصني الشافعي عفى عنه سنة ١٠٧٣ أعاد الله تعالى علينا من بركاته بمحمد وآله.

وفي ط: وصلى الله على سيلنا ومولانا محمد سيد لعالمين وعلى آله خير أمة أخرجت للناس وعلى تابعيهم بإحسان إلى يوم الدين انتهت هذه التعليقات في اليوم الثامن عشر من شهر رجب سنة ١٣٥٠هـ على يد كاتبها الذي يرجو قارئها دعوى صالحة أن رأي فيها خيراً ونحن جميعاً نبتهل إلى ربنا الغفور الرحيم الشكور الكريم أن يفرغ غيوث رحماته وكراماته على جدث يضم هذا الرجل لغيور على دينه القائم في نصره كالأسد يذود عن عرينه الإمام أبا بكر تقي الدين الحصني وأن يجمعنا معه في دار كرامته يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم آمين.

خاتمة طبعة الحلبي

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي وفق من اختاره من عباده لنشر السنة وتأييدها بالحجة الواضحة وإماتة البدعة وتفنيدها بالحجج الناصعة والصلاة والسلام على حضرة سيد الخلق النبي الأمي العربي القرشي الذي أوتي جوامع الكلم والبراهين القاطعة.

أما بعد،

فقد تم بحمده تعالى وحسن معونته طبع هذا الكتاب المسمى (دفع شبه من شبه وتمرد ونسب ذلك إلى السيد الجليل الإمام أحمد لمؤلفه الإمام الكبير والعلم الشهير ناصر السنة ومحارب البدعة الإمام تقي الدين أبي بكر الحصني الدمشقي المتوفى سنة ٨٢٩هـ على صاحبها أفضل الصلاة وأتم التحية وهو الكتاب الذي يجب أن تشد في طلبه الرحال خصوصاً في هذا الزمن الذي كثرت فيه طوائق الإلحاد وصاروا يحرفون الكلم عن مواضعه كأنهم الذين قال الله تعالى في حقهم: يؤمنون ببعض الكتاب ويكفرون ببعض فجزى الله المؤلف والذين بنشره خير الجزاء وكان ذلك بطبعة دار إحياء الكتب العربية بمصر مصححاً بمعرفة لجنة التصحيح بها.

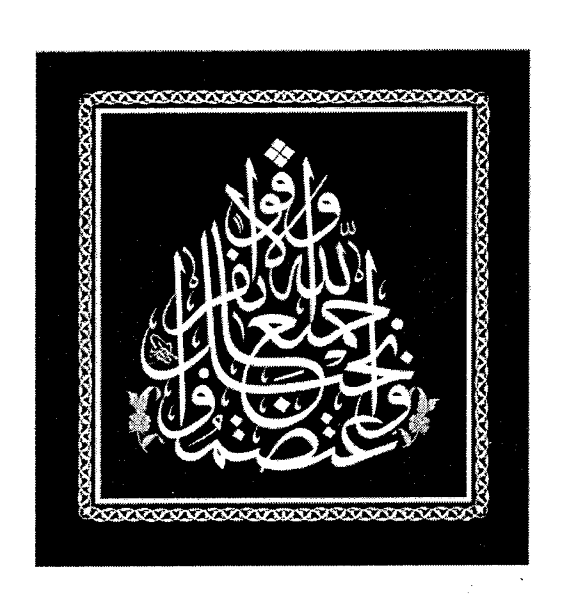
ووافق تمام طبعه اليوم الثامن عشر من شهر

شعبان المكرم سنة ١٣٥٠ هجرية

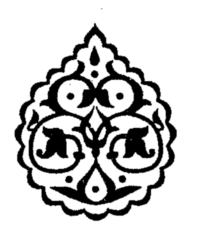
على صاحبها أفضل الصلاة

وأتم التحية

آمين


واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا

الفتاوى السهمية في ابن تيمية




بسم الله الرحمن الرحيم





الفتاوى السهمية في ابن تيمية

أجاب عنها جماعة من العلماء هم:

الإمام المحقق المدقق شيخ الإسلام
تقي الدين الحصني الشافعي الدمشقي

وقاضي القضاة الإمام العلامة
نجم الدين أبو الفتوح عمر بن حجي

وقاضي القضاة الإمام العالم
برهان الدين ابن خطيب عذراء

ومعه
ختام الفتاوى السهمية للمحقق

تحقيق وتعليق

عبد الواحد مصطفى





للطبع والنشر والتوزيع

رقم الايداع: 2000/19076

الترقيم الدولي:

I.S.B.N. 977-17-0174-6

الكتاب: الفتاوى السهمية في ابن تيمية

المؤلف ومن في حكمه: تقي الدين أبوبكر الحصني الشافعي الأشعري الدمشقي

قاضي القضاة نجم الدين بن حجي

قاضي القضاة برهان الدين بن خطيب عذراء

عبدالواحد مصطفى

تم التنفيذ والاخراج والمراجعة بدار المصطفى

الطبعة الأولى

1424 هـ - 2003 م

تطلب جميع منشوراتنا على العنوان التالي:

دار المصطفى

للنشر والتوزيع

هاتف: 7869295

e-mail: daralmostafa@maktoob.com

مقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا.

ونصلي ونسلم على خاتم الرسل والأنبياء والمبعوث رحمة للعالمين سيدنا محمد صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم .

وبعد:

فقد تبين لنا أثناء تحقيقنا لكتاب « دفع شبه من شبه وتمرد » للإمام تقي الدين الحصني ؛ أن لمؤلفه ﷺ فتوى مختصرة في ابن تيمية وآرائه ، قد يكون كتبها قبل هذا الكتاب .

وتابعه على هذه الفتوى وأيدها عالمان كبيران من أكابر فقهاء عصره كما سيتضح من ترجمتهما، وهما:

نجم الدين عمر بن حجي.

وأبو إسحاق برهان الدين إبراهيم بن محمد المعروف بابن خطيب عذراء.

ويعنينا من أمرهما- مثلما فعلنا مع الإمام الحصني- :

أولا: اتصافهما بالأمانة والورع والمجاهرة بالحق.

وثانياً: العلم الراسخ والتحرّي ودقة الفهم.

والفتوى التالية للإمام الحصني وصاحبيه مسايرة لما ذكره في دفع الشبه في مضمونها ودلالاتها.

وزيادة في الفائدة فقد ألحقنا بالفتاوى السهمية بعض آراء العلماء في ابن تيمية ومنهم من صحبه فترة كالذهبي، حتى يتضح أن الإمام الحصني لم ينفرد بآرائه التي ذكرها فيه.

نسأل الله تعالى أن يرحمهم وينوّر مراقدهم ويعلي في الجنة منازلهم، إنه سميع مجيب.

وصف المخطوط

المخطوط الأول للفتوى، وسنرمز له بالرمز (م)

وهو الخاص بالفتوى الملحقة بنهاية الكتاب ويحمل اسم (الفتاوي السهمية في ابن تيمية) وهو من محفوظات مكتبة صاحب الفضيلة الإمام العلامة الشيخ محمد بخيت المطيعي رحمه الله بمجموعة (٣٣) دولاب (١٥) وقد تم تصويرها من معهد المخطوطات العربية بالقاهرة.

ويقع في ١١ لوحة كل منها صفحتان وخطها نسخي جميل ومسطرتها ٢٣ سطر بمتوسط ١٠ كلمات في السطر وقد اعتبرناه أصلا للفتوى وزمزنا له بالرمز (م) وقد ذكر ناسخها أنه نقلها من خط المؤلف رحمه الله.

المخطوط الثاني للفتوى وسنرمز له بالرمز (ن)

وهو ضمن مجموع من ورقة (١١) إلى ورقة (١٧) وهذا المجموع موجود في مكتبة حادي بشير أغا التابعة للمكتبة السليمانية ورقمه ١٤٢ ذكره بروكلمان في ذيل تاريخ الأدب العربي ١١٢/٢ وقد حصلنا على صورة له من مكتبة برلين بألمانيا وتتكون كل ورقة من عمودين كل عمود به ٣٧ سطرا بكل سطر متوسط ٧ كلمات بخط مقروء وقد رمزنا لها بالرمز (ن).

وذكر ناسخها أنه نقلها من خط من نقل من خط المؤلف أي أنه يوجد ناسخ بينه وبين المصنف رحمه الله وبملاحظة وجود بعض العبارات في النسخة الأولى (م) غير ثابتة في الثانية (ن) فهما من طريقان مختلفان.

وصلى الله وسلم وبارك على سيد الخلق نبينا محمد وعلى آله وصحبه.

...الدين بن ظهيرة الشافعي خادم الشرع الشريف وناظر بيت الله المنيف
كل هؤلاء أئمة أعلام اقتصرنا على أسمائهم خوف الإطالة والملل والله الموفق
بمنه وكرمه آمين ه

فيما يلي هذه الصفحة
الفتاوى الشيبية في ابن تيمية
أجاب بها جماعة من العلماء منهم الشيخ الإمام
العلامة تقي الدين الحصني وكذلك
قاضي القضاة نجم الدين بن حجي
وكذلك العلامة برهان
الدين خطيب
عذرا

بسم الله الرحمن الرحيم وهو ثقتي
الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على سيدنا محمد سيد الأولين والآخرين
خاتم النبيين وآله وصحبه أجمعين ما تقول السادة العلماء الأئمة
الدين رضي الله عنهم أجمعين في رجل يقال له أحمد بن تيمية الحراني سئل عن شد
الرحال إلى زيارة قبر النبي صلى الله عليه وسلم وإلى زيارة قبور الأنبياء عليهم الصلاة
والسلام فقال هو معصية بالإجماع مقطوع بها ولا يجوز قصر الصلاة في
هذا السفر وسئل عن الأحاديث الواردة في زيارة قبر رسول الله صلى الله عليه
وسلم كقوله من زار قبري وجبت له شفاعتي فقال كلها ضعيفة
باتفاق أهل العلم بل هي موضوعة لم يرو أحد من أهل السنن المعتمدين شيئا منها
وإن السفر إلى زيارة قبور الأنبياء والصالحين بدعة لم يفعلها أحد من الصحابة
ولا التابعين ولا أمر بها رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا استحب ذلك أحد
من أئمة المسلمين فمن اعتقد ذلك قربة أو عبادة وفعلها فهو مخالف للسنة
وإجماع الأمة وسئل عمن توسل لغائب أو ميت أو حكم فقال من استغاث
بميت أو غائب من البشر بحيث يدعوه في الشدائد والكرامات ويطلب منه قضاء
الحاجات فيقول يا سيدي الشيخ فلان أنا في حسبك أو في جوارك أو يقول
عند هجوم العدو علي يا سيدي الشيخ فلان أنا في حسبك أو في جوارك أو يقول
نحو ذلك عند مرضه وفقره وغير ذلك من حاجاته قال فهو ظالم مشرك عاص
لله تعالى باتفاق المسلمين فإنهم متفقون على أن الميت لا يسأل ولا يدعى ولا
يطلب منه شيء سواء كان نبيا أو شيخا أو غير ذلك والمسؤول من الأئمة
أن يذكروا لنا بعد ذلك ما وقع له مع العلماء الشاميين والمصريين وابن مات
وما يؤدي عليه أرشدونا إلى الحق المبين فقد افتتن بابن تيمية خلق كثير
باعتبار أنه محق وأن غيره مبطل وبينوا الوجه الصواب الذي يلقى الله
تعالى به وهو راض عنا أثابكم الله تعالى وهداكم آمين والحمد لله رب العالمين

صورة اللوحة الأولى من المخطوطة الأولى (م)

اللوحة الأخيرة من المخطوط (م)

اللوحة الأولى من المخطوط (ن)

لما روي أنه صلى الله عليه وسلم قال من زار
قبري وجبت له شفاعتي كما قاله الشيخ المجيب
أولا وصححه كما قاله أيضا وحكى العتبي قال
كنت عند قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم
فأتاه أعرابي فقال يا رسول الله إني وجدت
الله يقول ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم الآية
وقد جئتك مستغفرا من ذنبي مستشفعا
بك عند ربي ثم أنشد الأبيات المعروفة
يا خير من دفنت بالقاع أعظمه فطاب من طيبهن القاع والأكم
نفسي الفداء لقبر أنت ساكنه فيه العفاف وفيه الجود والكرم
ثم ركب راحلته وانصرف قال العتبي فأغفيت
إغفاءة فرأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول يا عتبي الحق الأعرابي وأخبره أن الله
تعالى غفر له والكلام في مثل ذلك لا يحصى
ولا يعد وقصد الشيخ المجيب في ذلك الرد
على أتباع ابن تيمية والتحذير من الاغترار
بقولهم وإلا فهو قد انتقض وافتضح من
تقدم وجهل أتباعه وخطأهم الظاهر من أن
ينصب عليهم دليلا وقد ذكر البغوي في
أوائل تفسيره أن الكفر أربعة أقسام كفر إنكار
وكفر جحود وكفر عناد وكفر نفاق وهذا الأخير
هو أن يقر باللسان ولا يعتقد بالقلب
وباقي الأقسام معروفة وقد استوفى
المجيب أبقاه الله تعالى ولا حاجة إلى
الزيادة والله أعلم كتبه إبراهيم بن الخطيب الشافعي
وكتب قاضي القضاة نجم الدين بن حجي
الله الهادي للصواب هذا الرجل المسؤول
عنه في الاستفتاء كان عالما متعبدا ولكنه
ضل في مسائل عديدة عن الطريقة المستقيمة
والمنهج القويم لا جرم سجن بسجن الشرع
الشريف بعد الترسيم وأفضى به أسبابه
بنفسه إلى الجنوح إلى التجسيم الذي شدد
اليهود الذين أشركوا الواحد الأحد
المعبود وتعالى فيه أصحابه وأتباعه حين
قدموا على الأئمة وعلى [illegible] الأمة وهو
مذهب الإمام أحمد الذي اتباعه بالإجماع

أولى واحدا ورد عليه العلماء المحققون
وبشيعة فكان الشريعة الأقدمون ونودي
بدمشق أن لا ينظر أحد في كلامه وكتبه
وهجرت كل [illegible] من أتباعه ومن نصوص على معتقده
ومذهبه والعجب كل العجب من فضلاء
حنابلة هذا الزمان يغضبون إذا قيل لهم
أخطأ ابن تيمية وربما اعتقد بعضهم أن
قائل ذلك ملحد ولا يغضبون إذا قيل لهم
أخطأ الشافعي وأبو حنيفة ومالك والإمام
أحمد اللهم أشهدك أني بريء من كل مجسم
ومشبه ومعطل وإباحي وحلولي واتحادي
وزنديق وملحد ومن كل من خالف اعتقاد
أهل السنة والجماعة وبريء من كل من منع
من زيارة قبر سيدنا رسول الله صلى الله
عليه وسلم ومن شد الرحل إليه ومن زيارة
قبور الأنبياء والمرسلين والأولياء والصالحين
اللهم إني أسألك وأتوسل إليك بسيد
الأولين والآخرين رسول رب العالمين
محمد صلى الله عليه وسلم وسائر الأنبياء
والمرسلين والأولياء والصالحين أن تحيينا
على الإسلام وتميتنا على الإيمان على اعتقاد
أهل السنة والجماعة سالما من اعتقاد
أهل الزيغ والضلال والبدع والأهواء
ونفعنا والمسلمين ببركة سيدنا الشيخ
الإمام الرباني المجيب عن هذا السؤال
والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب كتبه
محمد بن حجي الشافعي

اللوحة الأخيرة من المخطوط (ن)

هذا الرجل المسئول عنه في الاستفتاء كان عالما متعبداً، ولكنه ضلّ في مسائل عديدة عن الطريق المستقيم والمنهج القويم، لا جرم سجن بسجن الشرع الشريف بعد الترسيم وأفضى به إعجابه بنفسه إلى الجنوح إلى التجسيم الذي ابتدعه اليهود الذين أشركوا بالواحد الأحد المعبود.

وتغالى فيه أصحابه وأتباعه حتى قدموه على جميع الأئمة وعلى علماء الأمة ، وهجر مذهب الإمام أحمد الذي أتباعه بالإجماع أولى وأحمد، ورد عليه العلماء المحققون.

وسجنه حكام الشريع الأقدمون ونودي بدمشق أن لا ينظر أحدٌ في كلامه وكتبه وهرب كلٌّ من أتباعه ومَن هو على مذهبه واعتقاده.

والعجب كل العجب من جُهَّال حنابلة هذا الزمان يغضبون إذا قيل لهم: (**أخطأ ابن تيمية**)، وربما اعتقد بعضهم أن قائل ذلك ملحد، ولا يغضبون إذا قيل لهم: أخطأ الشافعي وأبو حنيفة ومالك والإمام أحمد.

اللهم اشهد أني بريئ من كل مجسم ومشبه ومعطل وإباحي وحلولي واتحادي وزنديق وملحد ومن كل من خالف اعتقاد أهل السنة والجماعة.

وبريئ من كل من منع من زيارة قبر سيدنا رسول الله ﷺ ومن شد الرحل إليه ومن زيارة قبور الأنبياء والمرسلين والأولياء والصالحين.

اللهم وإني أسألك وأتوسل إليك بسيد الأولين والآخرين ورسول رب العالمين والأولياء والصالحين أن تحييني على الإسلام وتميتني على الإيمان على اعتقاد أهل السنة والجماعة سالما من اعتقاد أهل الزيغ والضلال والبدع والإضلال.

ونفعنا والمسلمين ببركة سيدنا الشيخ [الإمام] الرباني المجيب عن هذا السؤال. والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب.

كتبه عمر بن حجي الشافعي

بسم الله الرحمن الرحيم

وهو ثقتي

الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على سيّدنا محمد سيد الأولين والآخرين وخاتم النبيين وآله وصحبه أجمعين[١].

[نص السؤال]

ما تقول السادة العلماء أئمة الدين ﷺ أجمعين، في رجل يقال له أحمد بن تيمية الحراني سئل عن شد الرحال إلى زيارة قبر النبي ﷺ وإلى زيارة قبور الأنبياء عليهم الصلاة والسلام فقال: « هو معصية بالإجماع، مقطوع »[٢] بها ولا يجوز قصر الصلاة في هذا السفر.

وسئل عن الأحاديث الواردة في زيارة قبر رسول الله ﷺ كقوله « من زار قبري وجبت له شفاعتي » . فقال: كلها ضعيفة باتفاق أهل العلم بل هي موضوعة لم يرو أحدٌ من أهل السنن المعتمدين شيئاً منها.

وأن السفر إلى زيارة قبور الأنبياء والصالحين بدعة لم يفعلها أحد من الصحابة ولا التابعين ولا أمر بها رسول الله ﷺ ، ولا استحب ذلك أحد من أئمة المسلمين.

فمن إعتقد ذلك قربة أو عبادة[٣] وفعلها فهو مخالف للسنة وإجماع[٤] الأمة » .

---

(١) في ن: صورة فتيا رفعت للشيخ تقي الدين الحصني في ابن تيمية فأجاب ونقلت هذه مِن خط مَنْ مِن خطِّه نقل:

(٢) في ن: مقطوعاً.

(٣) في ن: عبادة أو قربة.

(٤) في ن: لإجماع الأمة.

وسئل عمن توسل بغائب أو ميت ما حكمه؟ فقال: «من استغاث بميت أو غائب من البشر بحيث يدعوه في الشدائد و[الكربات][1] ويطلب منه قضاء الحاجات، فيقول «يا سيدي الشيخ فلان أنا في حسبك أو في جوارك». أو يقول عند هجوم العدو عليه: سيدي فلان أنا في حسبك أو في جَوارك [أوْ يقول عند هجوم العدو « يا سيدي فلان » يستوحيه أو يستغيث به][2] أو يقول نحو ذلك عند مرضه وفقره، وغير ذلك من حاجاته فهو ظالم [ضال][3] مشرك عاصي لله تعالى باتفاق المسلمين؛ فإنهم متفقون على أن الميت لا يسأل ولا يدعى ولا يطلب منه شيء سواء كان نبياً أو شيخاً أو غير ذلك » .

والمسئول من الأئمة أن يذكروا لنا بعد ذلك ما وقع له مع العلماء الشاميين والمصريين؟ وأين مات؟ وما نودي عليه؟ أرشدونا إلى الحق المبين[4] فقد فُتِنَ بابن تيمية خلق كثير باعتبار أنه محق وغيره مُبطل. وبينوا لنا وجه الصواب الذي نلقي الله تعالى به وهو راض عنا أثابكم الله تعالى وهداكم، آمين.

والحمد لله رب العالمين[5] [٢-أ] .

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما كثيراً إلى يوم الدين وحسبنا الله ونعم الوكيل.

(١) في م: الكرامات وهو خطأ من الناسخ.

(٢) في م: سقطت عبارة [أو يقول عند هجوم ... يستغيث به].

(٣) في م: سقطت كلمة (ضال).

(٤) في ن: البيِّن.

(٥) من هنا (وصلى الله ...) وحتى بداية كلام الإمام الحصني غير موجود في النسخة ن.

فأجاب شيخنا وسيدنا ومولانا الإمام العارف الورع العابد الزاهد المحقق المدقق شيخ الإسلام ومفتي الأنام وعلم الأعلام الربّاني والصدر النوراني منقح الألفاظ ومحقق المعاني بحر العلوم والمبرز عن ذوي الفهوم داعي الخلق للحق الناصح لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم، بقية السلف وزين الخلف شافعي زمانه وسيبويه أوانه، القطب الكبير والغوث الشهير والعلم المنير والعلامة النحرير والمجتهد الخير، البحر الزاخر والسيف الباتر زبدة المتقدمين وعمدة المتأخرين، كعبة الزهاد ومفزع العباد وحجة الله على العباد، وصمصامة أهل الزيغ والفساد، رحلة وقته ووحيد عصره وفريد دهره، ونسيج وحده، جامع أشتات العلوم والفضائل، والقائم في نصر الحق بالبراهين والدلائل، قدوة أهل الأصول والفروع، وناشر فوائد المعقول والمسموع، الحسيب النسيب، والمتصل في الدين بالمصطفى الحبيب الشيخ: **تقي الدين** أبو بكر بن محمد بن عبد المؤمن بن حريز بن سعيد بن داود بن قاسم بن علي بن علوي بن ناشيء بن جوهر بن علي بن أبي القاسم بن سالم بن عبد الله بن عمر بن موسى بن يحيى بن علي الأصغر بن محمد التقي بن حسن العسكري بن علي الرضا بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي ابن أبي طالب الحسني الشافعي الأشعري الحصني قدّس الله روحه ونوّر ضريحه وجعل من الرحيق المختوم غبوقه وصبوحه وضاعف له جزيل هباته وأعاد علينا وعلى المسلمين من بركاته ونفعنا بعلومه الجمة وفوائده كما حلّى أجياد الدهر بقلائد فرائده آمين بجاه سيد الأولين والآخرين:

[جواب الإمام تقي الدين الحصني]

[أ- الزيارة:]

الحمد لله مستحق الحمد. زيارة قبر سيد الأولين والآخرين محمد ﷺ وكرّم ومجّد من أفضل المساعي وأنجح القرب إلى رب العالمين، وهي سنة من سنن المسلمين ومجمع عليها [٢-ب] عند الموحدين، ولا يطعن فيها إلا من في قلبه خبث ومرض المنافقين وهو من أفراخ السامرة واليهود وأعداء الدين من المشركين.

ولم تزل هذه الأمة المحمدية على شد الرحال إليه(١) على ممر الأزمان من جميع الأقطار والبلدان سواء في ذلك الزرافات والوحدان، والعلماء والمشايخ والكهول والشبان. حتى ظهر في طيز الزمان، في السنين الخداعة مبتدع من حران، لبّس على أتباع الدجال ومن شابههم من شين الأفهام والأذهان، وزخرف لهم من القول غروراً كما صنع إمامه الشيطان، فصدهم بتمويهه عن سبل أهل الإيمان، وأغواهم عن الصراط السوي إلى بُنيات الطريق ومدرجة الشيطان فهم بتزويقه في ظلمة الخطأ والإفك يعمهون، وعلى منوال بدعته يهرعون، صم بكم عمي(٢) فهم لا يعقلون.

قال القاضي عياض في أشهر كتبه وهو (الشفاء) : « فصل في حكم [زيارة](٣) قبره عليه الصلاة والسلام وفضيلة من زاره وكيف يسلم عليه ويدعو: وزيارة قبره عليه الصلاة والسلام من سنن المسلمين مجمع(٤) عليها ومرغب فيها، روى(٥) عن ابن عمر ﷺ قال قال رسول الله ﷺ : (من زار قبري وجبت له شفاعتي) .

(١) في ن : سقطت (إليه).
(٢) في ن : سقطت (عمى).
(٣) في م : سقطت (زيارة).
(٤) في ن: وجمع.
(٥) في ن : وروى.

وعن أنس بن مالك ﷺ قال قال رسول الله ﷺ (من زارني محتسباً كان في جواري وكنت له شفيعاً يوم القيامة) .

وفي حديث آخر (من زارني بعد موتي فكأنما زارني في حياتي) انتهى.

هذا لفظه بحروفه وكذا ذكر هبة الله في كتاب (توثيق عرى الإيمان) وهو كتاب نفيس مشتمل على تعظيم النبي ﷺ وهو من أجلاء العلماء وفضلائهم، فهذا نقل الإجماع على خلاف على ما نقله.

وأما غير هذين الإمامين ممن نقل الندب إلى زيارة قبره عليه الصلاة والسلام فخلق لا يحصون وأذكر نبذة يسيرة منهم إذ لو وسّعت الباع في ذلك لجاء[1] مجلداً ضخماً، وسأذكر كلامهم مختصراً وإن كان في الطول فوائد لأن الغرض موضع الاستشهاد وبيان فجوره وقلب [٣- أ] حقائق الشريعة وهو كفر.

قال القاضي أبو الطيب من أصحاب الشافعي ومن أجلّهم: «يستحب أن يزور قبر النبي ﷺ بعد أن يحج ويعتمر » .انتهي.

وكيف يزور من غير سفر سواء كان راكباً أو ماشياً ؟! وقال المحاملي في كتاب التجريد: « ويستحب للحاج إذا فرغ من مكة شرفها الله تعالى أن يزور قبر النبي ﷺ » .انتهى.

وقال الحليمي في (المنهاج) عند ذكر تعظيم النبي ﷺ وذكر جملة ثم قال: «وهذا كان من الذين رزقوا مشاهدته وصحبته فأما[2] اليوم فمن التعظيم بيان تعظيمه وزيارته» . انتهى.

(١) في ن : جاء.

(٢) في ن: وأما.

وقال الماوردي في كتابه[١] الحاوي :

أما زيارة قبر النبي ﷺ فمأمور بها ومندوب إليها . وقال في الأحكام السلطانية في باب الولاية على الحج[٢] وذكر كلاما متعلقا بأمير الحاج ثم قال: فإذا قضى الناس الحج أمهلهم الأيام التي جرت عادتهم بها فإذا رجعوا سار بهم على طريق مدينة النبي ﷺ ليجمع لهم بين حج بيت الله عز وجل وزيارة قبر النبي ﷺ رعاية لحرمته وقياماً بحقوق طاعته وذلك وإن لم يكن من فروض الحج فهو من مندوبات الشرع المستحبة وعبادات الحج المستحبة[٣] . انتهى.

وقال الإمام الجليل المتفق على علمه ودينه وورعه وزهده الشيخ أبو إسحق الشيرازي: يستحب زيارة قبر النبي ﷺ .وذكر القاضي حسين نحوه. كذلك[٤] (الرّوياني) فقال: يستحب إذا فرغ من حجه أن يزور قبر النبي ﷺ.

ولا حاجة إلى الإطالة[٥] بذكر من قال بمثل ذلك من أصحاب الشافعي رضي الله عنه مع كثرتهم ومن جملتهم : السيد الجليل أبو زكريا يحيى النووي قال في مناسكه وغيرها: فصل في زيارة قبر النبي ﷺ سواء كان ذلك طريقه أم[٦] لا فإن زيارته عليه الصلاة والسلام من أهم القربات وأربح المساعي وأفضل الطلبات. فهذه نصوص هذه الأئمة . فمن جعل المستحب والمندوب ونحوهما معصية فقد كفر قطعاً [بل][٧] من جعل المباح حراماً فضلاً عن المطلوب شرعاً لأنه قلب لحقائق الشريعة المطهرة .

(١) في ن: كتاب.

(٢) في ن: الحجيج.

(٣) في ن: المستحسنة.

(٤) في ن : وذكر.

(٥) في م: في صلب الصفحة (الإحاطة) وأشار إليها في الهامش بأنها (الإطالة).

(٦) في ن: أو.

(٧) في س: سقطت (بل).

وأتبرع بزيادة على ذلك ليتحقق فجوره وزندقته: فمن ذلك ما قاله [٣-ب] الأئمة الحنفية[١] قدس الله تعالى أرواحهم **أن زيارة قبر النبي ﷺ من أفضل المندوبات والمستحبات بل تقرب من درجة الواجبات** وممن صرح منهم بذلك أبو منصور محمد الكرماني[٢] في مناسكه، ومنهم عبد الله بن محمود في (شرح المختار)، ومنهم أبو العباس السروجي فإنه قال: فإذا انصرف الحاج من مكة شرفها الله تعالى فليتوجهوا إلى طيبة مدينة رسول الله ﷺ وزيارة قبره الشريف فإنها من أنجح المساعي. ولا نطول بذكر من ذكر نحو ذلك من أئمة الحنفية ﷺ وعن إمامهم .

وأتبرع بزيادة على ذلك وأقتصر بعد استحضارك ما تقدم من قول القاضي عياض وغيره أن الإجماع على أن زيارة قبره عليه الصلاة والسلام سنة من سنن .

ومرغب[٣] المسلمين فيها. فأقول في كتاب (تهذيب الطالب) لعبد الحق الصقلي عن أبي عمران المالكي أن زيارة قبر النبي ﷺ واجبة وهو فقه[٤] حسنٍ لأن تعظيمه عليه أفضل الصلاة والسلام واجبٌ بالإجماع ومن جملة التعظيم الزيارة وشد الرحال[٥] وذلك من أظهر أنواع التعظيم .

وقال عبد الحق في هذا الكتاب: رأيت في بعض المسائل التي سئل عنها أبو محمد بن زيد[٦] قيل له في رجلٍ استؤجر بمالٍ ليحج به وشرطوا عليه الزيارة فلم يستطع تلك السنة أن يزور لعذر منعه. فقال: يرد من الأجرة بقدر مسافة تلك الزيارة.وفي كتاب (النوادر) لابن زيد فائدة أخرى، فإنه

---

(١) في ن: الأئمة من الحنفية.

(٢) في ن: الرماني.

(٣) في ن: (مرغب) بدون واو العطف.

(٤) في ن: وهو من فقه.

(٥) في ن: زيارته وشد الرحال.

(٦) في م: رند.

بعد أن حكى في زيارة القبور من كلام بن حبيب المجموعة[١] عن مالك ومن كلام القرْطبي[٢] – بإسكان الراء والطاء المهملة – ثم قال عقبه: ويأتي قبور الشهداء بأحد ويسلم عليهم كما يسلم على قبر النبي[٣] ﷺ وعلى صحبه . وفي الكتاب المذكور: ويدل على التسليم على أهل القبور ما جاء في السنة في التسليم على النبي ﷺ وأبي بكر وعمر مقبورين .

قال العبدي المالكي في شرح الرسالة : أن المشي إلى المدينة لزيارة قبر النبي ﷺ أفضل من المشي إلى الكعبة [٤–أ] وبيت المقدس .

وهو فقهٌ حسنٌ لأن الموضع الذي ضمّ ذاته الشريفة أفضل بقاع الأرض بلا نزاع وبالإجماع وكلام أئمة المالكية ﷺ وعن إمامهم كثير ومطول .

وكذا الحنابلة الذين هم خلف الإمام أحمد رضي الله تعالى عنه عنهم: قال أبو الخطاب محفوظ الكلوماذي الحنبلي في كتابه الهداية في آخر باب صفة الحج استحب له زيارة قبره ﷺ وصاحبيه. وقال ابن أحمد الحنبلي في (الرعاية الكبرى): ويسنُ لمن فرغ من نسكه زيارة قبر النبي ﷺ وقبر صاحبيه رضي الله عنهما وذلك بعد فراغ حجه وإن شاء قبل[٤]. وعقد الإمام أبو الفرج ابن الجوزي في كتابه (مثير الغرام[٥] الساكن) باباً في زيارة قبره ﷺ [٦] واستدل لذلك بحديث ابن عمر وأنس ﷺ. وأما ابن قدامة فذكر في المغني فصلاً في ذلك فقال: يستحب زيارة قبر النبي ﷺ . واستدل بحديث ابن عمر وأبي هريرة ﷺ . وقد اقتصرت لأنه اللائق بالفتاوى .

(١) في ن: ومن المجموعة ...

(٢) في ن: القرطبي.

(٣) في ن: قبره ﷺ .

(٤) في ن: قبله.

(٥) في ن: العزم.

(٦) في ن: عليه الصلاة والسلام.

فهذه نقول ونصوص أئمة الدين من جميع المذاهب الذي مدار الإسلام عليهم وعلى أئمتهم فليت شعري دعواه هذه الخبيثة [أن هذه معصية] [(١)] من أين له ذلك ومن هم الذين عني عنهم الإجماع والقطع بذلك؟! قاتله الله تعالى[(٢)] وأتباعه الجهال الجمادات أنى يؤفكون وبأي وجه يلقونه عليه الصلاة والسلام في عرصات القيامة وله العظمة التامة آدم فمن دونه تحت لوائه والله أعلم.

وأما قوله أن الأحاديث في زيارة قبر النبي ﷺ فكلها ضعيفة باتفاق أهل العلم بالحديث فهذا من البهتان والافتراء جريا على عادته في القدح في الشيء الذي لا غرض له فيه فإن الذين رووا أحاديث الزيارة من أعيان أئمة الحديث منهم الدارقطني والبيهقي والعقيلي وابن عساكر والبزار وابن عدي وأبو داود الطيالسي وابن خزيمة وأبو الفتح الأزدي وغيرهم من أئمة الحديث المشهورين بالحفظ والإتقان ومنهم الإمام العلامة أبو علي سعيد بن عثمان بن السكن وألفاظ هذه الأحاديث مختلفة ويحصل من مجموع طرقها أنها بمنزلة الصحيح أو الحسن [٤-ب] ولفظ الحديث الذي ذكره ابن السكن «من جاءني زائراً لا يُعمله حاجة إلا زيارتي كان حقاً عليّ أن أكون له شفيعاً يوم القيامة » .

وفي رواية « من جاءني زائراً لم ينزعه حاجة إلا زيارتي .. » .وهو من حديث ابن عمر رضي الله عنهما ذكره في صحاحه ومقتضى قاعدته فيه وشرطه أن هذا الحديث صحيح قطعاً ورواه أيضاً الطبراني في معجمه الكبير والدراقطني في أماليه وغيرهم.

ثم أنه لم تخمد نار خبثه وطويته بقوله أنها كلها ضعيفة حتى أردفها[(٣)]

---

(١) في م: سقطت (أن هذه معصية).

(٢) في ن : عز وجل.

(٣) في ن: أردف ذلك بأنها.

بقوله أنها موضوعة . أي كذب [كذبها] [١] هؤلاء الأئمة على رسول الله ﷺ !! . فهذا شيء لم يقله أحدٌ قبله ولا في عصره لا من برٍ ولا فاجر وفي قوله (موضوعة)[٢] رمز إلى أن هؤلاء الأئمة كفار لأن من قاعدته أن من كذب على النبي ﷺ متعمداً فهو كافر ومن كفر أحداً من هذه الأئمة فهو الكافر.

وقوله (وأن السفر إلى زيارة قبور الأنبياء والصالحين بدعة لم يفعلها أحد من الصحابة ولا التابعين . ولا أمر بها رسول الله ﷺ ولا استحب ذلك أحد من أئمة المسلمين فمن اعتقد ذلك عبادة[٣] أو قربة وفعلها فهو مخالف للسنة وإجماع الأمة..)[٤] هذه عادته يأتي بمثل ذلك ليروج على أتباع[٥] الدجال وأصحاب الأذهان الجامدة، فقوله أن السفر إلى قبور الأنبياء عليهم السلام يشمل[٦] قبر إبراهيم ونبينا محمد عليهما الصلاة والسلام .

ما قبر إبراهيم عليه السلام فلم يزل الناس يزورونه بشد الرحل وغيره سلفاً وخلفاً من غير نكير بل يرون ذلك من أعظم المساعي وأنجح القرب. ولما عمل ابن قيم الجوزية مجلس وعظ في القدس الشريف وقال أن السفر إلى زيارة قبر الخليل معصية وها أنا أرجع من هنا ولا أزوره وقال في نابلس كذلك في زيارة قبر رسول الله ﷺ فأجمع المسلمون على كفره وأرادوا أن يضربوا عنقه فطلع إلى الصالحية بخفية[٧] واستسلمه محمد بن مسلم الحنبلي.

(١) في م: كذب.

(٢) في ن: أنها موضوعة.

(٣) في ن: عباة سقطت منها الدال.

(٤) في ن: ولإجماع هذه الأمة.

(٥) في ن: تباع.

(٦) في ن: ليشمل.

(٧) في ن: خفية.

وهذا بلال مؤذن رسول الله ﷺ سار[١] من الشام إلى المدينة لزيارة قبر رسول الله ﷺ وممن ذكر ذلك الحافظ [٥-أ] بن عساكر وذكره الحافظ عبد الغني [المقدسي[٢] ﷺ] في كتابه (الكمال) في ترجمة بلال ﷺ وقال فيه: ولم يؤذن لأحد بعد النبي ﷺ فيما روى إلا مرة واحدة في قدمةٍ قدمها المدينة لزيارة قبر النبي ﷺ طلب[٣] الصحابة رضي الله تعالى عنهم ذلك فأذن لهم ولم يتم[٤] الآذان وقيل أنه أذن لأبى بكر في خلافته.

وممن ذكر ذلك إمام الأئمة[٥] في الحديث أبو الحجاج الشهير بالمزي وسبب سفر بلال ﷺ لزيارة قبره عليه الصلاة والسلام أنه رأى في منامه النبي ﷺ فقال له ما هذه الجفوة يا بلال أما آن لك أن تزورني[٦] يا بلال فانتبه من نومه حزينا وجلا خائفا فقعد على راحلته وأتى قبر رسول الله ﷺ فجعل يبكي عنده ويمرّغ وجهه عليه فأقبل الحسن والحسين رضي الله عنهما إليه وجعل[٧] يضمهما ويقبلهما فقالا له يا بلال نشتهي نسمع أذانك الذي كانت تؤذّن لرسول الله ﷺ في المسجد فعلا سطح المسجد ووقف موقفه الذي كان يقفه فلما قال الله أكبر ارتجت المدينة فلما قال أشهد أن لا إله إلا الله ازدادت رجتها فلما قال أشهد أن محمداً رسول الله خرجن[٨] العواتق من

(١) في ن: سافر.

(٢) في س: النابلسي وهو خط من الناسخ.

(٣) في ن: طلب إليه الصحابة.

(٤) في ن: فأذن لهم ولم يتمم.

(٥) في ن: الإمام.

(٦) في ن: تزرني.

(٧) في ن: فجعل.

(٨) في ن: خرجت.

خدورهن و[قلن] [(١)] بعث[(٢)] رسول الله ﷺ فما رؤى يوما أكثر باكيا ولا باكية بالمدينة بعد رسول الله ﷺ من ذلك اليوم .

فهذا بلال ﷺ من سادات الصحابة رضي الله عنهم قد شد رحله وسافر لزيارة قبره عليه الصلاة والسلام وأعلم بذلك الحسن والحسين وطار ذلك في المدينة[(٣)] وكان في خلافة عمر ﷺ ولم ينكره أحد من الصحابة ولو كان السفر مخالفا للكتاب والسنة وإجماع الأمة لما سكتوا له[(٤)] لأنهم ينكرون الأشياء التي هي نذرة في الدين ولا سيما عمر بن الخطاب ﷺ .

وهذا عمر بن عبد العزيز ﷺ كان يبعث من يزوره من الشام ويبرد البريد لذلك ويقول لمن يرسله: (سلم على رسول الله ﷺ) وممن ذكر ذلك القاضي عياض في أشهر كتبه وهو الشفاء وكذا الإمام هبة الله في كتابه توثيق عرى الإيمان وكذا الإمام العلامة بن الجوزي في كتابه [٥-ب] (مثير الغرام الساكن إلى أشرف الأماكن) وذكره غيرهم وكان ذلك في صدر التابعين ولم[(٥)] ينكر ذلك أحد.

ولم يزل أهل التوحيد المعظمين للأنبياء من العلماء وغيرهم يزورون الأنبياء في مشارق الأرض ومغاربها ويرون ذلك[(٦)] مما يترجون[(٧)] فيه الفضل والمغفرة والتقرب إلى الله عز وجل بزيارتهم حتى جاء هذا الزنديق يهدم عليهم ذلك لدسيسة في اعتقاده.

---

(١) في م : قالوا.

(٢) في ن: أبعث.

(٣) في ن: ذلك بالمدينة.

(٤) في م : في طلب الصفحة (عليه) وأشار لتصحيحها بالهامش لتصير (له).

(٥) في ن: فلم.

(٦) في ن: أن ذلك.

(٧) في ن: يرجون.

فمن تتبع كتبه المدخرة عند متبعيه رأى ذلك وغيره من الخبائث التي لو أظهروا بعضها لحرّقوهم فضلا عن ضرب رقابهم وفي صحيح مسلم من حديث بُريدة ﷺ أنه عليه الصلاة والسلام قال: (كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها) زاد بن ماجه: (فإنها تزهد في الدنيا وتذكر الآخرة)[1] وهو من رواية بن مسعود ﷺ وهو مطلق يشمل القريب والبعيد .

وقال عليه الصلاة والسلام: (ما من أحد يمر بقبر أخيه المؤمن يعرفه في الدنيا فيسلم عليه إلا عرفه ورد عليه السلام) رواه جماعة[2] وصححه عبدالحق .

ورُوى أنه عليه الصلاة والسلام قال: أسرّ[(١)] ما يكون الميت إذا زاره من كان يحبه في دار الدنيا) .

وفي حديث أخر: (ما من رجل يزور قبر أخيه ويجلس عنده ، إلا استأنس به ورد عليه حتى يقوم) رواه ابن أبي الدنيا[3]

(١) في ن: آنس.

---

(1) انظر صحيح مسلم كتاب (الجنائز) باب (زيارة القبور)، سنن ابن ماجة كتاب (الجنائز) باب (ما جاء في زيارة القبور) وإسناد ابن ماجة حسن كما نص عليه الحافظ البوصيري.

(2) منهم الخطيب في تاريخه وابن عساكر وابن أبي الدنيا وزاد (وإن لم يعرفه رد عليه السلام) وذكره صاحب (الفردوس) موقوفاً على أبي هريرة. وقد اعترف ابن القيم بأن هذا الحديث نص في أن الميت يعرف الزائر بنفسه ويرد عليه السلام.

(3) في كتاب القبور من حديث عائشة رضي الله عنها. يقول الحافظ العراقي في تخريج أحاديث (الإحياء): « ... وفيه عبد الله بن سمعان ولم أقف على حاله ورواه ابن عبد البر في التمهيد من حديث ابن عباس نحوه وصححه عبد الحق الإشبيلي » أ.هـ. بقول الإمام مرتضى الزبيدي في الإتحاف: «إن كان هو عبد الله بن محمد بن أبي يحيى لقبه سحبل واسم أبيه سمعان فهو **ثقة وهو الظاهر** فإنه ينسب إلى جده... » إلى أن قال: «ويحتمل أن يكون هو عبد الله بن زياد بن سليمان بن سمعان المخزومي المدني وهو أحد الضعفاء المشهورين اتهمه أبو داود بالكذب وقد روى له أبو داود في المراسيل وابن ماجه... » إلى أن حكى قول الذهبي فيه: (تركوه) كل ذلك في حديث عائشة عند ابن أبي الدنيا في كتاب (القبور) ثم قال العلامة الزبيدي: =

ورواه ابن عبد البر من حديث ابن عباس رضي الله عنهما بنحـوه ورواه عبد الحق الإشبيلي وصححه .

ففي زيارة القبور فضيلة للزائر والمزور والأحاديث في ذلك كثيرة جداً.

والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم ومن يضلل الله أي ببدعته فلا هادي له ويذرهم في طغيانهم يعمهون والله أعلم .

وأما حديث ابن عباس الذي رواه ابن عبد البر في التمهيد فلفظه « ما من أحد يمر بقبر أخيه المؤمن كان يعرفه في الدنيا فيسلم عليه إلا عرفه ورد عليه السلام » وقد رواه كذلك في الاستذكار، وهذا الذي صححه عبد الحق في العاقبة، وروى نحو ذلك من حديث أبي هريرة «ما من رجل يزور قبر أخيه فيسلم عليه ويقعد عنده إلا ردّ عليه السلام وأنس به حتى يقوم من عنده» رواه أبو الشيخ والديلمي » .

فالميت مدرك لزائره مستأنس بمن يحبه منهم والشواهد على ذلك كثيرة فقد ثبت في السنة:

١- أن الميت بعد دفنه يسمع نعال مشيعيه.

٢- لما وقف رسول الله ﷺ ينادي قتلى المشركين بعد دفنهم في القليب في بدر، وسأله عمر ﷺ : (يا رسول الله أتنادي قوما قد جيفوا) وذلك لمرور ثلاثة أيام بعد قتلهم قال ﷺ : «والله ما أنتم بأسمع لما أقول منهم ... » الحديث رواه مسلم.

٣- يقول عمرو بن العاص لأهله لما حضرته الوفاة: « فإذا دفنتموني فشنوا علي التراب شنّا ثم أقيموا حول قبري قدر ما تنحر جزور ويقسم لحمها حتى أستأنس بكم وأنظر ماذا أراجع به رسل ربي ... » صحيح مسلم- كتاب الإيمان- باب كون الإسلام يهدم ما قبله حديث رقم (٣١٤).

[ب – التوسل والاستغاثة]

وأما قوله « مــن استغاث بميت أو غـائب مـن البشـر بحيث يدعـوه في الشدائد والكربات ويطلب منه قضاء الحاجات فيقول يا سيدي الشيخ فـلان أنا في حسبك أو في جـوارك أو يقول عند هجوم العدو عليــه سيدي فلان [أنا في حسبك أو في جوارك أو يقول عند هجوم العدو يا سيدي فلان][١] يستوحيه أو يستغيث به أو يقول نحو ذلك عند مرضه وسفره وغير ذلك مـن حاجاتـه فـهو ظـالم ضـال مشـرك عـاصي لله تعـالى باتفـاق المسـلمين فإنــهم متفقون على أن الميت لا يسأل ولا يدعى [٦-أ] ولا يطلب منه سواء كـان شيخاً أو نبياً أو غير ذلك » .

وأنت أرشدك الله تعالى إذا تأملت هذا الكـلام اقشّـعر جلـدك وقضيـت العجب مما فيه من الخبائث والفجور وما فيه من ادعاء اتفاق المسلمين[1] ومـا فيه من الرمز إلى الزندقة وتكفير الأنبياء عليهم الصلاة السلام وغيرهم. فقوله (سواء كان شيخا أو نبيا) قال الإمام أبو الحسن السبكي: (هـذا كفـر بيقـين لأنه حطّ رتبة الأنبياء عليهم السلام وسّوى[٢] بينــهم وبـين غـيرهم) وصـدق وأحسن في هذا المأخذ اللطيف لأنه[٣] من حط رتبة نبي مما[٤] يجـب لـه كفـر

(١) في س: سقط ما بين المعقوفتين.

(٢) في س: وغيرهم وسوى ... وهو خطأ من الناسخ.

(٣) في ن: لأن من حط.

(٤) في ن: فيما.

---

(1) ذكر الطبرى في تاريخه أحداث معركة اليمامة وفيها أن خالدين الوليد: « ... وقف بين الصفين ودعا البراز، ، وقال: أنا ابن الوليد العود أن ابن عامر وزيد ثم نادى بشعار المسلمين وكان شعارهم يومئذ: يا محمداه، وجعل لا يبرز له أحد إلا قتله... » أ.هـ وتناقل المؤرخون هذا الخبر و لم يتهموا سيدنا خالد أو بقية الصحابة والمسلمين في هذه المعركة بالشرك بل رواها ابـن كثير تلميذ ابن تيمية في تاريخه و لم يعلق عليها و لم يتهم أحدًا بشرك أو غيره !!

بلا نزاع وفي قولـه: (شيخاً كـان أو نبيـا) عـثرة عظيمـة وهـو أن آدم عليـه السـلام ضال مشرك لتوسله بالنبي ﷺ وكذا موســـى عليه الصلاة والسلام [فإنه] [(١)] لما قحط بنو إسرائيل فاستسقى لهم مراراً فلم يُسقوا فقال: (يـا رب إن خَلُقَ جاهي عندك فأسـألك بجـاه محمـد ﷺ عنـدك إلا مـا سـقيتنا) إلى مـا ذكره أبو الفرج بن الجوزي في [(٢)] (اللفظ الرائق).

وأما توسل آدم عليه السلام فمشهور [(٣)] جدًا فمـن ذلـك مـا حكـاه أبـو محمد مكي وأبو الليث السمرقندي وغيرهما أن آدم عليه السلام عنـد اقترافـه قال (اللهم بحق محمد عليك اغفر لي ويروى فقيل، فقال الله عـز وجـل: مـن أين عرفت محمداً؟

قال رأيت في كل موضع من الجنة مكتوبا لا إله إلا الله محمد رسول الله، ويروى محمد عبدي ورسولي فعلمت أنه أكرم خلقك عليك فتـاب الله عليـه وغفر له) وهذا عند قائله تأويل قولـه تعـالى « فتلقـى آدم مـن ربـه كلمـات فتاب عليه » أي تجاوز عنه وفي رواية الحافظ الآجري (فقال آدم عليه السلام لما خلقتني رفعت رأسـي إلى عرشـك فـإذا فيـه مكتـوب لا إلـه إلا الله محمـد رسول الله فعلمت أنه ليس أحد أعظمَ قدراً عندك ممن جعلت اسمه مع اسمـك فأوحى الله عز وجل إليه وعزتي وجلالي إنه لآخر النبيين من ذريتـك ولـولاه ما خلقتك) وخرّج الحاكم في مستدركه علـى الصحيحـين مـن حديـث ابـن عمر رضي الله عنهما أنه عليه الصلاة والسلام قـال (لمـا اقـترف آدم الخطيئـة قال يا رب أسألك بحق محمد لما غفـرت لي فقـال الله يـا آدم وكيـف عرفـت محمداً و لم أخلقه قال يا رب لأنك لما خلقتني بيدك [٦-ب] ونفخت فيّ من روحك رفعت رأسي فرأيت على قوائـم العـرش مكتوبـا لا إلـه إلا الله محمـد

---

(١) في س: سقطت (فإنه).

(٢) في ن: في كتابه اللفظ ...

(٣) في ن: (فمشور) بإسقاط الهاء وهو خطأ من الناسخ.

رسول الله فعرفت أنك لم تُضِفْ إلى اسمك إلا أحب الخلق إليك فقال صدقت يا آدم إنه لأحب الخلق إليّ وإذ سألتني بحقه قد غفرت لك ولو لا محمد ما خلقتك) قال الحاكم صحيح الإسناد ورواه الطبراني أيضاً وزاد (وهو آخر الأنبياء من ذريتك) توسلت يا ربي إليك بحقه لتغفر زلاتي وتقبل توبتي.

ولما ناظر أبو جعفر المنصور مالكا في مسجد رسول الله ﷺ فقال له مالك يا أمير المؤمنين لا ترفع صوتك في هذا المسجد فإن الله عز وجل أدب قوما فقال لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي » ومدح قوما فقال « إن الذين يغضون أصواتهم عند رسول الله » الآية وذم أقواما فقال ﴿ إن الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون ﴾ الآية وإن جرمته ميتا كحرمته حيا، فاستكان لها أبو جعفر وقال يا أبا عبد الله أستقبل القبلة وأدعوا أم أستقبل رسول الله ﷺ؟ فقال و لم تصرف وجهك عنه وهو وسيلتك ووسيلة أبيك آدم. إلى يوم القيامة بل استقبله واستشفع به يشفعك الله قال الله تعالى ﴿ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاوك ﴾ الآية. كذا ذكر هذه القصة القاضي عياض في أشهر كتبه وهو (الشفاء) ساقها بسنده وممن ساق هذه القصة الإمام العلامة هبة الله في كتابه (توثيق عرى الإيمان) وذكرها غيرهما وهي قصة مشهورة و لم يطعن فيها أحد إلا هذا الخبيث الطوية وهذا شأنه إذا جاء إلى شيء لا غرض له يطعن فيه ولا عليه من الله ولا من غيره كما طعن في رواة الأحاديث في الزيارة كما تقدم وقد تتبعت مواضع مما فيها تعظيم النبي ﷺ فلم أجده يَلْوِي عليها بل ولا يذكرها ألبتة، أو يطعن فيها!![1] وهذا يدل على أن في قلبه ضغينة لهذا السيد الكريم(١) الممجد المعظم قال القاضي

(١) في ن: المكرم.

---

(1) أي إذا ذكرها.

عياض في كتابه الشفاء الفصل الثاني في حرمته بعد وفاته: « وأما حرمة النبي ﷺ وتوقيره وتعظيمه فهو لازم كما كـان في حياته وذلـك عند ذكره عليه الصلاة السلام وذكر حديثه وسنته وسماع اسمه [٧-أ] وسيرته ومعاملته آله وتعظيم أهل بيته وصحابته واجب على كل مؤمن متى ذكر عنده أن يخضع ويخشع ويتوقر [ويسكن] [١] من حركته ويأخذ في هيبته وإجلاله بما كان يأخذه بعينه لو كان بين يديه ويتأدب بما أدبنا الله تعالى به انتهى.

وقال جبريل عليه السلام (قلبّت مشارق الأرض ومغاربها فلم أجد أكرم على الله عز وجل من محمد) وقال بن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى «لعمرك إنهم لفي سكرتهم يعمهون » : (ما خلق الله تعالى نفسا أكرم عليه من محمد وما أقسم الله تعالى بحياة أحد إلا بحياته) قيل أقسم الله عز وجل في الأزل بحياته ليظهر شرفه وعلو قدره وسنوّ[٢] مرتبته ليتوسل المتوسلون به إليه قبل بروزه إلى الوجود وبعد وجوده وفي حياته وبعد وفاته وفي عرصات القيامة.

وهذا وغيره لم يزل أهل الإيمان يتوسلون به في حياته وبعد وفاته من غير نكير بل أهل الذمة من أهل الكتاب كانوا يتوسلوا به ﷺ قبل وجوده فيستجاب لهم كما قال تعالى ﴿وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا﴾ الآية وقال ابن عباس رضي الله عنهما (كانت أهل خيبر تقاتل غطفان كلما التقوا هزمت غطفان يهود فعاذت يهود بهذا الدعاء اللهم إنا نسألك بحق هذا النبي الذي وعدتنا أن تخرجه لنا آخر الزمان إلا نصرتنا عليهم وكانوا[٣] إذا التقوا ودعوا بهذا الدعاء فتهزم يهود غطفان فلما بعث النبي ﷺ كفروا به فأنزل الله

(١) سقطت من م.

(٢) في ن: (ودتو) وهو خطأ من الناسخ.

(٣) في ن: فكانوا.

عز وجلّ ﴿ وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا﴾ أي يدعون بك يا محمد إلى قوله تعالى ﴿ فلعنة الله على الكافرين ﴾ .

وإذا كان عز وجل يستجيب لأعدائه بالتوسل به إليه مع علمه عز وجل بأنهم يكفرون به ويؤذونه ولا يتبعون النور الذي أنزل معه قبل بروزه إلى الوجود فما الظن بمن يؤمنون به ويعزرونه أي يعظمونه ويوقرونه ويكرمونه ويتبعون النور الذي أنزل معه وهو القرآن العظيم مع بروزه إلى الوجود وإرساله رحمة للعالمين وإذا كان رحمة للعالمين فكيف لا [٧-ب] يُتوسل به ويستشفع به وهو الشافع[١] المشفع، فمن أنكر التوسل به والتشفع به بعد وفاته فقد أعلم الناس ونادى على نفسه أنه أسوأ حالا من اليهود الذين توسلوا به قبل بروزه إلى الوجود وأن في قلبه نزغة[٢] هي أخبث النزغات[٣] ومن قال بأن جاهه زال بموته فلا يقال: يا جاه محمد يا جاه رسول الله يا جاه المصطفى ونحو ذلك فهو من أعظم الزنادقة على أنواع فرقها وجاحد للربوبية فإن جاهه هو الله عز وجل فكأن هذا القائل يقول: لا تقولوا يا الله وهو كفر محقق ومخالفة[٤] لما عليه هذه الأمة في جميع الأزمان في سائر الأقطار والبلدان وهي نزغة[٥] حاكمية حكمية فنسأل الله تعالى [العافية][٦] من مضلات الفتن ما ظهر منها وما بطن .

---

(١) في ن: الشفيع.

(٢) في ن: نزعة.

(٣) في ن: النزعات.

(٤) في ن: ومخالفة.

(٥) في ن: نزعة.

(٦) سقطت من م.

[حـ : محاكمة ابن تيمية وسجنه]

وما ذكر المستفتي من أن نذكر[١] لهم ما وقع لابن تيمية مع علماء الشاميين والمصريين[٢] وأين مات وما نودى [عليه] [٣] فقد، ذكر أهل التواريخ[٤] ومنهم صاحب عيون[٥] التواريخ محمد بن شاكر أن[٦] في سنة خمس وسبعمائة عُقد مجلس بالفقهاء والقضاة لأجل ابن تيمية بحضرة نائب السلطان بدمشق بالقصر الأبلق فُسئل ابن تيمية عن عقيدته فأملى شيئاً منها ثم أحضرت عقيدته[٧] الواسطية وقرئت في المجلس ووقع بحوث كثيرة وبقى [٦/أ] مواضع أخر إلى مجلس ثاني .

ثم اجتمعوا يوم الجمعة ثاني عشر شهر[٨] رجب وأحضر[٩] ابن تيمية وحضر المجلس صفي الدين الهندي وبحثوا معه وسألوه عن مواضع ثم اتفقوا[١٠] على أن تكون المناظرة بين ابن تيمية وبين كمال الدين بن الزملكان[١١] فألزمه ابن الزملكان ببعض كلامه فعلم ابن تيمية أنه إن بحث

(١) في ن: أذكر.

(٢) في ن: الشاميين وأين مات..

(٣) في م: سقطت كلمة [عليه].

(٤) في ن: التاريخ.

(٥) في م: عون، وهو خطأ من الناسخ.

(٦) في ن: سقطت (أن).

(٧) في ن: عقيدة.

(٨) في ن: سقطت كلمة شهر.

(٩) في ن: حضر ابن تيمية.

(١٠) في ن: ثم إنهم اتفقوا.

(١١) في ن: الزملكاني.

وقع تحت الخطر وترتب محظور عظيم فأشهد على نفسه في المجلس أنه يعتقد ما يعتقده الشافعي ﷺ وأنه شافعي المذهب فرضوا منه بذلك وانصرفوا ثم إن أتباع[١] ابن تيمية أشاعوا أن الحق ظهر مع شيخنا[٢] فأحضر القاضي جلال الدين القزويني واحدًا منهم وصفعه ورسم بتعزيره وكذا الحنفي فعل باثنين وجرت[٣] أمور لا نطول بذكرها .

ثم ورد كتاب من مصر/ بتجهيز القاضي ابن صصري وإحضار ابن تيمية فبادر النائب إلى ذلك.

وفي سابع شوال دخل[٤] بريدي إلى دمشق وأخبر بوصلهما إلى القاهرة وأنه عقد مجلس بقلعة الجبل بالقاهرة[٥] وحضر القضاة والعلماء والأمراء فتكلم شمس الدين بن عدلان[٦] الشافعي وادعى دعوى شرعية على ابن تيمية في أمر العقيدة وذكر منها فصولا فقام ابن تيمية وحمد الله تعالى وأراد أن يتكلم فمنعوه وقالوا أنت في دعوى أجب عنها فأعاد ذكر الخطبة فمنعوه وقالوا هذا الذي تقول نعرفه أجب فلم يفعل وكرروا عليه القول فلم يزدهم على إعادة أن يريد أن يخطب وطال الأمر على الدولة فحكم القاضي المالكي بحبسه وحبس أخويه معه عبد الله وعبد الرحمن في برج من أبراج القلعة قلعة الجبل فتردد إليه جماعة من الأمراء فبلغ ذلك القاضي فاجتمع بالأمراء

(١) في ن: تباع.

(٢) في ن: شيخهم.

(٣) في ن: جرى.

(٤) في ن: وصل.

(٥) في ن: قلعة القاهرة.

(٦) في ن: عدنان وهو خطأ.

وعاتبهم في ذلك وقال يجب التضييق عليه إذا لم يقتل وإلا فقد وجب قتله وثبت كفره ثم نقلوه إلى جُبِّ البرج ثم في ست وسبعمائة وصل الأمير حسام الدين إلى القاهرة واجتمع بالسلطان فأكرمه وخلع عليه وزاد في إكرامه فخاطب السلطان في ابن تيمية فأجابه فحضر حسام الدين بنفسه إلى الجب وأخرجه فلما سمع الشيخ ابن عطاء وشيخ الخانقاه بذلك [اجتمعا] واجتمع معهما من الصوفية أكثر من خمسمائة نفس وطلعوا إلى القلعة وانضاف [٦-ب] إليهم خلق كثير فلما رأتهم الدولة قالوا لهم ما[1] مرادكم فقالوا ابن تيمية يتكلم في مشايخ الصوفية[2] وأنه وقع في أمر عظيم من جهة الجناب الرفيع وأنه لا يستغاث به وسألوا أن يعقد لهم وله مجلس فردوا الأمر إلى قاضي القضاة بدر الدين بن جماعة ففوضه إلى المالكي الزواوي فرده إلى الحبس ثم بعد ذلك أرسلوه إلى الإسكندرية[3] فحبس في برج شرقي الإسكندرية ثم لم يزل ينقل من حبس إلى حبس وآخر ما حبس في قلعة دمشق ووصل القاضي ابن صصري وجلس [يوم الجمعة][4] في الشباك الكمالي وحضر القراء والمنشدون وكان قد وصل معه كتب لم يعرضها على نائب/ السلطنة فلما كان بعد أيام عرضها عليه فرسم له بقراءتها والعمل بما فيها امتثالا للمراسيم السلطانية وكانوا قد بيّتوا على جميع الحنابلة بأن يحضروا إلى مقصورة[5] الخطابة بعد الصلاة فلما كان بعد الصلاة

(١) في ن: إيش مرادكم.

(٢) في ن: الطريقة.

(٣) في ن: الإسكندرية.

(٤) في م: سقطت (يوم الجمعة).

(٥) في ن: مقطورة وهو خطأ من الناسخ.

حضر القضاة والأمراء والفقهاء وخلق كثير فقرئ المرسوم وفيه ما يتعلق بمخالفة ما يعتقده ابن تيمية وإلزام الناس بذلك خصوصا الحنابلة مع التوعد الشديد عليهم والعزل من المناصب والحبس وأخذ المال والروح وفي الكتاب إفتاء الأئمة الأربعة بكفره وفي الكتاب كلام كثير .

ثم نودي على رؤوس الأشهاد من كان على عقيدة ابن تيمية فليجدد الإسلام وأشاعوا ذلك خوفا على العامة من[1] أن يكونوا على عقيدته فيلقوا الله تعالى على غير دين أهل التوحيد لما تضمنته كتبه من التشبيه والتجسيم والازدراء بالأنبياء والمرسلين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين. وأرادوا أن يضربوا عنقه فقال لهم المالكي بلغني أن أهل الذمة شنعوا على علماء المسلمين وقالوا للعوام [انظروا] [2] علماء المسلمين كيف يضل[3] بعضهم بعضا فلو كان دينهم حقا لما اختلف علماؤهم وأمر بحبسه فمات في سجن الكفر باتفاق إفتاء العلماء من الشاميين والمصريين على ما بلغني والأمر على ما[4] أفتوا به بل بجزئه مما هو موجود في فتاويه وفي مصنفاته هو كفر بيقين لا يشك فيه من له أدنى دراية [٧-أ] بالعلم.

---

(١) في ن: سقطت (من).

(٢) في م: سقطت كلمة (انظروا).

(٣) في م: يضلوا وهو خطأ من الناسخ.

(٤) في ن: والأمر كما أفتوا.

[د: وفاة ابن تيمية]

واختلف[١] النقل في كيفية هلاكه فقيل هلك حتف أنفه.

وقيل قتل بسيف الشرع[٢].

وقيل لما علم أتباعه أنه مقتول لا محالة دسوا عليه من قتله مخافة أن يشتهر قتله[٣] بسيف الشرع فيبطل اعتقاد أتباعه بسبب ذلك.

وهذا شئ لم يسمع بمثله في مبتدع.

ولهذا ترى أتباعه في الغاية من التعصب والدعاء إلى اعتقاده مع ما يلقونه من الإهانة والضرب بالأسياط وغيرها.

وكان من أكبر أتباعه:

- ابن قيم الجوزية
- وإسماعيل بن كثير

وكانا يفتيان بأن الطلاق الثلاث واحدة وضربا على ذلك وجُرِّصا على باب الجوزية فعل العلماء ذلك/ صيانة للأبضاع.

ثم إن ابن كثير طُلب على شيء عظيم وهو أنه ضُبط عليه أن التوراة لم تبدل، فأرادوا ضرب عنقه.

وهو كان من الغلاة في ابن تيمية وأطنب[٤] في الثناء عليه

فما وجدتموه في تاريخه فلا يلتفت[٥] إليه.

وقد أدركته وهو وأولاده أحمد وعبد الوهاب يرتكبون عظائم.

---

(١) في م: واختلف العلماء.

(٢) في ن: الشريعة.

(٣) في أ: إن اشتهر قتل.

(٤) في ن: فأطنب.

(٥) في ن: تلتفتوا.

فنسأل الله العظيم العافية من كل ما يبعد عنه[١] ويورث غضبه[٢] وغضب رسوله[٣] ﷺ .

اللهم كما جعلتنا نبات نعمك فلا تجعلنا حصائد نقمك واحشرنا في زمرة من تستنزل الرحمة بذكرهم وترتجى[٤] المغفرة والخيرات بشكرهم وكشفت لهم عن سر بعض تحقيق توحيدك **فشاهدتهم** بعض الملكوتيات وذلك من بعض الكرامات وأشهدتهم بعض أنوار قدسك فلاح لهم بعض التجليات، إنك مجيب الدعوات وكاشف الكربات وراحم العبرات يا من عمت رحمته الأحياء والأموات.

وصلى الله وسلم على سيدنا محمد[٥] صاحب المعجزات الظاهرات والآيات الباهرات وسلم تسليما كثيرا.

والله تعالى أعلم.

وكتب هذه المعاني[٦] أبو بكر بن[٧] محمد الحسيني الحصني الشافعي.

وهذا آخر ما وجد بخطه ﷺ وأرضاه وجعل الجنة متقلبه ومثواه بمحمد وآله ونفعنا به في الدنيا والآخرة.

---

(١) في ن: عنك.

(٢) في ن: غضبك.

(٣) في ن: رسولك.

(٤) في ن: ترجى.

(٥) على صاحب المعجزات...

(٦) في ن: وكتبه أبو بكر.

(٧) في ن: سقطت (بن).

[صورة ما وجد بخط قاضي القضاة نجم الدين بن حجي] *

* قال عنه ابن قاضي شهبة في طبقاته:

عمر بن حجي بن موسى بن أحمد بن سعد، الإمام العالم، المفنن، ناصر السنة، وقامع الظلمة والمبتدعة، قاضي القضاة نجم الدين أبو الفتوح ابن العلامة فقيه الشام، علاء الدين أبي محمد، السعدي، الحسباني، الدمشقي. مولده سنة سبع- بتقديم السين- وستين وسبعمائة، وحفظ التنبيه في ثمانية أشهر، وحفظ غيره من المختصرات، وأسمعه أخوه من جماعة من مشايخه وغيرهم، واستجازله وسمع هو بنفسه من خلق بمصر والشام والحجاز وغيرها، وأخذ العلم عن أخيه، وعن المشايخ الموجودين في ذلك العصر، منهم شهاب الدين الزهري، وشرف الدين ابن الشريشي، ونجم الدين ابن الجابي، وشرف الدين الغزي؛ ورحل إلى القاهرة سنة تسع- بتقديم التاء- وثمانية، وأخذ عن المشايخ بها: الشيخ سراج الدين البلقيني وزين الدين العراقي وسراج الدين ابن الملقن وبدر الدين الزركشي وغيرهم . وأجازه ابن الملقن بالتدريس، وكتب بخطه من مصنفات البلقيني وغيره. ولازم الشيخ شرف الدين الأنطاكي مدة طويلة، وانتفع به كثيراً في النحو وكان هو أجل علومه، وطالع شرح المحصول للأصفهاني وكتب منه أجوبة أسئلة ذكرها الإسنوي في شرحه، ولم يتعرض لأجوبتها- كذا حكاه لي رحمه الله تعالى. وحج سنة ست وثمانين مع أخيه. وولي إفتاء دار العدل في ذي الحجة سنة اثنتين وتسعين، ثم ولي مشيخة خانقاه عمر شاه.

ووقع بينه وبين جماعة من معاصريه من النياب والقضاة وغيرهم فتن وشرور، وحصل له بذلك محن وأوذى فصبر، وأظهر من الشجاعة وثبات الجأش ما يعجز عن مثله، وكل ذلك والله ينصره على أعدائه، ويرفع كلمته عليهم. وقد درس بالشاميتين، والركنية، والظاهرية، والغزالية. وفي أواخر عمره في جمادى الآخرة سنة سبع وعشرين ولي كتابة السر بالديار المصرية، فباشرها دون سنة.

وكان حسن التصرف في العلوم إلى الغاية، جيد الذهن، حادّ القريحة، ذكياً، فصيحاً، يلقي الدروس بتأنٍ وتؤدة، ويرد على من يبحث معه بالعلم، لا بالقوة.

وكان يعتني بدروسه كثيراً. وكان حسن الملتقى للناس، كثير المباسطة لهم، محسناً للغرباء والواردين عليه، كثير المباسطة لهم، وكان قامعاً للظلمة والمبتدعة، لا يهاب أحداً منهم ولا يبالي، والله ينصره ويؤيده، وحصل للفقهاء به عز ورفعة. وكان يعتقد الفقراء والصالحين ويكرمهم ويزورهم. ومحاسنه جمة، ومناقبه كثيرة، وعليه مآخذ، رحمه الله تعالى رحمة واسعة. قتل بمنزله بين الربوة.

=

تغمده الله تعالى برحمته[١] الله الهادي للصواب

هذا الرجل المسئول عنه في الاستفتاء كان عالما متعبداً، ولكنه ضلّ في مسائل عديدة عن الطريق المستقيم والمنهج القويم، لا جرم سجن بسجن الشرع الشريف بعد الترسيم وأفضى به إعجابه بنفسه إلى الجنوح إلى التجسيم الذي ابتدته[٢] اليهود الذين أشركوا بالواحد الأحد المعبود.

وتغالى فيه أصحابه وأتباعه حتى[٣] قدموه على جميع[٤] الأئمة وعلى علماء الأمة./ [٩-ب].

(١) في ن: وكتب قاضي القضاة نجم الدين بن منجي.

بالإضافة إلى أن هذه الفتوى أتت عقب فتوى قاضي القضاة برهان الدين بن خطيب عذراء في نسخة ألمانيا.

(٢) في ن: ابتدعه.

(٣) في ن: حين.

(٤) في ن: سقطت كلمة (جميع).

= والنيرب أماكن في ضواحي دمشق- في ذي القعدة سنة ثلاثين وثمانمائة، ودفن إلى جانب أخيه- رحمهما الله تعالى- عن ثلاث وستين سنة وكسر. ورئيت له منامات حسنة تدل على سعادته في الآخرة، كما كان في الدنيا- إن شاء الله تعالى » أ. هـ بتصرف واختصار من طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة ٤/٩٥-٩٨.

ووصفه الإمام ابن حجر العسقلاني في (إنباء الغمر) بأنه كان قليل الاستحضار لكنه جيد الذهن حسن التصرف وأنه كان ذكيا فصيحا حسن الملتقى والمباسطة يلقي الدروس بتأن وتؤدة، انظر جـ٨/١٢٩- ١٣١ وذكر الحافظ السخاوي في (الضوء اللامع) جـ/٧٨ أنه كان حاكماً صارماً مقداماً رئيساً ذا حرمة ومهابة كما وصفه السخاوي وابن حجر رحمهما الله أنه كان حاد الطباع متقلبا.. والذي يعنينا في موضوع فتواه المنقولة هو الوثوق من:

أ- علمه وتحريه ودقة فهمه وقد شهدوا له بذلك.

ب- ورعه وأمانته وتقواه بما يمنعه من الكذب في العزو أو التزوير في النقول كما فعل ابن تيمية.

وهجر مذهب الإمام أحمد الذي أتباعه بالإجماع أولى وأحمد، ورد عليه العلماء المحققون.

وسجنه حكام الشريع[١] الأقدمون ونودى بدمشق أن لا ينظر أحدٌ في كلامه وكتبه وهرب كلٌّ من أتباعه ومَن هو على مذهبه واعتقاده[٢].

والعجب كل العجب من جُهَّال حنابلة هذا الزمان يغضبون إذا قيل لهم: (**أخطأ ابن تيمية**)، وربما اعتقد بعضهم أن قائل ذلك ملحد، ولا يغضبون إذا قيل لهم: أخطأ الشافعي وأبو حنيفة ومالك والإمام أحمد.

اللهم اشهد أني بريئ من كل مجسم ومشبه ومعطل وإباحي وحلولي واتحادي وزنديق وملحد ومن كل من خالف اعتقاد أهل السنة والجماعة.

وبريئ من كل من منع من زيارة قبر سيدنا رسول الله ﷺ ومن شد الرحل إليه ومن زيارة قبور الأنبياء والمرسلين والأولياء والصالحين.

اللهم وإني أسألك وأتوسل إليك بسيد الأولين والآخرين ورسول[٣] رب العالمين[٤] والأولياء والصالحين أن تحييني على الإسلام وتميتني على الإيمان على اعتقاد أهل السنة والجماعة سالما من اعتقاد أهل الزيغ والضلال والبدع والإضلال[٥].

ونفعنا والمسلمين ببركة سيدنا الشيخ [الإمام][٦] الرباني المجيب عن هذا السؤال.

والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب.

كتبه عمر بن حجي الشافعي

---

(١) في ن: الشريعة.

(٢) في ن: على اعتقاده ومذهبه.

(٣) في ن: والآخرين رسول ..

(٤) في ن: رسول رب العالمين محمد ﷺ وسائر الأنبياء والمرسلين والأولياء والصالحين...

(٥) في م: والإظلال وهو خطأ من الناسخ.

(٦) في م: الإيمان وهو خطأ من الناسخ.

[صورة ما وجد بخط الشيخ برهان الدين بن خطيب عذراء]
رحمه الله تعالى ورضي عنه [١] *

(١) في ن: وكتب تحت هذه الفتيا القاضي برهان الدين بن خطيب عذراء.

* ترجم له ابن قاضي شهبة فقال: إبراهيم بن محمد بن عيسى بن عمر بن زياد العجلوني الدمشقي الإمام العالم، قاضي القضاة، برهان الدين، أبو إسحاق، المعروف بابن خطيب عذارء. ولد سنة اثنتين وخمسين وسبعمائة، حفظ المنهاج، واشتغل على مشايخ ذلك الوقت، ولازم الشيخ علاء الدين حجي كثيراً، وفضل في الفقه، وأنهاه ابن خطيب يبرود بالشامية البرانية بغير كتابة، شهد له باستحقاق ذلك الشيخ جمال الدين بن قاضي الزبداني، ثم توجه إلى حلب أيام الشيخ شهاب الدين الأذرعي، فأقام بها مدة طويلة وصحب الخطيب ابن عشائر وغيره. وحكى لي الشيخ شهاب الدين ابن حجي تغمده الله برحمته أن الشيخ برهان الدين كان في زمن الأذرعي يستحضر الروضة بحيث أنه إذا أفتى الأذرعي بشيء يعترضه، ويقول: المسألة في الروضة في الموضع الفلاني. ودرس بحلب بجامع منكلي بغا. ولما عاد البلقيني من حلب أثنى عليه ثناء حسنا، ووصفه بالفضل والاستحضار. ثم ولي قضاء صفد في حياة الملك الظاهر بواسطة الشيخ محمد المغيربي وغيره، ثم عزل، وولي بعد الفتنة مرتين أو ثلاثاً. ثم قدم دمشق في رمضان سنة ست وثمانمائة، وهو سليم الخاطر، سهل الانقياد ، وكان شكلاً حسناً، بهياً وقد كتب شرحاً على المنهاج في أجزاء، غالبه مأخوذ من الرافعي، وفيه فوائد غريبة، ولم يكن له اعتناء بكلام المتأخرين، ولا يد له في شيء من العلوم سوى الفقه توفي في المحرم سنة خمس وعشرين وثمانمائة، ودفن بمقبرة الشيخ رسلان بالقرب من المسجد الذي هناك على جادة الطريق على يمين المتوجه إلى باب شرقي- رحمه الله تعالى » أ.هـ. طبقات ابن قاضي شهبة ٧٢/٤-٧٤ وذكره الإمام ابن حجر العسقلاني في (إنباء الغمر) فقال في ترجمته: تصدى للقاضي شهاب الدين ابن أبي الرضى حتى أخذ عليه في ثلاثين فتيا أخطأ فيها حتى نسبه في بعضها لمخالفة الإجماع مع شدة ذكاء ابن أبي الرضي إذ ذاك. وكان البلقيني يفرط في تقريظه والثناء عليه » ثم ذكر واقعة له مع الإمام البلقيني تدل على ذلك فقال: « وقرر (ابن منكلي بغا) له في جامع والده بحلب تدريسا وذلك في سنة ثلاث وتسعين، فاتفق حضور الشيخ سراج الدين البلقيني صحبة الملك الظاهر فسأله أن يحضر إجلاسه، فلما حضر قال له: تدرس أنت أو أنوب عنك؟ فقال: تكلم يا مولانا شيخ الإسلام » أ.هـ. ٤٧١/٧- ٤٧٢ قلت: وحسبه منقبة له ثناء الإمام البلقيني عليه وامتداحه له ووصفه الإمام الحافظ شمس الدين السخاوي بأنه « سليم الباطن فقيها مفتيا » ثم قال: « وهو في الشاميين نظير البيجوري في المصريين » أ.هـ. (الضوء اللامع) ١٥٧/٩.

الحمد لله وحده وصلواته على خير خلقه.

وقفت على ما أفتى به سيدنا الشيخ الإمام العلامة الرباني المقبل على الله المعرض عن الدنيا القائم بعظيم مآثر سيدنا[١] رسول الله ﷺ والحاث على ذلك.

وجوابي فيما أفتى به سيدنا المشار إليه فيما يتعلق بزيارة قبر سيدنا رسول الله ﷺ كجوابه فزيارة قبره والتوسل به إلى ربه هو اعتقادي عليه أحيا وعليه أموت فإن ذلك من جملة تعظيمه [١٠-أ] ﷺ ومن أخل بتعظيمه في محياه ومماته فهو[٢] محروم شفاعته يوم القيامة وهو إما خبيث الباطن أو جاهل بمقدار سيدنا رسول الله ﷺ عند ربه وجاهل بكلام العلماء وما نقلوه في[٣] ذلك.

فمن ذلك ما رأيته في تفسير الإمام فخر الدين الرازي رحمه الله تعالى أن جبريل عليه السلام جاء إلى رسول الله ﷺ فقال[٤] يا أخي يا محمد كنت الساعة خلف جبل قاف رأيت[٥] ملكا من ملائكة[٦] الله تعالى كنت أعرفه في السماء الرابعة وفي خدمته أربعمائة ألف ملك رأيته مكسور الأجنحة ملقى خلف جبل قاف فسألته ما السبب في ذلك فقال يا أخي يا جبريل مرّ عليّ محمد رسول الله[٧] ﷺ ليلة الإسراء ما قمت له فصيرني إلى هذه الحالة

(١) في ن: القائم بتعظيم ما يتعلق بسيدنا...

(٢) في ن: فهو كافر محروم..

(٣) في ن: من.

(٤) في ن: وقال.

(٥) في ن: فرأيت.

(٦) في ن: ملائكة.

(٧) في ن: (أربعمائة ملك) وبالهامش (أربعة آلاف).

فقال رسول الله ﷺ يا أخي يا جبريل أما أشفع له إلى ربه ليعيده؟ فقال: الأمر إليك فشفع له فأعاده إلى منزلته.

ورأيت في أوائل الشفاء للقاضي عياض رحمه الله[١] عن وهب بن منبه أنه قال قرأت سبعين كتابا فكلها أجد فيها أن عقول الخلائق بالنسبة إلى عقل محمد[٢] ﷺ كرملة بين رمال الدنيا فمن أكرمه ربه بذلك كيف لا يتوسل به إليه؟

انظر إلى من كانت له حاجة عند مخلوق وأحب قضائها فإنه يتوسل إليه بمن يحبه وقد ورد:

« اللهم إني أتوسل إليك بكتابك الذي أنزلت [ونبيك][٣] الذي أرسلت » .

وقد توسل به آدم وغيره إلى ربه قبل وجوده في الظاهر فما ظنك بعد بروزه إلى الوجود؟

وقد توسل عمر ﷺ بعمه العباس عام الرمادة[٤] حين استسقى فما رجعوا حتى خاضوا الغدران .

وفي الأحكام السلطانية للماوردي أنه ﷺ قال « من [زار قبري] وجبت له شفاعتي » كما قاله الشيخ المجيب أولا وتخريجه كما قاله أيضاً .

وحكى العُتبي قال كنت عند قبر رسول الله ﷺ فأتاه أعرابي فقال يا

---

(١) في ن: ما أشفع.

(٢) في ن: عياض عن وهب...

(٣) في ن: إلى عقل محمد كرملة.

(٤) في ن: أيّ.

رسول الله إني وجدت الله تعالى[١] يقول ولو أنهم [١٠- ب] إذ ظلموا أنفسهم الآية وقد جئت مستغفرا من ذنبي مستشفعا بك إلى[٢] ربي ثم أنشد الأبيات المعروفة وهي:

يا خير من دفنت بالقاع أعظمه فطاب من طيبهن القاع والأكم
نفسى الفداء لقبر أنت ساكنه فيه العفاف وفيه الجود والكرم

زاد[٣] الشيخ تقي الدين الحصني في بعض كتبه هذين البيتين ﷺ .

وفيه كل خصال الخير قد جمعت فلذ به فهو من تدعى له الذمم
وهو الذي نرتجي في كل نائبة وفي المعاد إذا زلت بنا القدم

ثم ركب راحلته وانصرف قال العتبي تعقبت[٤] إغفاءه فرأيت رسول الله ﷺ يقول يا عُتبي إلحق الأعرابي وأخبره أن الله تعالى غفر له..

والكلام في مثل ذلك لا يحصى ولا يعد وقصد الشيخ المجيب من[٥] ذلك الرد على أتباع ابن تيمية والتحذير من الاغترار بأقوالهم وإلا فهو قد انقضى وأفضى إلى ما قدم وجهل أتباعه وخطأهم أظهر من أن تنصب[٦] عليهم دليلا .

وقد ذكر البغوي في أوائل تفسيره أن الكفر على أربعة أقسام: كفر إنكار، وكفر جحود، وكفر عناد، وكفر نفاق.

(١) في ن: الزيادة وهو خطأ من الناسخ.

(٢) في ن: عند ربي.

(٣) في ن: سقط من أول (زاد الشيخ ..) حتى (بنا القدم).

(٤) في ن: فأغفبت.

(٥) في ن: في.

(٦) في ن: ينصب بالياء .

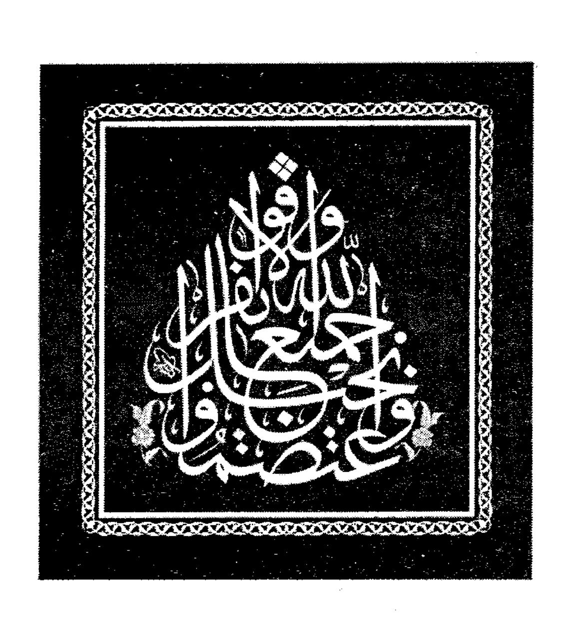
وهـذا الأخـير هـو أن يقـر باللسـان ولا يعتقـد بـالقلب وبـاقي الأقســام معروفة.

وقد استوفى المجيب أولا أبقاه الله تعالى ولا حاجة إلى الزيـادة عليـه والله تعالى أعلم.

وكتبه[١] إبراهيم بن الخطيب الشافعي.

والحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمـد وآلـه. أهـل بيتـه الطيبـين الطاهرين ورضي الله تعالى عن السادة الصحابة أجمعين.

(١) في ن: كتبه.


واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا

ختام الفتاوى السهمية للمحقق

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبة أجمعين وبعد:

فإن هناك كثيرين آخرين ذهبوا إلى كفر ابن تيمية أو على الأقل وصفوا بعض آراءه ومعتقداته وفتاويه بأنها كفريات مخرجة من الملة وإن لم يخرج القائل بها لعذر مّا، ونصُّوا على ذلك، منهم:

١ - الإمام تقي الدين السبكي

والمطالع لكتابه الدرة المضية والاعتبار ببقاء الجنة والنار وغيرهما يجد ذلك في كلامه وقد سبق نقل مقدمة الدرة المضية، وأثناء كلامه فيها أثبت إجماع الأمة على وقوع الطلاق المعلق ثم ذكر أن من العلماء من ذهبوا إلى كفر الخارج على الإجماع وجلالة الإمام السبكي ورفعة قدره معلومة بما يغني عن ذكرها ملحق نموذج لرده عليه في موضوع طلاق الثلاث.

أما بعد فإنه لما أحدث ابن تيمية ما أحدث في أصول العقائد ونقض من **دعائم** الإسلام الأركان والمعاقد بعد أن كان مستتراً بتبعية الكتاب والسنة **مظهراً** أنه داع إلى الحق هاد إلى الجنة فخرج عن الاتباع إلى الابتداع وشذ عن جماعة المسلمين بمخالفة الإجماع وقال بما يقتضي الجسمية والتركيب في الذات المقدسة وأن الافتقار إلى الجزء ليس بمحال وقال بحلول الحوادث بذات **الله** تعالى وأن القرآن محدث تكلم الله به بعد أن لم يكن وأنه يتكلم ويسكت **ويحدث** في ذاته الإرادات بحسب المخلوقات وتعدى في ذلك إلى استلزام قدم **العالم** (والتزامه) بالقول بأنه لا أول للمخلوقات فقال بحوادث لا أول لها

فأثبت الصفة القديمة حادثة والمخلوق الحادث قديماً ولم يجمع أحد هذين القولين في ملة من الملل ولا نحلة من النحل فلم يدخل في فرقة من الفرق الثلاثة والسبعين التي افترقت عليها الأمة ولا وقف به مع أمة من الأمم همة، وكل ذلك وإن كان كفراً شنيعاً مما نقل جملته بالنسبة إلى ما أحدث في الفروع فإن متلقي الأصول عنه وفاهم ذلك منه هم الأقلون والداعي إليه من أصحابه هم الأرذلون وإذا حوققوا في ذلك أنكروا وفروا منه كما يفرون من المكروه، ونبهاء أصحابه ومتدينوهم لا يظهر لهم إلا مجرد التبعية للكتاب والسنة والوقوف عند ما دلت عليه من غير زيادة ولا تشبيه ولا تمثيل.

وأما ما أحدثه في الفروع فأمر قد عمت به البلوى وهو الإفتاء في تعليق الطلاق على وجه اليمين بالكفارة عند الحنث وقد استروح العامة إلى قوله وتسارعوا إليه وخفت عليهم أحكام الطلاق وتعدى إلى القول بأن الثلاث لا تقع مجموعة إذا أرسلها الزوج على الزوجة وكتب في المسألتين كراريس مطولة ومختصرة أتى فيها بالعجب العجاب وفتح من الباطل كل باب.

وكان الله تعالى قد وفق لبيان خطئه وتهافت قوله ومخالفته لكتاب الله وسنة رسوله ﷺ وإجماع الأمة، وقد عرف ذلك خواص العلماء ومن يفهم من عوام الفقهاء، ثم بلغني أنه بث دعاته في أقطار الأرض لنشر دعوته الخبيثة وأضل بذلك جماعة من العوام ومن العرب والفلاحين وأهل البلاد البرانية وليس عليهم مسألة اليمين بالطلاق حتى أوهمهم دخولها في قوله تعالى ﴿ لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم ﴾ الآية وكذلك في قوله تعالى ﴿ قد فرض الله لكم تحلة أيمانكم ﴾ الآية فعسر عليهم الجواب وقالوا هذا كتاب الله سبحانه وبقى في قلوبهم شبه من قوله حتى ذاكرني بذلك بعض المشايخ ممن جمع علماً وعملا وبلغ من المقامات الفاخرة الموصلة إلى الآخرة أملا ورأيته متطلعاً

إلى الجواب عن هذه الشبهة وبيان الحق في هذه المسألة على وجه مختصر يفهمه من لم يمارس كتب الفقه ولا ناظر في الجدل فكتبت هذه الأوراق على وجه ينتفع به من نور الله قلبه وأحب لزوم الجماعة وكره تبعية من شذ من الشياطين وبالله أستعين وعليه توكلت وهو حسبي ونعم الوكيل.

وقد رتبت الكلام على ثلاثة فصول:

الفصل الأول في بيان حكم هذه المسألة.

الفصل الثاني: في كلام إجمالي يدفع الاستدلال المذكور.

الفصل الثالث: في الجواب عن ذلك الاستدلال بخصوصه تفصيلا.

الفصل الأول:

اعلم أن الطلاق يقع على وجه محرم ويسمى طلاق البدعة كالطلاق في الحيض، وعلى وجه غير محرم ويسمى الطلاق السني، وقد أجمعت الأمة على نفوذ الطلاق البدعي كنفوذ السني إلا ما يحكى في جمع الثلاث على قولنا أنه بدعي فإذا طلق امرأته على الوجه المنهي عنه وهذا ليس فيه بين الأمة خلاف يعتبر إلا أن الظاهرية الذين يخالفون الإجماع في مسائل من الطلاق وغيره خالفوا في هذه المسألة وهم محجوجون بالإجماع والحديث فقد طلق ابن عمر رضي الله عنهما امرأته وهي حائض فسأل عمر رسول الله ﷺ عن ذلك فقال مره فليراجعها ثم ليمسكها حتى تطهر ثم تحيض ثم تطهر ثم إن شاء أمسك وإن شاء طلق قبل أن يمس فتلك العدة التي أمر الله أن تطلق لها النساء وهو في الصحيحين وفي لفظ قال ابن عمر فطلقها وحسبت لها التطليقة التي طلقها وهو في الصحيح مع أن أهل الظاهر يقولون لو طلقها في الحيض ثلاثاً نفذ وكذلك لو طلقها في طهر مسها فيه، والقصد أن الطلاق في الحيض على

وجه البدعة نافذ على ما دل عليه الحديث المذكور، وما ورد في بعض روايات هذا الحديث أن عبد الله بن عمر قال فردها علي و لم يرها شيئاً متأول عند العلماء ومحمول على معنى الرواية الأخرى وقد ثبت عن ابن عمر رضي الله عنهما من غير وجه الاعتداد بتلك الطلقة وإنفاذها عليه وقد قال الله سبحانه وتعالى في كتابه العزيز ﴿ يا أيها النبي إذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن ﴾ يعني لقبل عدتهن وقد قرئ كذلك والمراد أن يوقع الطلاق على وجه تستقبل المرأة العدة بعده وإذا وقع الطلاق في الحيض لم تعتد المرأة بأيام بقية الحيض من عدتها فتطول عليها العدة وقيل ليطلق في الطهر فربما كان الطلاق في الحيض لعدم حل الوطء فيه وقد جاء في بعض ألفاظ هذا الحديث « فتلك العدة التي أمر الله أن تطلق لها النساء » يعني في هذه الآية فقد دل الكتاب والسنة على أن الطلاق في الحيض محرم ومع ذلك فقد قضي النبي ﷺ بنفوذه والاعتداد به وإن كان قد خالف الوجه الذي شرع الطلاق فيه فرأينا الشرع أوقع بدعة الطلاق كما أوقع سنته وما ذلك إلا لقوة الطلاق ونفوذه وكذلك إذا جمع الطلقات الثلاث في كلمة فهو مخالف لوجه السنة في قول جماعة من السلف بل أكثرهم ومع ذلك يلزمونه الثلاث.

وقد أتى ابن العباس رجل فقال أن عمي طلّق امرأته ثلاثاً فقال إن عمك عصى الله فأندمه الله و لم يجعل له مخرجاً وعن أنس قال كان عمر رضي الله عنه إذا أتى برجل طلق امرأته ثلاثاً في مجلس واحد أوجعه ضربا وفرق بينهما، وعن عمران بن حصين رضي الله عنه أنه سئل عن رجل طلق امرأته ثلاثا في مجلس قال: (أثم وحرمت عليه امرأته)، وعن نافع أن ابن عمر رضي الله عنهما قال: (من طلق امرأته ثلاثاً فقد عصى ربه وبانت منه امرأته).

فهذه أقوال الصحابة في إثم من جمع الطلقات الثلاث لمخالفته السنة ومع

ذلك يوقعونها عليه وما ذلك إلا لقوة الطلاق ونفوذه وقد قال النبي ﷺ «ثلاث جدهن جد وهزلهن جد النكاح والطلاق والرجعة» فجعل هزل الطلاق جداً ولم نعرف بين الأمة خلافاً في إيقاع طلاق الهازل وما ذلك إلا لأنه أطلق لفظ الطلاق مريداً معناه ولكنه لم يقصد حل قيد نكاح امرأته بذلك ولا قصد إيقاع الطلاق عليها بل هزل ولعب ومع ذلك فلم يعتبر الشارع قصده وإنما ألزمه موجب لفظه الذي أطلقه وواخذه به وما ذلك إلا لقوة الطلاق ونفوذه.

ثم إن الطلاق يكون منجزاً ويكون معلقاً على شرط فالمنجز كقوله أنت طالق والمعلق كقوله إذا جاء رأس الشهر فأنت طالق وإن دخلت الدار فأنت طالق، وقد أجمعت الأمة على وقوع المعلق كوقوع المنجز فإن الطلاق مما يقبل التعليق، لم يظهر الخلاف في ذلك إلا عن طوائف من الروافض، ولما حدث مذهب الظاهرية المخالفين لإجماع الأمة المنكرين للقياس خالفوا في ذلك فلم يوقعوا الطلاق المعلق ولكنهم قد سبقهم إجماع الأمة فلم يكن قولهم معتبراً لأن من خالف الإجماع لم يعتبر قوله وقد سبق إجماع الأمة على وقوع الطلاق المعلق قبل حدوث الظاهرية، وإنما اختلف العلماء إذا علق الطلاق على أمر واقع أو مقصود كقوله إذا جاء رأس الشهر فأنت طالق هل يتنجز الطلاق من حين علق ولا يتأخر إلى وقوع الشرط وهو مجئ رأس الشهر فيه قولان فيه للعلماء مشهوران لأنه لمّا علق على شرط واقع فقد قصد إيقاع الطلاق ورضي به فتنجز من وقته.

وهذا ابن تيمية لم يخالف في تعليق الطلاق وقد صرح بذلك فليس مذهبه كمذهب الظاهرية في منع نفوذ الطلاق المعلق، ثم إن الطلاق المعلق منه ما يعلق على وجه اليمين ومنه ما يعلق على غير وجه اليمين فالطلاق المعلق

على غير وجه اليمين كقوله إذا جاء رأس الشهر فأنت طالق أو إن أعطيتني ألفاً فأنت طالق، والذي على وجه اليمين كقوله إن كلمت فلاناً فأنت طالق أو إن دخلت الدار فأنت طالق وهو الذي يقصد به الحث أو المنع أو التصديق فإذا علق الطلاق على هذا الوجه ثم وجد المعلق عليه وقع الطلاق وهذه المسألة التي ابتدأ ابن تيمية بدعته وقصد التوصل بها إلى غيرها إن تمت له وقد اجتمعت الأمة على وقوع الطلاق المعلق سواء كان على وجه اليمين أو لا على وجه اليمين هذا مما لم يختلفوا فيه وإجماع الأمة معصوم من الخطأ وكل من قال بهذا من العلماء لم يفرق بين المعلق على وجه اليمين أو لا على وجه اليمين بل قالوا الكل يقع.

وقد لبس ابن تيمية بوجود خلاف في هذه المسألة وهو كذب وافتراء وجرأة منه على الإسلام وقد نقل إجماع الأمة على ذلك أئمة لا يرتاب في قولهم ولا يتوقف في صحة نقلهم فممن نقل ذلك الإمام الشافعي ﵁ وناهيك به فإنه الإمام القرشي الذي يملأ طبق الأرض علماً، وثناء إمام هذا المبتدع الذي ينتسب إليه وهو برئ من بدعته- وهو الإمام أحمد ﵁ - على الشافعي معروف وتبعيته له ومشيه في ركابه وأخذه عنه مشهور، وممن نقل الإجماع على هذه المسألة الإمام المجتهد أبو عبيد وهو من أئمة الاجتهاد كالشافعي وأحمد وغيرهما وكذلك نقله أبو ثور وهو من الأئمة أيضاً، وكذلك نقل الإجماع على وقوع الطلاق الإمام محمد بن جرير الطبري وهو من أئمة الاجتهاد أصحاب المذاهب المتبوعة.

وكذلك نقل الإجماع الإمام أبو بكر بن المنذر ونقله أيضاً الإمام الرباني المشهور بالولاية والعلم محمد بن نصر المروزي ونقله الإمام الحافظ أبو عمر بن عبد البر في كتابيه « التمهيد » و «والاستذكار » وبسط القول فيه على

وجه لم يبق لقائل مقالا ونقل الإجماع الإمام ابن رشد في كتاب « المقدمات » له ونقله الإمام الباجي في «المنتقي » وغير هؤلاء من الأئمة ،

وأما الشافعي وأبو حنيفة ومالك وأتباعهم فلم يختلفوا في هذه المسألة بل كلهم نصوا على وقوع الطلاق وهذا مستقر بين الأمة والإمام أحمد أكثرهم نصاً عليها فإنه نص على وقوع الطلاق ونص على أن يمين الطلاق والعتاق ليست من الأيمان التي تكفر ولا تدخل فيها الكفارة وذكر العتق وذكر الأثر الذي استدل به ابن تيمية فيه وهو خبر ليلى بنت العجماء الذي بني ابن تيمية حجته عليه وعلله ورده وأخذ آخر صح عنده وهو أثر عثمان بن حاضر وفيه فتوى ابن عمر وابن عباس وابن الزبير وجابر رضي الله عنهم بإيقاع العتق على الحانث في اليمين به ولم يعمل بأثر ليلي بنت العجماء ولم يبق في المسألة إلباساً رضي الله عنه بل كان قصده الحق.

وإذا كانت الأمة مجمعة على وقوع الطلاق لم يجز لأحد مخالفتهم فإن الإجماع من أقوى الحجج الشرعية وقد عصم الله هذه الأمة عن أن تجتمع على الخطأ فإن إجماعهم صواب.

وقد أطلق كثير من العلماء القول بأن مخالف إجماع الأمة كافر وشرط المفتي أن لا يفتي بقول يخالف أقوال العلماء المتقدمين وإذا أفتى بذلك ردت فتواه ومنع من أخذ بقوله، ودل الكتاب والسنة على أنه لا يجوز مخالفة الإجماع قال الله تعالى ﴿ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيراً﴾ فقد توعد على مخالفة سبيل المؤمنين واتباع غير سبيلهم بهذا الوعيد العظيم، ومخالف إجماع الأمة متبع غير سبيل المؤمنين فكيف يعتبر قوله، وقال تعالى ﴿وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس » والوسط الخيار والشهداء

على الناس العدول عليهم فلا يجتمعون على الخطأ، وقال تعالى ﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر﴾ وهذا يدل على أن مجموعهم يأمرون بكل معروف[1] وينهون عن كل منكر فلو أجمعوا على الخطأ لأمروا ببعض المنكر ونهوا عن بعض المعروف ومحال أن يتصفوا بذلك وقد وصفهم الله بخلافه.

وقد ورد في الأحاديث ما يدل بمجموعه على عصمة جماعتهم عن الخطأ والضلال والمسألة مبسوطة مقررة في موضعها والقصد هنا أن الأمة مجتمعة على وقوع هذا الطلاق فمن خالفهم فقد خالف الجماعة وخالف النبي ﷺ في أمره بلزوم الجماعة وكان الشيطان معه فإن الشيطان مع الواحد .

ثم إن هذا المبتدع ابن تيمية ادعى أن هذا القول قال به طاووس واعتمد على نقل شاذ وجده في كتاب ابن حزم الظاهري «عن مصنف عبد الرزاق» ولم ينقل هذا القول عن أحد بخصوصه في الطلاق إلا عن طاووس كما ذكر وعن أهل الظاهر.

أما طاووس فقد صح النقل عنه بخلاف ذلك وقد أفتى بوقوع الطلاق في هذه المسألة ونقل ذلك عنه بالسند الصحيح في عدة مصنفات جليلة منها كتاب « السنن » لسعيد بن منصور ومنها « مصنف عبد الرزاق » الذي ادعى المخالف أن النقل عنه بخلاف ذلك وقد وضح كذبه في هذا النقل فإن المنقول في مصنف عبد الرزاق عن طاووس خلاف هذا الذي نسبه إليه ابن

---

(١) أفاد الأستاذ/ سعيد فوده بالآتي:

ربما تدل الآية على أن مجموعهم لا يأمر إلاّ بالمعروف، ولا يلزم أن يأمروا بكل معروف لئلا يلزم حصر المعروف فيما وقع عليه الإجماع وهذا باطل قطعاً فالأصح حمل لام المعروف على العهد لا على الاستغراق. أ.هـ.

تيمية والأثر الذي نقله عن طاووس إنما ذكره عبد الرزاق في طلاق المكره فلبَّسَ ابن حزم الظاهري النقل وتبعه هذا المبتدع.

وعن كلام طاوس- لو صح عنه أجوبة- كثيرة غير هذا مبينة في كتابنا (الرد على ابن تيمية) .

وأما أهل الظاهر فيقولون أن الطلاق المعلق كله لا يقع و لم يقل ابن تيمية بذلك وهم مخالفون للإجماع لا يعتبر قولهم، ويقولون أن الطلاق المعلق على وجه اليمين لا كفارة فيه و لم يقل ابن تيمية بذلك فهو مخالف لهم في بدعته متمسك بقولهم الذي لا يعتبر، وقد قال ابن حزم أن جميع المخالفين له لا يختلفون في أن اليمين.

وقال هذا المبتدع أن هذه المسألة لم يتكلم فيها الصحابة لأنه لم يكن يحلف بالطلاق في زمانهم: ثم بعد هذا القول نسب إلى الصحابة رضوان الله عليهم أنهم يقولون بقوله فكذب أولاً وآخراً .

أما كذبه أولاً فإنه قال أن الصحابة لم تتكلم في هذه المسألة وليس كذلك ففي صحيح البخاري فتوى ابن عمر رضي الله عنهما بالإيقاع قال لبخاري قال نافع طلق رجل امرأته ألبتة إن خرجت فقال ابن عمر إن حرجت فقد بانت منه وإن لم تخرج فليس بشيء .

وهذه فتوى ظاهرها في هذه المسألة بإيقاع الطلاق ألبتة إن خرجت وهو وقوع المعلق عليه وبه يحصل الحنث فأوقع ابن عمر الطلاق على الحالف به عند الحنث في يمينه.

ومن مثل ابن عمر رضي الله عنهما في دينه وعلمه وزهده وورعه وصحة فتاويه، ولا يعرف أحد من الصحابة خالف ابن عمر في هذه الفتوى ولا أنكرها عليه، وقد قضى علي ﷺ في يمين بالطلاق بما يقتضي الإيقاع

فإنهم رفعوا الحالف إليه ليفرقوا بينه وبين الزوجة بحنثه في اليمين فاعتبر القضية فرأى فيها ما يقتضي الإكراه فرد الزوجة عليه لأجل الإكراه وهو ظاهر في أنه يرى الإيقاع لو لا الإكراه .

وفي « سنن البيهقي » بسند صحيح عن ابن مسعود ﷺ في رجل قال لامرأته إن فعلت كذا وكذا فهي طالق ففعلته قال هي واحدة وهو أحق بها فأوقع الطلاق واحدة عند الحنث بمقتضى اللفظ ولم يوجب كفارة.

ومن مثل عبد الله بن مسعود ﷺ الذي قال النبي ﷺ « كنيف ملئ علما» وقال « من أراد أن يقرأ القرآن غضاً كما أنزل فليقرأ على قراءة ابن أم عبد » ولم يخالفه أحد من الصحابة رضي الله عنهم في ذلك.

وقول الصحابة حجة شرعية في قول جمهور العلماء وقد أخبر النبي ﷺ أنهم كالنجوم يهتدى بهم فلا هدى أتم من هديهم.

وأما كذبه ثانيا فلأنه قال لم يكن يحلف بالطلاق في عهد الصحابة وهذه وقائع فيها الحالف بالطلاق ونقلت أيضاً حكومة أخرى وقعت عند علي ﷺ في رجل حلف بالطلاق أنه لا يطأ امرأته حتى يعظم ولده، بل نقل عن بعض الصحابة أنه حلف بالطلاق وهو أبو ذر ﷺ لما سألته امرأته عن الساعة التي يستجاب الدعاء فيها يوم الجمعة وأكثرت فقال لها: (زيغ الشمس) يشير إلى ذراع (فإن سألتني بعدها فأنت طالق) فحلف عليها بالطلاق أن لا تعاود المسألة، وفي ذلك آثار كثيرة غير هذا مذكورة في المصنف المبسوط،

وأما كذبه آخراً فلأنه نسب إلى الصحابة رضوان الله عليهم القول بأن الطلاق لا يقع وأنه تجب الكفارة مع اعترافه أن ذلك لم يقع في عهدهم وهذه مكابرة قبيحة وكذب صريح .

وقد قالت عائشة رضي الله عنها: (كل يمين وإن عظمت ليس فيها طلاق ولا عتاق ففيها كفارة يمين) فاستثنت يمين الطلاق ويمين العتاق من

الكفارة ، وهذا **الأثر نقله ابن عبد البر في «التمهيد» وفي** «الاستذكار» بهذا اللفظ مسنداً، **ونقله هذا المبتدع فأسقط منه قوله**: (ليس فيها طلاق ولا عتاق) ليوهم أن عائشة رضي الله عنها تقول بالكفارة في يمين الطلاق والعتق.

فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون!

فهذا عصر الصحابة لم ينقل فيه إلا الإفتاء بالوقوع وأما التابعون رضي الله عنهم فأئمة العلم منهم معدودون معروفون وهم الذين تنقل مذاهبهم وفتاويهم ولم ينقل هذا المبتدع عن أحد منهم بعينه نصاً في هذه المسألة غير مانسبه إلى طاووس مع أنه يدعي إجماعهم على قوله مكابرة كما فعل في الصحابة، وقد نقلنا من الكتب المعروفة الصحيحة كجامع عبد الرزّاق» و «مصنف ابن أبي شيبة» و «سنن سعيد بن منصور» و« السنن الكبرى للبيهقي» وغيرها فتاوى التابعين أئمة الاجتهاد وكلهم بالأسانيد الصحيحة أنهم أوقعوا الطلاق بالحنث في اليمين ولم يقضوا بالكفارة وهم: سعيد بن المسيب أفضل التابعين والحسن البصري وعطاء والشعبي وشريح وسعيد بن جبير وطاووس ومجاهد وقتادة والزهري وأبو مخلد والفقهاء السبعة فقهاء المدينة وهم: عروة بن الزبير والقاسم بن محمد بن أبي بكر وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود وخارجة بن زيد وأبو بكر بن عبد الرحمن وسالم بن عبد الله بن عمر، وسليمان بن يسار، وهؤلاء إذا اجمعوا على مسألة كان قولهم مقدماً على غيرهم، وأصحاب ابن مسعود السادات وهم: علقمة والأسود ومسروق وعبيدة السلماني وأبو وائل شقيق بن سلمة وطارق ابن شهاب وزر بن حبيش وغير هؤلاء من التابعين مثل ابن شبرمة وأبو عمرو

الشيباني وأبو الأحوص وزيد بن وهب والحكم وعمر بن عبد العزيز وخلاص بن عمرو .

كل هؤلاء نقلت فتاويهم بإيقاع الطلاق لم يختلفوا في ذلك.

ومن هم علماء التابعين غير هؤلاء !

فهذا عصر الصحابة وعصر التابعين كلهم قائلون بالإيقاع و لم يقل أحد أن هذا مما يجري به الكفارة.

وأما من بعد هذين العصرين فمذاهبهم معروفة مشهورة كلها تشهد بصحة هذا القول كأبي حنيفة وسفيان الثوري ومالك والشافعي وأحمد وإسحق وأبي عبيد وأبي ثور وابن المنذر وابن جرير الطبري .

وهذه مذاهبهم منقولة بين أيدينا و لم يختلفوا في هذه المسألة فإذا كان الصدر الأول وعصر الصحابة رضي الله عنهم وعصر التابعين لهم بإحسان بعدهم وعصر تابعي التابعين لم ينقل عنهم خلاف في هذه المسألة.

وهذا المبتدع يسلم أن بعد هذه الأعصار الثلاثة لم يقل إمام مجتهد بخلاف قولنا فكيف يسوغ مخالفة قول استقر من زمن النبي ﷺ وإلى الآن بقول مبتدع يقصد نقض عرى الإسلام ومخالفة سلف الأمة.

أكان الحق قد خفي عن الأمة كلها في هذه الأعصار المتتابعة حتى ظهر هذا الزائغ بما ظهر به! هيهات .

وهذا واضح لذوي البصائر وأرباب القلوب المنورة بنور اليقين.

﴿ أفمن شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربه فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله أولئك في ضلال مبين ﴾ .

ولكن قد عميت البصائر والناس سراع إلى الفتنة راغبون في المحدثات وقد قال النبي ﷺ « كل محدثة ضلالة ».

٢ – الإمام علاء الدين محمد بن محمد بن محمد البخاري[1]

يقول السخاوي عنه في (الضوء اللامع) ج١١/٢٩٢- ٢٩٣:

« ثم بعد ذلك سنة أربع وثلاثين أو قبلها تحول إلى دمشق فقطنها وصنف رسالته فاضحة الملحدين بين فيها زيف ابن عربي وقرأها عليه شيخنا العلاء القلقشندي هناك في شعبان سنة أربع وثلاثين ثم البلاطنسي وآخرون وكذا اتفقت له حوادث بدمشق منها أنه كان يسأل عن مقالات التقي بن تيمية التي انفرد بها فيجيب بما يظهر له من الخطأ فيها وينفر عنه قلبه إلى أن استحكم أمره عنده فصرح بتبديعه ثم تكفيره ثم صار يصرح في مجلس بأن من أطلق على ابن تيمية أنه شيخ الإسلام فهو بهذا الإطلاق كافر واشتهر ذلك فانتدب حافظ الشام الشمس بن ناصر الدين لجمع كتاب سماه (الرد الوافر على من زعم أن من أطلق على بن تيمية أنه شيخ الإسلام كافر) .

---

(١) ترجم له الإمام ابن حجر فقال: على ابن محمد بن محمد بن محمد بن محمد بن محمد بن محمد، البخاري العجمي علامة الوقت علاء الدين، مولده في سنة ٧٧٩ ببلاد العجم، ونشأ ببخارى فتفقه بأبيه وعمه العلاء عبد الرحمن، وأخذ الأدبيات والعقليات عن الشيخ سعد الدين التفتازاني وغيره، ورحل إلى الأقطار واجتهد في الأخذ عن العلماء حتى برع في المعقول والمنقول والمفهوم والمنظوم واللغة العربية **وصار إمام عصره**، وتوجه إلى الهند فاستوطنه مدة، وعظم أمره عند ملوكه إلى الغاية لما **شاهدوه من غزير علمه وزهده وورعه**، ثم قدم مكة فأقام بها، ودخل مصر فاستوطنها، وتصدر للإقراء بها **فأخذ عنه غالب من أدركناه من كل مذهب وانتفعوا به علماً وجاهاً ومالاً**، ونال عظمة بالقاهرة مع **عدم تردد إلى أحد من أعيانها حتى ولا السلطان والكل يحضر إليه، وكان ملازما للإشعال والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والقيام= =بذات الله مع ضعف كان يعتريه**، وآل أمره إلى أن توجه إلى الشام فسار إليها بعد أن سأله السلطان في الإقامة بمصر مراراً فلم يقبل، وسار إليها فأقام بها حتى مات في رمضان ولم يخلف بعده مثله لما اشتمل عليه من العلم والورع والزهد والتحري « في مأكله ومشربه وعدم قبوله العطاء من السلطان وغيره، ولما سافر السلطان إلى آمد ركب إليه وزاره أول ما دخل دمشق ... » أ. هـ المقصود منه.

انظر إنباء الغمر بأبناء العمر (٩/٢٢) وفيات سنة ٨٤١هـ وانظر الضوء اللامع وغيرهما.

جمع فيه كلام من أطلق عليه ذلك من الأئمة الأعلام من أهل عصره من جميع أهل المذاهب سوى الحنابلة وذلك شيء كثير وضمنه الكثير من ترجمة ابن تيمية وأرسل منه نسخة إلى القاهرة فقرظه من أئمتها شيخنا والعلم البلقيني والتفهني والعيني والبساطي ولكي يتضح وجهة نظر المعارضين له ننقل بعض كلام أحدهم (البساطي) وهو من خصوم علاء الدين البخاري يقول البساطي موجهاً كلامه للبخاري:

« ... لو فرضنا أنك اطلعت على ما يقتضي هذا في حقك فما مستندك في الكلام الثاني وكيف تصلح لك هذه الكلية المتناولة لمن سبقك ولمن هو آت بعدم إلى يوم القيامة؟ وهل يمكنك أن تدعي أن الكل اطلعوا على ما اطلعت أنت عليه ؟!... » الخ انظر الضوء اللامع.

وواضح من ذلك أنه لم ينكر عليه اجتهاده ورأيه في تكفير ابن تيمية رغم عدم موافقته له فيما يبدو، بل كان اعتراضه منصبا على تبرئة من وصف ابن تيمية بأنه شيخ الإسلام والاعتذار به بأنه لم يطلع على مخالفاته المكفرة او على وجه الخطأ فيها ومداه، وهو محق في ذلك.

لكن من تتلمذ على ابن تيمية وشرب آراءه واتبرى للدفاع عنها مثل ابن القيم مثلا لا شك في أنه يشمله نفس حكم ابن تيمية أيا كان نوع الحكم.

وعلى جميع الحالات فآراء ابن تيمية المشكلة وسلوكه المشين كانا وراء وضعه في هذا الموقف الصعب ووراء تمزيق الأمة إلى يومنا هذا فعليه وزر ضلاله وضلال متبعيه وليس العلاء البخاري- وإمامته ليست محل شك- بالذي يلقي الكلام على عواهنه أو يخبط خبط عشواء على الأقل في تقييمه لأفكار ابن تيمية وآرائه نسأل الله السلامة في الدين والبعد عن كل من يشق عصا المؤمنين ويتبع غير سبيلهم .

٣- الإمام على القاري الحنفي

نقلنا عنه من شرحه على (الشفا) للقاضي عياض قوله في تكفير من قال بتحريم ما أجمع العلماء على استحبابه وأنه أقرب وآكد من تكفير من حرم المباح وقد سبق ذكره في تعليقنا على دفع الشبه.

وكل هذا بناء على تحليل أسلوبه الذي ينم عن تلاعبه بالشريعة وليس مجرد اجتهاد في الرأي فالاجتهاد في الرأي لا يبيح لصاحبه الكذب في نقل الإجماع في مسائل ويكون الإجماع في الحقيقة على خلافها أو ليس فيها إجماع أصلا !.

والاجتهاد لا يبيح لصاحبه أن يروى الأحاديث ويبتر منها ما يدل على عكس مراده الخ وإذا لم يكن هذا رغبة في نشر الباطل- الذي يعلم أنه باطل- بين المسلمين ، فماذا نسميه؟ هذا السلوك موجود في فتاويه في :

أ- التوسل.

ب- زيارة قبر النبي ﷺ .

ج) الطلاق المعلق وطلاق الثلاث.

نسأل الله الهداية لمن خدعوا ببعض أفكاره أو أفكار أتباعه ونناشد علماء الأمة غربلة كل ما دخل من آرائه في حياة المسلمين منعا للفتنة وسداً لبابها وعدم اعتباره بعد الآن قدوة يتبع في أحكام الدين وعقائده فجمهور الأمة المعصومة قد أغنانا الله بهم عن ذلك والحمد لله أولا وآخراً وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله الطاهرين وأصحابه المهتدين وأتباعه إلى يوم الدين.

٤- شمس الدين محمد الذهبي (النصيحة الذهبية)

(عن أصل منقول بخط الفقيه ابن قاضي شهبة عن خط البرهان بن جماعة التي كتبها من نسخة الحافظ الصلاح العلائي المأخوذة من خط الذهبي نفسه)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله على ذلتي يا رب ارحمني وأقلني عثرتي. واحفظ علي إيماني. وآحزناه على قلة حزني. وآأسفاه على السنة وذهاب أهلها. وآشوقاه إلى إخوان مؤمنين يعاونونني على البكاء. وآحزناه على فقد أناس كانوا مصابيح العلم وأهل التقوى وكنوز الخيران. آه على وجود درهم حلال وأخ مؤنس.

طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس وتباً لمن شغله عيوب الناس عن عيبه. إلى كم ترى القذاة في عين أخيك وتنسى الجذع في عينك؟ إلى كم تمدح نفسك وشقاشقك وعباراتك وتذم العلماء وتتبع عورات الناس مع علمك بنهي الرسول ﷺ : « لا تذكروا موتاكم إلا بخير فإنهم قد أفضوا إلى ما قدموا » . بلى أعرف إنك تقول لي لتنصر نفسك: إنما الوقيعة في هؤلاء الذين ما شموا رائحة الإسلام ولا عرفوا ما جاء به محمد ﷺ وهو جهاد.

بلى والله عرفوا خيراً مما إذا عمل به العبد فقد فاز وجعلوا شيئاً كثيراً مما لا يعنيهم و: « من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه ».

يا رجل بالله عليك كف عنا فإنك محجاج عليم اللسان لا تقر ولا تنام.

إياكم والأغلوطات في الدين، كره نبيك ﷺ المسائل وعابها ونهى عن كثرة السؤال وقال: « أن أخوف ما أخاف على أمتي كل منافق عليم اللسان» ، وكثرة الكلام بغير زلل تقسي القلب إذا كان في الحلال والحرام فكيف إذا كان في العبارات اليونسية والفلاسفة وتلك الكفريات التي تعمي القلوب؟ والله قد صرنا ضحكة في الوجود. فإلى كم تنبش دقائق الكفريات الفلسفية لنرد عليها بعقولنا.

يا رجل قد بلعت سموم الفلاسفة ومصنفاتهم مرات، وبكثرة استعمال السموم يدمن عليها الجسم وتكمن والله في البدن.

واشوقاه إلى مجلس فيه تلاوة بتدبر، وخشية بتذكر، وصمت بتفكر، وآها لمجلس يذكر فيه الأبرار فعند ذكر الصالحين تنزل الرحمة، لا عند ذكر الصالحين يذكرون بالازدراء واللعنة، كان سيف الحجاج ولسان ابن حزم شقيقين فواخيتهما ! بالله خلونا من ذكر بدعة الخميس وأكل الحبوب، وجدوا في ذكر بدع كنا نعدها رأساً من الضلال قد صارت هي محض السنة وأساس التوحيد ومن لم يعرفها فهو كافر أو حمار ومن لم يكفر فهو أكفر من فرعون، وتعد النصارى مثلنا، والله أن في القلوب شكوك أن سلم لك إيمانك بالشهادتين فأنت سعيد .

يا خيبة من اتبعك فإنه معرض للزندقة والانحلال، ولا سيما إذا كان قليل العلم والدين باطوليا شهوانيا، لكنه ينفعك ويجاهد عنك بيده ولسانه وفي الباطن عدو لك، بحاله وقلبه فهل معظم اتباعك إلا قعيد مربوط خفيف العقل أو عامي كذاب بليد الذهن أو غريب واجم قوي بالمكر، أو ناشف صالح عديم الفهم، فإن لم تصدقني ففتشهم وزنهم بالعدل، يا مسلم أدم حمار شهوتك لمدح نفسك، إلى كم تصادقها وتعادي الأخيار؟ إلى كم تصدقها وتزدري بالأبرار؟ إلى كم تعظمها وتصغر العباد؟ إلى متى تخاللها وتمقت الزهاد؟ إلى متى تمدح كلامك بكيفية لا مدح بها والله أحاديث الصحيحين، يا ليت أحاديث الصحيحين تسلم منك بل في كل وقت تغير عليها بالتضعيف، والأهدار، أو بالتأويل والأنكار.

أما آن لك أن ترعوي؟ أما حان لك أن تتوب وتنيب؟ أما أنت في عشر السبعين وقد قرب الرحيل؟، بلى والله ما أذكر أنك تذكر الموت بل تزدري بمن يذكر الموت. فما أظنك تقبل على قولي ولا تصغي إلى وعظي بل لك همة كبيرة في نقض هذه الورقة بمجلدات وتقطع لي أذناب الكلام ولا تزال تنتصر حتى أقوالك: والبتة سكتت .

فإذا كان حالك عندي وأنا الشفوق المحب الواد، فكيف يكون حالك عند أعدائك، وأعداؤك والله فيهم صلحاء وعقلاء وفضلاء كما أن أولياءك فيهم فجرة وكذبة وجهلة وبطلة وعور وبقر، قد رضيت منك بأن تسبني علانية وتنتفع بمقالتي سراً « رحم الله امرء أهدى إلى عيوبي »، فإني كثير العيوب غزير الذنوب، الويل لي إن أنا لا أتوب، ووافضيحتي من علام الغيوب ودوائي عفو الله ومسامحته وتوفيقه وهدايته. والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد خاتم النبيين وعلى آله وصحبه أجمعين.



النصيحة الذهبية لابن تيمية مخطوط بدار الكتب المصرية رقم (٣٨٢٣/ب)



- الآيات
- الأحاديث
- الأعلام
- الكتب
- المراجع
- الفهرس التفصيلي
- الفهرس الإجمالي


واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا

القرآن الكريم

فهرس أطراف الحديث الشريف والآثار

طرف الحديث	الصفحة
أنت الأول فليس قبلك شيء	ت [٣٦٧]
أنت الظاهر	ت [٩٤]
أن أرواح المؤمنين لتلتقي	ت [٣٩٢]
أن الكنز الذي ذكر الله	ت [٤٠٦]
أن رسول الله ﷺ مر بعبد الله بن جعفر	ت [٥٢٠]
أن رسول الله سئل عن الرجل	ت [٢٢٣، ٢٢٩]
أن رسول الله سئل عن المرأة	ت [٢٢٣]
أن رؤيا الأنبياء وحي	ت [١١٥]
إن في أمتي محدثون	ت [٣١٨]
إن لربكم في أيام دهركم	ت [٣١٥]
أن لربكم	ت [١٧٢]
إنه ليغان على قلبي	ت [٣١٥]
إن من ضئضئ هذا	ت [٢٤٥]
أنه أخبر برجل طلق	ت [٢٢٥]
أنه ﷺ خرج على أصحابه	ت [١٥٥]
إنه طلق إمراته البتة	ت [٢٢٧، ٢٢٨]
إنما تلك واحدة	ت [٢٣٤]
إنما هلك من كان قبلكم	ت [٣٢٣]
إنما يسافر إلى ثلاثة مساجد	٤٦٨
إني قمت من الليل	ت [١١٤]
إني لأجد نفس الرحمن	ت [٦٩]
أنشدك بالله هل	ت [٢٤٢]
أولئك إذا مات منهم	٥١٦
أيحيى الله هذا بعدما أرى	ت [٣٨١]

طرف الحديث	الصفحة
أيلعب بكتاب الله	ت [٢٢٤]
أيكم سمع رسول الله	١٧٥
أيما رجل طلق	ت [٢٢٥]
البر حسن الخلق	ت [٣١٦]
البر ما إطمأنت إليه النفس	ت [٣١٧]
البر ما سكنت إليه النفس	ت [٣١٦]
بعث رسول الله	ت [١٦١]
بينا أنا نائم	ت [١١٥]
تركنا محمد	١٩٠
تشد الرحال إلى ثلاثة مساجد	٤٦٨
تعرض الفتن	١٧٥
تفتح أبواب السماء	ت [١٢٧]
تفكروا في الاء الله	ت [١٥٥]
تفكروا في خلق الله	ت [١٥٧،١٥٥]
تفكروا في كل شيء	ت [١٥٥]
توبوا إلى ربكم	ت [٣١٤]
ثلاثة جدهن جد	ت [٢٢١]
ثلاثة يؤتون أجرهم	ت [٢١٩]
جاء حبر	١٣٠
جرح العجماوات جبار	ت [٣٥٨]
حتى يخرج من قلبه	٣٣٨
الحجر الأسود يمين الله	٣٣،ت [١٤١١،١٤٠،٦٩]
حديث عويمر مع زوجته	ت [٢٢٢]
حديث قصة امرأة رفاعة	ت [٢٢٣،٢٢٢]

طرف الحديث	الصفحة
من سن سنة سيئة	ت [٢١٠]
من صلى عليّ في يوم الجمعة	٤٣٠
من عادى لي وليا	١٣٨، ت [١٣٨، ٣٢٠]
من فارق الجماعة	١٥٠
من قتل نفسه بحديدة	ت [٣٣٨]
من لم يهتم بأمر المسلمين	١٢
من وقر صاحب بدعة	١٩١
نية المؤمن خير من عمله	٣٣٩، ت [٣٣٩]
هل تدري لم وهبت	ت [٣٢٠]
هل من شيء قلت نعم	٥٢٢
الهوى أبغض إله	ت [١٨٧]
وافقت ربي في ثلاث	ت [٥٠٨]
وأحبوا آل بيتي بحبي	ت [٢٨٩]
والذي تدعون	٩١
والذي نفسي بيده	٩٣
والذي نفسي أبي القاسم بيده	ت [٣٩٤]
والذي نفسي محمد بيده	ت [٩٣]
لا أحصي ثناء	١٦٨، ت [٣٢١]
لا تجعلوا قبري عيدا	٤٢٩
لا تزال جهنم	١١٩
لا تسبوا أهل الشام	ت [٥٣٥]
لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد	٤٦٣، ٤٦٤، ٤٦٨
لا تشدوا الرحال إلا	٤٦٨
لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل	ت [٤٩٧]

فهرس الأعلام

الكتب الواردة أسماؤها في الكتاب

قائمة بأهم المراجع

حرف الألف

١- إبراهيم بن موسى اللخمي الغرناطي، أبي إسحاق الشاطبي.

أ- الموافقات في أصول الأحكام، تعليق: محمد الخضر حسين التونسي، ط. دار الفكر. مصورة عن الطبعة الأولى ١٣٤١هـ.

٢- إبراهيم السمنودي المنصوري

أ- نصرة الإمام السبكي بردّ الصارم المنكي ط. مطبعة الجمهور بمصر انتهى من تأليفه عام ١٣١٩هـ.

ب- سعادة الدارين في الرد على الفرقتين: الوهابية ومقلدة الظاهرية، مطبعة جريدة الإسلام بمصر عام ١٣١٩هـ.

٣- إبراهيم عبد الرحمن خليفة

أ- المحكم والمتشابه في القرآن الكريم، رسالة دكتوراه في كلية أصول الدين، بالأزهر الشريف (مجلدين).

٤- أبو بكر بن أحمد بن قاضي شهبة

أ- طبقات الشافعية، تحقيق: د. الحافظ عبد العليم خان، ط. عالم الكتب، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ- ١٩٨٧م.

٥- أبو بكر بن عبد الله بن أبيك الدَّاواداري

أ- كنز الدرر وجامع الغرر، الجزء التاسع المسمى: الدر الفاخر في سيرة الملك الناصر تحقيق: هانس روبرت رويمر.

٦- أبو بكر بن محمد بن عبد المؤمن الحسيني الحصني تقي الدين

أ- دفع شبه من شبه وتمرد ط. الحلبي ط. الأولى عام ١٣٥٠هـ.

ب- دفع شبه من شبه وتمرد ونسب ذلك إلى السيد الجليل الإمام أحمد، المنشور باسم: دفع الشبه عن الرسول ﷺ، الطبعة الثانية ١٤١٨هـ.

ج- كتاب القواعد ط. مكتبة الرشد بالرياض ط. الأولى عام ١٤١٥هـ.

د- كفاية الأخيار في حل غاية الاختصار. ط. العلمية ط. الأولى ١٤١٥هـ- ١٩٩٥م.

٧- الحافظ أبو نعيم الأصفهاني.

أ- حلية الأولياء.

ب- دلائل النبوة.

٨- أجناس جولد تسهير، المستشرق اليهودي.

أ- العقيدة والشريعة في الإسلام، تعريب وتعليق: د. محمد يوسف موسى، د. علي حسن القادر، أ. عبد العزيز عبد الحق، ط. دار الكتب الحديثة بمصر، مكتبة المثني ببغداد، الطبعة الثانية ١٣٧٨هـ، ١٩٥٩م.

٩- أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، أبو الفضل، شهاب الدين.

أ- أبناء الغمر بأبناء العمر، ط. دار الكتب العلمية - بيروت. الطبعة الثانية ١٤٠٦هـ- ١٩٨٦م.

ب- الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، ط. دار الجيل- بيروت١٤١٤هـ- ١٩٩٣م.

جـ- المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي،ط. دار المعرفة- بيروت.

د- تعجيل المنفعة بزوائد رجال الأئمة الأربعة، ط. دار الكتاب العرب بيروت.

هـ- تلخيص الحبير بتخريج أحاديث الرافعي الكبير ط. دار المعرفة بيروت ، تصحيح وتعليق السيد هاشم اليماني.

و- تهذيب التهذيب.

ز- فتح الباري بشرح صحيح البخاري، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، ط. دار الغد العربي، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ- ١٩٩٢م.

ح- مختصر زوائد مسند البزار ط. مؤسسة الكتب الثقافية ١٤١٢هـ، ١٩٩٢م.

ط- نتائج الأفكار في تخريج أحاديث الأذكار، تحقيق حمدي السلفي، ط. مكتبة

ابن تيمية- القاهرة الطبعة الأولى ١٤١١هـ- ١٩٩١م.
ي- هدي الساري لفتح الباري، ط. دار الكتاب الجديد ١٩٦٩م، طبعة مصورة عن الطبعة الأولى بالمطبعة الأميرية بمصر ١٣٠١هـ.

١٠- أحمد بن شعيب أبو عبد عبد الرحمن النسائي.

أ- السنن المجتبي.
ب- السنن الكبرى

١١- أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، تقي الدين، أبو العباس.

أ- اقتضاء الصراط المستقيم في مخالفة أصحاب الحجيم، ط. دار الحديث، القاهرة، دار مصر للطباعة، ١٩٨٣م.
ب-الإيمان.
ج- تفسير سورة الإخلاص، تحقيق: د. عبد العلي عبد الحميد حامد، ط. دار الريان للتراث، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ- ١٩٨٧م.
د- الرسالة التدمرية، تحقيق: محمد حامد الفقي، ط. مكتبة السنة المحمدية.
هـ- الفتاوي.
و- الفتوى الحموية الكبرى، تقديم: محمد عبد الرزاق حمزة، ومعه رسالتان لابن تيمية: «تحقيق المجاز والحقيقة في صفات الله » ، « في معنى تردد الله في قبض روح عبده المؤمن » ط. مطبعة المدني، المؤسسة السعودية بمصر- القاهرة.
ز- بجموع الفتاوي.
ح-منهاج السنة النبوية، تحقيق: د. محمد رشاد سالم، ط. مكتبة ابن تيمية- القاهرة، الطبعة الثانية ١٤٠٩هـ- ١٩٨٩م.

١٢- أحمد بن جهبل الكلابي الحلبي، شهاب الدين.

أ- الحقائق الجلية في الرد على ابن تيمية فيما أورده في الفتوى الحموية، تحقيق: د. طه الدسوقي حبيشي.

١٣- أحمد بن محمد بن الصديق الغماري.

أ- إحياء المقبور من أدلة جواز بناء المساجد على القبور، ط. مكتبة القاهرة ١٤١٧هـ ١٩٩٦م.

ب- البرهان الجلي في صحة انتساب الصوفية إلى علي. ط. مطبعة السعادة بمصر ط. الأولى ١٣٨٩هـ- ١٩٦٩م تحقيق: أحمد محمد مرسي النقشبندي.

١٤- أحمد بن حنبل

أ- المسند

١٥- أحمد زيني دحلان

أ- الدرر السنية في الرد على الوهابية. دار جوامع الكلم- القاهرة.

١٦- أحمد بن حسن الطلاوي

أ- الإغاثة في حكم الطلاق بالثلاثة، ط ١٣٢٩هـ.

١٧- أحمد بن محمد بن حجر آل طامي

أ- سيرة وحياة الشيخ محمد عبد الوهاب، قدم له: ابن باز، ط. الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.

١٨- أحمد عكاشة: أستاذ الطب النفسي

أ- علم النفس الفسيولوجي، ط. مكتبة الأنجلو المصرية- القاهرة،الطبعة التاسعة ٢٠٠٠م.

ب- الطب النفسي المعاصر ط. مكتبة الانجلو المصرية سنة ١٩٩٨م.

ج- دلائل النبوة ط. العلمية ط. الأولى ١٩٨٨م.

١٩- أحمد بن الحسين البيهقي، أبو بكر.

أ- الأسماء والصفات، ط. مطبعة السعادة بمصر، ١٣٥٨هـ. (الناشر: الإمام نجم الدين الكردي).

ب- شعب الإيمان، تحقيق: محمد السعيد بسيوني زغلول، ط. دار الكتب العلمية- بيروت، الطبعة الأولى: ١٤١٠هـ- ١٩٩٠م.

ج- حياة الأنبياء في قبورهم.

٢٠- أحمد بن عبد الأحد الفاردقي السرهندي، المعروف بالإمام الرباني، من أئمة النقشبندية.

أ- الدرر المكنونات النفيسة في تعريب المكتوبات الشريفة، المعروف: بمكتوبات الإمام الرباني. أصله باللغة الفارسية، نقل إلى التركية، ثم عرّبه، الشيخ مراد بن عبد الله القازاني.

٢١- أحمد حجازي السقا

أ- حياة القبور بين المسلمين وأهل الكتاب.

٢٢- أحمد الحسني الحموي، شهاب الدين

أ- نفحات القرب والاتصال بإثبات التصرف لأولياء الله تعالى والكرامات بعد الانتقال، الطبعة الأولى، ط. الأميرية ببولاق مصر، ١٣١٨هـ.

٢٣- أبو الحسن الحنفي المعروف بالسندي

أ- شرح سنن ابن ماجه، تحقيق: الشيخ خليل مأمون شيحا، ط. دار المعرفة- بيروت، الطبعة الثانية ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م.

٢٤- أحمد بن علي بن المثنى التيميمي أبو يعلى الموصلي.

أ- المسند ط. دار المأمون للتراث ١٤١٠هـ-١٩٨٩م ط. الثانية تحقيق حسين سليم أسد.

٢٥- أحمد بن أبي بكر بن إسماعيل شهاب الدين البوصيري

أ- مصباح الزجاجة في زوائد ابن ماجة ط. دار الكتب الحديثة.

ب- مختصر إتحاف السادة المهرة بزوائد المسانيد العشرة ط. العلمية ١٤١٧هـ- ١٩٩٦م.

٢٦- أحمد بن حجر الهيثمي المكي.

أ- الفتاوى الحديثية ط. مصطفى الحلبي ط. الثانية ١٣٩٠-١٩٧٠م.

ب- الجوهر المنظم في زيارة القبر النبوي المكرم.

٢٧- إسماعيل بن محمد العجلوني الجراحي.

أ- كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس، تحقيق: أحمد القلاش ... ط. مكتبة التراث الإسلامي، دار التراث الإسلامي - القاهرة.

٢٨- إسماعيل بن موسى بن عثمان الحامدي:

أ- حواشي على عمدة أهل التوفيق والتسديد شرح عقيدة أهل التوحيد، للإمام أبي عبد الله محمد بن يوسف السنوسي الحسني، ط. مصطفى البابي الحلبي، الطبعة الأولى، ١٣٥٤هـ- ١٩٣٦م.

٢٩- إسماعيل بن كثير أبو الفداء.

أ- البداية والنهاية. ط. دار الكتب العلمية- بيروت ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م.

ب- تفسير القرآن العظيم، ط. دار الجيل- بيروت، الطبعة الثانية، ١٤١٠هـ، ١٩٩٠م.

حرف الباء

١- ابن بطوطة.

أ- رحلة ابن بطوطة دار صادر، بيروت تقديم كرم البستاني.

٢- البناني.

أ- حاشية على شرح الجلال المحلي على جمع الجوامع ط. مصطفى الحلبي ١٣٥٦هـ- ١٩٣٧م.

حرف الجيم

١- جعفر سبحاني

أ- التوحيد والشرك في القرآن الكريم، ط. مؤسسة الفكر الإسلامي، الطبعة الثانية ١٤٠٦هـ- ١٩٨٦م.

ب- الوهابية في الميزان، ط. دار المنتظر- بيروت، الطبعة الثانية ١٤٠٨هـ- ١٩٨٨م.

٢- د. جمال رجب

أ- أبو البركات البغدادي وفلسفته الإلهية.

حرف الحاء

١- حسن خزبك

أ- المقالات الوفية.

٢- حسن بن علي السقاف

أ- الإغاثة بأدلة الاستغاثة. دار الإمام النووي.

حرف الدال

١- داود النقشبندي الخالدي بن السيد سليمان أفندي البغدادي.

أ- صلح الإخوان من أهل الإيمان ، ط. مطبعة الأخبار، بمباي- الهند ١٣٠٦هـ.

٢- الدوسري .

أ- الرحمة الهابطة.

حرب الراء

١- رشدي فتوح

أ- أساسيات عامة في علم الفسيولوجيا ط. ذات السلاسل.

حرف السين

١- سعيد عبد اللطيف فودة

أ- تهذيب شرح السنوسية ط. دار البيارق- عمان الأردن ط. الأولى ١٤١٩- ١٩٩٨م.

ب- الكاشف الصغير عن عقائد بن تيمية، ط. دار الرازي عمَّان الأردن- الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ- ٢٠٠٠م.

٢- سلامة القضاعي العزامي الشافعي.

أ- براهين الكتاب والسنة الناطقة على وقوع الطلقات المجموعة منجزة أو معلقة، تقديم الإمام محمد زاهد الكوثري، الطبعة الأولى ١٣٦٦هـ.

ب- البراهين الساطعة في رد بعض البدع الشائعة، تقديم الإمام محمد زاهد الكوثري، الطبعة الأولى، ١٣٦٦هـ.

ج- فرقان القرآن بين صفات الخالق وصفات الأكوان، الطبعة الثانية، ١٣٧٢هـ.

٣- د. سيد عبد الستار ميهوب.

أ- الإلهيات عند ناصر الدين البيضاوي، ط. دار الهداية ، الطبعة الأولى ١٩٩٤م.

حرف الشين

١- ابن شطي.

أ- طبقات الحنابلة.

حرف الصاد

١- صلاح الدين أبي سعيد بن خليل العلائي

أ- جامع التحصيل في أحكام المراسيل تحقيق: حمدي السلفي، ط. عالم الكتب، مكتبة النهضة العربية، بيروت الطبعة الثانية ١٤٠٧هـ- ١٩٨٦م.

٢- د. صلاح الدين المنجد.

أ- مجلة المجمع العلمي العربي.

٣- الصنعاني.

أ- رفع الأستار عن القول بفناء النار ط. المكتب الإسلامي تحقيق الألباني.

حرف الطاء

١- الطحاوي أبو جعفر.

أ- العقيدة الصحاوية.

حرف العين

١- علي بن الكافي السبكي، تقي الدين، أبي الحسن

أ- الإبهاج شرح المنهاج، تحقيق: د. شعبان محمد إسماعيل، ط. الكليات الأزهرية، الطبعة الأولى ١٤٠١هـ، ١٩٨١م. (بدأة علي بن عبد الكافي وأكمله ولده عبد الوهاب السبكي)

ب- الإعتبار ببقاء الجنة والنار. تحقيق د. طه حبيس.

ج- الدرة المضية في الرد على ابن تيمية، ط. حسام الدين القدسي- دمشق الشام، ١٣٤٧هـ.

د- الرسائل السبكية في الرد على ابن تيمية وتلميذه ابن قيم الجوزية، ط. عالم الكتب، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ- ١٩٨٣م.

هـ- السيف الصقيل في الرد على ابن زفيل، تحقيق: العلامة الكوثري، تصوير مكتبة زهران، القاهرة.

و- شفاء السقام في زيارة خير الأنام، ط. الأميرية ببولاق مصر، الطبعة الأولى، ١٣١٨هـ.

٢- عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي السبكي، تاج الدين، أبي نصر.

أ- رفع الحاجب عن مختصر ابن الحاجب، تحقيق على محمد معوض، عادل أحمد عبد الموجود، ط. عالم الكتب، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ- ١٩٩٩م.

ب- طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق: د. محمود الطناحي، د. عبد الفتاح الحلو، ط. دار هجر، الطبعة الثانية ١٤١٣هـ- ١٩٩٢م.

ج- قاعدة في الجرح والتعديل وقاعدة في المؤرخين، تحقيق، الشيخ عبد الفتاح أبو غدة، ط.دار البشائر الإسلامية- بيروت.

د- معيد النعم ومبيد النقم، ط. المطبعة الأدبية (الخانجي) ضمن مجموع مسمى: (تفريج المهج بتلويح الفرج)- القاهرة.

٣- عبد الله بن محمد بن الصديق الغماري،الحسني، أبي الفضل.

أ- إتحاف الأذكياء بجواز التوسل بالأنبياء والأولياء، ط. دار الطباعة الحديثة- المغرب.

ب- إرغام المبتدع الغبي.

ج- إعلام الراكع الساجد بمعنى اتخاذ القبور مساجد.

د- الأحاديث المنتقاة في فضائل رسول الله.

هـ- الرد المحكم المتين على كتاب القول المبين، ط. مكتبة القاهرة، الطبعة الثالثة ١٤٠٦هـ- ١٩٨٦م.
و- الفوائد المقصودة في بيان الأحاديث الشاذة المردودة.
ز- نهاية الآمال في صحة وشرح حديث عرض الأعمال، ط. عالم الكتب- بيروت، الطبعة الثانية ١٤٠٥هـ- ١٩٨٥م.

٤- عبد العزيز بن محمد بن الصديق الغماري.
أ- القول الأسد في بيان حال حديث رأيت ربي في صورة شاب أمرد (ضمن مجموعة الحديث الصديقين) نشرت بالقاهرة.

٥- عبد الفضيل القوصي
أ- هوامش على العقيدة النظامية

٦- علي بن أحمد المهايمي
أ- تبصير الرحمن وتيسير المنان، ط. عالم الكتب، الطبعة الثانية ١٤٠٣هـ- ١٩٨٣م، مصورة عن بولاق.

٧- عياض بن موسى بن عياض اليحصبي، أبو الفضل.
أ- الشفا بتعريف حقوق المصطفى، تحقيق: على محمد البجاوي، ط. دار الإحياء الكتب العربية، القاهرة، ١٩٧٧م.

٨- عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، أبو الفضل
أ- اللآلئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعة.
ب- الأبدال.
ج- إنباء الأذكياء بحياة الأنبياء.
د- الجامع الصغير في أحاديث البشير النذير ط. دار الفكر ١٤٠١هـ- ١٩٨١م.
هـ - الخصائص الكبرى، تحقيق: د. محمد خليل هراس، ط. دار الكتب الحديثة ١٣٨٦هـ-١٩٦٧م.
و- الدر المنثور في التفسير بالمأثور.

ز- الدرر المنتثرة.

ح- طبقات الحفاظ، تحقيق: علي محمد عمر، ط. مكتبة وهبة- القاهرة- الطبعة الأولى ١٣٩٣هـ- ١٩٧٣م.

ي- مناهل الصفافي تخريج أحاديث الشفاء ط. دار الجنان ١٤٠٨هـ- ١٩٨٨م.

٩- عبد القاهر بين طاهر التميمي البغدادي، أبو منصور.

أ- أصول الدين، ط. دار الكتب العلمية.

ب- الفرق بين الفرق، ط. مؤسسة الحلبي- القاهرة، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد.

١٠- علي بن أبي بكر الهيثمي، نور الدين.

أ- المقصد العلي في زوائد أبي يعلي الموصلي،تحقيق: سيد كسروي حسن، ط. دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ- ١٩٩٣م.

ب- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، ط. دار الكتاب العربي- بيروت، الطبعة الثالثة ١٤٠٢هـ- ١٩٨٢م.

هـ- مجمع البحرين في زوائد المعجمين.

و- موارد الظمآن إلى زوائد ابن حبان ط. دار الثقافة العربية- دمشق ١٤١١هـ- ١٩٩٠م، تحقيق حسين سليم أسد- عبده علي كوشك.

١١- علي بن محمد بن عراق الكناني

أ- تنزيه الشريعة المرفوعة عن الأخبار الشنيعة الموضوعة ط. العلمية ١٤٠١هـ- ١٩٨١م.

١٢- عبد الكريم بن هوازن القشيري.

أ- الرسالة القشيرية، تحقيق: د. عبد الحليم محمود، محمود بن الشريف، ط. دار الكتب الحديثة ١٩٧٤م.

ب- لطائف الإشارات، تحقيق: د. إبراهيم بسيوني، ط. الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨١م. مصورة عن الطبعة الأولى ١٩٧١م.

١٣- عبد الرحمن بن الجوزي، أبو الفرج.

أ- الباز الأشهب المنقص على مخالفي المذهب، ط. دار الجنان- بيروت.

ب- دفع شبه التشبيه بأكف التنزيه، تحقيق الإمام الكوثري.

ج- دفع شبه التشبيه بأكف التنزيه تحقيق حسن بن علي السقاف دار الإمام النووي.

د- الموضوعات.

١٤- عضد الدين الإيجي.

أ- المواقف

١٥- علي بن محمد الجرجاني، السيد الشريف.

أ- شرح المواقف في علم الكلام، تحقيق: د. أحمد المهدي، ط. مكتبة الأزهر، ١٣٩٦هـ- ١٩٧٦م.

ب- شرح المواقف. ط الأستانة ومعه حواشي علي الشرح وبالهامس:

أ) الطوالع وشرحه المطالع. ب) شرح التجريد.

١٦- علي بن محمد سلطان الهروي المعروف بالقاري.

أ- شرح الشفا، ط. مصورة عن طبعة بولاق- القاهرة ١٢٥٧هـ بهامش (نسيم الرياض).

١٧- علي بن حسين الواعظ الكاشفي الهروي.

أ- رشحات عين الحياة، ترجمة: الشيخ محمد مراد بن عبد الله القزاني، ط دار صادر، مصورة عن الطبعة الأولى، المطبعة الأميرية ١٣٠٧هـ.

١٨- عبد الوهاب بن عبد الرحمن الأخميمي الشافعي المعروف بالمصري.

أ- رسالة في الرد على ابن تيمية في مسألة حوادث لا أول لها، تحقيق : سعيد عبد اللطيف فودة، ط. الأردن. الطبعة الأولى ١٤١٩هـ- ١٩٩٨م.

١٩- عطية إبراهيم الشوادفي، مدير عام الوعظ سابقا.

أ- دراسات في التوراة، إشراف مجمع البحوث، ط. ١٣٥٥هـ- ١٩٣٦م.

٢٠- عبد الجليل بن موسى بن عبد الجليل الأندلسي المعرف في بالقصرى.

أ- شعب الإيمان، تحقيق: سيد كسروي حسن، ط. دار الكتب العلمية- بيروت الطبعة الأولى ١٤١٦هـ- ١٩٩٥م.

٢١- د. علي الغماري.

أ- المجاز.

٢٢- عبد الحي بن العماد الحنبلي، أبو الفلاح

أ- شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ط. دار الكتب العلمية، مصورة عن دار الفكر.

٢٣- عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام المقدسي.

أ- حل الرموز ومفاتيح الكنوز، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، ط. مكتبة العلم والإيمان.

٢٤- عبد الرؤوف المناوي، أمين الدين.

أ- التيسير بشرح الجامع الصغير،ط. مكتبة الإمام الشافعي- الرياض، مصورة عن الطبعة الأول. دار الطباعة ١٢٨٦هـ.

٢٥- عبد الله بن مسلم بن قتية الكاتب الدينوري.

أ- الاختلاف في اللفظ والرد على الجهمية والمشبهة، تعليق: الإمام محمد زاهد الكوثري ط. مكتبة القدس- القاهرة الطبعة الأولى. مطبعة السعادة ١٣٤٩هـ.

٢٦- عبد الحي اللكنوي

أ- الرفع والتكميل.

٢٧- عبد الله بن محمد بن جعفر بن حيان، المعروف بأبي الشيخ الأصفهاني، أبو محمد.

أ- كتاب العظمة، تحقيق: رضاء الله بن محمد بن إدريس المباركفوري، ط. دار العصمة، الرياض. الطبعة الثانية ١٤١٩هـ- ١٩٩٨م.

٢٨- د. عبد العظيم المطعني.

أ- المجاز في اللغة والقرآن الكريم، ط. مكتبة وهبة.

٢٩- د. علي عبد الواحد وافي:

أ-علم اللغة. ط. دار نهضة مصر.

ب- نشأة اللغة عند الإنسان والطفل، ط. دار نهضة مصر. الطبعة الرابعة أ.ع اهـ- ١٩٨٠م.

٣٠- عبد الوهاب الشعراني

أ- اليواقيت والجواهر.

٣١- عبدربه سليمان بن محمد بن سليمان الشهير بالقليوبي.

أ- فيض الوهاب في بيان أهل الحق ومن ضل عن الصواب، ط. دار القومية العربية- القاهرة ١٣٨٣هـ- ١٩٦٤م.

٣٢- د. عمر عبد الله كامل

أ- المتطرفون، ط. دار بيسان- ابنان- الطبعة الأولى.

٣٣- عبد الرحيم بن الحسن الإسنوي، جمال الدين.

أ- نهاية السول في شرح منهاج الأصول، ط. عالم الكتب- بيروت. طبعة مصورة.

٣٤- عبد الملك الجويني، أبو المعالي، إمام الحرمين

أ- العقيدة النظامية، تحقيق: الإمام الكوثري، ط. مطبعة الأنوار المحمدية- القاهرة ١٣٦٧هـ-١٩٤٨م.

٣٥- علي بن أحمد السمهودي، نور الدين

أ- وفاء الوفا، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، ط. دار إحياء التراث العربي- بيروت الطبعة الثالثة ١٤٠١هـ- ١٩٨١م.

٣٦- عبد الغني النابلس.

أ- كشف النور عن أصحاب القبور (مخطوط).

٣٧- عبد الحليم محمود السيد وآخرون.

أ- علم النفس العام ط. دار غريب الطبعة الثالثة.

٣٨- عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني.

أ- ضوابط المعرفة ط. دار القلم- دمشق الطبعة الثالثة ١٤٠٨هـ- ١٩٨٨م.

٣٩- عمر بن محمد أبو حفص شهاب الدين السهروردي

أ- عوارف المعارف، ط. دار الكتاب العربي، الطبعة الثانية ١٤٠٣هـ- ١٩٨٣م.

٤٠- علوي بن أحمد بن حداد

أ- جلاء الظلام في الرد على البدعي النجدي الذي أضل العوام.

٤١- د. علي سامي النشار.

أ- مناهج البحث عند مفكري الإسلام،دار النهضة العربية - بيروت ط.الثالثة ١٤٠٤هـ- ١٩٨٤م.

٤٢- علي ابن إسماعيل أبو الحسن علاء الدين القونوي

أ- حسن التصرف بشرح التعرف (مخطوط).

٤٣- عبد الله بن محمد بن عبيد أبو بكر الحنبلي المشهور بابن أبي الدنيا

أ- القبور ط. مكتبة الغرباء الأثرية بالمدينة المنورة ط الأولى ١٤٢٠هـ- ٢٠٠٠م.

٤٤- عبد الله بن أسعد اليافعي

أ- روض الرياحين ط. زهران.

حرف الفاء

١- فخر الدين الرازي

أ- لوامع البينات شرح أسماء الله تعالى والصفات، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، ط. دار الكتاب العربي- بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ- ١٩٨٤م.

ب - تفسير مفاتيح الغيب. ط. دار الغد العربي- القاهرة.

ج- معالم أصول الدين.

د- المسائل الخمسون.

٢- د. فتحي محمد الزغبي

أ- تأثر اليهودية بالأديان الوثنية (رسالة دكتوراه) ، ط. دار البشير للثقافة والعلوم

الإسلامية مصر- طنطا، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ- ١٩٩٤م.

٣- فرج عبد القادر طه.

أ- أصول علم النفس الحديث ط. دار المعارف الطبعة الثانية ١٩٩٤م.

حرف القاف

١- قاسم بن صلاح الدين الخاني الحلبي

أ- السير والسلوك إلى ملك الملوك.

حرف الميم

١- محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، أبي عبد الله، شمس الدين.

أ- بيان زغل العلم والطلب، ويليه: النصيحة الذهبية لابن تيمية، تحقيق: الإمام الكوثري، ط. القدسي- دمشق، التوفيق- دمشق ١٣٤٧هـ.

ب- سير أعلام النبلاء.

ج- المغني في الضعفاء، تحقيق وتقديم: د. نور الدين عتر.

٢- محمد ابن أبي بكر بن أيوب المعروف بابن قيم الجوزية، شمس الدين.

أ- حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح، تقديم: علي السيد صبح المدني، د. محمد جميل غازي، ط. مكتبة المدني سنة ١٣٩٨هـ.

ب- الروح ط. دار ابن كثير- دمشق ط. الرابعة.

ج- زاد المعاد في هدى خير العباد، ط. المطبعة المصرية.

د- الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، المعروفة بالقصيدة النونية الطبعة الأولى، ط. الخيرية- مصر ١٣١٩هـ.

٣- محمد بن محمد بن محمد الغزالي ، أبي حامد.

أ- إحياء علوم الدين ط. دار الكتب العلمية (مع شرحه اتحاف السادة المتقين).

ب- إلجام العوام عن علم الكلام، ط. دار الكتب العلمية- بيروت.

ج- الاقتصاد في الاعتقاد.

د- تهافت الفلاسفة.

هـ- فيصل التفرقة، تحقيق، محمد مصطفى أبو العلا، ط. مكتبة الجندي- القاهرة- ١٩٧٣م.

و- مشكاة الأنوار.

ز- المقصد الأسنى شرح أسماء الله الحسنى، تحقيق: محمد مصطفى أبو العلا ، ط. مكتبة الجندي ١٣٨٧هـ- ١٩٦٨م.

٤- محمد زاهد بن الحسن الكوثري، الحنفي.

أ- الإشفاق على أحكام الطلاق، ط. المكتبة الأزهرية للتراث، ١٤١٥هـ- ١٩٩٤م.

ب- تبديد الظلام المخيم من نونية ابن القيم، المعروف بإكمال الرد مطبوع بهامش (السيف الصقيل).

ج- مقالات الكوثري.

د- التعليق على دفع شبه التشبيه لابن الجوزي.

هـ- مقدمة كتاب الأسماء والصفات.

٥- محمد بخيت المطيعي، مفتي الديار المصرية.

أ- تطهير الفؤاد من دنس الاعتقاد، ط. الأميرية بولاق، الطبعة الأولى ١٣١٨هـ.

ب- سلم الوصول لشرح نهاية السول، ط. عالم الكتب- بيروت- طبعة مصورة.

ج- القول الجامع في الطلاق البدعي والمتتابع.

٦- محمود سعيد ممدوح.

أ- بشارة المؤمن بتصحيح حديث اتقوا فراسة المؤمن ، الطبعة الثانية.

ب- رفع المنارة لتخريج أحاديث التوسل والزيارة، ط. دار الإمام الترمذي، الطبعة الثانية ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م.

٧- محمود محمود الغراب.

أ- رحمة من الرحمن في تفسير وإشارات القرآن من علام الشيخ الأكبر محي الدين

بن العربي، ط. المؤلف، ١٤١٠هـ- ١٩٨٩م.
ب- شرح كلمات الصوفية في الرد على بن تيمية،ط. المؤلف، الطبعة الثانية، ١٤١٣هـ- ١٩٩٣م.

٨- محمد زكي إبراهيم.

أ- في رياض الاسم الأعظم، تحقيق: محي الدين حسين، يوسف الإسنوي،ط. العشيرة المحمدية- القاهرة ١٩٩٨م.

٩- محمد علوي المالكي

أ- مفاهيم يجب أن تصحح، ط. دار الإنسان، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ- ١٩٨٥م.

١٠- محمد بن عبد الباقي الزرقاني

أ- شرح الموطأ، ط. دار الجيل بيروت- مصورة.
ب- مختصر المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة، تحقيق: د. محمد الصباغ، ط. مكتب التربية العربي لدول الخليج، الطبعة الثانية.

١١- محمد بن يوسف السنوسي، أبو عبد الله

أ- عمدة أهل التوفيق والتسديد، ط. دار القلم- الكويت، الطبعة الأولى ١٤٠٢هـ- ١٩٨٢م.

١٢- مسلم بن الحجاج القشيري، النيسابوري.

أ- صحيح مسلم بشرح النووي، ط. دار الغد العربي، الطبعة الثانية ١٤٠٣هـ- ١٩٨٣م.

١٣- محمد بن عبد الكريم الشهرستاني، أبو الفتح.

أ- الملل والنحل، تحقيق: محمد سيد كيلني، ط. دار صعب- بيروت، ١٤٠٦هـ- ١٩٨٦م.

١٤- محمد بن محمود بن الحسن المعروف بابن النجار، محي الدين، أبو عبد الله

أ- الدرة الثمينة في تاريخ المدينة، ط. مكتبة الثقافة الدينية- القاهرة- الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ- ١٩٩٥م.

١٥- محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري، أبو عبد الله

أ- المستدرك على الصحيحين، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، ط. دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ- ١٩٩٠م.

١٦- مصطفى صبري

أ- موقف العقل والعلم والعالم من رب العالمين وعباده المرسلين، ط. دار إحياء التراث العربي- بيروت الطبعة الثالثة ١٤١٣هـ- ١٩٩٢م.

١٧- محمد أسعد صاحب زاده النقشبندي

أ- نور الهداية والعرفان في سر الرابطة والتوجه وختم الخواحكان، وبهامشه كتاب، الفيوضات الخالدية والمناقب الصاحبة للمؤلف، ط. العلمية- القاهرة، الطبعة الأولى ١٣١١هـ.

١٨- محمد بن عبد الرحمن السخاوي، شمس الدين

أ- المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المتشهرة على الألسنة، تحقيق: عبد الله بن محمدبن الصديق ط. دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ- ١٩٨٧م.

ب- الضوء اللامع للأهل القرن التاسع، ط. مكتبة الحياة- بيروت. طبعة مصورة.

١٩- محمد بن أبي يعلي، أبو الحسين.

أ- طبقات الحنابلة ، تحقيق: محمد حامد الفقي، ط. دار إحياء الكتب العربية، مصورة.

٢٠- محمد بن إبراهيم بن سعد الله بن جماعة، بدر الدين، قاضي القضاة.

أ- إيضاح الدليل في قطع حجج أهل التعطيل، تحقيق ... ط. دار السلام-

القاهرة، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ- ١٩٩٠م.

٢١- منصور محمد محمد موسى.

أ- ابن تيمية ليس سلفيا، ط. دار النهضة العربية، الطبعة الأولى ١٩٧٠م.

٢٢- مالك بن أنس الأصبحي، الإمام.

أ- الموطأ

٢٣- محمد الحافظ التجاني

أ- أهل الحق العارفون بالله السادة الصوفية، ط. دار الطباعة الحديثة، الطبعة الثانية ١٣٨٣هـ، ١٩٦٣م.

٢٤- محمد بن محمد مخلوف

أ- شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، ط. دار الفكر - بيروت - مصورة.

٢٥- محمد مرتضى الزبيدي، الحافظ

أ- اتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين، ط. دار الكتب العلمية- بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ، ١٩٨٩م.

٢٦- محمود محمد خطاب السبكي

أ- اتحاف الكائنات بيان مذهب السلف والخلف في المتشابهات الطبعة الثانية ١٣٩٤هـ- ١٩٧٤م.

٢٧-محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرج الأنصاري القرطبي، أبو عبد الله، المفسر.

أ- التذكار في أفضل الأذكار، ط. دار الكتب العلمية- بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ- ١٩٨٦م. مصورة.

ب- الجامع لأحكام القرآن، ط. دار الغد العربي- القاهرة- الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ- ١٩٩٠م.

ج- الأسني في شرح أسماء الله الحسنى ط. دار الصحابة بطنطا ط. الأولى عام ١٩٩٥م- ١٤١٦هـ.

٢٨- محمد الخضر بن مايابي الشنقيطي

أ- استحالة المعية بالذات ببيان مذهب السلف والخلف في المتشاب والصفات، المطبعة المحمودية التجارية- مصر، الطبعة الأولى، ١٣٤٩هـ.

٢٩- المبارك بن محمد بن الأثير الجزري

أ- جامع الأصول من أحاديث الرسول، تحقيق: عبد القادر الأرناؤوط، ط. دار الفكر – بيروت، الطبعة الثانية ١٤٠٣هـ- ١٩٨٣م.

٣٠- محمد بن عيسى الترمذي، أبو عيسى

أ- الجامع الصحيح، تحقيق: أحمد محمد شاكر، أكمله: إبراهيم عطوة، ط. مصطفى البابي الحلبي، الطبعة الثانية ١٣٩٨هـ، ١٩٧٨م.

٣١- محمد بن عبد الله بن سعيد السلماني، الوزير لسان الدين بن الخطيب

أ- روضة التعريف بالحب الشريف، تحقيق: عبد القادر أحمد عطا، ط. دار الفكر العربي، ١٣٨٦هـ- ١٩٦٦م.

٣٢- محمد بن عبد الله بن حميد النجدي ثم المكي

أ- السحب الوابلة على ضرائح الحنابلة، تحقيق: بكر بن عبد الله أبو زيد، د. عبد الرحمن بن سليمان الهيثمة، ط. مؤسسة الرسالة – بيروت الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ- ١٩٩٦م.

٣٣- محمود بن عبد الرحمن الأصفهاني

أ- مطالع الأنظار على طولع الأنوار.

٣٤- مسعود بن عمر بن عبد الله، سعد الدين التفتازاني.

أ- شرح المقاصد، تحقيق: د. عبد الرحمن عميرة، ط. عالم الكتب بيروت، مكتبة الكليات الأزهرية، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ- ١٩٨٩م.

ب- شرح التلويح على التوضيح دار الكتب العلمية بيروت.

٣٥- محمد بن أحمد بن عبد الهادي الحنبلي المقدسي، أبو عبد الله

أ- الصارم المنكي في الرد على السبكي، تحقيق: إسماعيل الأنصاري، ط. مكتبة

النوعية الإسلامية.

٣٦- محسن الأمين

أ- كشف الأرتياب في أتباع محمد بن عبد الوهاب، الطبعة الخامسة.

٣٧- محمود بن عبد الرحمن الأصفهاني شمس الدين أبو الثناء.

أ- مطالع الأنظار على طوالع الأنوار.

٣٨- محمد بن يزيد القزويني بن ماجة أبو عبد الله سنن ابن ماجة.

٣٩- محمد بن إسماعيل البخاري الجامع الصحيح.

٤٠- مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري

أ- الكتاب الصحيح أبو الحسين.

٤١- محمد بن جرير الطبري أبو جعفر

أ- جامع البيان عن تأويل آي القرآن (المعروف بتفسير الطبري).

٤٢- محمود شكري الألوسي السيد شهاب الدين.

أ- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني (المعروف بتفسير الألوسي).

ب- الفيض الوارد على روض مرثية حضر، مولانا خالد ط. المطبعة الكنستلية بمصر ١٢٧٨هـ.

٤٣- موفق الدين بن عثمان.

أ- مرشد الزوار إلى قبور الأبرار ط. الدار المصرية اللبنانية ط ١٤١٥هـ- ١٩٩٥م.

٤٤- مصطفى العروس.

أ- نتائج الأفكار القدسية في بيان معاني شرح الرسالة القشيرية لشيخ الإسلام زكريا بن محمد الأنصاري.

٤٥- محمد حسنين مخلوف العدوي المالكي.

أ- المطالب القدسية في أحكام الروح وآثارها الكونية مكتبة مصطفى البابي

الحلبي بمصر الطبعة الثانية ١٣٨٢هـ- ١٩٦٣م.

ب- رسالتين في حكم التوسل بالأنبياء والأولياء، مطبوعتين مع كتاب (الصواعق الإلهية) لسليمان ابن عبد الوهاب مكتبة التهذيب القاهرة ١٣٤٦هـ.

٤٦- محمد أمين الشهير بابن عابدين.

أ- إجابة الغوث ببيان حال النقباء والنجباء والأبدال والأوتاد والغوث، ضمن (مجموعة رسائل ابن عابدين) ط. عالم الكتب- لبنان.

٤٧- محمد بن النعمان التلمساني أبو عبد الله

أ- مصباح الظلام في المستغيثين بخير الأنام في اليقظة وفي المنام (مخطوط).

٤٨- محمد بن محمد بن عمر بن عبد الخالق فخر الدين ابن المعلم القرشي.

أ- نجم المهتدي ورجم المعتدي (مخطوط).

حرف الياء

١- يحيى بن شرف محي الدين النووي.

أ- رياض الصالحين.

ب- الأذكار.

ج- المنهاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج. ط. دار الخير دمشق- ط الخامسة ١٤١٩هـ- ١٩٩٨م، ط. دار الغد العربي القاهرة ١٤٠٩هـ- ١٩٨٨م.

٢- يوسف، ابن تغري بردي

أ- المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي، تحقيق: د. محمد محمد الأمين، ط. الهيئة العامة المصرية للكتاب، ١٩٨٥هـ.

٣- يوسف المزي، جمال الدين، أبو الحجاج.

أ- تهذيب الكمال في أسماء الرجال، تحقيق: د. بشار عواد معروف، ط. مؤسسة الرسالة- بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ- ١٩٩٢م.

٤- يوسف مراد.

أ- مبادئ علم النفس العام.

٥- يوسف الدجوي.

أ- مقالات يوسف الدجوي، ط. مجمع البحوث الإسلامية.

الفهرس التفصيلي

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الفهرس الإجمالي







هذا الكتاب

يقول الإمام فخر الدين بن المعلم القرشي (ت ٧٢٥ هـ) :

«هذه البدعة : أعني القول بالجهة والحرف والصوت وحمل الظواهر على ما ينافي التنزيه، لم تظهر بين قوم ولم ينهض أهل الحل والعقد في ذلك الزمان لإخمادها وردع أهلها وزجرهم عن ذلك إلا أذنت بوبالهم وكانت سببا لشؤم مآلهم، وكذلك ما فشت في قطر من أقطار الأرض إلا دمرته وكانت سببا في خرابه ولا كانت بين قوم إلا غشيتهم الذلة وسلط عليهم الأعداء، وذلك لأنها تضاهي قول اليهود فيشاركونهم في الإهانة والصفات وتأمل التواريخ تهديك إلى ذلك» أ. هـ.

من «نجم المهتدى ورجم المعتدي»، «مخطوط».

وها نحن الآن نعيش مثالاً حيا لهذا القول الحكيم مع الهجمة الشرسة لتتار هذا العصر نسأل الله العزيز القهار أن يهلكهم كما أهلك أسلافهم من تتار الماضي مقدمين بين أيدينا هذا العمل المتواضع معذرة إلى ربنا عز وجل ولعل من مشوا في ركاب فتنة التشبيه والتجسيم - فكانوا شؤما ووبالا على الأمة - أن يثوبوا إلى رشدهم ويرجعوا إلى ربهم، إنه سميع مجيب.

مرحبًا بكم (على شبكة الانترنت) في ضيافة موقع :

الإمام فخر الدين الرازي http//www.al-razi.net

تحقيق وتعليق
عبد الواحد مصطفى

دار الرازي
عمان - الأردن